فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : إن للإسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق)

(مصر — الثلاثاء غرة المحرم سنة ١٣٢٣ — ٧ مارس (آذار) سنة ١٩٠٥)

فاتحة السنة الثامنة



الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ، إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور ، والصلاة والسلام على روح الإصلاح وإمام المصلحين ، الذي أرسله الله رحمة للعالمين ، « لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين » ، « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون ، واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب ، واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض

تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون »

تلك آيات من الكتاب المبين ، يذكر بها المنار قراءه على رأس ثمان سنين ، ليتذكروا أن في الكون ظلمة ونورا ، وكلما خبيثا وكلما مأثورا ، وعملا سيئا وعملا مبرورا ، وأن للأمم حياة وموتا ، وأن في الناس مكرا وفتنا ، وأن للحياة دعوة يخاطب بها الأحياء ، وأن لها فتنة من قبل الكبراء والرؤساء ، وأن العاقبة للمتقين ، وإن كانوا مستضعفين ، « أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ؟ كذلك زُين للكافرين ما كانوا يعملون * وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون »

ليتذكروا أن من يدعو الى الحياة فهو يدعو الى الاستقلال والمساواة ، ومن يدعو الى الحق فهو مقاوم للباطل ، وان أبغض الأشياء الى الرؤساء المستبدين استقلال الفكر ، والتساوي بين الناس في الحقوق ، وأبغض الناس الى الكبراء المترفين من يدعو الى نصرة الحق ومقاومة الباطل ، والى جعل التفاضل بين الناس بالأعمال والفضائل ، فالسادات المالوف والكبراء المستكبرون ، أعداء المصلحين في كل زمان ، وخصماء الحق والفضيلة في كل مكان ، غرورا بالقوة وطغيانا بالغنى و « استكبارا في الارض ومكر السيء ولا يحيق المكر السيء الا بأهله ، فهل ينظرون الا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلا * ولن تجد لسنة الله تحويلا * أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الارض إنه كان عليما قديرا »

ليتذكروا بهذه الآيات كلها أن الله تعالى بين للناس أن له سننا في حياة الأمم وموتها لا بد لمعرفتها بالتفصيل من الرجوع الى التاريخ الذي يبين مصداق آياته في الغابرين، ومن السير في الأرض لمعرفة تأويلها في الأولين والآخرين؛ وقد نطقت سير البشر بتصديق قوله تعالى «إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم» وأنه ماوقع تغيير الا بدعوة وأن دعاة الخير والاصلاح في كل أمة كانوا ممقوتين من أصحاب السلطة، ومضطهدين من رؤساء الأمة اولئك الذين حبس خيارهم مثل الامام ابي حنيفة حتى مات في السجن، وجلدوا الامام مالكا وألزموه بيته حتى ترك الجمعة والجماعة، واضطروا الامام الشافعي الى الفرار من بغداد خوفا على دينه أو نفسه، ووطئوا الامام أحمد بالنعال، وما زالوا من تلك العصور يفتنون أهل العلم والتقوى، حتى تم لهم بطول الزمان إفساد الدين والدنيا، «واذا قيل لهم لاتفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون * ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون»

واذا تذكروا أن انتقال الامم من حال الى حال لا يكون من الرؤساء المترفين، ولا يأتي باختيار الأمراء والسلاطين، وإنما يكون بتغيير أفراد الامة ما بأنفسهم من الافكار والعقائد والاخلاق والسجايا ـ وتذكروا أن المسلمين غيروا ما كان بأنفسهم في أول نشأتهم بالتدريج فغير الله ما كان بهم من عزة العلم والقوة، وسيادة العدل والفضيلة، ولن يغير ما هم الآن فيه، الا بعد الرجوع الى ما كانوا عليه، وشرطه قلع جراثيم التقليد، واجتثاث شجرة التعصب للمذاهب، وأساسه جمع كلمة الأمة، وتحقيق معنى الوحدة، ـ فأنا أدعوهم الى الاصلاح الديني قبل كل شيء لانه يتوقف عليه كل شيء فانه لا يصلح آخر هذه الامة الا ماصلح به أولها كما قال الامام مالك بن

أنس رحمه الله تعالى . صلح أول هذه الامة بهدي كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وهداهم ذلك الى كل إصلاح صوري ومعنوي « أفلم يدّبّروا القول أم جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين * أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون »

أدعوهم الى هذا الاصلاح بهذه الجملة وأدعوهم الى الدعوة إليها والى ماتدعو اليه ما أصابت ، والى بيان خطأها فيها اذا رأوها أخطأت أدعوهم الى قطع الآمال من السياسة والسياسيين، والى ترك الغرور بالرؤساء والحاكمين ، وعدم السماع لأتباعهم، والانخداع لانصارهم وأشياعهم ، لئلا يصرفوكم عن الجد باصلاح النفس، الى الهزل بإرضاء الحس ، فانهم طلاب مال وجاه، طلاب رتبة ووسام، أصحاب أوهام، وشقشقة ألسنة واقلام، « ولو نشاء لاريناكهم فلعرفتهم بسيماهم * ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم »

أدعوهم الى الدعوة معي الى حقيقة الاسلام والتأليف بين المسلمين ، في بلاد أبيح فيها القول للقائلين ، وسهل فيها النشر على الكاتبين ، وأطلقت فيها حرية العلم والدين ، فصرح فيها الملحد بإلحاده ، وجاهر فيها الفاسق بفسقه ، ودعا فيها الكافر الى كفره ، ونشرت فيها الكتب والجرائد تطعن في القرآن، وتشنع على شريعة الاسلام ، ولم توجد فيها صحيفة إسلامية ترد شبهات الطاعنين ، وتؤيد العقائد بالحجج والبراهين ، وتبين حكم الاحكام، وانطباقها على مصالح البشر في كل زمان ومكان ، وتأمر بالعرف والبر ، وتنهى عن البدعة والنكر ، حتى اذا أنشىء المنار وقام بهذه الفرائض نقم منه بعض المسلمين في بلاد الحرية ، وانتقم بعضهم من عشيرته في بلاد العبودية ، نقم منه المتجرون بالدين ، ومقلدة المبتدعين و « الذين يخلطون الدين

بغيره ، ويظنون أو يزعمون انهم أئمة أهله ، (*) هاج عليه أهل المذاهب المتعصبون، لأنه يقول ان الوهابية السلفية والاشاعرة والماتريدية والشيعة والاباضية كلهم مسلمون ، وانه يجب عليهم تحكيم الكتاب والسنة فيما هم فيه يختلفون ، «إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء إنما أمرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون»

دعوت الى هذا منذ بضع سنين، وسأدعو اليه ان شاء الله حتى يأتيني اليقين، وقد عارض الدعوة قوم أكثرهم معذور بالجهل ، ثم استهدفت لما

(*) هذه العبارة لجريدة المؤيد من تقريظها المنار وقد رأينا أن ننشر ذلك التقريظ هنا لانه في معنى هذه الفاتحة وقد نشر في العدد ٣٦٢٧ من المؤيد الاغر الصادر في ١٩ المحرم سنة ١٣٢٠ ونصه : «صدر العدد الاول للسنة الخامسة من مجلة « المنار » الغراء وهي المجلة العلمية الدينية التهذيبية الاسلامية الوحيدة في القطر المصري لحضرة صاحبها ٠٠٠٠ السيد محمد رشيد رضا الطرابلسي . وقد قضى حضرته اربع سنوات يصدر هذه المجلة مثابرا على الخدمة الملية الصحيحة ، محاربا البدع المضلة ، بالحكم المدللة ، والهوى بالعقل ، والاوهام الفاشيات على الافهام ، بالآيات البينات من الكلام ، يعمل للاصلاح الديني جهد المستطيع ، وهو والحق يقال مستطيع فيما يجهد به نفسه ، يبارز المبتدعين غير هياب ، ويتمسك في اعماله غالبا على الحق الغالب من مفاهيم السنة والكتاب ، ولذلك كان كلامه مرا على اذواق الذين يخلطون الدين بغيره ، ويظنون او يزعمون انهم أئمة أهله ، يشتد كلما اعتقد الحق في جانبه وفي اعتقادنا انه لو كان أخف اسلوبا في الوطأة ، وألين جانبا في المقال ، من حيث لا يحيد يمنة أو يسرة عن خطته الحالية ولا يضيع شيئاً من غرضه الذي يسعى اليه لكان « المنار » اضعاف ماهو اليوم انتشارا واكثر فائدة ، واعم عائدة ، وكل مسلم يشعر بحاجة الاصلاح الديني للأمة المحمدية يتمنى من صميم فؤاده أن يكون لكل قطر من الاقطار الاسلامية منار مثل هذا « المنار » له من الانتشار أضعاف ماله الآن من الظهور والانتشار ، وفق الله صاحبه الفاضل دائما الى طريق السداد ، وانجح عمله دائما بالتوفيق والرشاد . آمين » اه

التمكن والانتشار لتضال قوم أضلهم الله على علم ، يخذلون الحق لأنهم على باطل، وينفرون من الهداية لأنهم على ضلالة ، وانك لتراهم من وراء الجدار، وتستشفهم من خلال السجوف والاستار ، يكيدون ويأتمرون ، ويوسوسون ويهمسون ، ويستفتون ويفتون ، « والله يعلم ما يسرون وما يعلنون » على انهم هم الذين يفشون أسرارهم، ويكشفون عوارهم ، فهم كمن نزل فيهم « لا يقاتلونكم جميعا الا في قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون * كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب اليم » ـ استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله اولئك حزب الشيطان ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون »

لماذا لا يعارضون المعترضين على دينهم ؟ لماذا لا يناهضون الطاعنين في كتابهم ؟ لماذا لا يعادون العادين على حقيقتهم ؟ لماذا لا يحرجون الخارجين على أمتهم ؟ لماذا لا يفتنون الفاتنين لعامتهم ؟ لماذا لا يهاجمون المهجمين على خاصتهم ؟ لماذا خفت عليهم دعوة كل ملة ؟ وثقلت عليهم الدعوة الى الكتاب والسنة ؟ ما ذاك الا ان قوة الحق ترهب المبطلين، ونور الرشاد يعشي أبصار الغاوين، وأما الباطل فانه يعد بعضه بعضا وان اختلفت الوانه، وتشعبت أفنانه « المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون »

انما يغر هؤلاء وأمثالهم تلك الكلمة المشهورة « القوة تغلب الحق » وهي كلمة لا تصدق على الاطلاق ، وليس هذا موضع بيان ما فيها من الاجمال، وإنما نقول ليست القوة محصورة في المال والجاه ، ولا في السلطة والحكم ، ولا بكثرة الاعوان والانصار فان في العالم قوى حسية وقوى معنوية ، كقوة

الاعتقاد وقوة الشعور وقوة العلم وقوة الاتحاد وقوة العدل وقوة الفضيلة وقوة الحاجة وقوة الحق . فكم من ملك كبير ، يتضاءل امام صعلوك فقير، لانه يشعر بضعف الرذيلة امام الفضيلة وبذل الباطل تجاه الحق، وهذا قيصر روسيا الملك المستبد القاهر قد أصبح كالمسجون في قصره على ماله من السلطة السياسية والدينية ، وقد مزق عمه كل ممزق ثم مزقت صورته وهو إشارة الى نية الايقاع به ، أنسو التاريخ وما فيه من السير ، التي هي منابع العبر ، كلا إن الباطل لا يقف أمام الحق اذا وجد الحق ناصرا وصادف الناصر حرية « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون »

ان للحقائق رجالا كما ان للاوهام رجالا، ان للدين أنصارا كما ان للدنيا أنصارا ، إن الدين من حاجات البشر الطبيعية ، وقوة من أعظم قواهم المعنوية، ان الضعيف في الدين لا يستطيع الزعامة فيه، وفاقد الشيء لا يعطيه، ان الأحرار يميلون للشيء بقدر إحساسهم بالحاجة اليه ، وعلى حسب اعتقادهم بالفائدة منه ، ان الاعتقاد في الامة قوة لا تغالب ، والاحساس الوجداني فيها ثروة لا تنفد ، ان لوم الصبين مدعاة الاغراء ، ومقاومة المعتقدين داعية التمكن والثبات ، ان المخلص في عمله يفيده ظهور خطأه كما يفيده ظهور صوابه، لان كلا منهما يزيده يقينا فيما يرغب فيه عنه ، ان الله تعالى وعد بنصر من ينصر الدين ، وجعل العاقبة للمتقين « ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز - الذين إن مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور »

يقولون إن الاحساس بالحاجة الى الاصلاح الديني ضعيف ، وإن عدد المعتقدين بوجوب اتباع السلف قليل ، وان الدعوة هنا الى الرابطة

الملية ، معارضة بالدعوة الى الوطنية ، : ونقول ان كل إصلاح في الكون بدأ بضعف وانتهى بقوة زلزلت جميع المعارضين و « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين » وما يلغو به احداث العصر ، من وجوب مقاومة من يهاجر الى مصر ، فهو مخالف لسنة الكون في الامم الحية وتعوز نجاحه القدرة على جميع العناصر الاجنبية ، وأما دعوتنا هذه الاسلامية فهي هي التي تأتي بالنهضة الوطنية ، لانها تهدم التقاليد التي فرقت بين الناس ، وألقت العداوة والبغضاء بين أهل الملل والمذاهب والاجناس ، فكما تذكر المسلمين بقوله تعالى « ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » تذكرهم أيضا بقوله في المخالفين « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين »

وجملة القول ان دعوتنا هذه دعوة عامة معروضة في صحيفتنا كما يعرض غيرها من الدعوات السياسية والأدبية وفي اعتقادنا أنها خير دعوة أقيمت للناس وإن من أسسها البعد عن مثارات الخلاف والشقاق ، ونشهد الله تعالى أنه ليس في قلبنا حرج على أحد من الناس وقد صفحنا عمن ظلمنا ، وعفونا عمن اعتدى علينا « ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام » وانا نحمد الله ونشكره أن أعطانا فوق ما كنا نرجو ، ثم نشكر أصحاب القلوب الطاهرة والافكار النيرة الذين تنتشر بهم الدعوة وتنمو ، « فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب »

منشئ المنار ومحرره
محمد رشيد رضا

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين لنا اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا. ولمن يمضي على سؤاله شهران أو ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان عندنا سبب صحيح لاغفاله

﴿ فطرة الاسلام وحديث الولادة عليها ﴾

(س ١) سليمان عبد الله في (السويس) وهو رجل غريب كتب الينا بأن عنده شبهات في الدين يجب كشفها وانه يبدأ بالسؤال الآتي تمهيدا لها وهو :

الحديث المشهور (مامن مولود الا يولد على الفطرة الاسلامية او فطرة الاسلام وانما أبواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه) أصحيح هو وما هي الفطرة الاسلامية ؟ أسلما يولد المولود ؟ أيعرف الاركان الاسلامية بالطبع والفطرة أم يعرف الله والنبي محمدا فقط حاشا الاركان الاخرى ؛ فبالاجمال مامعنى هذا الحديث الشريف ؟

(ج) أما الحديث فصحيح اخرجه البخاري من حديث ابن شهاب عن أبي هريرة وهو لم يدرك أبا هريرة فالحديث عنده منقطع بلفظه «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء» ورواه مسلم والترمذي وصححه وفيه «يشركانه» بدل يمجسانه والمراد بالفطرة في الحديث ماجاء في قوله تعالى « فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون » (سورة الروم ٣٠) وقد قرأ أبو هريرة الآية بعد الحديث وأشار البخاري الى أنه أخرجها للبيان وتقدم لنا تفسير الآية في المنار ونقول هنا مالابد منه لان السائل لم يطلع على المنار الا قليلا

انا نرى جميع اهل الملل حتى الكتابيين يعتقدون ان الدين شرع لمقاومة مقتضى الخلقة وان اموره فوق قضايا العقول وأحكامه وراء مدى الافهام وان الغرض منه تعذيب النفس وحرمانها من نعيم الحياة وانه لاحق لصاحب الدين في طلب الدليل على عقائده ولا في السؤال عن حكمة عباداته ولا في تطبيق أحكامه على مصالح الأمة

وخير البشر بل عليه أن يسلم بكل ما يرويه له الرؤساء ويقلدهم تقليداً أعمى

ثم انهم يعتقدون ان الدين رابطة جنسية لاهله عند الله تعالى من الحقوق مثل مالأهل الاجناس في عرف السياسة وقوانينها اي ان اليهودي مثلا يعتقد ان الله اصطفى كل يهودي وميزه على العالمين لانه يهودي فهو اذا اذنب يعفو الله عنه بفضله او بشفاعة أحد سلفه الصالحين واذا عذبه فانما يعذبه أياما معدودات ، وان غير اليهودي لاقيمة له عند الله تعالى اذا أحسن لايقبل احسانه واذا أساء يضاعف عذابه . كما ان أهل السياسة يميزون الامة التي تضمها جنسية الدولة ويخصها قانونها بحقوق لاتكون لغيرها فلا يجيزون محاربة طائفة منها ولا تدمير بلد من بلادها وان كانوا أجهل الناس واعرقهم في الرذائل ويستبيحون محاربة قوم آمنين مهذبين وإذلال كرائهم واهانة علمائهم واستعباد دهمائهم وان افضى ذلك الى التخريب والتدمير . وسرت عدوى هذه العقيدة وما قبلها الى المسلمين فلا يكاد يسلم منها الا الواقف على اسرار القرآن ودقائق السنة

أما القرآن فقد أتى على أمثال هذه القواعد التقليدية فنسفها نسفا وبين للناس أن الدين مع الفطرة في قرن ارتقاؤه هو ارتقاء الفطرة وضعفه هو ضعف الفطرة وفساده هو فساد الفطرة فعقائده وضعت لترقية العقل وآدابه وعباداته لترقية النفس وأحكامه وشرائعه لترقية حال الاجتماع والتعامل بين الناس ولذلك جعل العلم بالعالم علويه وسفليه والبحث عن حكمه ونظامه واسراره وفوائده هو الاساس الذي يقوم عليه بناء التوحيد ومعرفة الله ، وذكر عند طلب كل عبادة بيان فائدتها في تقوى الله تعالى وتهذيب النفس وتحليتها بالاخلاق العالية كما بين عند ذكر كل خلق وأدب وحكم فائدته ومنفعته ، وبين ان العقوبة على الكفر والرذائل والاعمال القبيحة هي عـلة تأثيرها الأثر السيء في النفس كما ان المثوبة الحسنة أثر المعارف الصحيحة والاعمال الصالحة في النفس ، والآيات المؤيدة لجميع ماقلناه كثيرة جدا وقد فسرنا في مجلدات المنار الماضية العشرات منها في الاصول العامة والفروع الجزئية واعادته هنا تطويل لامحل له فاذا اشتبه السائل أو خلا فليسأل عن الشواهد يجب . وفي باب التفسير من هذا الجزء شيء من ذلك

ولم يجعل اسم الاسلام اسم جنس لطائفة من الطوائف بل سمى أهل الحق

مسلمين كما سماهم مؤمنين وحنفاء ومخلصين لأن معاني هذه الألفاظ قائمة بهم وجعل مدار السعادة على ما يتحقق به معنى الاسم لا على قبول التسمي والرضى باللفظ والمعيشة مع أصحابه ولذلك قال في بعض المسلمين «قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا» وقال «ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب» الآيات وقال ما رأيت تفسيره في هذا الجزء

فعلم مما تقدم أن معنى كون دين الاسلام دين الفطرة هو أنه موافق لسنن الله تعالى في الخلقة الانسانية لأنه يعطي القوى الجسدية حقوقها والقوى الروحانية حقوقها ويسير مع هذه القوى على طريق الاعتدال حتى تبلغ كمالها . ومعنى ولادة كل مولود على هذه الفطرة هو أنه يولد مستعدا للارتقاء بالاسلام الذي يسير به على سنن فطرته التي خلقه الله عليها بما يبين له ان كل عمل نفسي أو بدني يصدر عنه يكون له أثر في نفسه وان ما ينطبع في نفسه من ذلك يكون علة سعادته أو شقائه في الدنيا والآخرة . فاذا فهم هذا وأدركه يظهر له أنه سنة الفطرة وناموس الطبيعة واذا كان له أبوان (وفي معناهما من يقوم مقامهما في تربيته وتعليمه) على غير الاسلام يطبعان في نفسه التقاليد التي تحيد به عن صراط الفطرة فالنصرانيان ينشئآنه ولدهما على التسليم بأن البشر خلقوا كلهم أشرارا فجارا بمقتضى الفطرة وأن نجاتهم وسعادتهم انما تكون بالاعتراف بشيء واحد يجب القول به والاعتقاد عليه وان لم يعقل وهو أن واجب الوجود الذي كان منه كل شيء وبيده ملكوت كل شيء قد اعتنى بأمرهم وأعياه خلاص أرواحهم بغير ما أنفذه منذ زمن قريب لا يبلغ ألفي سنة وهو أن حل في بطن امرأة منهم واتحد فيه بجنين فصار إلها وانسانا ثم خرج من حيث يخرج الطفل ونشأ فيهم يأكل مما يأكلون منه ويشرب مما يشربون ، ويألم مما يألمون له ويتعب مما يتعبون ، ثم مكن شرارهم من صلبه فصلبوه وهو يصيح ويستغيث فلا يغاث ثم قبر ولعن ودخل الجحيم وخرج منها لاجل الرحمة بهم وانجائهم ومع ذلك كله لم تكن طريقته هذه كافلة بعموم رحمته بهم وانما كانت خاصة بطائفة منهم وهم الذين استطاعوا أن يبدلوا فطرتهم ويسلموا بهذا القول تسليما

فهذا ياسيدي معنى كون دين الاسلام دين الفطرة وهذا هو الفرق بينه وبين

أديان التقليد وليس معناه أن المولود يولد عالماً بالشريعة فان هـذا ليس من الفطرة في شيء وفسر كثير من العلماء الفطرة بالاستعداد للخير والشر والحق والباطل ورواية مسلم هكذا: كل مولود تلده أمه على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه فان كانا مسلمين فمسلم . وهو الذي جرينا عليه في كتابنا (الحكمة الشرعية) ولا تنافي الا انه يمكن شرحنا موافقة الاسلام للفطرة والله أعلم

﴿ اختلاف المذاهب في الاحكام . وشهادة أوربي للاسلام ﴾

(س ٢) ح . ح في الجبل الاسود:

فقيركم هذا مشغول بالتجارة وقبل عيد الاضحى خرجت في أوربا لاجل التجارة فاجتمعت يوما بأحد الاوربيين فقال ان أكمل الاديان وأجلها دين الاسلام لكن الذي كان عليه محمد (ص) وأصحابه (رض) فقلت ونحن الحمد لله على دينهم وعلى سبيلهم . فقال نعم ولكن منكم الحنفية ومنكم الشافعية وغير ذلك فكل واحد من هؤلاء مخالف لصاحبه في الاعمال والاحكام الدينية فعند الحنفية اذا جرى دم أحدهم ينقض وضوءه وعند الشافعية لا، واذا مس الامرأة أحد الشافعية ينقض وضوءه وعند الحنفية لا . فهل كان النبي يفعل كما يفعل الحنفية أم كما يفعل الشافعية .. فبقيت لا أقدر على رد جوابه فان أحسنتم بالجواب . فلكم من الله الثواب

(ج) انه لا خلاف بين أئمة الاحكام في شيء من أصول الدين وأحكامه التي لا يتحقق الاسلام بدونها وانما اختلفوا في مسائل فرعية للاجتهاد والرأي فيها مجال اذ لم يصح فيها شيء قطعي في الكتاب العزيز والسنة المتواترة المجمع عليها ولذلك كان يصلي بعضهم بعضاً في اختلاف الرأي فيها ويعد كل عبادة المخالف له صحيحة ويصلي وراءه كما بيناه غير مرة . ولذلك قلنا في مقالات المصلح والمقلد ان الطريق الى الوحدة الاسلامية هي أن يجعل ما اجمعت عليه جميع المذاهب هو الاصل الذي يؤاخي به بعضنا بعضا وقلنا عن كتاب القسطاس المستقيم لحجة الاسلام الغزالي ان رأيه ترك المسائل الخلافية والعمل بما اتفقوا عليه . وانك لتجد المتعصبين لمسائل الخلاف لا يعملون بجميع مسائل الاجماع والاتفاق ، ولو عملوا بها لأدوا جميع الفرائض وتأدبوا بأكمل الآداب وتركوا جميع الرذائل والمحرمات الضارة بأفرادهم وأمتهم ولكنهم قد أهملوا وتهاونوا في كل شيء الا في تعصب

كل فريق على الآخر فيما تفرقوا فيه واذا دعوتهم الى الوفاق الذى دعا ليه الغزالي في آخر عمره قالوا بالتفرقة انه يريد هدم المذاهب وافساد الدين.

أما طريقة الوفاق بين من يحبون البحث في هذه الفروع الخلافية ولا يرضون بالبراءة الاصلية التي قال بها الغزالي فالتوفيق بينهم لا يكون الا بالرجوع الى السنة الآحادية والروايات القولية ، ولم يثبت حديث يحتج به على وجوب الوضوء من خروج الدم بل ورد خلافه على أن الوضوء منه احتياطا لا يضر بل الاولى ان يتوضأ الانسان لكل صلاة اذا لم يجد مشقة في ذلك . وأما مسألة لمس المرأة ففيها آية (أو لامستم النساء) والارجح أن الملامسة فيها كناية عن الوقاع وأما الروايات فهي متعارضة ولكن ما ورد في عدم النقض هو الذي يصح كحديث وضع عائشة يدها على بطن قدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يصلي رواه مسلم والترمذي وحديث مسها برجله هو عند ما اعترضت أمامه وهو يصلي رواه النسائي وصححه الحافظ ابن حجر والاحتياط لا يخفى لاسيما اذا كان اللمس بشهوة والله أعلم

﴿ نتف ريش الطائر ﴾

(س ٣) الشيخ محمد خطاب بالازهر : نرى قوما من صائدة السمان في شواطئ البحر الابيض المتوسط ينتفون ريشه قبل ذبحه لانه لا جلد له بل الريش مغروس في اللحم وفي هذا من تعذيب الحيوان ما لا يخفى ولو نتف ريشه بعد ذبحه خرج ما فيه من الدسم مع ريشه لانتفاء حرارته بالذبح وقد عمت هذه البلوى كل أهالي بلادنا فهل يجوز أكله وهل يسوغ استعمال هذه الطريقة في تنظيفه

(ج) لا خلاف في أن تعذيب الحيوان محرم ولكن تحريم نتف الطائر حيا لا يقتضي تحريم أكل المنتوف المذكى تذكية شرعية ، ولعلهم لو نتفوا السماني عقب الذبح قبل أن تبرد حرارته لتيسر لهم والا فلهم ان يصبوا على ريشه ماء سخنا من غير مبالغة تؤثر في بطنه وما يفعلونه من وضع الطيور في الماء المغلي زمنا يؤثر تأثيرا تمازج به رطوبة النجاسة اللحم غير ضروري للتسهيل انتف وهو جهل فينبغي تنبيههم له .

﴿ الصيد بالبندق والرصاص ﴾

(س ٤) ومنه : كثيرا ما يصطاد الصيادون الطيور بالرصاص ويسمون وقت الطلق ولكن

بعض الصيد ينزل حيا والبعض ميتا وما كان حيا بعضه به حياة مستقرة والبعض ليس به هذه الحياة والصياد يذبح الجميع وربما توانى بالتذكية عن بعض مافيه الحياة فلا يدركه الا وقد فارقته فهل يجوز أكل هذا وهل ذكاة فاقد الحياة واجبة والمصيبة الكبرى أن كثيرا من البيوت بل عامتهم يضعون هذه الطيور وكل انواع الدجاج في ماء مغلي لسهولة نتف الريش قبل استخراج ما في بطنها وربما أوقدوا نارا تحت هذا الماء وهي فيه فما حكم الله في هذا ممثلا في المنار للاسترشاد به شد الله به أواصر الدين

(ج) قد اختلف المشتغلون بالفقه في حل صيد بندق الرصاص بعد وجوده فمن حرمه بعضهم لانه مثقل فهو بمعنى الوقذ وأحله آخرون وجعلوه بمعنى الصيد بالسهام وألف ابن عابدين رسالة في حله وكذلك أحد مشايخ الاسلام في تونس . وهو الذي أراه أقوى وقد أباح النبي صلى الله عليه وسلم الصيد بالمراض وهو عصا في رأسها حديدة أو سهم لا نصل له ولا ريش اذا خزق أي خدش وان أدرك الصيد ميتا والحديث في الصحيحين والرصاص والبندق أشد خزقا وأسرع قتلا وانما حرم الوقذ لانه تعذيب (راجع مقالات التذكية والموقوذة في المجلد السادس) ولا حاجة لذبح الصيد الذي يرمى فيدرك ميتا أو يأتي به الكلب ونحوه ميتا بشرطه لان ذلك تذكية له بلا خلاف واذا جاز الصيد بالبندق والرصاص فهو كذلك

﴿ الجبر والقدر ﴾

(س ٥) ومنه : طالما يخطر في بالي ويتردد في فكري قول القائل

ما حيلة العبد والاقدار جارية ... عليه في كل حال ايها الرائي
ألقاه في اليم مكتوفا وقال له ... اياك اياك ان تبتل بالماء

ولا اجد منه مخلصا او اقف على مسلك فلجأت لساحتكم مسترشدا جعلكم الله وكنار كهنا للمسلمين

(ج) هذا القائل يخاطب الرائي وهو لا يرى فانه اكتفى بما في خياله مما تحت نظره اذ يرى العبد يختار وهو يسأل ما حيلته والاقدار هي التي جعلته يختار ويعمل كما هو مشاهد • ومنه ان بعض الناس ألقوا انفسهم في اليم ومنهم من لم يلقها ولو كانت الاقدار حكمت على كل انسان بان يلقي في اليم مكتوفا لكانوا كلهم سواء وما هم بسواء • وظاهر انه يريد بالالقاء في اليم الحال السيئة التي يقع الانسان فيها ولا يحبه

له مقرا منها وليس كل الناس كذلك ، والمسألة عقدتها كثرة الكلام والتخيلات فيها وهي بديهية لمن فهم معنى الانسان ، وسنن الاكوان ، ومن شدة الظهور الخفاء ، فان القدر والتقدير والمقدار الواردة في الكتاب والسنة معناها ظاهر وهو ان كل شيء يجري في العالم فهو يجري بسنن ونواميس ومقادير معينة ثابتة. وهذا هو الذي يزيل الحيرة ويهدي الانسان الى كسب المنافع واجتناب المضار ولو كانت الاشياء تجري بغير تقدير ولا حساب لكان الانسان الذي خلق عاقلاً متفكراً في حيرة دائمة لانه لايعرف طريقا لشيء من مصالحه . وهذا أسهل حل لمسألة القدر وأقربه وأخصره ومن زاد عليه البحث في كيفية الخلق والتكوين فهو من الجاهلين

باب الفقه في أحكام الدين

(رسالة البدعة * في صلاة الظهر بعد الجمعة)

البحث الثالث في عرض المسألة على كتاب الله وسنة رسوله

اعلم ان الله عز وجل قد امر بفهم كتابه الكريم والعمل بسنة رسوله الرؤف الرحيم ، قال تعالى « افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب أقفالها » وقال تعالى « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » واخبرنا عليه الصلاة والسلام انه ترك لنا شيئين لانضل اذا تمسكنا بهما ابدا وهما كتاب الله وسنة رسوله وقد أمرنا الله بان نعرض ما تنازع فيه الناس واختلفوا على الله ورسوله فقال « ياأيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تأويلا » وقال أيضاً « انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا » وقال « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » فهذه الآيات ونحوها تدل ابلغ دلالة على ان المرجع مع الاختلاف انما هو الى حكم الله ورسوله. وحكم الله كتابه وحكم رسوله بعد ان قبضه الله هو ما صح عنه من الاحاديث ولايقال ان ما استشهدت به وارد في أمر مخصوص فلا يصلح دليلا لانا نقول: ان العبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب وهو مطلق حكم في مطلق اختلاف ومشاجرة ، ولا ريب ان الامر هنا للوجوب اذ ان الله قد تعبدنا بكلامه

وكلام رسوله دون سواهما من الخلق لأنهما هما عليهما المعول وكلام غيرهما قد يخطئ وقد يصيب فإذا قال امام أهل المدينة مالك ابن انس رضي الله عنه « مامنا الا من رد ورد عليه الا صاحب هذا القبر » واشار الى قبر الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم ، وقد نقل عن الأئمة الاربعة وغيرهم رضوان عليهم جمل كثيرة كلها دالة على ان الانسان لابد ان يعرض الاحكام كلها على الكتاب والسنة فما وافقهما عمل به وما خالفهما نبذه وراء ظهره

ولما كانت مسئلتنا هذه مما اختلفت المذاهب فيها ليس بين الشافعية وغيرهم فقط بل بين الشافعية انقسم أمواتهم وأحياؤهم وجب علينا أن نعرضها على كتاب الله وسنة رسوله وقد بينا مسئلة التعدد بيانا شافيا وعرفنا انه لم يرد نص عنه من القرآن ولا الاحاديث وان مذهب الشافعي يقتضي التعدد عند الحاجة اليه وقد بقي علينا عرض مسئلة صلاة الظهر بعد الجمعة مع تعددها فنقول قال تعالى « ياايها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون » ثم قال « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » فانت ترى انه قد امرنا بان ننتشر في الارض بعد انقضاء الصلاة ونطلب من فضل الله ولم يأمرنا ان نصلي الظهر بعد الجمعة ولم يقل ان تعددت فصلوها ، فمن اين استنبطنا هذه الصلاة ومن اين اتينا بها حتى انه قد ورد ان النبي ما كان يصلي سنة الجمعة البعدية في المسجد بل كان يذهب ويصليها في البيت عملا بهذه الآية لانه تعالى أمر بالانتشار بعد صلاة الجمعة يدل على ذلك ماروي عن ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي بعد الجمعة ركعتين في بيته رواه الجماعة ، وعنه « انه اذا كان بمكة فصلى الجمعة تقدم فصلى ركعتين ثم تقدم فصلى اربعاً واذا كان بالمدينة صلى الجمعة ثم رجع الى بيته فصلى ركعتين ولم يصل في المسجد » رواه أبو داود . قال الآلوسي عند تفسير هذه الآية « واخرج أبو عبيد وابن المنذر والطبراني وابن مردويه عن عبد الله بن بر الحراني قال رأيت عبد الله ابن بر المازني صاحب النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلى الجمعة خرج فدار في السوق ساعة ثم رجع الى المسجد فصلى ما شاء الله تعالى ان يصلي فقيل له لاي شيء تصنع

هذا قال اني رأيت سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم هكذا صنع وتلا هذه الآية (فاذا قضيت الصلاة) الخ. فعلم من هذا ان الكتاب لا ينطق بلزوم الظهر بعد الجمعة مع التعدد بل يفهم منه خلاف ذلك لان الامر بالانتشار مطلق غير مقيد

واما السنة السنية ، والاحاديث النبوية ، فهي طافحة بما يدل على خلاف ذلك ويناقضه كل التناقض ، اذ معلوم من الدين بالضرورة انه لم يثبت عن النبي القول بصلاتها مع تعدد الجمعة وانت تعلم ان الدين قد كمل في عهده صلى الله عليه وسلم بحكم قوله تعالى «اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا» فلا حاجة لنا اذن بعبادة لم نؤمر بها

هذا ولو اردنا ان نبحث لوجدنا التعدد لحاجة او غير حاجة ليس شرطاً في صحة الجمعة تفسد بفقده لما علمت في البحث الاول من انه لم يرد نص عن المعصوم ولا عن الصحابة ناطق او مقتض لعدم جواز التعدد ولو لغير ضرورة . واما كونها لم تفعل الا في معنى واحد فليس بدليل لما اوضحناه لك سابقاً ايضاحاً شافياً ولما هو مقرر من انه لا ينسب لساكت قول على ان إيجابكم عدم التعدد لانها لم تعدد في زمن الرسول يلزمكم أن توجبوا الخروج لصلاة العيد خارج البلد لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخرج لصلاتها مع الصحابة الى الصحراء ولا قائل منكم بذلك والمسألتان سواء (*)

فالحق الذي لا محيد عنه ان المصلى الواحد ليس شرطاً في صحة الجمعة وانما هو حكمة من حكمها ، ولو تعددت الجمعة فهي صحيحة ولا ظهر بعدها سواء أكان تعددها لضرورة أم لا لانه لم يرد ما يحظر ذلك بل الوارد خلافه فقد روي عن ابن عباس انه يجيز للرجل أن يصلي الجمعة منفرداً في بستانه قال ذلك الشعراني في كشف الغمه

وإني ذاكر لك الاحاديث الدالة على عدم مشروعية الظهر بعد الجمعة بحال من الاحوال حتى لو لم تصل الجمعة (١)

(*) اللهم إلا ما ورد من صلاته اياها في المسجد لمطر وقع كما في حديث أبي هريرة عند أبي داود وابن ماجه والحاكم وذلك لعذر كما رأيت اهـ منه

(١) اختلف العلماء في صلاة الجمعة هل فرضت بطريق الاصالة ام بطريق البدلية عن الظهر فمنهم من قال بالاول ومنهم من قال بالثاني وهذه الاحاديث التي سنسردها لك تؤكد مذهب القائلين بانها فرضت بطريق الاصالة لا البدل الاحديث العمر فليس فيه دليل لهم

عن جابر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب قائماً يوم الجمعة فجاءت عير من الشام فانفتل الناس اليها حتى لم يبق الا اثنا عشر رجلا فنزلت هذه الآية التي في الجمعة «واذا رأوا تجارة او لهواً انفضوا اليها وتركوك قائماً» الآية رواه احمد ومسلم والترمذي وفي رواية اقبلت عير ونحن نصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم فانفض الناس الا اثني عشر رجلا فنزلت هذه الآية «واذا رأوا الخ» رواه احمد والبخاري فنسألكم معشر الفقهاء الذين توجبون لصحة الجمعة اربعين رجلا احرارا مقيمين لا يظعنون صيفاً ولا شتاء يستمعون اركان الخطبة كلها ويقيمون الجمعة كيف ان النبي عليه الصلاة والسلام لم يعد الجمعة او لم يصل الظهر ؟ لان جمعته غير صحيحة اذ لم يبق وهو يخطب الا اثنا عشر رجلا ولا شك انه لا يسعكم الا التسليم بأن الجمعة لا يشترط فيها العدد المخصوص وهو غير مذهبكم او ان تقولوا يحتمل ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر او اعاد الجمعة والحال انه لم يثبت ذلك قطعا والدين لا يثبت بالاحتمال او تقولوا : حقا ان صلاة الظهر بعد الجمعة بدعة لا تجوز لأن النبي لم يفعلها ولو لزمت لفعلها يوم العير (*)

(*) وقد علمت من هذا الحديث أن الاربعين ليسوا بشرط في صحة الجمعة فلو صلاها رجلان في مكان لم يكن فيه غيرهما لفعلا ما يجب عليهما فان خطب أحدهما فقد عملا بالسنة وإن تركا الخطبة فهي سنة فقط لانه لم يرد ما يدل على وجوبها . وقد قال عليه الصلاة والسلام «الجمعة واجبة على كل قرية وإن لم يكن فيها إلا أربعة» وما روي عن كعب بن مالك رضي الله عنه انه قال «أول جمعة جمع بنا أسعد ابن زرارة في نقيع الخضمات قيل لكعب كم كنتم يومئذ قال اربعون رجلا جمع بنا قبيل مقدم النبي صلى الله عليه وسلم من مكة» فهو مما لا يستدل به على عدم صحتها بأقل من العدد المذكور لان الجمهور على أن وقائع الاعيان لا تصلح دليلاً للعموم ولذا قال الشعراني الشافعي في كشف الغمة قال شيخنا رضي الله عنه «والظاهر أن العدد المذكور ليس بشرط ولو كان أسعد وجد دون الاربعين لجمع بهم وأقام شعار الجمعة فهي واقعة حال ولذلك اختلفت مذاهب العلماء في العدد فذهب ابن عباس رضي الله عنهما إلى أن الجمعة تصح من الواحد وذهب ابراهيم النخعي وداود وأهل الظاهر إلى أنها

ومن الادلة على عدم طلب الظهر بعد الجمعة بل على عدم مشروعيتها يوم الجمعة مطلقا صليت الجمعة أم لم تصل ما ورد من اجتماع عيد وجمعة في عهد الرسول الأكرم فصلى العيد ورخص في الجمعة ولم يرد أنه أمرهم بالظهر لأنه لم يثبت ذلك وهاك النصوص • عن زيد بن أرقم رضي الله عنه وسأله معاوية هل شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عيدين اجتمعا قال: نعم صلى العيد أول النهار ثم رخص في الجمعة فقال من شاء أن يجمع فليجمع «رواه احمد وابو داود وابن ماجه وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال «اجتمع في يومكم هذا عيدان فمن شاء اجزأه من الجمعة وانا مجمعون» رواه أبو داود وابن ماجه وعن وهب بن كيسان قال « اجتمع عيدان على عهد ابن الزبير فأخر الخروج حتى تعالى النهار ثم خرج فخطب ثم نزل فصلى ولم يصل للناس يوم الجمعة فذكرت ذلك لابن عباس فقال أصاب السنة «رواه النسائي وابو داود بنحوه لكن من رواية عطاء ولابي داود عن عطاء قال «اجتمع يوم الجمعة ويوم الفطر على عهد ابن الزبير في يوم واحد فجمعهما جميعاً فصلاهما ركعتين بكرة لم يزد عليهما حتى صلى العصر

فهذه الاحاديث ناطقة بلسان فصيح على منبر الحق بأنه لاظهر بعد الجمعة بل ان الظهر لم تشرع ذلك اليوم اقيمت الجمعة ام لم تقم وفيما روي عن ابن عباس وقد سئل عن رجل صلى الجمعة منفرداً في بستانه فقال «لا بأس اذا قام شعار الجمعة بغيره» دليل على مانقول لان صلاته على ما اشترطه الفقهاء فاسدة وان كنا لانقول بصحة الجمعة في غير جماعة لما روى ابو داود من حديث طارق بن شهاب « الجمعة

تصح من اثنين وذهب ابو حنيفة وسفيان الثوري رضي الله عنهما الى انها تنعقد بأربعة أحدهم الامام الى آخر ما قال •

وأما الرجولية والاقامة والحرية فهي شروط لوجوبها دون صحتها إذ لاتجب الجمعة على المرأة والمسافر والرقيق لحديث أبي داود الآتي ولكن ان فعلوها تصح منهم فلو صلى رقيقان أو مسافران الجمعة مثلا احدهما امام والآخر مأموم صحت منهما • وقد ورد أن النبي صلى الجمعة في بعض أسفاره مع الصحابة فلو كان يشترط في صحتها الاقامة لما فعلها الرسول ولا تحضرني الآن ألفاظ الحديث

حق واجب على كل مسلم في جماعة الا اربعة عبد مملوك او امرأة او صبي او مريض »
وفي حديث ابي هريرة وحديث جابر (ذكر المسافر)

وقد قال في نيل الاوطار بعد ما اورد حديث ابي داود السابق وحديث النسائي
وظاهره انه لم يصل الظهر وفيه ان الجمعة اذا سقطت بوجه من الوجوه المسوغة لم
يجب على من سقطت عنه ان يصلي الظهر واليه ذهب عطاء حكى ذلك عنه في البحر
والظاهر انه يقول بذلك القائلون بأن الجمعة اصل وانت خبير بأن الذي افترضه الله
تعالى على عباده في يوم الجمعة هو صلاة الجمعة فايجاب صلاة الظهر على من تركها
لعذر او لغير عذر محتاج الى دليل ولا دليل يصلح للتمسك به على ذلك فيما اعلم » اهـ
وانت تعلم ان مؤلفه الامام الشوكاني من مشاهير حفاظ الحديث وفقهائه المعول عليهم
وربما يثقل هذا القول على فقهاء العصر ، في كل قرية ومصر ، اللهم الا من كان
محباً للحقيقة منهم

قال في كشف الغمة « وكان صلى الله عليه وسلم يقول : من ترك صلاة الجمعة
لغير عذر فليتصدق بدينار فان لم يجد فبنصف دينار فان لم يجد فبدرهم او نصف
درهم او صاع حنطة أو نصف صاع او مد » فأنت ترى انه لم يأمره بصلاة الظهر
بل امره بالصدقة ولا يقال امره بالظهر والصدقة لانه لم يثبت ذلك والخير في الاتباع
والشر في الابتداع

(الخلاصة) اعلم ان صفوة الكلام ان تعدد الجمعة للحاجة جائز عند الامام
الشافعي وان الجمع في بلدتنا ونحوها متعددة للحاجة وعليه فصلاة الظهر بعدها
غير واجبة ولا مسنونة بل هي بدعة غير جائزة وعلمت ان القول بصلاتها بعد الجمعة
مبني على التعدد لغير حاجة في بعض الصور وقد وفينا الكلام حقه في الابحاث السابقة
فراجعه بدقة وانصاف والله اعلم

هذا ما اردت انشاءه وايراده في هذه الرسالة فعسى ان تكون فصل الخطاب ، فقد
جمعت من الكلام ما هو اضوأ من الشمس ، وأنور من البدر ، ومن الادلة الساطعة ،
والبراهين الناصعة ، ما أزال عن وجه الحقيقة الغشاء ، فبدت وضاحة الجبين ، غراء
الطلعة ، وفيها كفاية لمن ألقى السمع وهو شهيد فاجعلها اللهم خالصة لوجهك الكريم

آثار علمية أدبية

«(انتقاد شواهد الطبعة الاولى من تفسير ابن جرير الطبري)»

تابع لما قبله

(٧٣) تمد حتى ظالماً ولوى يدى لوى يده الله الذى هو غالبه

ورد شطره الثانى فى الثالث ص٢١١ وكذلك فى الخامس عشر ص١٤٩ وأنشد الشطر الاول هكذا * يظلمنى مالى كذا ولوى يدى * والصواب ما ذكرنا والبيت فى الصفحة العاشرة من الجزء الرابع حماسة

(٧٤) وان مهاجرين تكنفاه لعمر الله قد خطئا وخابا

ورد فى الاول ص ٢٣١ وهنا أنشد صحيحاً . وفى الرابع ص١٤٣ وكتب هكذا

وان مهاجرين تكنفاغدا نيذ القد خطيا وحابا

وفي الثالث عشر ص ٣٢ وكتب هكذا

وان مهاجرين تكيفاه غدا بيه القد خطئا وخابا

(٧٥) رمى فأخطأ والاقدار غالبة فانصن والويل هجيراه والحرب

فى الخامس ص ٤٠ وقد كتب فى أول الشطر الثانى فالضفن والصواب فانصن

(٧٦) فلم أر معشراً أسروا هديا ولم أر جار بيت يستباء

فى الثانى ص ١٢٤ ووردت الكلمة الاخيرة هكذا يستيبا ?

(٧٧) أسيئى بنا أو احسنى لاملولة لدينا ولا مقلية ان تقلت

ورد فى الاول ص٢٩٥ وكتب الكلمة الاولى هكذا أسيئى وفي العاشر ص ٩٣ وكتب هكذا

أسيئى بنا أو أحسنى لاملولة ولاملة ان تملى

(٧٨) وليلة ذات ندى سريت ولم يلتنى عن سراها ليت

ورد فى موضعين فى الثالث ص ١٥ وكتب هكذا

وليلة ذات دجى سريت ولم يردنى عن سراها ليت

وفى السادس والعشرين ص ٨٣ وكتب صحيحاً .

(٧٩) كأن لها في الارض نسياً تقصه على امها وان تحدثك تبلت

في السادس عشر ص ٤٤ وكتب الشطر الثاني هكذا

اذا ما غدت وان تحدث تبلت

والبيت للشنفرى والبلت الانقطاع وتبلت الكلام لا يتريها من البهر

(٨٠) سلام الاله وريحانه ورحمته وسماء درر

في السابع والعشرين ص ٦٥ وكتب هكذا

سلام الله وريحانه وجنته وسماؤه درر وبعد البيت

غمام ينزله رزق العباد فأحيا البلاد وطاب الشجر

(٨١) ياحبذا القمراء والليل الساج وطرق مثل ملاء النساج

في الثلاثين ص ١٣٧ وكتب هكذا

ياحبذا القمر والليل ساج وطرق مثل ملا النساج

(٨٢) وليست بسنهاء ولا رجبية ولكن عرايا في السنين الجوائح

في الثالث ص ٣٤ وكتب بدل بسنهاء في الشطر الاول سنها • وبدل عرايا في الشطر الثاني عرانا

(٨٣) فهممت ان أغشى اليها محجرا فلمثلها يغشى اليه المحجر

في التاسع عشر ص ٢ وكتب بدل أغشى ويغشى القى ويلقى وقبل هذا البيت

ذهبت بعقلك ريطة مطوية وهى التى يهدى بها لو تنشر

(٨٤) وعيان مدين لو رأوك تنزلوا والعصم من شعف العقول الفادر

ورد في موضعين (١) في السابع ص ٤ وكتب الشطر الثاني هكذا

والعصم من سعف العقول القادر

(٢) في العشرين ص ٣٢ وكتب هكذا الاانه أحاله على عدد ٧ يقال وعل عاقل صعد الجبل والفادر بالفاء المسن من الوعول

(٨٥) هنالك لاأرجو حياة تسرنى سجيس الليالى مبسلا بالجرائر

في السابع ص ١٣٩ وكتب بدل سجيس سمير وهو غلط

(٨٦) وان كلابا هذه عشر أبطن وانت برىء من قبائلها العشر

في التاسع ص ٩٦ وكتب بدل كلابا كلانا وبدل يرى ترى فاختل المعنى والوزن

(٨٧) وظلت باعراف تعالت كأنها رماح نحاها وجهة الريح راكز

في الثامن ص ١٢٨ وكتب الشطر الثاني هكذا * رماح وجهه راكز * ٧

وانشد الاساس البيت هكذا

مسيّبة قبّ البطون كأنها رماح نحاها وجهة الريح راكز

وفيه يقال خيل مسيبة يقال لها قاتلها الله واخزاها اذا استجيدت وفي الجمهرة كتب البيت هكذا

واضحت تعالى بالستار كأنها رماح نحاها وجهة الريح راكز

وتعالى تسابق تدخل رأسها بين اخواتها

والبيت الذي فيه الاعراف بيت آخر في أول قصيدة الشماخ وهو

وظلت بأعراف كأن عيونها الى الشمس هل تدنو ركيّ نواكز

(٨٨) لقد صرتكم لو ان ودتكم يوماً يجئ بها مسحى واباسي

في الخامس ص ٧٢ وكتب هكذا

وقد نظرتكم لو ان درتكم يوما يجي به مسحي واباسي

(٨٩) حنت إلى النخلة القصوى فقلت لها حجر حرام الا تلك الدهاريس

ورد الشطر الثاني في الثامن ص ٣٩ وكتب بدل الا تلك :الا ثم: وورد البيت كله في التاسع عشر ص ٢ وكتب بدل حنت حنت وبدل الا تلك الا ملك

(٩٠) مالك ترغين ولا ترغو الخلف وتضجرين والمطي معترف

في الثاني ص ٣٥٥ وكتب الشطر الاول وهو الذي انشد هكذا

مالك ترغين ولا ترغو الخلف

(٩١) ناج طواه الاين مما وجفا * طي الليالي زلفا فزلفا * سماوة الهلال حتى احقوقفا

الأولان في الثاني عشر ص ٧٣ والاخيران في التاسع عشر ص ٤٦ وكتب بدل سماوة سماؤه

(٩٢) ان سميراً أرى عشيرته قد حدبوا دونه وقد أنفوا

ان يكن الظن صادقاً ببني النجار لا يطعموا الذي علفوا

فى الرابع ص ٢٣ وكتبا هكذا

ان سميرا أرى عشيرته قد حدثوا دونه وقد أنفوا

ان يكن الظن صادقى ببنى النجار لم يطعموا الذى علفوا

والبيتان من كلمة مالك بن العجلان قافية الروى

(٩٣) تخوف السير منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن

وردفى الرابع عشر ص ٧٠ وكتب بدل قردا أفودا وبدل النبعة النبعة وكلاهما غلط

(٩٤) تذشعته كل مغلاة الوهق مضبورة قرواء هرجاب فنق

ورد الاول فى الثلاثين ص ٩٧ وكتب بدل مغلاة مغلات. المغلاة الناقة التى تبعد الخطو والوهق بالتحريك المباراة والمسايرة . مضبورة مجتمعة الخلق . القرواء الطويلة القرا بالفتح وهو الظهر وقالوا فى تثنيته قروان وقريان. الهرجاب كمفتاح الطويلة أو الضربة وقيل هو كل عظيم البطن. الفنق بضمتين الناقة الفتية الضخمة . والهاء عائدة على ما وصف قبل فى قوله * وقاتم الاعماق خاوى المخترق *

(٩٥) حسبت بغام راحلتى عناقا وما هى ويب غيرك بالعناق

فلو أنى رميتك من قريب لعاقك عن دعاء الذئب عاق

ورد الاول فى الاول ص ١٩٤ وكتب بدل بغام ثغام وبدل ويب ويل وفى الثانى ص ٥٣ وفيه كتب ويل بدل ويب . وفى الرابع ص ٥٩ وكتب فيه بدل بغام راحلتى: نغام راحل : . وفى الخامس عشر ص ١٣ وكتب فيه بدل ويب غيرك : ونب غيرك . وورد الثانى فى الخامس عشر ص ٥٨ وكتب الشطر الاول هكذا

ولو انى رميتك من بعيد

(٩٦) لئن حللت بجوّ فى بنى أسد فى دين عمرو وحالت بيننا فدك

وردفى العاشر ص ٦٨ وكتب بدل بجو بجد

(٩٧) أقول له والرمح يأطر متنه تأمل خفافا اننى انا ذلكا

وردفى الاول فى موضعين اولهما ص ٢٩٩ وكتب بدل: يأطر : ناظر : وبدل تأمل : تبين . الثانى ص ٤١٦ وكتب صحيحا الا انه ترك همز يأطر فصارت هكذا يا طر

(٩٨) طمحت بنظرة فرأيت منها تحيت الخدر واضعة القرام

وردفي الاولص١٢٥ وكتب الشطر الثاني هكذا «بحيث الحذر ناسمة القوام»
وروى الطبري «نسمت لي لفارة» بدل طمحت بنظرة

(٩٩) وحليل غانية تركت مجدلا ... تمكو فريصته كشدق الاعلم
من معلقة عنترة ورد في التاسع ص ١٣٧ وكتب بدل وحليل غانية وخليل غانية

(١٠٠) عرفت المتأى وعرفت منها ... مطايا القدور كالحدا الجثوم
وردفي الثامن ص ١٥٣ وكتب هكذا
عرفت الصبا وعرفت منها ... مطايا القدر كالحدا الجثوم

(١٠١) عهدي به شد النهار كأنما ... خضب البنان ورأسه بالعظلم
من معلقة عنترة وردفي الثامن ص٥٧ وكتب الشطر الثاني هكذا «خضب اللبان رأسه بالعظلم».

(١٠٢) رفوني وقالوا ياخويلد لاترع ... فقلت وأنكرت الوجوه همهم
لابي خراش ورد في السابع ص ١٥١ وكتب الشطر الاول هكذا «رفوني وقالوا ياخويلد لم ترع».
ومعنى رفوني بالفاء سكنوني وقيل أراد رفؤني فالق الهمزة والهمزة لاتلقى الا في الشعر وقد ألقاها في هذا البيت ومعناه اني فزعت فطار قلبي فضموا بعضي الى بعض.

(١٠٣) ماوي يا ربتما غارة ... شعواء كاللذعة بالميسم
وردفي الثامن عشر ص ٤١ وكتب هكذا
ياربتما غارة شعواء ... كاللذعة بالميسم

(١٠٤) حوى قرحاء أشراطية وكفت ... فيها الذهاب وحفتها البراعيم
وردفي الثلاثين ص ٨٤ وكتب هكذا
حوى قرحا سراطيه وكفت ... فيها الذهاب وحفتها البراعيم

(١٠٥) تقول اذ درأت لها وضيني ... أهذا دينه ابدا وديني
ورد في الاولص ٣٨٥ وكتب صحيحا وورد في الرابع ص ١٠٥ وكتب هكذا
أقول وقد درأت لها وضيني ... وهذا دينه أبداً وديني

(١٠٦) مهلا بني عمنا مهلا موالينا ... لاتنبشوا بيننا ماكان مدفونا

وردت في الخامس ص ٣١ وكتب الشطر الثاني هكذا: «لا تنظرون لنا ما كان مدفوناه»

(١٠٧) أأشرخ الشباب والشعر الأسود ما لم يعاص كان جنونا

وردت في العاشر ص ٧٦ وكتب بدل الشباب الشاب وبدل يعاص يقاس وهو غلط لا معنى له

(١٠٨) اذا ماقمت أرحلها بليل تأوّه آهة الرجل الحزين

وردت في الحادي عشر ص ٢٣ وكتب بدل اذا ماقمت: اذا قمت: فاختل المعنى والوزن

(١٠٩) عجبت من دهماء اذ تشكونا * ومن ابي دهماء اذ يوصينا خيرا بها كأننا جافونا

وردت في الخامس عشر ص ٤٤ وكتبت صحيحة الا أن تشكونا كتبت بياء مثناة من تحت وهو غلط

ووردت في العشرين ص ٧٧ وكتب الأخيران هكذا

ومن أبي دهماء اذ توصينا خيرا بها كأنهم خافونا

ولو أنه أحال على ماتقدم لكان خيرا

باب التقريظ والانتقاد

(خواطر الخواطر)

مقالات أدبية حكمية وعظية لمحمود أفندي سلامه صاحب جريدة الواعظ كان يكتبها في جريدة الواعظ أيام كان محررا لها وكانت خير ما ينشر في تلك الجريدة وأعذبه في ذوق القراء على ما فيها من السجع ومرارة الوعظ لأنها كانت محاورات بين تلميذ واستاذه الشهير ثم عاد الكاتب الى نشرها في جريدته الواعظ لأنها أجدر بمثله . وقد اقترح عليه ما وافق رغبته من جمع ذلك في كتاب يجعل أجزاء تجمع معظم ما كتب في جريدة الواعظ وطبعه بمطبعة الواعظ فجاء جزءا لطيفا ومن مباحثه مقالات في الخمر والميسر والقتل والانتحار وطلب الدنيا وآداب الصيام وآثار الغرب في الشرق وغير ذلك فنحث القراء على مطالعته وثمنه خمسة قروش صحيحة

طولة العمر . في حديث أبو يوسف ونمر

كتاب ألفه شكري أفندي الخوري السوري المقيم في البرازيل باللغة العامية السورية وأودعه من الفوائد والنصائح الصحية والادبية ما لا يستغني عنه أحد من العامة على أنه لا يقصر عن إفادة الخاصة . جعله محاورة بين رجلين من عامة اللبنانيين وقد رأينا

فيه من قدرته على تصوير أفكار العوام ، ما يناسب قدرته على ضبط عبارتهم في الكتابة؛ وكلا الأمرين عسير على الناشئين في دور العلم والمشتغلين بالكتابة والتأليف باللغة العربية الصحيحة وانا لنعرف من أنفسنا العجز عن المضي في ذلك بل إننا نجهل كثيرا من كلام عامتنا وأتذكر الآن أني كنت أحتاج الى تصوير بعض المسائل الفقهية في الدروس باللغة العامية فلا أدري ماذا أقول وأني لاجهل كثيرا من مفرداتهم ولكنني رأيت فيما قرأته من الكتاب لحنا وغلطا أعني خروجا عن العامية الملتزمة فيه كاستعمال الذال والصاد بالفاء وغير ذلك ، ولا يخلو من غلط في الرسم كاستعمال الهاء في موضع الواو في مثل قوله « الواحد يبيع استقلاله الشخصي وحريته بوظيفة حقيرة ويكون موش حاوز الوظيفة ويخون بلاده وأهله وعشيرته لاجل كم قرش يقبضها آخر كل شهر » فالمعروف في الكلام العامي أن يقال « استقلالو » عند الناطقين بالقاف وقليل ما هم ولكن الكتاب جرى على طريقتهم ومثلها « بلادو ووظيفتو » وفي هذا المثال أيضا قوله « يقبضها » من غير إلحاق اليا ، بالفعل ولعلها تقال قليلا

ومن نصائح الكتاب النهي عن الخوض في الامور الدينية والسياسية الآن (والقيد بالآن للاخيرة) وجعل ذلك من أسباب الراحة التي تطيل العمر وبهذه المناسبة تكلم في حال النصارى في سوريا وآمالهم ومستقبلهم بالاختصار وقد انتقدنا عليه في هذا السياق ما قاله عن المسلمين من مقتهم للولاة والحكام العادلين لانهم يحولون بينهم وبين ايذاء النصارى فهذا شيء لا يصح الان يكون بالنسبة الى بعض أهل بيروت وهم من النصارى أكفاؤهم في حب الاعتداء وأما سائر مسلمي بيروت وسوريا فان حالهم مع الحكام الظالمين شر من حال النصارى لان الضرائب والمظالم عليهم أكثر .

الجرائد والجامعة الاسلامية وانتقدنا عليه قوله إن جرائد الاسلام في كل الدنيا تدعو الى جامعة دينية اسلامية وكلها تستقي من ينبوع واحد بخلاف جرائدهم التي بحت لكثرة النداء بالجامعة العثمانية لاسيما جرائد المهجر المشتعلة بنار الغيرة على الوطن :

أقول ليعلم هذا الوطني الغيور أن أكثر جرائد المسلمين لم تفكر في مسألة الجامعة الاسلامية الدينية وان منها ما يدعو الى جامعة وطنية غربية يبغض فيها المسلم الى المسلم الموافق له في لغته وجنسيته السياسية اذا كان من بلد آخر ولو مجاورا له ، وان أكثر

أصحابها لا يعرفون حقيقة الاسلام وأنه ليس فيها جرائد دينية ويا ليت للعالم الاسلامي كله من الجرائد الدينية بعدد ما للنصارى في بيروت أو القاهرة . وهذه مجلة المنار الاسلامية وحدها في مسلمي مصر من يحرض عليها جميع جرائد المسلمين وغيرهم في مصر وان كان الاكثر لم يسمع ولم يجب . بل إن بعض الجرائد اليومية للمسلمين تنشر أحيانا ما هو طعن صريح في الشريعة والدين . وجملة القول أنها لم تتفق على دعوة واحدة . ثم ان الجامعة الاسلامية التي تكلم بها بعض فضلاء المسلمين لا تنافي الجامعة العثمانية في بلاد الدولة العلية بل تجتمع معها

سوريا والحجاز والسياسة : وانتقدنا عليه أيضا ما قاله في سكة الحديد الحجازية « التي بدها تقلب وجه السياسة قلبه ملعوته » اذ تخيل أن غرض السلطان أو الدولة تخلية النصارى عن سوريا وجعلها مع الحجاز بلادا اسلامية محضة ومحط رحال المسلمين من كل الدنيا . ليعلم أن هذا الخاطر لم يطف في دماغ تركي قط لانه فرع الرضى بالتنازل عن الجنسية التركية وعدم تمييز التركي على العربي وانى ذلك وجريدة (ترك) المعتدلة التي تصدر في مصر تعبر عن الترك « بالملة المالكة » وانما الغرض الاول من هذه السكة أن يسهل على الدولة سوق العساكر الى الحجاز عند الحاجة لا سيما اذا حدثت فيه انقلابات سياسية بدسائس الانكليز اذ لا يمكنها حينئذ أن ترسل اليه الجيش في البحر .

وقد عنينا بنقد الكتاب لفائدته ولانه نشر في جريدة الهدى الغراء وجمع منها وطبع وانتشر ولا نحب أن نسكت على ما يحدث نفوراً ويقوي فتورا بين أهل الوطن فعسى أن تنبه جريدة الهدى على ذلك كما تفعل جريدة المناظر في مثله

كمال بلاغة العربية

« في مدح الفرد الكامل والاستاذ المطلق الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية » أهديت إلينا رسالة بهذا الاسم أنشأها الشيخ كمال الدين العراقي وطبعها على نفقته وذكر في آخرها قصيدة له سماها « لسان الحق في بيان الحقيقة والاخلاء والمحبوب » والرسالة ساجعة بالنثر ، مزينة بالشعر ، مرصعة بالتوجيه والتصريح ، مصنوعة من طينة أنواع البديع على طريق أهل القرون المتوسطة وهي مناظرة بين منشئها وأحد الشيوخ في الأزهر وتباع عند جميع الكتبية .

(الرياض) صحيفة تهذيبية علمية صناعية اجتماعية تصدر في أول كل شهر افرنجي في

حجم المنار لصاحبها حسن أفندي صديق في بني سويف وقيمة الاشتراك فيها خمسون قرشاً وقد صدر العدد الثاني منها في أول فبراير الماضي ولم نر عدد شهر مارس وفيما صدر فوائد كثيرة أنفعها الكلام في مضار الخمر فعسى ان يكون احتجابها عنا لا لاحتجابها في نفسها

(التربية) مجلة مدرسية شهرية لمديرها محمود أفندي عمر الباجوري يتألف العدد منها من ٨ صفحات كبيرة وقيمة الاشتراك فيها عشرة قروش في القطر المصري واربعة فرنكات في غيره وقد أرسل الينا العدد الثاني منها (دون الأول) وفيه نبذ علمية وأدبية وفكاهات وجيزة بلغة الولدان العرفية وفوائد منزلية منها مانصه :

البيض يلزم غمسه في ماء مغسلي عشر ثوان لتنظيف الزجاج تضاف قطعة من زهرة ه لحفظ الغسيل الى الماء الذي يغسل به لكي يكون ضوء اللمبة لامعا ينقع الشريط في الخل قبل استعماله » ولعلنا نجد عبارتها في الاعداد الآتية خيرا من هذه العبارة وأصح فقد جاء في صدر العدد أن الغرض مما ينشر فيها من المقالات التمرين على الانشاء واختيار الأساليب المفيدة » والتلميذ في حاجة الى ذلك في كل ما يكتبه

(جريدة العجائب) أرسلت ادارة جريدة العجائب رقاعاً الى الجرائد ترغب اليهم فيها بالتنويه بدخولها في السنة الرابعة فنهنئها بذلك ونرجو لها العمر الطويل بما رأيناه من ثباتها على خطة واحدة في الاستحسان والمدح والاستهجان والنقد على حين نرى كثيرا من الجرائد تذم اليوم من مدحت أمس وتستحسن غدا ما استهجنت اليوم

﴿ ديوان أبي تمام الطائي ﴾

لا يجهل أحد من الادباء مكان شعر ابي تمام من البلاغة وقد طبع ديوانه غير مرة فنفدت نسخه حتى لاتكاد تجد منها نسخة عند كتبي في مصر وقد علمنا ان محمد افندي جمال من أدباء بيروت شرع بطبعه على ورق جيد بإذن من نظارة المعارف في الاستانة وكلف الشيخ محي الدين الخياط أحد محرري جريدتي بيروت والاقبال بضبطه وتفسير غريبه وسيتم طبعه في أواخر صفر الآتي ويصدر في ٥٠٠ صفحة وهو يقبل الاشتراك فيه إلى ان يتم طبعه بثمانية قروش مصريه صحيحة وسيكون ثمنه بعد ذلك اثني عشر قرشاً فمن احب الاشتراك من أهل هذه الديار فليرسل القيمة الى مكتبة المنار بمصر أو للملتزم الطبع في بيروت وله بعد حضور الكتاب ان يستلمه من هذه المكتبة

باب الأخبار والآراء

سنتنا الجديدة

نهنئ قراء المنار بالعام الهجري الجديد ونسأل الله تعالى ان يجعله عاما مباركا عليهم وعلى جميع الامم . وقد صدرنا هذا الجزء بفاتحة أطول من فواتح السنين السابقة ولكنها على طولها مختصرة تشير الى قواعد وحوادث في تاريخ الاصلاح يوشك أن تشرح يوما ما في سفر كبير

(شرط الاشتراك في المنار)

المنار يتألف من ٢٤ جزءا تبلغ صفحاتها ٩٦٠ ماعدا الفهرس فالذي يشترك فيه يطلب شيئاً معلوما بثمن معين وهو ما يكتب على غلافه . وهذا البيع من قبيل الاستصناع وشرطه أن من يقبل الجزء الاول من السنة يكون ملزما بدفع ثمن أجزاء السنة وليس له أن يرد شيئا منها الآن في هذا الضرر علينا وفقد جزء من المنار كفقد مجموعة السنة كلها . ومن لا يصل اليه بعض الاجزاء فله أن يطلبه الى ما بعد موعد صدوره بشهر فان طلبه بعد ذلك لم نكن مكلفين بارساله اليه ، ومن فقد بعض الاجزاء فادارة المجلة غير مكلفة بإعطائه بدلا عنها ولكنها تعده بأن تبيع الجزء ان وجد فيها زائدا عن المجموعات الكاملة بخمسة وعشرين مليما لأهل مصر وبخمسة وسبعين سنتيما لسائر الناس . فمن قبل بهذا فقد وجب عليه دفع قيمة أجزاء السنة كلها بقبول الجزء الاول وحسبنا رضاهم حجة وذمتهم وكيلا . وإنما ذكرنا هذا مع العلم بأنه قد يتقدمنا تقاضي كل عام من طلب الكثيرين للاجزاء المفقودة ومنها أعداد فاتنا الذين يؤلمنا العجز عن اجابة طلبهم

(فهرس المنار وفهارسه)

جمع فهرس المنار العادي المرتب على حروف المعجم وكان في العزم توزيعه مع هذا الجزء ولكن تراءى لنا أن نضم اليه فهرسين آخرين او أكثر وقد بدأنا بجمع فهرس الآيات القرآنية والاحاديث النبوية وربما نضيف اليهما فهرسا لاسماء الاشخاص ، فلينتظر من يريد تجليد أجزاء السنة السابقة صدوره مع الجزئين الثاني والثالث فانهما سيصدران معا في أوائل صفر ان شاء الله تعالى .

﴿ تقريظ المنار ﴾

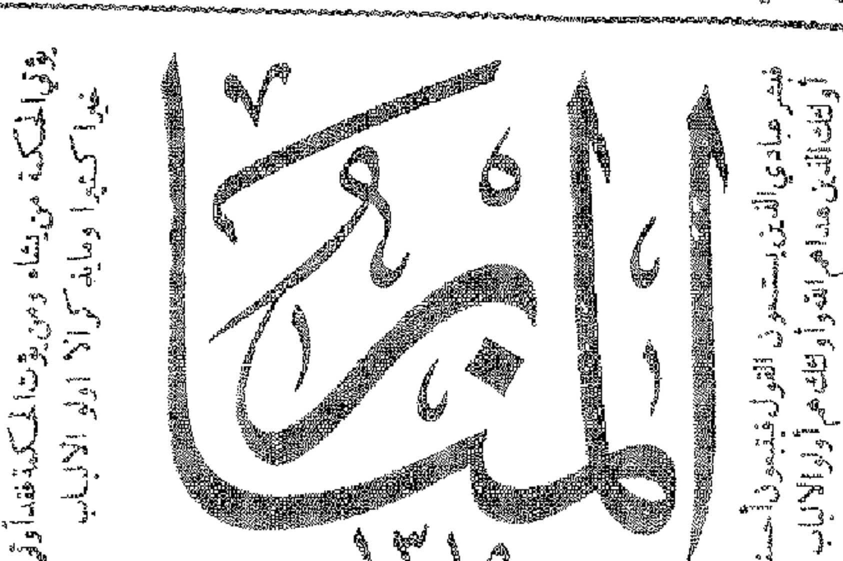
جاءنا ما يأتي من أحد علماء سوريا الفضلاء المخلصين فنشرناه مع الحياء والخجل امتثالا لأمره وطلبا لرضاه قال حفظه الله

لقد منّ الله على المسلمين اذ اقام لهم منارا يهديهم سبل الحكمة، ووقاهم وعث السبيل ، ولو فتح الذين أعرضوا عنه بصائرهم لرأوا أنهم في مكان وبيل، أفسكرت بصيرتهم بل هم مسحورون بما هويت آباؤهم من المناهج وكم ضل جيل بما ضل من قبل به القبيل ، هاهم أولاء تتزفهم أيدي الزمن بما ضلوا عن الحقائق وبما كانوا يتوهمون ، أفلم يأن لهم أن يفيقوا من سكرتهم وينظروا ما قدمت أيديهم وسعت اليه أرجلهم من الحال الهون، أولم يأن لهم أن ينظروا ما منّ الله عليهم اذ هيأ رشيداً منهم لرفع «المنار» لعلهم يرشدون .

سلام أيها الرشيد بما رفعت «المنار» ، طوبى ونعم عقبى الرشداء الابرار، بشرى وان لك مدحاً في الامصار والاعصار ، نعمى تدوم لك الصمرة يسري تقى لك الدهر، حسن تخلدك الذكر، فوقى انك في الملأ الغرّ، مرحى لاصلاحك، أأكرم بصلاحك، لقد جلوت الديجور بالسنا، وأرشدت القاصي كمن دنا، وقد عنيت بمن عنى، ولم تمن بمن حسد وشنا، كذلك حزب الهدى، لا يثنيهم السدى، ولا يثنيهم الهوى، ولا يروعهم من جفا، حسبك الحق وكفى ، لم يخب من اليه انتمى، ان لديه الآخرة والأولى ، ان هذا رجاء أولي النهى، فاستفتح هذه الثامنة بمثل ذلك الهدى، وتوكل على الذي برأ الحجى، وأرسل محمداً بالهدى للورى، ليكونوا اخواناً في الطريقة المثلى ، عليه الصلاة الحسنى ، والسلام الاسنى .

وسلام عليكم قراء «المنار» بما طبتم في الملة إن لكم فيه لما ينفعكم في الدين ، وان لكم فيه لما يرفعكم بين العالمين ، وان لكم فيه لما تعارفون، وان لكم فيه لما تعاطفون، وانه لهناء لكم وتبصرة للمستبصرين، ولقد من الله علينا ببلوغه (الثامنه) يفيض بالنور المبين، وهذه كلمات لاخ لكم ليهديكم التحيات الطيبات، ويعلن اشتراكه معكم بالمسرات ، وتذكرة لهنا نكون من الموقنين بالفضل وعسى أن نكون من الشاكرين .

(سوري شمالي)



(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و« منارا » كمنار الطريق)

(مصر — الاربعاء ١٦ المحرم سنة ١٣٢٣ — ٢٢ مارس (آذار) سنة ١٩٠٥)

باب المقالات

حياة الأمم وموتها

ان للاجسام حياة وللنفوس حياة غير حياة الاجسام ولكن بعضهما يرتبط ببعض ، وان للافراد حياة وللامم حياة غير حياة الافراد ولكن احداهما تتوقف على الأخرى

يعرف الجسم الحي بطلب الغذاء الذي يحفظ حياته من الخارج ويدفع العوارض الضارة عنه وإفراز المواد الميتة من بنيته ، ويستوي في هذه الحياة النبات والحيوان ، وتعرف النفس الحية بالحرص على الكرامة وارتفاع المنزلة بالحق وبدفع أسباب المهانة وتوقي طرقها وبالنضال عن الشرف أن تصل إليه أيدي العابثين ، أو يصيبه وهم الواهمين ، وأما حياة الأمة فهي أثر روح يسري في أفرادها فيشعرهم بأن مكان كل واحد منهم من مجموع الأمة مكان أحد أعضائه من جسده فهو يلاحظ في كل عمل منفعة نفسه ومنفعة أمته معاً كما ان عمل كل عضو في البدن يكون سبباً في حفظ حياته من حيث هو سبب لحفظ حياة البدن كله

الجسم الحي أشرف من الجسم الميت وأبقى بل الاجسام الميتة تكون غذاء للاجسام

الحيـة ومتاعاً تتناول منه ما تحتاج اليه لتعوضه عوضاً عمـا يتدثر منها وينفصل عنها ؛ كذلك الأمم الحية تتغذى من الامم الميتة وتنتزع منها ما تحتاج اليه في حفظ حياتهـا وطول بقائها ودوام عزتهـا وشرفها . فالأمة الحية أشرف من الأمة الميتة وأرق في مرتبة الوجود

قد يشتبه على الجاهلين التفاضل بين الناس في الحياة والموت بهذا المعنى فيذهب الجهل ببعضهم الى أن زيداً الميت أفضل من عمرو الحي بمـا هو أكثر مالا وعشيرة وأحسن أثاثاً ورئياً . ولو رجعوا إلى العلم الصحيح والاختبار الدقيق لرأوا أنفسهم يفضلون معاملة فلان التاجر الذي يملك ألف دينار على فلان الوارث الذي يملك مئة ألف ويرون من الثقـة والرجاء في الأول مالا يرون في الثـاني لان الاول يجمع ويشيـد ، والثاني يبيد ويبدد ، فالالف تنمو في كل عام ، ومئة الألف تنقص في كل يوم من الأيام ، حتى ان حديد البصر يرى الأول غنياً مثرياً ، والثاني فقيراً مستجدياً ، ذلك أنه ينظر الى المستقبل الذي يسيران اليه ، فيمثل له في الحاضر الذي يراها فيه

معرفة شؤون الامم والشعوب ، اخفى على الاكثرين من معرفة حال الافراد والبيوت ، فكم من جاهل يفضـل أمة على أخرى لأنها أصـح ديناً وأعدل شريعة ، أو لأنها أشرف أرومة وأعرق في الجد جرثومة ، أو لأن تراثها من سلفها أكثر ، ومزاياها الجنسية أشهر ، أو لأنها أكثر عدداً ومدداً ، واعز عشيرة ونفراً ، واذا صح أن يكون هذا كله أو بعضه للأمة الميتة زمناً من الأزمان فانه لا يبقى الا ريثما تتصل بها أمة حية ، فترى هذه تمتص جميع مزايا تلك ومقوماتها الحيوية ، وتلك تحمل آفات هذه وعللها البشرية ، حتى تكون إحداهما في عليين ، والأخرى في أسفل سافلين ،

يسهل على القارئ في الشرق القريب ، أن ينظر فيما بين يديه من الشعوب التي تضمها جنسية سياسية أو لغوية ، وتفصل بينها روابط نسبية أو ملية ، فانه يرى شعبين يمتاز أحدهما بكثرة العدد وكثرة المال وقوة الحكم وقوة العلم ثم يجد نفسه تفضل قليل المزايا منهما على كثيرها لانه يرى الشعب الكثير المزايا يتمزق ويتفرق وتذهب مزاياه بذهاب الاعوام ، والشعب القليـل المزايا ينمو ويسمو ويجتمع ويتألف فيعتز ويشرف باقبال الايام ، يرى الشعب الكبير يتخاذل فيتضاءل ، والشعب الصغير يتلاءم

ويتعاظم ، وما ذلك الا ان في أحدهما نسمة حياة تدفع عنه الاعراض الضارة بالشعوب فيقوى ويزكو ، وتغذيه كل يوم بغذاء جديد فينمو ويسمو ، وليس في الآخر شيء من هذه الحياة فهو كجسم العاشق يذوب ويضمحل ، ويحقر ويذل ،

ويسهل على القارئ في الشرق البعيد (كالهند) أن يرى مثل هذين الشعبين المتقابلين في الحياة والموت ولكنه يرى أكبرهما هو الذي يعز ويترقى ، وأصغرهما هو الذي يذلّ ويتدلّى ، فلا تغرّ حينئذ دعوى بعض المتطفلين على علم الاجتماع وسنن الخليقة أن علة الحياة في الشعب الصغير القريب هي صغره وقلة عدده لان اجتماع العدد القليل للتعاون والتناصر وتوحيد المصلحة العامة أسهل من اجتماع العدد الكثير ، ويشبه هذا الوهم تعليل بعضهم لنجاح صاحب الالف ونمو ثروته ، وخيبة صاحب المئة الالف والعقار الواسع وتبدد تراثه ، بأن تثمير المال القليل أسهل من تثمير الكثير ، كذلك يقول من لا يعرف معنى الحياة في الامم والافراد ولسنا بصدد بيان علة حياة الحي وموت الميت على الاطلاق ولا بيان علة حياة أمة معينة وموت أخرى فنفيض في كشف وهم الواهمين وجهل الجاهلين ، وانما غرضنا بيان معنى الحياة المعنوية ومميزات واجديها ، ومخازي فاقديها ،

التمييز بين أمة في أعلى مراقي الحياة وأوج العزة والقوة ، وامة في الحضيض الاوهد ، والشقاء الموصد ، مما يتناوله كل نظر ، ويحكم به كل عقل ، ولكن التمييز بين أمتين أو شعبين أحدهما يموت بعد حياة وثانيهما يحيا بعد موت هو الذي يخفى على غير علماء الاجتماع المدققين لان الذي اعتاد على الحكم بادي الرأي يخدع بما يرى في الاول من علامات الحياة الموروثة كأثارة من علم ، وبقية من حكم ، ولا يجد مثلهما عند الثاني فهو كمن يفضل وارث مئة الالف على كاسب الالف جاهلا بما وراء ذلك من مصير ثروة الوارث الى الزوال ، ومصير ثروة الكاسب الى الكمال ،

لا يغرنك ما ترى من آيات الحياة في أمة تقطعت روابطها ، وانفصمت عروة الثقة بين أفرادها ، وبغض اليها النظام ، وفقدت التلاحم والالتئام ، وان كان ما تراه أخلاقا كريمة ، ومعارف صحيحة ، وثروة واسعة ، وسلطة نافذة ، مع العلم بأن هذه الاشياء كلها هي آثار الحياة توجد بوجودها وتذهب لذهابها ، فقد يكون ذلك من بقايا ارث

قديم ، يعبث به الفساد الحديث ، الا أن ترى العلم والاخلاق تقرب البعيد ، وتجمع الشتيت ، وتزيد في الثقة بين الناس ، وتدعو الى التعاون على البر والإحسان ، وترى الثروة تجمع مع ملاحظة مصلحة الامة ، وينفق جزء منها على المنافع العامة ، وترى السلطة موجهة لدفع الاذى عن البلاد ، واقامة العدل في العباد ، واسعاد الافراد على الاستقلال ، واعدادهم لمشاركة الحاكمين في الاعمال .

روح الحياة في الامة تحول الشر الى خير ، وفقدها يحول الفضائل الى رذائل ، فما يكون فيها من عزة وإباء يصير كبراً وعجباً ، وما يبقى من كرم وسماح يصير اسرافاً وتبذيراً ، وتكون الشجاعة فيها سبباً للاعتداء والإيذاء ، وجودة الرأي وسيلة للمكر والاحتيال ، ويتحول فيها حب الشرف والكمال ، الى حب الفخفخة بالالقاب ، وينقلب التنافس تحاسداً ، والايثار أثرة وطمعاً ، وقس على هذا سائر الاخلاق التي تفسد ، كذلك يكون العلم آلة لاهله يكيدون بها للناس ويوقعون بينهم ليستفيد الكائد من النزاع والشقاق ، أما السلطة فانها تكون الآلة المحللة لكل التئام ، والممزقة لكل شمل ، والمفرقة لكل اجتماع ، الا الاجتماع لتأييدها والخنوع لاصحابها حتى ان الملك أو الامير ليتجر بالامة اتجاراً بل يكون هو الغاصب والناهب ما استطاع حتى اذا لم يبق للامة قوة حافظة يبيعها للاجانب بالمحافظة على رياسته الصورية ، وتمكينه من شهواته الحيوانية والشيطانية .

تسري الامراض الاجتماعية في الامم فتذهب منها بمقومات الحياة من حيث لا تشعر ولا تدري ولذلك يبقى لها الغرور والدعوى بأنها أشرف الامم وأفضلها ويعسر على من يكون على علم بأمراض الامم ان يقنعها بأن أمة وضيعة مهينة وان كانت أصوات الاهانة تصيح بها في كل يوم ، وأسواط العذاب تقع عليها في كل آن . واذا كانت متكئة في غرورها على عصا الدين كان اقناعها أعسر وإشعارها أبعد ، وان نخرت أرضة البدع تلك المنسأة فانكسرت ، وخرت الامة في مهواة الضلال فهلكت .

اذا أهاب الداعي بالامة المغرورة بالدين ، وحاول اقناعها بالبراهين ، وايقاظ الشعور فيها بما تذوق من العذاب المهين ، وانبه حماة البدع الجديد ، وحمل عليه انصار التقليد ، واستعانوا عليه بالامراء المستبدين ، وحالوا بينه وبين العامة المساكين ، بل

العامة هي قوة رؤساء الدنيا والدين ، بها يصولون على المصلحين ، ولو كانوا يقارعون الدليل بالدليل ، ويساورون البرهان بالبرهان ، لظهر للعامة سوء حالهم ، وفساد أقوالهم وأفعالهم ، ولكان للمصلح على انفراده ، وضعف أنصاره وأعوانه ، مايغلبهم به على عزة سلطانهم ، وعظم شأنهم ، لان الحق نصيره ، والفطرة البشرية عونه ، لولا أنهم يفسدونها بتقاليدهم ، ويحولون بينها وبين نور الاصلاح بغيوم سلطتهم « وقالوا لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون »

أظهر دلائل الحياة في الامة النوابغ والنبوغ في أسباب الارتقاء من العلوم والفضائل والاعمال العمومية فلا يموت فيها شيء بموت القائم به ، وأظهر دلائل الموت العقم والاضمحلال في ذلك فلا يكاد يذهب منها شيء من الخير ويخلفه مثله وانما يموت العلم بموت العلماء والفضل بموت الفضلاء حتى تبقى حثالة بهم تبسل الامة

لاتنزع روح الحياة من الامة بما يعرض عليها من الامراض الا اذا فتكت هذه بمزاج الامة الجامع لافرادها واذا كان مزاج الجسم يتألف من أمشاج متعددة كالدم والعصب واللمفا فمزاج الامة الاجتماعي يتألف مثله من اصول متعددة كالنسب والجنسية والدين والحكومة لذلك ترى الباحثين في اصلاح الامم الفاسدة المزاج يختلفون فيقول بعضهم ان الامة لاتحيا الا بتربية النساء التي هي الاصل في صلاح البيوت ويقول آخرون إنها لاتحيا الا بتقوية الرابطة الجنسية التي تكون باللغة أو الوطن ويقول غيرهما ان الاصل في الحياة هو الاصلاح الديني — على ان الدين عند المسلمين حاكم في كل شيء فاصلاحهم من جهته اصلاح لكل شيء — ويخالفهم مخالفون قائلين بل الاصلاح انما يكون بصلاح حال الحكومة لان السياسة هي المدبرة لكل شيء . والصواب ان معالجة كل ما فسد من الاصول التي يتألف منها المزاج مما لابد منه لشفاء الامة وجعلها في عداد الامم الحية . ولكن يقال ان هذه الاصول ترجع الى أصلين الامة والحكومة أيهما صلح سهل عليه اصلاح الآخر ولكن ما يجيء من جانب الحكومة يكون أسرع ، وما يأتي من الامة يكون أدوم وأثبت ، وقد بينا ذلك في السنة الاولى من سني المنار ، وسننشر في الاجزاء الآتية مقالات في أنواع الحياة النسبية أو الزوجية والملية والجنسية والسياسية ونبين كيف يكون الاصلاح فيها والله الملهم للسداد

آثار علمية ادبية

رأي عالم أزهري في العلماء وحالهم في مصر

وصف مؤلف كتاب العلم والعلماء العالم الديني المسلم بأنه المرشد الى مصالح الدنيا وطريق الآخرة ومما قاله في ذلك (ص ٨) : « بينما تجده في درسه يقرر خفيات المسائل في العلوم المختلفة تجده قد خرج يخالط الناس على اختلاف طبقاتهم كأنه واحد منهم يرشد هذا بالعبارة وذاك بالاشارة ، هذا بالاحاديث وهذا بالآيات ، هذا بالحجج العقلية وهذا بالمشاهدات والاكتشافات ، طوراً يستشهد بحال الصحابة والتابعين ، وطوراً بحال فلاسفة اليونان وحكماء الاوربيين ، » الخ

وقال في (ص ٩) : العلماء لاتنحصر وظيفتهم في تعليم الطلاب فنون العلم في المدارس الدينية بالكيفية الجارية الآن . بل هي على الحقيقة أعم من ذلك وأشمل وأنفع . وظيفة لها دخل في سائر الاعمال والاحوال وترتبط بسائر الامور الدنيوية والاخروية ، لان العالم يعتبر مؤسس المبدأ الذي يسير عليه الانسان ويبني عليه سائر أعماله المتعلقة بالمعاش والمعاد . وواضع الخطة التي تجري عليها الامة في سائر شؤونها المادية والادبية وغيرها :

ثم ذكر أن للتعليم ثلاث مراتب أولها تعليم صغار المسلمين في المدارس الابتدائية المسماة بالمكاتب وثانيها تعليم جمهور الناس وثالثها التعليم العالي في نحو الازهر والجامع الاحمدي . ثم قال في علماء مصر (ص ١١) ما نصه : « ولكن من موجب الاسف أن علماءنا أعرضوا عن المرتبتين الاوليين ولم يعيروها أقل التفات مع أنهما من أهم الضروريات اللازمة التي يتوقف عليها تقدم الامة وحسن نشأتها في امري الدين والدنيا بل هما اللذان ينبغي أن يكونا ثمرة هذا التعليم العالي الذي يشتغلون به في المدارس الدينية ويضيعون فيه الاعمار من غير ان يعود على الامة منه فائدة تذكر . على انه في الحين الذي يأنف فيه العلماء من القيام بهذين الواجبين ارى انهم لا يمكنهم أن يقوموا بهما حق القيام » الخ

ثم الم بفائدة الارشاد وتعليم العامة وقال (ص ١٢) : ومما يوجب الاسف أن

هــذه الوظيفة السامية لايقوم بها العلماء الآن ايضاً وقد بني على إهمالها ما نراه من النقص العظيم وعلى قواعد هــذا الاهمال ثبتت جدرانه القوية التي قد (لا) تهدمها الا معاول القدرة القاهرة والروح الالهي ان شاء الله تعالى » اه

ثم قال في (ص ١٧) : « ولكن من اعجب العجب انهم أهملوا الآن هــذا الواجب وأعرضوا عنه فكان من نتائج ذلك ضعف الشعور الديني وانتهاك حرمات الشرع حتى فيما يرجع الى مصالح هــذه الحياة الدنيا . بل كان من نتائج ذلك ضياع حرمة العلماء وانحياز أمر الدين حتى كاد يعد من الاحوال الشخصية والامور الاستحسانية التي تختلف باختلاف المشارب والاذواق »

ثم قال في ذلك بعد كلمات في أهل الطريق : « فوا اسفا على هذه الوظيفة السامية والصفة العالية التي ضاعت بين رجال العلم ورجال الطريق . وا أسفا على تركة الاسلام التي تفرقت ايدي سبأ في ايدي من لم يعرفوا حقها ولم يقوموا بواجبها بل ونسوها وشوهوها حتى صارت في ظاهر الامر من المعاني السافلة والامور الدنيئة . » الخ

وقال في الكلام على الكمال في الملكات والوجدان (ص ٣٢) : « وإننا نرى بأعيننا من العلماء المشهورين الذين أحرزوا التقدم وشغلوا الوظائف العالية وعدوا من الرؤساء من ينقصهم هــذا المعنى وان ملكاتهم ووجداناتهم النفسية دنيئة ناقصة تباين مراكزهم الرسمية وتضاد منزلتهم بين الناس وانهم لايزال لهــم من الصفات الناقصة مايحطهم عن أكثر الناس وان كان ذلك لايتراءى الا لمن يعاشرهم ويعاملهم ويخترق حجاب المظاهر الكاذبة وقــد ينبني على ذلك صدور أعمــال منهم تعد من الاعمال التي تورث النقص العام وتوجب العار الفاضح للامة والدين والشواهد على ذلك كثيرة »

إنا وان كنا نريد بيان رأي هذا العالم الازهري ابن العالم الازهري في وصف العلماء دون انتقاد او استحسان لايسعنا الان لستدرك عليــه ونقول ان في هؤلاء العلماء من يعد فخراً للعلم والدين بعلو الهمة وشهامة النفس وعزة الدين ووقار العلم كما يشهد العدو والصديق والقريب والغريب وكان ينبغي ان يصرح بذلك هنا

ثم قال في فصل « الكمال في التنور والتأثير » وشدة حاجة العالم اليهما (ص ٣٣) :

« اصبح علماؤنا اليوم فاقدين كل شيء من معنى النفوذ والتأثير عارين عن سائر موادها ولا شك ان هذا نقص شديد يجب تداركه . لا اقول فقدوا النفوذ والتأثير فقط بل وا كتسبوا صبغة الاستثقال والاحتقار من ا كثر الطبقات العليا حتى كاد يكون الحق منهم باطلا والصدق منهم كذباً والنصح منهم غشاً فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

«لو نظرنا بعين الاستبصار الى سائر المرشدين الى الحقائق وهداة العالم واولهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأنبائهم اولا كانوا موضع الازدراء والتحقير من الناس (لته استبدل بهذين اللفظين ماهو انزه منهما) وان من يتبعهم كان اقل القليل فاذا ما ا كتسبوا قوة النفوذ والتأثير انعكس الامر واقبل الناس عليهم ودخلوا في دين الله افواجاً ورأوهم بعين غير الأولى كأنهم ليس هم اولئك الاولون (كذا) ذلك لان الناس دائماً اسراء العادة عباد المظاهر اعانهم في عيونهم كما قال بعض العارفين فهم دائماً لايستمعون الا لمقال من يكتسب صفات الاحترام العام ولا يرضخون الالمن يحرز قوة النفوذ (١) واذا كان الامر هكذا فلم لانكتسب هذه القوة لنتمكن من نشر الحقائق الاسلامية ونتوصل الى إعلاء كلمة الله ثم لم لانكتسبها وهي التي ترفع الانسان من الطبقات السافلة الى اعلى المراتب وتجعله سلطان القلوب وقائد الافكار

«ماهو فضيلة الاستاذ الشيخ محمد عبده واحد منا انظر لماذا علا دون أمثاله وامرو صل الى ان صار صاحب الرأي الاعلى في سائر الشؤون الازهرية وصاحب الاحترام والمكانة والكلمة المسموعة عند ا كثر اهل الطبقة العالية حتى امكنه ان يسود ا كثر الذين يغضونه من العلماء وقد كان في اول قدومه للازهر عند الناس كآحاد الطلاب . أهو جاء (بالصدفة) ام هذا نتيجة العمل والاجتهاد ؟ لاجرم ان هذا كان اولا نتيجة النفوذ المكتسب من قوة العقل وحسن البيان وإتقان العمل وذلك جعل له مكانة عند الطبقة العليا وتلك المكانة ا كسبته نفوذاً آخر وجعلت تأثيره اقوى وقد تمكن بهذا وذاك ان يرأس العلماء وتكون له كلمة التصرف حتى على شيوخه ومن

(١) العامة تستعمل الرضوخ بمعنى الخضوع والامتثال وهو المراد هنا والا فالرضخ في اللغة هو العطاء القليل ولا يصح في هذا السياق

يعتقدونه وان ينشر مبادئه ويدعو الناس اليها ويلبي دعوته كثير من الناس وهو لو دعا اليها في بدء نشأته ما اجتمع اليه أكثر المجتمعين حوله الان» اه

ثم أطال في وصف الشيخ ونفوذه مما لا حاجة الى ذكره وقد ذكرنا ليعلم القارئ ان المؤلف لم يكتب الا ما يعتقد ولذلك لم يعمم الا واستثنى .

ثم انه انتقل الى الكلام على (الكمال في العقل) فانتقد عادات العلماء وذكر من مخالفتهم لما عده كمالا ذلك لا سيما عادتهم في حفلات التشريفات وتشييع الجنائز والجامع وفي مجالسهم الخاصة الحافلة وفضل عليهم سائر الفرق . وقفى ذلك بذكر (التنور العام) اي المشاركة في فنون العصر وحال البشر في عامة شؤونهم وقال في (ص ٤٢)

«لكن هناك من العلماء من يرى تنورهم قاصرا على مناقشات الفنون والكتب التي يدرسونها حتى لا يمكنه أن يخوض مع انسان في حديث ما فيتقنه وان جلس في مجلس عام لم يحسن التكلم فيه بل اما سكوت واما كلام تمجه الاسماع ويأباه الطبع السليم» اه

ثم تكلم في مطالعة الجرائد والمجلات وقال (ص ٤٣) : «هناك من العلماء من يرى ان كلام الجرائد كذب لا تجوز قراءته وهو رأي واضح الفساد فان عدم قراءة الجرائد تجعل الانسان في انحياز تام عن العالم وبعداً عنهم كأنه ليس على ظهر البسيطة وتجعله ايضاً مستثقلا محتقراً في أعين المتنورين كما يحتقر الجاهل بأبسط الاشياء حتى انهم ليعدون مخاطبتهم له تنزلا ومجاراتهم واحترامهم له تفضلا لانه في أعينهم رجل بسيط لا يعرف الا أحكام الدين ولا يدري ما عليه الناس » . ثم قال في المجلات خاصة : « ومن أهم ما يجب الاطلاع عليه أيضا المجلات العلمية كالمقتطف والهلال والمنار فانها تطلع الانسان على معلومات لا يستغني عنها العالم وحبذا لو امتلأت صفحات المجلات الدينية بمقالاتهم الضافية وإرشاداتهم المفيدة » اه ولننقل بقية

﴿ تقويم المؤيد لعام ١٣٢٣ ﴾

هذه هي السنة السابعة لهذا التقويم المفيد الذي يؤلفه محمد افندي مسعود المحرر بجريدة المؤيد وقد صدر في أول المحرم مطبوعا بمطبعة الجمهور وهو فيما صار اليه من الشهرة وما صادفه من الاقبال والرغبة غني عن التقريظ له والترغيب فيه الا أننا نذكر ذاكر بعض ما يمتاز به في كل سنة عما قبلها وقد يستغني قراؤه ومتتبعوه عن ذلك بما

عرفوا من ذوق مؤلفه في حسن الاختيار ومنه أن فتح في هذه السنة باباً للحرب الروسية اليابانية واسعاً ذكر فيه ملخص تاريخها وأكبر ملاحمها وأشهر مواقعها وصور قوادها في البر والبحر ٠ وفي غير هذا الباب من التطويل في المسائل السياسية ما لا يستغنى عن معرفته وفي باب التاريخ فصل طويل في تاريخ تونس ودولها مزين بصورة الباي السابق رحمه الله والباي الحاضر وفقه الله ٠ وثمن النسخة منه خمسة قروش ماعدا أجرة البريد ويطلب من المكاتب المشهورة ٠

باب الأخبار الأزهرية

الأزهر — مشيخته وإدارته

ما كانت مشيخة الأزهر في زمن الأزمان عرضة للتغيير والتبديل من الحكام كما نراها في هذه السنين فقد تناول العزل والابدال شيوخ هذا الجامع عدة مرات في بضع سنين — عزل الشيخ حسونة باتفاق الحكومة مع الأمير وولي بعده الشيخ عبد الرحمن القطب فلم يلبث أن عزله حكم المنون فاختار الأمير للمشيخة الشيخ سليما البشري ثم عزله بمحض إرادته وولي مكانه السيد عليا البيلاوي بالاتفاق مع الحكومة أو مع أولي الأمر كما يقال وفي هذا الشهر استقال هذا الشيخ ونصب بدله الشيخ عبد الرحمن الشربيني باتفاق الحكومة وتلا الشيخ البيلاوي في الاستقالة من مجلس إدارة الأزهر الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية والشيخ عبد الكريم سلمان أحد أعضاء المحكمة الشرعية العليا والسيد أحمد الحنبلي شيخ رواق الحنابلة وكان سبق الشيخ وهؤلاء الأعضاء في الاستقالة من إدارة الأزهر الشيخ أبو الفضل الجيزاوي عضو المالكية والشيخ سليمان العبد عضو الشافعية والعلة في استقالة الجميع واحدة في الحقيقة لا يسمح لنا هذا الوقت بشرحها والتاريخ لا ينسى شيئاً

أما الشيخ حسونة فكان من علماء الأزهر الذين علموا في مدارس الحكومة ووقفوا على شيء من نظامها وكان الغرض من جعله شيخاً للأزهر وجعل الشيخ محمد عبده معه في الإدارة تغيير نظام التعليم وترقيته فيه ٠ وأما الشيخ سليم البشري

فهو من علماء الدرجة الأولى وقد ولي في وقت تألب المشايخ على الحكومة في مسألة المحاكم الشرعية المعروفة . وأما السيد علي الببلاوي فقد ولي لشهرته بالصلاح بعدما استشار الامير الحكومة في نفر من أشهر الشيوخ فلم ترض أحداً منهم وقد كان أقدر من سبقه على الادارة حتى ان أولي الامر وأهل الفهم قالوا ما كنا نظن أنه يوجد في هؤلاء المشايخ الذين لم يزاولوا الاعمال الادارية ولم يعنوا بالاطلاع على أمور العالم مثل هذا الرجل . وأما الشيخ عبد الرحمن الشربيني فهو مشهور بالعلم والصلاح والزهد وقد عرضت عليه مشيخة الازهر من قبل غير مرة فلم يقبلها على أنها منتهى ما يطمح اليه علماء هذا الجامع من الرياسة . وقد عجب الناس من قبوله في هذه المرة ويقال ان الناس الذين كانوا طالبين باستقالة السيد الببلاوي قبل وقوعها وقبل ظهورها كانوا يرغبونه في ذلك ويقال انه لم يرض الا بعد صدور الامر بتوليته والله اعلم اي ذلك قد كان . وقد كثر القال والقيل وتباينت الآراء في خطته والصواب انه لا يؤخذ بشيء مما قيل ولا مما يقال ، حتى يعرف السير وتشاهد الاعمال . ونسأل الله تعالى أن يوفقه لما فيه مصلحة هذا الجامع ومصلحة الاسلام وان يشد ازره بقرناء الخير والله على كل شيء قدير

غرض الحكومة الخديوية من الازهر

قد شاع وذاع ان سمو الامير اتفق مع حكومته على ان كل ما يهم الحكومة من الازهر شيئان الاول ان يكون اهله في امان والثاني تخريج القضاة الشرعيين . ولما كان التعليم في الازهر غير كاف لتخريج القضاة الذين تصلح بهم حال المحاكم وينفذ حكم الشريعة عزمت الحكومة الخديوية على انشاء مدرسة خاصة لتخريج القضاة يكون تلامذتها من طلبة الجامع الازهر ولم يكن أحد يصدق هذه الاشاعة لولا ان المؤيد ذكر أن الامير قال ذلك في كلامه الذي خاطب به مشايخ الازهر في حفلة إلباس الخلعة للشيخ الشربيني ووافقه المقطم في معناه وأسنده الى أولياء الامور

وقد كثر التساؤل بين الناس عن سبب استقالة الشيخ محمد عبده من ادارة الازهر على عنايته العظيمة بخدمة الازهر وحرصه على تخريج رجال فيه يقدرون على خدمة الشرع وتأييد الدين . وكان ينبغي ان يكون اول سبب يخطر في البال بعد الاطلاع على تلك الاقوال، هو بلوغ الشعب في هذه المدرسة غايته ومثله من رجال

الجسد لم يخلق للعب بالشغب ، بدون فائدة تكافئ إنفاق الوقت في التعب . ثم اكتفاؤه بعناية أولياء الامور بتربية جماعة من طلبة الازهر في مدرسة خاصة ليتخرج منهم أساتذة وقضاة وهو شيء مما كان يميل اليه ، قد تيسر الوصول اليه ، ويقول المقطم ان الحكومة ستنيط بالشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية أمر هذه المدرسة فان صح ذلك فحسبه تربية البعض من الكل على ان تركه لادارة الازهر ليس للازهر كله فانه شيخ رواق الحنفية وهو أكثر الأروقة طلابا فهو يبث فيهم النظام ويرشدهم الى روح العلم والدين وهذا بعض آخر من كل وكل ميسر لما خلق له .

« مقام الافتاء »

جرت العادة في هذه البلاد وفي سائر بلاد الدولة العلية أن المفتي يجعل داره معهداً للافتاء وقد كان الشيخ العباسي مفتياً وشيخاً للازهر وكان مع هذا يفتي في داره . ولكن الشيخ حسونه النواوي لما صار شيخاً للازهر ومفتياً جعل محل الافتاء في الازهر لانه محل عمله وكذلك فعل الشيخ محمد عبده فانه لكثرة شغله في ادارة الازهر ولكون داره في خارج القاهرة أبقى محل الافتاء حيث وضعه الشيخ حسونه من الازهر ولما استقال في هذه الايام من ادارة الازهر رأى انه لا معنى لبقاء محل الافتاء في الازهر فعزم على اتخاذ محل آخر له ويقال ان الحكومة ستبني له مكاناً في نظارة الحقانية

« المعرض الزراعي »

ما ارتقى الناس في عمل من الاعمال الا بمحاولة المتأخر ان يفوق من قبله في عمله ولن يحاول أحد أن يفوق أحداً في شيء الا بعد اطلاعه على منتهى ما وصل اليه وبحثه عن أسباب ارتقائه فيه . والمعارض أكبر معين على اطلاع الناس على غاية ما وصل اليه الناس لذلك عنيت الامم الحية بهذه المعارض فجعلت في بلادها معارض عامة ومعارض خاصة بالزراعة وبالصناعة وببعض فروع العلوم والاعمال . وقلدتها الحكومة المصرية في المعرض الزراعي إذ كانت هذه البلاد زراعية قوام معيشتها الزراعة . ولذلك لترى هذا المعرض يتقدم وتكثر المعروضات فيه ويستفيد الزراع منه عاما بعد عام ، وقد كانت المعروضات في هذه السنة أكثر منها في غيرها لاسيما الآلات الزراعية الحديثة

والعزق والسقي والنقل حتى أن محل أورنستين كوبل مد في ميدان المعرض سكة زراعية سير عليها القطارات بهيئة وجهت اليها الانظار ٠

تعرض في هذا المعرض كل سنة الآلات والأدوات ، وكذلك الاسمدة ونتائج الغلات ، وتعرض الانعام والخيل والحمير والبغال ٠ وقد عرض محمد افندي صالح سليمان أنواعا من الاخشاب المصرية الجميلة ومصنوعات محله منها فنالت الجائزة الاولى ٠ وتعرض فيه أيضاً آلات الخياطة والتطريز ٠ وعرضت فيه في هذه السنة الآلة الكاتبة بالعربية وهذا وما قبله ليس من الامور الزراعية ٠

(الشيخ عبد الباقي الافغاني — وفاته)

نعت الينا أخبار سوريا هـذا السائح العالم العامـل التقي الذي عرفناه ونحن في سيمان المكتب إذ كان يزور بلدنا في سياحته ويقيم فيها اياما ٠ ومرت السنين عليه ولم نر تغييراً في سيرته المحمودة . وكان له حسن ظن في منشئ هذه المجلة حتى كان يقول: ان علم رشيد لدنّي ، وقد كتب الينا بعض من عرفه وأخذ عنه ما يأتي نبأ وترجمة :

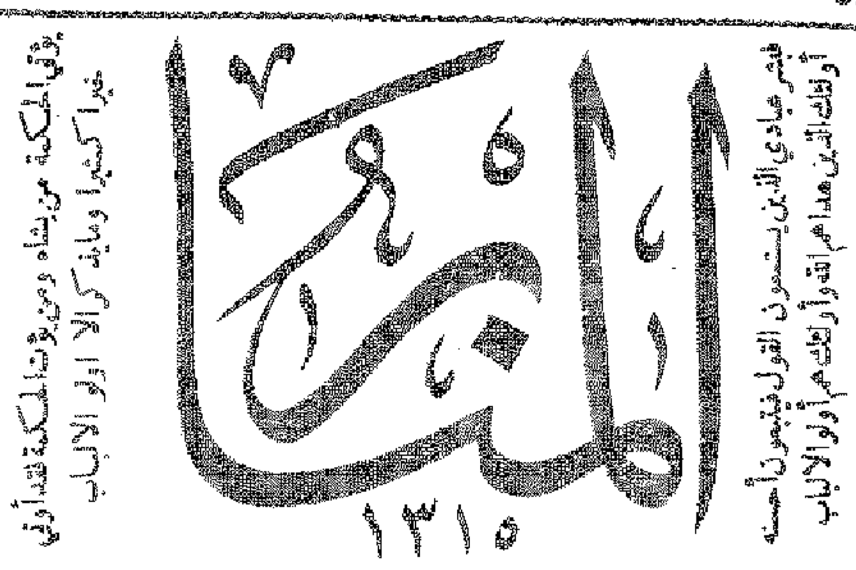
فضل الحياة لاينكره الا سفهاء أوهام وسفسطة قد عمي عليهم فيها سبل النظام الكوني البديع الذي تدور السعادة الانسانية على محور العلم والعمل به من غير هوس بالتنقيب عن غير النافع والضار لكن العقلاء في فلسفة الحياة مجمعون على أمر ومختلفون في أمر والوهميون السوفسطائية لامن هؤلاء ولامن هؤلاء ٠ يجمع العقلاء على أن الحيّ يجب عليه إيفاء شكر لواهب الحياة ويختلفون في طرق ايفاء هذا الشكر وكل مذاهبهم المختلفة تؤدي الى نقطتين متقاربتين ولكن بينهما سد مُخيّن من الاصطلاحات والاوهام وبئست هي من سدّ بين البشر القرباء فان الاكثرين لم يتمكنوا من هدم هذا السد إما لعدم مساعدة علمهم وإما لعدم مساعدة ظروف حياتهم (النقطة الاولى) شكر الله بقبول دعوته الى المائدة التي وضعها للانام والرضاء عن كل خادم بهذه المائدة ٠ (النقطة الثانية) شكر الله باللسان بتكرير الثناء عليه مع عدم الالتفات للمائدة ولمن يهيئها البتة فلا يتناولون منها الا التافه وكثير منهم يرون أن يسبوا المائدة والذين يتناولون منها ٠ أما تقارب النقطتين فلان كلا من السائرين يرون هذه المائدة حاضرة فيها من كل

الانواع ويعرفون الذي أعدها ويعلمون انه لابد من التناول منها وانه لابد من شكر هذا الكريم المظم ، وأما السد الذي يدهم فهو ان الشكر هل هو بقول الور «أمدحك ياواهب أمدحك ياواهب أمدحك ياواهب» ملايين من المرات او بتعميم المرء مقصود الواهب من تلك الهبة فتعريف الشكر بأحد التعريفين هو من الاصطلاح وهو ذاك السد ومن وراء هؤلاء كلهم من ليس لهم الا صورة بشرية لهـا من الحياة ماللسائر أنواع الحيوان منها فليسوا ممن نتكلم عنهم ،

ونحن لم نرد في هذا الموقف الآن أن ندل على مسلكنا بهذا الشأن ولكن قدمنا هذه الكلمات لنقول إننا نحترم العقلاء مهما اختلفوا وكيفما كانوا ولهذا يؤسفنا انقضاء حياة كبرائهم ويجدر بنا ان نعلن أسفنا لهم وان نذكر محاسنهم بعد ما يودعوننا ويسبقوننا بذلك الرحيل الابدي . ومثل ذلك نقدمه امام نعينا الاستاذ العالم الزاهد الورع الشيخ عبد الباقي الافغاني الذي يعرفه أكثر قراء «المنار» في سوريا ،

كان الاستاذ من الزاهدين الصادقين في زهدهم لا يماري في ذلك من عرفه فمن كان ممن ينتقد الزهد نطالبه ان لا ينتقد هذا الزاهد الذي كان كبير العقل فإن زهده قد أعانه على رحلة طويلة بث فيها العقليات بقدر الامكان فأكرم بزهد يثمر مثل هذه الثمرة في مثل هذه البلاد ،

نشأ هذا الفقيد (الذي عز على عارفيه فقده) في «بشاور» ثم رحل في غضاضة شبابه الى «رامفور» وهناك أكمل تحصيله على المفتي سعد الله وأخذ يدرس هناك نحوا من خمس وعشرين سنة ومن بعدها قصد الحجاز وفي عودته رأى في البلاد الشامية نقص العلوم العقلية فبعد تردد طويل رجح لديه ان يدرس في بعض البلاد من غير أن يقيم في بلدة واحدة فطفق يسيح في البلاد من شمالي ولاية حلب الى الولاية الحجازية وكانت جل سياحاته مشيا على أقدامه كان يقيم في البلدة أو القرية شهرين ثلاثة — أقل او اكثر — ثم يرحل عنها لغيرها وحيث وجد شبانا مستعدين للعلم يرشدهم الى سبيله بقدر معارفه ، مكث على ذلك اكثر من عشرين سنة ثم انقطع عن التدريس البتة وكان يحب ان ينتشر علم اصول الفقه ولخص فيه اوراقا على الطريقة المألوفة وفي أخريات هذه الحياة التي صرفت بالعلم والتعليم بمبلغ العلم اقام في حمص ثلاث سنين وهناك اتاه اليقين ورحل الرحلة الابدية يوم الجمعة رابع المحرم ١٣٢٣ وكان لجنازته احتفال يفوق الوصف عليه الرحمة ولعارفيه جزاء أسفهم على فضله ،



(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و«منارا» كمنار الطريق)

(مصر — الخميس غرة صفر سنة ١٣٢٣ — ٦ ابريل (نيسان) سنة ١٩٠٥)

باب المقالات

﴿ الحياة الزوجية ﴾

«وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ» (سورة الروم ٣٠)

«وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ» (سورة النساء ٤)

الأزواج تلد الافراد ومن الافراد والازواج تتألف الأمم والشعوب . يجتمع فردان فيكونان زوجاً ولفظ الزوج يطلق على كل واحد منهما لان الزوجية تحققت به للآخر كما تحققت بالآخر له فالزوجان كوّنا حقيقة الزوجية فهما حقيقة واحدة ظهرت في صورتين ، وروح واحدة انبثت في جسدين ، وبناء واحد أقيم بركنين ، بل هما حقيقة الانسانية الكاملة وكل واحد منهما جزء لها لو وجد وحده لما وجدت الانسانية ، ولو هدم بناء وحدتهما بعد وجوده لما بقيت لها بقية ، «خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء»

هؤلاء الرجال والنساء الكثيرون هم الامة فالأمة أثر الزوجية وحياتها العزيزة تابعة للحياة الزوجية فاذا كانت البيوت التي يعمرها الأزواج ويبثون منها الافراد في عيشة راضية وحياة طيبة خرج منها أولئك الافراد أحياء وكوّنوا بيوتاً يكون مجموعها بلاداً ومدائن وقرى ومزارع يطلق على عمارها لفظ الامة . والمكوّن من الاجزاء الحية يكون حياً بجملتها ، فالحياة الزوجية الطيبة هي الاصل في حياة الامة والنظر في الاصل مقدم على النظر في الفرع

الفطرة البشرية هادية الى الزوجية بكمال معناها والى أثرها في نفس الزوجين وفي أهلها وفيما يرزقان من الولد فهي تسوق كل رجل الى طلب الازدواج بامرأة وكل امرأة الى قبول الاتحاد مع رجل وهي التي تربط قلبيهما وتمزج نفسيهما وتوحد مصلحتيهما وتجعل الصلة بينهما أقوى من كل صلة بين اثنين في هذا العالم حتى يسكن كل منهما الى الآخر عند كل اضطراب ، ويأنس به ما لا يأنس بالأهل والاصحاب ، وهي التي تنقل المودة منهما الى أهل كل منهما حتى تكون كل عشيرة عوناً للاخرى على دفع مضار الحياة وجلب منافعها ، وهي التي تربي عاطفة الرحمة فيهما بالتعاون على تربية الولد فتسمو هذه الرحمة فيهما حتى يتمتع بها من يعجز منهما عن مساعدة الآخر في الشؤون المشتركة لضعف أو عجز فترى عاطفة الرحمة قد نابت عن عاطفة سكون النفس الى الإنتاج وعن الاحساس بالحاجة الى التعاون

لكن الانسان قد أعطي من القوى ما يمكنه من التصرف في الدين الفطري فيحرفه عن جادته ويسلك به الجاهل والشاب فيضل ويردي ، لذلك بغى الرجال على النساء في عصور لا يعرف التاريخ أولها واعتزوا عليهن بالقوة حتى أنزوهن بالكيد والمكر والكذب والخلابة والتصنع والدهان فأشقوهن وشقوا معهن في أنفسهم وفي أولادهم فساءت حالة البيوت ، وساءت بها حالة الامم والشعوب ، فجاء الدين مرشداً الى الرجوع بالفطرة الى جادتها ، بل العناية بتكميلها وترقيتها ، ثم بغى الناس في الدين كما بغوا في الفطرة حتى عميت علينا تعاليم اكثر الاديان ، وحسبنا ما حفظناه من هداية القرآن ،

يدفع الرجل هضم حقوق المرأة بدافع الاحساس والشعور بقوته عليها وحاجتها اليه ودافع الاعتقاد بأنه سيدها وهي خادمته المسخرة أو متاعه المملوك . فأما الشعور

بالقوة فهو آلة البغي في الشر ولولا أن للرجل شعوراً آخر بحاجته الى المرأة وميله اليها يعارض ذلك الشعور الدافع الى البغي عليها فيكسر من سورته لكان البلاء أعظم والشقاء أشد . وكان يجب عليه أن يجعل عقله مؤدباً للشعور الدافع الى الشر ومؤيداً للشعور السائق الى الحسنى لولا ما يعرض للعقل من الخطأ في الاعتقاد فيخرج به عن الصواب اذ يعتقد أن له الحق في أن يعامل المرأة بما يسوقه اليه طبعه الفاسد ورأيه الباطل . ولا سعادة في الزوجية ولا للأمة إلا اذا صح اعتقاد الرجال فعلموا أن المرأة هي شطر الحقيقة الانسانية والرجل هو الشطر الآخر وأنه يجب أن يكون كل منهما متمماً لعمل الآخر في الوجود فيما يشتركان فيه وعوناً له على ما تختلف فيه وظيفتهما مع ملاحظة جهة الوحدة كما تساعد احدى اليدين أختها وتتم كل من الرجلين سعي صاحبتها وكما يؤدي العقل وظيفة الفكر والقلب وظيفة الشعور والوجد وكما تسمع الاذن وتبصر العين والغرض من عمل كل عضو واحد وهو مصلحة الشخص . فاذا قام بناء الزوجية على هذا الاساس كان بناء الامة — الذي يتألف من الازواج والافراد التي ينسلها الازواج لتكون أزواجاً في البيوت متفرقة وأمة في البيوت مجتمعة — بناء محكماً رصيناً

اذا فسد الشعور القلبي والاعتقاد العقلي في الامة نقضت ما أبرمته الفطرة من ميثاق الزوجية حتى صارت المعاملة بين الازواج كالمعاملة بين التجار والصناع والاجراء يؤدي كل واحد من حقوق الآخر ما يمكنه من استخدامه مع ظلم القوي للضعيف ومكر الضعيف وخداعه للقوي فالواجب المبادرة الى معالجة هذا المرض فان انتشاره في الامة وباء مجتاح، وخسران لا يرجى معه نجاح، لان من يضيع حقوق أشد الناس صلة به بل من كان متمماً لمعناه وحقيقته ومسوقاً هو الى حبه بمقتضى غريزته فكيف يرجى ان يقوم بحقوق من لا يتصل به الا بصلة بعيدة هي فرع تلك الصلة القريبة؟ واذا لم يقم كل فرد من الافراد بما عليه من الحقوق الخاصة والعامة فكيف تكون الامة وتتحد على دفع الاذى، وتتعاون على المصالح حتى تبلغ المدى ؟

معالجة النفوس أعسر من معالجة الابدان ومعرفتها أغمض وأدق، والاحساس بالامراض الروحية أخفى من الاحساس بالامراض الجسدية، لذلك كانت الامراض الروحية في الافراد والجمعيات اكثر من الامراض البدنية

لا يتم علاج النفس المريضة الا باصلاح العقل والقلب معاً وذلك باقناع العقل بما تقدم الالماع اليه من معنى الزوجية ومكانة كل واحد من الزوجين من الآخر وبتربية شعور القلب ووجدانه تربية صحيحة مبنية على احترام ذلك المعنى وإكباره ليكون الوجدان مؤيداً للفكر والاعتقاد بأن تحقق معنى الزوجية وقيام كل من الزوجين بحقوقها من أركان السعادة التي لا تبنى إلا عليها . فأما تربية الكبير على ذلك فهي متعذرة أو متعسرة وأما إقناعه بذلك فهو سهل على العارف به ولكن فائدة العلم بغير إذعان النفس وشعور القلب قليلة الجدوى

إذا كان الناشئ على فساد الاخلاق وسوء الفعال لا يستطيع أن يقوّم من نفسه عوجها فيعامل زوجه بالحسنى التي هي أثر سكون النفس وحب القلب فهذا لا يدل على أن العلم بمعنى الزوجية والاقتناع بحقوقها لا يكون نافعاً بدون التربية على هذا العلم حتى يصير وجداناً وشعوراً فان العلم الصحيح ينازل الوجدان الفاسد ويبعث صاحبه على مقاومته بالتكلف حتى يزول إذا لم يكن راسخاً والاضعف أثره وحسنت الحال في الجملة ولذلك ترى حياة الزوجين العالمين الفاسدي الاخلاق اهنأ من حياة الجاهلين الفاسدين أو أقل شقاء ونغصاً . ذلك بأن العالمين يتحبب كل منهما إلى الآخر حتى يصير التكلف حباً أو تكون له أكثر ثمرات الحب وكذلك يتقي كل منهما ما يسيء قرينه بمقاومة طبعه ومغالبة ميله فتكون لهما صورة الحياة الطيبة وكثير من معناها . ثم ان الزوجين العارفين بمكان الزوجية ووجوب مساواة الزوجين فيما عدا رياسة المنزل وزعامة العشيرة يربيان من يرزقان من الولد على ذلك عسى أن يتم لهما في ولدهما ما فاتهما من السعادة في نفسهما . ولولا أن العلم يكون وسيلة للتربية النفسية التي يتحد بها القلب مع العقل لما رأيت مصلحاً يظهر في الامة الفاسدة الاخلاق يدعوها الى التربية كما ترى في أمتنا الآن إذن نحن في حاجة الى العلم بمعنى الزوجية وحقوقها والشروط التي تتم بها حقيقتها

حسبنا في بيان معنى الزوجية وسرها تلك الآية التي صدرنا بها هذا المقال وفي حقوقها بعض الآية الذي يليها . تفيد الآية أن أركان هذه الحياة ثلاثة أولها سكون كل من الزوجين الى الآخر فان المراد بالانفس في الآية الجنس والمراد بالازواج ما يعم الرجال والنساء . فالحكمة الاولى للزوجية أن يكون لكل من الزوجين وجود آخر من جنسه يسكن اليه من اضطرابه

ومثارات الاضطراب في هذه الحياة كثيرة وأنواع المتاعب فيها غير معدودة وما اخترع الناس أنواع الملاهي والعب الا ليقاوموها على أن العب شأن الاطفال لا شأن الرجال وان سكون الزوج الى زوجه وأنس الانسان بشقيق نفسه وروحه وشريكه في جميع شؤون حياته لما يذهب بكل اضطراب ويزيل كل وحشة اذا تحققت الزوجية بكمال معناها .

يقول المفسرون ان العلة في أنس كل من الزوجين بالآخر الجنسية كما يعطيه ظاهر اللفظ في قوله « وخلق منها زوجها ليسكن اليها » وهو صحيح عقلا وطبعا فقد خلق الله في كل من الزوجين الذكر والانثى جاذبا يجذبه الى الآخر لأجل ان يتحد به وقد يكون هذا الجذب والانجذاب في بعض أطوار العمر مهما لا يتصور صاحبه الغاية الفطرية من ذلك الاتحاد وهو أن ينشأ عنه وحدة أو وحدات أخرى من الجنس بل ولا مقدمة هذه الغاية أيضا . ولكن هذا التعليل لا يصدق على إطلاقه في الوجود الخارجي كما يعقل في الوجود الذهني لا مع كل زوجين ولا مع أكثر الازواج كما قيل فان الباحثين في حياة البيوت يقولون إنه قلما يوجد زوجان سعيدان كل واحد منهما مغبوط بالآخر راض به يسكن اليه من اضطرابه ويصفيه حبه ووده ظاهرا وباطنا على أن هذا هو غاية الكمال في سعادة الحياة الزوجية وأنى للاكثرين أو الاقلين بالكمال في هذه الحياة .

والصواب أن أكثر الازواج في البشر يسكن بعضهم الى بعض ويودونهم مهما كانت حالهم من فساد الفطرة وسوء الاخلاق والجهل بقيمة الطمأنينة والسكينة في الحياة ولكن لهؤلاء الأكثرين منغصات في حياتهم هذه لها أسباب تختلف باختلاف البلاد والامم وباختلاف الأفراد في التربية والعلم والاخلاق والافكار واستقصاء هذا لا يكون الا في كتاب مستقل يكون فيه باب للازواج في القبائل البدوية وفي البلاد التي تقرب حال أهلها من حال البدو في السذاجة وقلة الحاجة وتقارب النساء والرجال في الادب والمعرفة . وباب لاهل الحضارة العالية التي عم التعليم والتربية جميع أفرادها أو أكثرهم . وباب أوسع للبلاد المذبذبة التي بعدت عن سذاجة الفطرة . ولم تصل الى شيء من كمال العلم والصنعة ، كالبلاد الشرقية التي طاف بها طائف المدنية الغربية فزلزل أخلاقها وعاداتها وعقائدها وأفكارها الأولى ولم يبدلها بذلك الاخلاق الغربية وما يتبعها . فهذه البلاد أشقى بلاد الله تعالى وأبعدها عن سعادة الحياة الزوجية وما يتبعها فانك تجد أكثر الذين أصابهم هذا الزلزال في

حيرة من أمر الزواج قبل الاقدام عليه وبعد الوقوع فيه ، ونحن الى الدخول في هذا الباب أحوج لأننا في بلاد الزلزال ماشون ، ولأنه في الأكثر مخاطبون وكاتبون ، ونكتفي منه في هذا المقال ببيان طرق اختيار الزوج وما يكون من ورائه

اختيار الزوج : جرى العرف بأن يكون الرجل هو الذي يخير المرأة ويطلبها والاصل في الاختيار أن يكون للمصلحة وهي لا تتحقق الا بصحة الجسم والتناسب مع الرجل في الاخلاق والعادات والميل والرغبة والاتحاد أو التقارب في الصنف والطبقة لان النفس لا تسكن وترتاح لمن يباينها في صفاتها ويخالفها في عاداتها • ولكن الناس قلما يجرون على المصلحة الحقيقية في أعمالهم الاختيارية لان اللذة عندهم ليس لها حدود طبيعية يقفون عندها وانما تعرف الحدود بالشرع والعقل والشرع يؤخذ بالتعلم والاقتداء والعقل ينمو بالتجارب والاختبار لذلك تختلف الحدود في انظار الافراد وترى بعض الناس يبني اختياره على الهوى والميل الى الجمال ، وبعضهم يحكم المصلحة ويجعل مناطها الجاه والمال ، فالأصل في اختيار المرأة عند الأمم الجاهلة الفاسدة الاخلاق هو الحسن والجمال اتباعاً لهوى النفس المتقلب ، او الثروة والجاه إيثاراً للمصلحة الموهومة

أكثر ما يقع التخير بالحسن أو الاستحسان من طائفتين (أولاها) الشبان الاغرار الذين يتوهمون ان عاطفة الهوى لمن رأى احدهم فاستحسن وأحب تدوم فاذا هو اقترن بمن أحب كان له نشوة سرور دائمة فيعيش مغبوطاً ناعم البال قرير العين يرى الملك ملكه والزمان غلامه وهيهات ما يتوهم ولكن أنى له ان يفهم ذلك وهو محكوم بشعوره ووجدانه تعبث به الخواطر وتقوده الاماني التي يوليها عليه ذلك الشعور • ثم أنى له أن يعرف سيرة الناس الذين سبقوه في تحكيم الهوى واتباع لمحات العيون وطاعة هواجس النفوس فتزوجوا بمن استحسنوا وأحبوا ولم يلبث أن تحول الاستحسان استقباحاً، والحب العارض مقتاً وبغضاء

الحسن والجمال من الاعراض التي يسرع اليها الزوال ، ثم أن سلطانهما على القلب الواحد لا يدوم أو لا يطول الا اذا صار عشقاً خيالياً يختطف القلب من عالم الحس ، ويزج به في عالم الخيال ، وهذا الضرب من العشق لا يكون مع ملك الاستمتاع بالمحبوب ، على ان هوى الاغرار لا يتقيد بالحسن الرائع والجمال البارع ، بل هؤلاء الاغرار ليست تلك

العاطفة الرقيقة التي وجدتم ، عند إرسال الطرف الى الوجه الذي استملحتم ، هي أثرا طبيعيا لشيء ثابت في ذلك الوجه فتقولوا ان العلة تلازم المعلول بل هي شيء كامن في النفس يحركه ويهزه في أحد الصنفين رؤية الآخر في صورة تعجب وقد يضعف ذلك الشيء في وقت ما وقد تعل الصورة المحركة له او تمرض للعين صورة أخرى فتبطل حركتها وتنسخ آيتها . فالاعتماد في هناء العيش وسعادة الزوجية على الاستملاح والاستحسان الذي تحدثه النظرة العجلى اعتماد على ركن غير شديد .

والطائفة الثانية هي طائفة المترفين الذين لا هم لهم الا الاستمتاع والتنقل في الشهوات واللذات وهم أعرق في البهيمية من الطائفة الاولى لان الشاب الغر الذي يكتفي في اختيار الزوج بلمحة طرفه وخفقة قلبه دون الوقوف على أخلاق من أعجب بصورتها وخفق قلبه عند رؤيتها ولا على سيرتها وسيرة اهلها وعشيرتها ليعرف المنبت والنبات — قد يتفق أن تكون الفتاة التي اختارها مشاكلة له في طبعه قريبة منه في أخلاقه وعاداه فيعيش معها عيشة راضية وتسكن نفس كل منهما الى الآخر ويقيمان باقامة هذا الركن الاول ركني الزوجية الاخرين — المودة والرحمة — بحسب حالهما وطبقتهما في الأمة .

واما المترفون الذواقون من الامراء واهل الثراء ومن تسري اليهم سمومهم ممن دونهم فهم اشقى الناس في بيوتهم وما اشقى نساءهم بهم . ذلك ان احدهم لا يلبث ان يمل من تزوج بها لحسنها او يستهويه حسن آخر فيهوي اليه وهكذا يتبع مواقع الحسن الجديد ويوغل في المحرمات فلا يكون زوجا حقيقيا للاولى ولا لغيرها وانما هو شقي بشهوته ومشق لمن يتصل به فان المرأة عنده اما ان تفسد كفساده فتكون من الذواقات وما أسهل ذلك على ذات الجمال البارع التي قلما يسلم مثلها مع تطلع الفساق المترفين اليها وافتتانها هي بنفسها ، واما ان تعيش في نكد ، وتظل في كبد ، وكلا الامرين شقاء للبيوت وشقاء الأمة — فهذا اجمال يكشف للمتفكر عن وجه الخطأ في جعل استحسان الصورة والاعجاب بالجسم اصلا لتخير المرأة زوجا ، واما جعله اصلا لتخير المرأة للرجل فذلك مما لا حاجة الى بيان فساده وخطأ الذاهب اليه

يقول قائلون ان النظر رسول القلب ، وان الاستحسان علة الحب ، والحب هو علة ذلك السكون الذي هو ركن السعادة وسر حقيقة الزوجية فان لم يكن عينه فهو علة

له او أثر من آثاره فما بالك تطلق القول في تخطئة من يحكم استحسان الصورة وميل القلب في الاختيار كانك تؤيد عادة مسلمي المدن الذين يتزوجون غالبا على السماع ، غافلا عما يتبع هذه العادة من التنافر بين الزوجين لأول وهلة ، وما يبرز آن به من الخصام والجفوة :: وتقول انا قد بينا ان استحسان الصورة وميل القلب الى مايرضي العين مما لا بقاء له ولا ثبات لما يبنى عليه وانما البقاء والثبات للحب الذي علته تمازج الارواح ومشاكلة الطباع ولا ننكر مع هذا ان حسن الصورة وجمال الخلقة له اثر عظيم في نفوس عشاق المعاني ربما يفوق أثره في نفوس عشاق الصور ولكنه عندهم في الدرجة الثانية بل يقرب في ذوقهم من المحسنات العارضة كالثياب والحلي ، فان سليم الطبع لا تسكن نفسه الى دوام مباشرة رث الثياب وسخها ، ويأنف طبعه من الطعام الطيب في الاناء الخبيث ، وان من الناس من تشمئز نفسه وتنفر من بعض العيوب الخلقية فاذا هي فاجأته في وجه من اختير له زوجاً يلابسه ويمازجه حتى يجد معه اتم اتحاد يوشك ان تنكمش نفسه انكماشاً يتعذر معه الالتحام والالتئام لذلك كان من السنة في الاسلام ان لا يتزوج المرء الا بعد الرؤية وما جرى عليه المسلمون في اكثر المدن اوجميعها مخالف للفطرة والشريعة جميعاً ولكن حكم العادات اقوى سلطانا على نفوس الجماهير من كل حكم يخالفه ،

على ان من يطلب الازدواج لاقامة سنة الفطرة ، لا لمجرد ارضاء الشهوة ، ولا لاجل التنقل في معاهد اللذة ، فقلما يخون الوصف رغبته فيما يحب من حسن الصورة وجمال الخلقة ، ، ولعلنا لو احصينا عدد الازواج الذين مقتوا أزواجهم استقباحا لصورهن لما وجدنا فرقاً كبيراً بين من تزوج منهم عن رؤية ومن تزوج عن سماع فان للرؤية نظراً خادعا ليس معه للروية مجال ، والسماع يتثبت فيه ويتروى حتى يغني عن النظر في كثير من الاحوال ،

ويقولون في انتقاد ما عليه اكثر مسلمي المدن من التشدد في الحجاب ان الحاجة الى رؤية الرجل من يريد الاقتران بها للوقوف على طباعها واخلاقها وعاداتها اشد منها لمعرفة حسنها وجمالها ، بل لابد لمعرفة الاخلاق والطباع من المعاشرة زمنا طويلا :: ونقول ان هذا هو الذي يظهر بادي الرأي واما ما يظهر بعد التدقيق والتمحيص فهو

أنه يتعسر او يتعذر على الشاب ان يعرف حقيقة اخلاق الشابة وطباعها ورغائبها من المعاشرة بقصد الخطبة فان ما يتنازع الفتاة من ضروب الشعور والوجدان اذا كانت بمرأى من الفتى ومسمع يخرج بها عن حال الاعتدال الطبيعي الذي طبعت عليه فلا يكون الحكم عنها صحيحا لان حجابا طبيعيا اسدل على اخلاقها وسجاياها . ثم ان من وراء هذا الحجاب او من امامه حجابا آخر صناعيا وهو ما يكون من التكلف والتصنع لتكون أمام الفتى بالمظهر الذي تظن أنه يرضيه ويجذب قلبه . فالعمدة إذن في معرفة الآداب والاخلاق هي الوقوف على حال البيت والعشيرة وخبر الصادق الذي يحسن النقد ويميز بين ما يرغب فيه وما يرغب عنه . وقد يسهل على الخلطاء والجيران من العشائر ان يعرف فتياتهم اخلاق فتياتهم بالاختبار الصحيح اذا لم يكن هناك مقدمات ولا وسائل تشعر برغبة الخطيب في تزوج من يلاحظ أحوالها ويتنقد أعمالها وقلما يكون هذا في المدن الا بين الاقربين . وحدثني السيد عبد الرحمن الكواكبي (رحمه الله) ان أهل الاستانة اذا رضوا بالخاطب دعوه الى دارهم وجمعوا بينه وبين بنتهم في مجلسهم فيراها وتراه ويسمع كل حديث الآخر وتسأله عن آثاره الادبية والعلمية ثم يكون العقد بعد ذلك

وجملة القول ان الذين يعتمدون على مجرد استحسان الصور في تخير الازواج ضالون لا يرجى لهم أن يكونوا بيوتا (عائلات) تكون أعضاء حية عاملة لأمة عزيزة . وسيأتي بيان حال من يبني اختياره على طلب المال والثروة ثم من يبني اختياره على ما يجب ان يبنى عليه الاختيار وقد ذكر بعضه في هذه المقالة تمهيدا واستطرادا

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين لنا اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولمن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان عندنا سبب صحيح لاغفاله

﴿ التحكيم بين الزوجين في الشقاق ﴾

(س ٦) الشيخ محمد نجيب التوتاري المدرس بالمدرسة التوتارية (روسيا) :

أعرض على حضرتكم مسئلة كثرت البلوى بها في ديارنا مستفتيا من شريف علمكم مترقبا البيان الوافي بالمقصود في أحد أعداد المنار ليعم نفعه ويكثر أجركم وهي: هل يوجد طريق شرعي من الكتاب والسنة للتفريق بين الزوجين عند طلب الزوجة له وامتناع الزوج عنه مع وقوع الشقاق بينهما ؟ واني راجعت كتب الحنفية الموجودة في أيدينا فوجدت أن قول امامنا أبي حنيفة (رض) عدم التفريق وقول الامام محمد (رض) التفريق اذا وجد في الزوج عيب غير متحمل وتقع الفرقة بمجرد اختيار الزوجة كما ذكره في كتاب الآثار وأما الامام مالك وأحمد والشافعي في أحد قوليه (رض) فمذهبهم التفريق بسبب عيب الزوج اذا كانت الزوجة تطلبه كما هو المنقول في كتبنا فاتفاق الأئمة سوى الامام أبي حنيفة يقوي القول بالتفريق فيكون العمل به أولى وأحوط . ثم اني بعد ما نظرت في قوله تعالى « وان خفتم شقاق بينهما » الآية ظهر لي باعانة التفاسير أنه عند وقوع الشقاق (الشقاق هو الخلاف والعداوة على ما ذكروه) بين الزوجين ينصب القاضي الحكمين العدلين ويوليهما أمر الجمع والتفريق كما هو المروي عن علي (رض) فهذان الحكمان بعد ما يطلعان على أحوال الزوجين يجتهدان في الاصلاح بينهما باعادتهما الى المعاشرة بالمعروف ان مكن وان لم يمكن ذلك فان كان النشوز من طرف الزوج فحكم الزوج يفرق الزوجة نيابة عنه على سبيل التطليق وان كان النشوز من طرف الزوجة فحكم الزوجة يفرقها على سبيل الخلع فكلا الامرين أي الجمع بالمعروف أو التفريق بالمعروف ينبغي أن يكون مرادا من الاصلاح المذكور في الآية . وأما الابقاء على حال الشقاق فليس هو من الاصلاح في شيء ، بل هو داخل في ضمن قوله تعالى « فتذروها كالمعلقة » الآية ومناف لقوله تعالى « وعاشروهن بالمعروف » الآية وقوله « فامسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا » الآية والحاصل أن الاصلاح انما هو لدفع الشقاق ولا يتصور ذلك الا بأحد الامرين أي بالجمع بالمعروف أو التفريق بالمعروف . ففي الآية دلالة على كلا الامرين أي على ثبوت حق الجمع والتفريق للحكمين لتضمن معنى الاصلاح ذلك . هذا ما ظهر لي من تأمل الآية الكريمة ولا أدري أصواب أم خطأ . والمأمول من الاستاذ ايضاح هذه المسئلة وتطبيقها على الكتاب والسنة خدمة للدين والملة حتى يظهر الصواب في هذه المسئلة ولكم الاجر والمنة

(ج) أن الآية الكريمة صريحة في وجوب التحكيم بين الزوجين ان خيف شقاق بينهما لانه يجب ان يكونا شقيقين لا متشاقين ينضوي كل منهما الى شق (جانب) غير الشق الذي فيه الآخر، ولا يجيز الاسلام للمسلمين أن يدعوهما يستبد أقواهما بأضعفهما والخطاب في الآية للحكام في قول وللمؤمنين في قول والقرآن يخاطب المؤمنين عامة في الامور العامة لأنهم المسيطرون على الحكام ولأن الحكم شورى بينهم فاذا قصر أميرهم في تنفيذ الشرع ألزموه به أو عزلوه وولوا غيره فالقولان متلازمان، ويجب على كل من الزوجين قبول ما يحكم به الحكمان فمن أبى الخضوع ألزمه الحاكم المؤيد بجماعة المسلمين بقبول تنفيذ الشرع

وقد أخرج الشافعي في الأم والبيهقي في السنن وغيرهما عن عبيدة السلماني قال جاء رجل وامرأة الى علي كرم الله تعالى وجهه ومع كل واحد منهما فئام من الناس فأمرهم أن يبعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ثم قال للحكمين: تدريان ما عليكما؟ عليكما إن رأيتما أن تجمعا أن تجمعا وان رأيتما ان تفرقا ان تفرقا: قالت المرأة رضيت بكتاب الله تعالى بما عليّ فيه ولي وقال الرجل أما الفرقة فلا فقال علي رضي الله عنه كذبت والله حتى تقر بمثل الذي أقرت به: وأخرج ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال في هذه الآية: هذا في الرجل والمرأة إذا تفاسد الذي بينهما أمر الله تعالى ان يبعثوا رجلا صالحاً من اهل الرجل ورجلا مثله من اهل المرأة فينظران أيهما المسيء فان كان الرجل هو المسيء حجبوا عنه امرأته وقسروه على النفقة وإن كانت المرأة هي المسيئة قسروها على زوجها ومنعوها النفقة فان اجتمع أمرهما على ان يفرقا أو يجمعا فأمرهما جائز فان رأيا أن يجمعا فرضي أحد الزوجين وكره ذلك الآخر ثم مات أحدهما فان الذي رضي يرث الذي كره ولا يرث الكاره الراضي: وليس في قول ابن عباس (رض) شيء لايفهم من الآية الا مسألة الإرث بعد التفريق ويقول الاصوليون والمحدثون في مثل ذلك انه شيء لامجال للرأي فيه فله حكم المرفوع الى النبي صلى الله عليه وسلم.

وما قاله بعض الحنفية من ان نفوذ حكمهما يتوقف على رضى الزوجين بالتحكيم أخذاً من قول علي للرجل: كذبت الخ غير وجيه لان معناه الإلزام بالاقرار

وبكونه لا يصدق في الاتباع حتى يخضع له وهذا لا ينافي إلزامه به كرهاً أن لم يرض طوعاً

قال في فتح البيان في مقاصد القرآن عند تفسير «إن يريدا اصلاحاً»: أي على الحكمين ان يسعيا في اصلاح ذات البين جهدهما فان قدرا على ذلك عملا عليه وان أعياهما اصلاح حالها ورأيا التفريق بينهما جاز لهما ذلك من دون امر من الحاكم في البلد ولا توكيل بالفرقة من الزوجين وبه قال مالك والاوزاعي واسحق وهو مروي عن عثمان وعلي وابن عباس والشعبي والنخعي والشافعي وحكاه ابن كثير عن الجمهور قالوا لان الله تعالى قال «فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها» وهذا نص من الله سبحانه انهما قاضيان لا وكيلان ولا شاهدان «وقال الكوفيون وعطاء وابن زيد والحكم وهو احد قولي الشافعي ان التفريق هو الى الامام او الحاكم في البلد لا اليهما مالم يوكلهما الزوجان او يأمرهما الامام او الحاكم لانهما رسولان شاهدان فليس اليهما التفريق: ويرشد الى هذا قوله «ان يريدا» اي الحكمان «اصلاحاً يوفق الله بينهما» لاقتصاره على ذكر الاصلاح دون التفريق: اه

وانت ترى ان القول الاول هو المتبادر ويزيده قوة انه مروي عن اعلم الصحابة ولم يرو ان غيرهم منهم خالفهم فيه واما الاكتفاء في الآية بذكر الاصلاح فلانه هو المطلوب الذي ينبغي الحرص عليه وعدم المصير الى غيره الا للضرورة والتفريق يؤخذ من المفهوم ولولا ذلك لم يقل به الصحابة والتابعون «على ان الساعي في الاصلاح لاحكم له فيسمى حكما» وقد كان المسلمون في الصدر الاول يعملون بهذه الآية على احد الوجهين في تفسيرها وقد تركوها في هذه الازمنة التي انفصمت فيها عروة الدين «ونسخ الحكام المقلدون اكثر احكام الكتاب المبين» واهمل الناس العناية بأمر اخوانهم المسلمين «ومن قدر على احياء هذه السنة كان له اجر المصلحين»

﴿ الارض - دليل حركتها من القرآن ﴾

(س ٧) ومنه: ثم أيها الاستاذ قد اوردتم في بعض اعداد المنار قوله تعالى «يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا» دليلا على دوران الارض ولكن لم يظهر لي وجه الاستدلال في ذلك وراجعت التفاسير ولم اجد ما يشفي الغلة فأرجو من فضلكم ايضاح ذلك أيضا في احد الاجزاء «وقد أورد الاستاذ العلامة المرحوم شهاب الدين المرجاني

الفراهي (رح) دليلا على حركة الارض قوله تعالى « وترى الجبال تحسبها جامدة » الآية وفصل ذلك وبسطه حتى لو نظر المتأمل في ذلك يظهر له ان الآية واضحة الدلالة على المدعى. ذكر ذلك في كتابه (وفية الاسلاف) والحاصل انه حمل المرور المذكور في الآية على المرور في الحال ولكن سائر المفسرين حملوه على المرور الاخروي على ماهو الظاهر من سوق الآية وفي آيات أخرى أيضا سير ان الجبال سيق لبيان السير الاخروي والمرجو من الاستاذ افادة ماهو الصواب فيه ايضا .

وقد ارسلت لكم مع هذا مقالة المرحاني في ذلك نقلا عن كتابه (وفية الاسلاف وتحية الاخلاف) وهو كتاب كبير في التاريخ ثمان مجلدات ضخام لم يطبع منها الا مقدمته وله تصانيف اخرى نافعة معمول بها في بلادنا وكان رحمه الله سنيا خالصا على مذهب السلف يتمسك بالكتاب والسنة في الاصول والفروع وهذه عبارته :

« ويدل على حركة الارض قوله تعالى « وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء انه خبير بما تفعلون » فانه خطاب لجناب الرسالة وإيذان الامر له بالاصالة مع اشتراك غيره في هذه الرؤية وحسبان جمود الجبال وثباتها على مكانها مع كونها متحركة في الواقع بحركة الارض ودوام مرورها مر السحاب في سرعة السير والحركة وقوله « صنع الله » من المصادر المؤكدة لنفسها وهو مضمون الجملة السابقة يعني ان هذا المرور هو صنع الله كقوله تعالى : وعد الله وصبغة الله : ثم الصنع هو عمل الانسان بعد تدرب فيه وترو وتحري اجادة ولا يسمى كل عمل صناعة ولا كل عامل صانعا حتى يتمكن فيه ويتدرب وينسب اليه وقوله « الذي أتقن كل شيء » كالبرهان على اتقانه والدليل على إحكام خلقته وتسوية مروره على ماينبغي لان اتقان كل شيء يتناول اتقانه فهو تنبيه للمراد وتكرير له كقوله تعالى « ومن كفر فان الله غني عن العالمين » وقد اشتملت هذه الآية على وجوه من التأكيد وأنحاء المبالغة ومن ذلك تعبيره بالصنع الذي هو الفعل الجميل المتقن المشتمل على الحكمة واضافته اليه تعالى تعظيما له وتحقيقا لاتقانه وحسن أعماله ثم توصيفه سبحانه باتقان كل شيء ومن جملته هذا المرور ثم ايراده بالجملة الكلامية الدالة على دوام هذه الحالة واستمرارها مدى الدهور ثم التقييد بالحال لتدل على أنها لاتنفك عنها دائما فان قوله

تعالى « وهي تمر » حال عن المفعول به وهو الجبال، ومعمول لفعله الذي هو رؤيتها على تلك الحال، وعن هذا استدلوا على قصر عدد الحل الزائد على أصل الحل بوقوع قوله تعالى « مثنى وثلث ورباع » حالا من الفعل وعلى اشتراط اذن الامام في الجمعة لقوله عليه السلام « من تركها وله امام عادل أو جائر فلا جمع الله شمله » وغير ذلك فهذه الآية صريحة في دلالتها على حركة الارض وصيرورة الجبال معها في هذه النشأة وليس يمكن حملها على أن ذلك يقع في النشأة الآخرة أو عند قيام الساعة وفساد العالم وخروجه عن معاهد النظام وان حسبانها جامدة احساسها العدم تبين حركة كبار الاجرام اذا كانت في سمت واحد فان ذلك لا يلائم المقصود من التهويل على ذلك التقدير على أن ذلك نقض واهدام، وليس من صنع واحكام، والعجب من حذاق العلماء المفسرين عدم تعرضهم لهذا المعنى مع ظهوره واشتمال الكتب الحكمية على قول بعض القدماء به مع أنه أولى وأحق من تنزيل محتملات كتاب الله على القصص الواهية الاسرائيلية على ما شحنوا بها كتبهم وليس هذا بخارج من قدرة الله تعالى ولا بعيد عن حكمته ولا القول به بمصادم للشريعة والعقيدة الحقة بعد ان تعتقد ان كل ذلك حادث بقدرة الله تعالى وارادته وخلقه بالاختيار كائنا ما كان وهو العلي الكبير وعلى ما يشاء قدير

«واعلم ان هذه الآية وما قبلها من قوله تعالى « ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا ان في ذلك لآيات يؤمنون » اعتراض في تضاعيف ما ساقه من الايات الدالة على أحوال الحشر وأهوال القيمة كاعتراض توصية الانسان بوالديه في تضاعيف قصة لقمان ومثل ذلك ليس بعزيز في القرآن وفائدته هنا التنبيه على سرعة تقضي الآجال ونصر الاماد والتهويل من هجوم ساعة الموت وقرب ورود الوقت المعاد فان انقضاء الازمان وتقضي الاوان انما هو بالحركة اليومية المارة على هذه السرعة المنطبقة على أحوال الانسان وهذا المرور وان لم يكن مبصرا محسوسا لكن ما ينبعث منه من تبدل الاحوال بما يطرؤه من تعاقب الليل والنهار وغيره بمنزلة المحسوس المبصر « فاعتبروا يا أولي الابصار » فيكون هذا معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم مخصوصة به إذ لم يخبر به قبله غيره من الانبياء وليس يمكن حمل الآية على تسيير الجبال الواقع عند قيام الساعة ووفاء النشأة الآخرة اذ هو ليس من الصنع في شيء بل افساد أحوال الكائنات واخلال نظام

عالم واهلاك بني آدم » اه وذكرناه بنصه ولعله لا يسلم من تحريف

(ج) قوله تعالى «يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا» ليس نصا قطعيا في حركة الارض
لكنه يدل على أن الليل الذي هو ظل الارض يسير مسرعا وراء النهار الذي هو نور
الشمس الواقع على الارض حتى كأنه يطلبه بإرادة واختيار ولا يخفى ان النظر الى تعاقب
الليل والنهار يجيز لنا ان نقول ان كل واحد منهما يغشي الاخر ويتبعه أو يطلبه ولكن
في الليل هو الغاشي كما يؤيده قوله تعالى «والليل اذا يغشى» يشعر بأن هذه الحركة
يدور فيها الليل وراء النهار والنهار وراء الليل هي للأرض وذلك ان العقل جازم
في ذلك لا بد أن يكون بسبب دوران الأرض تحت الشمس أو دوران الشمس وما يتبعها
من الكواكب حول الأرض في هذا المدار الواسع الذي يبلغ نصف قطره بالنسبة الى الشمس
اذا اعتبرنا الارض مركزا نحو ٥٢ مليونا من الاميال. وذكرنا أن مختار باشا الغازي
وهو من أكبر علماء الفلك يقول ان الآية تدل على دوران الارض قطعا وذلك أنه يجب
حملها على أحد الوجهين المشار اليهما وأحدهما ممنوع بالادلة الرياضية وهو كون الشمس
تدور في هذا الفلك الواسع حول الارض ويتبع ذلك ان كواكبها كذلك تدور
حول الارض ومنها ما هو أبعد منها عن الارض كثيرا فتعين الوجه الثاني وهو الذي قامت
عليه الدلائل الرياضية على أنه أقرب الى العقل والتصور

وأما قوله تعالى «وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب» الآية فقد استدل
بها المعاصرون على حركة الارض وقد قرع هذا الاستدلال سمعي في المدرسة أيام التحصيل
ولم يحسن أحد في توجيهه إحسان عالمكم القزاني رحمه الله تعالى فان جوابه عن ورود الآية
في سياق الكلام عن قيام الساعة وأهوال الآخرة بأنه يصح ان يكون مرادا به البرهان بقياس
النظير في العمران على النظير في الخراب جواب وجيه وما دعم قوله به من بيان معنى الصنع
والاتقان، قد أحسن فيه الصنع كل الاحسان، لولا أنهم أجابوا عنه بأن الله تعالى أحسن الصنع
واتقنه في تخريب العالم وتبديله، كما أحسنه في انشائه وتكوينه، فلكل وجه وليست الآية نصا في
أحدهما ويؤيد قول الجمهور آيات ذكر فيها تسيير الجبال في معرض الكلام على الساعة. ولسنا
في حاجة الى نصوص قاطعة تصف الاكوان بكل أوصافها، وتبين حقائقها وماهيتها، فحسبنا
أن الله تعالى أرشدنا الى البحث وأمرنا بالنظر لنصل الى ما يمكن الوصول اليه مستدلين به على

علمه وحكمته وشمول قدرته سبحانه فالكتاب مرشد والبحث موصل وقد تركنا هذا النظر وصارفينا من يحرمه باسم الدين، وان ترك الدين بمخالفة كتابه المبين،

شهادة غير المسلم وخبره

(س ٨) ومنه: هل تقبل شهادة غير المسلم كالنصراني أو اليهودي في بعض الامور أم لا تقبل أصلا وشهد طبيب نصراني بأن الزوج ضرب زوجته ضربا شديدا أو المرض حصل بسبب ذلك. هكذا كتب الطبيب فهل يقبل قول هذا الطبيب ؟ وهل هذا القول شهادة أم خبر؟ وما الفرق بين الشهادة والخبر؟ أم هذا القول في حكم الكتاب فيعمل به من حيث هو كتاب ؟ هذا ما كنا نرجو شرحه من حضرتكم دام فضلكم وعم نفعكم وعلى الله أجركم

(ج) تقبل شهادة غير المسلم في بعض الامور وفي ذلك نزل قوله تعالى «يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم او آخران من غيركم » وهي في سورة المائدة التي لا نسخ فيها فقد اخرج احمد من حديث جبير بن نفير عن عائشة قال دخلت على عائشة فقالت هل تقرأ سورة المائدة قلت نعم قالت فانها آخر سورة انزلت فما وجدتم فيها من حلال فأحلوه وما وجدتم فيها من حرام فحرموه. وروى البخاري في التاريخ وابو داود والترمذي وغيرهم من حديث ابن عباس قال خرج رجل من بني سهم مع تميم الداري وعدي بن بداء (١) فمات السهمي بأرض ليس بها مسلم فلما قدموا بتركته فقدوا جاما من فضة مخوصا (٢) بذهب فاحلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم وجد الجام بمكة فقالوا ابتعناه من تميم وعدي ابن بداء فقام رجلان من اوليائه فحلفا لشهادتنا احق من شهادتهما وان الجام لصاحبهما قال فيهم نزلت هذه الآية «يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم». وروى ابو داود والدارقطني بسند قال الحافظ ابن حجر رجاله ثقات عن الشعبي إن رجلا من المسلمين حضرته الوفاة بدقوقا (٣) ولم يجد احدا من المسلمين يشهده على

(١) الرجل السهمي اسمه بزيل (كزبير) لا بديل بالدال او الراء كما قيل وتميم وعدي كانا نصرانيين وقد سرقا الجام من متاع الرجل ولم يعلما انه كتب ورقة بجميع ما اودعهما (٢) المخوص بتشديد الواو المنقوش بما يشبه الخوص وهو عما يعني به الآن في علب الفضة وآنيتها وما يوضع في رؤوس العصي منها (٣) هي بفتح الدال وضم القاف وسكون الواو والقصر بلد بين بغداد واربة

وصيته فأشهد رجلين من اهل الكتاب فقدما الكوفة فأتيا الاشعري يعني اباموسى فأخبراه وقدما بتركته ووصيته فقال الاشعري هذاامر لم يكن بعد الذي كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحلفهما بعد العصر ماخانا ولا كذبا ولا بدلا ولا كتما ولا غيرا وانها لوصية الرجل وتركته فأمضى شهادتهما :

ظاهر الآية والاحاديث مشروعية اشهاد غير المسلم وخصه من قال به من العلماء بالسفر وعدم وجود مسلمين ولا اعلم ان احدا قال بالاطلاق او بقياس غير السفر عليه عند الحاجة ، وعظم على بعضهم جواز اشهاد غير المسلم وحاولوا التفصي منه فزعم بعضهم ان الآية يحتمل ان تكون منسوخة ورد بأن سورتها آخر القرآن نزولا وورد انه لا منسوخ فيها على ان النسخ لا يثبت بالاحتمال ، وزعم بعض ان قوله تعالى « او آخران من غيركم » معناه من غير اقاربكم ورد بأن الخطاب في الآية للمؤمنين فغيرهم من ليس على دينهم ، وقال بعض العلماء ان هذه الآية في غاية الاشكال ، واحتج من لم يجز إشهاد غير المسلم ولم يقبل شهادته عليه بقوله تعالى « وأشهدوا ذوي عدل منكم » قالوا والكافر لا يكون عدلا : وقال الرازي في تفسيره « أجاب الاولون عنه لم لا يجوز ان يكون المراد بالعدل من كان عدلا في الاحتراز عن الكذب لا من كان عدلا في الدين والاعتقاد والدليل عليه انا أجمعنا على قبول شهادة أهل الاهواء والبدع مع أنهم ليسوا عدولا في مذاهبهم ولكنهم لما كانوا عدولا في الاحتراز عن الكذب قبلنا شهادتهم فكذا هنا ، سلمنا ان الكافر ليس بعدل الا ان قوله « وأشهدوا ذوي عدل منكم » عام وقوله في هذه الآية « اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم إن أنتم ضربتم في الارض » خاص فانه أوجب شهادة العدل الذي يكون مناقيا لحضروا كتفي بشهادة من لا يكون منا في السفر فهذه الآية خاصة والآية التي ذكرتموها عامة والخاص مقدم على العام لاسيما اذا كان الخاص متأخراً في النزول ولا شك أن سورة المائدة متأخرة فكان تقديم هذه الآية الخاصة على الآية العامة التي ذكرتموها واجبا بالاتفاق والله أعلم » اه

ولاشك ان المراد بعدل الشهود ماذكره أولا ومن عجيب أمر الجمود على المذهب والتعصب للتقليد أنه يجري صاحبه على سوء الادب مع الله تعالى ومن ذلك قول

بعضهم ان الآية تخالف القياس والاصول واي اصل لدين الاسلام غير القرآن فيحتمل عليه أو يرجع اليه . قال في نيل الاوطار : « وأما اعتلال من اعتل في ردها بأن الآية تخالف القياس والأصول لما فيها من قبول شهادة الكافر . . . . . فقد أجاب عنها من قال به بأنه حكم بنفسه مستغن عن نظيره وقد قبلت شهادة الكافر في بعض المواضع كما في الطب » الخ

أما قبول قول الطبيب الكافر فقد قال به بعضهم على اطلاقه وقيده بعض الفقهاء في المرض المبيح للتيمم أو الفطر في رمضان بما اذا صدقه المريض أي يعمل بقوله اذا لم تقم قرينة او شبهة على انه كاذب . وكذلك الطبيب المسلم اذا قامت القرينة على كذبه لا يعمل بقوله

ثم ان من العلماء من يقول ان البينة هي كل ما يتبين به المطلوب حتى يعلم الحاكم مثلا ان الذي حصل هو كذا وقد أطال ابن القيم بيان هذا في كتابه (اعلام الموقعين) واحتج عليه بالكتاب والسنة . وعليه يقال اذا كان بعض الكافرين المعروفين بالصدق شهدوا في قضية شهادة تؤيدها القرائن بحيث يطمئن قلب القاضي وغيره بصحتها وافرض ان من جملة هذه القرائن انها ربما مستهم بضرر وان كتمانها ربما جر اليهم منفعة فان هذه الشهادة تعتبر على ما ذهب اليه ابن القيم بينة شرعية . على ان مذهب اصحابه الحنابلة تخصيص شهادة الكافر بمسألة الوصية كما ورد وبكون الشاهدين من أهل الكتاب ولو غير ذميين

وأما الفرق بين الشهادة والخبر فالاصل في الشهادة ان تكون اخبارا عن مشاهدة ورؤية ثم انها تطلق على التحمل وعلى الأداء قال في كشاف اصطلاحات الفنون : « الشهادة بالفتح والهاء المخففة لغة خبر قاطع كما في القاموس وشرعاً إخبار بحق للغير على آخر عن يقين وذلك المخبر يسمى شاهداً » وقال في الكلام على هذه القيود : « وقولنا عن يقين يخرج الاخبار الذي هو عن حسبان وتخمين » وكان ينبغي ان يقول الذي قد يكون عن حسبان وتخمين ثم زاد قيداً آخر عن فتح القدير وهو « في مجلس الحكم » .



رأي عالم أزهري في العلماء — تابع لما قبله

وقال في فصل عنوانه حال العلماء اليوم ما نصه بحرفه ورسمه :

« ماذا أقول في هـذا الباب وماذا ينبغي ان أقول فيه والمقام حرج والحاجة الى الابانة شديدة . أأخشى سطوة الرؤساء وقيامة العلماء فأكتب من صحائف الاطراء ما تمزقه يد الشهود أم تأخذني العزة بالاثم فلا أرضى أن أنسب لنفسي ولا لابناء جنسي ما حطنا وحقرنا في هذا الوجود أم أسكت وأغالط شعوري واقول إني واحد من كثير . أو اعلل نفسي بالقضاء والتقدير »

ربي أنت أعلم بحيرتي ودهشتي فانشلني من أحوال هذا الترديد ، وألهمني القول الرشيد ووفقني لما فيه الخير لي ولاهل ملتي يارب العالمين

تالله ان من أهم مايستلفت الانظار حال علمائنا اليوم وفائدة الامة منهم فهم بحسب أصل الوضع المرجع الاعلى في اصلاح شؤون الامم الاسلامية وغرس الملكات الدينية في قلوب المسلمين ونشر العلم بينهم ودلالتهم على ما ينبغي أن يكونوا عليه في أمري الدنيا والآخرة وايقافهم على قبح القبيح وحسن الحسن من الاخلاق والعادات والاقوال والافعال اذ هذا هو المقصد من افراد طائفة بالاشتغال بالعلم وتشييد دور واسعة لهم

ولكن المطلع على حالنا اليوم لايدري هل المقصود من الاشتغال بالعلم الديني هو هذا . أو المقصود أن يحوز الانسان مرتباً يقوم بضروريات معاشه فيكون العلم الديني من الحرف يقصد للتعيش أو المقصود أن يحوز شرفاً وجاهاً وصفة بين الناس لايحوزها إلا من يأدي الامتحان فيقال زكي نجيب حاز قصب السبق الى غير ذلك من العبارات أو المقصود تكميل الفرق وتتميم الطوائف حتى لايكون المجتمع الاسلامي خالياً من فرقة تسمى (العلماء) تتميماً للنظام وان لم تنفع هـذا المجتمع بشيء يذكر . أو المقصود المحافظة على التقاليد الاولى والاحوال القديمة ولو بغير معنى . أو المقصود وجود فرقة تمثل تلك الفرقة العالية التي أقامت هيكل العلم الاسلامي وشيدت له بيتاً من العز في العصور الاولى كما يكون في تشخيص رواية مثلا

ولا يعرف ايضا هل المقصود من العلم أن يعرفه الانسان وان كان لا يلاحظه في خلقه وعاداته وعمله او لابد أن يظهر أثر علمه في شخصه قبل غيره وهل الغرض أن يحصر

العلم بين جدران المدارس الدينية . اوالغرض ان تكون المدارس كالشمس تبعث منها الانوار في جميع أرجاء العالم ويكون لها أثر في ترقي الامم الاسلامية مثل تأثير الشمس في انماء الزروع وانضاج الثمار واصلاح هذا الكون

على أني لا أريد أن أفيض في بيان حال علمائنا وما هم عليه فـذلك شيء مؤلم وحسبي منه ما يعلمه الناس وما مست الحاجة لإبانته في سابق هذا الكتاب ولاحقه ولكني أذكر من ذلك أمراً واحداً مهما هو علة العلل في كل الاحوال . الا وانه مبدأ العلماء اليوم ومشربهم فأقول : ينقسم علماؤنا في مبدائهم الى قسمين — آخذين بالعادة ، وآخذين بالفكر — فأما الآخذون بالعادة فهم جمهور العلماء لا يميلون الا لما وجدوا عليــه من قبلهم معتقدين أن الكمال فيه سواء في ذلك علومهم ومعتقداتهم والكتب التي يدرسونها وطريقة التدريس والامور الشخصية وسائر الاحوال . والاكابر منهم أهل الكمال هم الممتازون بالصلاح والتقوى والنظر الى الآخرة أو بالتدقيق في المباحث اللفظية والمعاني الخيالية ولــكن مع الجهـل بالشؤون العامة وأكثر العلوم الضرورية والاحوال العمومية ومع التلبس بكثير من المعتقدات الخرافية والاوهام العامية ومع الجمود والوقوف عند حد من الفكر والتعقل أدنى مما ينبغي ومع الاقتصار من العلم على ما لا يكفي ومع عدم النظر الى نشر العلم أو تقريبه من الفهم وعدم السعي فيما يصلح العامة وما يعود على الامــة بالترقي في أمري الدنيا والآخرة ومع عـدم الجراءة في شيء مما تنبغي الجراءة فيه ومع عدم الاهتمام بحال المسلمين ولا بمـا يطرأ اليوم على الاسلام من أوجه الطعن وعدم الاكتراث باقناع المعترضين ورد المجادلين بل يكتفون من العلم بتدقيق في الالفاظ وتحقيق لبعض المعاني على ضرب خاص لا يفيد الا بعد زمن مديد وجهد شديد

وأما الآخذون بالفكر فهم حديثو العهد ولم يزالوا قليلين جداً وهؤلاء يرون أن ما عليه الاولون غيـر صواب وينتقدون عليهم في علومهم وأخلاقهم وصـلاحهم وسائر أحوالهم ويرون الكمال في أن يكون الانسان قوي الفكر شديد المعارضة صحيح النظر في الشؤون العامة ويعلم من علوم الكون ما يمكنه أن يرقي به الامــة ويوقفها في صفوف الامم الحية ويخرجها من الاوهام وأسر الجهالة ويتغالون في ذلك

الا انهم مع هذا يثقون بأفكارهم ويستبدون بها ويحكمونها فيما لا ينبغي أن تحكم فيه ويكرهون كل قديم مما عليه الجمهور مع عدم اعطاء تربية الملكة الدينية وما يتعلق بأمر الآخرة من العناية مثل الذي أعطوه للامور المتقدمة بل مع اغفال ما يقرب الانسان من الملاء الاعلى ويظهر عليه آثار العبودية

والذي أراه نقص المبدأين وعدم كمال الفريقين وان كلا منهما يبتعد عن الغاية التي ينبغي أن يصل اليها أهل العلم بقدر ما يقترب الآخر منها وان أجزاء الكمال الواجب للعلماء موزعة عليهم لامجموعة وان كلا مصيب في شيء مخطئ في آخر . فان التمسك بالعادة قبيح كما ان الثقة بالفكر توقع الانسان في الخطاء من حيث لا يشعر بل المبداء الصحيح الذي ينبغي أن يسلكه أهل العقول الراجحة هو كما أقول (لاتقدس العادة ولا تثق بفكرك) بل تأمل وتدبر فعسى أن يكون ما عليه الناس حقا خفي عليك وعسى أن يكون ما رأيته صواباً غفل عنه الناس . وما يتمسك به الاولون من الصلاح والتقوى والانكسار والاقبال على أمر الاخرة والتحقق بالعبودية حسن ولكن في موضعه وعلى وجه لايأدي الى الاقتصار عليه وعدم القيام بالشؤون الواجبة على العالم من حيث هو عالم يلزمه أن يكون ذا نظر وسعة اطلاع والمام باخلاق الناس وأحوالهم وحسن بيان وعلم بما يلزم من علوم الا كوان ليمكنه ان يقوم بالواجب عليه للناس حق القيام ويكون لقومه شمساً مضيئة ولإعلاء كلمة الحق وقيام الناس على طريق الهدى سيفا ماضياً ومناراً عالياً فهذا واجب وهذا لازم وهذا وقت ولذاك وقت آخر . فالعالم اذا جن عليه الليل ذل وخشع وانكمش وانخلع عن هذا الكون الناقص وأقبل على الحق واقترب من ملكوت الله يسجد ويركع ويسبح ويقدس ويمجد الحق ويناجيه بما شاء حتى تتورم قدماه ويحل جسمه واذا أصبح أصبح شهماً جريئاً في موضع الجراءة والشهامة يعظ ويرشد ويعلم ويقول الحق ويهدي الى سواء السبيل يساير هذا ويجالس الى ذاك . ان استعمل الشدة في موضعها فمن غير عنف وان استعمل اللين فغير ضعف لاتفوته شاردة ولا واردة مما يرى فيه صلاح الامة في أمر دنياها وآخرتها فلقد قال الحق في اصحاب رسول الله (أشداء على الكفار رحماء بينهم) وقد كانوا اذا رآهم راء في النهار ظنهم من قطاع الطريق يشنون الغارة

هنا ويعارضون عير قريش هنا وهكذا لا تأخذهم رأفة في دين الله فاذا اقبل الليل كان لهم ازيز كازيز النحل (*) يذكرون الله تعالى ويسبحونه آناء الليل وأطراف النهار لا يفترون

وما يغلب على القسم الثاني من القيام باصلاح الامة وارشادها الى طريق سدادها وعدم إغفال الفكر مع الميل الى الترقي في العلوم والمعارف والاخلاق الخ حسن . ولكن على وجه لا يغفل معه قوام الدين واساسه وهو ايجاد الروح الدينية العالية والتقرب من الملأ الاعلى وتعمير القلوب بالانوار الالهية والمعارف الوجدانية التي هي غاية الكمال لمرتبة الانسان والتي تقرب من الحق جل وعلاه وأنت تجد اكثر القرآن انما جاء ليدعو الناس الى سعادة وراء هذه السعادة الدنيوية وكمال فوق هذا الكمال الظاهر

هذا ولا بأس ان استعين بالمقارنة والتمثيل بالأئمة الحائزين لخصال الكمال والمشهورين بأنواعها واقول ان العالم لابد ان يكون في جراءة وعقل وفكر وحسن بيان مثل فضيلة الاستاذ الشيخ محمد عبده وفي تواضع وخشوع وصلاح فضيلة الاستاذ الشيخ الشربيني

بل اقول ان العالم الكامل لابد ان يكون في اقدام عمرو وحلم الاحنف وذكاء اياس وتقوى ووجدان الجنيد وبلاغة سحبان وعبد القاهر ونحو سيبويه وفلسفة ابن سينا وفقه ابي حنيفة الخ واقول ثالثاً ان العالم الكامل هو من يجمع من الكمال ما جمع الغزالي او يفوقه او يقرب منه واسأل الله الكريم ان يوجد بيننا علماء اقوياء كاملين يكون هذا حالهم وهكذا شأنهم انه سميع قريب مجيب اهـ بحروفه وغلطه وتحريفه

(المنار) هذا هو اعتقاد احد المدرسين في الازهر بعلماء الازهر الذين يقول بعض الناس ان حفظ الدين يتوقف على بقائهم على حالهم . وان حديث الناس في مثل ما كتب هذا الشيخ الازهري كثير ولكن لم يجرأ احد على كتابة ما يعتقد او يسمع وطبعه ونشره بين الناس ولهذا كان لكتابه تأثير عظيم عند خواص الناس ورجال المخلصون

(*) المنار : الدوي هو صوت النحل وكذا صوت الذباب والريح وأما الازيز فإنه صوت المرجل (القدر) عند الغليان ويقال ايضاً ازيز الرعد

فى حب الخير للتهم أن يكون هذا المؤلف عضدا عظيما للإصلاح ولكنه ماعتم ان زلزله رجاءهم بنبذة نشرها فى بعض الجرائد اليومية عنوانها (كتاب مفتوح) لأمير البلاد خالف فيها بعض رأيه فى كتاب العلم والعلماء وكتب فى بعض الجرائد ردّ عليه يشعر بأنه ما كتب هذا الكتاب المفتوح الا بتأثير لايقوى مثله على دفعه . وقد بلغنا ان من طلب منه كتابة الكتاب المفتوح هدده بمحو اسمه من دوان العلماء والمدرسين اذا هو لم يكتب فصدق القول لازالمهدد اتصالا بمن يظن فيهم القدرة على المحو والاثبات . ولو ثبت على رأيه لكان خيرا له ولو محي اسمه من المدرسين . على ان محوه لم يكن ميسورا لأولئك المهددين . وإننا نذكر أخانا المؤلف بأن المتقدمين مثله بحاجة الامة الى الاصلاح الديني والعلمي كثيرون ومنهم من هم أوسع نظرا وأبعد رأيا في طريق الاصلاح وانما يعوزهم العزم والثبات وعدم المبالاة بما يلاقون من المعارضة والصعوبات . فان استطاع ان يكون كذلك فليقدم ولا يخف فى الحق لومة لائم والا فليسكت ويكن خيرا له من ان يكون كبعض أصحاب الجرائد يسير يوما على صراط المصلحين . ويوما على طرق المعارضين .

آثار علمية أدبية

﴿ كليلة ودمنة ﴾

لهذا الكتاب من الشهرة مايغني عن التعريف به والتنويه بما فيه من الحكم الرائعة والآداب العالية في العبارة البليغة والاسلوب الرفيع . قلما يوجد كاتب مجيد في هذه اللغة لم يكن كتاب كليلة ودمنة من مادته وهو من الكتب التي عنيت نظارة المعارف في مصر بطبعها وأوجبت على تلامذة مدارسها مطالعته ليكون عونا لهم على تحصيل ملكة الانشاء والتحرير وليستفيدوا من آدابه وحكمه ماتفيدهم في انفسهم كما يفيدهم بعبارته في أقلامهم وألسنتهم . وقد طبع غير مرة فى مصر وبيروت وأوربا ولكن كل طبعاته عاطلة من حلي الصور التي وضعت في أصله لتمثيل مافيه من الحوادث والأمثال أو لأجل « زيادة الأنس للقلوب . وشدة الحرص من المكتوب » كما قال ابن المقفع مترجم الكتاب حتى عثر الشيخ أحمد طبارة محرر جريدة ثمرات الفنون في بيروت حتى على نسخة خطية من الكتاب مزينة بالصور

في مكتبة الشيخ جمال الدين القاسمي من علماء دمشق الشام كتب عليها ان نسخها قد تم في عاشر جمادى الأولى سنة ست وثمانين بعد الالف على يد أبي المنا بن نسيم النقاش ، وعدد الصور فيها ٨٦ فأخذ النسخة وكلف بعض مهرة الصناع الاوربيين بنقلها الى الزنك ليطبع عنها فجاءت كأصلها وطبع الكتاب بالصور واضعا كل صورة في مكانها من الأصل ، وقد عني بمقابلة هذه النسخة على النسخة المطبوعة في باريس سنة ١٨١٦م والنسخة المطبوعة في مصر سنة ١٢٩٧ ه والنسخ المطبوعة في بيروت قال « واخترت منها ما كان أقربها من الأصل وأبعدها عن التحريف والتبديل وأسلمها من الزيادة والنقصان » ولهذه الصور فائدة تاريخية لأنها تمثل لنا أزياء تلك العصور الذي وضع فيها الفيلسوف الهندي كتابه وشيئاً من عاداتهم وفائدة صناعية من حيث فن الرسم والتصوير ، والقارئ يرى ان هذه النسخة أحسن نسخ الكتاب وهي مشكولة ومضبوطة وثمن النسخة منها عشرة قروش صحيحة واجرة البريد قرشان وتطلب من إدارة المنار بمصر

﴿جواب أهل الايمان ، في تفاضل آي القرآن﴾

سئل شيخ الاسلام أبو العباس أحمد تقي الدين بن تيمية الشهير عما ورد في الحديث من أن سورة « قل هو الله أحد » تعدل ثلث القرآن وعما ورد في سور أخرى من التفضيل فأجاب بجواب مطول فيه فوائد كثيرة لا توجد في غيره وطبع في هذه الأيام فكان كتابا مؤلفا من ١٣٢ صفحة ومن مباحث الكتاب بيان معنى المعادلة والتفاضل في القرآن وما ورد في الفاتحة وأحكام المذاهب في قراءتها في الصلاة ، وبيان كون قصة موسى أعظم قصص الأنبياء في القرآن ، وبيان سبب عدم تكرير قصة يوسف وغير ذلك من الكلام في قصص الأنبياء ومنها مباحث في القرآن وكونه غير مخلوق وفي النسخ ومباحث في التوحيد والاعتقاد والتفسير ، وقد طبع على نفقة الشيخ عبد الرحمن زين الدار الحلبي فجزاه الله خيرا

(خطب الاعظمي)

قرظنا في الجزء الرابع والعشرين من المجلد السابع ماطبع من هذه الخطب وانتقدنا على الخطيب الشدة في التعبير في بعض المواضع لعلمنا بأنها تهيج عليه بعض الجامدين على ماهم عليه الزاعمين ان كتمان عيوب الامة والسكوت على ما وصلت من الانحطاط واجب لئلا يطلع الاجانب على نقصنا فيحتقرونا أولانه لا يصح ان نبين ان المسلمين الآن منحطون

عن الكافرين ولغير ذلك من الشبه الواهية ، وقد وقع ذلك من بعض أهل الجمود في الهند وأما الذين اطلعوا على نموذج الخطب في مصر فلم نسمع عنهم انتقادا لأنهم تعودوا على سماع وقراءة أمثال هذه الزواجر واني لا أدري أي القطرين أشد جمودا على الحالة السيئة التي وصل اليها المسلمون — القطر المصري أم القطر الهندي ولكنني أعلم ان في كل منهما أنصاراً كثيرين لمن ينادي بالاصلاح ويندد بالتقاليد والعادات الضارة في أمر الدين وأمر الدنيا مهما اغلظ وشدد ، ومن يقل منهم بوجوب الأناة القول فانما يريد الرفق بأهل الجمود لعلهم يجذبون الى الحق بسهولة ولا يريد أن الشدة في غير محلها أو غير نافعة ، واحسن القول عند طلاب الاصلاح ما كان تأليفاً بين المسلمين ، وهو اقبحه عند الجامدين ، كما ترى فيما يلي :

﴿ أهل السنة والشيعة ﴾

ان العلماء الراسخين من هاتين الطائفتين لا يقولون بأن مخالفهم في المذهب كافر خارج من الملة وأهل السنة يذكرون في كتب العقائد أنهم لا يكفرون أحدا من أهل القبلة وان أتى بشيء مما يعدونه كفرا متأولا فيه ، ولا شك أن الشيعة يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر ويشهدون أن لا إله الا الله وان محمدا رسول الله وأن كل ماجاء به من أمر الدين حق ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويصومون رمضان ويحجون البيت من استطاع منهم اليه سبيلا ومع هذا كله نجد من المتعصبين الذين يسمون أنفسهم أهل السنة والجماعة من يحكم بكفرهم وأهل السنة والجماعة أحرص على الجمع بين أهل القبلة منهم على التفريق ومن القواعد عند بعض فقهائهم — وحبذا هذه القاعدة — أنه اذا وجد مئة قول صحيح في تكفير مسلم بقول أو عمل او اعتقاد وقول واحد ضعيف بعدم تكفيره فالواجب ان يفتى بالقول الضعيف

لهذا نتعجب أشد التعجب مما بلغنا عن بعض المشايخ المتفقهين في الهند أنهم كفروا الشيخ عبد الحق الاعظمي لانه عبر في خطبة له عن الشيعة بقوله « اخواننا » وقد يوجد في مصر من يطلق هذه الكلمة على النصارى أو اليهود ولا يكفره أحد للعلم بأنه يعني بلفظ الاخوان اخوة الانسانية لا اخوة الدين ولا وجه لتكفيره الا اذا علم أنه يعتقد ان عقائد النصارى وعباداتهم هي عين عقائد الاسلام وأنها حق ومرضية عند

الله تعالى مثلا لانه بذلك يكون مكذبا القرآن وخارجا خروجا حقيقيا عما جاء به النبي من أصول الايمان ، وأما اذا أراد مجرد المجاملة كما يجاملوننا بمثل هذا اللفظ ولا يعنون به اننا على الحق من غير ملاحظة أمر الدين ولا أمر اخوة الانسانية فانه لا يحكم بكفره مادام يعتقد ان دينه هو الحق ولا ينكر شيئا من أصوله المجمع عليها المعلوم بالضرورة أنها منه

يظن هؤلاء الشيوخ الغافلون المغرورون بخضوع العوام لاقوالهم من غير دليل ولا برهان أن الاغلاظ على المخالف لمذاهبهم والغلو في عداوتهم من أسباب تأييد الاسلام وأهله وخذلان الكفر وحزبه والبدعة وفرقها والحق الذي لا مرية فيه هو ان الغلو في الخلاف والعنف في المقاومة هو الذي يغري كل ذي رأي او مذهب او دين بالتعصب فيه والجمود عليه والدفاع عنه من غير تأمل في كونه حقا او باطلا بل لمجرد مقاومة المخالفين وبذلك تكون الخسارة على صاحب الحق من المختلفين لانه لولا الغلظة والتعصب لنظر كل فريق فيما عند المخالف له نظر انصاف والانصاف اقوى اعوان الحق وانصاره ولو جرت القرون الاولى بالاسلام على طريق الغلظة والشدة في مقاومة المخالف ومجادلته لما انتشر في الخافقين ذلك الانتشار السريع

هؤلاء الشيوخ الغالون في التعصب على كل من يخالف آراءهم او آراء شيوخهم في مذاهبهم اعدى اعداء الجماعة والسنة ، لانهم اقدر من غيرهم على تفريق الكلمة ، فهم يهدمون بناء الوحدة الاسلامية في حزب المحافظين على القديم بشبهة تأييد المذاهب ، ومن ورائهم المتفرنجون يهدمونه بشبهة تأييد الوطنية ، فالهدم واقع على بناء الاسلام من داخله ومن خارجه ولا نصير له الا فئة تحاول الجمع والتأليف بحمل اهل المذاهب المختلفة على تحكيم الكتاب العزيز والسنة المتواترة فيما شجر بينهم وان يعذر كل فريق منهم الآخر فيما وراء ذلك من الأمور التي فيها للنظر والاجتهاد مجال ، وباقناع المتعصبين للوطنية بأن الاتحاد على عمارة الأوطان ، لا يقطع الاخوة بين اهل الاسلام والايمان ، فنسأل الله تعالى ان ينصر هذا الحزب ويؤيده على اعداء انفسهم واعداء ملتهم بأن يوفقهم للدخول في السلم كافة واجتناب خطوات الشيطان الرجيم

(مناظرة متى ابن يونس وأبي سعيد السيرافي)

كان بين متى ابن يونس المنطقي وابي سعيد السيرافي النحوي مناظرة في المفاضلة

بين المنطق والنحو وكان الفلج فيها لابي سعيد في محفل حافل بالعلماء والفضلاء فأدلى بحجبه على ان النحو قد يغني عن المنطق وان المنطق لا يغني عن النحو ولا شك ان متى قد عجز عن بيان فائدة المنطق وان بعض ماقاله أبو سعيد في حجاجه لا يخلو من المغالطة ولكنه في بلاغته وقوة عارضته قد اختلب خصمه الذي كان عييا حصرا لا يقدر ان يبين ما يعلم حق البيان • والمناظرة من رواية أبي حيان التوحيدي وهي بعبارة انتهت اليها البلاغة وبراعة الاسلوب • وقد عني بطبعها صاحبنا الدكتور مرجليوث الانكليزي المستشرق الاستاذ بمدرسة اكسفورد الجامعة وطبع معها ترجمتها بالانكليزية له والطبعة العربية لا تخلو من تحريف قليل يعرف اكثره مما وضع في الهامش من اختلاف النسخ فنثني على همة الدكتور لعنايته بخدمة لغتنا ثناء حسنا

(الهدى) مجلة إسلامية علمية أدبية عمرانية إصلاحية تصدر في غرة كل شهر عربي لمديرها سيد افندي محمد ناظر المدرسة التحضيرية ومدير المجلة المدرسية وقد صدر الجزء الاول منها في غرة المحرم الماضي في ٢٨ صفحة كبيرة وفيها بعد فاتحة المجلة وبيان منهاجها • دعوة شريفة يخاطب بها الكاتب علماء هذه الأمة بوجوب مقاومة البدع الفاشية، وجمع كلمة الأمة المتفرقة ، ومقالة في آراء حكماء العرب في المعدن والنبات والحيوان والانسان ومقالة في العلوم الاجتماعية لأحد طلبة مدرسة الحقوق ونبذة عن مسلمي القزان ، وخطرات في الاصلاح ، وقصائد لبعض شعراء العصر • وقيمة الاشتراك فيها للمصريين ٤٠ ولغيرهم ١٢ فرنكا فنتمنى لهذه المجلة التوفيق والثبات

(الصحافة) جريدة أسبوعية تصدر في القاهرة لصاحبها ومحررها مصطفى أفندي توفيق الجراحي مؤلفة من ثمان صفحات بشكل الجريدة الرسمية وتطبع على ورق جيد وهي من أحسن الجرائد الاسبوعية بمصر نزاهة واعتدالا وقيمة الاشتراك فيها ٧٠ قرشا في مصر و ٢٢ فرنكا في غيرها فنتمنى لها التوفيق والنجاح

(الهجرة) جريدة أسبوعية تصدر في طنطا لصاحبها ومدير سياستها عبدالرحمن أفندي الذهبي وهي كسابقتها في مقدمة الجرائد الاسبوعية موضوعاً على حداثة عهدها وقد قرأنا فيها مقالات مفيدة ولكننا نحب ان يعنى بتصحيحها فيما يأتي أكثر من العناية به فيما مضى • وقيمة الاشتراك فيها مئة قرش في القطر المصري و ٣٠ فرنكا في سائر الاقطار فنتمنى لها الثبات والانتشار

البدع والخرافات
والتقاليد والعادات

كتب أحد المهندسين في القاهرة الى مفتي الديار المصرية كتاباً قال فيه بعد رسم الخطاب:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته — اما بعد فاني شاب مسلم مصري الجنس تعلمت في مدارس الحكومة وحصلت على الشهادات النهائية التي أهلتني ان اشتغل بوظيفة مهندس الآن وطالما ألهاني الشباب عن تأدية الفرائض الدينية حيناً من الدهر لأمر يعلمه الله والآن من الله سبحانه وتعالى علي بالهداية وهداني الى الصراط المستقيم قدمت لحضرتكم هذا الخطاب بصفتكم أول عالم عامل عصري أعلمه ويعلمه اخواني جميعاً يحبون إزالة النقائص التي يقوم بها اخوانا في الاسلام سواء في القرى أو البنادر التابعة لحكومتنا المصرية التي لم تزل للآن متمتعة بحرية الاسلام وتلك النقائص كثيرة جداً أهمها زيارة الاضرحة. الخطابة يوم الجمعة بالمساجد. النذور. الاذكار

(١) زيارة الاضرحة — تعلمون فضيلتكم ان تسعة وتسعين في المائة من مسلمي القطر يعتقدون ان ساكن الضريح له اليد الطولى في شفاء الامراض وتسهيل الأرزاق بل قد أشركوه مع الله سبحانه وتعالى في العمل مع انه بريء من ذلك وانه لم يكن الا مخلوقاً مثلنا أطاع الله وعمل بشرائعه في دنياه فاكرمه الله في أخراه واني واثق ان فضيلتكم تعلمون ذلك وسمعتم بالطلبات التي تقدم لساكن الضريح بل قد تطرفوا فانتقلوا من زيارة صاحب الضريح الى التبرك بالمقصورة أو التابوت او عتبة مدخل الضريح الامر الذي يقضي فيما بعد بتغيير العقائد الدينية (٢) الخطابة يوم الجمعة — قد رأيت اغلب خطباء المساجد ليست عندهم مقدرة تامة على أداء وظيفة الخطابة بدرجة تؤهلهم ان يبثوا في أفكار المصلين ما يلزم اتباعه وما لا يلزم شأن كل خطيب في الزمن السابق بل انهم جعلوا الخطبة محفوظة حفظوها حفظاً وربما لا توافق الزمن الذي نحن فيه لان فائدة الخطابة حض المصلين على ترك ما لا يوافق الشريعة ويأتي الخطيب بأحاديث تزجر المصلين عن ذلك بل ان بعض الخطبا يعلو المنبر ويبتدي بالخطبة وينتهي منها ولا يسمع له صوت الا في الصف الاول وربما لا يتعدى الصف الثاني فاذا رأيتم عمل تعديل في مشايخ المساجد وترك مسئلة الوراثة واستحضار خطباء من المتخرجين من مدرسة دار العلوم يكون أليق بالاسلام والمسلمين وتكونوا قد وفيتم الدين حقه وجاهدتم الجهاد المفروض على كل مسلم (٣) أرى لكل ضريح صندوقاً مخصوصاً للنذور وما يجمع في هذا الصندوق من فقير أو غني جاهل أو عاقل يوزع

في آخر السنة على خدمة الضريح وترون فضيلتكم ان أغلب خدمة الاضرحة هم أناس ذوو ميسرة عن غيرهم خصوصاً في هذا الوقت الذي عم فيه جهل الزائرين فاذا وافقتم على أن يعطى ما يجمع في تلك الصناديق لديوان الاوقاف كي يصرفه في أعماله الخيرية التي يعم نفعها أو يسلم للجمعية الخيرية الاسلامية كي تستعين به على إنشاء المدارس وتربية الايتام وعلى أن تنظر وزارة الأوقاف في حالة الخدمة المستحقين الذين ليس عندهم عقارات أو أطيان وتزيدوا مرتباتهم حتى يمكنهم العيش منها وعلى وضع مبشرين من المتخرجين من مدرسة دار العلوم بالاضرحة كي يرشدوا الزائرين الى حقيقة الزيارة وفوائدها فبهذا تثابون من الله ثواب الدنيا والآخرة

(٤) الاذكار التي تقام في البلدان أرى أنها مخالفة للشريعة فاذا رأيتم وضع عقاب صارم لكل شخص يحدث منه تهكم أو نقص فيها يكون أوفق والله يهديكم ويوفقكم لفعل الخير لاخوانكم المسلمين جميعاً وفي الختام أقدم لجنابكم احترامي لمقامكم العلمي اهـ

(المنار) اطلعنا على هذا الكتاب فنشرناه لعلمنا انه كما قال كاتبه صدى رأي كثيرين من المهندسين وغيرهم والشكوى من هذه البدع والتقاليد قد كثرت في هذه البلاد بكثرة المتعلمين المميزين، وأما المخاطب به وهو الشيخ محمد عبده فقد بذل جهده في مقاومة البدع بالارشاد في دروسه العامة ومجالسه الخاصة حيث كان وقد سعى لاصلاح حال المساجد وما يتبعها من الاضرحة بالفعل فوضع لذلك تقريره المشهور الذي اقترح فيه على ديوان الاوقاف ان يجعل خطباء المساجد وأئمتها من العلماء المدرسين وان يكون التفاضل بينهم بالامتحان وغير ذلك من الاقتراحات الاصلاحية التي تحيي العلم والدين وبعد ان اقره المجلس الأعلى وكاد يشرع في تنفيذه عرض ما اوقف التنفيذ كما ذكرت ذلك بعض الجرائد من نحو سنة وذكرناه ايضاً. ولما كان هذا الرجل هو الذي انبرى لمثل هذه الخدم دون غيره من العلماء الذين وجد فيهم من سعى لابطال خدمته للاسلام فالواجب على هذا الكاتب وعلى من على رأيه من اخوانه المسلمين ان يكتبوا بمثل هذه الكتابة الى شيخ الجامع الازهر طالبين منه ان يكلف طائفة من العلماء بأن يسعوا معه في المطالبة بتنفيذ لائحة المساجد والاضرحة وبابطال هذه البدع الفاشية في معاهد الدين واعماله وما كان له وجه شرعي من هذه الاعمال التي يستنكرها الكاتب وامثاله فليبينوه لهم بدليله من الكتاب والسنة واقوال الائمة دون اقوال المقلدين ليكونوا على بصيرة من دينهم ومتى قام بالدعوة جماعة من العلماء رجي من النجاح ما لا يرجى من الواحد وهذا قال تعالى « ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون »



فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق)

(مصر — الجمعة ١٦ صفر سنة ١٣٢٣ — ٢١ ابريل (نيسان) سنة ١٩٠٥)

باب المقالات

الحياة الزوجية

٢

أختيار المرأة لمالها :

ان من يختار المرأة زوجاً له لحسنها وجمالها يختارها لصفات فيها وإنما كان مخطئاً لانه عني بصفات الجسد التي يسرع اليها التغير ولا تكفي للقيام بحقوق الزوجية وما تراد له الزوجية ولم يحفل بصفات النفس الثابتة التي هي مناط السعادة والهناء ، أو مجلبة التعاسة والشقاء . وأما من يختار المرأة لأنها ذات مال وثروة فهو إنما يختارها لأمر خارج عن ذاتها فهي غير مطلوبة له ولا مرغوب فيها وإنما مطلوبه المال يتمتع به وهي عنده وسيلة له فاذا نزلت بالمال جائحة أو اغتالته غائلة صارت المرأة عنده كالشيء الملقى لا قيمة لها ولا حاجة اليها . وما عساها تصادفه مع وجود المال من الحظوة والكرامة فأجدر به أن يكون مصانعة ورياء وحسب الزوجين شقاء أن يرائي بعضهما بعضاً ويدهن أحدهما للآخر . وهذا شأن من يطلب المال عفواً بغير عمل لا يكون إلا مرائياً مداهناً

يعيش المنافق مع الناس الذين يدهن لهم في اضطراب دائم لانه يشعر في نفسه بأنه يعيش مع خصماء وأعداء فاذا لم يكن له من يخلص هو لهم ويخلصون له كان شقاؤه دائماً واضطرابه مستمراً . ومن أحق بهذا الاخلاص من الزوجين اللذين خلقا ليسكن كل منهما الى الآخر ويلابسه في جميع شؤونه لباساً يتحد به معه حتى يكونا كشخص واحد !! أرأيت إذا انعكس الأمر فكانت الزوجية التي هي علة السكون والارتياح ، ومبعث الحب والاخلاص ، وسبب المودة والرحمة ، علة للاضطراب والانكماش ، ومثار الرياء والدهان ، أرأيت إذا صارت الغاية التي يقصد لأجلها الكسب ، وسيلة للرزق وطريقة للربح ، يلجأ اليها الكسالى المترفون ، ويرغب فيها أهل الشره الطامعون ، أرأيت اذا وصل الناس الى هذا الحد في فساد الفطرة ، والخروج عن محيط الشرعة ، أيكون المال الذي يعبدون كافياً لتحقيق سعادتهم ، وحفظ شرف بيوتهم وأمتهم ، ؟ كلا ان هؤلاء

لاحظ لهم في الحياة الا التوغل في اللذات الجسدية والزينة الظاهرة فلا يبالي واحدهم بشرف البيت ولا بعزة الأمة، يخربون بيوتهم بأيديهم . ويعملون أنهم بسوء مساعيهم، بل هم آلات التفريق والتحليل لان كل واحد منهم يهتم بلذة نفسه، ويجتهد في أن لا يتصل بغيره، وكيف يمكن أن يهتم بمجموع قومه، من انكمشت نفسه دون الاتحاد بزوجه، على ما للاتحاد الزوجين من العلل والجواذب النفسية والطبيعية والشرعية والاجتماعية ؟

يكثر طلب المرأة الغنية لهذا العهد في الطبقة المتعلمة على الطريقة المصرية فلا تكاد ترى بين شبان هذه الطبقة الا الباحثين عن البنات الوارثات أو اللواتي ينتظر ان يرثن مالاً كثيراً وأرضاً واسعة ودوراً عامرة . ولا تكاد تسمع منهم عند ذكر الزواج الا قولهم اني أطلب فتاة تملك داراً وكذا فداناً من الطين . وهذا دليل على أن التعليم الذي تعلموه ما كان الا ضاراً بهم بما أفسد من فطرتهم، وياشقاء من تتزوج بواحد منهم، فانما يكون حظها منه أن يستعين بمالها، على التمتع بشهواته الفاسدة خارج بيتها، وويل لها ان سكتت موافقة وألف ويل لها ان نطقت مخالفة،

لو ذهبنا نعد مفاسد هؤلاء المخذولين في اختيارهم هذا وآثاره لخرج بنا القول عن حد المقالة المنبهة، ودخل في أبواب الكتب المطولة . وكفى بما ذكرناه منبهاً الغافل وسائقاً النظر العقلي في ذلك والبحث في حال هؤلاء الناس وفيها عبر وآيات للمتفكرين

وقد يشتبه على بعض الباحثين ما يراه من الحب وسكون النفس والوفاق وحسن المعيشة بين زوجين اختار الرجل منهما المرأة لغناها أو باستحسان صورتها فيظن أن ما قلناه غير صحيح . ونحن لا نجهل ان مثل هذا قد يقع فيكون على حد المثل « رمية من غير رام » والسبب في مثله أن يكون بين هذين الزوجين مشاكلة في الطباع وتناسب في الاخلاق وتقارب في العادات من حيث لا يدري بذلك أحد منهما قبل الاقتران . ولكن هذا قليل لاسيما في طلاب المال وعباده الذين يرضون أن تكون الزوجية وسيلة له لان من بلغ منه فساد الفطرة هذا المبلغ قلما يهنأ لاحد معه عيش كما قلنا آنفاً

الطريقة المثلى في الاختيار

يجب أن يلاحظ في المرأة الصفات التي يرجى أن يتحقق بها مضمون قوله تعالى « ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة » وقوله عز

وجل «ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين» وقوله جل ثناؤه «محصنين غير مسافحين» وهذه الصفات بعضها بدنية وبعضها نفسية وبعضها قومية ومنها مالا بد منه في كل امرأة ومنها ما يختلف باختلاف أحوال الناس فيشترط عند بعض دون بعض .

أما الصفات الجسدية فمالا خلاف في اشتراطه منها الصحة وسلامة البدن من التشويه والعاهات المنفرة ولا حاجة لتعليل هذا الشرط ولا لبيان سوء حال الحياة الزوجية عند عدمه فانه من المعلوم بالبداهة ان النفس لاتسكن الى ذوي العاهات والادواء بل تضطرب وتنزعج منهم ، وأن المرأة المريضة لاتحصن الرجل ولا تكون قرة عين له بل تكون بلاء عليه . وأما ما يختلف فيه الأذواق فهو ماوراء ذلك مما يسمون الكمال فيه حسناً بارعاً وجمالاً رائعاً . والميل إلى الحسن والجمال غريزي في البشر وهو مما تختلف فيه الاذواق والمشارب « وللناس فيما يعشقون مذاهب » ولا نعرف شيأ من الناس يشترط رجاله الجمال البارع في الزوج وإنما يعدونه من الاوصاف الكمالية الا من ذكرنا في النبذة الاولى من هذا المقال وهم الذواقون الذين يتزوجون ميلا مع الهوى لا اتباعاً للمصلحة ، ولا اقامة لسنة الفطرة .

قد يكون من المصلحة للاكثرين تجنب الجمال البارع لمن يتزوج لما ذكرنا من منافع الزواج وحكمه ولكن يعذر من يمقت في المرأة صفة من الصفات اذا لم يرض الاقتران بالمتصفة به كمن يمقت البجرة أو البهلة أو الرسحاء أو القوهاء ، وقد تكون هذه الاوصاف من المنفرات لبعض الناس ، على ان لكل ساقطة لاقطة وانما يخير الجمال البارع أومادون البارع من يكون موضعاً لتسابق رغبات النساء وأهليهن اليه لمكانته وجاهه أو لثروته وماله ، فان من طبيعة التفاضل أن يكون فيما تصل اليد اليه ويسهل الاستيلاء عليه

وأما الصفات النفسية فهي الاخلاق والملكات والعلم أو العلوم فأما الاخلاق فانها علة لسعادة الحياة أو شقائها في جميع طبقات الناس على الجملة ، وأفضل أخلاق النساء العفة والصيانة لان معنى الزوجية لا يتحقق بالاختصاص وإنما تكون المرأة مختصة ببعلها اذا كانت عفيفة ، ثم إن الحكمة في الزوجية هي الانتاج والنسل الذي يحفظ به النوع ويكثر به سواد الامة وتعظم قوتها واختلاف الرجال على امرأة واحدة من أسباب قلة النسل فا

هتك النساء حجاب العفة فى أمة الا وقل نسلها بقدار شيوع الفاحشة فيها وناهيك بها فى اختلاط الانساب من المفاسد • لا يوجد عيب من العيوب في الخلقة أوفي الاخلاق يذهب بهناء الزوجية وغبطتها، ويمحو آيات منافعها وحكمتها، كخيانة المرأة للرجل في نفسها، ويغنينا عن الاسهاب في بيان ذلك ماهو ثابت في الفطرة ومعروف بالاختبار، وقد من الشاعر العربي على أولاده بتخيره لهم من ذوات العفة قال

فاول احساني اليكم تخيري لماجدة الاعراق باد عفافها

ومن غريب إكبار الرجال لعفة نسائهم أنك تجد الفاسقين من أشد الناس غيرة لان علمهم بفساد النساء يزيد في حذرهم على نسائهم أن يكن كمن يعرفونه من غيرهن وهذا من أسباب قلة الزواج في البلاد التي يكثر فيها الزنا لان أكثر الرجال يخافون أن يبتلوا بمن لاعفة لهن • وأغرب منه ما اشتهر عن الفساق من محاولة بعضهم الاختصاص ببعض البغايا، يحب الرجل بغيا توهمه ان له عندها من الحظوة ماليس لغيره فيبذل لها المال الجم الكثير ليغنيها به عما تكسب من سواه، وتكون خاصة به دون من عداه، ومتى كانت البغي ترعى العهد، وتصدق الود، ؟؟ ولكنه جنون الرجال بالاختصاص والغيرة يخرج بهم عن محيط العقل والتجارب، وكم أدى ذلك الى دماء تسفك، وارواح تزهق،

ومن الاخلاق التي لايتم لاحد هناء العيش مع فقدها الامانة والحرص والاقتصاد فاذا لم تكن المرأة أمينة على ما يعهد اليها حفظه حريصة على مابين يديها من مال الرجل وكسبه مقتصدة فيما تنفق تسوء حال البيت ويقع فيه الشقاق ويحيط به الشقاء

واما الصفات والملكات، التي تختلف الرغبة فيها باختلاف الاشخاص والطبقات، فأهمها عند الطبقات المرتقية بالعلم والتربية النظام وتدبير شؤون البيت واذا كانت بيوت الشعر في الصحاري وشعاف الجبال، واكواخ الفقراء وبيوت الفلاحين في المزارع والقرى، ليس فيها من الاثاث والرياش والماعون ولا من المرافق والاعمال ماتحوج في ادارته وتدبيره ملكة النظام المكتسبة بالعلم والعادة والقدوة فان في دور الطبقات العالية والمتوسطة من المتعلمين وكذا غير المتعلمين مالا يتم نظامه الا اذا كانت ربة الدار مدربة على النظام والتدبير • ثم ان غير المتعلمين لايؤلمهم من فقد

النظام في بيوتهم مايؤلم الذين عرفوا قيمة النظام وفوائده وتربوا عليه او علمهم العلم بفائدته على طلبه والاستقامة على طريقته ، يبلغ حب النظام ببعض العارفين مبلغاً لا يهنأ له عيش مادام يرى في داره شيئاً من الخلل الذي لا يشعر غير العارفين معرفته بكونه خللا لا يطلب إصلاحه كأن تكون حجرة النوم قليلة الاثاث تعرض فرشها وحشايا سريرها الشمس والهواء كل يوم ، وكأن تكون كل من حجرة الجلوس وحجرة الطعام وحجرة المكتب وغيرهن على طريقة كذا وكذا ، ومن المتعلمين من يرى من ضروريات الحياة أن تكون نفقات البيت كلها في يد ربته وأن يكون العمل فيها بمقتضى ميزانية سنوية فاذا لم تكن امرأته قادرة على ذلك فان نفسه لا تسكن اليها ولا تكون هي قرة عين له ، ولا نقول إن هذا يدخل في صفة العلم الذي ينبغي أن تكون عليه المرأة فان العلم لا يكفي فيه ولكنه شرط له فما كل من يتعلم علما يقدر على العمل به وانما يقدر عليه من يقرن العلم بالعمل والمزاولة .

كثر في الترك عدد الرجال الذين يريدون أن تكون المرأة قهرمانة وريحانة معاً وفي نسائهم (لاسيما في الاستانة) عدد غير قليل قمن بين على مايحب الرجال ، وجميع المتعلمين من النصارى وكثير من المسلمين في سوريا ومصر على هذا الرأي أيضاً ولكن عدد المسلمات المتعلمات المتربيات على هذه الطريقة قليل جداً في القطرين ولذلك صار الزواج يقل في المتعلمين رويداً واذا ارتقى التعليم والتهذيب عما هو عليه الآن في الرجال فان هذه القلة تزيد زيادة فاحشة ولكن أكثر المتعلمين لم ترتق نفوسهم عن اتخاذ المرأة ريحانة يتمتع بها ماصلحت للتمتع كالزهرة تشم ويعتني بها مادامت غضة ذكية فاذا ذبلت ألقيت ، ولا رغبة لهم فيما وراء هذا إلا بأن تكون ذات مال يتمتع به الزوج كما يتمتع بصاحبته فهي عندهم من جملة المتاع لا فرق بينها وبين مايحصل معها الى دار الزوج من الاثاث والماعون الا كما يفضل إناء إناء آخر من جنسه أو نوعه ولو كثر عدد الفتيان المهذبين لتبعه كثرة الفتيات المهذبات لانه متى عرف واشتهر أن جماهير الشبان المحترمين لا يرغبون في غير المهذبة القادرة على إدارة المنزل وإقامة النظام فيه بادر الناس الى تربية بناتهم على الطريقة المرغوب فيها لان الفتيات يطلبن الفتيان دائماً بلسان الحال والاستعداد ، فكل مايشكو منه بعض الشبان المهذبين من سوء تربية البنات سببه سوء تربية البنين في الجمهور

وان لي كلمة قلتها ثم علمت أن الاوربيين كلهم تخالفها فاذكرها هنا أما كلمتهم فهي « كما يريد النساء يكون الرجال » وأما كلمتي فهي « كما يريد الرجال يكون النساء » والدليل على هذا ان النساء لا استقلال لهن في أنفسهن وانما هن تبع للرجال عند جميع الامم. يولد للزوجين غلام وجارية فيربيان الغلام على أن يكون رجلاً مستقلاً بيت كيتهما وعلى أن ينهض بكفالتهما عند الكبر أو العجز اذا كانا فقيرين . ويربيان الجارية على أن تكون تابعة لرجل يتزوج بها فيعولها ويكفلها فيكتفيان أمرها . فينشأ الغلام من أول سن الادراك شعور الاستقلال بنفسه وحاجة غيره اليه وينشأ في الجارية شعور القصور والحاجة الى كفالة رجل غريب مجهول ستكون تابعة له . ومن التقاليد العامة في أمتنا وفي غيرها أن هم النساء الاكبر هو أن يكن بحيث يحببن الرجال ويرغبون فيهن لانهن في حاجة الى كفالتهم ولا يسهل عليهن طلبهم الا بلسان الاستعداد وكونهن كما يحبون ويرغبون كما قلنا آنفاً . ثم إن الوالدين اللذين يربيان الغلام والجارية يعلمان أن تزويج الجارية أعسر عليهما من تزويج الغلام من حيث انه لا عار عليهما ولا عليه في التماس امرأة بالطلب والبحث ولو ممن هم دونهم وأنه من العار العظيم أن يحثا على زوج لبنتهما ويعرضاها على الرجال وان كانوا من الاكفاء وأشد من ذلك عاراً ان تبحث هي عن الزوج وتعرض نفسها على من تظن أنه يرضاها . وان الشرف والمصلحة محصوران في تعريضها للخاطبين بتربيتها على ما يحب الاكفاء ويرضون . ثم أن الاوربيين قد حاولوا تربية النساء على الاستقلال وتعليمهن طرق الكسب وجعلوا للبنات رأيا في اختيار الازواج ولكنهم لم يخرجوا عن جعل المرأة تابعة للرجل ولم يقدروا على جعل أكثر النساء مستقلات في معيشتهن غنيات عن الرجال بل هم الذين يربون بناتهم على ما يرغب فيه جمهور فتيانهم ويخطبون الزوج بالحال وبالمال جميعاً ويشعرون من سعادة الحياة الزوجية بما لا يشعر بمثله من لم يبلغوا شأوهم في الحياة الاجتماعية والتجارية المخطوبة عندهم مقام رفيع ولربة البيت مكانة عالية ولأم الاولاد المقام الاعلى وانما قالوا كلمتهم تلك للترغيب في تعليم المرأة اذ لا يقدر الرجال على إتقان التربية الا باسعاد النساء لهم عليها . ثم ان هذه التربية الاستقلالية قد أضرت بالنساء أنفسهن حتى كثرت أصوات الكاتبات منهن بالشكوى منها وقد نقلنا بعض ما كتب في المجلد الرابع فليراجع

الدين والأخلاق

ملاك تهذيب الأخلاق وقوام الملكات الدين فلو ربي البنات تربية دينية صحيحة لتم لهن تهذيب الأخلاق ، ولكن مصدراً لمحاسن الأعمال ، وقرة أعين للرجال ، وقد عرفت الأمم الحية ذلك فعنيت بتربية البنات على آداب الدين وأخلاقه وأعماله على فساد عقائد الكثيرين من علمائها وحكمائها • ذلك بأن هؤلاء الذين رأوا في دينهم ما لا ينطبق على علمهم القطعي فتركوا الدين للعلم يعتقدون أن الدين هو روح التهذيب والآداب في البشر وأن هذا الروح هو الأصل في الحياة الزوجية والحياة القومية لاسيما في النساء والناشئين فاذا هو زال تعذر الاستغناء عنه أو استبدال غيره به كالشرف والعلم بالمصلحة • والذين جروا على هذه الطريقة من نصارى الشرق يحامون الانتقاد على الدين في حضرة النساء وإن كانوا لا يعتقدون ولا يؤمنون لئلا يتسرب الشك والارتياب إلى نفوس النساء • بل أخبرني بعض علمائهم وأدبائهم المشهورين أنهم يكونون في النادي أو المجلس ينتقدون بعض رجال الدين منهم فتدخل إحدى النساء فيحولون الحديث لكيلا تسمع انتقادهم فيقل احترام الدين من نفسها ويضعف الشعور به في قلبها • ولا تجد جزءاً من هذه العناية عند المسلمين الذين جهلوا الدين فأهملوه ، بل ولا عند الذين سلم اعتقادهم وحسن عملهم • وكل ما عند النساء المسلمات من الدين فهو من تقليد الذين نشأن فيهم وتربين بينهم ليس للرجال فيه عناية ولا عمل ويا ليت فساق قومنا وزنادقتهم يكتفون باهمال تربية النساء على آداب الدين وتعليمهن أحكامه ولا يظهرون لهن ما هم عليه من الفساد والالحاد فقد حدثني كثيرون من الثقات المختبرين أن كثيراً من المسلمين (الجغرافيين)(*) يجتمعون مع عيالهم لطعام الغداء بعد الظهر في شهر رمضان وان منهم من يتزوج بالمرأة فيكرهها على شرب الخمر معه وأخبرني شيخ من أهل القاهرة ان رجلا تزوج بنتاً من أقاربه (أي أقارب الشيخ) فدعاها الى شرب الخمر معه فأبت ولما أعياه إلزامها طلقها • وأغرب من هذا ما يحدثون به عن بعض أصحاب البيوت أو البيوتات من إشراك البنات مع الرجال في معاقرة الخمر ومن احضار

(*) نعبر عن المسلمين الذين ليسوا على شيء من الاسلام بالمسلمين الجغرافيين لان الاحصاء الذي يذكر في كتب الجغرافية يعدهم منهم • وقد نبهنا على هذا من قبل

أهل الرقص والعزف من الرجال والنساء الى البيوت واجتماعهم في بعض الحجرات على المائدة والمخاصرة والنساء يسمعن وينظرن من وراء السجوف والاستار

يظن الكثيرون من فساق البلاد المشرقية أن الدين في أوربا قد صار نسيامنسيا وأن ذلك لم يزد أمها الا ارتقاء لانه أثر الارتقاء وذلك ان هؤلاء لاتتوجه نفوسهم ولا يهديهم استعدادهم الا لمعرفة أمثالهم والصواب ان أكثر أهل أوربا متدينون وانما أبطلوا التقاليد النصرانية التي تنافي العمران والارتقاء لانها ليست الا من وضع الرؤساء وهم مع ذلك أشد الناس تعصباً لدينهم وعلى من يخالف دينهم ولا ينافي ذلك كثرة الفسق في بلادهم لاسيما التي تغلب فيها الكاثوليكية كفرنسا وإيطاليا فان من الاسباب في ذلك المذهب الذي يعد من أصوله أن القسوس والرؤساء يغفرون الذنوب كما أن من أسبابه الحرية الشخصية وعدم التكبر وإباحة الخمر أم الخبائث . ولقد يسهل على الفاسق أن يجد كثيراً من الفاسقين والفاسقات في كل المدن العظيمة في الارض حتى ما كان فيها الفسق منكرا وممنوعاً اظهاره لايراه إلا الباحثون عنه ومن بحث عن شيء مما لايخلو العمران منه وجده فاذا هو قصر همه عليه ظن أن كل الناس أوجلهم على مذهبه فيه

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يعتاده من توهم

أهل فرنسا أقل الاوربيين تمسكا بالدين لتطرفهم في الحرية والجمهورية التي يرون سلطة الكنيسة الكاثوليكية خطراً عليها ولذلك قاوموا جمعيات القسيسين ومدارسهم وقد سألت فرنسيا عن تدين قومه فقال أكثرنا متدين يحب الله ولكن لانحب الكنيسة

إذا فرضنا أن تعميم التعليم والتربية على حب الوطن والآداب القومية قد يغني عن الدين في إصلاح حال البيوت والجمعيات فأوربا هي التي يمكنها أن تستغني عنه بذلك ولكنها لم تقل بذلك ولم تعمل به ولا أدري بماذا يستغني المسلمون عن آدابهم الدينية التي أمسوا لا يبالون بها وهل الرابطة الوطنية التي يلفظ بها مصطفى كامل وأضرابه من الاحداث المتفرنجين كافية في هذه الامة التي غلب عليها الجهل والامية ، ووقع معظم أوطانها في قبضة الدول الاجنبية، لأن تصلح ما أفسد الزمان فيها من الآداب الشخصية والروابط الزوجية ، لتكون منها أمة عزيزة قوية ؟ ؟ وهل يكفي في نفخ روح هذه الحياة الوطنية أن ينعق ناعق في الأمة بمدحها وان لم يسمع نعاقه الا القليل ولم يفهم مراده منهم الا اقل

القليل وأكثر من فهم ومن لم يفهم، يرى أن النفاق وسيلة للدرهم، ؟؟

ومن العجائب أن هؤلاء الاحداث المتفرنجين يهذون احيانا أو كثيرا بالكلام في الامة والملة ويشكون بالقول من سوء الحال وخطر الاستقبال ثم لايفتبون لوجوب بث روح الدين في البيوت وتربية النساء على اعماله وآدابه ليربوا الاطفال عليها بل تراهم بسيرتهم عونا للجهل على افساد بقايا الدين التقليدية اذ لايعلمون شيئاً من أحكام الدين ولا يعملون بما هو معلوم منه بالضرورة ولا يسألون عن دين من يخطبونها وانما يسألون هل تعلمت لغة أجنبية هل تعلمت العزف على البيانو والعود هل عندها مال كثير يساعدنا على الصيف في أوربا والتمتع بلذاتها؟ وأعجب من هذا أنهم يدعون أحيانا الانتصار للدين بذم أوربا وذكر طمعها في بلاد المسلمين واعتدائها على استقلالهم وعلى دينهم بما تبثه من الكتب والدعاة الى النصرانية، ويزول هذا العجب اذا عرف سببه وهو مخادعة المسلمين بإيهامهم خدمة الملة لينفضوهم بالدرهم والدينار وأنى يخدم الملة من لا يفهم كتابها ولا يعرف سنتها ولا يحقق بعقائدها ولا يقيم عباداتها ولا يتخلق بأخلاقها بل أخذ عن أوربا من الاخلاق والعادات السيئة مايفرق به كلمتها، ويبطل به وحدتها، ويفسخ به شرعتها، ثم هو يشكو منها ومن آثارها في إفساد النابتة وهجوع الامة!!

وجملة القول ان الحياة الزوجية في المسلمين لايمكن أن تكون سعيدة في نفسها ووسيلة لارتقاء الامة وتعزيزها الا اذا كان الزوجان معتصمين بحبل الدين مستمسكين بعروته في الاخلاق والاداب والاعمال ليكونا قدوة لاولادهما في ذلك، وان الخطر الذي يهدد المسلمين وينذرهم بزوال سلطتهم من الارض لايزول الا بصلاح حال البيوت الادبية على هذا الوجه، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام « تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك » رواه احمد والشيخان وأصحاب السنن ماعدا الترمذي عن أبي هريرة ولكن من لنا من يصلح لنا أخلاقنا وآدابنا الدينية وليس لنا زعماء ولا سراة من أهل الدين والحكمة، واذا ظهر فينا زعيم فاتنا الضعف استعدادنا لانتفع به بل يحكم فيه جمهورنا كلام الاحداث المغرورين ، الذين يضرهم وينفعهم مايدعوا اليه من احياء روح الدين ،!!



فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين لنا اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، وانا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا ، ولمن يمضي على سؤاله شهران أو ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان عندنا سبب صحيح لاغفاله

حقوق الذميين ومعاملة الاجانب

(س٩) ا ٠ م ٠ في سراي بوسنة : كتب محمد فريد وجدي في كتابه « تطبيق الديانة الاسلامية على نواميس المدنية » في بحث واجبات المسلمين بالنسبة للذميين أي أهل الكتاب الذين هم في ذمة المسلمين في صحيفة ٨٦ « وقد ترك لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أعظم أسوة يجب ان نأتسي بهما في معاملة الاجانب عن ديننا ومخالفي معتقداتنا فانه عليه أشرف التحية والسلام كان يحضر ولائمهم ويغشى مجالسهم ويشيع جنائزهم ويعزيهم على مصائبهم »

ونحن لم نطلع على ذلك في كتاب غير كتابه المذكور ولا ندري : أيجوز ذلك أم لا وخصوصاً تشييع جنائزهم فانه صلى الله عليه وسلم على ما نعلم نهي عن ذلك بقوله عز وجل : « ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره » وهذا وان نزل في حق الصلوة على المنافقين والقيام على قبورهم الا انه يدخل فيهم سائر الكفار قياساً بدليل قوله عز وجل عقيب ذلك « انهم كفروا بالله وبرسوله وما توا وهم فاسقون » فجئنا الى حضرتكم سائلين أن تبينوا لنا : هل صح انه صلى الله عليه وسلم فعل ما نقلناه آنفاً من الكتاب المذكور وهل جاز لنا أن نفعل ذلك اقتداء بأثر نبينا صلى الله عليه وسلم فان صح ذلك وجاز لنا أن نفعل فما هو الجواب عن الآية الكريمة المذكورة ؟ أفيدونا بذلك آجركم الله تعالى :

(ج) ماذكره فريد أفندي في كتابه غير صحيح على اطلاقه وقد بينا غير مرة أنه لايجوز الاعتماد على مايذكر في الكتب من الأحاديث والسنة الا اذا كانت معزوة الى مخرجيها من المحدثين ليعرف صحيحها من غيره ، وعبارة فريد أفندي تدل على أن ماذكره

كان سنة متبعة ولو كان كذلك لاتفق الفقهاء أو أهل الأثر منهم على القول بوجوبها أو سنيتها . ثم ورد في العيادة حديث صحيح ذكرناه في المجلد السابع وفيه حديث ضعيف عند البيهقي عن أنس « كان اذا عاد رجلا على غير الاسلام لم يجلس عنده وقال كيف أنت يايهودي كيف انت يانصراني » ولا يحتج به . وأي حجة لنا على حسن معاملة المخالفين لنا في الدين أقوى من قوله تعالى « لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم » الخ ومن اباحة طعام أهل الكتاب والتزوج منهم ومن وجوب حماية الذمي والمعاهد وغير ذلك مما هو معلوم فلا حاجة الى أن نعزو الى السنة ما ليس منها ونوجب على المسلمين مالم يوجبه الله تعالى عليهم مما ذكر في السؤال

أما قوله تعالى « ولا تصل على أحد منهم مات » الآية فهو نهي عن جعل المنافقين كالمسلمين في أحكام الدين الظاهرة والاستدلال به على تحريم تشييع جنازة الكافر أو زيارة قبره غير ظاهر ولم أر أحدا من علماء السلف وأئمة الدين استنبط ذلك منها ولكن بعض المفسرين المتأخرين رأى ان من الاحتياط عدم زيارة قبر الكافر لانه يشبه ان يكون من القيام المذكور في قوله « ولاتقم على قبره » وان أجاز الزيارة كثير من العلماء بل نقل بعضهم جوازها عن أكثر العلماء لانها للعبرة . والصواب ان القيام المنهي عنه هو ما كان معهودا من القيام على القبر بعد الدفن للدعاء والاستغفار . ولا شك أنه يحرم على المسلم ان يشارك غير المسلمين في كل عمل من أعمال دينهم وانه يباح له ان يجاملهم فيما لا ليس من اعمال دينهم ولا مخالفاً لديننا . وقد ذكرنا في المجلد الماضي وغيره كثيرا من احكام معاملات المسلمين لغيرهم وفيها من التساهل ما نفتخر به على جميع الملل فلتراجع

﴿ العدالة العامة وحكمة الله في الناس ﴾

(س ١٠) ومنه : ربما يقع البحث عن الواجب الوجود تعالى وتقدس وأوصافه الشريفة وخصوصاً كمال عدله ورحمته تعالى فيوجد من التائهين المشككين من يقول لو كان الله موصوفاً بكمال العدل لما جعل بعض الناس مؤمنين وبعضهم كافرين وجعل مأوى الطائفة الأولى الجنة والآخرة جهنم فاذا أجيب له عن ذلك بما أجبتم في واحد من أعداد المنار وهو ان الله تعالى لم يخلق كافراً قط الى آخر ماقلتم وأقيم

بذلك أورد اعتراضاً آخر بقوله فيه: نعم سلمنا انه لم يخلق كافراً قط كما قلتم لكن ليس من العدل أن يجعل بعض الناس مولوداً من الابوين المؤمنين اللذين يكونان سبب ايمانه وفي ديار الاسلام التي اكثر أهاليها أهل الاسلام والناشئ بينهم في العادة يتخذ ديناً ومذهباً مثل دينهم ومذهبهم وان يجعل البعض الآخر مولوداً عن الابوين الكافرين اللذين يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه وفي دار أهل الكفر الذين يجاورونهم والنشوء بينهم يكون هو في العادة مثلهم فرب رجل مؤمن لو ولد من الابوين الكافرين وخصوصاً في دار أهل الكفر لم يكن مؤمناً بل قلما يتصور ذلك وبالعكس رب رجل كافر لو ولده أبوان مؤمنان وخصوصاً لو نشأ بين أهل الاسلام كان مسلماً ولم يكن كافراً. فسهل لبعضهم الدخول الى الاسلام ووعده الجنة وصعب ذلك للبعض الآخر وأوعده بجهنم.

واذا جيء الى البحث عن كمال رحمته تعالى يقول: إما انه تعالى ليس متصفاً بكمال الرحمة واما انه لا يدخل اولا يخلد احداً في النار فان تخليد التعذيب لا سيما بالنار التي هي اشد التعذيب الذي اذا ذكر اقشعر جلد الرجل المدني لا يليق بإنسان بل يخرجه عن ان يكون رحيماً بالطريق الاولى عن ان يكون متصفاً بكمال الرحمة فكيف يليق ذلك بالباري تعالى الذي تقول في حقه ان اعمالنا لا تضره ولا تنفعه؟ فنحن اتينا مسرعين الى باب جنابكم راجين ان تشفوا غليل صدورنا بتجديد الرد على الاعتراضات المذكورة للشاكين المشككين وترووا نايرة لا لاعج بتكم الشافية الوافية التي تكون حججاً ساطعة للموحدين، دامغة للذين امتلأت قلوبهم بشبهات الطبيعيين والدهريين، وخلت عن اليقين المخصوص بالمؤمنين، لا زلتم ملجأ وملاذاً للمحتاجين الى الاستنارة بنور علم الدين المبين، وموردا للذين صدورهم ظماء، وطبيباً للذين قلوبهم مرضى، وقاهراً للذين اتخذتهم هواء:

(ج) ترى في كتب الصوفية كلمة جليلة يروونها حديثاً عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويقول المحدثون انها لم ترو حديثا وانما هي ليحيي بن معاذ الرازي رحمه الله تعالى وهي «من عرف نفسه فقد عرف ربه» ولا يعرف علو قدر هذه الكلمة الا من عرف نفسه وعرف ربه فان كانت ليحيي فلله در يحيي، من عرف نفسه بعرفان معنى الانسان وما خص به من المزايا والمقومات لا يصدر عنه مثل ذلك الاعتراض الذي يهذي به

جهلاء الماديين أو المقلدين الذين قال فى مثلهم الشاعر:

عمي القلوب عموا عن كل فائدة لأنهم كفروا بالله تقليدا

لا ينكر هؤلاء المعترضون أن الانسان أرقى المخلوقات المعروفة في هذا العالم ثم إنهم على اعترافهم بفضل الانسان وسمو الحكمة في خلقه وتقويمه ينبذون من الاقوال ما يستلزم الاعتراض على خلق الانسان والاعتراف بأن عدمه خير من وجوده

ثم ان لاعتراضهم سببا آخر وهو الجهل بمعنى ماورد من إثابة المحسنين وعقاب المجرمين إذا ظنوا أنه من قبيل عقاب الحكام لمن يخالف أوامرهم وقوانينهم انتقاما منهم والحق أن ماورد فى القرآن من ذلك هو كالشرح لما أودعه الله تعالى في خلق الانسان من المزايا « فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم » والنتيجة أن ذلك الاعتراض جهل بالحقيقة وجهل بالشريعة

بيان ذلك أن الانسان خلق مستعدا لارتقاء وكمال في عقله وروحه غير محدودين على أن يكون ارتقاؤه بسعيه وعمله الاختياري كما خلق مستعدا لان يهبط بسعيه واختياره الى أخس دركة من الشر والرذيلة ، هكذا خلق الانسان كما هو معروف لنا في أنفسنا وفيما نراه في أفراد جنسنا وجبلاته ولم يخلق حيوانا محضا كسائر أنواع الحيوان محدود الادراك والقوى ملهما طلب ما تقوم به حياته الحيوانية واجتناب مالا حاجة له به في تقويمها ، ولا ملكا روحانيا كامل الخلقة محدود القوى لا أثر لعمله في ارتقائه ولا في تدليه ، فالانسان نوع من أنواع الحقائق الممكنة تعلقت قدرة الله تعالى بإيجاده فوجد على ما نعلم من الاستعداد غير المتناهي الذي تظهر آثاره جيلا بعد جيل ولو لم يوجد الله تعالى هذه الحقيقة لكان العالم ناقصا ولم يكن فيه شيء من هذه الآثار البديعة التي ظهر وسيظهر بها من سنن الله تعالى وحكمه في خلقه مالم يكن يظهر لولا هذا النوع المكرم لان الحكمة الازلية قضت بأن تكون آثار مخلوق مختار في عمله غير محدود في قواه وتصرفه

لم يخلق الانسان عبثا ولم تخلق قوة من قواه البدنية والروحية عبثا فكل قوة منها آلة لاكتساب الخير والسعي في أسباب الرقي اذا لم يفرط ولم يفرط في استعمالها ، وقد جعل الله له ميزانين يعرف بهما القسط فى الوزن من التفريط وهو الخسران والافراط وهو الطغيان وهما العقل والدين ، فمن كان له اعتراض على قوة من قوى الانسان أو مزية من

مزاياه يزعم أنها تنافي العدل الالهي أو الرحمة العامة فانا مستعدون لكشف الشبهة له في اعتراضه وإثبات ان تلك القوة آية من آيات العدل والحكمة وأثر من آثار الفضل والرحمة

بعد التسليم بأن الانسان أثر من آثار الحكمة والرحمة تنظر في تأثير عمله في نفسه التي هي حقيقته وجوهره كما أن البدن صورته ومظهره فنجد أن من تلك الاعمال ما ترتقي به النفس في معارفها وصفاتها وهو ماتكتسبه من العقائد الصحيحة والمعارف الحقيقية ومن عمل الخير والبر ومنها ماهو بضد ذلك والمرتقون هم الابرار والا خرون هم الفجار. واذ انتهينا الى هذا الحد من بيان حقيقة الانسان ، فانا نذكر مسألة الكفر والايمان، ونذكر بعدها مسألة الرحمة والعذاب متجنبين التطويل والاطناب لما سبق لنا من تكرير القول في هذا الباب ، فنقول

بينا غير مرة أن عقائد الاسلام هي مرقاة للعقل وآدابه وعباداته مرقاة للنفس وأحكامه مرقاة للاجتماع وقد ذكرنا هذا المعنى في تفسير « ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » من هذا الجزء ، فمن دعي الى هذه الاصول دعوة صحيحة فلم ينظر فيها أو نظر فظهر له الحق فعانده ولم يتبعه يكن في غاية الانحطاط العقلي والنفسي ونهاية البعد عن الحق والخير والتوغل في الباطل والشر وهو مايعبر عنه بالكفر والجحود وهو الجاني على نفسه بمعاندة الحق والخير ورفض سلم الترقي . وأما من لم تبلغه هذه الدعوة على وجهها الصحيح الذي يحرك الى النظر ومن بلغته فنظر فيها بالاخلاص ولم تظهر له حقيقتها فهو غير معاند للحق ولا كاره بسوء اختياره للخير . وعلامة مثله ان يتبع مايظهر له انه الحق ويعمل بما يراه من الخير بحسب فهمه واجتهاده ولكنه مع هذا لابد ان يكون منحط العقل والادراك اذ عرض عليه أرقى العقائد وأسمى الفضائل وأعدل الشرائع فلم يهتد الى فهم مكانة هذه الاصول فلا يكون ارتقاؤه كارتقاء من فهم هذه الاصول وتقبلها وكمل نفسه بها . فالناس طبقات في الارتقاء العقلي والروحي أرقاها طبقة المؤمنين الكاملين وقليل ماهم وأسفلها طبقة الذين ينبذون الحق لايعقلون به ولا ينظرون في دعوته أو يعاندونه ويجاحدونه كراهة وعداء لاهله . وبينهما طبقات من الناس كالذين يقبلون

الدعوة ولا يقومون بحقوقها كما يجب والذين لم تبلغهم الدعوة بالمرة . وقد أرشدنا الدين الى أن الناس يكونون في النشأة الآخرة في دارين احداها دار نعيم ورضوان والثانية دار آلام وخذلان سميت الاولى الجنة لان فيها جنات وبساتين لا بمعنى انها بستان واحد فقط وسميت الثانية النار والجحيم لا بمعنى أنها كلها جذوة نار ملتهبة بل ورد ان فيها زمهريراً . وانما هما دارا خلود للسعداء والأشقياء وكلاهما من عالم الغيب لا يجوز لنا البحث عن حقيقتهما والتحكم في بيان كنههما كما هو مقرر في علم العقائد من وجوب التفويض في أمر الآخرة وعالم الغيب

وخلاصة القول إن الانسان خلق مستعداً لقبول الحق والباطل ولعمل الخير والشر وهو مختار في أعماله التي بها يترقى في عقله وروحه وكمالها ما أرشد اليه الدين الحق أو يتردى فيهما وغاية ترديه الجحود والكفر . وان خلق الانسان على هذه الصفة التي هو عليها من أبدع حكم الله وعدله وأن هذا النظام والإحكام سيكون من أثره سعادة المرتقي بالايمان الكامل والعمل الصالح في الحياة الآخرة ، وشقاوة الكافر المجرم في النشأة الثانية ، وكل ذلك نتيجة عمل الفريقين وأثر سعيهما كما يتنعم العالم الحكيم باللذات العقلية والمعارف الصحيحة والأخلاق الكريمة في هذه الحياة من حيث يكون الجاهل الشرير في عذاب أليم من وساوسه وهواجسه ومفاسد أخلاقه . فالجزاء في الدنيا وفي الآخرة كله عدل ورحمة ، لانه أثر النظام والحكمة ، فالاعتراض على تفاوتهم في الآخرة كالاعتراض على تفاوتهم في الدنيا « وما ربك بظلام للعبيد » « وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم » « وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين »

وقد بينا هذه المعاني مرات كثيرة في التفسير وفي غير التفسير وكنا نود أن نكتب هذا الجواب في وقت صفاء وسعة ليكون أتم بياناً ولكن زارنا عند الكتابة أناس شغلونا بالقيل والقال فان خفي عن السائل شيء أو احب زيادة البيان فيه فليكتب الينا ثانية والله الموفق

فتوى ابن حجر في تحريم الاجتماع للموالد وغيرها من البدع

كتبنا غير مرة في بيان مفاسد هذه الاجتماعات التي يسمونها الموالد . وقد سمعنا وقرأنا في الجرائد ان مولد السيد البدوي (رحمه الله تعالى) الذي احتفل به في هذه

الايام قد حشر له من الخلائق اكثر من الف الف اي اكثر من ضعفي حجاج بيت الله الحرام وان اسواق التجارة فيه كاسدة ولكن اسواق الفحش والفجور في رواج لم يعهد له نظير لأن ثروة المصريين كل عام في مزيد وتمسكهم بالدين كل يوم في نقص . وقد احببنا ان ننشر لهم فتوى في الموالد لاشهر فقهاء الشافعية في عصره – وأكثر المصريين شافعية – وهي موافقة لسائر المذاهب لان الدليل الذي ذكره متفق عليه ولانه لو كانت المسألة خلافية لما اطلق القول بحكمها ، ليعرف من لم يكن يعرف ان حضور بعض علماء العصر في هذه الموالد لايدل على حلها وانما يدل على عصيانهم لله تعالى وعدم الاعتداد بعلمهم ولا بعلمهم . وهي بحروفها كما في ص١١٢ من الفتاوى الحديثية :

« وسئل نفع الله به عن حكم الموالد والاذكار التي يفعلها كثير من الناس في هذا الزمان هل هي سنة ام فضيلة ام بدعة ؟ فان قلتم انها فضيلة فهل ورد في فضلها أثر عن السلف او شيء من الاخبار ؟ وهل الاجتماع للبدعة المباح جائز ام لا ؟ وهل اذا كان يحصل بسببها او بسبب صلاة التراويح اختلاط واجتماع بين النساء والرجال ويحصل مع ذلك مؤانسة ومحادثة ومعاطاة غير مرضية شرعاً (علل) وقاعدة الشرع مهما رجحت المفسدة حرمت المصلحة وصلاة التراويح سنة ويحصل بسببها هذه الاسباب المذكورة فهل يمنع الناس من فعلها ام لا يضر ذلك ؟ .

« فأجاب بقوله : الموالد والاذكار التي تفعل عندنا اكثرها مشتمل على خير كصدقة وذكر وصلاة وسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدحه وعلى شر بل شرور لو لم يكن منها الا رؤية النساء للرجال الاجانب (الكشف) وبعضها ليس فيها شر لكنه قليل نادر ولاشك ان القسم الاول ممنوع للقاعدة المشهورة المقررة ان درء المفاسد مقدم على جلب المصالح فمن علم وقوع شيء من الشر فيما يفعله من ذلك فهو عاص آثم وبفرض انه عمل في ذلك خيراً فربما خيره لا يساوي شره ألا ترى ان الشارع صلى الله عليه وسلم اكتفى في الخير بما تيسر وفطم عن جميع انواع الشر حيث قال : « اذا امرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه » فتأمله تعلم ما قررته من ان الشر وان قل لا يرخص في شيء منه والخير يكتفى منه بما تيسر . والقسم

الثاني سنة تشملها الأحاديث الواردة في الأذكار المخصوصة والعامة كقوله صلى الله عليه وسلم: «لا يقعد قوم يذكرون الله تعالى إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله تعالى فيمن عنده» رواه مسلم وروى أيضاً أنه صلى الله عليه وسلم قال لقوم يذكرون الله ويحمدونه على أن هداهم للإسلام: «أتاني جبريل عليه الصلاة والسلام فأخبرني أن الله تعالى يباهي بكم الملائكة» وفي الحديث أوضح دليل على فضل الاجتماع على الخير والجلوس له وأن الجالسين على خير كذلك يباهي الله بهم الملائكة وتنزل عليهم السكينة وتغشاهم الرحمة ويذكرهم الله تعالى بالثناء عليهم بين الملائكة فأي فضل أجل من هذه. وقول السائل نفع الله به وهل الاجتماع للبدع المباحة جائز؟ جوابه نعم هو جائز قال العز بن عبد السلام رحمه الله تعالى: البدعة فعل ما لم يعهد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وتنقسم إلى خمسة أحكام: يعني الوجوب والندب الخ. وطريق معرفة ذلك أن تعرض البدعة على قواعد الشرع فأي حكم دخلت فيه فهي منه فمن البدع الواجبة تعلم النحو الذي يفهم به القرآن والسنة ومن البدع المحرمة مذهب نحو القدرية ومن البدع المندوبة إحداث نحو المدارس والاجتماع لصلاة التراويح ومن البدع المباحة المصافحة بعد الصلاة ومن البدع المكروهة زخرفة المساجد والمصاحف أي بغير الذهب وإلا فهي محرمة وفي الحديث «كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار» وهو محمول على المحرمة لا غير وحيث حصل في ذلك الاجتماع لذكر أو صلاة التراويح أو نحوها محرم وجب على كل ذي قدرة النهي عن ذلك وعلى غيره الامتناع من حضور ذلك وإلا صار شريكاً لهم ومن ثم صرح الشيخان بأن من المعاصي الجلوس مع الفساق إيناساً لهم» اهـ. وعبارته تشعر أنه لم يكن في هذه الموالد على عهده من المنكرات عشر معشار ما فيها اليوم إذ لم يكن الفسق مباحاً في عصر من العصور كما هو اليوم مع عموم الجهل بالدين وكثرة الدراهم والدنانير فكيف لو رأى زماننا هذا. وإذا كان الاجتماع للذكر أو صلاة التراويح يحرم إذا هو اشتمل على محرم ويجب النهي عنه لمن قدر فكيف لا يجب على شيخ الأزهر النهي عن مثل المولد الأحمدي الذي صار موسما للفحش والفجور وكبائر الذنوب والذي يجتمع لأجله طلاب العلم في الجامع الأحمدي ليكون مأوى للنساء يتامون مع الرجال ليلاً ونهاراً وللأطفال يبولون فيه ويتغوطون وللمجانين يصيحون فيه ويصخبون. وإنما خصصنا شيخ الأزهر بالذكر لأنه أقدر رجل في مصر على إبطال هذه البدع والفواحش والله الموفق

باب الأخبار الأدبية

أحوال المغرب الاقصى

كتب الينا من فاس عاصمة المملكة المراكشية ما يأتي

أحوال المغرب الأقصى الحالية في غاية الارتباك والتشوش وأضحت أعقد من ذنب الضب وبيان ذلك: أن سفير فرنسا طلب من السلطان باسم حكومته تقرير مطالبه الآتية: (١) ترتيب وتنظيم جيش يؤلف من ١٠٠ أورطه. (٢) أن يكون هذا الجيش تحت امرة أحد قواد فرنسا ويعطى هذا القائد صفة وعنوان مستشار الناظر الحربية الفرنسوية. (٣) أن يكون ضباط الجيش مافوق اليوزباشي من الفرنسويين. (٤) مد الأسلاك البرقية بواسطة الفرنسويين. (٥) تعيين مستشارين فرنسويين للمالية.

ولما أبلغ السلطان طلبات السفير ألف في الحال لجنة من خمسين واحداً من أعيان البلاد وكلفهم أن يقرروا ما يجب وان يكتبوا الجواب اللازم ليبلغ السفير الفرنسوي واجتمعت اللجنة قبل تاريخه بثلاثة أيام وقررت باتفاق الآراء رفض طلبات السفير. ولما أرسل الجواب اليه قال: إنكم ياقوم لاتبغون الاصلاح لوطنكم ولكن اعلموا أن الحكومة الفرنسوية تصرف كل سنة مايزيد عن ستة ملايين في سبيل إعادة لامن العام على الحدود الجزائرية الذي طالما اختل بسبب ثورات القبائل الناشئة من فساد أحكامكم وسوء أحوالكم لذا ترى حكومتي أن ترسل جنوداً لمقاومة كل ثورة تقوم على الحدود في المستقبل وتضرب القبائل الثائرة وتؤدبها وتضبط بلادها وتعين عليها الحكام والقضاة من قبلها (أي فرنسا) والآن أريد من حضرة السلطان أن يصدق على طلبي هذا ويأذن أن نعمل بموجبه.

هذا ماقاله السفير الفرنسوي وهذا ماطلبه بعد رفض طلباته الأولى على أن القتن والقلاقل والمشاكل والثورات الناشئة عما يلقيه أصحاب الدسائس مثل ابي حمارة وابي عمامة امتدت على طول الحدود الجزائرية حتى ان نار الثورة سرت من الحدود الى القبائل النازلة قرب العاصمة التي لاتبعد عن ابوابها الا ساعتين فقط والحكومة متحيرة في أمرها لاتعلم كيف ترد عنها هذه النازلة والمنتظر ان تصير الثورة عامة في البلاد المراكشية فتقضي على المملكة. ويوجد الآن جيش مؤلف

من (٥٠٠٠٠) جندي من مسلمي الجزائر في (وجـده) على مقربة من الحدود ينتظرون الامر من الحكومة الفرنسوية لتخطي الحدود والدخول في الاراضي المراكشية على ان حكومة المخزن ليس لها حق في عاصمتها أكثر من خمسمائة جندي . كل ذلك والمسلمون قضاتهم وحكامهم وعلماؤهم وعامتهم ينتظرون المدد والفرج من قبر مولاي إدريس والسلطان يستأجر مائتين من طلبة العلوم ويأتي بهم كل ليلة النداء بكلمة (يالطيف) مائة الف مرة فيجلسون عند قبر مولاي إدريس ويرسلون أصواتهم الى السماء قائلين (يالطيف يالطيف ...) والناس ينتظرون من تأثير ذلك ان يرض السفير الفرنسوي فيموت أو ان المانيا تعلن الحرب على الحكومة الجمهورية . ومن المصادفات الغريبة أن وردت الاخبار بقرب وصول امبراطور المانيا الى طنجة فابتهجت القلوب وانبسطت الثغور ولا تسل عما دخل من السرور بل من الغرور في قلوب هؤلاء الطلبة القراء (باللطيف) من فوزهم الاكبر هذا ونجاحهم باستجلاب امبراطور الألمان الى بلادهم ليدرأ عنهم الملة الفرنسوية نسئل الله أن يكون في عون هذه الامة المسكينة المستسلمة الى يد الجهل والغرور

أما السلطان فانه أرسل عمه مولاي عبد الملك والصدر الاعظم ومستشار ناظر الخارجية لاستقبال عاهل الالمان ومعهم كثير من الهدايا النفيسة

ومما يصح أن يذكر ان السفير الفرنسوي لم يذكر شيئاً عن نشر المعارف وفتح المدارس في مذكرته بل يظهر أنه يقاوم المعارف فقد علمنا أن بعض الاعيان والاغنياء هنا عزموا على فتح مدرسة حربية وأخرى طبية بشرط أن يكون التدريس فيهما باللغة العربية ولما استأذنوا اولي الشأن في المسألة وبلغت مسامع السفير الفرنسوي استشاط غضباً وأقام النكير واعترض اعتراضاً شديداً على فتح المدارس . ولا إصلاح بدونها !!

رأينا في المنار أنكم عازمون على الرد على رسالة المهدي الوزاني ولا حاجة الى ذلك فانها ملانة بقال فلان وحكى فلان كأن الرجل مسدود الاذنين عن الآية القائلة (اياك نعبد واياك نستعين) ولا يخفى أن هذا الرجل من مائة يحصلون على قوتهم من وراء قبور (الاولياء) وانتم باجتهاداتكم الدينية المفيدة أقمتم سدا منيعا بينهم وبين مطامعهم فلو استطاع لنسفكم بقنبلة مدفع ولم يكتف بالرد عليكم

هنا ربيعة (الربيعة صندوق النذور) عبد السلام الوزاني وربيعة مولاي أدريس يملآن مالا يملا معملي (فابريقة) مدافع كروب اذ أن العوام ينذرون نصف ما يكسبونه

على ربية مولاي ادريس قائلين (ياقطب المغرب يامولاي ادريس) ويضعون النصف الآخر في جيب الوزاني صائحين (يادار الضمان) اه

(المنار) اذا صحت رواية المكاتب ولا نخالها الا صحيحة فالسفير الفرنسي لم يترك لعاقل منفذا لتحسين الظن بفرنسا لأن مقاومة العلم والاكتفاء من الاصلاح بالاخذ بقوة رقبة الحرية وبحجز خزينة المالية وبعاقد المواصلات العمومية مما يثير سوء الظن بأنه لاغرض لفرنسا إلا الاستيلاء على البلاد لاجل استغلالها لا لاجل تمدينها • أما غرور المراكشيين بزيارة عاهل ألمانيا لطنجة توهما أن ذلك كرامة لمولاي ادريس رحمه الله وجهلهم بالسبب واعتمادهم على جعل الامور العادية من خوارق العادات • السبب الصحيح لمعارضة ألمانيا لفرنسا في استعمار مراكش الآن هو المناظرة والمنافسة المعروفة وسنوح الفرصة بانكسار روسيا في حربها مع اليابان واشتعال نيران الثورة والفتنة في بلادها • ولولا واقعة مكدن التي خسر بها الروس نحو ١٥٠ رجلا بين قتيل وجريح وأسير وتلك الثورات لم تندفع ألمانيا الى ما اندفعت اليه • وليت المراكشيين يعلمون ان ألمانيا ليست خيرا من فرنسا في مستعمراتها بل هي شر منها وأنهما اذا لم يستفيدوا من المناظرة بينهما بالعقل والحكمة دون الاتكال على الكرامات فلا يكون دخول الالمان في بلادهم الا وبالا عليهم

وقعت أغلاط في تفسير آية (كان الناس الخ) المنشور في الجزء الثاني فعملنا لها هذا الجدول لتصحيح

صفحه	سطر	خطأ	صواب
٤٧	٣	الآية	الامة
٤٨	٦	بعد	بعدما
٤٨	٩	كما تراه	ولا يعرفون انهم كانوا جميعا على الضلال، كما تراه
٤٨	١٦	اولا يزالون	ولا يزالون
٥٠	٠٧	كما كانوا	لما كانوا
٥٢	١٢	أن لا يؤولوا	أن يؤولوا
٥٥	٤	أوربا	وربا
٥٦	٨	الخاطئين	الخاطبين
٥٦	٩	قدموه	قدموهم
٥٦	١٩	الحر	الحبر
٥٧	١٤	جاءهم	جاءتهم
٦٠	٢٠	خفيف	ضعيف
٦١	٦	علمه	عمله
٦١	٨	الملوم	الملومة
٦١	٨	فلك السن هو المعروف	وتلك السن هي المعروفة
٦٢	٨	لأدنى	لأرقى
٦٥	١١	إلى مرحلة	مرحلة
٦٥	١٤ و١٥	وصمت الجمعية لتقويم	أهملت الجمعية تقويم
٦٥	١٩	اختلف	اختلف فيه
٦٦	١٩	تيه	فيه

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب



يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق)

(مصر — السبت غرة ربيع الاول سنة ١٣٢٣ — ٦ مايو (أيار) سنة ١٩٠٥)

باب المقالات

الحياة الزوجية

٣

وأما العلم فلا يشترطه في المرأة أحد في بلادنا الا قلة من المتعلمين والمتأدبين على الطريقة الافرنجية وقليل من العارفين بكنه مدنية الافرنج الذين يقدرون محاسنها قدرها وان لم يتعلموا على طريقتهم . ولا يزال أكثر المسلمين لا يعقلون لتعليم المرأة فائدة بل يرونه ضاراً من جهة واحدة هي عندهم لا توازن ولا تقابل بشيء الا وتكون أربى منه وأكبر وهي أن البنت المتعلمة تجرأ على الرجال وتقدم على مكاتبة من تميل اليه من الشبان وأنه ليوجد في المتعلمات لهذا العهد من يحكى عنهن ذلك ومثل هذه الحكايات تسري وتذيع بسرعة البرق وتؤخذ بالتسليم ويجري فيها القياس فالقطع بأن علتها التعلم وأنه حيث وجدت العلة لزمها المعلول لا محالة . ولا يمكن إقناع العامة بأن العلم ليس علة لمكاتبة البنات للشبان يلزم من وجودها الوجود وإنما هو شرط يلزم من عدمه العدم ولا يلزم من وجوده وجود ولا عدم، لان العامة لا تفهم مثل هذه الحجج وخاصة النساء فالعمدة في إقناعهم بمزايا تعليم البنات هو ظهور اثره الحسن في المتعلمات بمصر وتونس

وسوريا وغيرها من الاقطار ولم يظهر ٠ على أن التقليد يفعل فى الامم مالا يفعل الاقناع وأشد الناس استعداداً وقبولا له الشعب المصري واذا وجد في أمرائه وكبرائه عناية بتعليم البنات تقليدا للافرنج الذين يعاشرون ويمازجون فلا بد أن يعم التقليد جميع الطبقات وقد ظهرت بوادر ذلك منذ أعوام وهي تنمو مع السنين والايام فالآباء والامهات صاروا يقذفون بناتهم الى المدارس وهم لا يدرون ماذا يتعلمن ولا يعرفون من المصلحة فى ذلك الا أن البنت المتعلمة يرغب فيها الخاطبون الاغنياء مالا يرغبون في غيرها ثم انهم بهذا الاندفاع لا يميزون بين مدرسة اسلامية أو غيرها ولا يفكرون فى خطر افساد عقيدة البنت وتحويلها عن دينها أو عادات قومها وخلائقهم المميزة لهم ولا فى كونها تطرح الحياء وتجرأ على مكاتبة الرجال كما يعتقدون لان تيار التقليد الجارف لا تقف فى طريقه هذه الخواطر انما هي طافت بهذه العقول الضعيفة والقلوب المبتلاة التي اعوزتها البصيرة والعزيمة فلم تجد هادياً ولا مرشداً ولا تربية ٠ وفى هذا الاندفاع خطر عظيم على الأمة كنا ولا نزال نحدث الناس به فيتقبله المتدلون ويقذه الغلاة فى التفرنج وقد أصبح لنا فى هذه الأيام ما يقنعهم وهو ما قاله اللورد كرومر فى تقريره عن مصر لسنة ١٩٠٤ وانما نذكره هنا لان بحثنا فى الحياة الزوجية انما هو من حيث هي ركن لحياة الامة وسعادتها أو عكس ذلك قال

﴿ تعليم البنات ﴾

« كثيراً ما أسمع الناس يقيمون الحجج والأقيسة على حل بعض المسائل السياسية والادارية فى بر مصر ويبنونها على فرض أن المصريين لا يزالون متصفين اليوم بصفات أجدادهم وخصائصهم ٠ وعندي أن هذه الحجج والأقيسة لا تخلو من مغلطة ٠ فالتغير حاصل ولست أقصد أن أعظمه أو أبالغ فيه وانما أقول انه لا يمكن ان كل خلق وصفة من الاخلاق والصفات القومية يتغير تغيراً تاماً فى ربع قرن ولو أمكن ذلك لما كان مستحسناً لانه يخشى فى مثل هذا التغير السريع أن يذهب الحسن من الامة بجريرة الرديء ٠ ولكن ليكن معلوماً عند الحكام المصريين وعند كل من له اتصال بامور مصر ان هنالك قوات عاملة قد أثرت فى أخلاق المصريين القومية فغيرتها بعض التغيير وستغيرها أكثر من ذلك على مر الايام ٠ وهذه القوات العاملة معظمها يعمل تدريجا وبغير رويدا رويدا حتى لقد يخفى عمله عن عيون المراقبين فى بعض الاحوال ولكن بعضها يعمل

سريعا حتى لقد تغير تغيرا ظاهرا محسوسا

ومن الشواهد على ذلك تعليم البنات فان الرأي العام المصري تغير في هذه الاعوام الاخيرة تغيراً كلياً في هذه المسألة الجوهرية العظيمة الشأن . ومما يزيدنا استغراباً لهذا التغير في الرأي العام أنه أسرع ما كان الناس حتى الذين يراقبون منهم أخلاق أهل الشرق أدق مراقبة يتوقعون حدوثه بعشر ما حدث من السرعة نظرا الى الآراء المعهودة عن مقام المرأة في بلاد مصر . ولكن مصر بلاد العجائب والغرائب فلا عجب اذا كذب أهلها نبوءات المصلحين الاجتماعيين بتحولهم عن حال الى حال تحولا لم يكن يخطر على بال فقد كانوا منذ عشر سنوات لا يبالون بتعليم البنات بل ربما استخفوا به واستنكفوا منه ولذلك كانت كتاتيبهم خالية من بناتهم سنة ١٩٠٠ ما عدا ٢٧١ كتابا من جملتها الكتاتيب التي تحت مراقبة الحكومة . وكان عدد كل البنات اللواتي يتعلمن فيها ٢٠٥٠ بنتا أما في سنة ١٩٠٤ فبلغ عدد الكتاتيب التي يتعلمن فيها ١٧٤٨ كتابا وبلغ عددهن فيها ١٠٤٦٢ بنتا . وأبلغ من ذلك ان ١٠٠ بنت طلبن دخول المدارس الابتدائية العالية ومدارس تعليم المعلمات بالقاهرة في السنة الماضية فلم يجبن الى طلبهن لعدم وجود محل لهن فيها . فأحسن خدمة يخدم بها المصريون المعارف والتعليم في بلادهم تقوم بانشاء مدارس ابتدائية منظمة للبنات في بنادر القطر

هذا وان قلة المعلمات المدربات على التعليم أفضت الى تأخير تعليم البنات في جميع فروعه ولكن العقبات في هذا السبيل أسهل من العقبات التي في سبيل وجود المعلمين المدربين على التعليم . فان عند نظارة المعارف في المدارس الابتدائية العالية والكتاتيب عدداً قليلا من البنات المعلمات المرنات على التعليم . وعليه يتسع نطاق تعليم البنات شيئاً فشيئاً . وفي مدرسة المعلمات الآن ١٥ تلميذة يفهي معظمهن منها في الثلاث سنوات القادمة وينتظمن في سلك المعلمات . وقد أخبرت أنهن متى انتهين من المدرسة لم يعسر وجود غيرهن من اللواتي يدرسن مكانهن

وأما مقدار ما تؤثره هذه النهضة لتعليم البنات في أفكار الجيل المقبل من بنات مصر وفي أخلاقهن ومقامهن فستظهره لنا الايام على مر الاعوام . على أنه اذا تأتى عنها تغير في مقامهن فالمأمول ان هذا التغير يكون تدريجيا وعسى ان المصلحين الاجتماعيين من

أبناء مصر يحفظون في أذهانهم قول مثلهم العربي «العجلة من الشيطان والتأني من الله» وعلى الاخص في هذه المسألة أكثر مما في غيرها لان العجلة فيها يمكن أن تؤدي الى طامة أدبية عظيمة، على أنه اذا لم يتغير مقام المرأة المصرية تغيراً تدريجياً فهما قلد المصريون أهل التمدن الاوربي ظاهراً فهيهات أن يتشربوا روح التمدن الاوربي الصحيح بأحسن مظاهره حقيقة» اه كلام اللورد

فلينظر وليتأمل القارئ البصير كيف عد هذا السياسي الحكيم تحول أهل مصر بسرعة من حال الى حال في هذه المسألة من العجائب والغرائب التي لم تكن تخطر في بال أحد من علماء الاجتماع وكيف اشار الى أن هذه العجلة شيطانية. وقول ان نصيحته هذه للمصلحين من أبناء مصر سيحفظها له التاريخ ويذكرها له في المستقبل مقرونة باجلال الفضيلة والاخلاص لاسيما اذا كان اثم الانقلاب المنتظر أكبر من نفعه كما يتوقع.

كانت حال النساء في أوربا على اسوإ ما يخطر في بال البشر من المهانة والاحتقار ولذلك كان ما يسمونه «رد الفعل» في التحول والانقلاب عظيما فبعد ان كانوا يعتقدون ان المرأة ليست من البشر وانما هي حيوان دون الانسان وفوق سائر الحيوانات وبعد ان كانوا يسومونها الخسف حتى حرموا عليها أكل اللحم ومنعوها الكلام والضحك في حضرة الرجال وأوجبوا عليها السمع والطاعة لزوجها في كل شيء ولو كان ضاراً أو خسيساً أو شاقاً لا يطاق أطلقوا لها العنان تعلم ما تشاء وتعمل ما تشاء وتنهمك كما تشاء وتحكم كما تشاء حتى صارت تشارك الرجال في أعمالهم الخاصة خارج البيوت فأهمل من امر نظام البيوت بقدر ذلك ولا غنى للبيوت عن النساء وكل عمل خارجها فهو مستغن بالرجال عنهن، وانتهى الامر بكثيرات منهن الى اختيار التبتل فراراً من اثقال الزوجية وناهيك بانتشار البغاء وشيوع الفاحشة وما في ذلك من المفاسد والمضرات.

وقد انشأ العلماء والحكماء يشعرون بخطر هذا الاطلاق لصنف لاهم لافراده غير الزينة والراحة واتباع هوى النفس لان وجدانهن أقوى من عقلهن ولكن كل ما يتعلق بمقومات الامم وشؤونها لا يظهر نفعه أو ضرره ولا يمكن ايجاده أو منعه الا في زمن طويل.

ليس من غرضنا في هذا المقال ان نبحث عن أحوال الامم في انتقالها وتحول أحوالها ولا عن حال النساء في أوربا ومنافع تعليمهن ومضاره وإنما غرضنا أن نبين أن الملم

الذي ينبغي أن تعرفه المرأة هو مالا يخرج بها عن كونها امرأة وهو ماتكون به قرة عين وخير سكن للرجل المتعلم يحسن معها به عيشه ويكون عونا لها على تهذيب ولده وإدارة شؤون بيته لاماتكون به فيلسوفة ولا سياسية ولا صانعة ، وهذاما اختارته أرقى دول أوروبا في العلوم والمعارف وهي دولة ألمانيا التي ينسب اليها بعض دول أوروبا التقصير في تعليم النساء وستضطر كل الدول الى سلوك سبيلها في يوم من الايام

ليس البيت مملكة فيتوقف عمرانه على العلوم العالية والفنون الصناعية والزراعية والتجارة وتتوقف إدارته على معرفة الشرائع والقوانين . وليست العلاقة بين البيوت كالعلاقة بين الدول فتضطر ربة البيت في حفظ حقوقها الى التوغل في السياسة والفنون العسكرية . حسب المرأة ان تتقن لغة أمتها وتعرف آدابها وان تعرف الحساب وعلم تدبير المنزل وعلم حفظ الصحة وعلم الاخلاق وعلم التربية وان يكون هذان العلمان قائمين على أساس الدين مقرونين بمعرفة عقائده وآدابه وأحكامه والتاريخ العام بالاجمال وتاريخ أمتها وبلادها بالتفصيل وعلم تقويم البلدان وعلم الاقتصاد . ثم مبادئ وموضوعات سائر العلوم وفوائدها بقوة الاجمال . وان تعرف الطبخ والخياطة والتطريز وما يتصل بذلك ، ولا يصدنها عن هذا أنها من بيوت الأغنياء الذين لايطبخون طعامهم ولا يخيطون ثيابهم بأيديهم فان علمها بذلك وتمرنها عليه نافع بل ضروري وقد بلغنا ان قيصرة روسيا تحسن الطبخ والخياطة وكانت فيكتوريا ملكة انكلترا وامبراطورة الهند تنسج وتخيط وتطرز فهذا كمال النساء ان لم يعملن به فعليهن ان يعلمن كيف يعمل في بيوتهن ويعرفن نفقته ودرجة جودته ويحسن المراقبة والرياسة على الخدم التي تقوم به

أما معرفة موضوعات وغايات العلوم والفنون المتداولة في الامم الحية فلها فوائد منها أن لاتكون عدوة أو كارهة لشيء نافع لقومها فان من جهل شيئا عاداه وكرهه وان الانسان يكون ناقصا بمقدار مايجهل من الضار والنافع . ومنها أن تعرف قيمة زوجها اذا هي تزوجت بمن يشتغل بعلم أو فن مما يجهل النساء تفصيله فاذا رأته يشتغل بتجارب زراعية أو كيماوية مثلا عرفت فضله في ذلك ورجت له من الفائدة ماتكون عونا له على عمله ، فان المرأة التي تجهل قيمة زوجها المعنوية ومعارفه التي يمتاز بها لا يهنأ

لها معه عيش لانها لاترى عمله الا شاغلاً له عنها كأنه ضرة لها وهو لا يهنأ له معها عيش لانه يراها جاهلة بقدره، بعيدة عنه في نفسه وعقله • وان شئت قلت انهما يكونان شخصين متباعدين بالروح والعقل لايمكن ان تكون منهما حقيقة الزوجية التي بينا معناها في النبذة الاولى • ومن تلك الفوائد ان يكون لها رأي فيما تصرف وجهة أولادها لاتقانه من العلوم والفنون بعد التعليم الابتدائي والثاني • وكثيراً مايموت الوالد وتكون المرأة هي القيمة على أولادها منه فينبغي ان تعرف وجههم في المدرسة وقيامهم في التعلم لتحسن القيام عليهم •

وأما فائدة اللغة وآدابها فهي بديهية لمن يقول بالتعليم فالمرأة التي لا تفهم لغة أمتها العلمية الأدبية تكون بمنزلة البهائم لاتشعر الا بالحاجات الجزئية التي أودع الشعور بها في فطرة كل حيوان ويكون سكون الرجل العالم الاديب اليها مقصوراً الداعية الحيوانية الى ملامستها وفي وقت هذه الداعية وتكون في سائر الاوقات كلاً عليه وبلاء ومصابا اذ يراها مباينة له في إنسانيته لاتشاركه في حسن تصوره ودقة مداركه ورقة شعوره بالمعاني الادبية والافكار الاجتماعية، ويرى اقناعها بالمسائل المعقولة والمصلحة الفعلية متعذراً أو متعسراً عليه لانها ليس لها لغة تعبر عما وراء الضروريات التي يدور عليها كلام العامة • ثم انه اذا سافر تنقطع الصلة بينه وبينها لا يكتب اليها ولا تكتب اليه فيما يتعلق بشؤون البيت ومصلحة العشيرة الا اعلاما بالصحة واستعلاما عنها ونحو ذلك ويتعذر عليه ان يشعرها بما يشعر به في سفره من لذة وألم وسرور وكآبة كما يتعذر عليها ذلك

وأما فائدة الحساب فلا يجهلها أحد في البشر الا أن يكون بعض أهل الازهر ، فالمرأة التي تعرفه يمكنها أن تضبط نفقات البيت على القاعدة التي يسمونها الميزانية فتجعل الخرج على نسبة الى الدخل معروفة فهو عون على الاقتصاد • وقلما توجد امرأة في الأرض لاتشتري ولا تبيع شيئاً ولا تعامل أحداً بالمال والنساء اللواتي يملكن المال والعقار والارض والعروض كثيرات والاسلام جعل لهن حق التصرف في أموالهن فالمرأة التي لاتعرف الحساب تكون عرضة للخطأ في كل معاملة مالية فيغشها البائع والمشتري والوكيل والاجير ويطمع في غبنها ماله زوجها السفيه

ويبث به ولدها الصغير .

وأما الاقتصاد الذي يسد الحساب من وسائله فهو روح المسألة وأس النظام وملاك المعيشة ودعامة السعادة . فاذا لم تكن ربة البيت عارفة بهذا الفن عاملة به فلا يستقيم للمعيشة حال بل تكون مضطربة بين أمواج الحوادث يتقاذفها اليسر والعسر ، ويتناوبها الغنى والفقر ، وليس الرجل بغنى في اقتصاده عن اقتصاد المرأة عن رضى واقتناع ولا رضى ولا اقتناع إلا بالعلم والمرونة بأن مصلحتها ومصلحة بيتها في الاقتصاد . ألم تر أن معظم المال يذهب في سرف النساء وخيلائهن؟ ألم تسمع أنين الرجال وأطيطهم من ثقل النفقة على ما يبتدع النساء كل حين من الأزياء والتفنن في ضروب الحلي والحلل، ألم تعلم بأنهن لا يعذرن الرجل اذا قال لا استطيع لا أقدر لا أملك بل ينغصن عيشه ويسلبن راحته أو يبذل لهن ما يطلبن ولو استدانه بالربا الفاحش أو باع لأجله الغالي النفيس بالثمن البخس ، ؟

هذا مما تعرف قولي لك أن تضم الى معرفة الداء معرفة العلاج وهو أن تتزوج بامرأة كاتبة حاسبة مقتصدة وتجعل للبيت بالاتفاق معها ميزانية يكون الخرج فيها جزءا من الدخل وتكون هي المنفقة والقيمة كما تجعل لأرضك وعقارك ميزانية تكون أنت المنفذ لها وبذلك تكون امرأتك مقتنعة بأن ما توفر من الدخل في الحال هو عدة لها ولأولادها في الاستقبال ، .

جرب كثير من الرجال هذا العلاج فوجدوه نافعاً مفيداً ومنهم من أسعدها الحظ به على غير علم بفائدته فأصاب السعادة عفواً . أعرف رجلا مسرفاً كان يضيع كسبه الكثير بغير عقل ولا حساب ويضطر الى الدين حتى أخذ الدين بتلابيبه لأنه كان جاهلاً سكوراً فتزوج بفتاة كانت يهودية وأسلمت إسلاماً صحيحاً فما عتم أن حسنت حاله فقل سرفه وحسن عمله وقضى دينه ثم صارت له ثروة مدخرة . وحدثت عن رجل في مصر له راتب من الحكومة لم يكن كافيا لسعته في نفقاته الشخصية فتزوج بفتاة متعلمة مهذبة فهو يعيش معها في هناء ونعيم ويقتصد من راتبه شيئاً يدخره للمستقبل المجهول . بل أعرف غير واحد من الفقراء جعلوا كسبهم في أيدي نسائهم فكانوا معهن في عيشة راضية يزيد فيما دخلهم على نفقتهم زيادة لها شأن عندهم .

وإني أظن أنه يصعب على أكثر النساء أن يبذلن جميع ما في أيديهن من المال في الأمور الزائدة على الضروريات أو الحاجيات ولكن يسهل عليهن أن يبذلن أكثر مما في أيدي أزواجهن اذا كانت النفقة بيده • فالمرأة الجاهلة تقدر على الحياة الاقتصادية في بيت فقير ولا تقدر على ذلك في بيت غني ولا متوسط الا بالعلم وحسن التربية

وأما علم حفظ الصحة فهو ضروري لكل انسان سواء كان يعيش منفرداً أو زوجاً أو صاحب عيال ورئيس عشيرة فمن عرف هذا العلم سهل عليه التوقي من أكثر الامراض والاوبئة ووقاية من يعوله منها واذا هو أصيب بمرض فانه يحسن وصفه وبيان أسبابه وكيفية سيره للطبيب فيكون أكبر عون له على تشخيصه ومعرفة حقيقته ثم انه يحسن العمل بما يأمره به الطبيب من المعالجة • فربة البيت الجاهلة بهذا العلم تكون بلاء على نفسها وعلى زوجها وأولادها ولا يمكن أن تقل الامراض والادواء في امة الا اذا تعلم نساؤها هذا العلم فكم من طفل فتك به المرض لجهل أمه بمداراة صحته وكم من امرأة قتلت ولدها أو زوجها بنفس الادوية التي وصفها الطبيب لشفائه لجهلها بأسمائها وبمقادير ما يعطى المريض منها • ولقد يتعسر على المريض العالم أن يحسن معالجة نفسه في بيت قيمته جاهلة لان أي عمل في البيت لا يتم الا بها

وأما علم الاخلاق فهو عون للانسان على تكميل نفسه في الكبر وعلم التربية يتوقف عليه لان من لا يعرف قوى النفس وكيفية تكوين ملكاتها وانطباع أخلاقها وطريقة تأديبها وآثار صفاتها ووجداناتها فهو لا يعرف معنى الانسان أو هو ليس بانسان كامل فيتعذر عليه تكميل غيره بحسن التربية التي هي أهم ما يجب على المرأة وأعلى ما يطلب منها

ويدخل كل ما تقدم في علم تدبير المنزل ما عدا مبادي الفنون وعلم اللغة التي هي وسيلة كل علم لان المراد بتدبير المنزل سياسة أهله وموضوعه حقوق كل من الزوجين على الآخر وحقوقهما على الاولاد والخدم وحقوق هؤلاء عليهم وطريق قيام كل بما يطلب منه • والمرأة هي ربة البيت ومديرة نظامه فينبغي أن تكون عارفة بما عليها ومرشدة للاولاد والخدم الى ما يجب عليهم تحت رعايتها لينتظم شأن البيت فتكون المعيشة راضية وليتربى الاولاد بالقدوة الصالحة فيكونوا أعضاء صحيحة عاملة في الامة

ومعرفة التاريخ وتقويم البلدان هي التي تودع حب الامة في القلب وتبعث فيه روح

الغيرة فاذا كانت المرأة جاهلة بتاريخ أمتها ومكانتها من غيرها فهي لاتشعر بأنها عضو من جسد أمة كبيرة لها حقوق يجب على الافراد القيام بها وعلى الوالدين تربية أولادهم على احترامها والتنافس في المسابقة اليها واعتقاداتها دعامة الشرف وركن العزة والسيادة ٠ يكون الانسان كبير النفس وعظيم الهمة اذا كان يشعر بأن وجوده غير محصور في مساحة جسمه الصغير وانما هو واسع بروحه المنبثة في عالم كبير يسمى الامة تعمل له كما يعمل كل عضو في جسده لمصلحة الجسد كله ٠ ويكون أكبر وأعظم اذا كان يشعر بأن وجوده أوسع وأرقى لانه خلق ليعمل ما يفيد البشر كلهم بالتقريب والجمع بين المختلفين والتأليف بين المتنافرين وغير ذلك من الاعمال أو بث العلوم التي ينتفع منها الجميع ٠ ويكون الانسان حيوانا حقيرا ضيق الوجود اذا كان علمه وعمله موجهين لخدمة شخصه ومن عساه يتصل به اتصالا محسوسا كأهله وعشيرته ٠ ومن كانت هذه حاله فانه لا يرجى منه ان يربي أولادا ينفعون أمتهم ووطنهم او ينفعون الناس اجمعين ٠ لذلك كان لا بد لكل انسان من ذكر أو أنثى ان يعرف التاريخ ليتسع وجوده بقدر استعداده لعله يربي من ينفع الامة والناس ٠ وعلم تقويم البلدان في معنى التاريخ بل هو منه في الاصل ثم صار أصلا مستقلا تلك إشارة الى ما يطلب من كمال المرأة وتختار لأجله ٠ وسنكتب كلمة في اختيار المرأة للرجل ٠

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة اذ لا يسع الناس عامة ٠ ونشترط على السائل ان يبين لنا اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ٠ واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا ٠ ولمن تمضي على سؤاله شهران أو ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان عندنا سبب صحيح لاغفاله

﴿ أسئلة من السيد محمد بن يحيى الصقلي الحسيني من بلاد الجزائر ﴾

قال بعد رسوم الخطاب : لما نظرنا الى ارشاداتكم المديدة غير المتناهية وبحثكم وتضلعكم في العلوم الدينية الاسلامية وتحققنا بعلو مكانتكم في ذلك جزمنا بأن فيكم الكفاية لمن يريد الحصول على استفادة بأكمل بيان وأبلغ عبارة فتعلقت آمالنا بحضرتكم وكتبنا هذا لفضيلتكم والرجاء من الله ثم منكم أن تفيدونا ومن نفعكم لا تحرمونا

﴿ تقبيل أيدي العلماء ﴾

(س ٩) ماقولكم دام نفعكم في تقبيل العامة كبيرهم وصغيرهم غنيهم وفقيرهم لأيدي العلماء وتذللهم لهم حتى جعلوا ذلك من أهم الواجبات الدينية أفيدونا هل ذلك من آداب ديننا الاسلامي الحنيف أم لا

(ج) اذا اعتقد العوام أن تقبيل أيدي العلماء من الواجبات الدينية كان تقبيلها معصية يجب نهيهم عنها ويحرم على العلماء تمكينهم منها لانهم زادوا في الدين ماليس منه وشرعوا لانفسهم مالم يأذن به الله ولقد كان النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يتحامى المواظبة على بعض العبادات المندوبة كصلاة التراويح لئلا تعتقد العامة أنها واجبة • وفي حديث ابن عمر عند ابي داود « فدنونا من النبي فقبلنا يده » ولكن لم تمض السنة عنه ولا عن أصحابه ولا عن التابعين بتقبيل أيدي العلماء فهي عادة من العادات المباحة مالم تعتقد مشروعيتها وكونها من الدين ولا حاجة لاطالة البحث في هذا فانه مما لا يختلف فيه عالم بدين الاسلام • وانما نشكر للسائل حسن ظنه بنا على ضعفنا وعجزنا

﴿ نذر الذبائح على أضرحة الأولياء والتوسل بهم ﴾

(س ١٠) ومنه: وماقولكم في الذبائح على أضرحة الاولياء لسبب نذر أو لرجاء دفع مضرة او غيرها وكذلك التوسل بجاههم والرجاء منهم نحو قول اهل فاس عند معاينة مكروه نازل بهم مادام ضريح مولاي ادريس في وسط بلدنا فلا نخاف لانه يذود عن بلدة فاس خصوصا وعن قطر المغرب عموما وهو ورجال المغرب (صاحو الموتى) يحفظونها من طارقات العدو ونفوقه: واقوالهم من هذا القبيل كثيرة افيدونا بما يشفي الغليل عن هذا القبيل ليعم ارشادكم كافة الموحدين الحنيفيين ودمتم كعبة للقصاد مأجورين من رب العباد

(ج) الذبح على القبور بدعة اخذها بعض المسلمين عن اهل الكتاب وهؤلاء اخذوها عن الوثنيين اذ كانت الذبائح لاوثانهم واصنامهم من اركان دينهم واعظم عباداتهم ثم كانت القرابين عبادة في شريعة موسى عليه السلام وما هي الا للتقرب الى الله وحده لا الى شيء والا الى شخص عظيم كما هي عند الوثنيين في الأصل وقد اجمع المسلمون على انه لا يجوز الذبح لغير الله تعالى تقرباً اليه او تعظيما له او رجاء فيه لان هذا من الوثنية وقد صرح الفقهاء بأن من فعل ذلك على سبيل العبادة يكون مرتداً عن الاسلام

والعبادة هي الخضوع والتعظيم لمن تعتقد فيه السلطة الغيبية التي وراء الاسباب فان وجد هذا المعنى كان الذبح للولي او عنده كفراً وان لم يوجد كان معصية لانه يدخل في قوله تعالى «او فسقا اهل لغير الله به» ويستحق صاحبه اللعن من رسول الله في حديث علي كرم الله وجهه عند احمد ومسلم والنسائي «لعن الله من ذبح لغير الله» وقال في الاقناع وشرحه ما نصه

«ويكره الذبح عند القبر والاكل منه» لخبر انس «لاعقر في الاسلام» رواه احمد باسناد صحيح قال في الفروع رواه احمد وابو داود وقال عبد الرزاق وكانوا (اي في الجاهلية) يعقرون عند القبر بقرة او شاة» وقال احمد في رواية المروذي كانوا اذا مات الميت نحروا جزورا فنهى عليه الصلاة والسلام عن ذلك وفسره غير واحد بغير هذا «وقال الشيخ» يحرم الذبح «والتضحية» عند القبر «ولو نذر ذلك ناذر لم يكن له ان يوفي به» كما يأتي في نذر المكروه والمحرم «فلو شرطه واقف لكان شرطاً فاسداً» اهـ

نقول وأنت ترى من الأدلة ان القول بالتحريم هو الراجح وإن أريد بالكراهة ما كان للتحريم. ومما ورد في النذر حديث عائشة عن أحمد والبخاري وأصحاب السنن ان النبي (ص) قال «من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه» وحديث ثابت بن الضحاك عند أبي داود والطبراني وقد صحح الحافظ ابن حجر إسناده «قال ان رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني نذرت ان أنحر إبلا ببوانة (بضم الموحدة موضع) فقال «كان فيها وثن من اوثان الجاهلية يعبد ؟ قالوا لا قال «فهل كان فيها عيد من أعيادهم ؟ قالوا لا قال «أوف بنذرك فانه لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم» وقد يتوهم بعض الجاهلين من العامة أن النهي عن الذبح لتعظيم معاهد الجاهلية لا يقتضي تحريم الذبح لتعظيم أولياء المسلمين . ونقول (أولا) ان الفقهاء اجمعوا على انه لا يجوز الذبح لغير الله كالانبياء والكعبة و(ثانياً) ان حكمة ذلك تطهير القلوب من التوجه الى غير الله تعالى في مثل هذا العمل الذي يراد به الخير والبر لان ذلك من الاشراك ولا يقبل الله تعالى من العمل الا ما كان خالصا لوجهه ومما ورد في ذلك بخصوص النذر حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال «لا نذر الا فيما ابتغي به وجه الله تعالى» رواه أحمد وأبو داود والبيهقي وأورده الحافظ في التلخيص

وسكت عنه وفي معناه روايات أخرى و(ثالثاً) ان كثيراً من أئمة السلف والفقهاء صرحوا بأن مايذبحه النصراني لكنيسة أو مكان أو رجل معظم عندهم يحل لنا ولكن لم يقله أحد بأن مايذبحه المسلم لمعظم عنده يؤكل بل اجمعوا على تحريمه وإثم فاعله وان قام في نفسه معنى العبادة كطالب مالا يطلب الا من الله تعالى كان مرتدا كما تقدم

وأما مايسمونه التوسل فقد بسطنا القول فيه مرات كثيرة في كل مجلد من مجلدات المنار فليراجع ذلك السائل في مواضعه من المجلد السابع وغيره مسترشدا في الفهرس بكلمة التوسل من حرف التاء وبكلمة قبور من حرف القاف ويجد في العدد السابق كلاما عن اعتقاد أهل فاس بمولاي إدريس وغرورهم في ذلك • ولكن هذه الاعتقادات المبنية على وعث البدع والتقاليد لاتثبت أمام سيول الحقائق فهذا سلطان مراكش قد اضطرب وخاف سقوط ملكه فلم يكتف بالتجاء الى ادريس بل أشرك معه ملكا نصرانيا يتترس به ويستعين به على فرنسا وهو عاهل ألمانيا وقد أرسل اليه عند زيارته طنجة هدية تساوي مئتي ألف جنيه ولو كان موقنا بحماية قبر ادريس للمملكة لكان غنيا عن ذلك • ولماذا لم يحم ادريس البلاد من الفتن التي انهكتها وكانت حجة فرنسا في التصدي لها؟؟؟

قصة المولد للشيخ ابراهيم الرياحي التونسي

(ص ١١) أحد القراء (بتونس) : انتبه على بعض الناس طعنكم في بعض أعداد المنار بروايات قصص المولد النبوي وقد وجهت لكم في البريد نسخة من مولد الشيخ ابراهيم الرياحي التونسي المتوفى سنة ١٢٦٦ وهي الرواية المعتمدة رسمياً في تونس فهل لكم أن تنظروا فيها وتنبهوا على مافيها من الغلط

(ج) ان هذه القصة كغيرها من حيث وجود الموضوعات والواهيات فيها ولكنها في اختصارها وعزو بعض الروايات فيها أمثل من غيرها ولعلنا نذكر تخريج هذه الروايات في جزء آخر • وهذا قوله في أول القصة (ص ٤) «ان أول ما خلق الله نور هذا النبي الاواه» لم تصح به رواية وأقوى الروايات وأكثرها في بدء الخلق ان أول شيء خلقه الله القلم • وكذلك ماذكره في خلق آدم غير صحيح ومثله مافي (ص ٥) من نطق الدواب وبشارة أهل البحار وانقلاب الاصنام وما ذكر عن آمنة وغير ذلك • وكان يجب الاستغناء عن هذه الروايات بالمناقب والآثار التي هي أوضح من النهار

باب الاخبار والآراء

هداية استاذ للاسلام

(نقلها عبد الرحمن أفندي شهبندر من مجلة الملل الصادرة في مارس (آذار) سنة ١٩٠٥ إلى العربية)

لدينا الآن رسالتان بقلم الاستاذ تشكتاباد هيايا الرئيس الماضي لكلية حيدراباد (وأستاذ التاريخ في كلية مهراجا في ميسوري)

والأولى منهما موضوعها «لماذا انتحلت الاسلام» والثانية «محمد نبي الاسلام» وقد أصبح اسم المؤلف بعد إسلامه محمد عزيز الدين وهو من العلماء الأفاضل الذين ساحوا في البلاد زمناً طويلا ودرسوا الاديان المختلفة وفي الرسالة الاولى ذكر أسباب هدايته واتخاذه الاسلام ديناً لا يبارى في الصحة والسلامة .

كان المؤلف في أول أمره كثير الاعجاب بمذهب العقليين لكنه لم يلبث أن تحول لان هذا المذهب لم يرو له غليلا فأخذ في درس الدين البوذي وأعجب بظاهر رفعته الاخلاقية لكنه وجده أخيراً على عكس طبيعة البشر فله وكان ذلك اثناء وجوده في البلاد الالمانية حيث ألقى خطابين موضوعهما البوذية بلغة تلك البلاد . ومن ثم ذهب الى باريس وبطرسبرج وبعدما تعلم الافرنسية أعجب (برنان) وكان من تأثير ذلك انه أخذ في درس لغات الساميين وأديانهم وكرس قسما عظيما من حياته لدرس المقابلة بين الاديان العظيمة يعني اليهودية والزردشتية والبرهمية من الجهة الواحدة والبوذية والنصرانية والاسلام من الجهة الأخرى . ووقف في سبيله الى التنصر مسألة الفداء ومسألة الهلاك الابدي وما يضاف اليهما في الكاثوليكية من اعتقاد العصمة البابوية والتحول في العشاء الرباني ثم رجع الى البلاد الهندية على هذه الحال من تبلبل الفكر وهنالك فرغ نفسه مدة لدرس الرياضة (التصوف) لكنه عاد منها أيضاً غير مقتنع ولم يعط البوذية والاسلام حقهما من الدرس حتى ذلك الحين فدرس الاولى منهما ثم جاء الى الاسلام الذي استماله أخيراً وأثر في نفسه أثراً باقياً وكان قد شعر بصحته منذ مدة طويلة لكن الظروف الخارجية منعته من التصريح بذلك حتى الثامن والعشرين من

شهر آبه (أصطفى) حين صرح في محفل بدخوله في الاسلام برسالته «لماذا اخترت الاسلام» وبنى رضاه بالاسلام على ثلاثة أسباب رئيسة (١) صحة أخبار الاسلام وانه الدين التاريخي الوحيد (٢) موافقته للعقل (٣) أنه عملي (لا خيالي) • ويقول في رسالته « ان ميدانه التاريخي قد أثر حتى في أعداء محمد واتباعه واستشهد بكلام للاستاذ (بوسورث سمث) ذكر في خطابه وهو «إننا في الحقيقة لنعرف بعض نتف من تاريخ المسيح ولكن انى لنا من يكشف الحجاب عن السنين الثلاثين التي أعدت الطريق الى الثلاث •••• وفي الاسلام كل شيء على خلاف ذلك • هنا يقوم التاريخ بدلا من الغامض المظلم •••• وهنا لا يخدع المرء نفسه او غيره من الناس لان نور النهار يسطع على كل ما يمكن أن يصل اليه »

والنقطة الثانية في بحثه جري الاسلام على قواعد العقل وقد ذكر القاعدتين الاساسيتين في الدين — توحيد الله ورسالة النبي محمد — وقال: يجب على كل صحيح عاقل أن ينقاد هذه الحقيقة البسيطة الجلية وهي توحيد الله الخالص (لا كتوحيد اليهود الذين جعلوه الها خاصا بهم) ولا يوجد في الاسلام تعاليم مثل «ثلاثة في واحد» او ثلاثين مليونا من الآلهة

ولا يرد قاعدة الرسالة النبوية باحث لانه «متى نسيت الحقائق الاساسية التي تبنى عليها الحياة الاخلاقية الدينية أو أبهمت وقد أصبح الانسان مفرطا في حب دنياه طامعا سيء الاخلاق ماديا بحتا يظهر في تاريخ الامم أناس أخلاقيون أحيتهم الروح الخالصة في مولدهم ونشأتهم حتى يصبحوا أنبياء ورسلا لله ووظيفتهم تذكير الناس ما كانوا نسوه وإحياء ما كانوا فقدوه» • ويضاف الى ذلك كله ان الاسلام على طبق حياة الانسان العملية • وربما توهم الناس في بعض الاحيان أن تعاليم بوذا والمسيح على أحسن الكمال لكن هذا خطأ وهذه التعاليم أشبه بالكمالات الباردة الواردة في القصص والروايات وربما كان فيها (جمال شعري) الا انه لا يصلح طريقة لحكم الانسان المدني الصناعي على صحة التعاليم والمبادئ: فمن الواجب علينا ان ننظر الى حاجات البشر أولا ثم نحكم على كمال التعاليم بالنسبة لفائدتها • وعلى هذا المبدأ تماما (يعني النظر الى حاجات البشر) أباح الاسلام تعدد الزوجات • وسن الزواج في

هـذا الدين أقرب للعمل وأشد موافقة لحاجات الجمعية البشرية وأجلب لترقيها من الجهة الاخلاقية الروحية (يعرض بانتشار الفحش في البلاد الغربية الى حد لا يوصف) والمبادئ الاسلام الاخر هذا الحظ من الرفعة والمكانة" .

وذكر في رسالته الثانية «محمد نبي الاسلام» مختصرات من حياة النبي (ص) ونبذاً من التحويل المدهش الذي أجراه في العالم وفي الختام يجيب الكاتب عن اعتراضات المنتقدين المتعصبين . (قالت المجلة) ونحن نلفت أنظار المسلمين الى هاتين الرسالتين وكذلك كل طلاب الحقائق وتطلبان من محل لوزاك وشركاه في لندن أو من شوز وثنات في حيدرأباد الدكن

الدولة العلية في نجد وخوف الفتنة

جاءنا من بلاد العرب رسالة كتبها رجل كبير من أهل نجد في غرة صفر يخبرنا فيها بمعنى ماوصل الينا قبل من طرق ضعيفة ويزيدنا خبراً ورأياً قال حفظه الله ما ملخصه : ارسلت الدولة الى الشيخ عبد الرحمن الفيصل بأن يواجه والي البصرة مع (الشيخ مبارك) فتوجه الشيخ عبد الرحمن من نجد الى اطراف الزبير وطلع الشيخ مبارك والتقوا مع الوالي على مسافة ساعتين من بلد سيدنا الزبير وقدم الشيخ عبد الرحمن الطاعة لمولانا امير المؤمنين وكذب جميع مانسب اليه وانه خاضع لأوامر مولانا امير المؤمنين الا ان ابن رشيد ليس له يد على اهل نجد وبعد ذلك توجه الوالي الى البصرة وبلغ الاستانة ما كان وليلة ٩ ذي الحجة وصل تلغراف من امير المؤمنين بتولية الشيخ عبد الرحمن على نجد ورفع يد بن رشيد وبأن يكون في القصيم عسكر درسم طاعة، وامرهم راجع الى الشيخ عبد الرحمن وابنه عبد العزيز آل سعود وبلغ الوالي عبد الرحمن وبعد ذلك مشى العسكر الذي كان بأطراف النجف الى نجد وهو ستة توابير، وفي نجد عند ابن رشيد ثلاثة توابر وبهـذا السبب صار عند أهل نجد شك في مشى العسكر زيادة على مافي نجد، والجميع حدر نظر بن رشيد، والمشير بنفسه طلع ومعه ابن هذال شيخ عنزه وشوشوا اهل نجد واستعدوا للفتنة ان كان العسكر جاء محارباً وان كان مصلحاً فلا حاجة الى هـذه الكثرة . والظاهر أن الفتنة لاتسكن على هذه الحالة . وعبد الرحمن ماتوجه الى نجد بل تربص بالكويت

ينتظر نتيجة وصول العسكر الى اهل القصيم وانه عبدالعزيز الظاهر انه جهز غزوانه (أي غزاته) نحو القصيم (قصده) واهل القصيم مستعدون . نسأل الله ان يطفئ الفتن ويصلح احوال المسلمين وحسبنا الله على من ايقظ الفتن بينهم والا فأي شيء للدولة من المصالح في نجد ولكن يغرهم المفسدون بالدسائس الفاسدة حتى يلجئوا أهل نجد اليها اذا لم يكن لها علاج وننتظر الحوادث ونرجو الله يصلح الاحوال ويبصر الدولة بما فيه صلاح المسلمين .

(المنار) لم يذكر الكاتب ماذا كان بين الوالي والشيخ مبارك صاحب الكويت وقد بلغنا من مصدر آخر دون هذا المصدر ان الشيخ قال للوالي انه خاضع للدولة ونادم على تورطه مع الانكليز . ولكن الدولة قد أعوزتها السياسة الحكيمة في هذا الزمان ولذلك غلبتها سياسة الاجانب في البلاد التي لا يوجد فيها أحد يميل اليهم او يعبأ بشيئهم كاليمن وحضرموت والكويت . وانا كنا بدأنا النصيحة لها نعيدها ونؤكدها بأن تحامي مثار سوء ظن أهل نجد بها وان لا تحدث نفسها بمعاملتهم بالقوة وتحكيم رجالها وقوانينها فيهم وان لا تخادعهم كما يخادع الاعداء بل يجب ان تقبل الطاعة من آل سعود وتتقلد صدقهم وتمضي الامر بولاية الشيخ عبد الرحمن على نجد ظاهرا وباطنا وتتفق معه على عدد العسكر الذي تحب ان تجعله في القصيم والا كان عملها هو المنذر بالخطر الذي تريد تلافيه به . وقد جاءامس في برقيات روتر ان الباب العالي سأل ناظر خارجية انكلترا عن البوارج الانكليزية الراسية في مينا الكويت فاجاب بأنه لم يأته نبأ عنها وانه لا يقبل البحث معه فيها على ان البوارج انزلت العسكر فاحتلت الكويت . وننصح للشيخ عبد الرحمن ان لا يبني على سوء الظن وان يخابر الدولة في مسألة كثرة العسكر ويقنعها بعدم الحاجة اليه ويتوقى الفتنة لئلا يؤول الامر الى ما يندم هو والدولة عليه وتلحق نجد بغيرها ولات حين مندم

المسلمون في روسيا

ثار الشعب الروسي القح الارثوذكسي العريق على حكومة القيصر الذي يسمى في التقاليد الروسية الاب الصغير أي الرب صاحب السلطة الدينية الالهية وثارت أيضا سائر الشعوب كالارمن واليهود والفلنديين وأما المسلمون فكانوا أشد العناصر الروسية مسالمة للحكومة ولكنهم طالبوا بحقوقهم ومنحتهم الحكومة ما اختلفت فيه الروايات في جرائد أوربا ان مفتي القزان الذي يدعى شيخ الاسلام (وهو محمد يار سلطانوف) دعي من أورنبورج الى

بطرسبرج وأمرته نظارة الداخلية بأن يرفع اليها تقريراً يبين فيه مطالب المسلمين فطلب ما يأتي ملخصاً بناء على منشور القيصر الصادر في ١٢ دسمبر سنة ١٩٠٤ الناطق بأنه عزم على منح الرعايا غير الارثوذكس جميع الحقوق التي يتمتع بها الروسيون وهو

(١) أن يعطى المسلمون الذين ينالون الشهادات من المدارس الروسية حق التدريس بالمدارس غير الاسلامية كمدارس الحكومة (٢) أن يعطى من يتم منهم الدراسة في المدارس الثانية حق التعلم في المدارس الروسية العالية (٣) تعيين أئمة لتوابير العسكر المسلمين لاجل أن يؤدوا الفرائض الدينية في مواتهم وأحيائهم وقال ان القرعة العسكرية تتناول في السنة نحو ٤٠ ألفاً من المسلمين وان القيصر كان أمر بتعيين أئمة لهم ولم ينفذ ذلك !! (٤) إلغاء ماتوجبه المادتان ١٥٤ و١٥٧ من القانون المدني (المجلد الثاني) من عدم السماح للمسلمين بإنشاء مسجد الا بإذن الاسقف الارثوذكسي في الجهة التي يراد إنشاؤه بها (٥) منع اضطهاد الولاة والحكام لرجال الدين كعزل والي اوفا لامامي مسجدين من مساجد المدينة في حادثة ١٦ اغسطس سنة ١٩٠٤ بدون ذنب ولا محاكمة بل افتئاتاً عليهما بأنهما اهملا وظيفتهما على أنه اعادهما بعد ثلاثة اشهر !! (٦) اعادة ادارة المدارس والمكاتب (الكتاتيب) الاسلامية الى رجال الدين المسلمين وكذلك ملجأ الصبيان والبنات في اوفا وقال ان هذا ما كان متبعاً الى سنة ١٨٧٠ وبعدها اخذت نظارة المعارف على نفسها حق مراقبة التعليم فتأخر التعليم الاسلامي وقل التبرع له بقلة الثقة به (٧) جعل النظامات والقوانين الموضوعة للمسلمين متحدة موافقة للزمان وقال ان النظام لمسلمي أورنبورغ باق على ما وضع عليه في اوائل القرن الماضي مع ان الحكومة سنت أخيرا لمسلمي القوقاس قانوناً أمثل منه (٨) اعفاء رجال الدين من الخدمة العسكرية ماداموا يؤدون وظائفهم وفقا للمادة ١٣٣١ من القانون العسكري الذي وضع سنة ١٨٥٧ التي استبدلت في القانون الجديد بمادة خصصت فائدتها برجال الدين المسيحي ومعلمي المدارس منهم وان كان لفظها ماذلك أن هذا القانون يطلب الشبان للقرعة في الحادية والعشرين والقانون المدني لا يبيح تعيين امام لمسجد الا اذا كان بالغا الخامسة والعشرين ونتيجة ذلك الا يعين الامام الا بعد الخدمة العسكرية • وقال ان كثيرين من طلاب العلم يساقون الى العسكرية قسرا وانه كتب الى الحكومة في ذلك مرارا فلم تسمع له

هذا ما قاله بريد أوروبا ولم يذكر ماذا أجيب منه ولكن كتب الينا أحد مسلمي روسيا ما يأتي وقد حذفنا منه رسم الخطاب والمقدمة قال :

ان المسلمين الروسيين قد أرسلوا وفودا من الولايات المختلفة الى عاصمة الروسية « بترسبورغ » كما ان شيخ الاسلام القزاني « محمديار سلطانوف » قد ذهب نفسه الى بترسبورغ وطلب من حكومتهم اعادة حقوقهم الدينية التي قد وهبت لهم أولا . ثم كادت ان تسلب سلبا كليا بل سلبت حقيقة فما بقي للمشيخة الاسلامية الا اسم يذكر في الالسن وهيكل مخيل في الهواء .

والآن قد شاع الخبر وذاع بأن الحكومة قد سمحت لهم ببعض ما طلبوه من حقوقهم المسلوبة . وهي هذه : (١) ان النكاح والطلاق وتقسيم التركات ونصب الامام وعزله يكون تحت ادارة المشيخة الاسلامية كما كان (٢) رخص للذين أكرهوا من المسلمين على التنصر منذ سنة ١٨٤٢ فتنصروا بعد ما أحرق اكثر اخوانهم بالنار ان يرجعوا الى دينهم الاسلام (واذا فصلت أحوالهم يرتعش كل مسلم بوجوده وتكاد ان تخرج روحه) و (٣) رخص للوثنيين مثل « آره » و « جرمش » ان يسلموا ويقبلوا أي دين شاؤا ومعلوم ان أكثرهم كانوا يتدينون بدين الاسلام وكثيرا ما استرحموا من الحكومة ان تسمح لهم بأن يلحقوا بالمشيخة الاسلامية ولكن منعوا وبنيت الكنائس في قراهم وألزمهم القسيسون بتعلم دين النصرانية الزاما وأكرهوهم عليه اكراها (٤) ان طائفة القزاق ستلحق بادارة المشيخة القزانية كما كانوا أولا ثم قد فصلوا بدسائس القسوس ودسهم حتى أن الحكومة سمتهم أهل الظن ونزعت عنهم ثياب الاسلام . . . . . (٥) ان إلزام الأئمة والمدرسين بتعلم اللغة الروسية قد رفع (ومع ذلك ترى المسلمين يتعلمون اللغة الروسية ويجعلون قانون المعارف الزمانية منطبقا على پروغرام أوربة والروسية) (٦) ان المشيخة الاسلامية ستدعو العلماء الاجلاء والمدرسين النبهاء لينظموا قانون (پروغرام) المكاتب والمدارس الدينية الاسلامية وسيرسلون وفدا الى بترسبورغ » اه

هذا ما كتبه لنا (ض . ك) وأتبعه باقتراح له ضاق عنه هذا الجزء . والناظر فيما طلبه شيخ الاسلام يرى أنه لو لم يكن مطلعا على قوانين الدولة وواقفا على أعمالها لما عرف ماذا يطلب ولكن من يطالب شيخ الازهر او طائفة من علمائه هنا بمطالعة القوانين التي يعلمون او يحكمون بها او يحكم بها اخوانهم المسلمون في بلاد أخرى بعد عند الازهريين وعند الذين يجاهدون لابقائهم في سباتهم عدوا للاسلام والمسلمين فليتأمل وليعتبر المعتبرون

﴿ ألمانيا في مستعمراتها الافريقية ﴾

نشرنا في العدد العشرين من المجلد السابع من هذه المجلة (المنار) انه كتب الينا بعض من حضر المرض الذي أقامته الحكومة الالمانية في دار السلام قاعدة مستعمراتها في شرقي أفريقية ان الحكومة تمنع العرب من ركوب العربات وانها هدمت المسجد الجامع وأعطت المسلمين جزاء حقيرا عنه ثم منعته الخ وكان ماساءنا من ذلك هو السبب في قولنا ان المانيا ليست امثل من فرنسا في مستعمراتها وقد اطلعت الوكالة السياسية لدولة المانيا في مصر على ما كتبناه فاهتمت به وكتبت الى حكومة دولتها في دار السلام تسألها عن صحة ذلك فجاءها الجواب بأن مسألة منع العرب من ركوب العربات لا اصل لها وأما هدم المسجد فانما كان بطلب المسلمين أنفسهم لبعده عن بيوتهم وقد أبدلتهم الحكومة مكانا آخر قريبا وزادتهم على ذلك مالا وافرا وقد أبلغتنا الوكالة الالمانية ذلك فنحن ننشره شاكرين لها اعتناءها بالبحث وراء الحقيقة كما اننا نؤمل ان نسمع دائما ما يسرنا عن حكومتها في مستعمراتها فالمستعمرات البلاد بمثل العدل والانصاف

(نابتة الازهر والاستاذ الامام)

لقد كبر على نابتة الازهر ترك الاستاذ الامام له وذكرت الجرائد اليومية أن نحو ٥٠٠ أو ٦٠٠ منهم كتبوا اليه عريضة يستعطفونه بها ليعود الى التدريس فيه ، ونقول ان منهم من كتب يسترشده في أمره وقد اطلعنا على صورة كتاب لبعضهم فرأينا أن ننشره على انتقادنا قوله وكلام شره ليرى القراء حسن عبارة وأفكار تلامذته الذين يشكون الجهل قال بعد رسم الخطاب :

اني نظرت في أمري بعد أن قضيت ما قضيت في الجامع الازهر وأضعت ما أضعت من حقي وشبابي في طلب العلم فلم أجد ثمنا لما بذلت الا حشدا من الصور والخيالات لا يضيء البصيرة ولا يبعث العزيمة ولا يعد لسعادة في الحياة الدنيا ولا في الآخرة

ليت الحوادث باعتني الذي أخذت　　مني بعلمي الذي أعطت وتجريبي

طلبت السبيل الى الكمال والعلم النافع فما وجدت الدليل ولا اهتديت الى السبيل وكيف اطلب الخير من بين معشر أعيذك يا مولاي كلهم شر وقد هدتني اليك مخالفة المطاف وفاتحة الالطاف فجئتك اسألك أن تعلمني مما علمك الله وأن لا تكلني الى رأيي وها أنا ذا أبسط يد الرجاء إليك ولم أبسط لغيرك يداً وارفع اليك أمنيتي في الحياة وقد وضعت أملي ببابك ومثلك من لا يخيب بابه الأملاء



فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و«منارا» كمنار الطريق)

(مصر — الأحد ١٦ ربيع الاول سنة ١٣٢٣ — ٢١ مايو (أيار) سنة ١٩٠٥)

باب المقالات

الحياة الزوجية

٤

﴿ اختيار المرأة للرجل ﴾

ان الشروط التي تعتبر ضرورية في اختيار المرأة زوجاً يجب أن تعتبر ضرورية أيضاً في اختيار الرجل زوجا وهي صحة الجسم وصحة النفس أعني حسن الخلق والاستقامة وصحة العقل وهذه لازمة لما قبلها ، ويزاد عليها القدرة على النفقة اللائقة كما يقول الفقهاء أو القدرة على الاستقلال بإنشاء عشيرة او أسرة كما يقول الحكماء وهو ما يريده العوام بقولهم : فلان قادر على فتح بيت : والقدرة على النفقة اللائقة بحال المرأة تختلف بحسب طبقتها فزيد يستطيع كفاية من نشأت في بيت النعمة والترف ، وعمرو يستطيع أن يمون من نبتت في أرض الفاقة والشظف ، والناس أصناف وطبقات ، والله فضل بعضهم على بعض درجات ، وهذا الشرط هو ركن الكفاءة الركين في نظر أكثر النساء ، وعرف أكثر الأولياء ، وإن شئت قلت في عرف جميع الناس لان رضاء امرأة أو اولياء امرأة بزوج غير قادر على كفايتها كما تعودت من طعام وكسوة وخدمة نادر لا يعتد به ، والمرأة الغنية أحرص من الفقيرة على التزوج بالغني لانها وأهلها يحتقرون الفقير وما زال الاغنياء يتعايرون بمصاهرة من ينزل عن درجاتهم في الثروة الا أن يعلوهم بمجد أثيل ، أو جاه عريض ، فيمت اليهم بشرف ساعد ، أو جد مساعد ، ومن رفعه المال ، لا يلبث أن يمد عنقه الى الجاه ، ويحاول أن يصيبه بتعمي أهل السؤدد (*) وتذري ذوي المجد المؤثل ، لاسيما ان قل من هؤلاء مالهم ، وساءت في الثروة حالهم ، فالمال والشرف اذا انفردا كان كل منهما شفيعاً للآخر ومن جمع بينهما لا يكاد يرضى بمصاهرة من فاته احدهما ، لا اذا لم يجد له صهراً أمثله ، وانك لتجد من العوانس في بيوتات المجد والغنى ما لا تجد مثله في بيوت المتوسطين ، وأكواخ الفقراء والمعوزين ، وذلك خطء كبير ، وعتو عظيم

(*) تعمي القوم تزوج في نواصيهم أي اشرافهم ومثله تذراهم أي تزوج في ذروتهم

تعذر المرأة ويعذر وليها وذو قرابتها اذا لم يرضوا بصهر يعجز عن كفايتها لان المرأة ضعيفة الاستقلال، قليلة الاحتمال، اذا مسها العوز والاقلال، لا تستقر من القلق على حال . ثم انها ولوع بالحلية، فخور بالزينة، هلوع عند الحاجة، ضجور من الشدة فهي أحوج من الرجل الى الكفاية . وأشد تطلعا الى السعة والزيادة، وان قومها ليألمون لاعوازها مالا يألمون لعوز الرجل منهم وهو وارث مجدهم، وحافظ اسمهم، ونصيرهم عند الشدة، وعونهم عند الحاجة، لما انطوت عليه نفوسهم من الثقة باستقلاله وجدارته بإصابة المخرج من اقلاله، وما أودعته قلوبهم من الشعور برقة حاشيتها دون التحمل، وضيق مذاهبها عن التحول، وإن حظ الولدان والاقربين وغيرهم من الرحمة والحنان والخوف والاشفاق والحزن والامتعاض والمضاضة والتمرة وغير ذلك من ضروب الشعور والوجدان انما يكون على مقدار الداعية الطبيعية لذلك فهم قيل لبعضهم أي ولدك أحب اليك ؟ فقال صغيرهم حتى يكبر ، وغائبهم حتى يحضر وسقيمهم حتى يبرأ .

يشبه أن يكون الناس عندنا ماديين فانهم يعنون بالبحث عن ثروة من يخطب اليهم ظانين ان سعادة بنتهم وهناء عيشها مقرونان بمال من يتزوج بها وقلما يبحثون عن دينه وأخلاقه وآدابه . ذلك بأنهم يجهلون ان السعادة في النفس لا في اليد أو الجيب ويغفلون عن حال الجم الغفير من أصحاب الجيوب الملاًى والقلوب المرضى الذين شقيت بهم نساؤهم فهن يتمنين لو كانوا فقراء الجيوب أغنياء القلوب بالعفة والوفاء والحب والاخلاص، اذاً لسكن أنعم بالا وأقر عيناً وأهنأ عيشاً . فان الانسان ليطغى ان رآه استغنى، الا من هذب نفسه الايمان والتقوى، وان من طغيان الغنى ، اذا لم يقترن بالادب والتقى، ان يغير صاحبه زوجه وسكنه ويتقير عليها ـ يغيرها باتخاذ الاخدان ، واتباع خطوات الشيطان، ويتغير عليها اذا زارت أو زارها الاهل والجيران، فيعذبها بالغيرة عذاب الضعف ، أو يضارّها ليضيق عليها من غير ذنب ، وانما هو ملك الذوّاقين، وتنقل المسرفين، ومن وراء ذلك ان ارشاده عسير ، والانتصاف منه عزيز، لاسيما في بلاد فسدت حكوماتها ، وأكل السحت قضاتها ، فأين السعادة والهناء، في مصاهرة أمثال هؤلاء،

يسهل على الرجل المسلم أن يتخير من ربات الخدور من ترضيه فيعرف عنها من وراء الحجاب كل ما يجب أن يعرفه ويعسر على الفتيات ان يعرفن ما تجب معرفته لصحة تخير الزوج وان فارقن الحجاب ، وعاشرن الرجال ، لأن المرأة سريعة التصور سريعة التأثر سريعة الحكم سريعة الانخداع فهي لهذا قليلة الروية كثيرة الخطأ لاسيما اذا كانت عذراء ، خاضعة لسلطان الحياء ، تخدعها النظرة ، وتجاذبها الفترة ، ولذلك حظرت الشريعة الاسلامية على المرأة أن تزوج نفسها وجعلت أمرها في ذلك الى وليها واليها لابد من رضاها معاً على أنها منحتها من حقوق التصرف فى أموالها مالم تمنحه لها شريعة سواها بل تجد معظم البشر من جميع الشعوب والقبائل المختلفة في الملل والنحل متفقون على استقباح استقلال المرأة بتزويج نفسها وعلى وجوب تفويض أمرها في ذلك الى أوليائها وعصبتها ، ومنهم من لايتقيد باستئذانها واستئمارها كما أمر الاسلام بل كثرت هذه العادة فى المسلمين على ما ورد عن الشارع من الأوامر باستئذان البنت فى أمر زواجها واستئذان أمها أيضاً فليس للولي أن يستبد بذلك فيزوجها عن تكره ولو كان أباً أو جداً

يحسب أكثر الرجال ان للحسن والجمال سلطاناً على قلوب النساء لايدع فيه لغيره أمراً ولا نهياً وأن شغف النساء بالحسن يعلو شغف الرجال به فلو اطلقت لهن الحرية في تخير الازواج لما اخترن الا ذا الوجه الجميل والطرف الكحيل وان كان خسيس الابوين صفر اليدين عادم الفضيلتين — فضيلة العلم والادب — وهذا هو الوجه في الحجر عليهن ان يخترن لانفسهن فانهن يتبعن الهوى دون المصلحة فيصبحن على مافعلن نادمات بعد أن يقاسين من استبداد سلطان الجمال ، مالا طاقة لهن به ولا احتمال ، وهذا الحسبان خطأ سببه قياس أحد الصنفين على الآخر ، وهو السبب في تصدي حسان الوجوه من الشبان لتصبي النساء واغوائهن وقد يعد نجاحهم في التصبي دليلا على صحة القياس وماهو بدليل الا عند من يجهل التعليل

إن الفتنة بالجمال أولع بالرجال منها بالنساء فيقل في النساء من فتنت بجمال الرجل كامرأة عزيز مصر وصواحبها ولا يتناول الاحصاء عدد الرجال الذين فتنوا بجمال النساء كبني عذرة وأمثال بني عذرة من جميع القبائل والشعوب وهذا هو السبب

عندي في شكوى الرجال من قلة الوفاء في النساء ، انما يفتن المرأة من الرجل تحببه اليها فهي مجنونة في حب الحب أي حب أن يحبها الرجل كما قالت علية بنت المهدي حكاية عن نحيزة نفسها « تحبب فان الحب داعية الحب » فهن يفتن بالرجال على قدر تسبيهم لهن وتحببهم اليهن اذا هن صدقن وأمن الخلابة والحيلة ، وما أسرع تصديق الفتاة الغر لوحي العيون ، وانخداعها بقول الزور ، واستسلامها للود المذوق ، والحب المصنوع ، بل هي فتنة لا تكاد تسلم منها العوان ، التي مارست الرجال وعرفت الزمان ،

قرأت قصة (رواية) في امرأة كانت تدعى (فاتنة باريس) وكانت تهوي اليها افئدة الرجال ، وتمطرها سحائب الاموال ، فتفوز لديها آمال وتخيب آمال ، حتى اذا ماعرض لها مرض حال له لونها ، وحال بين طلاب التمتع وبينها ، انفض من حولها الناس الا رجلا واحداً كان الحب قد أخذه عن نفسه ، وران على عقله وحسه ، ثم اختطفه من طبيعة الرجال ، وطار به في فضاء الخيال ، ولم تلبث المرأة ان أفاقت من غشية المرض فلم تر من تلك الجموع الاذلك الرجل فاعتقدت انه محب لها مخلص في حبه فاسلمته لنفسها ، وثابت على يديه الى رشدها ، وهجرت الرجال وهاجرت معه من باريس الى أريافها وهناك تزوجت به ومكنته من جميع ماتملك ،

هذا الذي ذكرته من افتتان النساء بالتحبب والتصبي هو العلة الأولى فيما هو معروف بين الناس من ميل نساء المدن الى المتورّنين والمتعارّسين ، وزهدهن في أهل العلم والدين ، فهن يعتقدن ان هؤلاء في شغل عنهن ، وان اولئك لم يبالغن في التطيب والتزين الا لاجلهن ، ثم صار ذلك عادة موروثة فيهن ، وقد فشت هذه العادة السوءى في بيوت المترفين من أهل مصر وغيرها حتى ان العذاري ليقترحن أن يغير الخاطب لهن زيه العلمي ان كان طالما وقد يكون هذا التغيير بالاعلمين بعد الزواج لانه يسهل على صاحبه الدخول في بيوت الفسق التي تخرب بينهما وتوقع بينهما ، اما أهل البادية ومن في حكمهم فان نساءهم لا يعلمن الا لمن اشتهر بالشجاعة والشهامة والرجولية والكرم وبهذه الصفات يتقرب الرجال الى النساء عندهم ولو وجد في المدن شبان يعرفن بهذه الصفات لفضل النساء عليهن أحداً فان من صفات الفطرة ان تحب المرأة من الرجل ماهو من شأن الرجولية والعكس بالعكس وهذا الذي يحكي عن نساء الامصار من ولعهن بالمخنثين ومن يقرب منهم هو

من فساد الفطرة . وقد كان من حسن تربية النساء في بلاد الانكليز انهن قربن من الفطرة السليمة فقد اقترح عليهن في بعض الجرائد ان يذكرن أحب صفات الرجال اليهن فكان الجواب من أكثر من أجبن ناطقاً بحب صفات الرجولية من الشجاعة والاستقلال والسلطة عليهن

يقول اناس : ان الحب بين الزوجين هو الاساس الذي تقوم عليه جميع اركان سعادة الحياة الزوجية فاذا كان قويا راسخاً فلا يضر هذه الحياة ضعف الاركان واذا كان غير قوي فان الاركان لاتلبث ان تسقط فيجب ان يؤذن للعذارى والايامى بمعاشرة العزاب على أعين اهلهن ومراقبتهم ليتخيرن منهم من يبرهن قلبه، ويصفيهن حبه . ؟ وقد سبق القول في بحث تخير الرجل للمرأة بأن هذه المعاشرة ليست سبيلا موصلة الى الامنية التي يتمنون . واذا كان يعسر على الرجل ان يعرف قلب المرأة بمثل هذه المعاشرة التي يقصد بها الخطبة افلا يكون وصول المرأة الى قلب الرجل اعسر لاسيما اذا كانت فتاة غرا ؟ ونزيد ههنا ان كثرة معاشرة أفراد كل من الصنفين للآخر يحبب اليهم التنقل في هذه الرياض ويزينه في قلوبهم حتى اذا ما ازدوج اثنان منهم عن حب ثم فتر الحب للملل او لاعسار يبدو لاحدهما او كليهما مما لم يكن في الحسبان تحن القلوب الى من كانت عرفت بالمعاشرة وتجنح الى التنقل ولا يعسر ذلك على من سبق له التمرن عليه والأنس به

الحب هو الركن الاول او الاساس لسعادة الزوجية وهو السكون المذكور في الآية الحكيمة «ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم ازواجاً لتسكنوا اليها» او هو علته وقد تقدم شرح ذلك فلا نعيده ولكننا نزيد على ماقلنا هنالك ان دوام الحب وسكون القلب انما يرجى بين زوجين لم يتعود الرجل منهما معاشرة النساء ولا المرأة معاشرة الرجال اذا كان اختيار كل منهما للآخر على الوجه الذي بينا فان علة سكون كل منهما الى الآخر ثابتة في اصل الفطرة وإنما يجب التخير للحذر من الصفات العارضة التي تشارك الفطرة في الاستحسان أو الاستهجان ولا شيء اقطع لرابطة الزوجية وأذهب بسعادتها من ميل احد الزوجين او كل منهما الى غير زوجه ميلا للمعنى الخاص بالزوجية

ان الحب الذي يكون للزوجين رابطة الزوجية نفسها هو الحب الذي يرجى

دوامه اذا روعي فى عقد الرابطة صحة الجسم والنفس والتقارب في العادات والتأدب بأدب الدين وأهم هذه الآداب عفة الزوجين ورضى كل منهما بالآخر نصيبا له لا يفضي الى سواه ، ذلك بأن النزعة الطبيعية فى كل من الصنفين الى الآخر مبهمة مضطربة فى أصل الفطرة فاذا تعينت فى اثنين فأفضى بعضهما الى بعض وقد وطنا أنفسهما على إقامة سنة الفطرة والدين باحصان كل منهما للآخر وعدم التطلع الى سواه فهنالك السكون التام والحب الخالص ، وليس وراء الفطرة والدين مطلع لهناء العيش وسعادة الحياة ولكن هذا الانسان يخرج عن سننهما ليتمتع بالهناء وسعادة الحياة فيضل ويشقى

يقول غير المسلم: إن حب الزوجية لا يكاد يتذوق حلاوته الزوجان المسلمان لأن المرأة تكون مهددة دائما بأحد الامرين الطلاق أو الضرة : ونجيب عن هذا القول من وجهين أحدهما دفعه بقول مثله في الزوجين النصرانيين ومن فى حكمهما وثانيهما البحث فيه وتعرّف حقه من باطله ، أما الاول فان الزوجين اللذين يرى أحدهما انه ملزم بالآخر إلزاما إجباريا جعله كالوهق فى عنقه ، والوقر على كاهله ، فانه يمله ويستثقله فلا تسكن نفسه اليه ، ولا تقر عينه به ، ولا يخلص وده له ، وان كان قد رضي به قبل العقد انخداعاً بما يخدع به الشباب ، أو ذهابا وراء الطمع في مال أو جاه ، فالمرأة تلج في الزهو والصلف ، وتتمادى في الخيلة والسرف ، والرجل يتجرع مرارة الصبر ولا يكاد يسيغه ، وينشد استقلال الرجال فلا يجده ، وربما لجأ الى السلوة باتخاذ الاخدان ، أو الاختلاف الى ذلك المكان ، ، ان كان ، وليس هذا القول من تخيل الشعر بل هو الحقيقة حكاية عن شعور أهلها فقد سمعت أحد فضلاء الانكليز وهم أحسن الاوربيين حالا في الحياة الزوجية يقول ما مثاله : أن تحريم الطلاق ومنعه يشعر الرجل بأنه ملزم بالمرأة مجبور على ودها والتحبب اليها لا فضل له في ذلك وما أعصى الحب والود على الإلزام كما يقول المثل «حبي غصباً» واذا كان يعلم من نفسه القدرة على فراقها فانه يكون على فطرته وأدبه فى معاملتها يشعر بالسرور والارتياح لاختيار المعاملة الحسنة التي هي مناط السعادة الزوجية: فهذا هو شعور المهذبين الممنوعين من الطلاق فما بالك بغير المهذبين الذين يعجزون عن مكابرة شعورهم ، وتكلف المجاملة لمن يرتبط بهم ، وللمرأة مع الفريقين شعوران يختلفان أحدهما الضعف والعجز وثانيهما

ترى نفسها أسيرة للرجل وثانيهما انه لابد للرجل منها ولا قدرة له على الانفصال عنها والأثر الطبيعي لهذين الشعورين هو النكد من جهة والصلف والعناد من جهة أخرى. ولا يقال ان هذه فلسفة لايصدقها الواقع فانه ان صدقها في الزوجين المتشاكلين في الطباع المتناسبين بالتهذيب فانه يصدقها في الازواج الذين خانهم الحظ فلم يمنحهم المشاكلة والتناسب لاسيما اذا كانت المرأة عاقرا وظهرت آيات الخيانة من احد الزوجين او كل منهما للآخر. ناهيك بالمرأة العاقر عند ملك او أمير قد جعل الحكم إرثا في ذريته او غني عظيم يعز عليه ان لايكون له وارث يمتع بماله

وأما الوجه الثاني وهو البحث في فرق المرأة وحظوظها من الطلاق أو الضرة فقد يقال فيه انه يكون من أسباب تحببها الى الرجل وعنايتها بمرضاته وان هذا السبب الذي تقف يقابله في الرجل حذره من خسارة المال اذا أراد استبدال زوج بزوج لأن الشرع يوجب عليه ان يمتع المتروكة بما تنفقه على نفسها مدة العدة التي لايباح لها الزواج فيها وهذه خسارة فوق خسارة المهر وما عساه يكون مع المرأة من متاع وأثاث وماعون أو يكون لها من مال تسعفه به أو تدخره لولده. ثم إنه لابد أن يبذل للزوج الجديدة المهر اللائق بها. وهذان السببان في حرص كل من الزوجين على التعلق بالآخر يدعمان سكون النفس الفطري في كل منها الى الآخر. على ان الطلاق والمضارة بزواج أخرى هو خلاف الأصل الذي عليه الاكثرون من المسلمين وانا لنعلم ان الاكثرين من المتزوجين في بلادنا لايخطر في بال الرجل منهم ولا المرأة أمر الطلاق أو المضارة أعني ان الرجل لاينويه والمرأة لاتتوقعه منه وأن أكثر الذين يقع منهم الطلاق من غوغاء المسلمين فانما يقع منهم على سبيل المنع من شيء كأن يقول واحدهم عليه الطلاق إن فعل كذا أو إن فعلت كذا ونحو ذلك. وما كان من ذلك تعليقا حقيقيا على فعل المرأة وهو الاكثر يجعل الطلاق في يدها كما هو في يده فيشتركان فيه. وقد ذهب الكثير من الاوربيين الى صحة الطلاق من كل من الزوجين وهذا شيء منه. ومن أئمة السلف من يقول بعدم وقوع الطلاق بإيمان اللجاج وكل لفظ لايقصد به حل عقدة الزوجية قصدا صحيحا وعليه بعض علماء الحنابلة ولو حرر المسلمون مسائل الطلاق من غير التزام مذهب بأن يأخذوا من مجموع كلام الائمة

مايوافق النصوص المنطبقة على المصلحة العامة لما كان يقع الطلاق من المسلمين الا مثل مايقع ممن قلدهم فيه من الافرنج . ولعله يكون في بعض البلاد الاسلامية أقل منه في بعض بلاد الافرنج بل هو الآن اقل في بعض البلاد .

ثم لاننكر أن المسلمين في بلاد مصر قد اسرفوا في الطلاق وفي التزوج بأكثر من واحدة فساءت حالة الحياة الزوجية فيهم وفي أمثالهم ممن على شاكلتهم وان قلوا وأنهم في ذلك على غير مايحب الاسلام ويرضى كما يعلمون في الطلاق وكما يبنافي حكم تعدد الزوجات وشرطه في المجلد الماضي ولكن سوء هذه الحال خاص بالمسرفين من أهلها وبمن يقربون منهم بما يروّعون نساءهم ويوقعون الريب في قلوبهن بكثرة الحديث في التزوج وإظهار الميل الى بعض العذارى أو الايامى بالقول أو الفعل . وقد مرضت الفطرة في هؤلاء واعتل مرشدها وهو الدين حتى كان انحلال الرابطة الزوجية بعض أعراض ذلك المرض الذي فقد علاجه فهم لايذوقون للحياة الزوجية طعماً ولو لم يروّعوا نساءهم بالطلاق والمضارة الا أن يقيموا وجوههم للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها . فإن السعادة الزوجية كغيرها من ضروب السعادة لاتكاد تنال الا بمكارم الاخلاق ومحاسن الآداب التي جاء بها الدين ولذلك قال المصلح الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم « اذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه » الخ (رواه الترمذي والليث بن سعد) ومن يطلب السعادة بغير ذلك فهو من الخاسرين (الكلام بقية)

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذلا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين لنا اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولمن يمضي على سؤاله شهران أو ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان عندنا سبب صحيح لاغفاله

﴿ تزوج الشريفة بغير كفؤ وسب العلماء واهانة كتب العلم ﴾

(س ١٤ و ١٥) ض . ع احد المشتركين بالمنار في (سنغافوره) : قاض زوج شريفة علوية صحيحة النسب شهيرته برجل هندي مجهول النسب شهد له اثنان

عنـد القاضي قالا : في بلدنا يقولون سيد : وبعد الفحص عارض ذلك القاضي العلماء العارفون حتى اتضح بطلان العقد وفساده عند الجميع وعند القاضي أيضا فأبى الرجوع الى الحق والاعتراف بفساد العقد وساعده رجل آخر جهلا وهوى وتعنتا حتى ان المساعد لنا روجع بما يقوله الشرع والعلماء وأحضرت له الكتب طفق يسب العلماء وقال لمن عارضه اطرح هـذه الكتب في استك (قالها بالعبارة العامية المبتذلة) فالمؤمل من فضلكم الجواب مبسوطا على القاضي ومساعده وماذا يترتب على سب العلماء وعلى قوله اطرح هذه الكتب في ... فالمسألة واقعة حاله والرجل والمرأة مقترنان حتى الآن سفاحا وعندنا بسنغافوره اختلفت الاجوبة فمن قائل بكفر المساعد وغيره ولا يرضي الجميع الاجوابكم فانشروا جواب سؤالنا على صفحات مجلتكم المنار لازلتم ذخرا للخاص والعام وناصرين لشريعة أفضل الأنام عليه الصلاة والسلام

(ج) نشرنا في الجزء العاشر من المجلد السابع مقالة في الكفاءة بينا فيها أن الكفاءة في النسب من المسائل الاجتهادية وأن العبرة فيها بالتعيير وعدمه ولذلك صرح بعض الفقهاء بأن الشريف غير المشهور بالشرف ليس كفؤا للشهيرة بالشرف والظاهر من السؤال ان الواقعة لو ثبت فيها شرف الهندي لكانت من هذا القبيل ولا حاجة لبسط القول في هذا المقام بعد العلم بان العلماء العارفين حاجوا القاضي حتى حجوه واقتنع ببطلان العقد ولكنه لم يرجع اليه . ثم انكم لم تذكروا في السؤال هل كان لهذه الشريفة ولي ام لا فان لم يكن لها ولي وكانت هي راضية بهـذا الزوج فالعقد صحيح لانها اسقطت حق الكفاءة وليس لها أولياء يلحقهم العار بزواجها من غير الكفؤ فيعارضوا فيـه . وان كان لها ولي فكيف زوجها القاضي بدون اذن وليها وهـل عارض الولي أم لا ؟ كان ينبغي بيان ذلك

واما سب ذلك الجاهـل للعلماء واهانته للكتب الدينية فهو من أكبر المعاصي لانه يسقط احترام العلم والدين وأهلهما من نفوس الجاهلين ويجرئ السفهاء على الفضلاء حتى تكون الامة فوضى ليس فيها كبير يحترم لفضله . ولا صغير يؤمن بجهله ، ولا يتجه كون ذلك من الكفر الا اذا احتفت به القرائن والدلائل على أنه قال ما قال في كتب الدين وحملتها هزؤا بالدين نفسه لان غير معتقد به . وقد أفتى بعض فقهاء الحنفية

بردة من يحقر علماء الدين أو كتبه ونصوصه حتى قالوا ان من يعطي الفتوى فيلقيها في الارض ازدراء واحتقارا يكفر ، ولما ذكر ابن حجر من الشافعية قاعدة ان من الردة كل فعل أجمع المسلمون على انه لا يصدر الا من كافر عد من ذلك قوله «أو يلقي ورقة فيها شيء من قرآن أو علم شرعي أو فيها اسم الله تعالى بل أو اسم نبي أو ملك في نجاسة قال بعضهم أو قذر طاهر» الخ ثم قال فيما سرده من أعمال الردة أو تشبه بالعلماء او الوعاظ أو المعلمين على هيئة مزرية بحضرة جماعة حتى يضحكوا أو يلعب استخفافاً أو قال قصعة ثريد خير من العلم استخفافاً أيضاً» ويشترطون في كون هذه الاعمال كفرا ان لا تدل قرينة على عذر صاحبها أو تأوله لا خلاف بينهم في هذا .

والتحقيق ان الكفر هو انكار شيء مما علم من الدين بالضرورة وكان مجمعاً عليه ومثله تكذيب شيء من الدين بقصد التكذيب له أنه مما جاء به الشارع أو اعتقاد قبحه وبطلانه لان كل ذلك تخطئة للرسول فيما جاء به عن الله تعالى ، وما ذكر الفقهاء من المكفرات غير ذلك فهو في رأيهم يرجع اليه لانه دليل عليه أو لازم له أو ملزوم ولذلك رد بعضهم منه ما قاله بعض لا سيما ما كان كفرا باللزوم وقد قالوا «إن لازم المذهب ليس بمذهب» واتفقوا على ان التأول يمنع التكفير فاذا أتى إنسان بشيء عدوه كفرا وردة فذكر ان له تأويلا يتفق مع اعتقاده بأن جميع ماجاء به النبي صلى الله عليه وسلم من أمر الدين حق امتنع الحكم بردته وقالوا اذا وجد مئة دليل أو قول على كفر أحد وقام دليل أو قول واحد على عدم كفره يعمل بالواحد لانه يجب درء الحدود بالشبهات والتباعد عن التكفير ما أمكن . ولكن هذا لا يمنع من تشديد التعزير على من كانت الشبهة على كفره أقوى لا سيما اذا كانت أقواله أو افعاله المشتبه في كونها كفرا مما يفتن العامة ويضر بالناس والله أعلم

مصرف الهدايا والنذور لأضرحة الأولياء

(س ٩٦) السيد عوض جمعان سعيدان في (سنغافوره) : أرجو من سيادتكم الإفادة عما يأتي ولكم من الله الفضل - سيدي من المشهور ان عند قبور بعض الاولياء صناديق حديد يضع فيهن من يريد قضاء حاجته شيئاً من الدراهم وعندنا كثير من هذه القبور خصوصاً في جهة (جاوا) وتوجد تلك الصناديق عند نهاية الشهر

ملآنة بالدراهم ينفق منها القائمون بحراستها ما يقوم بنفقة المقام والباقي يصرف على ورثة الولي ان كان له قرابة وقد التمس مني أحد الاخوان بالحاح أن أعرض على سيادتكم هذا السؤال راجياً نشره في أحد أعداد المنار والجواب عليه بما يمكن العمل به وهو هل يجوز للورثة أخذ تلك الدراهم مع العلم بأن طالب الحاجة لا يقصد تقديم تلك الدراهم للورثة أو غيرهم بل يقصد بها ان تكون لذلك الولي فقط أفيدونا لا زلتم مؤيدين وبعين العناية ملحوظين :

(ج) الميت لا يملك فيكون ملكه لورثته فاذا كانت الحال كما ذكرتم في السؤال فلا يجوز لقرابة صاحب الضريح أكل ما يلقى في الصندوق من المال لا بعد الانفاق على القبر ولا قبله . وكذلك لا يجوز الانفاق منه فيما جرت به العادة من ايقاد السرج والشموع على قبر الولي والمسجد الذي يبنى عليه لان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد نهى عن ذلك ولعن فاعله وقد عد العلماء اللعنة علامة على أن الذنب من الكبائر ومنها حديث ابن عباس قال « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » رواه أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه والنسائي وفي إسناده أبو صالح باذام أو باذان تكلم فيه . وما قاله ابن عباس تشهد له الاحاديث الصحيحة سواء سمع منه أبو صالح أم لا ففي حديث الصحيحين « قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وفي رواية لعن بدل قاتل وقد فسرت هذه بثلاث وفي حديث مسلم ان النبي قال ذلك في مرض موته وزاد « فلا تتخذوا القبور مساجد فاني أنهاكم عن ذلك » وفي رواية في الصحيحين « أولئك اذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً » الخ ومنها حديث جابر عن أحمد ومسلم وأبي داود والترمذي وصححه والنسائي قال « نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يجصص القبر وأن يقعد عليه وان يبنى عليه » وفي رواية أخرى « وأن يكتب عليه » وقد ذكرنا من قبل هذه الاحاديث وغيرها فمن شاء فليراجعه أو ليراجع ما كتبه ابن حجر في بيان الكبيرة الثالثة و ٤ و ٥ و ٦ و ٧ و ٨ والتسعين من الزواجر فانه بحث في كفر الذين يعظمون قبور الصالحين تعظيماً يشبه العبادة كما هو المعروف في زماننا

أما الاموال التي يلقيها الجاهلون في تلك الصناديق توهماً انهم يستميلون بها أصحاب

القبور لتقضى حاجاتهم بواسطتهم فهي لاتخرج عن ملكهم وكان يجب على من حضرهم أن ينهاهم عن وضعها ويبين لهم حكم الله في ذلك ولكن من يحضرونها هـم الذين يأكلونها بالباطل ويشركون فيها من يشركون. وقاعدة الفقهاء فى الاموال التي لا يعرف لها مالك ان ترصد لمصالح المسلمين العامة ومن للمسلمين بمن يقوم بمصالحهم العامة وليس لهم حكومة اسلامية تلتزم الشرع وتقيمه في كل أعمالها وأحكامها وليس لهم زعماء وسراة يرجعون الى رأيهم وارشادهم فحسبنا الله واياه نسأل أن يهيء لنا من يقوم بأمر ديننا قبل ان نكون من الهالكين اليؤس منهم

تلقين الميت واين يجلس الملقن

(س١٧) الحاج وان أحمد فى (سنغافوره) : ماقول أئمتنا الشافعية فيما يأتي: هل يسن للملقن أن يجلس قدام وجه الميت أو فوق رأسه أو وراءه أو يفرق بين كون الميت رجلا أو امرأة

(ج) هـذه المسألة مما يؤخذ فيه بالاتباع ويبعد فيها القياس والاخبار والآثار الواردة فيها ضعيفة ولكن قد استحب أصحاب الشافعي الاخذ بها . والوارد أن يقف الملقن عند الرأس . أخرج الطبراني في الكبير وعبد العزيز الحنبلي في الشافي وابن منده في كتاب الروح وابن عساكر والديلمي عن سعيد بن عبد الله الازدي عن أبي أمامة قال (وفي رواية شهدت أبا امامة وهو فى النزع فقال ياسعيد) : اذا أنا مت فاصنعوا بي كما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اصنع بموتانا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « اذا مات أحد من اخوانكم فسويتم التراب على قبره فليقم أحدكم على رأس قبره فليقل يافلان بن فلانة فانه يسمعه ولا يجيب ثم ليقل يافلان بن فلانة الثانية فانه يستوي قاعدا ثم ليقل يافلان بن فلانة الثالثة فانه يقول : ارشدنا يرحمك الله ولكن لاتشعرون : فليقل اذكر ماخرجت عليه من الدنيا شهادة أن لااله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله وانك رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا وبالقرآن اماما : فان منكرا ونكيرا يأخذ كل واحد منهما بيد صاحبه ويقول انطلق بنا مايقعدنا عند من لقن حجته » وفى لفظ «ويكون الله حجيجه دونهما » فقال رجل يارسول الله فان لم يعرف اسم أمه قال « فلينسبه الى حواء » قال الحافظ ابن

حجر في التلخيص واسناده صالح وقد قواه الضياء في أحكامه . ولكنهم تكلموا في سعيد راويه وفي اسناده عاصم بن عبدالله وهو ضعيف وقال الهيثمي في اسناده جماعة لم أعرفهم . وأخرجه ابن منده بلفظ آخر وورووا آثارا بمعناه لامحل لذكرها هنا وانما المقصود بيان أن الرواية صريحة في أن الملقن يقوم عند رأس القبر . وقد ورد في أحاديث القيام عند القبر للدعاء بالتثبيت انه يستحب أن يقف مستقبلا وجه الميت . ولا وجه لقياس الوقوف للتلقين أو الدعاء على الوقوف للصلاة قبل الدفن اذ فرقوا فيه بين الذكر والانثى لمكان النص ولوجود الفرق والله اعلم

رش القبر بالماء

(س ١٨) ومنه : رش القبر بالماء مستحب هل هو عام لكل وقت أم خاص بعد الدفن

(ج) ذكروا رش القبر بالماء في أحكام الدفن وعللوه بما عللوا به وضع الحصباء عليه وهو ان لا تذهب الرياح بالتراب وهو دليل على ان المراد رشه بعد الدفن وعليه العمل والاصل فيه مارواه الشافعي عن جعفر بن محمد عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رش على قبر ابنه إبراهيم ماء ووضع عليه حصباء وروى البيهقي ان بلال بن رباح رش قبر النبي صلى الله عليه وسلم بالماء وفي إسناده الواقدي تكلموا فيه

شعر الرأس — حلقه أو تركه

(س ١٩) ومنه : تبقية الشعر في الرأس سنة ومنكرها مع علمه يجب تأديبه كما في المواهب الادنية بالمنح المحمدية فهل لها كيفية مخصوصة أم لا

(ج) إن ارسال الشعر وحلقه من العادات لا من العبادات الا ما يكون في النسك من الحلق أو التقصير نعم انه لم يثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم حلق في غير النسك وكذلك الصحابة كانوا يرسلون شعورهم وكان ذلك من عادتهم ولم يكونوا يعدونه ديناً ويعجبني قول الغزالي في الاحياء ولا بأس بحلقه لمن أراد التنظيف ولا بأس بتركه لمن يدهنه ويرجله الا إذا تركه قزعاً أي قطعاً وهو دأب أهل الشطارة أو ارسل الذوائب على هيئة أهل الشرف حيث صار ذلك شعاراً لهم فانه اذا لم يكن شريفاً كان ذلك تلبيساً ه اه وهو يريد أن المؤدب بآداب الدين لاينبغي أن يتشبه

بالسفهاء كأهل الشطارة ولا عن يلزم من تشبه بهم تلبيس على الناس وغش لهم . وانما صرح العلماء بكراهة حلق الرأس وكونه مخالفاً للسنة لانه كان في الصدر الاول شعار الخوارج فاذا أخذنا باطلاقهم كان اللوم في ترك هذه السنة موجهاً في هذا العصر الى علماء الدين فانهم يحلقون بل ينكرون على من لم يحلق وهم مخطئون

ثم ان من أرسل شعره بنية الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في عاداته الشريفة كان ذلك مزيد كمال في دينه اذا كان مقتديا بسننه الدينية ومتحريا التخلق بأخلاقه الكريمة وقد ورد في أحاديث الشمائل ان شعره كان إلى أنصاف اذنيه وكان لا يجاوز شحمة اذنيه غالباً وقد يصل الى منكبيه وقد سدل ثم فرق فأما السدل فهو أن يرسل الشخص شعره من ورائه وعلى جبينه أي يتركه على طبيعته وأما الفرق فهو أن يجمعه الى جانبيه وزعم بعض العلماء ان السدل نسخ بالفرق ولا تقوم له حجة .

وقد جرى أكثر الافرنج وبعض المتفرنجين في هذا العصر على سنة ارسال الشعر وفرقه أرأيت اذا فعل ذلك شيخ الازهر أو بعض شيوخه المشهورين . الا يعد هذا عند العامة وبعض من يعدونهم من الخاصة خرقاً لسياج الدين ؟ بلى ان حكم العادات نافذ في العلماء والجهلاء وهو كثيراً ما يزيد في الدين ما ليس منه في شيء وينقص منه ما هو من سننه التي لا خلاف فيها ولا تبعد في طلب المثال فهو بين يديك وفي اسئلتك وما قبلها . فمشايخ الازهر يقرءون في كتب الحديث نهي الشارع عن بناء القبور واتخاذ المساجد عليها واتخاذها اعيادا وتعظيمها ثم انهم يشاركون العامة في هذه الاعياد التي يسمونها موالد على ما فيها من المنكرات التي نهى عنها أئمتهم في الفقه . ثم انهم يقرءون في شمائل نبيهم انه كان يسدل شعره الشريف ويفرقه وهم ينكرون على من يفعل ذلك من اهل العلم والدين وقد أمرني بذلك بعضهم وكان شيخاً للازهر قائلا انك من اهل العلم لا يليق بك ان ترسل شعرك فاحلقه فحججته بالسنة فاحتج بأن ذلك شعار العلماء الآن

صلاة الظهر بعد الجمعة والخلاف في الدين

(س ٢٠) ومنه : هل يجوز لاحد أن ينهى أهل بلدتنا (سنغافوره) وأشباهها كما حدث الآن عن اعادة الظهر بعد الجمعة ام لا يجوز لانهم يعتقدون أنها سنة متمسكين

يقول العلامة ابن حجر الهيتمي في الجمعة من الايعاب بعد كلام قرره فيه : وعلى كل فالاحتياط لمن صلى جمعة ببلد تعددت فيه لحاجة ولم يعلم سبق جمعته للكل ان يعيدوها ظهرا خروجا من هذا الخلاف الخ ولانه اي الهيتمي يوقعهم في محظورات منها وقوعهم في اعراض اهل العلم الذين امروهم باعادتها واعادوها بأنفسهم في تلك البلدة وغيبتهم كبيرة بالاجماع ومنها مفاسد أخر كالنزاع والشقاق المتولد بين اهل تلك البلدة بسبب الطعن في علمائهم المتقدمين وغير ذلك فيكون هذا الرجل سببا لذلك نعوذ بالله من غضبه

(ج) تعلمون ان الخلاف واقع بين علماء الشافعية بعضهم مع بعض وبين علماء سائر المذاهب كما وقع بين الأئمة ومن فوق الأئمة من علماء الصحابة رضي الله عن الجميع ولاشك ان كل من ذهب الى شيء فهو يرى مخالفه فيه مخطئا ومن كان غير معصوم فهو عرضة للخطأ وقد نقل عن الصحابة والأئمة انهم أخطأوا في مسائل ثم ظهر لهم الصواب فرجعوا اليه ومنها ماهو اهم في الدين من اعادة الظهر بعد الجمعة احتياطا او غير احتياط فاذا كان هذا سببا للوقوع في اعراضهم فمن يسلم لنا ؟ قالوا ان ابن عباس رجع في آخر حياته عن القول بجواز المتعة فهل كان هذا سببا للوقوع في عرضه عن كانوا سمعوا منه الفتوى بالجواز وعملوا بها ؟ هل كان اهل العراق يقعون في عرض الامام الشافعي لانه رجع عن مذهبه القديم بعد ما عاد الى مصر . كلا ان هذا من عمله السفهاء وما كان لاهل العلم ان يحفلوا بقدح هؤلاء السفهاء ولا بعدهم فيتركوا بيان العلم والدين لاجلهم وهذه سنة الله تعالى في اهل البغي والشقاق يظهر تفرقهم وخلافهم بعد ظهور الحق « وماتفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم » (س ٤٢) « وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة » (٩٨) « وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه » (٢) فعلى المؤمن بل من خواص المؤمن أن يأخذ بالحق متى ظهر له ويرشد اليه متى عرفه لايخاف فيه لوم لائم ولا خوض آثم واذا كان قد سبق له عمل بخلافه عن خطأ في الاجتهاد فهو مثاب على نيته وان كان قد أمره بذلك عالم فذلك العالم أيضاً مثاب ان كان قد تحرى الحق بقدر طاقته وهو يستحق الدعاء والثناء لا السب والطعن

واذا حاسب السائل نفسه ورجع الى وجدانه يتبين له ان الذي أكبر هذه المسألة

في نفسه وفي نفوس الكثيرين من أهل سنغافوره وجاوه هو تعودهم صلاة الظهر بعد الجمعة فالامر من قبيل حكم سلطان العادة الذي ذكرناه في جواب السؤال السابق والا فلو كان المسلمون يهتمون كل هذا الاهتمام بكل مسألة حتى ماقال بعض الفقهاء المتأخرين انها من الاحتياط لكان اهتمامهم بما أجمعت عليه الامة من المحرمات والمكروهات والواجبات والمندوبات أعظم وأشد وأين هم من ذلك ؟ فوالذي أحيا سلفهم باتباع الحق حيث كان، والاعتصام به بقدر الامكان ، وأماتهم بابتداع البدع ، والتفرق في الدين الى شيع ، لو أنهم كانوا يعملون بما أجمعت عليه الامة لكانوا في هذا العالم هم السادة الأئمة ، ولكانت الامم التي أزالت ملكهم وورثت عزهم، تابعة لهم خاضعة لامرهم « ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا » « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم » الآية

هذا هو رأينا في الخلاف في هذه المسألة الاحتياطية التي كبرت عند بعض أهل سنغافوره وجاوه حتى عدها بعض أهل الهوى والجهل منهم فتنة من فتن المنار الذي بين حكم الله فيها اذ كتب واحد أو اثنان منهم لامثالهم من أصحاب الجرائد الذين لايصلون ظهرا ولا عصرا ولا يفهمون كتابا ولا سنة يستفتحون بهم على المنار ويطلبون منهم الرد عليه وتحريض العلماء على ذلك والمنار يطالب في كل عام غير مرة من كل عالم يرى فيه شيئا مخالفا للكتاب والسنة ان يكتب به اليه ، وقد زعم الكاتبان ان المنار هو الذي فرق بين الناس في الدين وجرأهم على سب الائمة والسلف والمنار هو الداعي لازالة الخلاف بالاعتصام بالكتاب والسنة والاقتداء بالسلف ولا نعرف داعيا الى ذلك بالقول والكتابة والنشر غيره ففي اي جزء وفي اية صحيفة منه تكلم في السلف والائمة ؟ ، ان هذا الاختلاق ، يعرف منه ان المشاغبين في مسألة صلاة الظهر بعد الجمعة لا يتبعون الا الهوى فان الكذب والبهتان والغيبة لاسيما لخدمة الدين واهل البيت النبوي من أكبر المحرمات باجماع المسلمين واما صلاة الظهر بعد الجمعة فهي مسألة خلافية بينا الحق فيها من قبل ، فهل من الاحتياط الذي قاله ابن حجر ان يكذبوا ويغتابوا ويخوضوا في اعراض العلماء ويلصقوا ذلك بغيرهم

قد أطلت القول في هذه المسألة لان الناس قد اهتموا بها عندكم أكثر مما تستحق وهؤلاء اهل مصر اكثرهم شافعية ولم يهتموا لها بعض هذا الاهتمام وهذه سنة الله في الخلق يهتم الناس

على قدر جهلهم بالامور التي لا يترتب عليها نفع ولا ضرر ويتركون عظائم الامور لا يبالون بها ، أرأيت أيها الاخ السائل ايهتم قومك بالانكار على تارك الصلاة ومانع الزكاة كما يهتمون بمن يصلي الظهر بعد الجمعة احتياطاً ويتركها لاعتقاده انه لم يكلف بها وفاقاً لاكثر المسلمين ؟ اذا كان هؤلاء قد تركوا كل ما حرمه وكرهه الدين وقاموا بكل ماقدروا عليه من أحكام الدين فرائضه وسننه وآدابه لانفسهم ولاهلهم فاهم الحق في الاهتمام بهذه المسألة واني اعتقد حينئذ انهم يكونون سعداء مرضيين عند الله صلوا الظهر بعد الجمعة أم لم يصلوها وان كانوا قد قصروا في شيء من الفرائض والسنن المتفق عليها أو يرتكبون شيئاً من المحرمات التي لا خلاف فيها فزعمهم الاهتمام والعناية بالدين لاجل مسألة خلافية لم يقل بها الا الاقلون من المسلمين زعم باطل لاسبب له الا التمسك بالعادة والتعصب على المخالف بغيا وانتصارا للنفس . والخلاصة أن من اعتقد ان شيئا غير مشروع فعليه أو فله ان يدينه الناس غير مبال بلغط اللاغطين ، واختلاف الجاهلين ، والله ولي المتقين ،

اما سؤالكم في سماع الدعوى في بيع الرهن فليس من موضوع المنار البحث في الاحكام القضائية غير الدينية وظاهر ان الدعوى لاتسمع ممن سكت عنها المدة التي حددها الامام أو نائبه



التقريظ

الشريعة الاسلامية — والقوانين الوضعية

رسالة لعلي بك أبي الفتوح من علماء القوانين العاملين بها في نيابة محكمة الاستئناف بمصر ابتدأها بقوله : « لا يظن كثير من الناس حتى من المسلمين أنفسهم أن المبادي المقررة في الشريعة الغراء لا توافق هذا الزمان الذي بلغ فيه الانسان من التمدن والترقي درجة رفيعة ويتوهمون أن الاحكام والروابط الموجودة في القوانين الحديثة الوضعية لامقابل لها في الاصول الاسلامية وانما هي بمثابة الاختراعات المادية الجديدة التي أنتجها فكر علماء الغرب لم يسبقهم بها أحد ولكن الباحث في الفقه الاسلامي ولو قليلا

لايلبث أن يغير هذا الظن ويتحقق من أن أسلافنا وصلوا فى الرفاهية وتقرير المبادىء العمرانية والاجتماعية والقضائية شأواقلما يجاريهم فيه أحد الآن صعوبة كتب المتأخرين وكيفية تأليفها وما هي عليه من التعقيد قد أوصدت الباب في وجه من يريد الوقوف على حقيقة الشريعة الغراء غير المتقطعين لدراستها ولذلك فاني أشير على من يسلك هذا الطريق أن يقصد التآليف القديمة لانها أسهل موردا وأغزر مادة مع خلوها من التعقيد وبعدها عن المشاغبات اللفظية وليترك هذه الكتب الحديثة للمنقطعين لفهمها بدون ملل ولا حساب الوقت

« اذكر هذا على أثر مطالعتي لكتاب الخراج للامام أبي يوسف المتوفى سنة ١٨٢ هجرية وقد ألف هذا السفر الجليل برسم أمير المؤمنين هارون الرشيد وفيه من النصائح والاحكام ما يجدر بأمراء المسلمين اتباعه والعمل به • عثرت فى هذا المؤلف الصغير الحجم على درر كثيرة لا أبخل بنظمها فى هذه المقالة حتى يرى المسلمون وخصوصا المشتغلون منهم بالقوانين الافرنجية ان المتقدم لم يترك شيئا للمتأخر ولعلهم ينكبون على دراسة الشريعة والآداب الاسلامية لانهما لا ينافيان العصر الحاضر ولا المدنية الحديثة اذا فهما حق الفهم ودرسا بعقل وتمييز

« وما أجدر الحكومات الاسلامية باستنباط قوانينها وأحكامها من الشريعة مع اختيار القول الاكثر مناسبة للزمان والمكان لتكون هذه القوانين والاحكام أكبر احتراما في النفوس وأكثر موافقة لأخلاق وعوائد من وضعت لهم » اه

ثم ذكر مسائل من كتاب الخراج وذكر ما ورد بمعناها في القوانين الحديثة واستخرج العبر منها وقال ان أهل القوانين يظنون ان هذه المسائل من أوضاع علماء اوربا المتأخرين فهذه الرسالة مفيدة للمتعلمين فى المدارس النظامية بمصر واوربا الذين لم يتلقوا شيئاً من علوم الشريعة فهم يمقتونها للجهل وهذا الذى ذكره قليل من كثير، ونقطة من بحر كبير، ومفيدة لعلماء الازهر وامثالهم من المتعلمين على طريقتهم ـ ان كانوا يقرءون ويعتبرون ـ بما تبين لهم من سوء أثر هذه الكتب المتأخرة التي اختاروها للتدريس وأثر طريقة التعليم المتعجة التي يتعسفون فيها فان ذلك أقوى اسباب بعد المسلمين عن دينهم وشريعتهم

أما تعجب الكاتب من جبارة الحكومات الاسلامية بأخذ قوانينها وأحكامها من الشريعة الغراء فيقال فيه انه لو كان في الدنيا حكومات اسلامية الا كان لهم معدل عن الشريعة وهل من معنى لكون الحكومة اسلامية الا كون تشكيلها وأحكامها على حسب الشريعة • وهل توصف بالاسلامية الحكومة الاستبدادية الشخصية التي ينشئها أو يرثها رجل يفعل فيها مايشاء ويحكم مايريد لايتقيد من شريعة الاسلام بشيء الا مالايرى بدا منه في اخضاع العامة لسلطته أو مايراه موافقا لمصلحته ؟ هذه مجلة الاحكام العدلية التي ألفتها لجنة من علماء المسلمين هي أحسن من القانون المدني الفرنسي وقد امر السلطان العثماني بالعمل بها عند ماأسس نظام العدلية، وابطل به الامتيازات الاجنبية، فلماذا لم تتبعه الحكومة الخديوية، بل اختارت على احكام الشريعة الاسلامية قانون الحكومة الفرنسوية ، كلنا يعرف السبب في ذلك وهو طمع اسماعيل باشا بالاستقلال والانفصال عن الدولة بمساعدة أوربا التي يتزلف اليها باتباع خطوات مدنيتها فانظر ماذا حل به وباستقلاله • والرسالة قد طبعت فنحث القراء على طلبها ومطالعتها

﴿ شرح التلخيص وطريق البلاغة وكتبها ﴾

ساءت طرق التعليم في المدارس الاسلامية بعد ضعف العلم بضعف الامة وساء اختيار المعلمين للكتب فصارت العلوم في المسلمين رسوماً منها الدارس ومنها الماثل • ثم تلاشى من العلوم مالا يقوم بالرسم، لانه أشبه بالروح منه بالجسم • كعلم البلاغة الذي هو ذوق معنوي ، وشعور روحاني ، تطبع بملكته النفس ، ثم يظهر أثره في الحس ، وهذه الكتب التي اختارها المتأخرون هي شروح لمتون جعلت مذكرة لاصول المسائل ومهمات القواعد فكانت مناقشات في ألفاظها، واستنباطات من عباراتها، تقطع على من ابتلي بها طريق التحصيل ، وتضله عن سواء السبيل ، وأشهر هذه المتون متن التلخيص للشيخ جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني الخطيب بدمشق الذي اختصر به كتاب المفتاح لابي يعقوب يوسف السكاكي • وقد كان البلغاء المتقدمون الذين انتهت اليهم البلاغة والقدرة على البيان يأتون البلاغة من بابها بما يزاولون من قراءة الكلام البليغ وتفهم معانيه، والتفطن لاساليبه ومناحيه، حتى اذا ماأحس الامام عبد القاهر بضعف عناية الناس بفهم الكلام البليغ ورأى النفوس منصرفة الى العناية بزخرف

اللفظ وإن عجز عن أداء المعنى المراد وقصر عن التأثير المطلوب فوضع كتابيه (اسرار البلاغة) في البيان و (دلائل الاعجاز) في المعاني ليصرف الناس عن المجاهل التي تعسفوا فيها، ويهديهم الى الطريق التي ضلوها ، ولكن جاء بعده السكاكي فاقتبس من كتابيه القواعد والاحكام التي وضعها لاقناع الجاهلين، وتسهيل الغوص على الدرر للغواصين، فجعل الفن رسما محدودا واصطلاحات نظرية تحفظ الذهن منها بالتصور والتصوير ، أكبر من حظ النفس بالتأثر والتأثير ، ثم اختصر الخطيب بتلخيصه ما كتبه السكاكي فكان كتابه أوغل في الرسم والاصطلاح ، وأبعد عن النفوذ الى مواقع التأثر والتأثير من الارواح، وجاء بعد ذلك سعد الدين التفتازاني الذي صرف كل ذكائه في ممارسة العلوم النظرية من المنطق والجدل والمناظرة والفلسفة والكلام فشرح (التلخيص) على طريقته في العلوم النظرية ، فخرج بذلك علم البلاغة عن موضوعه بالكلية ، وابتليت كتب السعد بأناس وضعوا عليها حواشي البحث في ألفاظها وأساليبها دون البحث في أساليب الكلام البليغ المأثور فصارت هذه الكتب عقبات أو عوائق في طريق البلاغة بل صرفت الناس عنها ، وحالت بينهم وبينها

مرت قرون على المسلمين وهم يتسكعون في ليل من الجهل بهيم حتى اذا الليل عسعس، وكاد الصبح أن يتنفس، هدى الله أناساً الى ان يقتبسوا الثقة من مقبسها، ويجنوا البلاغة من مغرسها ، وما عتم أن استبان للازهريين القصد ، وظهر فيهم الامام المرشد ، ثم طبع الكتابان الجليلان ، (أسرار البلاغة ودلائل الاعجاز) وقرأهما في الازهر الاستاذ الامام، فحاول تلامذته الجمع بين العلم والعمل ، وظهر فيهم من فاتوا شيوخهم الآخرين في بلاغة اللسان والقلم، فكتبوا المقالات والرسائل الادبية، وتعلقت آمال بعضهم بتأليف الكتب العلمية ، وهذا كتاب شرح التلخيص لواحد منهم وهو الشيخ عبد الرحمن البرقوقي

جرى هذا الشارح في شرحه على أن يبين المراد من الجملة ويدعمها بشيء مما يعصر جنة المعاني على جنة المباحث اللفظية التي اعتادها اهل الازهر مستمدا ذلك من اسرار البلاغة ودلائل الاعجاز اللذين هما عمدته وعتاده وفي هذا من جذب طلاب الازهر الذين لم يحضروا الكتابين على الاستاذ الامام الى جانب البلاغة الحقيقية

ما يرجى معه أن يكون الشرح سلما لهم يرقون به الى مطالعة الكتابين ، ويهتدون به الى خير النجدين ، وهو ما يطبع البلاغة في النفس، ويظهر أثرها فى عالم الحس ، على أنه يكون عونا لهم على فهم شرح السعد الذي يقضي عليهم بتلقيه، وأداء الامتحان فيه .

ومما يتقد على الشارح انه يأخذ الكلام من أحد الكتابين (اسرار البلاغة ودلائل الاعجاز) فيسنده الى نفسه وان كان طويلا لا تصرف له فيه وتارة يتصرف فيه تصرفا يسيرا لا يكون عذرا له أن يترك عزوه الى ابي عذره كما فعل بالفصل الذي عقده عبد القاهر في اسرار البلاغة لبيان مواقع التمثيل وتأثيره فى النفوس فانه أخذ صفحات من صدر الفصل ووضعها فى أول باب التشبيه متصرفا في جمل من أولها نقلها من صيغة الماضي الى صيغة المضارع كأن حق المصنف فيها مضى وانقضى وصارت فى مستقبلها الى مالك آخر قال في ص ٢٢٧

« اعلم ان التشبيه مما اتفق العقلاء على شرف قدره وأن تعقيب المعاني به لاسيما قسم التمثيل منه يكسبها (١) أبهة ويكسبها منقبة ويرفع من اقدارها ويشب من نارها ويضاعف قواها في تحريك النفوس لها ويدعو القلوب اليها ، ويستثير لها من أقاصي الأفئدة صبابة وكلفا ، ويقسر الطباع على ان تعطيها محبة وشغفا . فان كان مدحا كان ابهى وأفخم » الخ مالا تصرف فيه وعبارة أسرار البلاغة هكذا (ص ٨٦)

« واعلم أن مما اتفق العقلاء عليه ان التمثيل اذا جاء في اعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه ، ونقلت عن صورها الاصلية الى صورته ، كساها أبهة ، وكسبها منقبة ، ورفع من أقدارها ، وشب من نارها ، وضاعف قواها فى تحريك النفوس لها ، ودعا القلوب اليها ، واستثار لها من أقاصي الافئدة صبابة وكلفا ، وقسر الطباع على ان تعطيها محبة وشغفا ، فان كان مدحا كان ابهى وأفخم » الخ ومالا تصرف فيه

وبعد ان تقل بالحرف مواقع التمثيل وتأثيره في كل موقع وانشأ ينقل الامثلة تصرف فيها وفي الكلام عليها بعض التصرف وكان غنيا عن ذلك كله

وقد وضع للشرح مقدمة تكلم فيها عن الفصاحة والبلاغة وعن المؤلفين فى فن البيان وأئمتها يشترط له من علم العربية ولكن هذه المقدمة كلها اوجلها مأخوذة من

(١) يقال كساه الثوب يكسوه مواوي ويقال كسي زيد كرضي فهو كاس ولم ينقل كسبه

من كلام عبد القاهر وغيره وما كان ينبغي للمؤلف أن يتجاوز في مقدمة كتاب له أخذ الجملة والجملتين على سبيل التضمين ، وأكثر ما أخذه قد سلخه بلفظه ومعناه فانك تجد قوله (في ص ٧) «أما النحو فهو معيار» الى جمل بعده كله من (ص ٢٣ و ٢٤) من دلائل الاعجاز ولا نذكر ما قاله في ص ٨ من التمثيل بالآية وكونه من ص ٣٦ من دلائل الاعجاز ايضاً فانه ليس من روائع الكلام التي تملك لقائلها ولكن قوله في ص ١٣ في عبد القاهر «وارهف عليهم لساناً أخرس الشقاشق، واعدم نطق الناطق ، وأسال الوادي عليهم عجزاً» وأخذ منافذ القول عليهم أخذاً» مأخوذ من قول عبد القاهر في ص ٧ من المدخل الذي هو مقدمة دلائل الاعجاز فقد وصفه بكلامه فلم تكن السرقة لاجل أجنبي، ومعظم ص ١٤ و ١٥ مأخوذ من ص ٦١ و ٦٢ من دلائل الاعجاز ولكن فيه شبهة عزو لانه يحكي عن رأي عبد القاهر

وقوله في آخر ص ١٥ ونحو ثلثي ص ١٦ مأخوذ من ص ٦٦ من دلائل الاعجاز وقوله عقبها : وزبدة القول : الى نحو ثلث ص ١٧ مأخوذ من ص ٣٤ و ٣٥ من دلائل الاعجاز وما بعدها ماخوذ من ص ٣٧ منه . والكلام على الآية في ص ١٨ ماخوذ من ص ٣٦ من دلائل الاعجاز ، والكلام على بيت ابن المعتز في ص ١٩ ماخوذ من ٧٤ منه

وقوله في ص ٧ «لكن لابد للمرء قبل ذلك أن يحلى برس من اللغة ويصيب ذروا من النحو» فهو ماخوذ من فاتحة اساس البلاغة للزمخشري بتصرف . وقوله في ص ٣ «لا يقوم بفصاحته لسان ولا يطامح نجه إنسان» هو من كلام الشريف الرضي في وصف كلام لامير المؤمنين لما بويع بالمدينة . ومثله قوله في هذه الصفحة ايضاً «وقبع في كسر بيته لايرى الا نفسه ، ولا يسمع الا حسه» ، فهو من فاتحة نهج البلاغة للشريف وقوله فيها «قبل المبارتين» كتب في هذا الفن قبل الامام عبد القاهر» الخ ماخوذ من مقدمتنا لاسرار البلاغة. وكذلك قوله في ص ٤ «وهو وان فاق عبد القاهر في التقسيم والتبويب» الخ ماقاله في السكاكي فهو منها بالمعنى لا بالنص

هذا وانا نرى ان هذا الشرح مفيد لطلاب علم البلاغة لاسيما الازهريين منهم فانهم لايجدون ما يغنيهم عنه ، ولا يحسبن أحد ان ذلك الاخذ الذي نبهنا عليه يقال

من فائدته أو يدل على ضعف مؤلفه . كلا ان الشيخ عبد الرحمن من أحسن نابتة الازهر تحصيلا وفهما وكتابة يدل على ذلك حسن تأليفه للمأخذ، وربط بعضه ببعض وحسبه ان يختار الجيد النافع وانما كان من الكمال في العمل ومن الامانة في العلم ان يأخذ المعاني ويستقل بالعبارة حتى اذا احتاج أخذ شيء بنصه عزاه الى صاحبه . ولكن لو كانت العبارة كلها له لكان الكتاب أقل فائدة اذ لم يصل الى درجة عبد القاهر في التحرير والتحبير . ولعل الذي سهل عليه ترك العزو هو اعتقاده بان أكثر المؤلفين المتأخرين ليس لهم الا جمع الاقوال وتنسيقها فاذا كان منهم من جمع المشاغبات الضارة فهو قد جمع الفرائد النافعة . والكتاب مطبوع طبعاً جميلا وقد جعل ثمنه أربعة قروش صحيحة وهي قليلة جدا بالاضافة الى ما انفق عليه بصرف النظر عما يستفاد منه



﴿ رأي رجل عظيم في المسلمين والمنار وترك الاستاذ الامام للأزهر ﴾

كتب الينا الكتاب الآتي أحد أعلام الامة الاسلامية. وأركان نهضتها العصرية . ناظم مدرسة العلوم «الكلية» ومدير جريدتها (على كده انستيوت) الشهيرة، وصاحب المصنفات الكثيرة، محسن الملك بهادر سيد مهدي علي خان . فنشرناه وصلناه برأينا فيه . قال حفظه الله :

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

عقب اهداء سلام ألذ من تغاريد الحمام، واصفى من قطر الغمام، وأحلى من صفو المدام، واشهى من انفاس الرياض إذ هطل عليها الغمام، واعبق من روائح المسك الختام، وأبرق من البدر التمام، واشرق من الشمس إذ ينقشع عنها الظلام، أخص به حضرة المولى العلامة النحرير، والعلامة القرم الكبير، مولانا الشيخ رشيد رضا لم تزل الاقدار تعضده في كل حال، وتمده بالظفر بالأماني والآمال، ما لمع آل وتكررت الغدو والآصال،

(وبعد) فقد عرفت ياسيدي ماقد أصاب المسلمين من الشرور والفتن، والدواهي والمحن، وأن الاسلام قد ادبر وآذن بوداع، وأن النفاق قد اقبل واشرف باطلاع، وان الدين قد استتر وتنكر بوجهه، وتولى بركنه ونأى بجانبه، وتطرقت البدع المحدثة، وتسربت الاحداث المستحدثة، ورفعت الامانة من المسلمين، وكنست الديانة عن المؤمنين، وبدت الخيانة في حزب سيد المرسلين، قد أعتم بنا عاتم الفتن، وجللتنا حنادس المحن، وغشيتنا غياهب الاحن، وتسربلنا بسرابيل العدم والاملاق، وتقمصنا بقمص الجهل والنفاق، وطحنتنا الجهالة بكلكلة البلى، وعركنا الجهل فصوانا بنجوم الثرى، لا ننكر من الشر نكراً، ولا نعرف من الخير امراً، سلب منا الاخاء، وبدت فينا العداوة والبغضاء، وسرت فينا الجهالة العمياء، فضربت بذلك علينا المتربة، وحاقت بنا المسغبة، وجللتنا المعطبة، لا نكترث عما صارت اليه حالنا، ولا نحفل عما تحولت اليه أحوالنا، ولا نبالي عما خابت منه آمالنا، قوضت عنا خيام المجد والاعتلاء، واسرجت لنا رواحل الذل والبلاء، وتحولنا عباديد بعد الالفة وتباديد بعد اجتماع الكلمة، وتركزت فينا أصول الفرقة، وتشتت الام وتفرق، وتمزقنا كل ممزق، يزري بنا العيون، ويزدرينا ريب المنون، رحل الاسلام عن عقر داره، وتربع النفاق في محله وقراره، ومن ثم ترى الاجتماع قد تهدمت مبانيه، وتبصر الائتلاف قد خوت مرابعه ومغانيه، وتدكدكت من الاتفاق القنان، وانهدمت منه الصدان، (١) وتصرمت أيامه ولياليه، واستبدلت بالانخفاض معاله وعواليه، وبالذل والصغار قصوره ومعاليه، خمدت منه كل نار، وانفل منه كل غراره وعفت منه كل دار، وطمست منه الآثار، وعطل كل فلك عن المدار، وكورت شمس علائه، وخسف منه بدر سمائه، وأرجفت منه أرضه العريضة، واغبرت صفحتها فأضحت مريضة، ولم يبق من الاسلام الارسم خلق في المقام، ضمنه كأضمن الوحي السلام. (٢)

---

(١) المنار: القنان بالكسر جمع قنة بالضم وهي الجبل الصغير والاكمة، والصدان بالضم جمع صداد بالفتح، وهو اعلى الجبل والهضبة العالية الحمراء

(٢) المنار: قوله رسم خلق بالتحريك أي بال، وقوله ضمنه اخ السلام بالكسر فيه بمعنى الحجارة ومن امثالهم «اكتم السر من السلام» ومنها وحي في صخرة يضرب

يسومنا الاقوام خسفاً من كل جانب ، ويستصغرنا الرجال عسفاً على ظهر كل لاحب ، لم يبق الدهر لنا قوة ولا دولة ، ولم يرض لنا إمرة ولا صولة .

وقد كان يعجبني منكم بين تلك الاحوال المزعجة ، ويروقني من جنابكم في تلك الحالات الموجعة المفجعة ، ماحباكم الله سبحانه بفضله ، واصطفاكم بره ، لاستفراغ الوسع في اصلاح المسلمين ، والاجتهاد البالغ التام في حضهم على النهضة لامور الدنيا والدين ، وذلك بما كنتم تنشرون من إمضاآت بليغة ، وتنشئون من رسالات بديعة أنيقة ، ومكاتبات بهية شهية رشيقة ، تحضون بها المسلمين على النهضة ، وتحثونهم على الأوبة ، إلى ما كانوا عليه من سالف المجد والاعتلاء ، وماضي الكرم والعلياء ، وسابق السبق في مضمار العز والعلاء ، والاقتحام في مفاوز الكرب والبلاء ، والاهتمام في استجلاب المجد من كبد السماء ، فيا لها ماقد تضمنت جريدتكم الباهرة الغراء ، من عبارات مهذبة ، واستعارات مستعذبة ، وأساليب موشحة ، وأساجيع مستملحة ، فقد وشيتم اذ أنشأتم ، وحبرتم حينما عبرتم ، وأعجزتم حينما أوجزتم ، وأذهبتم متى أسهبتم ، وسحرتم متى اخترعتم ، وانتم بعون الله قارع هذه الصفاة ، وقريع تلك الصفات ، وقرن ذلك الجدال ، وقرين هذا النضال ، وما برحنا ننقل تلك الامضاآت الأنيقة من مجلتكم الرشيقة ، الى اللغة الهندوستانية ، من العربية العقيانية ، وننشرها في مجلتنا الشهيرة « بعلي كده انستيوت » يستفيد منها اخواننا الجاهلون ، ويستضيء بها المستضيئون ، ويستعين بها من أضر به ريب المنون ، لدفع كل ملمة ملكية ، وكشف كل مهمة سياسية ،

وقد كان قبل ذلك بعدة تنيف على ثلاثين سنين ، قد نشأ في تلك الآفاق والارضين ، رجل من أفاخم الاعيان ، اسمه السيد أحمد خان ، كان رجل همته في اصلاح المسلمين ، والفوز التام في دفع الصغار والنكبة عن إخوانه في الدين ، وكان رجلا متطلعاً منطيقاً ذا لسان ، ومنطق وبيان ، يعد في مصاقع الخطباء ، وينخرط في سلك بهاليل الادباء ، يبهر الناس بأساليب خطابه ، ويستجاب الخلق ببديع هضابه ، ونادر سحره وتسكابه ،

لمن يكتم سره والمراد ان الرسم البالي الذي بقي من الاسلام هو سر مكتوم خفي غير ظاهر وقد يضرب المثل للذي ظاهر لان من معاني الوحي الكتابة والكتابة في الحجر تكون نقشاً ظاهراً وليس بمراد هنا

فبادره العلماء الاعلام؛ بالسب والشتام؛ ورشقوه بنبال المذل والملام، ولعنوه على المنابر في جوامع الاسلام. على مر الدهور وكر الاعوام، وأعلنوا بكفره، واذنوا بالخروج عن ملته، وأفتوا باباحة دمه، وهو بعد كان لايكترث بما كان يقع عليه، وما يبالي بما كانوا ينضون له من سيوف العداوة معه، وكان لايفتر عن جده واجتهاده، والضرب بعصا التسيار في ميادين بلاده، ولما صبر على كل ذلك الاذى، وتجلد كالبطل الكمي في ميادين الوغى، لم يبرح من وطنه، أن تمثل له الظفر وحفدا بين يديه وسار من مكامن عطفه،

ولكن قد قل منكم نشر تلك الامضاآت البديعة في اصلاح المسلمين، واجتهادكم في تحسين أمورهم من الدنيا والدين، منذ حين، وأراكم قد اقتصرتم على اقتباس جزء يسير من تفسير العلم العيلم الرزين، حكيم الاسلام والمسلمين، وفخار الملة والدين، وستاذ العلماء السادة الاساطين، حضرة مولانا الفاضل العلامة الشيخ محمد بن عبده مفتي الديار المصرية متعنا الله ببقائه ولعمري هو اليوم فارس رجالنا؛ ورأس أمانينا وآمالنا، نأمل به الفوز في السعادة القصوى، ونرجو منه الظفر بما هو غاية اربنا في الحياة الدنيا، من حصول النهضة الاخرى غب النهضة الاولى، ولا نجد لذلك مثله في جديد تلك الخلقاء الهابطة السفلى، (١)

* * *

وقد أدهشنا خبر هائل وصل الينا من الجامع الازهر وأوحشنا وأقلق جل أحبابنا والامة وأراق الدماء من الجفون والمقل، وكادت القلوب لها أن تهيل، (٢) وقد انصدعت له الصدور، وتصدعت لها المهج في شلو كل مصدور، وذلك ماشاع عن هذا الفيلسوف السرسور (٣) والحلاحل الوقور، والنبراس في ظلمات الديجور، من رفض ما كان اليه من نظارة الجامع المذكور، أسفاً على ماتجرب من جفاء أهل عصره، ولا سيما علماء مصره، ومساعدة الحضرة الخديوية للعلماء، وقضاتها

(١) المنار: الخلقاء مؤنث الاخلق ومن معناه الاملس وتسمى السماء خلقاء وخلقاء الجبهة مستواها يريد في مستوى هذه الأرض (٢) يقال تهيل لعياله واهتبل اذا اكتسب ولعل الكلمة في الأصل تهتبل من هبل ولده واهتبله اذا ثكله (٣) السرسور بالضم الفطن العالم الدخال في الامور. والحلاحل السيد في عشيرته الشجاع الركين في مجلسه

بخلاف ما كان يرجى من تلك الحضرة الغراء ، لما كان أيده الله تعالى يريد من اشاعة العلوم الحديثة ، واذاعة المعارف والحكم الجديدة ، زيادة على ما كان يجري فيه من دروس العلوم الشرعية ، والمسائل الفرعية ، ولما لم يصغ أحد الى رأيه ومقالته ، ولم يكترث رجل الى ما كان فيه من محض نصاحته ، تمثل لنا عند ذلك اليأس ، وتجسد لنا شبح القنوط والابلاس ،(١) لخمود هذا النبراس ، فقد كنا نظن قبل ذلك ان سوف يجفل به عنا ليل الحزن ، ويقلع عنا دامس الفتن ، وتقوض عنا خيام البلاء ، وتعطف عنا سهام الضراء ، ويتنفس علينا صبح الاقبال ، ويطلع على وجهنا فجر الآمال ، من أجل ذاك البارع الحكيم المفضال ، وكنا نظن أنه قد توقد في الاسلام مصباح يستوقد منه آلاف الوف من المصابيح ، ومفتاح يفتح به مغالق أبواب الفرج والتراويح ، ولكن قد تبين الآن أنا لم نبرح عرضة للبلاء ، ودرية لرماح الضراء ، وجزراً لسيوف البأساء ، مازالت هذه الخضراء تدور على الغبراء ، وما أشبه حال هذا الحكيم الرزين في المصريين ، بحال السيد أحمد الذي اعتراك على حاله في الهنديين ، فقد عظمت الرزية ، وجلت المصيبة ، فانا لله وانا اليه راجعون « وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون »

علي كده (الهند) (محسن الملك)

جواب المنار

يريد السيد المحسن حفظه الله بالامضاآت التي كانت تنشر في المنار ثم تركت تلك المقالات الخطابية التي تمثل للمسلمين ضعفهم الحاضر وتذكرهم بمجدهم الغابر ، وتحثهم على اصلاح شأنهم في الدنيا والدين ، والاعتبار بترقي المعاصرين ، وهذا ما كنا نكثر منه في اول نشأة المنار ليكون تمهيدا يعد النفوس لقبول ما نعرضه من الرأي في الاصلاح الديني والاجتماعي ولإعمال الفكرة وتوجيه الهمة ، الى السعي والعمل لخدمة الامة ، ولكنا رأينا الناس قد استحسنوه ، وكثيرا من أصحاب الصحف قد احتذوه وتقلدوه ، حتى صار كأنه مقصود لذاته ، لا لأجل عمل من ورائه ، ولذلك صرت ترى في الصحف المصرية التي تسمى اسلامية كلاما كثيرا في حال المسلمين حتى من الذين لم يعرفوا من الاسلام ، الا ما يعرف اجهل السوقة والعوام ، وان ما عنينا به في المدة الاخيرة يشبه ان يكون مقصدا أو غرضاً لتلك المقدمات او الممهدات ، ولا يحسبن الاخ الكريم أنا تركناها يأسا من صلاح حال المسلمين ، أو فرقاً من

---

(١) الابلاس هو الغم من اليأس والحيرة

مناصبة الشاغبين ، التي لابد ان يكون عرفها من تصدي جريدة المؤيد للوقوع بنا ، بعد ما كانت تشيد وتنوه بعملنا ، كلا ان هذا لايزيدنا الا قوة في الأمل ، وهمة في العمل ، لأن اللوم بطبعه اغراء ، والمقاومة من بواعث الاعتناء ، كما رأيتم في فاتحة المنار لهذه السنة ، على ان ماننشره من الحكم والمواعظ في التفسير، ومانودعه في مطاوي سائر المباحث من التنبيه والتذكير ، هو في معنى تلك المقالات التي تنشدون ولا تخلو من الخطابيات التي تخطبون ، وقد طالبنا غير واحد صريحاً، بمثل ما أمر السيد به تلويحاً، ولذلك وعدنا في خاتمة السنة السابقة ، بالعود الى تلك المقالات في سنتنا الحاضرة ، وقد نشرنا في الجزء الثاني منها مقالة (حياة الامم وموتها) مقدمة للكتابة في أنواع الحياة وحالنا فيها، ويتلو الكتابة في الحياة الزوجية، مقالات في الحياة الملية والوطنية والسياسية ، ونرجو من فضل الله وكرمه ان لانزداد الا ثباتا واعتناء مادمنا آمنين في سربنا معافين في بدننا قادرين على النفقة على نفسنا وصحيفتنا

واما ترك الاستاذ الامام للازهر فهو لم يكن من يأس الم بنفسه الكبيرة، ولا عن ضعف في همته العلية ، ولا لمقاومة علماء الأزهر لما يريده من اصلاح التعليم ، او اضافة علوم جديدة على ما يقرأ في الأزهر من العلوم ، وانما هو ما تسمعونه من الجرائد المصرية ، ونزيدكم فيه بياناً بحكاية شخصية ، وقد ظلم العقلاء عندنا وعندكم علماء الأزهر فأنزلوهم من درجتهم في العلم والفهم ، كما أعطوهم أكثر من سهمهم من الشعور والاخلاق ،

أما ظلمهم إياهم فهو اعتقادهم وقولهم فيهم انهم يعتقدون بأن العلوم الدنيوية تقوض بناء الدين ، وتفسد العقائد في قلوب المسلمين ، وإن إصلاح طريقة التعليم خروج عن صراط السلف المستقيم ، وكل هذه الظنون فيهم باطلة فان من أصحاب الدرجة العلمية الاولى فيهم من يعلمون أولادهم العلوم الدنيوية في المدارس الاميرية وغيرها فكيف لايخافون الكفر والضلال على افلاذ أكبادهم مع عدم تمكنهم من العلوم الدينية ويخافون ذلك على طلاب الازهر المتوغلين في علوم الدين ؟ ان هذا شيء لايعقل ، ثم كيف يطعنون بأكابر علماء الاسلام الاعلام الذين تمكنوا من علوم الدنيا وصاروا يعدون من الفلاسفة كالامام الغزالي والامام الرازي وفلان وفلان ؟ ثم كيف لايطعنون بدين أكابر امرائهم وحكامهم في هذا العصر وهم قد تعلموا هذه العلوم في مدارس مصر وأوربا وقلما يوجد فيهم من تلقى عقيدة الاسلام

براهينها أو عرف مهمات أحكامها ولو غفلا من دلائلها وحكمها وان منهم من يصف بعض هؤلاء الامراء بالتقوى والصلاح • فظلم وأى ظلم لعلماء الأزهر ان يقال فيهم إنهم يعدون علوم الدنيا خطرا على الدين أو عائقاً عن علومه وأنهم يجهلون ان الاسلام جمع بين مصالح الدارين وأنه دين عام وأن لادين بعده أوفق لمصلحة جميع البشر منه مع استلزام هذا لكون الاسلام يتفق مع علوم البشر ومدنيتهم في كل زمان والا كان متضمناً لتكليفهم مالا يطيقون • نعم إنه يوجد فيهم بعض الاغبياء الذين يعبث بهم هذا الوهم ولكن الحكم على جميعهم أوأ كثرهم بذلك ظلم وجور • واني أقول ان الاستاذ الامام لم يقرر في إصلاح الازهر شيئاً الا برأي جماعة من كبرائهم واستحسانهم وقد نفذ بعض ماطلبه وحاوله برضاهم وموافقتهم واوقف بعض الاصلاح للأسباب التي لا أصرح بشرحها بعد رضاهم به واعترافهم بفائدته

وأما وصفهم بأكثر مما يستحقون من الشعور بالمصلحة وارادة الخير فهو تابع لذلك الظلم وهو اعتقاد كثير من العقلاء في مصر وفي أقطار أخرى أن هؤلاء الناس أعداء الاصلاح الذي عرف سراة الامة وعقلاؤها شدة الحاجة اليه لما في قلوبهم من الشعور بضرره ولما عندهم من الارادة القوية والعزيمة الصادقة والغيرة الملتهبة على الاسلام والمسلمين وأنهم لايخافون في ذلك لومة لائم، ولا سطوة حاكم، ولاحرماناً من منفعة مالية، اوكسوة تشريف قصبية؛ والحق أن هذا الصنف الشريف الذي كان له من قوة العزيمة بالاتحاد والاتفاق ما يقيم به محمدا عليا حاكما على البلاد المصرية قد استضعف فضعف حتى صار لايجهر برأيه الا اذا أيقن ان قويا يعده، أو حاكما يسنده، وكثيرا مايستحسن أمرا ثم يستهجنه، أو يستقبح شيئا ثم يستحسنه، • ولقد كان أ كابر علماء الازهر موافقين للشيخ محمد عبده في كل شيء يقترحه لاصلاح الازهر ايام كان مؤيدا بنفوذ الامير وانما كانوا يرغبون اليه في أن يكون ذلك بالتدريج البطيء لانهم لم يتعودوه ويثقل على المرء لاسيما الكبير المضي فيما لم يتعوده • ولما بدا للامير في تأييده ومساعدته وقف كل اقتراح، وعورض كل اصلاح، حتى لم يبق للحكومة الخديوية ثقة بتخريج القضاة في ذلك المكان فهي ستبني مدرسة جديدة لتخريجهم فيها ولم يبق لها من العناية بالازهر الا حفظ الامن فيه كما هو حق كل صنف وكل شيء على الحكومة

لاجل هذا ترك الازهر ولكن آثاره الصالحة لن تتركه فهو قد وضع أساس النظام الذي قد يضعف تارة ويقوى تارة وقد يزاد فيه وينقص منه ولكنه لايزول •

وهو قد نفخ في نفوس كثير من الاذكياء فيه روح الشعور بالحاجة الى اصلاح التعليم وإصلاح الاخلاق وخدمة الاسلام والمسلمين والسعي في ازالة ما غشيهم من البدع والفتن فاضعفهم وأذلهم فلن يموت هذا الشعور ، ثم انه لم يزدد الا رجاء بالله وهمة في خدمة ملته بالعمل والتدريس والتأليف لا يثنيه عن ذلك ثان الا ما يلم به من المرض أحيانا شفاه الله ونفع به آمين

هذا وان العبرة الكبرى فيما كتب هذا المصري الكبير هو احساس المسلمين المخلصين الذين يعرفون الاسلام ويغارون عليه بأن الاصلاح اذا ظهر في أي قطر ففائدته لابد أن تكون عامة لكل البلاد الاسلامية وان النور اذا ظهر في هذه الامة من اي مطلع فانه ينبسط على جميع البقاع لان هذه الامة أمة واحدة ربها واحد وكتابها واحد ونبيها واحد والهداة في دينه على ملة واحدة وهي ما جاء به نبيه عنه ومصلحتها لذلك واحدة فما يضرها يضر جميع المتبعين لها وما ينفعها ينفعهم أجمعين ، لاجل هذا أحس الاحياء من مسلمي الهند بأن ما دهي به الاصلاح في الازهر هو مصيبة على الاسلام والمسلمين في جميع الارض لانه كان يرجى أن يكون خيره متى ثبت ونجح عاماً لجميع مسلمي الارض ولو بعد حين ، فماذا يقول أولئك الذين يريدون أن يقطعوا أوصال المسلمين بنزغات « الوطنية » الفاسدة في هذا الاحساس الشريف من إخواننا في الهند وكذا في غيرها كما نشير اليه في النبذة الآتية ؟

تأثير ترك الاستاذ الامام للأزهر في المسلمين

لقد اضطربت قلوب عقلاء المسلمين ووجمت نفوسهم لهذا النبأ في كل قطر فقد جاءتنا الكتب والرسائل في ذلك من السودان وسوريا ومن بلاد المغرب والمشرق مابين شاكية وباكية منها ما يعرف مرسلوها عذر الامام ، ويرون أن لا عتب عليه ولا ملام ، لوقوفهم على حقيقة أحوال هذه البلاد فرأيهم في ذلك كرأي أكثر العقلاء في مصر الذين استشار الامام بعضهم فأشاروا بوجوب تركه ، ومنها ما يتضمن اللوم لاعتقاد أصحابها أن الاستاذ الامام قد يئس من إصلاح المسلمين فترك خدمة الملة مللا من مقاومة الجامدين ، أو علما بأنهم غير مستعدين ، وقد آلمهم ذلك لانهم يعتقدون أنه أكبر زعيم للاسلام في هذا العصر وأقوى نصير له في علمائه ويشعرون بأنهم يستمدون منه الهمة والغيرة والرأي الصحيح على بعد الديار وتنائي الاقطار ولا أنكر انني أعرف من أذكياء المسلمين الاقربين دارا بل ومن المصريين أنفسهم من

سرى اليه شيء من هذا الوهم ، وقد آلمني وسيؤلم كل ذي غيرة وشعور قول (محسن الملك) ان اليأس والقنوط قد تملك لأهل النهضة الاسلامية في الهند وشعروا بأن قد طفئ نور الصلاح المنبعث من هذا الامام فوقعوا في حنادس الظلام — يحزننا ويغضنا هذا القول من قوم نعتقد أن نهضتهم أعلى من نهضتنا وهمتهم أعلى من همتنا ، والامل فيهم أقوى من الامل فينا ، ولا نفضلهم الا بهذا الرجل وبإتقان اللغة العربية لاننا نراهم يرجوننا أكثر مما يرجون أنفسهم كأنه يسرنا شعورهم بارتباطهم بنا ولا يأس منا ولا منهم ان شاء الله

ان من أغرب ما كتب الينا في هذه الحادثة نبذة لاحد الفضلاء في فاس وهي :

«قد ساءنا وايم الله ما بلغنا من استقالة حضرة جناب الاستاذ الامام ، وعالم علماء الاسلام ، فريد هذا العصر ، وغرة جبين الدهر ، ذروة جهابذة الآفاق ، ونخبة كبراء المسلمين بالاتفاق ، مولانا وسيدنا الشيخ محمد عبده أدام الله بقاءه مرشداً للعالمين من عضوية إدارة مجلس الازهر الشريف الذي كان متعنا الله بوجوده مجتهداً في اصلاحه كما ساءتنا تلك الخطة ...... ولكن « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا » وقد كدر ورود هذا الخبر جميع محبيكم ومحبي الاستاذ الامام لعلمنا بأنكم من المجدين في إصلاح الامة الاسلامية » الخ

وإنما كان هذا غريباً لان تلك البلاد أبعد بلاد المسلمين عن التفكر في الاصلاح أو الشعور بالحاجة اليه ولكن هذه الافكار قد سرت في كثير من أهلها من بعض المهاجرين اليهم من المسلمين ومن قراءة بعض الصحف كالمنار ، وقد ختم هذا الكاتب كلامه بقوله « وأدام الله بقاءكم رغماً عن أنف الجاهلين والمستبدين والمفسدين والمقلدين » اه ويوشك ان تنشر آثاراً أخرى في جزء آخر

صدى الحادثة في أوربا

(أو مقاومة النفوذين الفرنسي والانكليزي للاستاذ الامام في الاصلاح)

نشرت جريدة اللواء في عدد يوم الخميس (١٣ ربيع الاول) خبراً قالت انه مترجم عن جريدة (الغلوب) الانكليزية بغير تصرف وهذا نصه بغير تصرف

«اختلف العلماء من عهد قريب بشأن التعليم في الازهر وسبب ذلك ان رئيسهم الشيخ محمد عبده حاول إدخال نظام للتعليم أوسع من النظام الحاضر — الذي وضع من قرون مضت والذي لا يتضمن غير محض تعليم مواد الاجرومية وقليل من بعض

العلوم الاخرى — بقصد تكوين قوة جديدة في الاسلام وبيد الشيخ محمد عبده السالف الذكر إدخال العلوم الحديثة في بروغرامه الجديد ليستعين بها العلماء على اكتساب اوزاقهم من طرق العمل والجد لا الكسل والتواكل

«وقد قاومه العلماء في مشروعه هذا مقاومة شديدة وأصل بنائه قال في حديث له ان السبب في عدم نجاحه وفشله النهائي راجع الى محاربة النفوذين الفرنساوي والانكليزي السياسيين له واستشهد بعبارة نشرت في الكتب السياسية الفرنساوية مؤداها ان ساسة فرنسا من الحزب الاستعماري لا يقبلون بوجه من الوجوه تنور المغاربة بنور العلم» اه

﴿ ملاحظة المنار أو انتقاده على ذلك ﴾

يعجب المصريون أن يروا في الجرائد الانكليزية من يخبط في المسائل المصرية على غير هدى مع وقوف الانكليز هنا على حقائق الامور وقد ذكرنا وذكر غيرنا ممن قرأ تلك النبذة في جريدة اللواء ما كان أشيع هنا بعد ترك الشيخ محمد عبده لمجلس ادارة الازهر من أن بعض المصريين الذين لهم حظ فيما حدث في الازهر كلفوا أحد مكاتبي الجرائد الانكليزية أن يكتب لجريدته التي يكاتبها شيئا يفيد معنى ما كتب في بعض الجرائد المصرية التي لها هوى في الحادثة من ان جميع علماء الازهر مضادون للشيخ محمد عبده فيما يريده من اصلاح التعليم وزيادة العلوم في الازهر ويتضمن شيئا آخر فيه سخط الانكليز على الشيخ وأتذكر أن بعض الجرائد الاسبوعية في مصر كتبت شيئا عن هذه الاشاعة وقالت أن ذلك سيكتب ثم ينقل في بعض الجرائد المصرية اليومية

مالنا ولما أشيع في سبب الكتابة ولما قيل في مصدرها انما نحن أمام قول يتضمن خبرين أحدهما أن علماء الازهر كارهون ومقاومون لما يريد الشيخ محمد عبده من النظام وتوسيع دائرة العلم في الازهر وقد بينا في كلامنا على رسالة «حسن الملك» أن هذا غير صحيح وأن علماء الازهر براء مما يرمون به من الغلو في بغض العلم والنظام ، والجهل بما يعلي شأن الاسلام ، وثانيهما ان الشيخ يقول انه لم يخفق فيما حاول من اصلاح الازهر الا بمقاومة النفوذين الفرنسي والانكليزي له

لان ترقية المسلمين تناقض مصلحتها في استعمار بلادهم . ونقول إن هـذا النقل عن الشيخ غير صحيح وان كان أكثر المسلمين يعتقد بصحة علته المذكورة . ولا يعقل أن يقول الشيـخ ذلك لان فرنسا لانفوذ لها في الازهر ولا في مصر فتقاوم ولان الانكليز لم يقاوموه لما هم عليه من الحرية وعدم التعرض للمصالح الدينيـة على ان المصريين الذين لم يقدروا حرية الانكليز حق قدرها، ولم يعلموا أنها تمثلت مع الفضيلة في اللورد كرومر في أبهج صورها ، يتعجبون من عدم مقاومة الانكليز لاصلاح الازهر في السنين الماضية ويظنون أن لهم يدا في المقاومة الآن

أما الشيخ محمد عبده فقد سمعناه غير مرة يقول انه ما قصد الى خدمة المسلمين في شيء ولقي مقاومة فيـه من غيرهم لا من انكليزي ولا من افرنسي ولا من قبطي ولا من شامي . ولاغرو فان جهل المسلمين وتخاذلهم في هذا العصر كافيان لاحباط كل سعي لترقية شأنهم لايحتاجون الى مساعد في ذلك ومن يسعى بعقل لا يقاومه العقلاء

هذه فرنسا التي كان منهجها في مقاومة تعلم المسلمين في الجزائر أمرا معروفاً قد أنشأت ترجع الى منهج الانكليز في التساهل وقد تكلم الشيخ محمد عبده مع رجالها في تونس والجزائر في مساعدة المسلمين على التعليم فوجـد منهم ارتياحا الى ذلك وقد نشرت جريدة الطان من عهد قريب مقالة في الاحتفال بمدرسة الجمعية الخلدونية ذكرت فيها أن مصدر هـذه الحركة العلمية في تونس هو الشيخ محمد عبده وبعض المجلات العلمية المصرية التي تحث المسلمين على الجمع بين علوم الدنيا والدين وتردفيها رأي الذين يظنون أن تعلم المسلمين يضر بفرنسا لان هؤلاء المتعلمين يكونون دعاة لاستقلال البلاد وقيامهم على المستعمرين لها، وترجمت الاهرام مقالة الطان فسر بها المسلمون هنا

(الاحتفال بالعيد المئوي لمحمد علي والادعاء لانفصال مصر عن تركيا)

احتفل جماعة من المصريين بتذكار تولية محمد علي باشا على مصر منذ مئة سنة ميلادية . وقد اعتبروا ابتداء ولايته اختيار المصريين له دون فرمان السلطان بتوليته الذي كان بعد مثل يوم الاحتفال بشهر وأيام كأنهم يريدون ان هـذه الحكومة استقلت بذاتها من طريق الانتخاب لابالتبعية للدولة ذات السيادة عليها وكذا نهد بأمثال هؤلاء المحتفلين الحرص على إظهار ربط مصر بالاستانة قاعدا عما بدا ؟



(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق)

(مصر — الأحد غرة ربيع الثاني سنة ١٣٢٣ — ٤ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٥)

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين لنا اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا للسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا. ولمن يمضي على سؤاله شهران أو ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

« ذبائح أهل الكتاب في عصر التنزيل »

(س ٣٠) السيد محمد بن عقيل في سنغافوره : اطلعت على جميع ما كتبتم في ذبائح أهل الكتاب ثم وصل الي من أحد أهل مصر كتاب يسمى التعاديل الاسلامية في الرد على شيخ الاسلام (يعني الاستاذ الامام) وكنت قد رأيت منذ نحو ١٤ عاما فتوى لشيخنا العلامة السيد سالم بن أحمد العطاس العلوي الحضرمي مفتي جهور تضارع فتوى شيخ الاسلام ولكن يختلج في صدري شيء لم يذكره شيخ الاسلام ولا غيره فيما أعلم وهو هل لأهل الاسلام نقل صحيح في التاريخ يفيدنا بكيفية

ذبح أهل الكتاب أو قتلهم لما يريدون أكله في عصر المصطفى صلى الله عليه وعلى آله فان وجد فهل يجب قصر حكم الحل على ما كان لانه المفهوم ويكون ما توسعوا به بعد ذلك من بدعهم فلا يفيد الحل ؟ فلو صح النقل بأنهم كانوا يعصرون عنق نحو الدجاج ويوقذون نحو البقر لم يبق للمشاغب كلام • والمظنون ان لاهل الكتاب كيفيات في الذبح في ذلك العصر كما نقل أن لهم في التسمية عند الذبح عادات وما صح به النقل لا نزاع فيه فهل ظفرتم بنقل عن شيء من تلك الكيفيات التي أحل الله لنا طعامهم وهو يعلمها ينجلي بغبار كل إشكال أفيدونا بما تعلمون لا زلتم مرشدين

(ج) بينا فيما كتبناه في المجلد السادس في مسألة طعام أهل الكتاب ان المسألة ليست من المسائل التعبدية وأنه لا شيء من فروعها وجزئياتها يتعلق بروح الدين وجوهره الا تحريم الاهلال بالذبيحة لغير الله تعالى لان هذا من عبادات الوثنيين وشعائر المشركين فحرم علينا ان نشاركهم عليه أو نشاركهم فيه ولما كان أهل الكتاب قد ابتدعوا وسرت اليهم عادات كثيرة من الوثنيين الذين دخلوا في دينهم لا سيما النصرانية وارادتعالى ان نجاملهم ولا نعاملهم معاملة المشركين استثنى طعامهم فأباحه لنا بلا شرط ولا قيد كما أباح لنا التزوج منهم مع علمه بما هم عليه من نزغات الشرك التي صرح فيها بقوله سبحانه وتعالى عما يشركون على أنه حرم علينا التزوج بالمشركات بالنص الصريح ولم يحرم علينا طعام المشركين بالنص الصريح بل حرم ما أهل به لغير الله • فأمر الزواج أهم من أمر الطعام في نفسه والنص فيه عام قطعي في المشركين وهو لم يمنع من التزوج بالكتابية ولاجل كون حل طعام أهل الكتاب ورد مورد الاستثناء من المحرمات المذكورة بالتفصيل في سورة المائدة صرح بعض أئمة السلف بأن النصراني اذا ذبح لكنيسته فان ذبيحته تؤكل مع الاجماع على ان المسلم اذا ذبح وذكر اسم النبي أو الكعبة فان ذبيحته لا تؤكل وترى هذا في تفسير الامام ابن جرير الطبري وما نقلناه في المنار عنه وعن غيره ككاف في هذا الباب • وقد رأيت في التفسير من هذا الجزء النسبة بيننا وبين أهل الكتاب وما ورد فيهم وما أرشدنا اليه سبحانه من مجاملتهم ومحاسنتهم فهذه هي الحكمة في حل طعامهم لا كونهم يذبحون على وجه مخصوص أو يطبخون بكيفية مخصوصة • ولو كان يجوز لنا أن نقيد نصوص الكتاب المطلقة بمثل هذا التقييد لكان

يجب علينا أن ننظر في كل حكم فنقول إن إحلاله أو تحريمه مقيد بما اذا كان على الكيفية التي كانت في ذلك العصر فنقيده بما كان عليه أهل العصر الاول في جميع عاداتهم وأحوالهم لانهم خوطبوا بالاحكام وهم على ذلك وهذا حرج عظيم وتحكم لم يقل به أحد بل قال أهل الاصول حكم المطلق أي يجري على اطلاقه ومن ثم نقول انه لاوجه للبحث عن عدد الذين أقيمت بهم الجمعة أو صلاة العيد ولا عن كيفية المسجد أو المصلى الذي صليا فيه عند التشريع والحكم بأن ذلك شرط لصحة الصلاة

ثم ان المشاغبين المارين لايقنعهم شيء فأنت ترى أن فتوى الاستاذ الامام لم تكن في حل الموقوذة من أهل الكتاب ولا كان السؤال عن ذلك وقد سموا الذبيحة موقوذة وأكثروا من اللغو ولاغرض لهم من ذلك الا ايهام العامة بأن فلاناً قال قولا مخالفاً للشرع لعلمهم أن العوام لايفهمون الدلائل ولايميزون بين الحق والباطل وانما يفهمون بالاجمال ان فلاناً أخطأ فيخوضون في عرضه وهذه هي لغة الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا . ولذلك لم يورد الذين كتبوا في هذه المسألة شيئاً من كلامنا المؤيد بالكتاب والسنة وفقه الشريعة وأسرارها والمأثور عن سلفها لابالتسليم ولا بالانكار فذرهم في خوضهم واشتغالهم بالسفاسف وصرفهم قلوب المسلمين عن كل نافع فيهم ساع في اقالتهم من عثرتهم أو انعاشهم من هلكتهم حتى يبلغ انتقام الله تعالى بهم منهم حده وخذ بما صفا ودع ما كدر وادع الى الحق من تراه مستعدا له والله الموفق

﴿ عذاب القبر ﴾

(س ٢١) الشيخ منصور نصار من مجاوري الازهر : قد سألني بعض الناس ببلدتنا عما يحصل للميت في قبره من النعيم أو العذاب هل المنعم أو المعذب هو الروح فقط أم الروح مع الجسم فأجبته بما أعلم من نص أثر ابن عمر والغزالي الموصوف بحجة الاسلام من أن المعذب هو الروح فقط . وقد وقع اضطراب بيني وبين أهل بلدتي في هذه المسألة فأرجو من حضرتكم توضيح الحقيقة على صفحات مناركم الاغر حيث ان الله تعالى نصبكم لخدمة الدين والدفاع عن شبهات الضالين لازلتم هادين مهديين

(ج) قد سبق لنا الاجابة عن مثل هذا السؤال في المجلد الخامس وبينا اصل الخلاف في عذاب القبر وأن مذهب السلف عدم البحث في كيفية مايرد في الكتاب والسنة من أحوال الآخرة لأنها مما يجب الايمان به كما ورد من غير فلسفة فيه ولا تحكم على الغيب اذ لا يقاس عالم الغيب على عالم الشهادة ولو أنكم دعوتم أهل البلد الى هذا التسليم لاقفلتم باب الجدل في وجوههم ولا أقبح من الجدل في أمر الآخرة الذي لا مجال للعقل ولا للحس فيه والذين فتحوا هذا الباب هم الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً فقامت المعتزلة تقول ان من الناس من تأكلهم السباع والحيتان في البحر وتصير اجسامهم أجزاء من أجسام هذه الحيوانات ومنهم من يحرق ويذرى رماده فكيف تقولون يامعشر الاشاعرة ان في القبر عذاباً على الروح والجسد والصواب انه لا عذاب إلا عذاب الآخرة بعد البعث. وقامت طائفة أخرى تقول ان الجسم لا احساس فيه فالحديث الوارد في عذاب القبر يراد به تعذيب الروح مجردة. ويقول آخرون الروح لم تعمل السيئات الا بواسطة الجسد فلا بد أن يكون العذاب مشتركا ويصدق ذلك بأن تتصل الروح بجزء أو أجزاء من البدن ولو كان رمياً أو داخلا في بنية حيوان ويقع العذاب عليهما معاً وهو قول أكثر المسلمين. ثم ان الاشاعرة يقولون بأن الاعادة في الآخرة تكون عن عدم بان ينعدم الجسم من الوجود ثم يخلقه الله تعالى بذاته ومع أعراضه في قول وهذا القول لا يتفق مع القول بأن عذاب القبر على الروح والجسد معاً الا أن يقال انهم استثنوا عجب الذنب فقالوا انه لا يفنى فلعلهم يقولون ان عذاب القبر يكون على الروح مع اتصالها بعجب الذنب ولكن قال المزني من الشافعية ان عجب الذنب يفنى أيضا

فأنت ترى ان الباحثين بعقولهم فيما ورد من احاديث عذاب القبر في خلاف لا يكاد يسلم واحد منهم للآخر ونحمد الله تعالى انهم لم يجعلوا هذه المسألة من أصول العقائد التي يكفر منكرها ولا شك ان مذهب السلف هو الحق الذي يجب الاخذ به وهو أن نقول ان كل ماثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من أمر البرزخ والآخرة حق نؤمن به ونفوض الامر في حقيقته وكيفيته الى الله تعالى مع العلم بأن الارواح هي التي تشعر باللذة والالم وأن الاجساد لباس لها وآلات لتوصيل بعض اللذات والآلام واي قول قلت في هذه المسألة لا يخرجك من الدين، فعلام التنازع بين المسلمين،

الحكمة فى انزال القرآن

(س ٣٢) عبد الحميد افندي السوسي فى (الاسكندريه) : ماهي الحكمة في إنزال القرآن الحكيم هل الحكمة بذلك التعبد بتلاوته كما يقول العلماء — وهل من نص قطعي يؤيد قولهم — أو اتخاذه حانوتاً نبيع منه (عدية يس) ونقرأه على الموتى ونكتب آياته فى آنية ونمحوها بالماء ونتعاطاها لنشفى من داء كهذا أو لنقرأه للتبرك وما هو التبرك ؟ ألم يكن هو فهم آياته حق الفهم والتأدب بادابه الكريمة واتباع أوامره واجتناب نواهيه وليدبروا آياته كما قال جل ثناؤه . أرجو الجواب على صفحات مناركم ، ولكم الاجر من ربي وربكم

(ج) الحكمة من انزال القرآن مبينة في القرآن ليس فيها شبهة لمن جعلوه حرفة بل فيه الحجة واللعنة على من يشترون به ثمنا قليلا ، وليس فيها نص قطعي يؤيد قولهم بالتعبد بتلاوته على اطلاقهم الذي يتناقلونه ولكنهم يستدلون عليه بأحاديث هم يتفقون على انها ليست نصوصاً قطعية كالاحاديث التى وردت في كون تالي القرآن يعطى بكل حرف عشر حسنات ونحو ذلك من الثواب وهناك أحاديث أخرى فى وعيد من يتلو القرآن وهو غافل عن هدايته لابد من الجمع بينها وبينها وانما نذكر المؤمنين بشيء من الآيات والاحاديث فى الحكمة والفائدة التي أنزل الله لها القرآن لان أهل الاهواء السياسية والشخصية فى مصر قد جعلوا القرآن في هذه الأيام موضعاً لاهوائهم فكل يزعم نصره ونصر حفاظه والله أعلم بالصادقين . ولا تخفى على الناس آيات المنافقين

ومهما تكن عند امرئ من خليقة * وان خالها تخفى على الناس تعلم

وهاك طائفة من الآيات الكريمة فى حكمة تنزيل القرآن

(١) ألم . ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين (البقرة ٢)

(٢) انا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون (يوسف ١٢)

(٣) الر . كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد (ابراهيم ١٤)

(٤) الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا . قيما لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسناً ماكثين فيه أبداً (الكهف ١٨)

(٥) طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى الا تذكرة لمن يخشى (طه ٢٣)

(٦) تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا (الفرقان ٢٤)

(٧) طس — تلك آيات القرآن وكتاب مبين ٠ هدى وبشرى للمؤمنين ٠ الذين يقيمون الصلاة الخ (النمل ٢٧)

(٨) الم — تلك آيات الكتاب الحكيم ٠ هدى ورحمة للمحسنين ٠ الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون ٠ أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ٠ ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزواً أولئك لهم عذاب مهين(*) وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا فبشره بعذاب أليم (لقمان ٣٠)

(٩) حم ٠ تنزيل من الرحمن الرحيم ٠ كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون ٠ بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون ٠ وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا عاملون (فصلت ٤٠)

(١٠) أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيرا (النساء ٤)

(١١) أفلم يدبروا القول أم جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين (المؤمنون ٢٣)

(١٢) أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها الخ (محمد)

(١٣) كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الالباب (ص ٣٨)

(١٤) هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون الخ (الاعراف ٧)

(١٥) ياأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم الخ (يونس ١٠)

(١٦) وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين (هود ١١)

(١٧) لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب الخ (يوسف ١٢)

(١٨) وكذلك أنزلناه حكما عربياً ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من

(*) اني لاخشى أن تكون الجرائد التي تتكلم في الدين بالهوى لا بالعلم والاخلاص مما يدخل في لهو الحديث هنا

العلم مالك من الله من واق (الرعد ١٣)

(١٩) هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولو الألباب (ابراهيم ١٤)

(٢٠) وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم ولعلهم يتفكرون (النحل ١٦)

(٢١) قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين (النحل ١٦)

(٢٢) ان هـذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا (الاسراء ١٧) (وفي هـذه السورة آيات أخرى فيها عبر كبرى)

(٢٣) فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوماً لدا (مريم ١٩)

(٢٤) لوأنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون (الحشر ٩٥)

والآيات في هذه المعنى كثيرة وكلها ناطقة بأن القرآن أنزل هداية للناس وبشيرا للمحسنين فى أعمالهم ونذيرا للمسيئين وانه عبرة وتذكرة وموعظة وشفاء لما في الصدور أي القلوب من أمراض الجهل بالله وبما له على عباده من الحقوق ومالبعضهم من ذلك على بعض وأمراض الاخلاق السيئة والعادات الضارة . وهنالك آيات كثيرة فى وعيد المعرضين عن هدايته الغافلين عن تدبره والذين يشترون بآيات الله ثمناً قليلا وكون هـذه من صفات الكافرين ومن أشد ما نزل فى المؤمنين الاولين على علو كعبهم وقوة يقينهم من قوله تعالى في (سورة الحديد ٥٧) «ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولايكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون» ـ ذكر الله وما نزل من الحق هو القرآن . قال فى الجلالين ان الآية نزلت فى الصحابة لما أكثروا المزاح وقال السيوطي فى أسباب النزول انها نزلت فيهم بعد ان قدموا المدينة فأصابوا من عيشها بعد ما كان بهم من الجهد وكأنهم فتروا فى العمل . فهذا هو القرآن وهذا وعظه وتربيته للمؤمنين فانظر الى حفاظه اليوم والى الذين يزعمون أن من تعظيمه وتكريمه

أن يكون حافظه أمياً لا يكلف قراءة ولا كتابة ولا فهماً ولا عقلا ولا تدبراً ولا تذكراً ولا فكراً بل يكلف أن يتلوه ولو بغير تجويد وان يأكل به أوقاف الاموات ومال الاحياء . أين هم من هدايته وأين هم مما جاء به ؟ ؟

وأما الاحاديث الواردة في القرآن فمنها ما ورد في حفظه وتعلمه وتعليمه وهذا مطلوب لامرين أحدهما فرض عيني وهو معرفة العقائد الصحيحة والآداب الكاملة وفقه الاعمال التعبدية والدنيوية التي فصلت السنة كيفياتها وبينت صورها . والثاني فرض كفاية وهو تبليغه وحفظه لاجل تبليغه بلفظه على الوجه الذي أدى اليه وعضاه في الدعوة الى ما دعا اليه من العقائد والاحكام والفضائل ليكون الدين بذلك محفوظاً ولا يخفى أن الترغيب في قراءته وحفظه يستلزم الترغيب في فهمه والاهتداء به لانهم كانوا يفهمونه بل ذلك مما يتضمنه الترغيب بلفظه . ومنها ما ورد في وعد العاملين به ووعيد المعرضين عنه والواجب فهم مراد الشارع من مجموع كلامه فلا نؤمن ببعض ونكفر ببعض . وهذه طائفة من الاحاديث في ذلك

(١) عن أبي هريرة (رض) ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال « لا حسد الا في اثنتين رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار فسمعه جار له فقال ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل . ورجل آتاه الله مالا فهو يهلكه في الحق فقال رجل ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل » رواه أحمد والبخاري ومسلم والنسائي والمراد بالعمل مثل ما يعمل فلان في الاولى هو العمل بالقرآن كما تدل عليه المقابلة ورواية ابن عمر في الحديث نفسه « فقام به آناء الليل » الخ قالوا والمراد قام به تلاوة وطاعة . وفي الحديث رواية أخرى أبين في المراد وهي عند البخاري ومسلم وغيره وفيها بدل أوتي القرآن « ورجل آتاه الله الحكمة فهو يعمل بها ويعلمها الناس » والمراد بالحكمة القرآن جمعاً بين الروايات

(٢) عن عثمان (رض) عن النبي (ص) قال « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » رواه البخاري وغيره وفي رواية عنه ان أفضلكم : الخ قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري : ولا شك ان الجامع بين تعلم القرآن وتعليمه مكمل لنفسه ولغيره جامع بين النفع القاصر والنفع المتعدي ولهذا كان أفضل وهو ممن عنى الله سبحانه وتعالى

بقوله « ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين »
والدعاء الى الله يقع بأمور من جملتها تعليم القرآن وهو أشرف الجميع وعكسه الكافر
المانع غيره من الاسلام كما قال تعالى «فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها »
فان قيل فيلزم على هذا ان يكون المقري أفضل من الفقيه قلت لا لأن المخاطبين بذلك
كانوا فقهاء النفوس لأنهم كانوا أهل اللسان فكانوا يدرون معاني القرآن بالسليقة أكثر
مما يدريها من بعدهم بالاكتساب فكان الفقه لهم سجية فمن كان في مثل شأنهم شاركهم
في ذلك لا من كان قارئاً محضاً لا يفهم شيئاً من معاني ما يقرؤه أو يقرئه « فان قيل
فيلزم أن يكون المقرئ أفضل ممن هو أعظم عناء في الاسلام بالمجاهدة والرباط
والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مثلا : قلنا حرف المسألة يدور على النفع المتعدي
فمن كان حصوله عنده أكثر كان أفضل فلعل «من» مضمرة في الخبر بعد إن (١)
ولا بد مع ذلك من مراعاة الاخلاص في كل صنف منهم، ويحتمل ان تكون الخيرية
وان اطلقت لكنها مقيدة بناس مخصوصين خوطبوا بذلك وكان اللائق بحالهم ذلك،
أو المراد من المتعلمين من يعلم غيره لا من يقتصر على نفسه ، أو المراد مراعاة الحيثية (٢)
لان القرآن خير الكلام فتعلمه خير من متعلم غيره بالنسبة الى خيرية القرآن «
وكيفما كان هو مخصوص بمن تعلم وعلم حيث يكون قد علم ما يجب عليه عيناً اه

(المنار) هذا كلام الحافظ في معنى الحديث وفيه بيان مراد الثوري بتفضيل اقراء القرآن على الجهاد اذ لا يمكن أن يكون من لا يفهم القرآن ولا يفيد الناس احكامه كالمجاهد في سبيل الله فانظر اين هذا من زعم بعض الناس أن امثال الحفاظ للالفاظ في مصر أفضل من المجاهدين بالاجماع فما أجرأ الناس على دعوى الاجماع بغير علم اعتماداً على ان العامة تقبل منهم كل قول بغير دليل

(٣) عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم وعملكم مع عملهم ويقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم » أي لا تفقهه قلوبهم ولا

(١) اي ان التقدير : ان من أفضلكم ، وكثيراً ما يطلق اسم التفضيل على تقدير من كحديث «خيركم خيركم لاهله » (٢) أي انه افضل من حيثية التعلم لا من كل جهة

يتفهمون بما تلوه منه « يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية » الخ رواه البخاري

(٤) عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال « المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به كالاترجة طعمها طيب وريحها طيب والمؤمن الذي لايقرأ القرآن ويعمل به كالتمرة طعمها طيب ولا ريح لها » ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كالريحانة ريحها طيب وطعمها مر ومثل المنافق الذي لايقرأ القرآن كالحنظلة طعمها مر أو خبيث وريحها مر » رواه البخاري ومسلم وأنت ترى انه جعل المؤمنين قسمين قسما يقرأ ويعمل بما يقرأ وهو النافع لنفسه ولغيره أو الذى هو طيب في ظاهره وباطنه وقسما يعمل به ولكن لايقرأه وهو الطيب فى نفسه وباطنه وإن كان لاينتفع بظاهره ولم يذكر ان من المؤمنين قسما آخر وهو الذي يقرأ فقط بل عد هذا من المنافقين « فانظر أين علم الرسول صلى الله عليه وسلم من علم هؤلاء الذين يقولون ان حفاظ الالفاظ الذين لايقصدون بها الاهتداء ولا الارشاد بل الكسب والاستجداء أئمة في الدين وان من إهانة القرآن أن يقال انهم يحتاجون معه الى العلم بالقراءة والكتابة أو شيء آخر !!! أعوذ بالله من شر هذا الزمان ، الذى عبث فيه الجاهلون بالسنة والقرآن »

(٥) عن جابر رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نقرأ القرآن وفينا الاعرابي والعجمي فقال « إقرءوا فكل حسن وسيجيء أقوام يقيمونه كما يقام القدح يتعجلونه ولايتأجلونه » رواه أبوداود والبيهقي في شعب الايمان « والمعنى ان الذين يجيئون من بعده يقيمون ظاهر اللفظ من غير طلب لاقامة عقائد الدين وأحكامه وهدايتهم به فهم كالذي يقوم القدح وهو بالكسر السهم الذي لاريش له ولا نصل فلا تمكن المناضلة به » ومعنى يتعجلونه ولايتأجلونه يطلبون الانتفاع به والاجر عليه في الدنيا لافي الآخرة » وهذا الحديث يصدق على القراء لاجل الكسب في هذا الزمان وأوضح منه انطباقاً عليهم الحديث الآتي

(٦) عن حذيفة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اقرءوا القرآن بلحون العرب وأصواتها واياكم ولحون اهل العشق ولحون اهل الكتابين وسيجيء بعدي قوم يرجّعون القرآن ترجيع الغناء والنوح لايجاوز حناجرهم

مفتونة قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شأنهم» رواه البيهقي في شعب الايمان ورزين في كتابه «والذين يعجبهم شأنهم هم الذين يطربون بقراءتهم أو يستأجرونهم لها والذين يرون الفضيلة والخدمة للاسلام في تكثير سوادهم وشدة احترامهم

(٧) عن جابر (رض) مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم «اقرءوا القرآن وابتغوا به الله تعالى من قبل ان يأتي قوم يقيمونه إقامة القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه» رواه أحمد وابو داود

(٩) عن عبد الله بن عمر (رض) قال قال رسول الله (ص) «اقرأ القرآن ما نهاك فان لم ينهك فلست تقرؤه» رواه الديلمي في مسند الفردوس

(٨) عن عمران بن حصين قال قال رسول الله (ص) «اقرءوا القرآن واسئلوا به الله قبل ان يأتي قوم يقرءون القرآن فيسألون به الناس» رواه أحمد والبيهقي والطبراني

(١٠) عن صهيب (ض) مرفوعا «ما آمن بالقرآن من استحل محارمه» رواه الترمذي

(١١) عن ابي هريرة (رض) مرفوعا «من اخذ على القرآن اجرا فذاك حظه من القرآن» رواه ابونعيم في الحلية

(١٢) عن بريدة (رض) مرفوعا «من قرأ القرآن يتأكل به الناس جاء يوم القيامة ووجهه عظم ليس عليه لحم» رواه البيهقي

(١٣) عن ابي الدرداء (رض) مرفوعا «من اخذ على تعليم القرآن قوساً قلده الله مكانها قوساً من نار جهنم» رواه البيهقي وابو نعيم في الحلية والطبراني بلفظ آخر والروايات في القوس متعددة وكان اهدي مقرىء قوساً فأخذها

(١٤) عن ابن عباس (رض) مرفوعا: «من اخذ على تعليم القران اجرا فقد تعجل حسناته في الدنيا والقرآن يحاجه يوم القيامة» : رواه ابونعيم •

(١٥) حديث ابي هريرة المرفوع في الثلاثة الذين هم اول من تسجر بهم النار وفيه أنه يقول الله تعالى يوم القيامة «تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن» وان الله تعالى يقول له «كذبت انما تعلمت ليقال إنك عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارئ» «ثم يسحب على وجهه ويلقى في النار» والاحاديث في العمل بالقرآن وابتغاء وجه الله تعالى به كثيرة ومنها مافيه ترغيب في البكاء فنكتفي بهذا القدر ونذكر جملة من ذلك من سيرة السلف الصالح الذين كانوا مهتدين بالكتاب والسنة «جاء في كتاب إحياء علوم الدين الفصل الآتي

في ذم تلاوة الغافلين

قال أنس بن مالك رب تال القرآن والقرآن يلعنه وقال ميسرة الغريب هو القرآن في جوف الفاجر وقال أبو سليمان الداراني الزبانية أسرع الى حملة القرآن الذين يعصون الله عز وجل منهم الى عبدة الأوثان حين عصوا الله سبحانه بعد القرآن وقال بعض العلماء اذا قرأ ابن آدم القرآن ثم خلط ثم عاد فقرأ قيل له مالك ولكلامي وقال ابن الرماح ندمت على استظهاري القرآن لانه بلغني ان أصحاب القرآن يسئلون عما يسئل عنه الانبياء يوم القيامة وقال ابن مسعود ينبغي لحامل القرآن ان يعرف بليله اذا الناس ينامون وبنهاره اذا الناس يفطرون وبحزنه اذا الناس يفرحون وببكائه اذا الناس يضحكون وبصمته اذا الناس يخوضون وبخشوعه اذا الناس يختالون وينبغي لحامل القرآن أن يكون مستكيناً ليناً ولا ينبغي له أن يكون جافياً ولا مماريا ولا صياحاً ولا صخاباً ولا حديدا وقال صلى الله عليه وسلم «أكثر منافقي هذه الامة قراؤها» وقال صلى الله عليه وسلم «اقرأ القرآن مانهاك فان لم ينهك فلست تقرؤه» وقال صلى الله عليه وسلم «ما آمن بالقرآن من استحل محارمه» وقال بعض السلف ان العبد ليفتتح سورة فتصلي عليه الملائكة حتى يفرغ منها وان العبد ليفتتح سورة فتلعنه حتى يفرغ منها فقيل وكيف ذلك فقال اذا احل حلالها وحرم حرامها صلت عليه والا لعنته وقال بعض العلماء ان العبد ليتلو القرآن فيلعن نفسه وهو لا يعلم يقول «ألا لعنة الله على الظالمين» وهو ظالم لنفسه «ألا لعنة الله على الكاذبين» وهو منهم وقال الحسن انكم اتخذتم قراءة القرآن مراحل وجعلتم الليل جملا فأنتم تركبونه فتقطعون به مراحله وان من كان قبلكم رأوه رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها بالنهار وقال ابن مسعود أنزل القرآن عليهم ليعملوا به فاتخذوا دراسته عملا ان أحدكم ليقرأ القرآن من فاتحته الى خاتمته مايسقط منه حرفاً وقد أسقط العمل به وفي حديث ابن عمر وحديث جندب رضي الله عنهما لقد عشنا دهرا وأحدنا يؤتى الايمان قبل القرآن فتنزل السورة على محمد صلى الله عليه وسلم فيتعلم حلالها وحرامها وآمرها وزاجرها وماينبغي أن يقف عنده منها ثم لقد رأيت رجالا يؤتى أحدهم القرآن قبل الايمان فيقرأ مابين فاتحة الكتاب الى خاتمته لايدري ما آمره ولازاجره ولا

ماينبغي أن يقف عنده منه ينثره نثر الدقل وقد ورد في التوراة ياعبدي أما تستحي مني يأتيك كتاب من بعض اخوانك وأنت في الطريق تمشي فتعدل عن الطريق وتقعد لاجله وتقرؤه وتتدبره حرفاً حرفاً حتى لايفوتك شيء منه وهذا كتابي أنزلته اليك انظر كم فصلت لك فيه من القول وكم كررت عليك فيه لتتأمل طوله وعرضه ثم أنت معرض عنه أفكنت أهون عليك من بعض اخوانك ياعبدي يقعد اليك بعض اخوانك فتقبل عليه بكل وجهك وتصغي الى حديثه بكل قلبك فان تكلم متكلم أوشغلك شاغل عن حديثه أومأت اليه ان كف وهاأناذا مقبل عليك ومحدث لك وأنت معرض بقلبك عني أفجعلتني أهون عندك من بعض اخوانك » اه

وأما علماء الخلف وائمتهم فهم متفقون مع السلف على ذلك . قال الامام محي الدين النووي في آداب حملة القرآن ما نصه

(فصل) وينبغي ان لايقصد به توصلا الى غرض من اغراض الدنيا من مال أو رياسة أو وجاهة او ارتفاع على اقرانه أو ثناء عند الناس أو صرف وجوه الناس اليه أو نحو ذلك ولا يشوب المقرئ إقراءه بطمع في رفق يحصل له من بعض من يقرأ عليه سواء كان الرفق مالا أو خدمة وان قل ولو كان على صورة الهدية التي لولا قراءته عليه لما اهداها اليه قال الله تعالى «من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب» وقال تعالى «من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها مانشاء لمن نريد» الآية . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله لايتعلمه لاليصيب به غرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة) رواه ابوداود باسناد صحيح ومثله كثير » الخ

وقال (فصل) ولا يتعلم الا ممن تكملت أهليته وظهرت ديانته وتحققت معرفته واشتهرت صيانته » الخ ونكتفي بهذا القليل من الكثير في هذا المقام

(النتيجة) علم مما تقدم من الآيات والاحاديث وآثار السلف الصالح ان القرآن هو الهداية العظمى وان حملته وحفاظه هم أئمة المسلمين ومرشدوهم ولذلك أمر عمر رضي الله عنه ان لايقرىء الناس القرآن الا عالم بالعربية ليقيم اللفظ فلا يسري

اليه الخطأ والغلط ويفهم المعنى فيعمل به ويعلم الناس . وقد كان المشهورون من الصحابة باقراء القرآن أكابر علمائهم كعلي وعثمان وأبيّ وزيد بن ثابت وابن مسعود وابي الدرداء وابي موسى الاشعري . وممن قرأ على أبي ابو هريرة وابن عباس . فينبغي الاقتداء بالسلف بأن يكون حفاظ القرآن الذين يؤخذ عنهم هم الذين ينقطعون لاتقان علوم القرآن اللفظية والمعنوية فيتقنونها . ولا يجوز أخذ القرآن عن الجاهلين باللغة وبأحكام الدين والمرتكبين للمحرمات والدناآت لانهم ليسوا عدولا يوثق برواتهم

استطراد في حفاظ القرآن بمصر . وحادثة جديدة

جرت الحكومة المصرية على إعفاء حفاظ القرآن من الخدمة العسكرية فكثر حافظوه لذلك وهؤلاء الذين يحفظونه لهذا الغرض لا يريدون به وجه الله تعالى كما ورد ولا يلبث الكثيرون منهم بعد سن القرعة العسكرية ان ينسوه الا من اتخذه حرفة يكتسب به . ولما أنشأت نظارة المعارف تعلم المكاتب أو الكتاتيب التي يعلم فيها القرآن أو قدت اليها المفتشين من أهل العلم المتخرجين في الازهر ثم في دار العلوم وقد تبين لهؤلاء أن الكثيرين من الحفاظ الذين انقطعوا لاقراء القرآن لا يحسنون تلاوته بالتجويد المطلوب شرعاً وأنهم على جهل ومهانة لاتليق بعملهم . وقد اقرت الحكومة في مجلس النظار الذي اجتمع في هذا العام برياسة الامير أن لا يعفى حافظ القرآن من الخدمة العسكرية من بعد الا من يمتحن فيظهر انه حافظ للقرآن ومحسن لتلاوته بالتجويد الواجب شرعا ومتعلم مبادئ القراءة والكتابة التي يتعلمها الصبيان أي لا يشترط أن يكون الخط جيدا والاملاء صحيحاً ولا ان تكون القراءة بدون لحن ، وعارف بالقواعد الاربع الصحاح في الحساب . وغرض الحكومة من ذلك فيما يظهر ان تكثر عدد الحفاظ الذين يصلحون لانشاء الكتاتيب وان يكونوا محترمين في الجملة بالارتقاء عن الامية المحضة فينتفع الناس بهم

ومن عجائب مصر أم العجائب أن قام بعض الناس يكتب المقالات الطويلة في جريدة المؤيد معزوّة الى أزهري مجهول يحاول اقناع الناس بأن هذا الذي قررته الحكومة إهانة للقرآن وحملة القرآن وحجته أن الذي يحفظ ألفاظ القرآن يجب أن يستغنى بها عن كل شيء حتى مايعده لتجويد تلاوتها وفهم عبارتها . وكتب مجهول

آخر في المؤيد في تقبيح ما تريده الحكومة وجريدة المؤيد مؤيدة لهم ولهم حجة أخرى وهو أن من تكريم حفاظ القرآن أن يعاملوا كبعض خدمة الكنائس والاديار الذين يعفون من خدمة العسكرية وهم غير متعلمين !! وطفقوا يصورون للعامة أن هـذا إهانة للقرآن وأن بعض العظماء في الامة يذرون الدموع أسفاً وحزناً على مصاب الاسلام بإخراج حفاظ القرآن من الامية والجهل بالقراءة والكتابة الى أدنى مرقاة من سلم العلم والمعرفة . وقد نشرت في المقطم مقالة معزوة الى أحد العلماء جاء فيها أن تعلم الفنون العسكرية من فروض الكفاية فلا ينبغي أن يسمى اهانة لاهل القرآن واذا كان الناس لا يستغنون عن الحفاظ في البلاد والقرى ليرجعوا اليهم في ضبط القرآن وأحكامه فالجنود يحتاجون أيضاً الى الحفاظ في سفرهم واقامتهم لمثل ما يحتاج اليهم غيرهم فقام الازهري المجهول يهزأ بهذا القول الحق ، يزعم أن الفنون العسكرية ليست مفروضة في مثل هـذه البلاد يشير الى أن هذا الفرض سقط عن المسلمين في مصر لاحتلال الانكليز فيها

وقد نسي هذا الازهري — ان كان هنالك أزهري — حكم مذهبه الذي يتلقاه هو وامثاله في الازهر في دخول الاجانب في بلاد المسلمين فاتحين ويعتقدون انه محكم يعمل به في كل زمان وهو أن الجهاد عنده يكون حينئذ من الفرائض العينية التي تجب على كل مكلف حتى مشايخ الازهر ومجاوريه وكذا النساء في قول فان كان يعتقد أن الانكليز فتحوا هذه البلاد وملكوها وصارت في عرفه دار حرب فكيف كتب ماعزاه المؤيد اليه وان كان يعتبر الظاهر الرسمي وهو ان هـذه البلاد لاتزال إسلامية وان حاكمها هو الامير عباس باشا حلمي الذي ولاه عليها السلطان عبد الحميد وان البلاد دار إسلام وان الانكليز فيها معلمون ومصلحون لفساد حكامها حباً في الانسانية فكيف يزعم أنه طرأ عليها ما أسقط الفرض عن مجموع أهلها حتى افتقد الاستعداد له ؟ لعله عرض بذلك التعريض لاعتقاده أن ذلك العالم الذي كتب في المقطم لايقدر أن يبين رأى فقهاء الازهر في هذه المسألة وينشره في المقطم أوفى غيره خوفاً من الانكليز وان كان الانكليز فوق مايظن من احترام الحرية الدينية وغير الدينية لأن نفوذهم لم يكن يمنع الناس من اظهار ما يريدون إظهاره وانما هو بالسماح لهم بذلك لانهم لايخافون عاقبته فذلك ماداموا واثقين بأن سيرتهم هي العون لهم على ارضاء الناس وتفضيلهم اياهم

على الظالمين الذين غلوا أيديهم عن الظلم

مالنا وللبحث مع المجهولين فى أمر الدين ونحن نعلم مبلغ علمهم وغاية مرماهم في كتاباتهم وهذا مما يجب الاعراض عن الخوض فيه ولكن هناك أمرا آخر جديرا بالاعتبار وعرضه على ما تقدم من النصوص وهو أن الشيخ عبد الرحمن الشربيني شيخ الجامع الازهر كتب الى نائب أمير البلاد (قائمقام خديوي) رئيس مجلس النظار كتاباً رسمياً عن قرار من مجلس ادارة الازهر يطلب فيه أن تعدل الحكومة عن مشروع امتحان الحفاظ بما تقدم ذكره وهذه عبارة الكتاب • بعد حذف رسم الخطاب • منقولة عن المؤيد

« قد علمنا ان نظارة الحربية وضعت مشروعاً جديداً لتعديل بعض مواد قانون القرعة العسكرية وأنه معروض الآن على مجلس شورى القوانين وانه يقضي بأن من يحفظ القرآن الشريف ويحسن تلاوته وليس له حرفة سواه لا يعفى من القرعة العسكرية الا اذا كانت له دراية بفن الحساب ونحوه

« وحيث ان كتاب الله تعالى (القرآن) هو أفضل الكتب السماوية وهو أساس دين الاسلام • وقد انعقد الاجماع على أن حفظه والتعبد بتلاوته هو من أهم أمور الدين وأن حملته من أشرف الناس وأولاهم بالاحترام والتكريم • وأن حفظه من فروض الكفاية • وان القائمين به كالمجاهدين فى سبيل الله تعالى • وأنه أصل الاصول فكل شيء يرجع اليه ويتبعه • فهو بمفرده كاف لاحترام أهله وتوقيرهم بدون ضم شيء آخر اليه

« فلذلك ولما رأيناه من ميل علماء الازهر وغيرهم من التحرير لجانب الحكومة السنية بالتماس العدول عن المشروع الجديد وإبقاء الحال على ما كان عليه قد جرت المذاكرة في هذا الشأن بمجلس ادارة الازهر بجلسته المنعقدة يوم الاحد ٢٨ مايو الجاري فتقرر أن يرفع الامر الى عطوفتكم والى هيئة الحكومة رجاء العدول عن هذا المشروع وابقاء الحال على ما كان احتراماً لكتاب الله تعالى وأجابة لنداء علماء الامة • وأن لا يكون الامتحان في نظارة المعارف كما يقتضيه المشروع

فلهذا اقتضى تحريره ومع الموافقة يرسل من هذا المحرر صورة الى مجلس شورى

القوانين للعلم بما فيه أقدم اه

وهذا الكتاب منتقد من وجوه (منها) أن عبارته كعبارة بعض الجرائد فيها ماينتقد لغة ولا نطيل فى هذا . (ومنها) ان الحكومة لم تشترط في إعفاء الحفاظ من القرعة العسكرية الدراية بفن الحساب ونحوه ، وانما اشترطت معرفة مابقواعد الحساب الاربع في الصحاح دون الكسور وهو مايمكن تحصيله في أسبوع واتقانه في شهر ومعرفة كمعرفة الاسم والفعل والحرف في النحو بتمييز بعضها من بعض بالاجمال فان كان العارف به وحده يعد ذا دراية بفن النحو فالعارف بالقواعد الاربع الصحيحة يعد ذا دراية بفن الحساب ، والدراية هي العلم وقيل هي أخص من العلم ، ثم ان المفهوم من كلامه ونحوه ، سائر الفنون الرياضية كالجبر والمقابلة والهندسة وليس شيء من هذا مشروطاً (ومنها) قوله انعقد الاجماع على ان حفظه والتعبد بتلاوته من أهم أمور الدين وقد علم مما تقدم ان كلا من الحفظ والتعبد انما يكونان من مهمات الدين بالشروط والآداب التى فهمت من الآيات والاحاديث السابقة وذلك لايتحقق الا فى الحفاظ وأهل القرآن الذين ينطبق عليهم معانى الآيات والاحاديث وأقوال العلماء التى تقدمت وهي لاتنطبق على الحفاظ الاميين الذين لاحظ لهم من القرآن الا تحريك اللسان بها للكسب أو للعبادة فأما تحريكها للكسب فقد علمت ما فيه على ان بعض العلماء أجاز أخذ الاجرة على تعليمه بعقد صحيح وقلما يصلح للتعليم الامي المحض الذي لايعرف ما اشترطته الحكومة فى إعفاء الحفاظ ، وأما التعبد بالقراءة فلامزية له على القاريء بالمصحف بل صرح العلماء بأن القراءة في المصحف أفضل وروي الحديث فى ذلك ، وهذا التعبد عندهم سنة لافرض كفاية فهو من قبيل الذكر والتسبيح ، فكأن شيخ الازهر لايريد الا إعفاء الحفاظ القائمين بحقوق القرآن وقليل ماهم وهو خلاف المتبادر من غرض كتابه (ومنها) قوله ان القائمين به أي بالحفظ كالمجاهدين فى سبيل الله تعالى والظاهر ان هذا من المجمع عليه فى رأي الشيخ وقد رأيت كلام الحافظ ابن حجر فيه وانه لاينطبق على هؤلاء الحفاظ الجاهلين بمعاني القرآن وإفادتها (ومنها) قوله وانه أصل الاصول فكل شيء يرجع اليه وبقيته : وليس حفظ القرآن من غير فهم أصلا لاصول الدين يرجع اليه كل شيء

وأما ذلك القرآن نفسه من حيث فهمه واستنباط الاحكام منه والاهتداء والارشاد به وهؤلاء الحفظة المطلوب امتحانهم بالقراءة من غير اشتراط الصواب وعدم اللحن ليسوا على شيء من ذلك . — فعلم ان دعوى الاجماع على ما فهم من الكتاب غير صحيحة بل لم يقل احد من الائمة بأن امثال حفاظ الالفاظ الذين يدعى واحدهم في مصر بالفقي لهم تلك المزايا والحقوق والاحترام الديني فالنتيجة المرادة من كتاب الشيخ المبنية وهي العدول عن المشروع احتراماً لكتاب الله تعالى لا تترتب على تلك المقدمات بل تنفيذ المشروع أقرب الى احترام القرآن وأهله من العدول عنه لان اللائق بحملة القرآن أن يكونوا من أهل العلم باللغة والقراءة والكتابة بل ان يكونوا أعلى من ذلك كما علم مما تقدم

ومما انتقد به الكتاب كونه بقرار من مجلس إدارة الازهر الذي يعد من مجالس الحكومة وهو مقيد بقانون ليس له أن يعده امرسميا فكان اللائق ان يكون نصيحة دينية غير رسمية ان كان هناك وجه للنصيحة

ارسل الكتاب الى رئيس النظار وبعد ارساله بيوم نشره المؤيد بتاريخه (وهو ٢٤ ربيع الاول) وعدده الرسمي (وهو غرة ٦٦٧) وفي اليوم التالي لنشره اجتمع شيخ الازهر ببعض اعضاء مجلس الشورى فسألوه هل في مشروع الحكومة شيء مخالف الدين فقال لا وتذاكروا في كتابه الى رئيس النظار فقال لهم على ما نقل الينا ان الكتاب الذي نشر وكتب لم يكن مطابقاً لما أمر هو به وانه رأى فيه بعد النشر مالم يكن يعلم واقتنع بأن ارساله كان في غير محله وبادر الى ملاقاة رئيس النظار واعتذر له عن ارسال الكتاب ورغب اليه في (سحبه) واهماله وحسبانه كأن لم يكن فقبل الرئيس منه ذلك . وكان هذا من دلائل سلامة قلب الاستاذ شيخ الجامع وحسن نيته على أن سحب الكتاب قد ساء الذين سعوا فيه وحملوا الشيخ عليه كما ساء ارساله جميع العقلاء الذين علموا ان عاقبته لا تكون حسنة وهو الآن حديث العامة والخاصة وجميع المسلمين متعجبون لما صار اليه مجلس ادارة الازهر من التأثر بكلام أهل الاهواء الذين يذمون الحسن ويمدحون القبيح ومجاراتهم التي تفضي الى ما لا تحمد عقباه

آثار علمية ادبية

كتاب الشعر والشعراء

هذا الكتاب مشهور عند أهل الادب المتقدمين والمتأخرين بفائدته وبشهرة مؤلفه ابي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري أحد أئمة اللغة والادب وصاحب (ادب الكاتب) وغيره من التآليف المفيدة المتوفى سنة ٢٧٦ وموضوع الكتاب ماذكره المؤلف رحمه الله تعالى بقوله في أوله

«هذا كتاب الفته في الشعر أخبرت فيه عن الشعراء وازمانهم واقدارهم وأحوالهم في اشعارهم وقبائلهم واسماء آبائهم ومن كان يعرف باللقب أو الكنية منهم وعما يستحسن من أخبار الرجل ويستجاد من شعره وما أخذته العلماء عليهم من الغلط والخطأ في ألفاظهم وما سبق اليه المتقدمون فأخذه عنهم المتأخرون . وأخبرت فيه عن أقسام الشعر وطبقاته وعن الوجوه التي يختار الشعر عليها ويستحسن لها الى غير ذلك مما قدمته في هذا الجزء الاول . وكان قصدي للمشهور من الشعراء الذين يعرفهم جل أهل الادب والذين يقع الاحتجاج بأشعارهم في الغريب والنحو في كتاب الله عز وجل وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم . فأما من خفي اسمه وقل ذكره وكسد شعره فأقل من هذه الطبقة (كذا) اذ كنت لا أعرف منهم الا القليل ولا أعرف لذلك القليل أخبارا وان كنت أعلم انه لاحاجة بك الى أن أسمي لك أسماء لا أدل عليها بخبر أو زمان أو نسب أو نادرة أو بيت يستجاد أو يستغرب » الخ ما قاله وهذا كاف في التعريف بفضل الكتاب فهو من الكتب التي تطبع ملكة البلاغة في النفس وتمدها للاجادة في الشعر والكتابة . ومن مختار الشعر الذي أورده وهو يحكي عن أخلاق العرب وشهامتهم قول سعد بن ناشب

سأغسل عني العار بالسيف جالباً عليّ قضاء الله ما كان جالبا
ويصغر في عيني تلادي اذا انثنت يميني بادراك الذي كنت طالبا
فيالرزام رشحوا بي مقدماً الى الموت خواضاً اليه الكتائبا

اذا هم ألقى بين عينيه عزمه ونكب عن ذكر العواقب جانباً
ولم يستشر في رأيه غير نفسه ولم يرض الاقائم السيف صاحباً

وقول محمد بن عمير المعروف بالمقنع الكندي

ولا أحمل الحقد القديم عليهم وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا
وليسوا الى نصري سراعا وانهم دعوني الى نصر أتيتهم شدا
اذا أكلوا لحمي وفرت لحومهم وان هدموا مجدي بنيت لهم مجداً
يعيرني بالدين قومي وانما ديوني في أشياء تكسبهم حمداً

وقد طبع الكتاب على نفقة محمد امين افندي الخانجي الكتبي الشهير وهو يطلب منه ومن ادارة المنار وثمن النسخة منه خمسة قروش صحيحة ماعدا أجرة البريد

(ديوان الحماسة)

هو مجموع ما اختاره من شعر العرب أبو تمام حبيب بن أوس الطائي الشاعر الشهير وهو أشهر من نار على علم وكان الادباء يتنافسون في استظهاره، واقتباس جذى البلاغة من ناره، وقلما نبغ شاعر أوأديب ولم يكن حفظ ديوان الحماسة أو كثرة مطالعته من اسباب نبوغه ، ولما فترت همم المتأخرين عن تلقي مثله من كلام العرب فتر الشعر وبرد حتى صار يقف لسماعه شعر صاحب الذوق وتقشعر نفسه عند انشاده وانا نرى في زماننا هذا نهضة في احياء اللغة نشكر للوراقين اسعادها بما يطبعون من الكتب النافعة كهذا الكتاب والكتاب الذي قبله وماسيذكر بعده ، فقد طبع الشيخ محمد سعيد الرافعي صاحب المكتبة الازهرية ديوان الحماسة طبعاً مضبوطاً بالشكل وفسر في أدنى كل صفحة جميع الابيات فيها مختصرا ذلك من شرح التبريزي المشهور وجعله في جلد واحد بحجم أصغر من حجم المنار ليسهل تناوله على الطلاب ويخف حمله على المتأدبين وجعل ثمنه اثنى عشر قرشاً فقط فقد اجتمع لمريده المرغبان في اقتنائه كثرة الفوائد وقلة الثمن وهو يطلب من طابعه بالسكة الجديدة بمصر

(ديوان أبي تمام)

أبو تمام من شعراء الطبقة الاولى من المولدين وجيده أعلى من جيد البحتري والمتنبي اللذين يقرنان به ولكن من رديئه ما هو دون رديئهما ولعله لولا حب الجناس

لما ارتكب التكلف ولما وقع في التعسف فأكثر رديئه في ذلك وهو عند أكثر المتأخرين لا يعد رديئاً بل ربما فضله عشاق المحسنات اللفظية على سائر شعره . وهو على كل حال من أهل الرعيل الاول ، والدين على بلاغتهم المعوّل ، وقد احتذاه وأخذ عنه من بعده حتى المتنبي . وكنت ترى من العجب ان الشعر ترتقي صناعته في هذه السنين وديوان أبي تمام لا يطبع المرة بعد المرة وقد أحس بهذه الحاجة محمد أفندي جمال البيروتي فانتدب لطبعه ورغب الى الشيخ محي الدين الخياط ان يفسر غريبه ويضبطه بالشكل ويصحح طبعه فأجابه الى ذلك ووضع للديوان مقدمة تكلم فيها عن الشعر بكلام شعري أي بالتخيلات والتشبيهات وعلى البلاغة والشعر العصري وعلى وجوب التوسع في اللغة وقبول الدخيل فيها وتعريبه وختمها بترجمة أبي تمام . وقد بلغت صفحات الديوان خمس مئة ونيف وثمنه في مصر اثنى عشر قرشاً وأجرة البريد قرشان وفي سائر البلاد ٣ فرنكات ونصف ويطلب من طابعه ببيروت ومن ادارة مجلة المنار بمصر

(ديوان ابن نباتة المصري)

جمال الدين محمد بن نباتة المصري من شعراء القرن الثامن في الادب ومدح الملوك والكبراء والعلماء وهو مشهور بالرقة والسلاسة ما يحب المتأخرون وخاصة المصريين فان كلامه أحلى في ذوقهم وأدنى من ومن ذلك قوله في المقاطيع

ياعواذاً بملامي حسبك الله	كم ذا تهيج مغرى القلب مضناه
هذا الحبيب وذا فكري وذا جلدي	في راحتيه فقل لي كيف أنساه
إني لاعلم أن الرشد أجمعه	في تركه غير ان النفس تهواه
ساجي اللواحظ خمري مقبله	داجي الذوائب بدري محياه
ان كان للحب شخص فهو مهجته	أوكان للحسن لفظ فهو معناه
أفديه بدرا بقلب الصب غرته	وفي السماء برغم الصب لقياه
لولم يكن ريقه خمرا ومرشفه	ماعربدت عينه واهتز عطفاه

وله في شعره نكت وكنايات مما يعرف الآن «بالنكت البديعة» لا تسلم من المجون وابن حجة يطريه في انشاء

وقد طبعه في هذه الايام الشيخ محمد القلقيلي وكتب له مقدمة ذكر فيها أن الذي أسعده على ما همت به رغبته وقصرت دونه يده ابراهيم بك رمزي صاحب مطبعة ومسبك التمدن ، ولعمري أنه قد طبع طبعاً جميلا على ورق جيد يليق باتقان رمزي بك وبلغت صفحات الديوان ٥٩٦ صفحة وقد جعل ثمنه ٢٠ قرشاً ولمبتاعه كفلان من الفائدة أحدهما الانس بالديوان والتمتع بمطالعته وثانيهما إعانة طابعه على أعماله الادبية التي انصرفت همته اليها ، واراد رمزي بك إسعاده عليها ، وهو يطلب منه ومن مطبعة التمدن بجوار عابدين

(مجلة سركيس)

سليم افندي سركيس نشأ في حجر الصحافة حتى ترعرع وشب واكتهل فذاق حلوها ومرها ، وعرف وصلها وهجرها ، وفارق فيها الدار والوطن ، وهاجر بالاهل والسكن ، فاشتغل بالكتابة في الجرائد ببيروت ومصر وأمريكا ثم عاد الى مصر واختار أن ينشئ مجلة يقصر مباحثها على الافاكه والملح الادبية فعمل فجاءت (مجلة سركيس) وحيدة في موضوعها لا يستغنى عنها في هذه البلاد بصحيفة من نوعها ، واذا كانت المسائل العلمية والسياسية والاجتماعية والدينية وغيرها من حاجات اصناف من الناس فالفكاهة من حاجات جميع الناس يرغب فيها العالم والفقيه والفيلسوف والاديب والعامي والخاصي ومن ثم كان الرجاء بنجاح مجلة سركيس قويا لاسيما اذا أصاب في ملحه ونوادره مواقع الاعجاب من نفوس أبناء هذه البلاد وهو جدير بذلك لسعة اختباره ، والمجلة تصدر في الشهر مرتين وقيمة الاشتراك فيها ٦٠ قرشاً في مصر و ٢٠ فرنكا في سائر البلاد



(حضرموت واليمن)

نلخص ما يأتي من رسالة صديق لنا في حضرموت قال

كان خروجي الى حضرموت من عدن برا لاني لم أجد مركباً بحرياً اذ ذاك

فازددت بذلك علماً عن تلك الفيافي والقفار والبدو والحضر والعرب بتلك الجهات ووقفت على أحوالهم وعاداتهم وحالة الدين واندراسه ودسائس الانكليز هناك وما ينتظر للدولة العلية في اليمن • قطعت في سيري أرض الفضلي وهي أول دولة من دول العرب هناك تلي انكلترا وتواليها ولها سواحل بالقرب من عدن أشهرها يسمى (شقره) ودولتها بدوية استبدادية وعسكرها هم عصبة الملك وقبيلته وهم بدو حربيون ولها سياسة واسم ملكها أحمد بن حسين الفضلي وهو باسط بساط العدل والامان ومن عاداته أن من سرق له شيء أو نهب من بلده يجيئه فيعطيه من خزينته عوض ماسرق أو نهب منه ويذكي هو العيون على المعتدي حتى يظفر به ويسترد منه ما أخذه وله راتب سنوي من انكلترا نحو ١٢٠٠٠ روبية ويسمونه (مشاهرة) وقد وقع بينه وبين الانكليز تنافر من مدة لانه طلب سلاحا مدافع فلم تسمح له بذلك

يليه (يافع) ويقدرون ساكنيه بنحو ٧٥٠٠٠ ألفاً ويجلب منه (يصدر) الجلود والبن والورس والزعفران والذرة والقمح وغيرهما من الحبوب • وهم بدو قبائل متفرقة يتحاربون ويتصالحون ولهم من الانكليز مرتب وقد أريدوا على الدخول في الحماية البريطانية فأبوه ولما قاتلوا الانكليز منذ عامين عاتبهم الباشا صاحب قعطبة من ولاية الدولة العلية

يليهم الجبال البيضاء وهي أرض ذات أنهار وخصب وأهلها بدو وهم موالون لانكلترا ولهم راتب منها — والعواذل وهم دولة وقصبتهم تسمى (دثينة) وهي خصبة ذات تربة طيبة ولم يطاوعوا انكلترا ولذلك أجلت المهاجرين منهم من عدن بالسمط لما عارضوا جنوده التي وجهها الانكليز الى بلاد العوالق

يليهم بلاد العوالق وأهلها قبائل لهم دولة من غيرهم ولانفوذ له (يريد بالدولة الحاكم) وعاصمتهم (أنصاب) وهي ذات آثار وبقربها أحجار عليها كتابات حميرية وللملكهم ورؤساء القبائل مرتبات ولعالمهم (عاتق باكر) الذي له نفوذ هناك حتى انه ليجمع الزكاة من البادية راتب شهري من الانكليز قدره ٥٠٠ روبية على أنه يأخذ راتباً من الدولة العلية فهو منافق وميله القلبي الى بريطانيا ولذلك يوسع نفوذها هناك • أما العوالق فيقدرون عسكرهم الذي يمكنه القتال بنحو ٤٠٠٠ ألف (كذا

في الاصل فان كان مراده أربعة آلاف كما هو الظاهر فلاحاجة الى كلة «الف» بعد الرقم ويقرب أن يكون عددهم أربعون ألفا ويبعد أن يكون أربع مئة الف فما كتب خطأ أرجو من الكاتب إصلاحه بعد وصول المنار اليه) حدثني بذلك رئيسهم أخذا من عددهم في الوقائع (الغزوات) القومية التي حشدهم فيها

يلي العوالق الى ناحية الشرق والبحر دولة الواحدي عاصمة حبان وهي بلدة قديمة أسس جامعها سنة ٢٦٦ الهجرة وكان بها من العلماء جهابذة فصحاء وقفت على بعض قصائدهم الفصيحة التي تكاد تسيل انسجاماً وحالتها اليوم جاهلية وهي تحت حماية الانكليز وقد عقدوا عهدا على خروجه اليهم (كذا) وساحلهم بالحاف وقد أخذ نصفه أمير المكلا القعيطي من أخي ملكها شراء فقامت انكلترا تعارض فيه والله يعلم هل يسلم له أم تأخذه انكلترا

(وههنا رسم الكاتب صورة تلك البلاد من عدن الى الشحر وانصاب العوالق وكتب عند ذكر (لحج) ان ملكها أحمد فضل العبدي قد باع أرضه من انكلترا وله راتب منها، وعند (قعطبه) انها اول ولاية الدولة العثمانية . وعند ذكر (الشحر) أنه عند أمير المكلا القعيطي وهو داخل تحت حماية انكلترا ، وعند ذكر (صبأ) و(مأرب) ملكهما من الاشراف وهو محالف لانكلترا وله راتب وبينهم عهود وقد أوفدت انكلترا الى تلك البلاد وفدا علمياً فنقلوا رسوم الآثار والكتابات الحميرية التي على الصخور والاسطوانات الرخامية الحميرية الخ: وقال ان من يشاهد نفوذ الانكليز هناك يعتقد أن الدولة العلية ستقاص ملكها عن قريب بسعي أولئك الرجال) ونزيد قوله تعالى «وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين» فان عادوا الى العدل، عاد الله عليهم بالفضل ، ثم قال

على انني لم أخبركم ببعض الجبال والمراكز والقبائل فانظروا تروا انه اذا نشبت الحرب بين انكلترا والدولة فان انكلترا تأتيها من فوقها ومن أسفل منها . وهذه المراكز الداخلة تحت حماية انكلترا أوفى محالفتها تسمى باليمن الاسفل الا الضالع فانها من اليمن الاعلى ونفوذ انكلترا في اليمن الاسفل يمتد مسافة شهر تقريباً وستمد سكة حديدية تقطع هذا البر الى (أنصاب) عاصمة العوالق ثم تمر بعد ذلك في البوادي التي تحلها كنده ونهد والكرب الى الكويت . ولم تدع انكلترا رأسا من رؤوس

القبائل الا واعطته مرتباً جارياً وكان تداخلها في هذه البلاد بواسطة واحد من أبنائها دخل البادية ونشأ فيها فهو يتكلم بلغتها وإذا دخل فيها يلبس لها لباسها الذي هو من السن الى الركبة (كذا) ورداء وعمامة وتسميه البادية (عبدالله بن منصور)

وأهل البادية يحدثون بعدل انكلترا وبديانتها التي تعلمها عليهم القسوس بعدن ولقد حرت من تقريرهم لها اذ لا يعرفون معنى الدين الاسلامي ماهو وسيكون لذلك الاثر السيء في تلك الاقطار اذا خالط أهلها الانكليز فالمعارف الدينية معدومة بالكلية حتى ان هناك الحوالق السفلى والمتالقة منهم يقدرون بنحو ٧٠٠ لا يعرفون شيئاً من الدين ونكاحهم إنما هو نهب ينهب الواحد بنت الآخر ويتزوج بها فاذا ولدت ذهب أولادها يأتون بالعقد عند أبويها وانها لتفتخر على من تزوجت بالتراضي وينكح أحدهم أخته وخالته وزوجة أبيه بعد موته ولا يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم

والبادية كلها متسلحة بالسلاح الحديث المكتوب عليه (كارديف) و(مارتين) و(سن ايمنس) وانكلترا مشددة على الخرطوش فلا يصل اليهم الا بعد الجهد وهم يشترونه بأثمان باهظة. وانك لترى اهل البوادي يتسابقون الى عدن تسابق الجياع الى القصاع والمال ينهال عليهم حتى ان البدوي الذي يقنع بالروبية يعطى من المئة الى المئتين باسم أو بخشيش ويسمونه فشح وسأخبركم بأخبار تلك الجهة على التحقيق وعما للسادة (الشرفاء) من النفوذ هنا ككون كل قبيلة لها (منصب) منهم أي رئيس روحي يعقد الصلح ويأخذ النذور ويستغاث بجده المعروف بالولاية

مكثت في تلك الجهات شهرين في حل وترحال الى أن وافيت حضرموت وأهلها في الجملة (قبورية) وسأخبركم بحالها وبسياسة أمير المكلا فيما يأتي. أما واردات المكلا خاصة فهي ٣٥٠٠٠٠ جنيه يأخذ عليها الامير مكساً باهظاً. وأما الصادر وهو التنباك والسمك وغيره فنحو ١٠٠٠٠٠ جنيه ولا تزال أساطيل انكلترا ومدرعاتها تطوف بهذه السواحل تتنسم الاخبار وعسى أن نوفق هنا للدعوة فانا وجدنا حزباً يوافق مانحن عليه واناساً يعرفون المنار اكثرهم ممن يتاجرون الى جاوه ودولة المكلا (اي اميرها) غائب بالهند وسأوافيكم بما يتجدد اه المراد منه

(تنازع الدول في جزيرة العرب)

كثرت أقوال الجرائد المصرية وغيرها في عناية الانكليز بتقوية نفوذها في بلاد

الغرب وقد علمنا أنه جاء مصر في هذه الايام وفد من فرنسا وآخر من ألمانيا وكل منهما يريد الذهاب من هنا الى بلاد الغرب مستعيناً بالمصريين فأما الوفد الفرنسي فإن من أعضائه علي أفندي زكي المصري وكيل المؤيد في باريس وصاحب المقالات الكثيرة التي تؤيد نفوذ فرنسا في بلاد الغرب وقد سعى صاحب المؤيد تقدمه هنا في مساعدة هذا الوفد الذي سيذهب الى الخليج الفارسي ويكون وكيل المؤيد في البصرة مساعداً له. وأما البعث الالماني فقد استأجر من الربان هنا خمسين ذلولا واتخذ له مترجماً من شبان المصريين بأجرة كبيرة واشترى كثيرا من المصاحف المذهبة والكتب الدينية ووجهته الامير ابن الرشيد في نجد. والعبرة في هذا ظاهرة لكل عاقل. وسيرة الدولة العلية في بلاد الغرب معروفة لا حاجة الى شرحها والامر لله العلي الكبير.

باب الانتقاد على المنار

وعدنا في آخر المجلد السابع بأن نجيب عن بعض الانتقادات التي وردت علينا في العام الماضي ولم نتمكن من ذكرها والجواب عنها الان كثرة المسائل العارضة اضطرتنا الى الإرجاء ولكننا نعجل الآن بذكر انتقاد جديد جاءنا من أحد القراء الفضلاء الواقفين على كنه الحال في الجزائر وغيرها من مستعمرات فرنسا قال بعد الثناء والتحية

«قد اطلعت في العدد الرابع من المجلد الثامن من مجلة المنار الاسلامية الغراء ما يأتي : وليت المراكشيين يعلمون ان ألمانيا ليست خيرا من فرنسا في مستعمراتها بل هي شر منها وانهم اذا لم يستفيدوا من المناظرة بينهما بالعقل والحكمة دون الاتكال على الكرامات فلا يكون دخول الالمان في بلادهم الاوبالا عليهم؛ وبعد أن نظرت في هذا المقال أنا وأصحابي وتأملنا فيه من جميع أركانه لم نجده الاغلطا عظيما ولم نظن قبل اليوم أن أهل الفضل مثل سيادتكم يقولون كلاما ساعد الاهلاك خمسة عشر مليونا من المسلمين مماونا السياسة الفرنسوية التعساء»

ثم طفق يعد سيئات فرنسا في الجزائر كهدم المساجد وغصب الارزاق ومناهضة العرب ونصر اليهود عليهم ويبرئ ألمانيا من مثل ذلك ويذكرها بالثناء . وقال لا تغتر بكلام الموسيو لوسياني وغيره مع الاستاذ الامام ولا بتجديد مدرسة لاربعة ملايين عدد تلامذتها عشرون . فانه في عهد الحاكم الجديد جناو كثر الكذب والتغرير واشتريت

بعض الجرائد المصرية ... يعاتب ألف فرنك لتكون عونا له في سياسته ضد الاسلام حول المغرب وتوليته عليه — الى آخر ماقال

ونحن نخشى أن يكون فهمه لسياسة فرنسا كفهمه لعبارة المنار التي انتقدها فانه ليس الغرض منها الا نصيحة المراكشيين بترك الغرور بالقبور وتوجيه العناية الى الاستفادة من تنازع المانيا وفرنسا على البلاد على حد قول الشاعر العربي

تفرقت غنمي يوماً فقلت لها يارب سلط عليها الذئب والضبعا

فان كان يرى الفائدة في استيلاء المانيا على مراكش بغضاً بفرنسا فانه يريد شفي غيظه بما يضر المسلمين ويذهب باستقلالهم كما كان بعض المصريين يغلون بالسعي لدى فرنسا لاخراج انكلترا من مصر ولو أخرجتها لحلت محلها . فالذي نوده نحن أن تبقى البلاد مستقلة ولكن مع سعي حكومتها وزعمائها في عمرانها والا كنا طالبين للخراب والجهل الدائمين وهو طلب لاقيمة له عند الله ولا عند الناس فالارض يرثها من هو أصلح لعمارتها شئنا أم أبينا . سخطنا أم رضينا . وأما قولي ان المانيا شر من فرنسا فهو مبني على ماكان كتب الي من مستعمراتها في شرقي افريقية كما بينت ذلك في الجزء الخامس (ص ٢٠٠) فكيف غفل عنه

أما رأينا في سياسة فرنسا مع المسلمين في مستعمراتها فقد بيناه غير مرة وقلنا أنه يستحيل أن يطمئن المسلمون لحكمها مالم تمنحهم الحرية التامة في الدين والعلم وتساعدهم على التعلم والعمران بالفعل لا بالقول ولا بايهام الجرائد وان سميت اسلامية وقد سمعنا وقرأنا مادلنا على انها قد اهتدت الى هذا الرأي فان كان ذلك حقاً فسنرى حسن عاقبته وان كان تمويهاً كما يقول المنتقد فلا يلبث ان ينكشف ولكن من غلو في الانتقاد قلما يؤخذ كلامه بالقبول فليفهم هذا

(استدراك)

نقلنا في الجزء الماضي ماترجمته جريدة اللواء عن جريدة القلوب الانكليزية في حادثة ترك الشيخ محمد عبده الازهر وقد سقط مما حكته الجريدة من كلام الشيخ رحمه هذه الجملة : «ثم قال — أي الشيخ — فهل يسر الانكليز تخريجي لهم رجالا مستعدين يفهمون حقوقهم ويعرفون كيف يدافعون عنها بقوة مستمدة من العلم والمعرفة ؟ » أه

فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار
١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: أن للاسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق)

(مصر — ١٦ ربيع الثاني سنة ١٣٢٣ — ١٩ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٥)

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لإجابة أسئلة المشتركين خاصة، إذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين له اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز إلى اسمه بالحروف إن شاء، وإننا نذكر الأسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس إلى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا، ولمن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فإن لم نذكره كان عندنا سبب صحيح لإغفاله

﴿ الاتصال بين الآيات والسور وجمع القرآن ﴾

(س٢٣) ا٠ت٠ بقزان (روسيا) : أعرض عليكم أيها الأستاذ ما اعترض به عليّ أحد الروسيين بعد ما ترجمت له تفسير القرآن من مجلتكم المنار الأغر على قول الأستاذ بالاتصال بين الآيات والسور قال: إن المتفق عليه عند علماء المسلمين أن القرآن نزل إلى الرسول عليه السلام مفرقاً في ثلاث وعشرين سنة وأول سورة أنزلت «اقرأ باسم» على قول الأكثرين ، وهذا المصحف الذي أوله سورة الفاتحة ليس على ترتيب النزول بل جمع ورتب بهذا الترتيب في عهد أبي بكر رضي الله عنه فكيف تكون الآيات والسور متصلة مع ما يليها — على أن بعض الآيات من السورة الواحدة أنزلت بمكة وما يليها بالمدينة وبين نزولهما عدة سنين ؟ وأيضاً كيف جمعوا السور والآيات على هذا الترتيب هل كان بتعيين من النبي عليه السلام أم لا؟ وهل في هذا خبر متواتر أو مشهور ؟

وأنا الحقير أجبت الروسي بقدر وسعي والآن أرفع المسألة إلى حضرتكم راجياً منكم الجواب ولكم من الله الأجر والثواب

(ج) لا خلاف بين المسلمين في أن بعض السور نزل جملة واحدة وبعضها نزل متفرقاً على حسب الوقائع والأحوال وأن النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي كان يجمع كل سورة عند كتابها ويمليها على كتبة الوحي ويقرئها القارئين ولكن جمع السور كلها في مصحف واحد هو الذي كان على عهد أبي بكر رضي الله تعالى عنه وكتبت النسخ ووزعت على الأمصار في خلافة عثمان فعلم هذا كان عملا إجماعياً ونقلا متواتراً ولم يختلفوا في ترتيب السور فضلا عن ترتيب الآيات وإنما تردد عمر أولا في جمع القرآن في مصحف واحد لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يفعل ذلك ثم وافق منشرح

الصدور وكانه تذكر أن زمنه عليه السلام كان كله ظرفاً للوحي وانما يكون الجمع بعد التمام وقد روى ابن ابي حاتم عن سعيد بن جبير قال آخر ما نزل من القرآن كله «واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله » الآية وعاش النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية تسع ليال ثم مات فأنت ترى أن تسع ليال في المرض لاتسع جمع القرآن في مصحف واحد وأنه لم يكن ذلك ضرورياً فانه عليه الصلاة والسلام كان يأمر عند نزول كل آية بأن تلحق بسورة كذا ويبين موضعها ويقرئهم السورة بعد تمامها وكان عالماً بأن كل ذلك محفوظ في الصدور وفي الطروس ونحوها مما يكتب عليه ولو لم يكن هذا الترتيب متفقاً عليه لانه مأخوذ عنه صلى الله عليه وسلم بالتواتر لاختلفوا فيه اختلافاً عظيما فلا حاجة الى الاطالة بذكر الروايات مع هذه الحجة

وأما الاتصال بين الآيات وبين السور وما فيه من التناسب والتناسق ونكت البلاغة فهو تابع للترتيب وقد علمت أن الترتيب كان مقصودا بتوقيف من الشارع وما كان بالقصد يراعى فيه مثل ذلك ولو رتبت الآيات كلها على حسب النزول لكان اتصال بعضها ببعض والتناسب بين المتقدم منها والمتأخر من مثارات العجب التي يسئل فيها عن السبب اما وقد رتبت بالقصد وبالتوقيف من الوحي فهي كأنها نزلت مرة واحدة بهذا الترتيب فاعتراض الروسي على ما نذكره من وجوه الاتصال والتناسب بين الآيات مبني على الجهل بأن ترتيب الآيات كان توقيفياً على أنه لو كان من عمل الصحابة لما كان ذلك فيه غريباً الا اذا ثبت ان هذا التناسب قد انتهى في البلاغة الى حد الاعجاز فكان بنفسه معجزا وليس هذا ببعيد فوجوه الاعجاز في القرآن كثيرة ومنها هذا الوجه الوجيه «هذا وان التناسب في اتصال الايات بعضها ببعض ظاهر لاتكلف فيه ولا تعسف وليس هو من قبيل الدعاوي النظرية فيورد عليه ما أورد بل هو من الامور الوجودية الحقيقية فليفرض ماشاء في جمع القرآن وترتيبه فهو شيء قد مضى وهذا شيء حاضر لايماري فيه الامكابر » واننا ان شاء الله تعالى سنجرد تفسير المنار ونطبعه على حدته ونضع له مقدمة نشرح فيها هذه المسائل وأمثالها شرحاً كافياً والله الموفق والمعين

(بلاد روسيا دار حرب أو اسلام والروسيون كتابيون أم وثنيون)

(س٢٤) ومنه: قد اختلف علماؤنا في الروسيا في دارنا هل هي دار حرب أم دار اسلام وهل الروسيون كتابيون أم وثنيون؟ نرجو من جنابكم الافادة بلسان مجلتكم المنار، عز الله بها المسلمين وأنار،

(ج) قد اختلفت عبارات الفقهاء والمحدثين في تعريف دار الحرب ودار الاسلام فلا جرم أن الذين يأخذون العلم من الالفاظ يختلفون في تطبيق تلك الاقوال على كل دار وكل مملكة فيمكن أن يقال أن بعض البلاد التي لا يوجد فيها مسلم أصلي ولا حكم فيها للاسلام انها دار اسلام بناء على قول بعضهم ان دار الاسلام هي ما يمكن المسلم اظهار دينه فيها ولا يخاف فتنة في دينه فأكثر بلاد أوربا وأمريكا كذلك ولكنها ليست دار اسلام، وان كثيرا من البلاد التي حكامها مسلمون يفتن المرء فيها عن دينه فلا يقدر على اظهار جميع ما يعتقد ولا أن يعمل بكل ما يجب عليه لاسيما الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وانتقاد الاحكام المخالفة للشرع فهي على قول بعضهم دار حرب، والذي يؤخذ من مجموع الاقوال التي يعتد بها أن العبرة هنا بظهور الكلمة ونفوذ الحكم فاذا كانت الاحكام لاهل الاسلام لا معارض لهم في تنفيذ شريعتهم واظهار دينهم وكان غيرهم آمنا في سربه بتأمينهم حرا في دينه بسلطتهم وحمايتهم فالدار التي هذا شأنها دار اسلام والا فهي دار كفر وحرب، ولعلنا نشرح هذه المسألة وما يتعلق بها من حكم الهجرة وغيره في مقالة مستقلة، وأما الروسيون فهم أهل كتاب وان شابت عقائدهم الوثنية وأعمال الشرك لانهم يؤمنون بالله وبالوحي والانبياء واليوم الآخر وتجد تفصيل هذا البحث في التفسير من الجزء السابع (الماضي)

﴿ عمل الفقهاء بأقوال مذاهبهم وان خالفت الحديث الصحيح ﴾

(س ٢٥) الشيخ محيي أحمد المصري إمام المسجد الكبير بكلكته (الهند) :

قد وقف بعض من ينتمي لطلبة العلم الشريف بالهند على قول الاستاذ الامام في صفحة ٣٣٦ الجزء (٩) من المجلد السابع من مجلتكم الغراء في خلال بيانه ترك الاهتداء بالكتاب والسنة واستبدال أقوال الناس بهما: ولكننا اذا نظرنا في أقوال الفقهاء وتتبعنا خلافاتهم وعللها فاننا نحار في ترجيح بعضها على بعض اذ نجد بعضها

يحتج عليه بحديث صحيح وهو ظاهر الحكمة معقول المعنى ولكنه غير معتمد عندهم بل يقولون فيه المدرك قوي ولكنه لا يفتى به ولماذا لأن فلاناً قال : الخ فأنكر ذلك واستكبره وقال لا ينبغي لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقول مثل ذلك ثم قد يترك الفقهاء العمل بظاهر الحديث لسبب من الأسباب لكن من بعد تبيين السبب الموجب للعدول عن ظاهره أو عنه بالكلية كمعارضته بحديث آخر مثله في الصحة أو أصح أو أقل منه في الصحة ولكنه مؤيد بأدلة أخرى أو بأن الاجماع أو عمل الصحابة على خلافه ونحو ذلك كما ان مالكا روى أحاديث القبض ورفع اليدين عند الركوع والرفع منه في موطئه وترك العمل بها لانه أدرك عمل أهل المدينة على خلافها وأما ترك الحديث الصحيح بعلة ان فلاناً قال فما وقفنا عليه في شيء من الكتب التي بأيدينا وتبعه على ذلك جميع الفلاحين بكليته فلما رأيت القوم في شك من صحة قول الاستاذ الامام وكانت غيرة الجنسية والوطنية باعثاً قوياً على الانتصار لفضيلته ولم يكن لدي ما انتصر به لجهلي وعدم وجود الكتب اللازمة بطرفنا فلم أجد لي ملجأ الا ارشادكم لا زلتم ملجأ للسائلين فحررت اليكم هذا السؤال والغرض من سعادتكم أن تبينوا لنا من القائلون في مثل هذا: المدرك قوي ولكنه لا يفتى به لان فلاناً قال: من غير بيان وجه العدول عن الحديث وفي أي كتاب ذكرت هذه المسئلة واشباهها أدركونا سيدي بالجواب والا أصبح علماء المنه في شك مما ينقل عن الاستاذ الامام

(ج) ان ما قاله في تعارض الحديثين هو المذكور في كتب الأصول التي يرون العمل بأحكامها خاصاً بالمجتهدين وقد صرحوا بأنه يجب على المقلد ان يعمل بقول علماء مذهبه وإن خالفت الأحاديث الصحيحة التي لا يشك في صحتها ولا يعرف لها معارضاً ثم حكموا بأن الاجتهاد ممنوع فيجب على جميع المسلمين ان يكونوا عالة على ما دونه الفقهاء وان رأوا فيه ما يخالف السنة الصحيحة فان كان المعترض ينكر هذا جئناه بنصوصهم التي لا يجهلها الا اذا كان لم يقرأ الفقه لاسيما فقه الحنفية . بل الأمر أعظم من ذلك فانهم قبل منع الاجتهاد والأخذ من الكتاب والسنة قد اتخذوا لهم أحكاماً عامة جعلوها أصولاً للشريعة وقالوا ان ما يخالفها من الكتاب والسنة يحمل على النسخ أو على الترجيح أو التأويل فهم قد جعلوا الكتاب والسنة فرعاً يحمل على

غيره لا أصلا يحمل غيره عليه كما ترى في أصول الكرخي المتوفى سنة ٣٤٠ ه وقد ذكرنا قوله وبينا رأينا فيه في المجلد الخامس واذكر بعض ماقاله ويراجعه هناك من يريد التفصيل قال:

(الاصل) «ان كل آية تخالف قول أصحابنا فانها تحمل على النسخ أو على الترجيح والاولى أن تحمل على التأويل من جهة التوفيق» : وذكر مسائل يمكن ان تجعل الآيات فيها أصلا ويستغنى عن قاعدته مع بقاء الحكم كما قال أصحابهم ثم قال:

(الاصـل) «أن كل خبر يجيء بخلاف قول أصحابنا فانه يحمل على النسخ أو على أنه معارض بمثله ثم صار الى دليل آخر أو ترجيح فيه بما يحتج به أصحابنا من وجوه الترجيح أو يحمل على التوفيق وإنما يفعل ذلك على حسب قيام الدليل فان قامت دلالة النسخ يحمل عليه وان قامت الدلالة على غيره صرنا اليه» : ثم ذكر أمثلة تحكم فيها بالنسخ مع عدم العلم بالتاريخ وبالمعارضة والترجيح . وكان يجب أن يجعل الكتاب والسنة هما الاصل ويعرض قول الاصحاب وأدلتهم عليهما فان وافقت وإلا تركت وعمل بالكتاب والسنة

ومن فروع هذا الاصل عند المقلدين أنهم يحتجون ببعض الحديث على مايوافق قول أصحابهم ويتركون الاحتجاج ببعضه الآخر اذا خالف قولهم وفي المجلد السادس من المنار ٦٦ شاهدا على ذلك فلتراجع في الاجزاء ١٤و١٥و١٦ منه ومن راجع كتب الحديث يجد كثيرا من ذلك . وقد استقر رأي أهل التقليد المتأخرين على أن العلماء طبقات أعلاها المجتهد المطلق وهو الذي يأخذ الاحكام من الكتاب والسنة والاجماع والقياس زاد الحنفية والاستحسان وأدناها طبقة الناقلين من أهل التصحيح والترجيح في الاحكام المروية في المذهب وهؤلاء يجب عليهم الاخذ بأقوال من فوقهم من غير تقيد بمعرفة دليلهم ويحرم عليهم ترك رواية المذهب لما يفهمونه من الكتاب العزيز أو السنة الصحيحة وقد صرح بذلك ابن عابدين وغيره من المؤلفين فان كان المعترض ينكر ذلك ذكرنا له العبارات بنصها وان كان يعترف به فليخبرنا هل دلت عبارة التفسير على ماهو أكبر منه؟

ثم بعد هذا كله ان كان يلتمس لهؤلاء القوم عذرا في هذا فلماذا لا يلتمس العذر

لمن يجعل الكتاب والسنة هما الاصل وهو الموافق لما كان عليه السلف الصالح والائمة المجتهدون رضوان الله عليهم أجمعين فقد نقل عن الاربعة وعن غيرهم التصريح بتحريم تقليدهم وتقليد غيرهم

(ايراد على ترك التقليد)

(س ٣٦) (ومنه): قال ذلك البعض عند قول الاستاذ في الصفحة المذكورة في السؤال الاول : بل نحن نقول انه يجب على ذي الدين أن ينظر دائماً الى كتابه حتى لايختلط ولا يشتبه عليه شيء من أحكامه ولايجوز لاحد الخ يظهر من هذا الصنيع أن مراده ترك التقليد بالكلية والرجوع الى الكتاب والسنة وعدم التعويل على قول أحد من الفقهاء والائمة المجتهدين ونحن نقول الداعي الى ذلك لايخلو عن مقصد حسن يعود نفعه على الامة أولا فان كان الاول بأن كان مراده ترك المشاغبات بين المسلمين المؤدية الى تأخرهم في أمر دينهم ودنياهم فنقول له هل أنت بعد هذا تطلق الحرية للافكار والآراء في الاخذ من الكتاب والسنة أم تحمل جميع الآراء على اتباع رأي تراه مطابقاً للكتاب والسنة فان قلت بالاول وهو الظاهر من صنيعك فانا نخشى أن تتعدد المذاهب بتعدد الاراء فان اتفاق جميع الاراء على قول واحد غير معقول وان قلت بالثاني فقد دعوت الى ما انتدبت لابطاله وان كان الثاني فقد دعا الى ذلك محمد ابن عبد الوهاب النجدي من نحو مائة وخمسين سنة ولم يفسد ذلك شيئاً في عقائدنا مع انا نعلم قطعاً أن اتباع الائمة الاربعة كانوا على هدى من ربهم متبعين لكتاب الله وسنة رسوله الاماشذ عنهما فطريقه اما القياس واما الاجماع قبل ظهور هذه الدعوة وقبلها دعوة الوهابي والحاصل ياسيدي انه لايخفى على فضيلتكم بما ذكرنا ان الناس بطرفنا قد اتهموا الاستاذ ومن نقل عنه بأنهم داعون الى اتباع مذهب النجدي وترك المذاهب الاربعة فالمرجو من سيادتكم أن تبينوا لنا مراد الاستاذ بان تجيبوا عن الاعتراضات المتقدمة في قول ذلك البعض لينكشف لنا الغطاء عن خرافات هؤلاء الاعاجم جزاكم الله عن الاسلام والمسلمين خيراً

(ج) اما زعم المعترض انه يلزم من تلك العبارة الرجوع الى الكتاب والسنة فهو صحيح وأما قوله « وعدم التعويل على قول أحد من الفقهاء والائمة » فهو

غير صحيح على إطلاقه وإنما المراد عدم تقديم قول فقيه على قول الله ورسوله ويمكن الجمع بين الاهتداء بالكتاب والسنة والانتفاع في ذلك بكلام الائمة بأن ننظر في أقوالهم ونعرضها على الكتاب والسنة كما أمروا ونستعين بها على فهمهما فما وافق أخذنا به وما خالف ضربنا به عرض الحائط كما قال الامام الشافعي رضي الله عنه ولا نجعل كلامهم أصلا نعرض عليه الكتاب والسنة فان وافقاه والا أولناهما أو تركناهما تعللا باحتمال النسخ والأصل عدمه باتفاقهم .

وأما سؤال المعترض هل نطلق الحرية للآراء والأفكار في الأخذ من الكتاب والسنة ام نحملهم على رأي واحد وإيراده على كل واحد من طرفي الترديد ما اورده فانما نحوه عنه بما ليس في حسبانه فنقول : لا شك ان الكلام في المسائل الخلافية وقد كان السلف من الصحابة والتابعين والائمة المجتهدين يطلقون الحرية في المسائل الاجتهادية لكل أحد في المسائل العملية المتعلقة بالشخص لا بالحكومة وكانوا لا يرون ذلك موجباً للخلاف والتفريق ولا للتنازع والتقاطع كما حدث بعد التزام المذاهب والتعصب لها بل كان كل يعذر الآخر فيما خالفه فيه .

وأما المسائل المتعلقة بالسياسة والقضاء لا بالأعمال الشخصية كالعبادة فكانوا يدعونها الى الحكام الفقهاء القادرين على استنباط الاحكام وكان هؤلاء يتشاورون في الامر ويردون ما تنازعوا فيه الى الله ورسوله بعرضه على الكتاب والسنة ثم تطبيقه على مصلحة الامة حتى صار ائمة الجور ثم سلاطين الجهل والبغي هم الحاكمين . والواجب الآن ان نجمع كلمة المسلمين على المسائل الاجتماعية ونحيي روح الدين فيهم بهدي الكتاب والسنة ونطلق الحرية لكل مسلم أن يهتدي بالكتاب والسنة بحسب فهمه ان كان من أهل الفهم الذين أعدوا له عدته وأولها معرفة العربية وأساليبها وما قاله علماء السلف وائمة الخلف ممحصاً تمحيصاً وكل ذلك مدون في كتب التفسير والحديث

وإن لم يكن من أهل الفهم وعرض له أمر كان عليه ان يسأل من يثق بدينه وعلمه عن قول الله ورسوله في ذلك فيرويه له ويبين له معناه كما يسأل الجاهلون الآن عن فهم علماء عصرهم في كتب مذاهبهم . وأما الاحكام المتعلقة بالسياسة والقضاء وسائر الامور العامة فالواجب على الامة ان تعرف الحق الواجب اتباعه فيها لتلزم به

الحكام عند القدرة على ذلك وإنما القدوة بالعلم والاعتقاد • وليس الحق الذي تنهض به الامة ان تفوض به أمرها لرجل واحد عالماً كان أو جاهلا يدعي انه ينتمي الى مذهب عالم معين يحكم به ان شاء فيسمى عادلا أو يتركه فيعد ظالماً بل الحق ان يكون امام المسلمين عالماً بالكتاب والسنة مقيداً باستشارة أولي الامر وهم أهل الحل والعقد الذين كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يستشيرهم ويعمل برأيهم ولو فيما خالف رأيه كما فعل في غزوة احد وكما كان الخلفاء الراشدون يستشيرون • ولا محل للتوسع في هذا المقام وقد فصلنا هذه المسائل من قبل تفصيلا ولعل المعترض لو اطلع على ما كتبناه من قبل في هذه المسائل لما ضاق صدره بتلك الجملة الوجيزة وطفق يستنبط منها ويعترض على ما يستنبط وسنطلعك على مقالات (محاورات المصلح والمقلد) فقد طبعت على حدتها وهي من التفصيل الذي نشرناه في المنار وصادف استحسان العلماء والفضلاء

واما قوله انه يعلم قطعاً ان أتباع الائمة الاربعة كانوا كذا وكذا فنقول فيه ان المنقول عن الائمة وأصحابهم تحريم التقليد ومنعه ووجوب الاخذ بالكتاب والسنة وستجد طائفة من هذه النقول عنهم في كتاب محاورات المصلح والمقلد ولكن لم يتبعهم في هذا كل من انتمى اليهم لاسيما في هذه الازمنة المتأخرة فان كلام الائمة الاولين صار مجهولا حتى للمنقطعين الى العلم والاستاذ الامام يسعى في احياء كتبهم وهو رئيس جمعية ألفت لهذا الغرض واما العوام فأكثرهم لا يعرف الآن من الدين الا بعض مسائل الخلاف بين المذهب الذي يدعيه والمذهب المنتشر في بلده كانتشار مذهبه المدعى ثم ان أكثرهم لا يعملون الا بقليل مما يعلمون من مسائل الوفاق والخلاف والمعترض وامثاله لا يخافون من هذا الضياع للدين ولكنهم يخافون من الدعوة الى الكتاب والسنة والاهتداء بهما بحجة الخوف على المذاهب التي لم يبق منها الا الجدل فيما بقي من دروس المقلدين الدارسة

واما اتهام الاستاذ الامام وغيره بالدعوة الى مذهب الوهابي فهو من ضيق العطن وقلة العلم فقد اتخذ المتعصبون اسم الوهابي سبة وصاروا يرمون به الناس والاستاذ الامام لا يدعو الا الى الكتاب والسنة فمن اتبعهما فهو المهتدي عنده وعندنا وان سمي وهابياً ومن اعرض عنهما

فهو الضال وان سمي نفسه سنياً او أشعرياً او حنفياً او شافعياً و أما مخالف من النبذ بالالقاب من لا يعرف الله ولا يرجو بسمه واغا يرجو مرضاة العوام الذين يشتمون كل مخالف لتقاليدهم التي ليس لهم بها من علم ان هم الا يخرصون

وجملة القول ان من يرغب عن الكتاب والسنة فقد سفه نفسه وكان بريئاً من الائمة واو ادعى اتباعهم فانهم حرموا التقليد الاعمى كما ستعرفه تفصيلا من الرسالة التي نرسلها اليك ونرجو ان تكتب الينا ثانية بما يشتبه على المعترض او عليك

《 خرافة في سبب تحريم الخمر 》

(س ٢٧) سعيد أفندي قاسم حمود في كنتون أوهايو (أمريكا): دار بيني وبين جماعة من النصارى حديث أفضى الى تحريم الخمر فقال أحدهم لماذا حرمت الخمر عليكم طائفة المحمدية؟ فأجبته على حسب معرفتي وما كنت أسمعه شفاهاً على ألسنة العلماء في سورية قبل هجرتي الى الولايات المتحدة: حرم لاجل ذبح الراهب بحيرا: قال ومن ذبحه؟ قلت أحد الصحابة الكرام قال وهل تعرف اسمه؟ قلت كلا قال ألم يعرف النبي من ذبحه؟ قلت نعم (لعله يريد لا) فقال الملحد في الدين لماذا لم يقتله وكيف يسكر النبي ويؤخذ سيفه من جنبه ولا ينبأ بذلك؟ فضاق ذرعي ولما كان الاسلام في مشارق الارض ومغاربها ضوى ومنار كمنار الطريق أتيتكم في عريضتي هذه كي تفيدونا ماسبب تحريم الخمر ومن قتل الراهب بحيرا ولكم الاجر والثواب من العزيز الوهاب

(ج) بعد ان أرسلتم هذا السؤال وصل اليكم الجزء الخامس من المنار الذي فيه تفسير «يسألونك عن الخمر والميسر» فعلمتم سبب تحريم الخمر وانه كان بالتدريج فلم يكن تأخير الجواب عن هذه الخرافة النصرانية ضائرا بعد ما علمتم الحق ومن لوازمه زهوق الباطل. أما حكاية قتل الراهب بحيرا فهي من أكاذيب الرهبان وقد سمعتها لاول مرة من أحد رهبان دير قزحيا في لبنان طرقنا في ليلة شاتية وكنا في سامرنا (حجرة السهر) بالقلمون فأكرمنا مثواه واجتمع عليه الصبية وكنت منهم فقص علينا قصة الراهب بحيرا ووصف من حب النبي صلى الله عليه وسلم له واصطحابه اياه وتحريمه الخمر لاجله والقصة في ذلك ان بعض الصحابة ائتمروا بالراهب وخافوا غضب النبي على قاتله اذا هو عرفه فكادوا له حتى سكروا مع النبي (حاشاه من ذلك فانه لم يشرب الخمر قط)

ذات ليلة فأخذ أحد المؤتمرين سيف النبي (صلى الله عليه وسلم) وهو نائم مستغرق وقتل به الراهب وأعاده الى غمده فلما استيقظوا غضب النبي غضباً شديداً أن رأى حبيبه الراهب مقتولا وسأل من قتله؟ قالوا من كان سيفه ملطخاً بالدم فهو قاتله فاستلوا سيوفهم فاعتقد النبي (ص) انه هو القاتل في حال السكر (حاشا لله) فحرم الخمر لاجل ذلك

وكان غرض الراهب من ذلك أن يبين لنا أن نبينا عليه الصلاة والسلام كان يحب الرهبان ويعطفهم وقد كان منا من أجاب الراهب بان القصة كاذبة لا أصل لها وما كنا نظن أنها شائعة وان من عامة المسلمين من يصدقها، ولهم أكاذيب أخرى في هذا الراهب المغمول لا يعرف لها أصل غير اختراع خيالاتهم حتى زعم بعضهم أنه هو الذي علم النبي صلى الله عليه وسلم الدين والشريعة، والحق ان النبي صلى الله عليه وسلم لم ير الراهب بحيرا غير مرة واحدة في الشام وكان عليه السلام ابن تسع سنين وبيان ذلك مفصل في المجلد السادس من المنار (راجع ص ٣٩٤ منه) وحكى بعض المؤرخين من النصارى أن بحيرا قتله اليهود والصحيح انه لا يعرف له تاريخ ولم يكن له شأن وانما اهتم النصارى بالكلام عنه بعد أن رأوا في كتب المسلمين انه بشر بنبوة محمد عليه السلام عند ما رآه مع عمه بالشام فحولوا الامر الى ما علمت

(ترجمة النبي (ص) في أوراق البردي)

(س ٢٨) محمد أفندي كامل الكاتب بمحكمة (أسيوط) الاهلية: اطلعت بجريدة مصر في العدد ٣٨٠٤ الصادر يوم الاربعاء ٧ يونيه سنة ١٩٠٥ ضمن الحوادث المحلية على الفقرة الآتي نصها بالحرف الواحد

«تفيد أنباء المانيا الاخيرة أن رئيس غرفة التجارة في مدينة هدلبرج أعطى مكتبة المدرسة الجامعة هناك مجموعة من اوراق البردي مكتوبة باللغة العربية وتحتوي هذه المجموعة على ألف ورقة خطيرة جدا يرجع بعضها الى السنين الاولى من الهجرة وكثير من هذه الاوراق يسفر عن أمور جديرة في تاريخ سيادة الاسلام على مصر ولكن الاهم من كل ذلك هو العثور على ترجمة حياة النبي (صلعم) ويقال انها ترجمة غريبة جدا وان فيها سراً جديداً يجلو شيئاً من أسرار التاريخ الغامضة» اه

ولما كان ذلك يهم العالم الاسلامي معرفته والمطلع على هذه الفقرة يستنتج أمرين

(أولهما) ان وجود مثل هذه الكتابة باللغة العربية على ورق البردي الذي لم يكن معروفاً الا في زمن الفراعنة ان صح كان مما يدعو الى الظن بأن ذلك من عمل المدلسين

(ثانياً) ان جريدة مصر قالت انه وجد بين هذه الاوراق ورقة فيها ترجمة حياة النبي صلعم ويقال انها ترجمة غريبة جداً وأن فيها سراً جديداً يجلو شيئاً من أسرار التاريخ الغامضة ٠ على ان مثل هذه الترجمة ان لم تكن موافقة لما أتى به القرآن والمتواتر بالدليل القطعي عن صاحب الترجمة صلعم فلا بد وان يكون عدم ذكر هذا السر سراً آخر تقصد به جريدة مصر الايهام بان هناك شيء يناقض ما عليه المسلمون من العقائد

فهل للاستاذ علم بتلك الاوراق يرفع النقاب عن ذلك السر الذي أشغل الالباب هذا ما نرجو الجواب عنه على صفحات المنار زادكم الله بسطة في العلم والرزق ٠

(ج) قد كتب الينا غير واحد فيما اشرته جريدة مصر وكان منشأ الاهتمام بذلك توهم أن كل ما كتب وتقدم عهده يصير مسلماً به مقطوعاً بصحته والصواب ان ما كتبه الناس في الزمان الماضي هو كالذي يكتبونه الآن والذي سوف يكتبونه في الزمن الآتي ٠ منه الحق والباطل والخطأ والصواب والصدق والكذب ومنه ما يكتب عن علم وما يكتب عن ظن وعن جهل ٠ والقاعدة المقررة ان المكتوب كالمسموع لا يوثق به الا اذا روي بسند متواتر أو سند متصل يحتج برواته ويوثق بهم للعلم بعدالتهم فما عساه يوجد في أوراق البردي المسؤل عنها من سيرة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يعرض على المعلوم من الدين بالضرورة او الرواية الموثوق بها فان وافقه كان له حكمه والاضربنا به عرض الحائط ولا نراه شبهة على المعروف عندنا بل ما عندنا يكون حجة قاطعة على ان ما في تلك الاوراق كذب لا قيمة له في التاريخ ٠ أما اوراق البردي فقد استعملت في الاسلام وفي دار الكتب المصرية اوراق منه اقدم ما عرف تاريخه منها قد كتب في الربع الاخير من القرن الاول للهجرة واحدثه كتب في اوائل القرن الرابع

آثار علمية ادبية

التقريظ

(معونة الرحمن في مذهب ابي حنيفة النعمان)

أرجوزة في مذهب الحنفية من نظم الشيخ اسماعيل أحمد الاسلامبولي أصلا المصري وطناً وقد كتب الينا صاحبها «بحثت في الكتبخانة مدة على منظومة في المذهب

الخفي كالالفية في النحو فوجدت منظومات كثيرة منها ماهو أربعة آلاف بيت ومنها ماهو سبعة آلاف بيت وما بين ذلك فاستغنت الله وطمت المذهب في ألفي بيت وسميتها كذا وقد طبعتها بعد أن قرظها الشيخ محمد راضي والشيخ محمد بخيت والشيخ محمد عشري وتباع النسخة بقرشين في مصر بمكتبة الشيخ أحمد المليجي قريباً من الازهر وبمكتبة درويش سليمان بالسيدة زينب الخ وهاك نموذجاً من الارجوزة من أول كتاب الصلاة

فرض على مكلف وتطلب ... من ابن سبع وابن عشر يضرب
تاركها تكاسلا يستتر ... بجحده وجحدها مكفر
والصلوات فرضت في خمس ... فصل ركعتين قبل الشمس
وأربع العشا وظهر عصر ... ثم ثلاثاً مغرباً كالوتر
فالظهر من زوالها حتى ترى ... ظلك مثليك بمثل قدرا
والفيء لا يحسب عند القيس ... ظل يرى عند وقوف الشمس
والعصر منه للغروب في الافق ... ومغرب منه إلى غيب الشفق
ثم العشا فالوتر لانفلاق ... والصبح بين الفجر والاشراق
ولم تجز صلاة فرض أو وجوب ... عند شروق واستواء وغروب

وقد وصف الشيخ محمد راضي نظمها بالسهولة في العبارة والرقة في الاشارة: ووصفه الشيخ بخيت برقة العبارة ودقة الاشارة .

العقل والدين

« قصة أدبية تاريخية موضوعها حياة موسى المشترع الاسرائيلي العظيم ومحرر العبرانيين من عبودية المصريين وتأسيس المملكة الاسرائيلية والشريعة الموسوية ومصادرها » مؤلفها رفول أفندي سعادة صاحب مقالات سوريا والاسلام القيام بنفس القراء ردنا عليها في السنة الماضية . حاول المؤلف في هذه القصة إقناع القارئين بأن موسى عليه السلام قد اخترع الشريعة التي جاء بها اختراعاً اعتمد فيه على ما اقتبسه من الشريعة والديانة المصرية التي تلقاها من أعظم الكهنة المصريين وأعلمهم . وانا نقول اذا جاز للانسان أن يخترع قصة يزوقها اقوالا وأعمالا الى أناس مجهولين لاجل العبرة

والموعظة أو الفكاهة والتسلية فلا يجوز أن يعزو مثل هذا الى الانبياء وأهل الشرائع والاديان لاجل زلزلة الاعتقاد بهم أو إزالته ٠ وقد كنا تنسمنا مما كتبه واضع القصة في الاسلام انه لا يؤمن بدين من الاديان فحققت لنا هذه القصة ما كنا قصد استنبطناه من كلامه المخترع في الاسلام ٠ ولست أعرف ما قصد اليه المؤلف بكلامه في ابطال الاديان ومحاولة إقناع الناس بأنها وهمية مختلقة ٠ أيظن أن ترك الدين يرقي البشر في آدابهم وأخلاقهم التي هي منبع سعادتهم وهناء معيشتهم ام يبتغي بما يكتب الشهرة والانتظام في سلك ملاحدة الفلاسفة؟

أ كثر البشر يؤمنون بالدين ومنهم العلماء والفلاسفة وقد ارتاب كثيرون في دينهم لانهم وجدوا فيه ما لا يمكن التصديق به سواء كان منه أو مما ألصق به الرؤساء المتبعون حتى تعذر الفصل بين الاصل والدخيل ولكن أغلب هؤلاء المرتابين لم ينكروا فائدة الدين الذي أنكروه ولم يستحلوا تشكيك العامة فيه ٠ وقد قال أحد الفلاسفة الاوربيين المتأخرين قبل موته ان هذا الشيء الذي يسمونه ديناً نافع للبشر وليس عندي من الدلائل العلمية ما يثبته ولا ما ينفيه والاولى للناس أن يثبتوا عليه

اذا أمكن أن يتربى أفراد من الامة على الفضائل بالعمل وحسن القدوة من غير تلقين الدين بحيث ينشؤون على حب الخير واجتناب الشر فلا يمكن أن تتربى الامة كلها أو أ كثرها على ذلك وأما الدين فيصح أن يكون وازعاً عن الشر وباعثاً على الخير لجميع الناس اذا عرفوه بروحه وجوهره وأزاحوا عنه غواشي التقاليد التي غشيته وعلموا انه سار على سنة الارتقاء كسائر الشؤون البشرية فاتبعوا فيه الهداية الاخيرة التي جاء بها خاتم النبيين والا كان نافعاً للعامة دون الخاصة فهو على كل حال نافع للناس فالجهاد لابطاله بالمرة جناية عظيمة لا تأتي الا عن هوى ضار

يقول رفول أفندي سعادة وأمثاله ممن مرقوا من الدين ثم انبروا لمناصلته ان للدين مضرات مشهورة في افساد عقول الناس بالخرافات وحملهم على عداوة العقل والعلم النافع : ونقول عليكم بمحاربة الخرافات والاوهام ومناهضة أهلها من الاحبار والقسيسين وتربية الاولاد على الاستقلال ودعوا الانبياء وأصول تعاليمهم النافعة ان كنتم تحبون أن تفيدوا الناس والا فأنتم للشهرة الضارة تطلبون

(كلم القرآن)

وضع العلماء كتباً كثيرة في تفسير ألفاظ القرآن الغريبة منها المطول والمختصر ومنها المنظوم وغير المنظوم وقد انبرى في هذه الايام محمود أفندي شكري كاتب السر في مديرية المنيا لوضع كتاب في ذلك امتاز على غيره بوضع كلم القرآن على حدتها مفصولا بينها وبين تفسيرها بخط عمودي ورتبه على ترتيب السور واعتمد في تفسير الالفاظ على كتب اللغة غالباً وقد طبع الكتاب في مطبعة المنار طبعاً جيلا فبلغت صفحاته ١٩٢ وهو يطلب من مؤلفه في المنيا

(الفصول البديعة في أصول الشريعة)

كتاب جديد وضعه محمود أفندي عمر الباجوري لخص فيه كتاب جمع الجوامع المشهور وضم الى ذلك فوائد أخرى فالفصل الاول في العقيدة وهي حقل وجيزة على الطريقة النظرية التي جرى عليها المتكلمون والفصل الثاني في مقدمات أصول الفقه وسائر الفصول الى التاسع في مباحث الاصول والفصل العاشر في اصول ومسائل ادبية وفلسفية . وصفحات الكتاب تناهز المئة وثمنه اربعة قروش ولعله يكون مرغباً للمتخرجين بالمدارس المصرية في النظر في علوم الاصول الاسلامية لاجل الوقوف على تفصيل ما اجمله هذا المتن الوجيز .

(الدروس الابتدائية في المبادىء الجغرافية)

كتاب يدل اسمه على مسماه اودعه مؤلفه سيد افندي محمد ناظر المدرسة التحضيرية ما يتعلمه تلاميذ المدارس الابتدائية في السنة الاولى حسب قانون المعارف . وقد راج هذا الكتاب في المدارس الاهليه لسهولته وحسن وضعه فأعاد المؤلف طبعه في هذا العام وزينه بالرسوم التي تشوق التلميذ وتعين الاستاذ على التعليم

(هداية الطلاب إلى حل مسائل الحساب)

عني بوضع هذا الكتاب عبد العزيز افندي وعلي افندي صبحي المستخدم في دار الكتب المصرية (الكتبخانه الخديويه) وقد طبع الجزء التحضيري منه وهو يشتمل على مسائل محلولة وغيرها وقوانين عمومية لتلامذة السنة الاولى والثانية من المدارس الابتدائية حسب آخر بروجرام قررته نظارة المعارف العمومية وسيتلوه الجزء الثاني لتلاميذ السنتين الثالثة والرابعة ولا شك ان هذا الكتاب يعين التلاميذ على اتقان الحساب بالسهولة فنحثهم على مطالعته وهو يطلب من مؤلفيه وثمن النسخة منه ١٥ مليما

باب الأخبار والآراء

انطفاء فتنة نجد واستقرار الامر في آل سعود

قد علم القراء مما قصصنا عليهم من قبل أن ابن رشيد الذي كان متغلباً على بلاد نجد جار وظلم معتمداً على ان الدولة تؤيده وتنصره بما كان يوهمها من أن آل سعود الوهابية يريدون محو سلطتها من بلاد العرب وهو الذي يؤيد نفوذها وكان هو وانصاره يستعينون على ذلك ببعض رجال الحكومة في البصرة والشام والحجاز وبعض الجرائد المصرية التي توصف بالاسلامية ، فقد حاول هؤلاء الانصار إقناع الاستانة أو يلهز بأن آل سعود متفقون مع الاجانب على تمليكهم بلاد نجد وما كانوا ينطقون ولا يكتبون الا بأجرة عظيمة يأخذونها من بعض كبار التجار الاغنياء المشايعين لابن رشيد فكانوا يوقعون الفتنة بين المسلمين ويغشون دولتهم وسلطانهم حباً في منفعة أنفسهم . ولما تمكن اهل الغيرة والنجدة من امراء العرب وغيرهم من إقناع الدولة العلية بخضوع آل سعود لها وبعدهم عن الفتن والاستظهار بالاجانب لشدة تمسكهم بدينهم عمدت الدولة الى التحقيق فأرسلت المشير أحمد فيضي باشا الى نجد ليدعو أهل البلاد النجدية ورؤساء القبائل الى الطاعة ويتبين هل هناك جنود اجنبية كما زعم الواشون فأجيبت دعوته وعلم ان آل سعود هم المخلصون الصادقون وان ابن الرشيد وانصاره هم الغاشون المخادعون

فحصر سلطة ابن رشيد في بلده وعشيرته وجعل عبد الرحمن الفيصل أمير سائر بلاد نجد وقبائلها فاستراحت الدولة بذلك من الدسائس والمفاسد التي كانت تسري الى بلاد نجد من مصر وغيرها فالشيخ عبد الرحمن الفيصل وولده عبد العزيز آل سعود لا يعرفان غير بلادهم وسلطانهم ولا علاقة لهم بمصر ولا بغيرها ولا يبالون بعبث العابثين ولا بدسائس المفسدين . وانما ننشر هنا ماجاءنا من بلاد العرب من صور الرسائل التي أرسلها المشير أحمد فيضي باشا الى أهل نجد المهمين والى الاستانة وولاية البصرة لان هذه رسائل رسمية قاطعة لالسنة المفسدين من أصحاب الجرائد الكاذبة في مصر وغيرهم

كتاب المشير أحمد فيضي باشا الى عنيزة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

نحمد الله الواحد مستوجب الشكر والحمد ، مالك الامر من قبل ومن بعد ، والصلاة والسلام على نبينا الذي أرسله بالهدى ودين الحق ، وعلى آله وأصحابه أولياء الخلق ، وبعد فان خليفة الله في الآفاق ، الثابت البيعة في الاعناق ، مصباح مشكاة الخلافة ، مفتاح باب الرحمة والرأفة ، ولي الامر المنصوص على طاعته بلسان الذكر الحكيم ، سلطان البرين والبحرين عنوان الشرف والاقدام ، أمير المؤمنين ، حامي حوزة الدين ، إمام الاسلام والمسلمين ، مظهر العدل والإحسان ، مصدر الالطاف والامتنان ، حضرة السلطان بن السلطان ، والخاقان بن الخاقان ، مولانا الغازي عبد الحميد خان ، قوى الله شوكته ، وفسح كما هو الشرعية مملكته ، أمرنا بالسير اليكم مع جنوده الشاهانية المنصورة لاصلاح أحوالكم وبلادكم فامتثلنا أمره ، وعملنا ارادته العالية (كذا) فارتحلنا وجئنا كم كما أمر دامت ذاته المقدسة سعياً نسير فيكم بسيرته الحسنة صوناً لكم ورعياً ونبث الانصاف حسبما يريد فيكم ، ونغضي عما سلف من وقائعكم ومغازيكم ، ونعفو كما من شأنه العفو عن الكثير ونرفع اعلام الاصلاح بين شعوبكم وقبائلكم ، ونوصل وسائلكم لباب التجاح على حسب منازلكم ، ولا تحسبوا عندنا لاراقة دم ، ومؤاخذة بما مضى وتقدم ، فارقدوا أمنا ، وأطيعوا أولي الامر منا ، وتدبروا « إن أحسنتم أحسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها وسابقوا لمرضاته ، وتقربوا من الطاعة ، أيها المسلمون « السابقون السابقون اولئك المقربون » انا لا نقضي فيكم بسوى الكتاب والسنة ، ولا نولي اعمالكم من تشب به نار الفتنة ، بل نولي عليكم من تحمدون ولايته ، وتقبلون بأحكام روايته ، فادخلوا تحت رواق سفح الملك فمقوه ممدود السرادق ، وولوا ركنه الشديد واستظلوا بطود حامه الشاهق ، واستقبلوا إنعامه والنّي ، واعتصموا بعروته الوثقى « وذروا ظاهر الاثم وباطنه ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون » ولا تتبعوا المجرمين ليمكروا فيكم « وما يمكرون الا بأنفسهم وما يشعرون » عجلوا بالجواب الصواب ، وأرسلوا من تعتمدون عليهم لاجل المواجهة والاستقبال ، ولهم منا الرأي وأمان الله فلا يحصل عليهم سوء ولا مكروه ، فاعتمدوا وبالله الاعتماد ، والسلام على من سجح في كفه الجهاد ، والسلام

(الامضاء)

في ٣٠ المحرم سنة ١٣٢٣

وكتب المشير مثل هـذا الكتاب لبريدة وذلك بعد أن فتش المعاهد التي زعم ابن رشيد ان فيها عسكراً من الاجانب وكان مقامه حينئذ في (القوارة) على مسافة يوم ونصف من عنيزة ويوم بل بعض يوم من بريدة وكتب امضاءه مأمور اصلاحات القصيم مشير ، وقد جاءه الجواب ناطقاً بأنهم لم يكونوا عاصين للدولة فيطيعوا الآن بل هم طائعون من قبل ومن بعد ولكن الدولة ألبستهم ثوب العصيان بتزوير ابن رشيد ، وأرسل كل أمير معتمداً من قبله لمواجهة الوالي وكشف الحقائق فأكرمهم وخلع عليهم ولما رأى ما يحملون من خطوط الامراء شد رحاله ونزل بريدة فواجهه أمير البلد صالح بن حسن المهنا فكساه وعاهده وأقره على بلاده وترك عنده حسين جنديا ولواء عثمانيا ثم رحل الى عنيزة فواجهه الامير عبد العزيز العبدالله السليم فلقي منه ما لقي ابن مهنا من اللطف والاكرام وكان كتب الى عنيزة الكتاب الآتي جواباً عن كتابهم اليه

(الكتاب الثاني من المشير الى أهل عنيزة)

الى كافة أكابر وأصاغر أهل عنيزة : الحمد لله ولي الاحسان ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي بعثه الله رحمة للاكوان ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أما بعد فقد وصل الينا معتمدكم عبد الله بن محمد القاضي وصحبته المضبطة المحررة من طرفكم وعرض طاعتكم وانقيادكم لاوامر حضرة أمير المؤمنين فصرنا ممنونين لذلك ، وحمدنا الله على ما هنالك ، ثم نحن بنائه مقصودنا ، وعرفناه كما كتبنا لكم سابقاً مطلوبنا ، وهو سيصل اليكم ، ويكشف الحال لديكم ، وطلب منا معتمدكم المشار اليه لكم الامان والعفو عما سلف وعدم تولية ابن رشيد عليكم فلكم أمان الله وقد عفونا عما سلف ولا نولي ابن رشيد عليكم ولا نحكم بغير أحكام الشريعة ليصير معلومكم والسلام ،

٤ صفر سنة ١٣٢٢ (الامضاء)

وقد أطلع المشير أمراء نجد على ترجمة ما أرسله الى الاستانة والى ولاية البصرة في ذلك وهو كما جاءنا من البلاد العربية

(ترجمة الرسالة البرقية التي أرسلها المشير الى باشكاتب المابين الهمايوني)

بمقتضى تعليمات حضرة خليفة رسول من خصوص أهالي القصيم قد عفا الله عما سلف منهم وقد أطاعوا وانقادوا لاوامر الدولة العلية والجميع لازموا الدعوات

بزيادة ودوام عمر وشوكة سلطاننا المعظم فبناء على هذا فالذين كانوا بالبصرة وأعزموا الى استانبول محمد الشبيلي ومحمد وعبدالله الشمي قد استرحم أقرباؤهم الذين ساكنين في عشيرة المتظاهرين للعفو العمومي ان يشملهم هذا العفو فاعفوا عن الموصى اليهم واعيدوهم الى البصرة وبشروهم بالعفو كي يوجب الممنونية وهذا المسترحم منكم،

(الامضاء)

وقد كتب رسائل أخرى الى والي البصرة وقومندان موقعها العسكري بالعفو عن أهالي القصيم والامر باطلاق المحبوسين ومساعدة المتجرين وهذه ترجمتها

ترجمة الرسالة الاولى

الى قومندان البصرة صاحب السعادة حضرة الافندي

من جملة أهالي القصيم آل الشبيلي وسائرهم حيث استفادوا من العفو العمومي فليداوموا على أمور تجارتهم وقضاء مصالحهم ومن سكنة ولاية البصرة سليمان الشبيلي وأولاده وأعوانه فلا يتعرض لهم أحد بسوء ومن طرفكم أيضاً ابذلوا لهم التأمين ولاتخاون أحدا (اي لاتدعوا احدا) من أتباع ووكلاء ابن رشيد يتعرضهم بسوء من سبب المادة السابقة ولاجل البيان حرر هذا الامر (التوقيع)

(ترجمة الرسالة الثانية)

الشيخ محمد السليمان بحسب وصول العساكر الشاهانية الى القصيم ابرز من حسن الخدامة في طرفنا والده الذي في البصرة ووكلاؤه في دائرة الاصول أجروا في حقهم رعاية مخصوصة وأشغالهم التي تقع في الحكومة تأمرون بعنايتكم بترويجها (التوقيع)

(المنار) هذا ما كتب الينا من البلاد العربية بنصه وقد سرنا أن الدولة وفقها الله أرسلت الى نجد هذا الرجل الذي سلك مسلك الحكمة وحفظ كرامة الدولة وحقن دماء المسلمين وأنام الفتنة التي كان أيقظها ابن رشيد وهذا ما كنا أشرنا به وتمنيناه وليتها وفقت لمثل ذلك في اليمن قبل استفحال الفتنة واشتعال نيران الثورة، ولكنها لم ترسل الى اليمن الا أهل السلب والنهب المغرورين بقوة الدولة على رعيتها وان الولد الذي يربى بالقسوة والعنف لاينفعا الا عاقا ينتظر الفرصة للانتقام من مربيه فليت عمال الدولة القساة في سوريا وغيرهم يفهمون هذه القاعدة الطبيعية

لائحة المساجد وما انفذ منها

واضع هذه اللائحة ومقترح إصلاح المساجد معروف وهو الاستاذ الامام فانه بعد ان صار عضوا فى مجلس الاوقاف الاعلى وأشرف على أحوال هذه المصلحة الاسلامية العظيمة رأى ان غلات الاوقاف تزيد عاماً بعد عام وان مرتبات المستخدمين في هذه المصلحة عظيمة تضاهي نفقات مصالح الحكومة ورأى من ناحية ثانية ان المساجد التي أوقفت عليها الاوقاف العظيمة مهملة والمستخدمين فيها من الائمة والخطباء فمن دونهم لا يرضخ لهم الا بالقليل جزاء على خدمتهم فمنهم من راتبه خمسون قرشاً في الشهر ومنهم من يعطى أقل من ذلك والامام أو الخطيب الذي يرتقي راتبه إلى مئة قرش أو يزيد قليلا يعد من ذوى الطبقة العليا . ورأى هذا المصلح ايده الله بروح منه ان أكثر المستخدمين فى المساجد لا يقدرون على أداء وظائفهم على وجهها وان استبدال القادرين بالعاجزين متعذر مع قلة الرواتب اذ ينبغي أن يكون الامام والخطيب من أهل العلم والخادم متفرغاً للخدمة قادراً عليها ولا يكون هذا مع قلة المرتبات

أجال هذا المصلح الغيور قداح الفكر فى هذه المسألة فرأى ان السعي في إصلاح حال المساجد يستتبع إصلاحاً آخر وهو خدمة العلم والاعانة عليه بإيجاد مورد جديد لرزق أهل الازهر يرغب الناس في طلب العلم . ذلك ان أول ما يهم الانسان في هذه الحياة الدنيا أمر رزقه ويرى الناظر فى تقلب الزمان أن الاقوات تغلو فى هذا البلد حتى ان ثمن أكثر الاشياء قد تضاعف في زمن قليل فاذا استمرت هذه الحال في مصر كان المقام فيها عسيراً على غير الموسرين وقلت الرغبة في طلب العلم بالازهر . هذا ما بعث المصلح على البحث عن أحوال المساجد والمستخدمين فيها ووضع تلك اللائحة التي اشتهر أمرها . واني أثبت هنا نص لائحته التي وافق المجلس الاعلى على تنفيذها بعد البحث والتعديل ثم أوقفت بأمر الامير في العام الماضي وتبعها ما أخذ منها وصدر الامر في هذا العام بتنفيذه وهو

اللائحة الاولى

(المادة الاولى) ان هذا الترتيب لا يترتب عليه رفت احد من وظيفته الا بوفاته او وقوع أمر يستوجب رفته حسب الجاري كما انه لا يقتضي الاخلال بشيء من اختصاصاته الحالية

الباب الأول في ترتيب الخدمة

(المادة الثانية) توحد الامامة في جميع المساجد ماعدا الجامع الازهر والمساجد التي فيها عدة اماكن يمكن اعتبار كل منها مسجداً مستقلا ويجب في هذه الحالة ان يؤدي الصلاة أحد الائمة بعد الآخر ولا يجتمع امامان للصلاة في آن واحد الااذا اختلفت الاماكن بحيث لايشوش احدها على الآخر ومع ذلك فتعدد الامكنة لا يستلزم تعدد الائمة بل لا يكون ذلك الا لضرورة

الامام هو رئيس المسجد في جميع شؤونه ماعدا المساجد التي فيها دروس منتظمة مثل الازهر وما يلحق به مما يكون له شيخ خاص به غيره من حيث هو مدرسة

(المادة الثالثة) يقوم الامام بوظيفة الخطابة والمساجد التي تتعدد فيها الائمة وهي المذكورة في المادة الثانية يقوم بالخطبة أوفر الائمة راتباً فان تساووا في الراتب قدم اقدمهم في وظيفة الامامة

(المادة الرابعة) توحد وظيفة المؤذنين في كل مسجد الا عند تعدد المآذن فيكون لكل مأذنة مؤذن واحد لجميع الاوقات

(المادة الخامسة) يعين ملاحظ في المساجد التي يرى لزوم وجود ملاحظ فيها وهذا الملاحظ يكون رئيس الخدمة وعليه القيام بمراقبتهم في جميع اعمالهم تحت رئاسة امام المسجد

(المادة السادسة) اعمال الميقاتية تضاف الى المؤذنين

(المادة السابعة) يضاف عمل المبلغين الى المؤذنين وفي مساجد القسم الرابع التي لا منارة فيها تكون قراءة السورة على المؤذن

(المادة الثامنة) العمل الذي يؤديه الآن الرقي والمستقبل يعوض بما يعبر عنه شرعاً بالاذان الثاني ويحول على المؤذنين

(المادة التاسعة) تالي القرآن في المسجد يعطى مايرتب له على سبيل الصلة

(المادة العاشرة) ملاحظو المساجد هم عهدتها ويستثنى من ذلك بعض المساجد التي لها خزنة مخصوصون في جدول الترتيب ويدخل في وظائف الملاحظين ما كان للنقيب

(المادة الحادية عشرة) يدخل تحت لفظ الخدمة ارباب الوظائف الآتية ولا يقيدون

تسعة ـ الفراشون والوقادون والملاؤون والسقاؤون والبوابون والسعاة وخدمة الاسبلة في المساجد وما اشبه ذلك

(المادة الثانية عشرة) الوظائف الآتية لا علاقة لها بترتيب الخدمة وليس النظر فيها من عمل المجلس الآن — خدمة الاسبلة المستقلة عن المساجد والفقهاء والدلايلية والساعاتية ومتعهدو المواقي وخفراء القبور والتربة والخدمة المختصون بالاضرحة من جهة كونها أضرحة بأنواعهم وشيخ البئة وقراء الربعة وكتبة النذور

(المادة الثالثة عشرة) وظيفة المبخر «البخورجي» تكون من اعمال أحد الخدمة والمبالغ المرتبة لها تكون من ضمن مرتبه

(المادة الرابعة عشرة) وظيفة الداعي «الدعجي» لا تكون مستقلة وانما تضاف الى عمل أحد موظفي المسجد ومرتبها يحسب في مرتبه

« الباب الثاني في المرتبات »

(المادة الخامسة عشرة) أئمة الجوامع بجميع انحاء القطر يجعلون أربع درجات الاولى بثمانية جنيهات والثانية بخمسة والثالثة بأربعة والرابعة بثلاثة

اللاحنون يكونون بجنيهين

الخزنة يكونون كذلك بجنيهين

المؤذنون ينقسمون الى أربع درجات الاولى ١٥٠ قرشاً لمصر والاسكندرية والثانية ١٢٥ قرشاً لعواصم المديريات ومحافظات بور سعيد ودمياط والسويس والثالثة ١٠٠ قرش لعواصم المراكز والبلاد التي عدد سكانها عشرة آلاف نسمة فما فوق وان لم تكن عواصم مراكز والرابعة ٧٥ قرشاً لبقية القرى

سائر الخدمة يكونون كالمؤذنين ما عدا المستثنين مثل خدمة الجامع الازهر ونحوه

قراء القرآن في الجوامع يكونون اربع درجات الاولى ٥٠ قرشاً والثانية ٤٠ قرشاً والثالثة ٣٠ قرشاً والرابعة ٢٠ قرشاً على حسب درجات الجوامع

الباب الثالث في شروط التوظف

(المادة السادسة عشرة) الامام يشترط فيه أن يكون عالماً حائزاً لشهادة العالمية فان لم يوجد مرشح حائز لشهادة العالمية يكتفى بشهادة الاهلية فان لم يوجد أيضاً

مرشح حائز لشهادة الأهلية ينتخب اللائق بالامتحان على حسب القواعد المتبعة الآن

(المادة السابعة عشرة) الملاحظون يشترط فيهم أن يكونوا أقوياء البنيــة ويفضل أولا من يقرأ ويكتب ويحفظ القرآن ثم من يقرأ ويكتب فقط

(المادة الثامنة عشرة) الخازن يشترط فيه أن يعرف القراءة والكتابة ومبادئ الحساب

(المادة التاسعة عشرة) المؤذنون يشترط فيهم مثل الملاحظين ولا يمنع فقد البصر من التوظف بوظيفة المؤذنين

(المادة العشرون) يشترط في الخدمة أن يكونوا سليمي البنيــة وأوجه التفضيل تسري عليهم وهي المذكورة في الملاحظين

﴿ أحكام عمومية ﴾

(المادة الحادية والعشرون) عــدد الموظفين ومرتباتهم في كل مسجد يكون على حسب الجدول الذي قرره المجلس وأرفق بهذا

(المادة الثانية والعشرون) اذا وجد في شروط الواقفين زيادة في عدد الموظفين عما هو وارد في الجدول فيعطى للزائد ماهو مقرر له بشرط الواقف فقط كذلك إذا وجد في شروط الواقفين زيادة في مرتب اية وظيفة عما هو وارد في الجدول فتعطى الزيادة بحسب شرط الواقف

باب توزيع العلاوات

(المادة الثالثة والعشرون) يلاحظ في اعطاء العلاوات على حسب الترتيب الجديد في كل مسجد أن لايتجاوز مجموعها مع ما هو جار صرفه الآن مجموع ما يخصه على حسب هذا الترتيب

يبدأ في التوزيع لكل وظيفة على الوجه الآتي

اولا الأئمة الحائزون لدرجة العالمية اوالشهادة الاهلية أو الذين يحصلون على احدى هاتين الشهادتين بعد الآن

ثانياً من يقرأ ويكتب ويحفظ القرآن من الملاحظين والمؤذنين والخدمة ثم من يقرأ ويكتب فقط منهم

ثالثاً الخازن الذي يعرف القراءة والكتابة ومبادئ الحساب

وحيث أن مبلغ الاحد عشر الف جنيه لم يكن مقررا فقط لمساجد القاهرة بل لمساجد عموم القطر فيشترط أن لا يزيد مجموع هذه العلاوات هذه السنة في مدينة القاهرة عن سبعة آلاف جنيه فان زاد يقطع من كل وظيفة بنسبة الناقص

اذا بقي شيء من مبلغ سبعة الالاف جنيه بعد التوزيع على الوجه المشروح فيما سبق فهذا الباقي يوزع على من يتلوهم ممن هم حائزون لشروط هذا الترتيب

ومع ذلك اذا خلت في مسجد وظيفة زائدة عن المقرر في هذا الترتيب يوزع مرتبها لتكملة مرتبات موظفي ذلك المسجد الذين تنطبق عليهم قواعد هذا الترتيب من جهة العدد المرتب وشروط التوظف

(المنار) قد تركنا الجدول الملحق بهذه اللائحة لبيان المستخدمين والمرتبات لهم على حسب الترتيب الجديد لانه لم يعمل به وانما العمل بالجدول الملحق بالمذكرة الآتية المبنية على اللائحة الاولى ولكنها دونها في الفائدة والاصلاح وهي

﴿ مذكرة ﴾

(مرفوعة الى مجلس الاوقاف الاعلى)

يعلم حضرات اعضاء المجلس حالة خدمة المساجد وفقرهم وقلة المرتبات المقررة لهم مقابل خدمة هذه المحلات الطاهرة وقد ترتب على اهتمام الديوان بشدة المراقبة في نظافة المساجد وترتيب اثاثها وأدواتها ان صار أولئك الخدمة مسؤلين عن أعمال كثيرة ربما كانت سبباً للتضيق عليهم عن السعي في الكسب والارتزاق من الخارج وقد كثرت شكاويهم للجانب المهيب السني وللديوان وعلى لسان الجرائد المحلية من عدم كفاية مرتباتهم خصوصا مع غلاء الاسعار في الوقت الحاضر والتمسوا زيادتها لمساعدتهم في معايشهم وبالبحث في مرتبات هؤلاء الخدمة تبين أن عددهم في مساجد مصر وبولاق بلغ ١٦٢٧ منهم ١٣٩٠ رواتبهم تنحصر بين الخمسين والخمسة وسبعين قرشاً فأقل وهذه ماهية لا تنفع فردا واحدا في أمور معيشته فكيف بهم وهم ذوو عائلات

وحيث أن ميزانية الديوان وارد فيها مبلغ احدى عشر ألف جنيه لزيادة ماهيات خدمة المساجد وخصص منه مبلغ سبعة آلاف جنيه لتوزيعه على مساجد مصر على الطريقة المذكورة في قرار المجلس الصادر بتاريخ ٨ فبراير سنة ١٩٠٤ من ترتيب للمساجد

وحيث أن هذا الترتيب صدر لنا أمر عال بتاريخ ٣١ مايو سنة ١٩٠٤ بإيقاف تنفيذه لحينما ينظر فيه بطرف جناب ولي النعم الأفخم

وحيث أن ترك هؤلاء الخدمة بتلك المرتبات القليلة وهم يصبحون ويمسون مما لا يليق بمصلحة خيرية تجود بالكثير من أموالها في وجوه البر والخير وعلى الفقراء والمساكين وأجدر بها أن تفيض بشيء على من يقيمون شعائر الدين ويقومون بخدمة تلك المحال الطاهرة

فبناء على كل ذلك رأينا أن نضع مشروعاً لعلاوة تلك المرتبات حتى اذا وافق عليه المجلس انفذ وارتفع الضرر نوعاً عن أولئك المساكين وهاهو

﴿ الأئمة والخطباء ﴾

حيث أن الائمة والخطباء بالمساجد تختلف حالتهم بعضهم عن بعض فقد رؤي تقسيم مرتباتهم إلى ثلاث درجات

الاولى الائمة والخطباء الحائزون لدرجة العالمية وماهية كل منهم أقل من جنيهين ونصف شهرياً تكمل الى هذا القدر بشرط ان الموجود منهم ولم يكن مكلفاً باعطاء دروس لتعليم العوام يكلف به مثل غيره لانتفاع العامه بالامور الدينية

الثانية الائمة والخطباء الحائزون لشهادة الاهلية وماهية كل منهم أقل من جنيه وخمسمائة مليم شهرياً تكمل الى هذا القدر بالشرط المتقدم ذكره

الثالثة الائمة والخطباء الغير الحائزين لدرجة العالمية ولا لشهادة الاهلية وماهية كل منهم أقل من جنيه واحد شهرياً تكمل الى هذا القدر

(المدرسون) المدرسون الموجودون في بعض المساجد من كان منهم ماهيته أقل من جنيهين اثنين ونصف شهرياً تكمل الى هذا القدر

(مشايخ الخدمة) هؤلاء من كان منهم مرتبه أقل من جنيه ونصف يكمل الى هذا القدر

(المؤذنون) من كان منهم ماهيته أقل من سبعمائة وخمسين مليما شهرياً تكمل الى هذا القدر ماعدا المؤذنين في المساجد الشهيرة وهي الجامع الازهر ومسجد سيدنا الحسين والسيدة زينب والسيدة نفيسة والسيدة فاطمة النبوية والسيدة سكينة والامام الشافعي والسلطان أبو العلا فتكون ماهية الواحد منهم جنيهاً شهرياً

(قراء السورة) هؤلاء من كان منهم ماهيته أقل من مائتين وخمسين مليما شهرياً تكمل الى هذا القدر

(وظائف الخدمة) الخدمة مثل الوقاد والكناس والبواب والملا وغيرهم من كان منهم ماهيته أقل من سبعماية وخمسين مليما سهرياً تكمل الى هذا القدر

(متعهدو اقامة الشعائر) المتعهدون المكلفون بالصرف على بعض المساجد من جميع اللوازم من كان مرتبه أقل من جنيهين اثنين يكمل الى هذا القدر

وبناء على ذلك فالزيادة الممكن اضافتها على مرتبات هؤلاء الخدمة جميعهم بمساجد مصر وبولاق بحسب هذا الترتيب هي ما يأتي

قيمة الزيادة المطلوبة جملة	قيمة الزيادة المطلوبة مفردات	الجاري صرفه الآن جنيه	المقتضى ربطه بحسب المشروع جنيه	المقتضى ربطه بحسب المشروع عدد	الفئة الشهرية مليم	الفئة الشهرية جنيه		الذين لم يحسب شيء من هذه الزيادة بحسب القاعدة عدد
٨٩		١٠٩	١٩٨	١١	٥٠٠	١	مشايخ خدمة	١٠
							مدرسين	
	٢٨٩	٢٨١	٥٧٠	١٩	٥٠٠	٢	حائزين لشهادة العالميه	٥
٣١٦	٢٧	٩٣	١٢٠	٤	٥٠٠	٢	غير حائزين لشهادات	٥
							ائمة وخطباء	
	٨٩١	٤٨٩	١٣٨٠	٤٦	٥٠٠	٢	حائزين لشهادة العالمية	١
	٩٦٣	٧٢٩	١٦٩٢	٩٤	٥٠٠	١	حائزين لشهادة الاهليه	٨
٢٦٦٨	٨١٤	٩٦٢	١٧٧٦	١٤٨	٠٠٠	١	غير حائزين لشهادات	٢٠
							مؤذنين وميقاتيه	
	١٥٥	٣٢٥	٤٨٠	٤٠	٠٠٠	١	بالمساجد الشهيرة	
١١٩٤	١٠٣٩	١٦٠٧	٢٦٤٦	٢٩٤	٧٥٠	٠	باقي المساجد	١٣
١٧٨		٣٠٨	٤٨٦	١٦٢	٢٥٠	٠	قراء السورة والمرقيين	٢٥
١٧٧٥		٣٤٧٢	٥٢٤٧	٥٨٣	٧٥٠	٠	خدمة	١١٤
٤٦٣		٢٣٣	٦٩٦	٢٩	٠٠٠	٢	متعهدي اقامة الشعائر	١
جنيه ٦٦٨٣		جنيه ٨٦٠٨	جنيه ١٥٢٩١	عدد ١٤٣٠				١٩٧

فبلغ الستة آلاف وستمائة وثلاثة وثمانين جنيها هو اللازم زيادته على ماهيات خدمة المساجد بمصر على الكيفية التي توضحت ونؤمل التصريح لنا بمبلغ ٣١٧ جنيهاً نوزيعه بمعرفتنا على بعض الوظائف التي لم ينلها شيء من هذه القاعدة بحسب مانراه من الضرورة والاهمية فيكون المقتضي التصريح به من المجلس مبلغ سبعة آلاف جنيه وهو المخصص لمساجد مصر في القرار السابق

بناء عليه قد تحررت هذه المذكرة للنظر وتقرير مايترآى

(المنار) قد نشرنا هذه المذكرة كما وصلت الينا لم نصلح من لحنها شيئاً وهي مصرحة بأن الترتيب الاول أوقف بأمر الامير وقد كنا ذكرنا هذا وذكرته بعض الجرائد في وقته وبأن ماعرض في هذه المذكرة على المجلس الاعلى انما يرفع الضرر عن المستخدمين في المساجد نوعا ما فهو جزء من الاصلاح المطلوب في تلك اللائحة ويفهم منها ان الرجاء غير مقطوع من تنفيذ الترتيب الاول الذي وضعه الاستاذ الامام وماهي الاكلة من الامير وفقه الله وقد نفذ . ولو كان في مسلمي مصر عامة وعلماء الازهر خاصة أمة تهتم بمصالح المسلمين العمومية وتسعى لها سعيها لأكبروا أمر هذا الاصلاح الذي اقترحه المفتي وأجمعت كلمتهم على استعطاف الامير والشفاعة عنده والالحاح على جنابه في تنفيذ هذا الاصلاح الذي يحيي بيوت الله تعالى ويعين على إقامة شعائر الدين على وجهها كما يرغب الناس في طلب العلوم الدينية ويكون سبباً للانتفاع بها

وقد ذكرت جريدة المؤيد أن جماعة من المستخدمين في المساجد شكروا للجناب العالي إيقاف تنفيذ الترتيب الجديد لما فيه من الرحمة بهم ورعاية مصالحهم وهذا جهل منهم لانهم ظنوا أن الترتيب يقضي باستبدال العلماء بالجاهلين في الامامة والخطابة حالا فلا بد من عزلهم ووضع بعض علماء الازهر في مواضع الخطباء والأئمة الجاهلين منهم وليس الامر كذلك كما رأيت . وانا نسأل الله تعالى أن يلهم قلب الامير تنفيذ الاصل كما ألهمه الرضى بهذا الفرع الذي لايرفع الضرر كله

وجملة القول ان ماعرضه ديوان الاوقاف على مجلسه الاعلى في هذه المذكرة قد أقره المجلس بعد تنقيح قليل كاشتراط بعض الشروط في وظائف الخدمة وصدر الامر العالي بتنفيذه وسيكون مقدمة لتنفيذ الترتيب الاول ان شاء الله تعالى

﴿ محاربة الوهم للعلم ﴾
﴿ أو تأثير السعاية في الدولة العثمانية ﴾

زار القطر المصري في ربيع هذا العام الحاج محي الدين بك حاده فنزل ضيفاً عند صهره الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية ثم عند ابن أخيه خليل باشا حاده في الاسكندرية وكان الغرض من هذه الزيارة صلة الرحم والاستراحة من عناء العمل ولما علم بقرب عودته إلى بيروت السعاة الحائون الذين يطلق عليهم لفظ الجواسيس في عرف هذا العصر كتبوا الى المابين الهمايوني ينمون به وقد شاع ان مما كتبوه ان هـذا الرجل الجليل البعيد عن السياسة بجميع معانيها يحمل فتوى من صهره بوجوب خلع السلطان ويحمل كتباً ضارة يريد توزيعها في سوريا وقد بلغنا انه كتب من المابين الى أمير مصر سؤال عن الحاج محي الدين واين نزل وماذا يفعل؟ وان الامير ذكر ذلك لخليل باشا حاده واخبره بأنه أجاب المابين أحسن جواب واثنى على الحاج محي الدين ولكن ذلك لم يغن شيئاً

ولما عاد الحاج محي الدين الى بيروت وكان ذلك بعد سفر الامير الى الاستانة قبض عليه عند نزوله الى البلد وأخذ الى دار الحكومة وفتشت أمتعته وجميع ما يحمله فلم يروا فيها شيئاً يثير عليه شبه السياسة الا تفسير جزء عم يتساءلون ؟ واسماء جماعة من فقراء بيروت بازائها أرقام ؟ فأما التفسير فقد أرسلوه الى لجنة التفتيش بديوان المعارف فقرىء فقيل ان فيه عبارة ضارة وهي تفسير لفظ الزبانية في سورة العلق بالشرط وأعوان الولاة على ان هذا التفسير يوجد في جميع كتب اللغة وكتب التفسير فلا يبعد ان يمنع دخولها الى الممالك المحروسة اذا دامت الحال على ما هي عليه الآن ؟ واما أسماء الفقراء وما جمع باسمهم من الصدقات فلعل الحكومة المظفرة المنصورة ظنت ان الغرض منها تأليف حزب للقيام بعمل سياسي ثم علمت ان الحاج محي الدين رجل معروف بالبر وعمل الخير يقصد اليه الفقراء والمعوزون المتعففون وأن ثروته لاتفي باسعاف كل من يقصد اليه فاغتنم فرصة وجوده في قطر إسلامي غني للاستعانة بكرام أهله على ما يطلب منه لاسيما لعيال بعض العساكر الذين يخشى ان يفجعهم العوز الى الثورة فعمله هذا خدمة جليلة لدولته ولوطنه . على أنه لولا تداخله

سفارة انكلترا في الاستانة في أمر هذا الرجل لظل ضيف الحكومة العادلة ولكنه افرج عنه بأمر السلطان .

الحاج محي الدين حماده رجل وجيه عند جميع طبقات الناس من جميع الملل في بيروت وغيرها ومحترم عند الحكومة ومشهور بالاستقامة والتقوى والاخلاص للدولة وقد ناهز الثمانين أو زاد عليها ولم يزنّ بريبة سياسية ولا غير سياسية فسماع حكومة الاستانة لقول مفسد دنيّ فيه ومعاملتها إياه بمثل تلك المعاملة قد نفخ الرعب في قلوب أهل ولاية بيروت من الرجا الى الرجا لان سماع الوشاية في مثل هذا الرجل ممن لاقيمة لهم يقتضي ان يسمع مثلها في كل أحد وما من أحد الا وله عدو او أعداء لايأمن ان ينتقموا منه بورقة يكتبونها واذا كان القبض على الحاج محي الدين حماده قد أظهر فضله وشرفه باهتمام الناس بأمره واقبال وجهاء جميع الطوائف على زيارته وتداخل سفارة انكلترا بطلب الافراج عنه فغيره لايرجو مثل هذه العناية والحفاوة وما كل الناس كأهل بيروت في الجرءة والاقدام

حمل هذا الرعب بعض اهل الحذر في بيروت وطرابلس وصيدا وغيرها من البلاد على إخفاء كتبهم او على إحراقها بالنار وما عتم ان ظهر ان الحذر كان غبارا (انفيدار ومن يظن سوءاً فيصيب) فان الوشايات كثرت وانشأت الحكومة تدهم على بيوت الناس (دهم دخل بدون استئذان) وتأخذ جميع مافيها من الكتب والاوراق الى دار العدل والانصاف وتقبض على من وقعت عليه الشبهة من أهلها وتحبسه لترى ما يستحق من العقوبة على اقتناء الكتب التي تسميها ضارة أو ممنوعة ومن يعرف ما يسمونه ضاراً أو ممنوعاً ومعرفته متوقفة على تعريفهم به واعلانه للناس وهم يسرونه ويكتمونه الا عند العقوبة

بدءوا في طرابلس الشام ببيت الشيخ عبد الرحمن الكمالي فدهموا عليه في داره واخذوا كتبه واوراقه وقبضوا على ولده من طلاب العلم وحبسوه في دار الحكومة وفعلوا هذا بآخرين . وكان من مثار الريب بل دلائل سوء القصد عند هذه الحكومة اذ وجدت في الكتب نسختين من صحيح البخاري فاستنبطت من ذلك ان صاحب الكتب قد اخذ على نفسه ان يوزع نسخ البخاري على الناس وذلك لا يكون الا

بقصد سوء يضر بالسياسة ويخشى منه الخطر على حكومة العدل والسلم والدين ،
ووجدوا قصيدة في مدح رجل يسمى منصوراً فسئل من عنده القصيدة عن منصور
الممدوح اين هو فقال في جبل لبنان قيل كذبت بل انت تعني اميراً في مصر ....

وقد ارسلت حكومة طرابلس وكيل المدعي العمومي (رئيس النيابة) والمستنطق وبعض شرطتها الى القلمون فدخلوا دارنا واخذوا ما فيها من الكتب والاوراق وقبضوا على شقيقنا السيد ابراهيم ادهم فأودعوه مع الكتب في دار الحكومة مهد العدل والامن وانما ننتظر ما يكون بعد ذلك من حسن معاملتها لآل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودخلوا دار علي كسن من القلمون لأن له ولداً مجاوراً في الأزهر ولا ادري ما ذا وجدوا فيها ولعلهم لم يجدوا شيئاً وقد وقع مثل ذلك في بيروت حتى ان حكومتها فتشت مطبعة الاقبال ومكتبة الالسي واخذت ما فيهما من الكتب للبحث فيها

لعل من يعتقد ان آفة السلطة المطلقة العلم يظن ان خوف الناس ورعبهم من الكتب وتوقعهم العقاب الشديد على اقتنائها آية نجاح هذه السلطة وقد يكون هذا الظن ضد الحقيقة فان مقاومة العلم واهانة اهله ربما كانا سبباً في إيقاظ الاذهان النائمة وإشهاد الابصار المغمضة ما لم تكن تشاهده من مضرات هذه الحكومة بل قد تكون سبباً لإحفاظ قلوب جميع طبقات الامة على هذه الحكومة ومتى حقدت الامة فلا يلبث مرجل حقدها ان ينفجر بحوادث الزمان مهما كانت صاغرة مستسلمة وجاهلة بطرق تغيير الحكومات وقلب الدول . فان لم تكن لدى حكومتنا عبرة بالامة الروسية التي يكاد تعظيمها للقيصر يكون عبادة حقيقية فلتعتبر بالامة المصرية التي هي أشد الامم استسلاماً للحكام كيف ثارت في وجه توفيق باشا الذي كان ألين امراء هذا البيت عريكة وأبعدهم عن القسوة والطغيان

إننا لعلم علم اليقين ان أهل سوريا لا يتفكرون في مسألة الجنسية المشؤومة ولا يخطر على بالهم ان يسعوا للاستقلال ويجعلوا حكامهم منهم وأبعد من هذا عن أذهانهم التفكر في الاتصال بسائر البلاد العربية على ان يكونوا جزءاً من مملكة عربية مستقلة وانما أقصى أمانيهم ان تكون حكومتهم العثمانية عادلة معينة لهم على العلم والترقي ولكن لا يوجد احد من البشر يضطهد على فكره واعتقاده ويسلب الامن فلا يدري متى

يهجم عليه في بيته ويروع به أهله وعياله ثم يكون راضياً من المضطهدين لايحب زلزالهم ولا يتمنى زوالهم ولا يسعى في ذالك متى وجد طريقاً للسعي

إن هذا الهجوم على البيوت ومؤاخذة الناس على ذنوب لم تكن ذنوباً الا باختراع مخيلات الظالمين ككون الرجل يملك من الكتاب الفلاني نسختين وكونه يقتني الكتاب الفلاني وان سماع الحكام لأقوال الجواسيس والسعاة في مثل ذلك — كل ذلك يعدم من سوالب الامن فكل أحد يتوقع في كل ساعة من ليل أو نهار ان يفاجأ بالفرجيء به سواه

ارفقوا أيها الحكام المسلطون بهؤلاء الضعفاء الذين مكنكم من ظلمهم تفرقهم وما فرقهم الا عدم وجود ألم شديد عام يجمعهم فربما كان ظلمكم إياهم هو الجامع لكلمتهم عليكم. ارحموا فان الرحمة خير لكم على كل حال وقد تكون القسوة نافعة لهم ضارة بكم ولو بعد حين. لاتعلموا الناس مالم يكونوا يعلمون ولاتذكروهم بما لم يكونوا يذكرون واتقوا الله إن كنتم به تؤمنون

حذر حكومة مدينة حلب من الثورة

من أخبار حلب أن الحكومة السنية أرسلت شرذمة من زبانيتها ليلا الى سوق البازستان وهي التي تباع فيها العاديات والامتعة المستعملة وفيه كثير من الاسلحة العتيقة فأحاط الزبانية بست دكان وأرسلوا الى أصحابها فحضر بعضهم وفتحوا لهم دكاكينهم فأخذوا مافيها من السلاح ومن لم يحضر كسروا دكانه وأخذوا مافيها فاعتقد الناس أن الحكومة خائفة وجلة من رعيتها تحذر أن يقتدوا بالروسيين فيقوموا عليها طالبين تغيير شكل الحكومة المطلقة واقامة العدل واباحة العلم واطلاق الحرية للناس ولولا هذا العمل لم يكن يخطر ببال أحد شيء من ذلك،

ونحن نعتقد أن هذه الاعمال سيندم عليها فاعلوها اذ تأتي بضد ما أرادوا منها وسيظهر لهم ذلك اذا استمروا عليها وانا نود من صميم قلوبنا أن تترك دولتنا محاربة رعيتها وتنزع من ذهنها وساوس الجرائد الافرنجية التي تخدعها بإيهامها ان البلاد مستعدة للخروج عليها لتصرفها بذلك عن اغتنام فرصة انكسار روسيا واشتغال أوربا بالمنازعات لاصلاح بلادها. وقد نصحنا للدولة مثل هذه النصيحة في فتنة نجد فظهر صدق قولنا وتبين بعد الحرب والخصام ان اللين في المعاملة هو الذي يأتي بالخير ويجمع الكلمة والله الموفق

الوفدان الفرنسي والالماني في بلاد العرب

ذكرنا في الجزء الماضي خبر هذين الوفدين كما أخبرنا بعض العربان النجديين في مصر ثم أن الخبر أخفى واستقصى فعلم انه لاوفد الا الوفد الفرنسي وأن أعوانه كانوا يشترون المصاحف والكتب باسم وفد ألماني تورية أوتعمية وان وجهة الوفد نجد من طريق العقبة وانه قد سمع أن الحكومة العثمانية قد علمت بالوفد فانتظرت ريثما دخل في حدود بلادها فردته على أعقابه وانا ننتظر التفصيل في ذلك ولعلنا نقف عليه بعد أيام

الجمعية الخيرية الاسلامية

تنشر هذه الجمعية في كل عام تقريرا تلخص فيه أعمال مجلس ادارتها في السنة الماضية وتذكر فيه ميزانيتها ومشروعاتها للسنة القابلة بعد أن تعرض ذلك على الجمعية العمومية التي تجتمع في شهر المحرم . وقد حضرنا الاجتماع في هذا العام ثم أرسل الينا التقرير بعد طبعه فأرجأنا الكلام فيه الى الآن

علم من التقرير أن عدد تلامذة مدارس الجمعية في مصر والاسكندرية وطنطا وبني سويف وأسيوط والمنصورة وبورسعيد ٧٩٦ تلميذا منهم ٤٩٩ يتعلمون على نفقة الجمعية و٢٩٧ تلميذا يتعلمون على نفقة أنفسهم . وقد بلغ ما أنفقته الجمعية على مدارسها في السنة الماضية ٦٣٩٤ جنيهاً وكسور الجنيه وبلغ ما أخذته من الاجرة على التعليم فيها ٨٤٢ جنيها ونصف تقريباً

وقد بلغ ما حصلته الجمعية من الاشتراكات السنوية في السنة الماضية ١٣٥٣ جنيهاً لان المشتركين قد زادوا ٨٠ عضوا والمساعدين زادوا ٢٠ عضوا فصار عدد الاعضاء ٥١٨ عضواً والمساعدين ١٠٠ وقيمة اشتراكهم السنوي يبلغ ١٨٣٦ ولكن منهم من يشترك ويمطل في الدفع ومنهم من لا يدفع مايفرضه على نفسه حتى تيأس الجمعية منه وييأس الرئيس بحواسه!!! ولو اتكلت هذه الجمعية على كرم أغنياء البلاد وهممهم لسقطت منذ سنين كما سقط غيرها من الجمعيات الادبية والخيرية التي أسست في هذه البلاد قبلها وبعد تأسيسها ولكن مؤسسيها الحكماء قد عرفوا أخلاق أهل بلادهم ودرجة سخاء أغنيائهم وثبات أهل بلادهم فوضعوا في قانون الجمعية مادة لولاها لم تقم للجمعية قائمة وهي أن نصف الايراد يجعل للاستغلال والنصف الآخر

يصرف على التعليم وإعانة الفقراء. فانظر كيف صارت على قلة المشتركين فيها تنفق على التعليم وحده أضعاف ما يأتي من الاشتراك ببركة تلك المادة. وقد يتعجب الغريب اذا علم ان الجمعية الخيرية الاسلامية الوحيدة في أغنى الاقطار الاسلامية لم يشترك فيها من نحو عشرة آلاف ألف مسلم الا ٥١٨ وان أعظم مبلغ دخل في خزينتها من هؤلاء المشتركين في السنة الماضية لم يزد عن ربع نفقات الجمعية على التعليم الا قليلا ولكن المصريين الفضلاء العقلاء يرون ان هذه خطوة كبيرة بالنسبة لضعف الاخلاق في بلادهم وانه لولا عناية الشيخ محمد عبده ونفوذه الديني والادبي ومساعدة أعضاء الجمعية الوجهاء له لما وصلت الجمعية الى عشر هذا القدر بأريحية أغنياء القطر وشعورهم الملي والاجتماعي. فأهل مصر لا يعوزهم الا الاخلاق كالكرم الحقيقي والثبات والعزيمة فاذا كثر فيهم أصحاب هذه الاخلاق فانهم ينهضون بذكائهم وثروتهم في زمن قريب

أما ما أنفقته الجمعية في سنة ١٣٢٢ على الفقراء فنحو ٤٣٠ جنيها والناتج لقسم اعانة الفقراء من صافي الايرادات العمومية بلغ خمس مئة جنيه وثلاثة جنيهات تقريباً. ومعظم إيراد الجمعية من أطيانها ومن الاحتفال السنوي في حديقة الازبكية وقد بلغ ماوصل الى الصندوق من هذا الاحتفال في العام الماضي ١٥٥٧ جنيهاً

ولو كان أصحاب الجرائد وأهل الغيرة على الامة والبلاد يقومون بالدعوة الى هذه الجمعية على وجهها لكثر المشتركون والمساعدون والمتبرعون ولقدرت الجمعية بذلك على ان تخدم البلاد خدمة لا ترجى من سواها بالأكثر من مالها لان رئيسها ووكيلها والعاملين من أعضاء ادارتها هم خيرة من انبتت ارض مصر في هذا العصر وهم يخدمون الجمعية بقدرة وهمة واخلاص بأموالهم وانفسهم فعسى ان يوفق الله من اراد به الخير الى هذه الدعوة الصالحة

جمعية العروة الوثقى الخيرية

اسست هذه الجمعية لاجل نشر التعليم في الاسكندرية فنجحت بهمة اعضائها الكرام من وجهاء الثغر الاسكندري حتى صار لها خمس عشرة مدرسة تسع منها للذكور عدد تلامذتها ١٥٧٨ وست للبنات عدد تلميذاتها ٥٤٩ وكان عدد المجموع في السنة الدراسية الماضية ١٥٧٥ منهم ٩١١ يتعلمون بأجرة و٦٦٤ بغير اجرة والمجموع في هذه السنة ٢١٢٧ منهم ١١٢٦ بأجرة و١٠٠١ بلا اجرة فنرجو لهذه الجمعية مزيد النجاح ولعلنا نعود الى ذكرها في فرصة اخرى



فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

المنار
١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق)

(مصر — غرة جمادى الاولى سنة ١٣٢٣ — ٣ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٥)

باب المقالات

المسلمون والقبط (*)
أو آية الموت وآية الحياة

قرأنا في جريدة الوطن القبطية مقالة عنوانها (التعليم الديني والحكومة) بحث فيها

(*) أشرت في مقالة (حياة الامم وموتها) التي نشرت في الجزء الثاني من هذه السنة الى الفرق بين المسلمين والقبط في العناية بالمعارف . وطالما عزمت على كتابة

كأنها في مشروع الحكومة الجديد من اعفاء حفاظ القرآن من الخدمة العسكرية بحثاً قال فيه ان الحكومة المصرية رأت ان هؤلاء الحفاظ كثروا في هذه الديار كما كثر الرهبان والشمامسة والقسيسون في كل بلاد النصرانية تعامل خدمة الدين معاملة الحكومة المصرية لهم فأرادت حكومة مصر أن تخص هذا الاعفاء بمن يستحقه أي وهو من يتعلم من مبادىء القراءة والكتابة ما يمكنه من خدمة الدين بتعليم القرآن الكريم وغيره مما يتعلمه الاولاد في المكاتب لا من يدعون انهم يخدمون الدين والعلم وهم أبعد الناس عن ذلك . قال الكاتب

«وظاهر من هذا ان الحكومة المصرية أرادت أن تعلي قدر الدين الاسلامي بما أوتيت من الاصلاح لانها رأت ان الاعفاء بلا تدقيق ولا حساب يجعل الدين سلاحاً يتسلح به كل طالب للتخلص من الخدمة المفروضة على كل وطني فالذين يتذرعون بهذه الذريعة ويجعلون أنفسهم من الفقهاء حباً في الخداع والتخلص من خدمة الوطن وليس حباً بالعلم والدين انما يؤدي فعلهم الى اسقاط حرمة الدين بين الناس » — الى أن قال «فحكومة مصر قصدت خدمة الدين بتنقية صفوفه من الذين لا يصلحون لخدمته والاشتهار بين الناس باسمه وباعادته الى مجده الاول حين كان العلماء والفقهاء (هم) الذين توفرت فيهم شروط العلم والفقه وليس الذين هربوا من واجب وطني وجعلوا الدين حيلة وواسطة للفرار منه»

جعل الكاتب القبطي المشهور على ملته وقومه هذا الكلام مقدمة وتمهيداً لمطالبة الحكومة بأن تعامل خدمة الدين من القبط كما تريد أن تعامل خدمة الدين من المسلمين بأن تشترط في اعفاء الشمامسة والرهبان وغيرهم من خدمة الكنيسة أو الدير من القرعة العسكرية أن يكونوا متعلمين من مبادىء القراءة والكتابة ما يجعلهم محترمين في أعين المتعلمين ويمكنهم من احسان خدمة الدين . وقال اذا كانت الحكومة تشترط عليهم مثل الذي تريد أن تشترطه على الفقهاء (أي الحفاظ) « فانها تحسن الى الامة

مقالات في المقابلة بين مسلمي مصر وقبطها او بين المسلمين والنصارى عامة ثم أرجأتها . وقد نشرت من عهد قريب مقالة في المقطم تتعلق بالموضوع خاصة بمسألة اعفاء حفاظ القرآن من القرعة العسكرية بامضاء (مسلم غيور) فأحببت نشرها هنا لما فيها من الذكرى والاعتبار

القبطية أكبر احسان وترقى درجة الذين يخدمون دين النصرانية بين رعاياها وهي تخطو خطوة كبرى في سبيل الاصلاح المطلوب للبطركخانات ، ثم أطال في بيان أعمال هؤلاء في خدمة ملتهم وقال ان الامة القبطية كلها ألسنة صارخة بمطالبة الحكومة بهذا الاصلاح

قرأت هذه المقالة فكان يتمثل لي عند كل جملة منها ما كتب في المؤيد من المقالات الطويلة العريضة والنبذ الموجزة في أخباره المحلية الصارخة بالتألم والشكوى من مشروع الحكومة : انه اهانة للدين والقرآن ، وتحقير لخدمة الاسلام ، وانزال لهم عن مرتبة خدمة النصرانية في الاحترام ، اذ لا تشترط الحكومة في اعفاء القسوس والرهبان والشمامسة ونحوهم معرفة بالقراءة والكتابة ولا بمبادىء الحساب ولا باتقان ما يقرأون من كتب الدين : وتمثل لي بالمقابلة بين ماتشكو منه الجريدتان الفرق بين آيات الموت وآيات الحياة — الجريدة الاسلامية تشكو من العلم وتعده اهانة لدينها وهضما لحقوق حملة كتابه وذلك أظهر آيات موت الامم ان كانت الامة على رأي المؤيد أو راضية بقوله وقول من شايعوه على ذلك . والجريدة القبطية تشكو من الجهل وتعد اقرار خدمة دينها عليه اهانة لهم وتقصيرا من الحكومة في مساواتهم بالمسلمين في العناية بدينهم واعانتهم على اصلاح قومهم وذلك أظهر آيات الحياة والطائفة القبطية على رأيها لا محالة

عجبا للمؤيد يذكر كل سنة في الكلام على نتيجة الامتحان في المدارس سبق القبط للمسلمين في التعلم اذ المشتغلون والناجحون من الاولين أكثر منهم في الآخرين ويظهر التبرم والشكوى من ذلك فما بال القائم يحارب العلم والتعلم في مشروع حفظ القرآن ومشروع الكتاتيب ؟ ان كان لا يعرف فضيلة العلم لذاته قل أو كثر بل يعرفه بميل القائمين بأمر البلاد أوعدمه فيذم مارغبوا فيه ويمدح ما رغبوا عنه فليسكت عن الشكوى من قلة المتعلمين من المسلمين لان جناب اللورد كرومر الذي بيده أزمة البلاد يشكو من ذلك في تقاريره كل عام

ان رغبة القبط فيما يزعم المؤيد ان المسلمين يرغبون عنه وبكاء الجريدة القبطية على ماتبكي منه الجريدة الاسلامية هو ادل على الفرق البعيد بين الفريقين من كثرة عدد المتعلمين في احدهما وقلته في الآخر لان الرغبة عن العلم والبكاء منه ادل على موت الامة من ترك الكثيرين له اذ يجوز ان يكون الترك لعذر غير الكراهة والتنور (١) .

(١) التنور هنا لامعنى له فهو تحريف حتما

كذلك الرغبة في العلم وطلبه والبكاء من فقده أدل على الحياة من مجرد القيام به من أفراد كثيرة ، الخ (مسلم غيور)

(المنار) اننا لم نقرأ كل مانشر المؤيد في هذه المسألة ولكننا قرأنا بعضه فلم نره سوابًا وفي هذه المقالة حدة في الانحاء عليه قد استثقلناها فحذفناها ومقصودنا بالذات المقابلة بين المسلمين والقبط في هذا الامر لا سيما بعد ان مضى زمن على مانشرته جريدة الوطن القبطية فلم نر من القبط من انتقده وماحذفناه ليس منه وقد بينا رأينا في المسألة معززا بالدلائل والبراهين

باب العقائد

ننشر المقالة الآتية لصاحب التوقيع الذي رأيناه منذ عرفناه يشتغل بعلوم الفلسفة والكلام مع رفيق له من المشتغلين بالطب حتى انهما صارا يطالعان الكتب العالية كالمواقف وقد مزج مقالته الآتية بنظريات المتقدمين وطريقة المتأخرين الذين درس علومهم في المدارس النظامية ، وهذه هي المقالة

الدين في نظر العقل الصحيح

قرأت في إحدى المجلات العربية مقالة بقلم أحد طلبة المدارس العالية ذكر فيها شيئاً من المذهب المادي في مصير الانسان وأصله وتبجح بأن هذا هو معتقده وأن لاحق بعد ذلك ولما كانت هذه الافكار وأمثالها تخالج قلوب شباننا اليوم حتى صار جمهورهم لا يعبأ بعقائد الدين ويظن انها ضرب من أساطير الاولين لاحاجة لعصرنا الحاضر بها تحركت نفسي لكتابة شيء في هذا الموضوع بعد عمل الفكر واجالة النظر في أطرافه وجعلت اعتمادي فيما أقول على البراهين العقلية الصحيحة التي تنتهي الى البديهيات بحيث لا تجد فرقاً بينها وبين البراهين الرياضية لتكون أعظم مؤثر في قلوبهم وليعلموا أن الدين في حججه يفوق المادية في نظرياتها وأوهامها ، ولايفاء المقام حقه رأيت أن أبدأ بذكر حكم العقل في المادة من جهة تركيبها وتحليلها وأصلها من حيث الحدوث والقدم ثم انتقل الى براهين وجود الخالق ومايليق به من الصفات ثم أتكلم عن الروح والبعث وأختم كلامي بأدلة النبوة عموماً والمحمدية خصوصاً وبذلك يتم الاعتقاد الاسلامي ويكون الانسان مؤمناً بالله واليوم الآخر والنبوة وما أتت به

المادة وتركيبها

الاجسام التي نراها شاغلة حيزا من الفراغ تقبل القسمة الى أجزاء أصغر منها وكل جزء يقبل القسمة الى ماهو أصغر منه وهكذا فاذا استرسل العقل في القسمة فاما أن يقف عند حد أولا يقف فان لم يقف كان ذلك قولا بأن كل جسم أخذناه بيدنا وحصرناه بين أصابعنا مركب من أجزاء لانهاية لها وهذه الاجزاء مهما صغرت فلايمكن أن تحصر لعدم تناهيها . لكن هي محصورة بالحس إذاً هذا الفرض باطل . بقي القول بأن العقل لابدأن يقف عند حد في القسمة فهذا الحد اماأن يكون له امتداد أوليس له امتداد فان كان له امتداد فالعقل يتصور قبوله القسمة ونرجع الى ماقلناه في الشق الاول اذاً لم يبق الا القول بأنه لاامتداد له . واذا ثبت هذا علمت أن جميع الاجسام مركبة من أجزاء لاامتداد لها مطلقاً ولكن لها وضع معين فهي مثل النقط الهندسية وإنما تمتاز عنها في أنها أشياء وجودية لاوهمية . هذه الاجزاء هي مانسميه بالجواهر الفردة ويسمي جملتها الماديون (بالمادة) أو (الاثير) وقالوا إن اجتماع بعضها ببعض على أوضاع مختلفة وبأعداد مختلفة قد نشأت عنه العناصر الاصلية فيجوز أن تكون كل ذرة من الاوكسيجين مركبة من جوهرين مثلا والذرة من عنصر آخر مركبة من ثلاثة أو أربعة وباتحاد العناصر المختلفة بعضها ببعض تكونت المركبات وسواء صحت هذه النظريات أولم تصح فالشيء الذي لاشك فيه هو وجود الجوهر الفرد وأنه الجزء الذي لايتجزأ ومنه تركبت الموجودات

حدوث المادة

قلنا ان الجوهر الفرد هو ماليس له امتداد وله وضع معين وهو شيء وجودي . كل ما كان له وضع معين فالعقل يتصور جواز انتقاله من موضع الى آخر وهذا الانتقال هو الحركة فلو فرضنا أن الجوهر الفرد قديم لتصور العقل إمكان تحركه من مكان الى آخر ولو أمكن ذلك لامكن وجود حركات في الأزل لاأول لها وهذا محال لانه يستلزم جواز تحرك الجوهر حركات لاعدد لها قبل كل حركة . وكونها لاعدد لها يستلزم أنها لاتحصر ولاتدخل تحت عد وإتيان الجوهر الفرد بها يدل على أنه يمكن عدها وعد ما لايعد تناقض بديهي البطلان إذا ثبت ان الجوهر لايجوز أن يتحرك

في الازل لكن جواز تحركه من لوازم ذاته بحيث لايتصور وجوده بدون ذلك الجواز وحيث ان فرض وجوده في الازل يؤدينا الى المحال ومايؤدي الى المحال محال ثبت انه لايمكن أن يكون موجوداً في الازل أي انه حدث بعد أن لم يكن

﴿ وجود الواجب ﴾

يقسمون المعلوم إلى قسمين واجب لذاته وغير واجب لها فالواجب لذاته هو ما كان وجوده من لوازم ذاته بحيث لايمكن أن ينفك عنها وغير الواجب قسمان موجود بالفعل وغير موجود وغير الموجود قسمان جائز وجوده ومستحيل والمستحيل هو ما لا يمكن وجوده فكل موجود إما أن يكون واجباً أو جائزاً ولا ثالث لهما أما الواجب فسبق تعريفه وأما الجائز فهو ماجاز عليه الوجود والعدم ولا يرجح أحدهما الا بمرجح اذا عرفت هذا فنقول

الجوهر الفرد موجود فإما أن يكون واجباً أو جائزاً لايمكن أن يكون واجباً لانه قد ثبت أنه كان معدوماً في الازل والواجب لايمكن أن ينفك عنه الوجود لا أزلا ولا أبداً اذاً هو جائز والجائز لايمكن أن يرجح وجوده على عدمه الا بمرجح والمرجح لايمكن أن يكون سوى الواجب اذ لم يبق سواه غير المستحيل اذاً الواجب موجود قطعاً

﴿ أحكام الواجب ﴾

قد سبق أن الوجود لاينفك عنه أي انه قديم باق فلا أول لوجوده ولا آخر له وهذا يقتضي التعريف السابق . ومن أحكامه أنه ليس له وضع معين ولا جهة يشار اليه فيها والا لتصور العقل جواز تحركه ولو جازت عليه الحركة لكان حادثاً ولو كان حادثاً لما كان واجباً وحيث ثبت انه لاوضع ولا جهة له ثبت أنه لا امتداد له والا لشغل حيزاً من الفراغ وتعين له الموضع والجهة

اذا عرفت هذا علمت أنه لايجوز عليه الحلول ولا الاتحاد ولا التجسد لانه لو حل أو اتحد بجسم المسيح على مذهب أو تجسد وظهر بصورة المسيح على المذهب الآخر كما يقول النصارى لوجبت له الحركة والا لما كان للحلول والاتحاد والتجسد معنى حقيقي تعالى الله عن أن يظهر في مخلوق أو يتصور بصورته

ومن أحكامه التفرد بالوجود لانه لو كان هنالك واجبان فأكثر وخلق أحدهما جائزاً أما من

الجائزات فإما أن يبقى الآخر قادرا على خلق هذا الشيء بعينه أو غير قادر فإن بقي قادرا أمكنه تحصيل الحاصل وهو محال لانه يستلزم أن يكون للشيء الواحد وجودات متعددة وإن لم يبق قادرا زالت قدرته القديمة عن بعض الاشياء والقديم لا يزول لان قدمه إما أن يكون لذاته أو لشيء آخر قد اقتضى وجوده فان كان قدمه لذاته فلا يمكن أن يزول من الذات ماهو لها وإن كان لغير ذاته فما دام المقتضي موجودا فلا يمكن أن يزول المقتضى

هذا واعلم ان قول النصارى إنه واحد في الذات ثلاثة في الاقانيم محال لانهم يعتقدون ان كل أقنوم يمتاز عن الآخر بخواص كثيرة فالاول يمتاز بخاصية الابوة والثاني بالبنوة وبالحلول أو التجسد والثالث بالانبثاق وان الامتياز بينهم حقيقي بحيث ان مايثبتونه لاحدهم لا يمكن ان يثبتوه للآخر اذا عرفت هذا اقول الشيء الذي به الامتياز إذا ثبت لاحد الاقانيم فهو ثابت لذاته وإذا ثبت لذاته فهو ثابت لذات الله تعالى وبما انه علة الامتياز فلا يمكن ان يثبت للاقنوم الآخر وإذا لم يثبت لهم يثبت لذاته وإذا لم يثبت لذاته لم يثبت لذات الله وعليه يكون الشيء الواحد ثابتاً للذات وغير ثابت لها فمثلا إذا قلنا إن الابن حل او تجسد اي إن ذاته حلت او تجسدت كانت ذات الله حالة او متجسدة ولكن الآب لم يحل ولم يتجسد فذات الله لم تحل ولم تتجسد وعليه تكون ذات الله حالة او متجسدة وغير حالة ولا متجسدة وهذا تناقض ظاهر البطلان

بقي علي ان اذكر كلمة صغيرة في القدرة قبل تركي هذا الموضوع وهي انها لا تتعلق بالمستحيل • وخلق حوادث في الازل مستحيل لانه يستلزم وجود حوادث لا اول لها وهو باطل وعليه فالقدرة الازلية لا توجد الحوادث الا في غير الازل والازل لا يمكن العقل تصوره فهو ليس مركبا من لحظات لا اول لها لان ذلك أيضاً باطل فلم يكن ثم دهر ولا زمان بخلاف ما إذا فرضنا ان الجوهر الفرد قديم فانه يستلزم جواز وجود الحركات في الازل وذلك يستلزم تعاقبها وتعاقبها يستلزم وجود الزمان أما خلق الحوادث في غير الازل فلا يستلزم وجود لحظات متعاقبة ولا وجود متجددات في الازل

والخلاصة ان الواجب قديم باق قدير متفرد بالوجود ليس كمثله شيء وهو

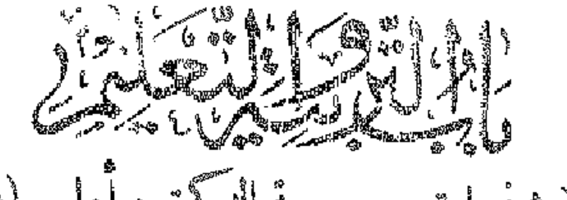
السميع البصير

الروح والبعث

عناصر الجسم الكيماوية معروفة ومشهورة وعناصره (الهستولوجيه) هي ما يسمونه بالخليات وكل خلية حية بذاتها بحيث يمكن بقاؤها حية بعد انفصالها عن الجسم مدة من الزمن وتأتي من الاعمال مثل ما تأتيه في الجسم فمثلا كرات الدم البيضاء اذا فصلت عن الجسم ووضعت في وسط مناسب لحياتها تبقى حية مدة فتتحرك وتتغذى وتقسم وليس الامر قاصرا على الخليات بل ما تركب منها من الاعضاء والعضلات وغيرها وإذا فصل من الجسم يبقى حيا مدة فمثلا قلب الضفدعة يستمر على ضرباته بعض دقائق وكذا العضلات الاخرى من الجسم تنقبض وتنبسط إذا نبهت ثم ان جميع وظائف الجسم وحواسه ومحركاته لها مراكز مخصوصة في المخ والنخاع الشوكي بحيث إذا أتلف هذا المركز بطلت الوظيفة وبين المراكز والاعضاء اتصال بالاعصاب الحساسة والمحركة وهذه الحقائق المحسوسة ظن الماديون أن لا معنى للقول بالروح إذ لا أثر لها في الحياة ولا في غيرها ولو كان هناك شيء يليق أن يسمى روحا فالمخ أولى الاشياء بهذه التسمية ثم إنهم شاهدوا أن الجسم دائما في التغير والانحلال والتركيب بحيث أن جسم الانسان في بضع سنين يكون قد تغير كله وأتى بدله جسم آخر • وفسروا شعور الانسان بشخصه أنه لم يتغير طول حياته بأن الانطباعات والتأثرات المخصوصة في جوهر المخ تتجدد في كل مادة • وبعد ان أنكروا ما يسميه علماء الاديان روحاً وأنه شيء يقوم بذاته ولا يتغير وأنه ليس من مادة طالما هذا إلى آخره • بعد أن انكروا ذلك وجدوا أن جسم الانسان بعد الموت يحلل ويدخل في تراكيب النباتات والحيوانات الاخرى ومن بينها الانسان قالوا إذا البعث مستحيل لان الانسان ليس له روح مخصوصة تمتاز عن جسمه وليس جسمه ثابتا له بل ربما دخل في جسم إنسان آخر وعليه فالحشر روحياً كان أو جسدياً ضرب من المحال

هذا هو ملخص مذهبهم • والناقد البصير يرى انه مبني على المحسوس والمعقول إلا في نقطة واحدة هي محور غلطه ومركز شططه وهي قولهم إن شعور الانسان بشخصه من أول العمر إلى آخره ناشئ عن الانطباعات المخصوصة وتجددها في كل مادة تدخل في تركيبه لا لشيء ثابت من اول الحياة الى آخرها إذا لا علاقة بين

الآن وبين شخصي بعد بضع سنين سوى الانطباعات المخصوصة المتماثلة في المادتين .
أقول المتماثلة لانها لا يمكن ان تكون هي بعينها لانها اعراض لاقيام لها بذاتها ولا تنتقل
من مادة الى أخرى فكأنه بعد مرور بضع سنين على الانسان يعدم من الوجود ويوجد
شخص آخر غيره ومع ذلك يشعر كل بأنه هو الآخر بعينه لتماثل الانطباعات فيهما
ولو سلمنا ذلك فلماذا لا يكون البعث من هذا القبيل وإذا وجد شخص آخر فيه مثل
ما فيَّ من الانطباعات فهل أشعر بأني أنا هو وهو يشعر بأنه أنا وما الفرق بين هذه وتلك
وهل إذا عدم أحدنا يشعر الآخر بأنه هو الاول بعينه كلا ثم كلا إذا لا بد أن يكون
هناك شيء ثابت في الانسان من أول الحياة الى آخرها وبه تحقق شخصيته وبتاز وجوده
وسواء كان هذا الشيء من عالمنا هذا أو من عالم آخر فلا يهمنا وهذا الشيء هو روح
الانسان وجوهره وحقيقته وحيث أننا لا ندري مكانه ولا كنهه فلا يمكننا الحكم بأنه
يدخل في تركيب انسان آخر ولم لا يجوز أن يبقى محفوظا الى يوم القيامة ثم يعاد في
جسم جديد . ولا عبرة بالجسم الاول المتبدل المتغير الداخل في تركيب غيرنا بعد
انحلاله فان شخصية الانسان لا تحقق به ولا تتوقف عليه . اذا علمت هذا أيقنت أن
للانسان روحاً بالمعنى المتقدم وكذا لكل حيوان له شعور بشخصه وان ليس البعث
ضرباً من المحال بل هو من الجائزات وسنأتي في مقال آخر بأدلة النبوة وصدق ما أتت
به وبعد ذلك تثبت بالبرهان النقلي وجوب البعث يوم القيامة   الامضاء
محمد توفيق صدقي الطبيب بسجن طره



﴿ شذرات من يومية الدكتور أراسم (*) ﴾

يوم ١٥ يوليه — سنة ١٨٦

﴿ فوائد الشدائد — بذل النفس للمحبوب أول الحب ﴾

كان منا خرق وطيش كادت عواقبه تكون علينا خسارا مبينا ذلك أني و « أميل »

(*) معرب من باب تربية اليافع من كتاب أميل القرن التاسع عشر تابع لما في ص ٢١٢ م ٢

ولولاه خرجنا عشية أمس نتنزه والساحل ممتطين افراساً فأوغلنا في سيرنا معتسفين ولا يلبث الانسان بأدنى بحث في شكل هذه السواحل الظاهري ان يدرك ان البلاد نشأت من الزلازل الارضية

من أسمى الافهام التي انتهت اليها حكمة العلوم الحديثة على ما أرى (١) ادراك ان للناس فوائد فيما يبتلون به من المصائب فان لها دخلا عظيما في تكون العالم المادي

وما أدراك ماهذه المصائب ؟ إذا رجت الارض رجاً وتولاها الاضطراب عم الفزع كل من على ظهرها ممن يشهدون زلزالها ورأيت الحيوانات حائقة حيرى لاتدري ماذا يراد بها ٠

وان لمن شهد الزلازل من سكان هذه البلاد قصصاً عجايبا ونها اللاجانب تحاكي قصص التوراة فكأي من قرية كانت بالامس عامرة سعيدة أصبحت خاوية على عروشها فلا يجد الباحث عنها في عرصاتها الا اطلالا بالية ورسوماً دارسة واذا انقضت الزلازل لم يكن للناس حديث مدة الشهر التالي لوقوعها الا قصصها المحزنة فمن رجال ذهبت عقولهم من الفزع وأموال لعبت بها أيدي الضياع ونساء وأطفال وشيوخ حفرت عليهم يومهم فخنقهم ردمها

لايعلم تاريخ هذه الرزايا من اختلاط القصص به فمما يحكيه الناس هنا انهم شاهدوا في زلزلة ليلية على وميض البروق المشؤم ان الارض قد انشقت وبرزت منها كل قدماء الانقين (٢) من قبورها ثم عادت فغيبت في هذه الهاوي التي مالبثت أن التأمت عليها

سكان شطوط المحيط في هذه البلاد أشد تعرضاً للمصائب فان البحر في هذه الزلازل يتقهقر عن الارض كأن قد ملكه الذعر ثم يعاود الكرة وقد هاج غضبه واشتد صخبه وطمه وهنالك تتكسر أناجر السفن وتتقطع سلاسلها وتأخذها أعاصير الماء فتدور بها دوراناً وأما جسور المياه فانها تستسلم لضغط الامواج فتفتح أبوابها للخراب والهلاك

---

(١) لقد طاش رأيه فان القرآن القديم نطق بهذه الحكمة التي رآها حديثة في آيات كثيرة جدا ولكنه لا يعلم ذلك (٢) الانقين جمع انق وهو أحد اشراف قدماء الهنود بامريكا

والبيرويين من المعرفة الصحيحة بما لأرضهم التي استودعوها حياتهم وعيالهم وآمالهم من ضروب الختل ما يجعلهم في عامة أوقاتهم على حذر منها فتراهم لا يذوقون النوم الا غرارا مستعدين على الدوام للهروب من بيوتهم لأقل لغط أو أدنى رجة سائلين ما الخطب فاذا قيل زلزلة برزوا جميعاً

على أن لهم بهذا القطر الذي تميد بهم أرضه كلف العاشقين بجماله وخصبه فانك تجد في البقاع المزروعة منه حقول الذرة وقصب السكر والقطن والفواكه الاسبانولية كالبرتقال والليمون والرمان والتين والزيتون قد ازدوجت بجميع فواكه المنطقة الحارة كالموز والاناناس فتلك الارض المتزلزلة حبلى بالحياة فهي تمو وتعلو وتنقص ولا ينبغي ان ينقم منها انها في عملها هذا تشوش نظام عمل الانسان احياناً بما لها من صنوف التدمير وضروب التخريب

﴿ الآثار والمدن المجهولة في البيرو ﴾

والموازنة بين القوى والاعمال

يوم ٢٨ يوليه سنة ـــ ١٨٦

كثيرا مانلاقي هنا هنودا أصليين يشتغل بعضهم بالتماس الثلج من رؤس الجبال ونقله على ظهور البغال الى (ليما) حيث يعتبر من أوائل مشهيات المائدة وبعضهم بنقل الملح اليها من سواحل البحر على قطعان اللاما (١)

ياله من بون بعيد بين ماعليه هؤلاء الهنود الآن من الذل والشقاء وما كانوا فيه من العظمة والرخاء

معابد الانقسين التي يرشد أهلها السائح الى زيارتها وطريقهم الحربي المشهور الذي اختطوه لقتالهم ونظام ريهم العجيب الذي كانوا يلقون به مياه الجداول الصغيرة الى الحقول بما كانوا يحتفرونه من الخنادق ليخصبوا به من الارضين ما صار بعضهم محلا كل ذلك مما يحمل على الاعتقاد بأن الاجيال الاصلية التي كانت متوطنة وسط أمريكا أوقفت في سبيل تقدمها جحافل الجيل الابيض الذي انقض عليها في بلادها انقضاض العقاب فعاقها عن رقيها فانها كانت تسعى اليه ومن ذا الذي في استطاعته أن

(١) اللاما حيوان من حيوانات البيرو بامريكا يشبه الجمل

يخبرنا بما كان يحصل لو انهم أهملوا حتى بلغوا مثال تمدنهم الصحيح ربما كان العكس الامر فذهب مثل خريستوف كلومب من حمر الجلود فاكتشف الدنيا القديمة

قبائل الهنود التي لم تخضع الى اليوم للحكومة الاميركية تحذر ما يقدم لهـا من الهدايا وما تدعو به من المزايا على صدق قول القائل «الروم أخشى» (١)

ولم تفلح الحكومة في ارسال الدعاة اليهم لدعوتهم الى النصرانية فانهم يعلمون ان لفظ انجيل في فم الابيض معناه الاستعباد لجليهم ومصادرتهم في ارضهم

لم يسلم الساحل الذي كنا نتنزه عليه من فعل الزلازل الارضية التي لاشك في انها تبتدىء من سلسلة جبال الاندز (٢) فان الانسان فيها يلاقيه هنالك من الشقوق والانجاد والاغوار التي لاتلبث بعد انخسافها ان ترتفع لايزال يعرف ميدان تكافح القواعل النارية

كانت «لولا» تسير على الساحل وكلها زهو وعجب باستقبالها «إميل» في بلادها ومرحبتها اياه غير مفكرة في شيء عسى أن يكون من الحبائل تحت هـذا الساحل المتباين الذي دعثرته العواصف والاعاصير فهمزت جوادها بحدة مفرطة وأخـذت به شط البحر وكنا نحن نتبعها ولـكن من بعد لبلادة فرسينا على ان «اميل» لم يلبث ان خف اليها خفة المستقبس لما نبهته هيماني الى الخطر الذي كانت ملاقية له فلما بلغ تلك الفارسة المرحة لم تكن الا على نحو مئة متر من هوة بين صخرتين كان لامحيص لها من التردي فيها بجوادها مرسلة الشعر في الهواء مشرعة السوط فأخذ بعنان فرسها وقسره على التحول بسرعة فرفع يديه قائماً على رجليه وحرن ثم مالبث أن وقف كانه ألهم الوقوف فجأة

فأما «لولا» فقد امتقعت (تغير لون وجهها) وارتعدت فرائصها لانها كانت أبصرت الهوة وشكرت «لاميل» همته بأن قبلته تقبيلا يشف عن الوداعة وسلامة القلب كالذي يقع من أخت لاخيها

---

(١) الروم أخشى جزء من بيت شعر لشاعر لاتيني ، اذكر منه شطره الاول ومثاله «الروم أخشى وان هم قدموا تحفا »

(٢) سلسلة جبال الاندز هي سلسلة عظيمة من الجبال في امريكا الجنوبية

وفي يقيني ان هــذه الحادثة لم تزد شيئاً على مايضمره كل منهما للآخر من المحبة والوداد ولكني أحسب أني لاحظت من عهد حصولها فرقاً دقيقاً في رعايات داميله لها بزيادة تحدبه عليها فكأن بذل النفس للمحبوب أول الحب

فذلك أمر لا بد أن تكشفه لنا الأيام لأني وهيلانة قد عودناهذين الغلامين على أن نصدقهما لمجرد قولهما فلا اخالهما يجسران على غشنا . اه

يعتقد بعض اهل ليما ان من المدن البيروية او المكسيكية القديمة مالاتزال موجودة لم يبلغها الفاتحون من اسبانيا واذا سألتهم اين هذه القرى لاتجد منهم احــدا يستطيع ان يجيبك عن هذا السؤال ثم اذا قلت كيف ان احدا من سائحي اليوم لم يعثر عليها اجابوك ان هؤلاء الاقوام القدماء سكان تلك المدن مكنوفون من كل ناحية بالصحاري والآجام والمستنقعات وسلاسل الجبال وغيرها من العقبات الكثيرة وبذلك حفظوا استقلالهم على ان الوصول اليهم يقتضي وطء قبائل متوحشة تمنع الاجانب من دخول أرضها وتجزي عليه بالقتل واسمهم الهنود البسلاء (انديوس براقوس) وهم جيل حربي يسكن الهضاب الواقعة شرقي البيرو والقونشوس ويقال انهم من أكلة لحوم البشر

ولقد ذهب فريق آخر من البيرويين في دعاويهم الى ما هو أبعد من ذلك فلم يقتصروا على القول بوجود المدن المذكورة بل قالوا ان بعض ركاب التعاسيف الخاملي الذكر والمترفقين من التجار وطلاب المهن زاروها المرة بعد المرة ومن هؤلاء الزوار من انقطع ذكرهم فلم يسمع عنهم شيء ومنهم من حكوا ماعاينوه شفاههم مصدر ماعرف عنها غيرانهم لبعدهم عن الحضارة بل وعن العلم لم يخبروا بما اكتشفوه الا بعض التجار الرحل أو الصيادين ولم يستطع هؤلاء عند حكايتهم لما وعوه أن يؤدوا لمن سمعوا منهم الا اخباراً مبهمة جداً

والذي ينبغي أن يتحقق مثل هذه الاحاديث هو انه يحسن قبل نبذها واعتبارها من الاساطير أن يفكر فيها مرتين لأنها على كل حال ليست بعيدة عن الحقيقة بعد ان اكتشف استفنس(١) وغيره من السائحين الذين جابوا وسط أمريكا ما اكتشفوا من الآثار الحقيقية وبعد الابحاث التي حصلت وسط الغابات الكثيفة ولم يشهدها الا البغاآت والقردة

(١) سائح أمريكي شهير

وخصوصاً بعد ان ثبتت للعالم صحة بعض الآثار المروية عن الهنود ثبوتاً واضحاً من اطلال القرى المكتشفة مثل قوبان وقيشى واوقوزنجو وبالاقنا وغيرها من القرى الكثيرة المدفونة تحت جذور الاشجار من قرون طويلة

ثم ان موضوع البحث والنظر هاهنا ليس مدناً بائدة بل هو مدن حية قد يعثر فيها ان وجدت على تاريخ جيل من أجيال البشر برمته ومعابدهم وآلهتهم وقسيسيهم وشرائعهم وعوائدهم

ريغامال «إميل» و «لولاه» اذا سمعا مثل هذه الحكايات فاتقدت بها مخيلتهما الى أن يباشر البحث عن تلك المدن المجهولة فان من هو مثلهما في سن المراهقة لا يفكر في العقبات ولا يحسب لها حساباً فهما من هذه الجهة شبيهان بعامة الناس ولواني ثبطت عزم هذين القرينين الصغيرين وأخمدت توقد ذهنهما لمت نفسي على ذلك ولكني انتهزت هذه الفرصة فقلت لهما انه لا يزال في بلاد البيرو كما في غيرها كثير من الاشياء التي يلزم اكتشافها غير انه يجب على الانسان قبل كل شيء أن يعرف كيف يزن قواه بطبيعة ما يريد مباشرته من الاعمال . اهـ

آثار علمية

أعمال مجلس ادارة الازهر

يرى كثير من الناس أن الجرائد في هذا العصر هي بمثابة كتب التاريخ لانها تتصدى لذكر جميع الحوادث وتبحث في عللها وأسبابها ونتائجها ومسبباتها فاذا أراد مؤرخ تأليف تاريخ لامة أو بلاد تنشر فيها الجرائد فما عليه الا أن يراجعها ويستمد منها اذا كانت حرة لم يستعبدها الحكام المستبدون وعلى هذا الرأي يمكن لمن يريد كتابة تاريخ حديث للازهر أن يراجع الجرائد المصرية في دار الكتب المصرية ويأخذ عنها ما كتبته عن هذا المكان . ولعله لا يوجد عاقل عارف بحال هذا القطر يثق بحرية جرائده في نفسها وتحريها الصواب والحقيقة في الحوادث المهمة التي لها شأن في تاريخها وسردها بأسبابها ونتائجها الحقيقية خدمة للتاريخ فان هؤلاء العقلاء يعلمون أن هذه

الجرائد مذاهب شتى وأهواء مختلفة ولا يعنى أصحابها ببيان كل شيء له شأن في التاريخ وقلما يوجد فيها من يتحرى الحق في أكثر ما يكتب بل يكتبون ما يبلغهم على غره اذا لم يكن مخالفاً لمذاهبهم والا تصرفوا فيه أو سكتوا عنه ، هذه مسألة الازهر قد خاضت فيها الجرائد واختلفت فيها أقوالها بعضها مع بعض بل اختلفت فيها أقوال الجريدة الواحدة هذه تستحسن مرة ما كانت تستقبح وتلك تذم اليوم ما كانت تمدح بالامس ولو قرأ قارىء جميع ما كتب عن الازهر منذ عشر سنين أي منذ تأسيس مجلس الادارة له ودخوله في طور النظام وان لم يعمل بذلك النظام كله لرأى أقوالا مضطربة لا تجلي منها حقيقة ، والسبب في ذلك أن العامل الحقيقي في هذا النظام هو الشيخ محمد عبده وله حزب على رأيه يضاده حزب آخر يود ان يبقى كل خلل على ما كان وقد اختلفت الاهواء لذلك فاختلفت الاقوال وضاعت الحقيقة حتى ان أكثر المصريين القارئين الكاتبين لا يعرفون حقيقة ما كان عليه الازهر ولا حقيقة الاصلاح والنظام الذي سعى اليه الشيخ محمد عبده فتم له شيء منه باسعاد الامير العباس وفقه الله تعالى لمرضاته بل هم يهيمون في أودية الظنون في هذه المسألة ككثير من أمثالها ومنهم الذين يصدقون بعض الجرائد في قولها ان هذا الاصلاح كان افساداً لعقائد أهل الازهر

ظهر في هذه الايام كتاب جديد اسمه «أعمال مجلس إدارة الازهر بمصر من ابتداء تأسيسه سنة ١٣١٢ الى غاية ١٣٢٢ » أي الى أن استقال من ادارته ذلك المصلح المنظم والعامل الذي كان ينسب اليه كل عمل في هذا الجامع مدة وجوده فيه »

ان مؤلف الكتاب لم يذكر اسمه عليه ولكن كل قارىء له يثق بكل ما كتب فيه وان لم يعرف كاتبه لانه يرى انه تاريخ رسمي أو شبه رسمي فهو قد جري على طريقة الجبرتي في البحث عن كل شيء في وقته وقد تم له ما لم يتم للجبرتي من التدقيق فهو يذكر كل مسألة مبيناً تاريخها وما دار بين الازهر ومعية الامير والحكومة فيها وما وضعه أو قرره مجلس الادارة إما بالنص واما بالمعنى الذي لا يخرج عن مفهوم النص في البيان والتاريخ وعدد الخطاب (النمره) وغير ذلك ومن احتياطه وتحريه ان سكت عن بيان ما لم يقف عليه باليقين وهو قليل كعدد الطلاب الذين امتحنوا في سنة ١٣١٤ فانه لم يبينه بالجدول الذي وضعه لذلك

ومن انصاف المؤلف ان نسب الاعمال المتفق عليها الى مجلس الادارة لاالى شيخ الازهر الذي هو رئيسه ولا الى بعض الاعضاء بالتعيين وما كان فيه خلاف ذكره وما انفرد به بعض شيوخ الازهر من سعي أوعمل ذكره كما هو وقد خص الامير بالثناء وبين انه كان المؤيد والمعضد لكل ماجرى في الازهر في هذه المدة ولولاه لم يكن شيء مما كان

وانا نذكر عناوين فصول الكتاب ليكون قارىء هذا التقريظ على بينة منه وهي (١) تشكيل مجلس إدارة الازهر وأسبابه (٢) قانون المرتبات (٣) حال الازهر ومرتبات الشيوخ قبل النظام الجديد (٤) إلحاق التعليم فى الجامع الاحمدي بالازهر (٥) إلحاق التعليم فى المسجد الدسوقي ودمياط بالازهر (٦) كساوي التشريف (٧) نظام التدريس والامتحان (٨) المسامحة أو عطلة الدراسة (٩) مساعدة الجناب العالي على تنفيذ القانون بالمال من الاوقاف (١٠) نظام التدريس والامتحان (١١) مكافأة امتحان الطلبة (١٢) مشايخ الاروقة والحارات والاحطون (١٣) فائدة الامتحان والعلوم الحديثة (١٤) دار الكتب «الكتبخانه» في الازهر (١٥) اصلاح التعليم (١٦) نظام الجرايات (١٧) امتحان التدريس وشهادة العالمية (١٨) العلوم والكتب ونظام التدريس (١٩) مسألة زاوية العميان (٢٠) الشيخ حسونة النواوي (٢١) الشيخ عبد الرحمن القطب (٢٢) الشيخ سليم مطر البشري (٢٣) جدول مواد التعليم فى الازهر (٢٤) احصاء أصحاب الكساوي المظهرية في عشر سنين (٢٥) السيد علي الببلاوي (٢٦) تأخر العلوم الشرعية بالازهر (٢٧) تأخر اللغة العربية بالازهر (٢٨) إلحاق الاسكندرية فى النظام والتعليم بالازهر (٢٩) الشيخ محمود باشا والشيخ أحمد باشا (٣٠) الشيخ محمد شاكر (٣١) مرتبات أولاد العلماء وما تنفقه الحكومة على الازهر (٣٢) حالة الازهر الصحية وتعيين طبيب له (٣٣) اعانة ديوان الاوقاف لمعاهد العلم بالمال (٣٤) محافظة المجلس على حقوق الازهر وشرفه (٣٥) الشغب الذي انتهى باستقالة الببلاوي والعضوين العاملين بالمجلس •

وقد فسر طابع الكتاب عبارات مجملة أو مبهمة منه لمن المؤلف ما كان يجب أن تفسر

يدل اسم الكتاب وعناوين فصوله على أنه تاريخ لهذا الطور الذي دخل فيه

الازهر منذ عشر سنين وفيه ماهو أهم من ذلك وأكثر فائدة للمسلمين وهو بيان أخلاق علماء الازهر وأفكارهم وشؤونهم فى هذا العصر فان لحال هذا الصنف من الناس شأنا عظيما فى حال الاسلام والمسلمين فهم منهما بمنزلة القلب من الجسد اذا صلح صلحت واذا فسد فسدت وهذا هو السبب فى شدة عناية الشيخ محمد عبده بأمر الازهر وسعيه في اصلاحه واحتمال الشدائد فى هذه السبيل على أنه فى بلاد لاتعرف قيمة سعيه حق المعرفة وان كان لا يفوق احترامه فيها احترام أحد

الكتاب مطبوع طبعا نظيفا وثمن النسخة منه أربعة قروش وأجرة البريد قرش واحد وهو يطلب من ادارة مجلة المنار ومن مكتبة هندية والمعارف والهلال وغيرها وقد أبيح لادارة المنار أن تبيعه من الازهريين خاصة بثلاثة قروش صحيحة ولاشك في انه سيصادف رواجا عظيما لما فيه من الفوائد العظيمة

﴿ كتاب زهر الربيع * في المعاني والبيان والبديع ﴾

كان الشيخ أحمد الحملاوي مدرسا في مدرسة دار العلوم فطلب منه ناظرها أن يؤلف كتاباً في البلاغة خالياً من الحشو والتعقيد جامعاً للقواعد والمسائل المهمة فى الفنون الثلاثة فبدأ بوضع هذا الكتاب وحال دون اتمامه نقله الى مدرسة المنصورة ثم أتم تأليفه فى سنة ١٣٢٠ وكان عين ناظر المدرسة عثمان باشا ماهر وقد طبعه فى هذا العام بالمطبعة الاميرية فكانت صفحاته ٢٣٧ واننا لكثرة الشواغل فى هذا الصيف لا نرجو أن نجد وقتاً نطالع فيه بعض أبواب الكتاب لنبين مكانته من سائر كتب البلاغة التي هي على نسقه في سرد المسائل مع أمثلتها ولكن مزاولة المؤلف للتعليم فى المدارس الاميرية بعد تعلمه فيها وفي الازهر مما يرجح كون الكتاب مختصرا مفيداً سهلا نافعا ان شاء الله تعالى

﴿ تاريخ دول العرب والاسلام ﴾

سبق لنا تقريظ الجزء الاول من هذا الكتاب فى المجلد الاول من المنار ويسرنا أن مؤلفه محمد طلعت بك حرب قد أعاد طبعه فى هذا العام لان نسخه الاولى قد نفدت وانه قد شمر عن ساعد الهمة لاتمام تأليف الكتاب وطبعه • ونعيد التذكير بمباحث الجزء الاول وهو مؤلف من تمهيد وثلاثة أبواب في كل باب منها فصول • فالتمهيد

في حدود بلاد العرب ومواطنها وحاصلاتها ومناخها ومساحة الجزيرة وتشوف الافرنج اليها والباب الاول فيما كانت عليه العرب قبل الاسلام وفيه مباحث في طبائع العرب وأحوالها وصفاتها واقضيتها وحكوماتها وأحكامها وحروبها وفي الزواج والطلاق والاعتقادات والخرافات واللغة والشعر والشعراء والاسواق والمعارف والكتابة والصناعة والتجارة والنقود والمسكوكات والموازين ، والفصل الثاني في العرب البائدة والثالث والرابع في العرب الباقية ، والباب الثاني في العرب بعد الاسلام وفيه فصلان الاول في الوحي والدعوة والهجرة وملخص السيرة النبوية والثاني في القرآن والاسلام وهو مختتم بفصل نفيس من رسالة التوحيد للاستاذ الامام ، والكتاب يطلب من مؤلفه ومن ادارة مجلة المنار وثمنه ثمانية قروش صاغ

﴿ الروزنامة التونسية ﴾

محمد ابن الخوجه رئيس قلم المحاسبة بوزارة تونس من سروات التونسيين وفضلائهم وهو يضع تقويماً سنوياً يسميه الروزنامة التونسية وسنة ١٣٢٣ هي السنة الخامسة لهذا التقويم وقد زادت صفحاته فيها على خمس مئة صفحة من القطع المتوسط والكلام فيه على خمسة أقسام فلكي وأدبي وسياسي واداري وتجاري ، وقد ذكر في القسم الادبي من هذه السنة زيارة رئيس جمهورية فرنسا لتونس سنة ١٣٢١ وزيارة باي تونس لباريس ١٣٢٢ وما لقيه كل واحد من الاحتفال والحفاوة وتاريخ نشأة العلائق بين فرنسا وتونس ، وذكر من القسم السياسي نظام الحماية في تونس والقواعد النظامية فيها ودوائر الحكومة وكبار عمالها ورجالها ، وتكلم في القسم الاداري على الوزارة والكتابة العامة والادارة والمجالس الشرعية وجامع الزيتونة الاعظم والجمعية الخلدونية وغيرها من الجمعيات وعلى المدارس والمستشفيات والمجالس والمصالح الكثيرة والمعارف وجيش الاحتلال والبحرية الفرنسية والمذاهب والملل وغير ذلك ، فهذه الروزنامة تاريخ رسمي أو شبه رسمي لتلك المملكة لا يستغني عنه محب التاريخ وثمنها في تونس خمسة فرنكات وأجرة البريد فرنك واحد

﴿ تذكار المهاجر ﴾

ديوان شعر لقيصر افندي ابراهيم معلوف اللبناني نظمه في مهاجره بالبرازيل

أيام كان مشتغلا بجريدة ("برازيل) العربية كتابة وادارة وكان ينشر ما ينظمه في جريدته وبعد أن ترك الجريدة وانصرف الى الاشتغال بالتجارة جمع تلك القصائد والمقاطيع وطبعها في ديوان سماه تذكار المهاجر وقد تفضل علينا باهداء نسخة منه كتب عليها بخطه هذين البيتين بعد ذكر الاهداء الى المجلة

لما رأيتك للمعارف ناشرا ‏ ‏ وبكرمة الآداب أفضل عامل
أهديت ديواني اليك راجياً ‏ ‏ منك التشرف بانتقاد عادل

وقد كان هذان البيتان سبباً في ارجاء تقريظ الديوان الى هذا اليوم لانا كنا ننتظر فرصة نقرأه فيها بامعان وتنظر فيه نظر الناقد حتى سنحت لنا الفرصة في الاسبوع الماضي إذ سافرنا الى الاسكندرية فجعلنا الديوان رفيق الطريق فقرأنا مقدمته وكثيرا من قصائده ومقاطيعه فتجلت علينا روح الناظم في جلباب من الظرف والاطف والاخلاص يعز على من تجلت عليه فيه ان ينظر الى أثرها بعين الانتقاد ، دون عين الحب والوداد ، فأنا أخطب وداده على البعد وأرغب اليه أن يعفيني من نظارة النقد ، وان كان لا يقبل من المجلة التي وصفها بالحرية هذا العذر ، فليأذن لي بأن أفرض لها النقد وأفرض على نفسي العذر ، تقول المجلة ان هذا الشعر لم يجر على أساليب فحول شعراء العرب الجاهليين أو المخضرمين أو المولدين وأقول لو عني الناظم باحتذاء مثال أولئك الفحول لما راقوله على افهام أكثر قراء جريدته لانهم من المهاجرين الى أمريكا لاجل التجارة والكسب وأكثر القارئين منهم لم يتعلموا غير مبادىء القراءة والكتابة فهم لا يفهمون شعر بشار بن برد وأبي نواس ولا شعر البحتري وأبي تمام وانما عني الناظم بما نظم لاجلهم لا لاجل أولئك المعاصرين ، فلمثل من ذكرنا من القرميين ، وتقول المجلة ان في الديوان كثيرا من الالفاظ والاساليب العامية كان للناظم مندوحة عنها وأقول ان أكثر الكتاب والشعراء المعاصرين يستعمل مثل ذلك لا سيما كتاب الجرائد وأكثرهم يخطىء وهو يظن انه مصيب وصاحبنا يمتاز بانه عالم أن شعره لم يسلم من ذلك الخطأ وقد اعتذر عنه في الصفحة الثالثة عشرة من المقدمة بأنه نظم ما نظم بعيدا في بلاد بعيدة عن بلاغة اللغة العربية وأساليبها الشعرية وكتبها اللغوية الخ ما قاله ، ثم ان هذا الديوان يمتاز على الدواوين التي وضعت لجمهور أهل هذا العصر بأنه لا يختص بالمدح والنسيب والرثاء والهجو بل جال

فيه الناظم في المسائل الاجتماعية والموضوعات الادبية وهو بداية نظمه فعسى أن نرى في الجزء الثاني من ديوانه ماهو أرقى معنى وأسلوباً

(نظرة في المبارزة)

رسالة وجيزة في المبارزة التي اعتادها الافرنج ومن يقتدي بهم من الشرقيين كتبها سليم افندي عواد بين فيها أنواع المبارزة وتاريخها وحكمها في قوانين الدول الاوربية واليابان والولايات المتحدة وهي تطلب من مكاتب الاسكندرية وثمنها قرش صحيح



أنباء سوريا المزعجة – الدولة والرعية

قد تبين أن حكومة (المابين الهمايوني) في خوف ووجل من سوريا ان تخرج عليها كاليمن أو مع اليمن، وسوريا أبعد بلادها عن هذا العمل وعن التفكر فيه ولكن المابين قد صدق فيها تقارير الجواسيس والمفسدين وأقوال الشاغبين المحتالين الذين يخوفون المابين بما يكتبون من الرسائل والكتب في الدعوة الى الاستقلال وزاد الطين بلة ماتكتبه الجرائد الاوربية في هذه الايام عن ثورة اليمن مدعية انها ثورة مدبرة لها انصار ودعاة في الحجاز وسوريا وسائر البلاد العربية وكل ذلك اكاذيب يبغون بها الفتنة وإغراء الحكومة العثمانية برعيتها لينفق المسلمون أنفسهم بأيديهم

صدق المابين كل ذلك. فأمر الولاة والمتصرفين بالاغارة على بيوت من يظن أن عندهم كتباً أو جرائد أو رسائل من مصر وأخذ كل ماوجد في تلك البيوت وقراءته كلمة كلمة ومحاسبة أصحابه على كل مايشم منه رائحة الشبهة وقد ذكرنا في الجزء الماضي بعض هذه الحوادث ثم جاءتنا الجوائب بعده بأنه قد جاء إلى بيروت لجنة عسكرية ملكية أرسلها السلطان من الاستانة لتتولى التحقيق في هذه الامور المهمة ولا تدع بيتاً من بيوت الكبراء الا وتفتشه وقد كان من أوائل عملها الاحاطة بدار عباس افندي رئيس ملة البابية في عكا ودار الفريق رمزي باشا وغيرها وأخذ ما فيها من

الاوراق والكتب المشتبه فيها . وقد فعل متصرف طرابلس مثل ذلك بيت عبد اللطيف افندي الفلاييني وبيوت أخرى . وفتشوا في حمص بيت (قائمقام) نقيب الاشراف ولايزال الهجوم على البيوت مستمراً في كل مكان

وقد بلغنا ان الكتب التي أخذت في بيروت من المكتبة الانسية ومن مطبعة الاقبال قد اعتبرت من النوع الذي يسمى غير لائق وانها حولت الى المدلية وانه ورد نبأ برقي من الاستانة الى بيروت بوجوب العناية والتشديد في شأن ضبط كتب ابي الهدى افندي التي وجدت في مطبعة الاقبال

وإن للحكومة في الكتب والاوراق والجرائد تقسيماً غريباً فمنه مايسمونه الاوراق المضرة والعقوبة عليه شديدة جداً ومنه مايسمونه الاوراق الممنوعة وهو أعم من المضرة اذا أطلق يراد بالعام ماوراء الخاص والعقوبة عليه اخف ومنه مايسمونه غير لائق وهو أهون عندهم . ومن البلاء أن الرعية لاتعرف شيئاً من حدود هذه الاقسام ورسومها فقد صار مالم يكن ممنوعاً من قبل من الممنوع أو الضارّ والناس لايشعرون . نوقش عبد اللطيف افندي الفلاييني الحساب أن وجد عنده نسخ من مجلة نور الاسلام الدينية التي كانت تنشر في الزقازيق وكان عبد اللطيف افندي وكيلا لها في طرابلس لم يخرج من ذلك لانها كانت ترد اليه في البريد العثماني وعمال البريد هم العالمون بالممنوع من الكتب لانهم يؤمرون بامساكه وعدم إيصاله الى أربابه

ولو كانت سوريا مستعدة للخروج على الدولة لاينقصها الا الحوادث التي تؤلم الجمهور وتجمع الكلمة لخشي أن تكون هذه الاعمال هي السبب في الثورة والخروج ولكننا نعلم علم اليقين ان سوريا غير مستعدة لذلك وستعلم ذلك الدولة بعد هذا التحقيق والتدقيق فتعلم أنها آلمت الناس وظلمتهم وذكرتهم بما لم يكن يخطر على بال أحد منهم

وأما الذين يكتبون في ذلك مايكتبون من المنشورات والمقالات في جرائد البلاد الحرة فلا غرض لهم الا ابتزاز المال أو الرتب والاوسمة من الدولة كما بينا ذلك مراراً وانه ليؤلم العثماني الغيور ان يرى الانكليز آمنين على سلطتهم في مصر لايبالون بما يقال ولا بما يكتب حتى انهم يعتقدون انه لم يبق لهم حاجة بجيش الاحتلال القليل

الباقي في البلاد ويرى دولته في وجل شديد من رعيتها فتداوي هذا الوجل بالتشديد والقوة وهو دواء غريب في بابه فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

ومن أعجب ما يتناقله الناس ، مما يوسوس به في هذا الباب الخناس ، خوف المابين من مصر والمصريين عامة ، والاستاذ الامام خاصة ، والمصريون أشد من الترك حباً فيه الا افراد تعلموا السعاية والتجسس من الاستانة وكل المصريين يمقتونهم والاستاذ الامام مشغول عن هذه السخافات بخدمة مصر والاسلام ، وهو يعتقد ان السعي من جهة السياسة ، لا يأتي الا بالخيبة والتعاسة ، فهو يرى الكلام في السلطة والخلافة ، من قبيل اللغو والسخافة ، ومن المضحكات المبكيات ان حكومة بيروت ظلت ثمانية أيام تفتش في الساحل وتجسس في البيوت املها تعثر على الشيخ محمد عبده لاعتقادها انه جاء بيروت مستخفياً وأنزلته الباخرة الخديوية في جبهة رأس بيروت وانه سيتولى زعامة قلب السلطة في سوريا بنفسه والرجل مريض لا يقدر على مفارقة سريره الذي ترفرف عليه قلوب العقلاء والفضلاء مشفقة أن يخترمه حكم القضاء ، فتحبط أعمال ، وتتقطع آمال ، ويخشى من سوء المآل ، هذه حال الرجل هنا وتلك حال الحكومة العثمانية هناك ولم يتفق عليها رئيس الجواسيس الذين شغلوها فيكاشفها بالحقيقة التي تسكن روعها ، وترأب صدعها

قلنا ان ذلك الخوف من اعجب ما ينقل وما هو بالعجيب ولا بالاعجب فان الدول في مثل هذا الطور الذي وصلت اليه دولتنا أصلحها الله تعالى تبني أكبر من هذا البناء على أساس أوهن من هذا الاساس ، بل يدل الحكم المطلق في طور الحياة والقوة مثل هذه الفعال ، ويفتك بحكم الوشاية بأعظم الرجال ، ألم يأتك نبأ موسى بن نصير في الاندلس وكيف فتح البلاد وكيف ساسه ابنه عبد العزيز أحسن سياسة ثم كيف كافأه سليمان بن عبد الملك بانتزاعه وولده عبد الله من السلطة ، وقتل ولده عبد العزيز غيلة ، سمع وشاية المفسدين فيه فأوعز الى من قتله وهو يصلي بالناس صلاة الفجر كما قتل الامام العادل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وانا نقص على القراء ما دار بين سليمان وموسى ليعلموا كيف ظهر لسليمان خطأه ويعتبروا بذلك ، قال ابن قتيبة في كتاب الامامة والسياسة :

قدوم رأس عبد العزيز بن موسى على سليمان

وذكروا أن سليمان لما ظن ان القوم قد دخلوا الاندلس وفعلوا ما كتب به اليهم عزل عبد الله بن موسى عن أفريقية وطنجة والسوس في آخر سنة ثمان وتسعين في ذي الحجة وأقبل هؤلاء حتى قدموا على سليمان وموسى بن نصير لا يشعر بقتل عبد العزيز ابنه فلما دخلوا على سليمان ووضع الرأس بين يديه بعث الى موسى فأتاه فلما جلس وراء القوم قال له سليمان: أتعرف هذا الرأس يا موسى؟ قال نعم هذا رأس عبد العزيز بن موسى: فقام الوفد فتكلموا بما تكلموا به، ثم ان موسى قام فحمد الله ثم قال وهذا رأس عبد العزيز بين يديك يا أمير المؤمنين فرحمة الله عليه فلعمر الله ما علمته نهاره الا صواما وليله الا قواما، شديد الحب لله ولرسوله، بعيد الاثر في سبيله، حسن الطاعة لامير المؤمنين، شديد الرأفة بمن وليه من المسلمين، فان يك عبد العزيز قضى نحبه، فغفر الله له ذنبه، فوالله ما كان بالحياة شحيحا، ولا من الموت هائبا، وليعز على عبد الملك وعبد العزيز والوليد أن يصرعوه هذا المصرع، ويفعلوا به ما أراك تفعل، ولهو كان أعظم رغبة فيه وأعلم بنصيحة أبيه، أن يسمعوا فيه كاذبات الاقاويل، ويفعلوا به هذه الافاعيل، : فرد سليمان عليه قال بل إنك المارق من الدين، والشاق عصا المسلمين، المنابذ لامير المؤمنين، فهلا أيها الشيخ الخرف: فقال موسى: والله ما بي من خرف، ولا أنا عن الحق بذي جنف، ولن ترد محاورة الكلام، مواضع الحمام، أنا أقول كما قال العبد الصالح، فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون، فتأذن في رأسه يا أمير المؤمنين: واغرورقت عيناه فقال له سليمان نعم خذه فقام موسى فأخذه وجعله في طرف قميصه الذي كان عليه ثم أدبر في السماطين فوقع الطرف الآخر عن منكبيه وهو يجره لا يحفل به ولا يرفعه فقال له خالد بن الريان ارفع ثوبك يا ابن نصير فالتفت موسى وقال ما أنت وذاك يا خالد: قال سليمان دعه حسبه ما فعلنا به، فلما توارى موسى قال سليمان انذفى الشيخ لبقية بعد، ثم ان موسى التفت الى حبيب بن أبي عبيدة (قاتل ابنه) فكلمه بكلام غليظ حتى ذكر أمرا خفيا من نسبه فأفحمه

ثم أن سليمان كشف عن أمر عبد العزيز فألفى ذلك باطلا وأن عبد العزيز لم يزل صحيح الطاعة مستقيم الطريقة فلما تحقق عند سليمان باطل ما رفع اليه عن عبد

العزيز ندم وأمر بالوفد فأخرجوا ولم ينظر في شيء من حوائجهم وأهدر موسى بقية القضية التي كان قاضاه عليها وكان سليمان قد آلى قبل خلافته لئن ظفر بالحجاج ابن يوسف وموسى بن نصير ليعزلنهما ثم لا يليان منه من أمور الناس شيئاً فلما رضي عن موسى جعل يقول: ماندمت على شيء ندامتي ان لا كنت خلوا من اليمين على موسى فأن لأوليه شيئاً، مامثل موسى استغنى عنه ا هـ ثم ذكر شيئاً من خبر موسى مع سليمان

وانظر الفرق العظيم بين عصرنا وعصر بني أمية الذي مازلنا نشكو منه اذهم الذين حولوا الحكومة الاسلامية الى ما يسمى في عرف السياسيين اليوم بالسلطة المطلقة فقد بين موسى للملك خطأه ولما ظهر ذلك لسليمان بن عبد الملك ندم على مافعل بالرجل وولديه ولم يكافئ الذين امتثلوا أمره بالظلم الا بالاعراض عنهم فليت حكامنا في هذا العصر يرجعون عن خطأهم اذا ظهر لهم ويعرضون عمن شايعهم على الظلم ولا يشركونه معهم في رأي ولا حكم • وفي القصة عبرة بصبر موسى بن نصير عند ماقوبل برأس ولده بين يديه وولده من يحزن على مثله الغريب لفضله وشجاعته وحسن ادارته وسياسته وانما في هذا المقام نذكر شيئاً من خبر موسى إلماماً للعبرة وليتذكر ناشئة عصرنا شيئاً من تاريخ سلفهم الذين فتحوا البلاد وأحسنوا فيها السياسة وأقاموا العدل على أنهم لم يعرفوا من علوم السياسة والقضاء والادارة بعض مايعرف اليوم بعض الخائنين المحتالين على سلب الاموال واضاعة الحقوق ونصر الاباطيل أو الموظفين الذين تشكو منهم السماء والارض أو بعض الذين يسمونهم (متربين) لانهم تعلموا في أوربا وهم الذين أفسدوا أخلاق أمتهم وأغروها بالخمور والفجور والقمار وغير ذلك من أسباب الدمار حتى فسد بأسها وذهبت سيادتها وانما الفرق بيننا وبين أولئك السلف الحياة الملية والاعتقاد الصحيح والاخلاق العالية

خطبة موسى بن نصير في ذات الجماجم

لما ولي عبد العزيز بن مروان موسى بن نصير أفريقية وعزل حسان بن النعمان الذي ولاه عليها عبد الملك رحل اليها ووافته الجيوش في ذات الجماجم فقام فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إن أمير المؤمنين أصلحه الله رأى رأياً في حسان بن النعمان فولاه ثم كره وجهه أمراً عليكم وانما الرجل في الناس بما أظهر

والرأي فيما أقبل وليس فيما أدبر . فلما قدم حسان بن النعمان على عبد العزيز أكرمه الله كفر النعمة وضيع الشكر ونازع الامر أهله فغير الله مابه . وانما الامير أصلحه الله صنو أمير المؤمنين وشريكه ومن لا يتهم في عزمه ورأيه وقد عزل حسان عنكم وولاني مكانه عليكم ولم يأل أن أجهد نفسه في اختيار لكم وانما أنا رجل كأحدكم فمن رأى مني حسنة فليحمد الله وليحض على مثلها ومن رأى مني سيئة فلينكرها فاني اخطئ كما تخطئون وأصيب كما تصيبون وقد أمر الامير أكرمه الله لكم بعطايا ثم وتضعيفها ثلاثاً نخذوها هنيئاً مريئاً ومن كان له حاجة فليرفعها الينا وله عندنا قضاؤها على ماعز وهان من المواساة ان شاء الله ولا حول ولا قوة الا بالله .

﴿ خطبة موسى بأفريقية ﴾

وذكروا ان موسى لما قدم افريقية ونظر الى حبالها والى ماحولها جمع الناس ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس انما كان قبلي على أفريقية أحد رجلين مسالم يحب العافية ويرضى بالدون من العطية ويكره ان يكلم ويحب أن يسلم أو رجل ضعيف العقيدة قليل المعرفة راض بالهوينا . وليس اخو الحرب الامن اكتحل السهر . وأحسن النظر . وخاض الغمر . وسمت به همته ولم يرض بالدون من الغنم لينجو ويسلم . دون ان يكلم أو يكلم . ويبلغ النفس عذرها في غير خرق يريده ولا عنف يقاسيه متوكلا في حزمه حازماً في عزمه . مستزيداً في علمه . مستشيراً لاهل الرأي في احكام رأيه . مستحكما تجاربه . ليس بالمتجابن اقداماً . ولا بالمتخاذل احجاماً . ان ظفر لم يزده الظفر الا حذراً . وان نكب اظهر جلادة وصبراً . راجياً من الله حسن العاقبة فذكر بها المؤمنين ورجاهم اياها لقول الله تعالى (ان العاقبة للمتقين) أي الحذرين . وبعد فان كل من كان قبلي كان يعمد الى العدو الاقصى . ويترك عدواً منه أدنى ينتهز منه الفرصة . ويدله على العورة . ويكون عوناً عليه عند النكبة . وايم الله لا اريم هذه القلاع والجبال الممتنعة حتى يضع الله ارفعها . ويذل امنعها . ويفتحها على المسلمين بعضها او جميعها أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين

(المنار) لا يخفى ظان أن هذا الكلام صادر عن تصورات وخيالات لا أثر لها في النفس ولا يشهد لها من قائلها العمل كما يعلمون عن بعض خطباء هذا العصر وكتابه

الذين يقتبسون أقوال الناس ويختلقون عبارات ثم يؤلفون ذلك على الصورة التي يظنون انها تسر الناس وتطلق السنتهم بالثناء عليهم ويسمون ذلك خطبة اومقالة. كلا ان موسى هو فاتح بلاد المغرب وبلاد الاندلس ومؤسس الحكومة الاسلامية فيهما فعمله خير من قوله واخلاقه وآدابه مصدر اعماله ولا مرشد له في ذلك الا الدين المبين وقد سأله سليمان بن عبد الملك اسئلة عن سيرته في حربه فأجابه بما يدل على فراسته وبعد نظره وسعة اختباره وقوة دينه

قال له سليمان ما الذي كنت تفزع اليه في مكان حربك من امور عدوك؟ قال التوكل والدعاء الى الله ياامير المؤمنين. قال سليمان هل كنت تتحرز في الحصون والخنادق اوكنت تخندق حولك؟ قال كل هـذا لم افعله؟ قال فما كنت تفعل؟ قال كنت انزل السهل، واستشعر الخوف والصبر، واتحصن بالسيف والمغفر، واستعين بالله وارغب اليه في النصر؟ قال سليمان فمن كان من العرب فرسانك؟ قال حمير: قال فأي الخيل رايت في تلك البلاد أصبر؟ قال شقرها: قال فأي الامم كانوا اشد قتالا؟ قال انهم ياامير المؤمنين اكثر مما اصفهم: قال له اخبرني عن الروم قال اسود في حصونهم عقبان على خيولهم نساء في مواكبهم ان رأوا فرصة افترصوها وان خافوا غلبة فأوعال ترقل في الجبال لايرون عارا في هزيمة تكون لهم منجاة: قال فأخبرني عن البربر قال هم ياامير المؤمنين اشبه العجم بالعرب لقاء ونجدة وصبرا وفروسية وسماحة وبادية غير انهم ياامير المؤمنين غدر. قال فأخبرني عن الاشبان (اهل اسبانيا) قال ملوك مترفون، وفرسان لايجبنون. قال فأخبرني عن الافرنج قال هنالك ياامير المؤمنين العدد والعدة والجلد والشدة، وبين ذلك امم كثيرة منهم العزيز ومنهم الذليل، وكلا قد لقيت بشكله فمنهم المصالح ومنهم المحارب المقهور، والعزيز الذوخ. قال فأخبرني كيف كانت الحرب بينك وبينهم أكانت عقبا؟ قال لا ياامير المؤمنين ماهزمت لي راية قط ولا فض لي جمع ولا نكب المسلمون معي نكبة منذ اقتحمت الاربعين الى ان شارفت الثمانين: قال فضحك سليمان وقال فأين الراية التي جاءتنا يوم مرج راهط مع الضحاك؟ قال تلك ياامير المؤمنين زبيرية وانما عنيت المروانية: قال صدقت وأعجبه كلامه

فليتأمل قومنا اليوم بسيرة سلفهم ولينظر المتنزعون في آرائهم وليقيسوا انفسهم

بهم ليعلموا هل صاروا بمدهم الى تدل وسقوط، ام الى رفعة وصعود، اللهم انهم قد ارتقوا في فنون الزينة والتفنن في اللذات الجسدية، غير انهم تدلوا في الاخلاق والمزايا الانسانية، فليحاسبوا أنفسهم ان كانوا يعقلون

اصلاح الطرق الصوفية

(مقالة ارسلها شيخ مشايخ الطرق الى جريدة المؤيد و نقلناها عنها)

من أهم الاشياء التي كان العقلاء يطلبون المبادرة باصلاحها في الطرق الصوفية الامور التي لها مظاهر عمومية والتي لا تحصل بين طائفة من الصوفية او بين الرجل منهم ونفسه بل يشترك في رؤيتها والتأثر منها الصوفي وغيره والوطني والاجنبي معاً وهذه الامور أهمها

١ — المواكب التي كان يراها الناس كل يوم في أزقة المدن وطرقات القرى وبلدان الارياف وما يتخلل الكثير منها من المنكرات كالموكب الاحمدي وغيره ٠٠ وكانت في الاصل موعداً سنوياً لاجتماع رجال الطريقة أو الطرق ثم صارت الى هذه الحالة السيئة

٢ — اجتراء البعض على تقليد احتفالات دينية في مكان عمومي أو مجتمع عمومي بقصد أن يتفرج عليه الحضور كما وقع كثيراً امام السياح وفي بعض منازل الافرنج في مصر

٣ — الموالد التي تقام وما يصاحبها ويتخللها من الامور التي تخالف الآداب الشرعية وينعكس به الغرض الخيري الموضوع له المولد بالمرة

٤ — والثالث الاذكار التي يقيمها الصوفية في كل محل وناد وكثير منها مباين بالمرة للذكر الشرعي المندوب اليه في الكتاب والسنة وهو توجه المرء الى الله تعالى سواء نطق باسمه الكريم أو لم ينطق قائماً كان او قاعدا قال تعالى (واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين) وقال تعالى (فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياماً وقعودا وعلى جنوبكم)

فمن الامر الاول كتبت لعطوفة رئيس الداخلية وقد تفضل حبا منه بالنافع من الامر وعمل منشورا هذا نصه

نظارة الداخلية منشور نمرة (٨٠) بتاريخ ١١ مايو سنة ١٩٠٥ بعدم عمل مواكب

صوفية الا باذن من مشيخة الطرق

طلب سماحة شيخ مشايخ الطرق الصوفية بمكتوبه هذا رقم ٢٧ ابريل سنة ١٩٠٥ نمرة ٩٩ انفاذ ما قرره المجلس الصوفي من منع عمل المواكب باسم الصوفية في القاهرة والاقاليم الا باذن من المشيخة لاجل مراقبة ومنع ما يتخللها من الامور المغايرة للآداب وحيث انناري موافقة ذلك فأ كدوا باجراء ايجابه بانحاء جهتكم ومرسل بهذا عدد ( ) من نسخ هذا المنشور لتوزيعها على الفروع التابعة اليكم

سماحتلو حضرة شيخ مشايخ الطرق الصوفية

هذا صورة ما كتب للمديريات والمحافظات بناء على طلب سماحتكم بشأن المواكب التي باسم الصوفية وتأمل أن لا يعطى الاذن بعملها الا لمن يتحقق أنه ممن يحافظون على الآداب تمام المحافظة ولا يقدم على شيء مخل بها افندم ناظر الداخلية

تحريراً في ١١ مايو سنه ١٩٠٥ مصطفى فهمي

ومن تنفيذ هذا تماما امتنع كل هذه الوثبات المرذولة وأبطلت المواكب الا ما كان ضرورة كالمواكب التي تحصل في المولد النبوي وغيره مع مراعاة الآداب التامة

وعن الامر الثاني ، عند تعديل قانون العقوبات المصري في سنة ١٩٠٤ تكلمت مع اللجنة المكلفة بدرسه في مجلس الشورى في وضع مادة لمنع ذلك فوضعتها في ضمن المادة ٣٣٩ وجعلت العقوبة المجعولة عليها هي الحبس مدة لاتزيد عن سنة أو غرامة لاتتجاوز الخمسين جنيهاً مصرياً

والسبب في وضع ذلك في قانون العقوبات أن من يفعل ذلك قد لايكون من رجال الصوفية فلا يمكن اجراء العقوبات الصوفية عليه

فاذا أنفذ رجال البوليس هذه المادة والمنشور السابق ذكره حق تنفيذها امتنع حصول هذه المنكرات من الآن تماماً

وعن الامر الثالث ، وجد أنه لو قيد عدم عمل أي مولد الا برخصة من المشيخة العمومية كان في ذلك تضييق وصعوبة على الناس ، ولكن وضعت مادة خصوصية لذلك في لائحة الصوفية الداخلية وهي المادة السادسة من الباب الخامس قيل فيها (ويشترط أن لا يجاور مكان المولد شيء مما ينافي الآداب الشرعية كالالعاب والسخريات ونحوها) وكان المولد النبوي في مصر في هذا العام والعام الماضي مثالا لذلك

وتنفيذ هذا الامر منوط بوكلاء المشيخة في الجهات وبالرأي العام فحيثما وجد شيء مغاير لذلك فله أن يحيط المشيخة العمومية علماً به وهي تجري ما يلزم حالا »

وعن الامر الرابع « اشترط في المادة الثانية من الباب الخامس من اللائحة الداخلية الصوفية أن يبعد عن الطرق كل من أقام الذكر بهيئة مخلة للآداب الشرعية كالتمايل المشبه للرقص والتخبط ونحوه وتنفيذ ذلك يكون بمثل تنفيذ الامر المتقدم تماماً » اه

(المنار) يعلم القراء اننا أنشأنا نطالب بإصلاح أهل الطرق منذ أنشأنا المنار وقبل إنشائه كنا نطالب شيخ مشايخ الطرق في مصر بذلك وقد ذكرنا في المنار منذ سنين انه وعدنا بذلك مراراً وهذا الاصلاح الذي كتب الآن لا يغني فتيلا فأما جعل الاحتفالات بإذن شيخ المشايخ في القاهرة ووكلائه في سائر بلاد القطر فليس بالامر المهم بل خاض الناس وبعض الجرائد في ذلك وقالوا ان الاذن لا يعطى الا لمن يدفع مبلغاً من المال وأما وضع القانون العقوبة على الامر الثاني فهو يجعله كسائر ما يعاقب عليه لا يأتيه الا من أمن العقوبة وما هو من جوهر الطريق وانما هو من اهاته والامر المهم ما قاله شيخ المشايخ انه منعه في اللائحة التي وضعها لمشيخة الطرق ويظهر من عبارته انه في ريب من تنفيذها بل هو معتقد أنها لا تنفذ لانه ناطها برأي وكلائه والجماهير على أن الجماهير كوكلائه جاهلون يرغبون في هذه البدع « لم لا » مرادق الرقص « أ » كواخ الزنا قد منعت من المولد النبوي كما منعت قبله من مولد الدمرداش . لكن لا يزال الذكر في المولد على ما ينكر شيخ المشايخ وهو بين يديه وخلفه وعن يمينه وشماله وفي داره أيضاً وقد كان الفحش والزنا وغيرهما من المنكرات في مولد السيد البدوي أعم وأكثر في هذا العام منهما في الاعوام السابقة وكتب في ذلك كثير من الجرائد فلم تبال مشيخة الطرق بذلك ولم تسع الى منعه ولا الى النهي عنه فلعلنا نجد من شيخ المشايخ همة عملية في ازالة هذه البدع من مدنكون بدايتها ابطال الاغاني الغرامية والرقص والتمايل بالذكر من داره في رمضان ويليه بين لنا وجه الضرورة في المواكب التي تعرض أمامه في المولد النبوي المقدر على إقامتها

مرض الاستاذ الامام

لقد مرض استاذنا منذ أشهر مرضاً كنا نظن أنه من الاعراض الهينة التي

كانت لعتاده ولكن طال الزمان ورأينا كل من عرض عليه من الاطباء ينهاه عن الاعمال العقلية واجهاد الفكر ويأمره بالحمية والراحة التامة وهو لايزداد الا اجهادا لنفسه وجهادا لامته وكان موضع المرض المعدة والامعاء فانتقل الى الكبد فاختلف الاطباء حينئذ بين قائل ان المعدة هي الاصل والكبد تأثرت منها وقائل ان الكبد بتمددها تضغط على المعدة فتمنعها من وظيفتها واجمعوا على اختلافهم في أي العضوين هو الاصل على وجوب ترك العمل بتاتاً والتعجيل بالسفر الى أوربا وكل منهم أشار بترجيح بلاده واختيار أطبائها فرضي الاستاذ بالسفر ولكن لم يرض القدر اذ كانت السفن الدورية التي تنقل الناس الى أوربا لاتقبل زيادة على من سبق الى أخذ جوازاتها من السائحين والمصطافين الى ١٤ من الشهر الافرنجي الماضي (يونيو) فأخذ جوازا وصبر عن السفر ولكنه لم يصبر عن العمل كدأبه وعادته فكان يبيت على فراش الآلام ويغدو الى محل عمله فينظر في الفتاوى وفي اعمال مجلس الشورى ومجلس الاوقاف الاعلى واعمال الجمعية الخيرية الاسلامية وأوقاف الحنفية ويشتغل مع العجنقالي برأسها وضع نظام لمدرسة القضاء الشرعي ويحضر امتحان مدرسة دار العلوم وينظر في حاجات العفاة وطلاب المساعدة والشفاعة عند الحكام فيقضي حاجاتهم حتى ثقلت عليه وطأة المرض وعجز عن الخروج واشتدت عليه الآلام حتى كان — والذي خلقه حجة على هذه الامة التي زرئت بالكسل والخمول — يشتغل على فراشه عند سكون نوبة الالم ولم يكن شيء من ذلك الشغل لنفسه ولا لاهله وولده ولكنه للناس، وهل كان الناس يشفقون عليه ادخارا له او تأدبا معه أو عملا بالذوق الذي يفخر به اهل هذا البلد؟ كلا انهم كانوا يكلفونه النهوض بأثقالهم وقوفاً على سريره وهو مضطجع او مستلق عليه وكان يعمل ما قدر ويتذرع عما يعجز طالباً الانظار والامهال الى ان تحسن الحال

جرى على هذه الحال يعمل للناس والمرض يعمل فيه عمله، وينهك قواه ويحلل جسمه، حتى اذا ما دنا موعد سفره رآه بعض الاطباء فقال ان المرض ينذر بالخطر، ولا يجيز له الاقدام على السفر، فجيء بطبيب آخر فقال قولة الاول فكتم هذا القول من عرفه من الاصدقاء وذوي القربى وساروا به في اليوم التالي الى الاسكندرية (١٠ ربيع الآخر) ورآه من ليقته بعض أطبائها فقالوا مثل ما قال الاولان وهو لم يعلم بهذا القول بل قيل

له ان الاطباء قالوا ان جسمك لا يقوى على مشقة سفر البحر فيجب ان تتربص في الاسكندرية لعلك بتغير الهواء تجد قوة تمكنك من السفر وعند ذلك هيأله الصديق الوفي محمد بك راسم دار أخيه في رمل الاسكندرية ونقله اليها

كانت الجرائد اليومية أذاعت خبر سفر الاستاذ الى أوربا ثم ذكرت أنه أرجأ السفر بأمر الاطباء فعلم القاصي والداني من اهل هذا القطر بمرضه وظهر من آيات مكانته في نفوس الناس مالم يكن يعلم كله فكان شغلا شاغلا للعقلاء والفضلاء من جميع الاصناف والطبقات فكان امراء البيت الخديوي ومن حضر من نظار الحكومة لاسيما رئيسهم والقائم مقام الخديوي، وغيرهم من كبراء الامة يترددون على الدار التي يقيم فيها المرة بعد المرة وكان بعض الأمراء يرسلون اليه اطباءهم وكانت الرسائل ترد كل يوم في البرق والبريد من جميع انحاء القطرين — مصر والسودان — تسأل عن صحته وكلما وجد يوماً راحة تبشر الجرائد بها الامة فيصبح الناس مطمئنين فاذا سكتت الجرائد يوماً عن البشارة لجوا في السؤال مستخبرين

أما نحن — معشر اهليه واقرب اصدقائه ومريديه — فاننا نتراوح بين اليأس والرجاء فاذا رأيناه في راحة من الالم يرجح املنا حتى اذا ما تألم عظم خوفنا ووجلنا فمثلنا في ذلك مثل مقياس الحرارة كل يوم في صعود وهبوط بحسب مانرى من حاله ولا غرو فهو كالهواء لحياتنا المعنوية وكالشمس لامتنا المسكينة ونسأل الله تعالى دفع البلاء واللطف في القضاء، وتعجيل الشفاء، انه سميع الدعاء،

اعتذار للقراء الكرام

لا يجهل احد من قراء المنار صلتنا بالاستاذ الامام ولا حاجة لان نقول إن مرضه قد شغلنا عن كل شيء فقد كنا نزوره في مصر كل يوم ونمكث عنده ماشاء الله ان نمكث ولما سافر الى الاسكندرية سافرنا معه واقمنا اياماً رأينا فيها حاله حسنت بعض الحسن فعدنا الى القاهرة وكتبنا بعض الجزء الثامن ثم جئنا الاسكندرية فأقمنا عنده اياماً كان آخرها خيراً من أولها فعدنا الى القاهرة واتممنا الثامن وكتبنا بعض التاسع ثم جئنا الاسكندرية وعدنا مرة بعد مرة ولم نصدر الجزء الثامن لانه لم يتم الا وقد جاء موعد التاسع فعزمنا على إصدارهما معاً وقد مضى على الموعد ايام والعذر ظاهر ولا شك ان تأخير هذين الجزئين يستتبع تأخير ما بعدهما ايضاً وهو تأخير لا يضر لان ما يكتب في

المنار لايخلفه تأخر الزمان لانه ليس من الاخبار الطارئة التي تسبقنا الجرائد اليها فتغني القراء عما نكتبه . وبهذا قد ظهر عذرنا للذين كتبوا الينا من بلاد كثيرة فلم نجبهم واملهم لايضيع عندنا شيء ان شاء الله تعالى

اعذار بعد اعتذار

أخبرنا محصل المنار في القاهرة بأن كثيرا من المشتركين يقولون له انهم يريدون زيارتنا ودفع قيمة الاشتراك في الادارة . فنحن نشكر هؤلاء المحبين رغبتهم في زيارتنا ونحن أشد رغبة في التشرف بزيارتهم ونرجوهم مع ذلك أن يدفعوا الاشتراك للمحصل لتكون الزيارة بيننا ودية أدبية فقط ولكي لايحرم المحصل من أجرة التحصيل منهم اذ ليس له شيء الا على مايحصله بيده فالدفع اليه أحب الينا وأنفع له فلعل اخواننا الكرام يرضوننا جميعاً . ثم إنا نذكر السادة المشتركين في القطر المصري والسودان بأن يتفضل أهل الفضل منهم بإرسال قيمة الاشتراك الينا بالتحويل على البريد ولا يلجئونا الى الكتابة اليهم أو التحويل عليهم ولا شك ان من يرجع الى وجدانه ويفكر فيما نحن فيه من الشواغل يأبى ان يكون مسرعاً وبجعلناه من الشاكرين

رأي غريب في عاقبة السكر

جاء في بعض الجرائد أن بعض حكماء أمريكا يرى ان الناس بعد كذا الفاً من السنين يصيرون كلهم مجانين بتوارث تأثير السكر في دمائهم وأعصابهم فأولاد السكارى دائماً مستعدون للجنون فاذا هم اعتادوا مثله على السكر جاء أولادهم أشد استعداداً له منهم وهكذا يتسلسل نمو الاستعداد للجنون حتى يصير جنوناً في بعض طبقات النسل ولذلك يكثر الجنون في الناس عاماً بعد عام وأكثر ما يصيب السكورين فاذا دام انتشار السكر واقبال الناس على هذه الخمور الكثيرة الانواع فانها يوشك أن تعم البشر بعد ألوف من السنين فيكون كل واحد منهم مستعداً للجنون فيظهر فيهم بالتدريج حتى يتناولهم قول السكر أجمعين

يعد أكثر الناس هذا القول غلوا في المبالغة ولكن لايوجد عاقل عالم ينكر أن السكر يعد النسل للجنون فهل يتمتع بذلك الفساق وعبيد اللذة ويخافون على نسلهم اذ لم يخافوا على أنفسهم من سائر عواقب السكر في الدنيا والآخرة ؟ كلا ان الانسان خلق ضعيفاً لايقوى على مقاومة الشهوة الا اذا أدب تأديباً دينياً من الصغر فانه حينئذ

يرجى له أن يقوى على جند الشهوة المحرمة في الغالب فان غلبته نفسه على الالمام بشيء تذكر الله فلاذ بالتوبة والانابة

لقد ران حب اللذة على العقول فضعف المنكر وختم على القلوب فأماتت شعور الحق والخير وصرف الحواس عن الاعتبار بما ترى وتسمع فكأن هؤلاء المدمنين لا يعقلون ان في المنكر شيئاً من الضرر ولذلك يوجد فيهم من يلزم به أهله وولده ويجبرهم عليه. رأيت في بعض الجرائد أن رجلا من الاغنياء أخذ ولده ليلا الى بعض ملاهي الازبكية حيث المقامرة والسكر فطاف الى الديقاص حتى رأى ولده يوم ما طلباً للنوم فطلب له كاساً من الجعة (البيرة) فأنكره الولد وعافه فألح عليه والده وصبر به حتى شربه بالتدريج وكان ذلك مفتاح الشرور فلم يلبث الولد ازداد الى ذلك حتى اعتاد وانغمس في الفساد وانقطع عن الدرس والمدرسة فيالله ولهذه التربية

آفة هؤلاء الجاهلين الذين سفهوا أنفسهم فساد الدين ومن العجائب أن منهم من يتوهم أن عقله وفكره أرقى من ان يقبل الدين وان المتدينين لا يكونون الا منحطين في مراتب البشرية كأن أعلا مراتب البشرية عند هؤلاء السفهاء ان ينصرف الانسان الى اللذات البهيمية فلا يكون بينه وبين الثور والخنزير والقرد فرق في غير الصورة الجسدية الا بجروحه هو في طاعة شهواته من مقتضى الفطرة والاسراف في كل شيء حتى يكون حرضاً أو يكون من الهالكين ولو صح هذا الرأي لكان البهائم افضل من الناس كما هو ظاهر

﴿ افتخار جريدتي اللواء والعالم الاسلامي بالكذب ﴾

من القواعد المعروفة أن الانسان يتكبر اذا كان يشعر في نفسه بأنه وضيع بين كبراء لا يجاريهم الا اذا تكلف الظهور بمظهرهم لان صفة التكبر تدل على التكلف . ومن لوازم التكبر الكذب في القول ليتم به التكبر بالفعل . وكأن صاحب جريدتي اللواء والعالم الاسلامي على غروره بنفسه يشعر بأن جريدته لا قيمة لها فهو يخترع الرسائل ويدعي أنها جاءته من الهند وجاوه والاستانة وغيرها من البلاد ثم يتبجح ويفتخر بذلك ويدعي ان جريدتيه موضع ثقة الامم والشعوب الاسلامية في العالم الاسلامي ولذلك لا تجد شيئاً من هذا التبجح والتنفج في جريدة يومية أخرى

ولا في جريدة أسبوعية الا أن يكون بعض ما يسمونه في مصر بالجرائد الساقطة فالتيمس والتان ونيويورك هرالد وأمثالها تستحي ان تفتخر ولو بكلمة حق لانها ترى الكمال في ان يفتخر بها الناس لا في أن تفتخر هي بنفسها

وإذا احببت أن ترى شاهداً من شواهد رسائل اللواء المكذوبة فراجع العدد ١٧٥٤ و العدد ١٧٦٢ تجد في الاول منهما مقالة وفي الآخر مقالة أخرى زعم انها جاءته من جاوه تؤيد ما كتبه في العدد ١٧٥٤ من جهة وتستدرك عليه من جهة أخرى وأنت ترى أن مدة ما بين العددين سبعة ايام ففي هذا الاسبوع طار عفريت من الجن بعدد اللواء من القاهرة فقطع البحر الاحمر والمحيط الهندي الى جاوه ثم حمل رسالة من أحد المسلمين هناك وعاد بها الى ادارة اللواء الاغر ولولا هذا العفريت لما وصل اللواء الى جاوه وكتب ذلك الكاتب ووصلت رسالته الى مصر الا في زهاء شهرين من الزمان

يقول الناس في أمثالهم اذا كنت كذوباً فكن ذكوراً » أي لئلا تفتضح عند الناس فتحتقر ولكن صاحب الجريدتين قد أمن من أهل وطنه المحبوب أن يحتقروه مهما قال وفعل فهو مستغن عن تكلف عناء التذكر والتوفيق بين الكذب السابق واللاحق يسهل على اللواء الاغر أن يكذب في يومه على أمسه فكيف يطالب بأن لا يكذب في أسبوع على ما قبله ٠ ورأيت بالمصادفة ما نقله عن جريدة الاهرام في استرجاع شيخ الجامع الازهر لكتابه الذي أرسله الى رئيس النظار ٠ القائم مقام الخديوي ٠ في مسألة أعفاء حفاظ القرآن من الخدمة العسكرية — جريدة الاهرام قالت يوم الجمعة ان شيخ الجامع اقتنع بأن ارسال ذلك الكتاب لم يكن من الصواب فاسترجعه رسمياً وأبطل عدده (نمرته) الرسمي وجريدة اللواء زعمت في يوم السبت التالي لتلك الجمعة ان جريدة الاهرام قالت ان الحكومة كلفت شيخ الجامع بسحب كتابه ولم يكن أحد من الناس نبي ما في جريدة الاهرام لانه لم يمر عليه سوى ليلة واحدة

وكأننا ببعض الذين يعرفون كنه اللواء وصاحبه يعذلوننا على اضاعة نحو صفحتين من المنار في بيان كذبه ولعلهم يرجعون عن عذلهم اذا علموا أننا لا نقصد بهذا الا الرد على الذين أخبرونا بأن اللواء نشر مقالة من جاوه وأخرى من كلكته في ذم المنار وطلبوا منا الرد عليهما ليعلموا أننا لا نثق بما يكتب في هذه الجريدة ولا نقرأه على انه لم يكن في تينك المقالتين الا السب والشتم فلوانهما تضمنتا نقل شيء من المنار والرد عليه لبينا للناس الحق في ذلك

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق)

(مصر – ١٩ جمادى الاولى سنة ١٣٢٣ – ١٩ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٥)

مصاب الاسلام بموت الاستاذ الامام

مات الاستاذ الامام ولو كان كبر النفوس وطهارة الارواح وعلو الهمم مما يحول دون الموت لما مات أبدا ولكن كل حي يموت إلا الحي القيوم «إنا لله وإنا إليه راجعون»

مات الاستاذ الامام فمات ذلك العلم الواسع، والحكمة البالغة، والحجة الناطقة، والمعارف الكونية والالهية، والعلوم الكسبية واللدنية، مع البيان الساحر، والأدب الباهر، والبلاغة التي تملك العقول والقلوب، والفصاحة التي تستهوي الاسماع والنفوس،

مات الاستاذ الامام فماتت تلك الاخلاق القدسية، والشمائل المحمدية، والصدق في القول والعمل، والاخلاص في السر والجهر، والوفاء في القرب والبعد، والسخاء في العسر واليسر، والعفة في الشباب والكهولة، والحلم عند الغيظ والمغاضبة، والعفو مع القدرة على المؤاخذة، والتواضع وخفض الجناح للمخلصين، والشهامة والترفع على المنافقين والمتكبرين، واللين للحق وأهله، والشدة على الباطل وجنده، والشجاعة التي تهابها الأمراء والعظماء، والقناعة التي رفعت رأسه فوق الرؤساء

مات الاستاذ الامام فماتت تلك الاعمال النافعة، والمشروعات الرافعة، والمساعي الجديدة، والوسائل المفيدة، والاجتهاد في ترقية الأمة، والدفاع عن الملة، والدعوة إلى التوحيد والتأليف، والاشتغال بأفضل التعليم والتأديب، والتربية الصحيحة للمريدين، والجمع بين علوم الدنيا والدين، ومواساة البائسين والمعوزين، وكفالة أولاد الفقراء والمساكين،

مات الاستاذ الامام فماتت تلك الآمال البعيدة، والمقاصد المجيدة

التي كانت مطوية في ذلك الجرم الصغير، الذي انطوى فيه العالم الكبير، مات الآمال التي تتضاءل دونها همم الملوك والأمراء، وتتصاغر أمامها نفوس الزعماء والأغنياء، الذين هم عن استعمال مواهبهم مصروفون، وعن الثقة بربهم محجوبون، وعن سنته في خلقه غافلون،

مات الاستاذ الامام فراع موته الناس، من جميع الطوائف والاجناس، فعلم علماء الدين، أنهم فقدوا ركنهم الركين، الذي يحمل عنهم رد الشبهات، وغير ذلك من فروض الكفايات، وعلماء الدنيا، أنهم خسروا ركنهم الاقوى، الذي يدفع عنهم مطاعن المتعصبين، وتكفير الجامدين، ويثبت ان الاسلام جمع بين المصلحتين، ولا يتم ذلك الا بالجمع بين العلمين، وشعر طلاب الاصلاح بأنهم فقدوا إمامهم العظيم، الذي كانت فيه صفات الزعيم، وأحس الفقراء والمساكين، بأنهم رزءوا بكافل اليتامى وغوث العاجزين، ولم يجهل القائمون بالشؤون العامة، شدة وقع هذه الطامة، وانهم نكبوا بصاحب الرأي الثاقب، والعمل النافع، مربي الرأي العام في الشورى والجمعية العمومية، صاحب اليد البيضاء في الاوقاف الاسلامية، المضطلع باصلاح الأزهر والمحاكم الشرعية، الناهض بأعباء الجمعية الخيرية، الموفق بين الحكومة والرعية، واعترف أهل الملل بأن مصابه مصاب الانسانية، والخسارة الكبرى على العلم والمدنية،

مرض هذا البر الرحيم فكان على فراش الموت يسأل عن بعض الضعفاء ويبحث عن مساكن القواعد من النساء، ليواسيهم بالبر ومن وراء الستر، وقال لي ان فلانا الغريب قد انقطع عن السفر بدين عليه، واني مستغن الآن عن مئة جنيه فان كانت كافية ارسلتها اليه، ولكنه غاب

عن الوجود، قبل ان يقضي لبانته من البر والجود،

مرض هذا المصلح العظيم فاضطربت الامة المصرية لمرضه فكانت الدار التي يمرّض فيها كعبة العائدين من العلماء والامراء والوزراء والادباء والفضلاء والفقراء والأغنياء وكان البرق يناجيها كل يوم مع البريد، بالنيابة عن العاجز والبعيد، سائلين عن صحته، أو مهنئين بما يقال عن راحته، فكان يحمد الله ان جعل الدهماء من أمته يعرفون لخادمها خدمته، ويشكرون للعامل لها عمله، ويقول لئن شفيت لاجهدن النفس في خدمتهم اجمعين، حتى أكون حرضا أو أكون من الهالكين،

مرض الاستاذ الامام، فلم يعقه المرض عن خدمة المسلمين والاسلام، واحتضر الاستاذ الامام، وهو يفكر في مصلحة المسلمين والاسلام، ومات الاستاذ الامام، وهو يلتهب غيرة على المسلمين والاسلام،

نقول مات الاستاذ الامام فنبتدىء القول ونعيده فنصر الحس، ونكابر النفس، فقد كادت نحسب ان موته رؤيا منام، وأضغاث أحلام، وماهو الا الحق اليقين، ومصير الاولين والآخرين، « وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون * كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون » مات استاذنا وإمامنا ولك اللهم البقاء فلا تفتنا بعده، ولاتحرمنا أجره، واغفر اللهم لنا وله،

نعم إنه قد مات ولكن لم تمت علومه ومعارفه، ومآثره وعوارفه، فقد ربى أرواحا، واصلح إصلاحا، وألف كتبا، وترك علماء وأدباء وأمات سننا سيئة له أجر إماتتها، وأحيا سننا حسنة له أجرها وأجر من يعمل بها، وعلمنا كيف نفهم القرآن، ونقيم شرائع الاسلام، مع توخي فقه

الناس أجمعين ، والاخلاص لله رب العالمين ،

مات أستاذنا وإمامنا فكبر علينا موته ولكنه رباناعلى الصبر وعلمنا كيف نتعزى عنه حتى في مرض موته ، فقد كان هجيراه في تلك الكربات والسكرات ، كلمة الله التي أمرنا بتكرارها في الصلوات . (الله أكبر) فلئن كان بفضل الله كبيرا فينا فالله أكبر ، ولئن كان مرضه وموته كبيرا علينا فالله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم

لبى دعوة ربه برمل الاسكندرية في الساعة الخامسة بعد الزوال من يوم الثلاثاء ثامن جمادى الاولى فنعاه البرق بآلاته الناطقة والكاتبة الى العاصمة وغيرها من مدن القطر فاضطربت لنعيه القلوب وذرفت العيون واسترجعت الألسنة وحوقلت وطفق الناس يعزي بعضهم بعضا متفقين على ان المصاب به عام ، وأشد وقعه على المسلمين والاسلام ، وما كنت تسمع من القريب والغريب ، والبغيض والحبيب ، والوطني والاجنبي ، والرشيد والغوي ، والعالم والجاهل ، والمفضول والفاضل ، إلا كلمة « خسارة لا تعوض » أو كلمة « عوض الله الأمة به خيرا » أو قول الشاعر

وما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما

أو قول الآخر

ولكن الرزية فقد حر يموت لموته خلق كثير

وقد اجتمع مجلس النظار فقرر ان تحتفل الحكومة رسميا بتشييع جنازته في الاسكندرية ومصر وان تنقل جثته على قطار خاص الى العاصمة ففعلت وشاركتها الأمة وزلاؤها والعلماء بهذا التشييع الذي لم يسبق

مثله لغيره حتى كان يخيل للمشيع انه لم يبق أحد من سكان الاسكندرية ولا من سكان القاهرة الا وقد حضر ليودع هذا الامام الوداع الاخير وقد صلي عليه في الجامع الأزهر ودفن في قرافة المجاورين تغمده الله برحمته ورضوانه ، وأسكنه فسيح جنانه

ولما كان المنار هو الداعي الى الانتفاع بهذا الامام المصلح في حياته ، فجدير به ان يرشد الى الاستفادة بسيرته بعد مماته فلا نطيل في الرثاء والتأبين وان كان بالحق ، ولكننا نقص على القراء ملخص سيرته مع التزام الصدق ، ليظهر لهم كيف تعلم وتربي حتى صار إماما حكيما ، وماذا عمل حتى صار مصلحا عظيما ، وسنضع له تاريخا مطولا نفصل فيه ما أجملناه ونشرح فيه مالخصناه ، ونودعه كثيرا من رسائله ومكاتباته ، وخطبه ومقالاته وما كتب به اليه بعض العلماء والعظماء ، وماقاله فيه نوابغ الكتاب والشعراء ، وما ابنته به الجرائد ، ومارثي به من غرر القصائد ، ونسأل الله تعالى ان يحسن عزاءنا وعزاء الامة فيه ، ويوفقنا في مصابنا لما يحبه سبحانه ويرضيه ،

ملخص سيرة الاستاذ الامام

(اسمه ونسبه ومولده)

هو محمد بن عبده بن حسن خير الله من مديرية البحيرة في القطر المصري . وبيت خير الله تركماني الأصل كما اخبرنا الفقيد رحمه الله تعالى ولا أذكر عنه شيئا من تاريخ قدوم عشيرتهم إلى القطر المصري الا أنهم كانوا يقيمون في الخيام وان علي باشا مبارك أخبره ان عبد اللطيف البغدادي المؤرخ الشهير ذكر في الرحلة الكبرى انه جاء (محلة نصر) ونزل ضيفا في بيت التركماني . وأمه من عشيرة كبيرة في مديرية الغربية تعرف بعائلة عثمان وتنتسب

إلى بني عدي قبيلة سيدنا عمر بن الخطاب ويقال إنها من ذريته. وكان والده شهما شجاعا وقورا سخي النفس وكانت والدته برة رحيمة بالمساكين ذكية الفؤاد شديدة الحياء ولا أبعد إذا قلت ان والديه كانا من أسلم الناس فطرة وأحسنهم خلقا. وكانت هذه الاخلاق فيهما موروثة ومكتسبة بالمعاشرة والقدوة لا بتعلم المدارس ولا بتأديب المعلمين. وهذا أصل عظيم في استعداد الرجل لما وصل اليه من الكمال الذي لم نره ولم نسمع بمثله وقد قال صلى الله عليه وسلم «الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا» رواه البخاري ومسلم

ولد قدس الله تعالى روحه في أواخر سنة خمس وستين أو ست وستين ومئتين وألف من الهجرة الشريفة (روايتان من كتابته) في قرية من قرى مديرية الغربية كان والده هاجر اليها هو وأخوه بنفس فرارا من ظلم حكام مديرية البحيرة في اواخر حكم محمد علي باشا الكبير وكان له قرابة في تلك القرية وفي أثناء إقامته فيها كان يتردد إلى بعض القرى القريبة فيها ويتعارف هو وأهلها فأدى ذلك التعارف إلى المصاهرة اذ تزوج بوالدة الفقيد وهي من قرية تسمى (حصة شبشير) قريبة من مدينة طنطا واقام معها في قرية تسمى (شنرا) الى أواخر مدة عباس باشا الأول والي مصر ثم ألجأته الحوادث بعد ذلك الى الرجوع إلى بلده وهي قرية تسمى (محلة نصر) في البحيرة وفيها نشأ وترعرع

تعلمه وتربيته

نشأ كما ينشأ أمثاله من أبناء البيوت المعروفة في القرى ولم يدخل المكتب لتعلم القراءة والكتابة إلا بعد أن جاوز العاشرة من سنه وقد

كتب هو عن مبدإ تعلمه وتأدبه ما نصه : « تعلمت القراءة والكتابة في منزل والدي ثم انتقلت الى دار حافظ قرآن قرأت عليه وحدي جميع القرآن أول مرة ثم أعدت القراءة حتى أتممت حفظه جميعه في مدة سنتين ادركني في ثانيتهما صبيان من أهل القرية جاءوا من مكتب آخر ليقرؤا القرآن عند هذا الحافظ ظنا منهم ان نجاحي في حفظ القرآن كان من أثر اهتمام الحافظ . بعد ذلك حملني والدي الى طنطا حيث كان أخي لأمي الشيخ مجاهد رحمه الله لأجود القرآن في المسجد الاحمدي لشهرة قرائه بفنون التجويد وكان ذلك في سنة ١٢٧٩ هجرية

« ثم في سنة احدى وثمانين جلست في دروس العلم وبدأت بتلقي شرح الكفراوي على الأجرومية في المسجد الاحمدي بطنطا وقضيت سنة ونصفا لا أفهم شيئا لرداءة طريقة التعليم فان المدرسين كانوا يفاجئوننا باصطلاحات نحوية أو فقهية لا نفهمها ولا عناية لهم بتفهيم معانيها لمن لم يعرفها فأدركني اليأس من النجاح وهربت من الدرس واختفيت عند اخوالي مدة ثلاثة أشهر ثم عثر علي أخي فأخذني الى المسجد الاحمدي وأراد اكراهي على طلب العلم فأبيت وقلت له : قد أيقنت ان لا نجاح لي في طلب العلم ولم يبق علي الا أن اعود الى بلدي واشتغل بملاحظة الزراعة كما يشتغل الكثير من أقاربي : وانتهى الجدال بتغلبي عليه فأخذت ما كان لي من ثياب ومتاع ورجعت الى محلة نصر على نية ان لا أعود الى طلب العلم وتزوجت في سنة ١٢٨٢ على هذه النية

« فهذا أول أثر وجدت في نفسي من طريقة التعليم في طنطا وهي بعينها طريقته في الازهر وهو الاثر الذي يجده خمسة وتسعون في المائة من

لايـامدهم القدر بصحبة من لا يلتزمون هذه السبيل في التعلم - سبيل إلقاء المعلم مايعرفه أو مالا يعرفه بدون أن يراعي المتعلم ودرجة استعداده للفهم غير ان الاغلب من الطلبة الذين لايفهمون تغشهم أنفسهم فيظنون أنهم فهموا شيئا فيستمرون على الطلب الى أن يبلغوا سن الرجال، وهم في أحلام الاطفال، ثم يبتلى بهم الناس وتصاب بهم العامة فتعظم بهم الرزئة لانهم يزيدون الجاهل جهالة ويضللون من توجد عنده داعية الاسترشاد ويؤذون بدعاويهم من يكون على شيء من العلم ويحولون بينه وبين نفع الناس بعلمه

« بعد ان تزوجت باربعين يوما جاءني والدي ضحوة نهار وألزمني بالذهاب الى طنطا لطلب العلم وبعد احتجاج وتمنع وإباء لم أجد مندوحة من إطاعة الأمر ووجدت فرسا أحضر فركبته وأصحبني والدي بأحد أقاربي وكان قوي البنية شديد البأس ليشيعني الى محطة (إيتاي البارود) التي أركب منها قطار السكة الحديدية الى طنطا . كان اليوم شديد الحر والريح عاصفة ملتهبة سافياء، تحصب الوجه بشبه الرمضاء، فلم أستطع الاستمرار في السير فقلت لصاحبي أما مداومة المسير فلا طاقة لي بها مع هذه الحرارة ولا بد من التعريج على قرية أنتظر فيها ان يخف الحر، فأبى عليّ ذلك فتركته واجريت الفرس هاربا من مشاهدته وقلت اني ذاهب الى (كنيسة اورين) - بلدة غالب سكانها من خؤولة ابي - وقد فرح بي شبان القرية (*) لانني كنت معروفا بالفروسية واللعب بالسلاح وأملوا

(*) في العبارة ايجاز بديع بالحذف اذ لم يذكر انه وصل الى القرية ولقي شبانها بل طوى ذلك لدلالة ما بعده عليه . وقد اقتدى رحمه الله في هذا بأسلوب الكتاب العزيز

أن أقيم معهم مدة يلهو فيها كل منا بصاحبه . أدركني صاحبي وبقي معي الى العصر وأرادني على السفر فقلت له خذ الفرس وارجع وسأذهب صباح الغد وان شئت قلت لوالدي انني سافرت الى طنطا فانصرف وأخبر بما أخبر وبقيت في هذه القرية خمسة عشر يوما تحولت فيها حالتي، وبدلت فيها رغبة غير رغبتي »

« ذلك ان أحد اخوال أبي واسمه الشيخ درويش سبقت له أسفار الى صحراء ليبيا ووصل في أسفاره الى طرابلس الغرب وجلس الى السيد محمد المدني والد الشيخ ظافر المشهور الذي كان قد سكن الاستانة وتوفي بها وتعلم عنده شيئا من العلم واخذ عنه الطريقة الشاذلية وكان يحفظ الموطأ وبعض كتب الحديث ويجيد حفظ القرآن وفهمه ثم رجع من أسفاره الى قريته هذه واشتغل بما يشتغل به الناس من فلح الأرض وكسب الرزق بالزراعة

«وان هذا الشيخ جاءني صبيحة الليلة التي بتها في الكنيسة وبيده كتاب يحتوي على رسائل كتبها السيد محمد المدني الى بعض مريديه بالأطراف بخط مغربي دقيق وسألني ان أقرأ له فيها شيئا لضعف بصره فدفعت طلبه بشدة ولعنت القراءة ومن يشتغل بها وفررت منه أشد النفور ولما وضع الكتاب بين يدي رميته إلى بعيد لكن الشيخ تبسم وتجلى في ألطف مظاهر الحلم ولم يزل بي حتى أخذت الكتاب وقرأت منه بضعة أسطر فاندفع بفسر لي معاني ماقرأت بعبارة واضحة تغالب إعراضي فتغلبه وتنفذ إلى نفسي . وبعد قليل جاء الشبان يدعونني الى ركوب الخيل واللعب بالسلاح والسباحة في نهر قريب من القرية فرميت الكتاب وانصرفت اليهم . بعد العصر جاءني الشيخ بكتابه وألح علي في قراءة شيء منه

قرأت وفسر ثم تركته إلى اللعب وفعل في اليوم الثاني كما فعل في الأول أما اليوم الثالث فقد بقيت اقرأه فيه وهو يشرح لي معاني ما أقرأ نحو ثلاث ساعات لم أمل فيها فقال لي إني في حاجة الى الذهاب إلى المزرعة لعمل بعض العمل فيها فطلبت منه إبقاء الكتاب معي فتركه ومضيت أقرأه وكلما مررت بعبارة لم أفهمها وضعت عليها علامة لأسأله عنها الى أن جاء وقت الظهر وعصيت في ذلك اليوم كل رغبة في اللعب وهوى ينازعني الى البطالة ، وعصر ذلك اليوم سألته عما لم أفهمه فأبان معناه على عادته وظهر عليه الفرح بما تجدد عندي من الرغبة في المطالعة والميل إلى الفهم

« كانت هذه الرسائل تحتوي على شيء من معارف الصوفية وكثير من كلامهم في آداب النفس وترويضها على مكارم الأخلاق وتطهيرها من دنس الرذائل وتزهيدها في الباطل من مظاهر هذه الحياة الدنيا

« لم يأت علي اليوم الخامس الا وقد صار ابغض شيء إلي ما كنت أحبه من لعب ولهو وفنفنة وزهو ، وعاد أحب شيء الي ما كنت أبغضه من مطالعة وفهم وكرهت صور اولئك الشبان الذين كانوا يدعونني الى ما كنت أحب ويزهدونني في عشرة الشيخ رحمه الله فكنت لا احتمل أن اري واحدا منهم بل افر من لقائهم جميعا كما يفر السليم من الأجرب . في اليوم السابع سألت الشيخ ما هي طريقتكم فقال طريقتنا الاسلام قلت أو ليس كل هؤلاء الناس مسلمين ؟ قال لو كانوا مسلمين لما رأيتهم يتنازعون على التافه من الأمر ولما سمعتهم يحلفون بالله كاذبين بسبب وبغير سبب . هذه الكلمات كانت كأنها نار أحرقت جميع ما كان عندي

من المتاع القديم ـ متاع تلك الدعاوى الباطلة والمزاعم الفاسدة متاع الغرور بأننا مسلمون ناجون ، وان كنا في غمرة ساهين ، سألته ما وردكم الذي يتلى في الخلوات أو عقب الصلوات ، فقال لا ورد لنا سوى القرآن نقرأ بعد كل صلاة أربعة ارباع مع الفهم والتدبر : قلت أنى لي أن أفهم القرآن ولم أتعلم شيئا قال أقرأ معك ويكفيك ان تفهم الجملة وببركتها يفيض الله عليك التفصيل وإذا خلوت فاذكر الله على طريقة بينها . وأخذت أعمل على ماقال من اليوم الثامن فلم تمض عليّ بضعة أيام إلا وقد رأيتني أطير بنفسي في عالم آخر غير الذي كنت أعهد ، (١) واتسع لي ما كان ضيقا ، وصغر عندي من الدنيا ما كان كبيرا ، وعظم عندي من أمر العرفان والنزوع بالنفس الى جانب القدس ما كان صغيرا ، وتفرقت عني جميع الهموم ولم يبق لي الا هم واحد وهو أن أكون كامل المعرفة كامل أدب النفس ولم أجد إماما يرشدني الى ماوجهت اليه نفسي الا ذلك الشيخ الذي أخرجني في بضعة أيام من سجن الجهل الى فضاء المعرفة ، ومن قيود التقليد ، الى إطلاق التوحيد ـ هذا هو الأثر الذي وجدته في نفسي من صحبة أحد أقاربي وهو الشيخ درويش خضر من أهالي (كنيسة اورين) من مديرية البحيرة ، وهو مفتاح سعادتي ان كانت لي سعادة في هذه الحياة الدنيا ، وهو الذي رد لي ما كان غاب من غريزتي ، وكشف لي ما كان خفي عني مما أودع في فطرتي ،

« وفي اليوم الخامس عشر مر بي أحد سكان بلدتنا (محلة نصر) فأخبرني

---

(١) سنذكرها ثم في تاريخه المطول مدى ماقاله في تأثير التصوف في نفسه وما لم يقله وبين ما كان له من المنفعة والضرر الذي تلافاه السيد جمال الدين في تربيته قبيد نا الثانية

ان والدتي ذهبت الى طنطا لتراني فعلمت ان سيقول لوالدي انني لا أزال في الكتابة فأصبحت مبكرا الى طنطا خوف عتاب الوالد واشتداده في اللوم لانني لو كنت أقمت له ألف دليل على انني وجدت في مهربي مطلبي ومطالبي لما اقتنع

«ذهبت الى طنطا وكان ذلك قرب آخر السنة الدراسية في شهر جمادى الآخرة من سنة ١٢٨٢ هجرية لكن اتفق ان بعض المشايخ كانت ماتت بنته فعاقه الحزن عليها عن اتمام شرح الزرقاني على العزية وآخر عرض له عارض منعه من إتمام شرح الشيخ خالد على الأجرومية فأدركت كلا منهما في أوائل الكتاب الذي كان يدرسه وجلست في الدرسين فوجدت نفسي افهم ما أقرأ وما أسمع والحمد لله. وعرف ذلك مني بعض الطلبة فكانوا يلتفون حولي لأطالع معهم قبل الدرس ما سنتلقاه. وفي يوم من شهر رجب من تلك السنة كنت أطالع بين الطلبة وأقرر لهم معاني شرح الزرقاني فرأيت أمامي شخصا يشبه ان يكون من أولئك الذين يسمونهم بالمجاذيب فلما رفعت رأسي اليه قال ما معناه: ما أحلى حلوى مصر البيضاء: فقلت له وأين الحلوى التي معك؛ فقال سبحان الله من جد وجد. ثم انصرف فعددت ذلك القول منه إلهاما ساقه الله الي ليحملني على طلب العلم في مصر دون طنطا

«وفي منتصف شوال من تلك السنة ذهبت الى الازهر وداومت على طلب العلم على شيوخه مع محافظتي على العزلة والبعد عن الناس حتى كنت استغفر الله اذا كلمت شخصا كلمة لغير ضرورة. وفي أواخر كل سنة دراسية كنت أذهب الى (محلة نصر) لأقيم بها شهرين - من منتصف شعبان الى منتصف شوال - وكنت عند وصولي الى البلد أجد خالي والدي

الشيخ درويشا قد سبقني اليه فكان يستمر معي يدارسني القرآن والعلم الى يوم سفري . وكل سنة كان يسألني ماذا قرأت فأذكر له مادرست فيقول : مادرست المنطق مادرست الحساب مادرست شيئا من مبادىء الهندسة : وهكذا وكنت أقول له بعض هذه العلوم غير معروف الدراسة في الازهر فيقول : طالب العلم لايعجز عن تحصيله في أي مكان : فكنت اذا رجعت الى القاهرة ألتمس هذه العلوم عند من يعرفها فتارة كنت أخطىء في الطلب واخرى أصيب الى ان جاء المرحوم السيد جمال الدين الافغاني الى مصر أواخر سنة ١٢٨٦

«وقد صاحبته من ابتداء شهر المحرم سنة ١٢٨٧ وأخذت أتلقى عنه بعض العلوم الرياضية والحكمية (الفلسفية) والكلامية وأدعو الناس الى التلقي عنه كذلك وأخذ مشايخ الازهر والجمهور من طلبته يتقولون عليه وعلينا الاقاويل ويزعمون أن تلقي تلك العلوم قد يفضي الى زعزعة العقائد الصحيحة وقد يهوي بالنفس في ضلالات تحرمها خيري الدنيا والآخرة فكنت اذا رجعت الى بلدي عرضت ذلك على الشيخ درويش فكان يقول لي : ان الله هو العليم الحكيم ولا علم يفوق علمه وحكمته وإن أعدى أعداء العليم هو الجاهل واعدى أعداء الحكيم هو السفيه وماتقرب أحد الى الله بأفضل من العلم والحكمة فلا شيء من العلم بممقوت عند الله ولا شيء من الجهل بمحمود لديه الا مايسميه بعض الناس علما وليس في الحقيقة بعلم كالسحر والشعوذة ونحوهما اذا قصد من تحصيلهما الإضرار بالناس : »

هذا ما كتبه الفقيد من مبدإ تربيته وتعلمه في ترجمته التي كتبها لي قبل اشتداد مرضه الاخير وكان حدثني قبل بشيء من ذلك ومنه أنه لم يكن

يواظب على حضور دروس من لا يفهم أولا يستفيد منهم وانه ربما كان يحضر درس أحدهم وفي يده كتاب آخر يطالع فيه مدة الدرس وان من شيوخه الذين فهم منهم واستفاد في أول تحصيله الشيخ محمد البسيوني وانه بعد الحضور في الازهر ثلاث سنين مل الدروس المعتادة كأنه أخذ حظه منها وصارت نفسه تطلب شيئا جديدا وتميل الى العلوم العقلية ولكنه حضر جميع الكتب وفهمها ولم يكن يرتاح الى إعادة شيء منها . وكان الشيخ حسن الطويل ممتازا في الازهر بعلم المنطق فحضر عليه ولم يكن يشفي ما في نفسه بل كانت تتشوف دائما الى علم غير موجود فكان يبحث في خزائن الكتب الازهرية عن طلبته المجهولة فيظفر ببعض الشيء ومما ظفر به القطب على الشمسية ناقصا . وقرأ الشيخ حسن الطويل امم شيئا من الفلسفة ولكن لم يكن يجزم بأن المعنى كذا بل كان الدرس احتمالات أو اشبه بالحزر فيما يفهم حتى جاء السيد جمال الدين فسكنت اليه نفسه من اضطرابها ووجدت عنده جميع طلبتها ، وأقصى أمنيتها ، واخبرني رحمه الله تعالى ان الذي أخبره بقدوم السيد جمال الدين هو أحد المجاورين في رواق الشوام قال له انه جاء مصر عالم افغاني عظيم وهو مقيم في خان الخليلي فسر بذلك واخبر الشيخ حسنا ودعاه الى زيارته معه فألفياه يتعشى فدعاهما الى الأكل معه فاعتذرا فطفق يسألهما عن بعض آيات القرآن وما قاله المفسرون والصوفية فيها ثم فسرها لهم فكان هذا مما ملأ قلب فقيدنا به عجبا وشغفه حبا لان التصوف والتفسير هما قرة عينه أوكما قال مفتاح سعادته . وأخبرني رحمه الله تعالى انه قرأ على السيد كتاب الزوراء للدواني في التصوف وشرح القطب على الشمسية والمطالع وسلم العلوم من كتب المنطق ، والهداية والاشارات وحكمة العين

وحكمة الاشراق من الفلسفة ، وعقائد الجلال الدواني والتوضيح مع التلويح في الاصول ، والجغميني في الهيئة القديمة وكتابا آخر في الهيئة الجديدة نسيت اسمه .

ثم ان السيد أرشده كغيره من تلامذته الى الانشاء وكتابة المقالات الادبية والاجتماعية والسياسية ومرنهم على الخطابة فبرع فقيدنا في ذلك حتى صار أبرع من أستاذه نفسه لان عبارة السيد رحمه الله تعالى كانت على متانتها وبلاغتها لم تصف من كدورة العجمة الى صفاء الانسجام العربي الخالص كعبارة الشيخ ثم ان مجالس السيد في ناديه وسامره كانت كلها مجالس علم وحكمة وأدب وسياسة وقلما كان يفوت فقيدنا شيء منها اذ كان يلازمه ملازمة ظله وما يستفيده المرء بالمذاكرة في ساعة لا يستفيده بالدرس في ساعات لان المدرس يكلفك كل ما يلقيه اليك سواء كنت تشعر بالحاجة اليه وتعتقد الاستفادة منه أم لا وسواء كنت مستعدا لفهمه أم لا ، وأما المذاكرة فهي مشاركة اختيارية في البحث والانسان لا يختار الا ما يرى نفسه محتاجة اليه ومستعدة لفهمه فمثل الدرس يلقي اليك كمثل من يكلفك أن تأكل مقدارا معينا من الاطعمة التي قد تعاف بعضها ولا تستطيع تناولها الا بكلفة وغثاثة فأنت لا تتغذى الا ببعضها والباقي إما أن يضر وإما أن لا ينفع ومثل المذاكرة كالطعام الذي تشتهيه وتتناول منه ما يكفيك فيكون كله غذاء نافعا . وقد قال بعض علماء التربية من الافرنج انه قلما يفلح من يقيم في مدارس العلم زمنا طويلا . ولقد كانت مجالس استاذنا الفقيد كمجالس استاذه (رحمهما الله) تفيض علما وحكمة وأدبا ولكن الفصل بينهما في هذا هو ان السيد كان يلقي الحكمة لكل أحد وأما الشيخ فكان

يخاطب كل أحد أو كل فريق بما يرى انه مستعد له ومتوجه اليه وقد قال لي رحمه الله تعالى ان السيد جمال الدين كان يلقي الحكمة لمريدها وغير مريدها ومن خواصه انه يجذب مخاطبه الى ما يريد وان لم يكن من أهله وكنت أحسده على ذلك لانني تؤثر فيّ حالة المجلس والوقت فلا تتوجه نفسي للكلام الا اذا رأيت له محلا وهكذا الكتابة الخ ماقاله وسنذكره في محله من تاريخه ان شاء الله تعالى

﴿ تدريسه ودعوته الى اصلاح التعليم في الازهر ﴾

كان عفا الله عنه قبل أخذ شهادة التدريس يطالع مع بعض الطلاب الدروس التي يحضرونها في الازهر ثم اتفقت الرغبة على أن يقرأ لطائفة منهم بعض الكتب فقرأ لهم إيساغوجي في المنطق ثم شرح العقائد النسفية للسعد التفتازاني مع حواشيه ثم مقولات السجاعي بحاشية العطار وغير ذلك من الكتب التي لم تكن تقرأ في الازهر فكثر سواد المجتمعين عليه وكان يدعوهم الى مطالعة مالم يتعودوا من الفنون والكتب ويفتح لهم أبواب المذاكرة والمناقشة ليلا فكانوا يقتالون الليل ولا يشعرون بطوله وفتن الاذكياء بحسن بيانه ودقة فهمه وحسده أناس منهم فأحفظوا عليه قلب الشيخ عليش فكان ما كان من حادثته معه اذ ذهب ابن الشيخ عليش مع طالب آخر فقالوا ان فلانا يقرأ شرح العقائد النسفية وقد رجح في درسه أمس مذهب المعتزلة على مذهب الاشعرية وكان الشيخ عليش رحمه الله أذنا يصدق بكل ما سمع وكان شديد الغيرة في الدين حديد المزاج سريع الغضب فكبر عليه أن يقرأ أحد الطلاب مثل ذلك الكتاب الذي لم يكن الشيوخ الكبار يتسامون لقراءته فارسل الى الفقيد فجاءه وهو

يقرأ الدرس في المسجد الحسيني فقال الشيخ عليش بلغني انك تقرأ شرح العقائد النسفية درسا قال نعم : قال الشيخ عليش وبلغني انك رجحت مذهب المعتزلة على مذهب الاشعرية قال اذا كنت أترك تقليد الاشعري فلماذا أقلد المعتزلي إذاً أترك تقليد الجميع وآخذت بالدليل قال الشيخ عليش اخبرني الثقة بذلك قال هل الثقة الذي يشهد بذلك فليميز أمامنا هنا بين المذهبين وليخبرنا أيهما رجحت : قال الشيخ عليش أو مثلك يفهم شرح العقائد قال الكتاب حاضر وأنا حاضر فسلني ان شئت : فكبر على الطلبة الحاضرين مثل هذه المراجعة من طالب للشيخ عليش المهيب وقال بعضهم ان هذا يرسل شعره ويجمعه تحت عمامته وأخذ عمامته عن رأسه ولغط الحاضرون فتركهم الفقيد رحمه الله تعالى وذهب حاسرا عن رأسه فقال أناس ان الشيخ عليشا ضربه وقال آخرون انه منعه من الدرس وكثرت الاشاعات والاقوال والرؤى والاحلام فيه وفي السيد جمال الدين والصواب ان هذا كل ما حصل وان الفقيد لم يمتنع من قراءة الدرس ولكنه كان يضع بجانبه عصا وقال اذا جاء الشيخ بمكازه فله هذه العصا وكان من الشجاعة على ما يعرفه عارفوه كما سنبين ذلك في الكلام على أخلاقه . أما تأثير هذه الحادثة فقد كان أكبر منها بل كان هو مبدأ خوض بعض الجامدين في دين كل من السيد الحكيم والاستاذ الامام رحمهما الله تعالى وسنعقد لذلك فصلا خاصا في تاريخ الفقيد نبين فيه انه لم يسلم أحد من أئمة الدين ولا من كبار الحكماء والصوفية من مثل هذا الطعن وأنه من مناقب حكيمينا قدس الله روحهما وان الذين يشتغلون بمثل هذا الخوض من الاعداء والحاسدين ومن يقلدهم من المساكين والجاهلين لو عقلوا لكتموه

وسوء فى ازالته

نعم ان ذلك الخوض والتقول مما نزن به تاريخ هذين الحكيمين ولكن لاننكر ان تأثيره السيء وقع على الأمة الاسلامية عامة وعلى الازهر خاصة دون الرجلين اللذين لم يحترم الناس لاسيما عقلاء الامة الاسلامية فى هذا العصر أحداً من أهل الشرق كاحترامهم لهما فذلك انه كان عقبة فى سبيل إصلاحهما واستفادة الأمة منهما وهما مأجوران عند الله تعالى بحسن نيتهما وبذلهما جهد المستطاع فى خدمة امتهما وملتهما وقد كاد يترتب على ذلك حرمان فقيدنا من شهادة العالمية ومرتبة التدريس فى الازهر لولا عدل الشيخ العباسي وإنصافه . كتب الاستاذ الامام رحمه الله عن امتحانه ما نصه :

« عرضت نفسي على مجلس الامتحان فى ١٣ جمادى سنة ١٢٩٤ هجرية وابتليت فى الامتحان أشد الابتلاء لتعصب الأكثر من أعضائه مع المرحوم الشيخ عليش وكان يعاديني على الغيب اتباعا لآراء من لا رشد عندهم من بلداء الطلبة ، وكانوا قد أجمعوا أمرهم على ان لا يمنحوني درجة ما فى العلم وجرت أمور قبل الامتحان يطول شرحها ولكن كان أمر الله أغلب فخرجت من هذا الامتحان بالدرجة الثانية وصرت مدرسا من مدرسي الجامع الازهر وأخذت أقرأ العلوم الكلامية والمنطقية » الخ

وقد أخبرني رحمه الله ان بعض الشيوخ تقاسموا قبل الامتحان يمينا مؤكدة لا يأخذن فلان درجة ما ولما وقع الامتحان ورأوا من حسن الجواب عما سألوه فوق ما كانوا ينتظرون ، طفقوا يناقشون ويراجعون ، ويتقلون به ويستطردون ، حتى صار الامتحان مناظرة ، تولاها الشافعية

والمكابرة ، فعند ذلك حلف الشيخ العباسي انه لم ير احدا امتحن في عصره مثله وأنه لو كان فوق الدرجة الاولى درجة ممتازة لاستحقها فأراد أحد الشيوخ واظنه الشيخ الرافعي ان يوفق ويصلح فأخذ الورقة وكتب له بالدرجة الثانية وطفق يعرضها على اخوانه الذين كانوا متفقين على حرمانه ليوقعوا عليها فوقعوا ثم أعطوها الشيخ العباسي فأمضاها لهم ولم يجب ان يراجعهم بعد أن رأى منهم ما رأى فظفروا ببعض المطلوب وهو حرمانه من الدرجة الاولى وما كانوا ضائرين ٠

﴿ طلبه العلم بعد التدريس والدخول في الاعمال ﴾

هذا مجمل سيرة الرجل في تلقي العلم عن الشيوخ منذ بدأ الى أن صار مدرسا وانك لتجد أكثر طلاب العلوم عندنا يعدون أخذ شهادة العالمية غاية التحصيل والتعلم فلا تتوجه همتهم بعده الا الى استغلال العلم وطلب المال به واحراز الجاه والمكانة عند الناس بما ينالون به من وظيفة وعمل ٠ وان صاحبنا لم يسلك مسلكهم بل سار على سبيل سلفنا الصالح الذين يؤثر عنهم : اطلب العلم من المهد الى اللحد : فكان يقول الى آخر حياته انني لا أزال طالب علم أبتغي المزيد منه في كل يوم ٠ فكان له في طلب العلم ثلاثة أدوار أولها الطلب على طريقة الازهر المعروفة من المناقشة في عبارات كتب المؤلفين وقراءة المتون مع الشروح والحواشي والتقارير ـ سلكها زمنا حتى ملها وتوجهت نفسه الى علم أعلى وفهم أجلى فقيض الله تعالى له ذلك العلامة الحكيم السيد جمال الدين فقرأ له علوما أخرى على طريقة أسهل مسلكا وأقرب غاية ، فانتاشه من الاخلاد الى أرض العبارات الركيكة والاساليب الضعيفة ، والاحتمالات البعيدة ، ورفعه الى سماء عرفان الحقيقة ،

والافصاح عنها بالعبارة الرشيقة ، بعد إطلاقه من قيود تقليد المؤلفين ، وتعويده على الحكم باليقين ، فهذا هو الدور الثاني وهو خاص بكتابته بالعلوم الاسلامية التي كتبت باللغة العربية ، مع شيء قليل من العلوم الحديثة ، وتطبيق العلم على حال المسلمين الاخيرة ، وأما الدور الثالث فهو النظر في علوم الافرنج قرأ رحمه الله كثيرا مما ترجم من الكتب ثم تعلم اللغة الفرنسية فصار يقرأ الكتب فيها لا يكاد يتركها يوما من الايام . وكانت عنايته بعلوم الاخلاق والنفس وأصول الاجتماع الانساني والتاريخ وفلسفته وفن التربية أشد من عنايته بسائر العلوم وقلما علم بكتاب لافرنجي يتكلم فيه عن الاسلام والمسلمين الا واستحضره وقرأه وقد قرأ عدة كتب في تربية الارادة خاصة ، وفي سفره الاخير إلى سويسره تعلم هناك القلم المسند لانه علم ان في بعض المكاتب الاوربية كتبا فيه وان الانكليز نقلوا من حضرموت بعض ما هنالك من الآثار الحميرية ولذلك دخل شأن في تاريخ العرب والاسلام .

وهذه العلوم الافرنجية هي التي أعطته القوة العظيمة في المدافعة عن الاسلام وفي زيادة البصيرة بخدمته لانه عرف من أين يهاجمه أعداؤه وكيف ترد هجماتهم . وكان يقول من لم يعرف لغة من لغات العلم الاوربية لا يعد عالما في هذا العصر وقد كتب لي في ترجمته من تعلمه اللغة الفرنسية ما نصه :

« بدأت بتعلم اللغة الفرنساوية عند ما كانت سني أربعا وأربعين سنة ولكن ميلي الى تعلم لغة أجنبية ابتدأ في اثناء الحوادث العرابية فتعلمت الهجاء ثم تركته ونسيته تقريبا وعند ما سافرت الى فرنسا أول مرة أقمت هناك عشرة أشهر كنت أحرر فيها جريدة العروة الوثقى ولم أتعلم شيئا من الفرنساوية لان اجتماعي كان بالسيد جمال الدين ورفاق من العرب واشتغالي

بتحرير تلك الجريدة كان لا يسمح لي بوقت كاف للتعلم بدراسة منتظمة فذهب علي ذلك الزمن بدون فائدة في اللغة لا كثيرة ولا قليلة . أما بعد عودتي من النفي الى مصر واشتغالي بالقضاء في المحاكم الاهلية والحكم بها خصوصا في الجنايات على أصول القوانين الفرنساوية وجلوسي بين قضاة يغلب عليهم العلم بتلك القوانين في لغتها فقد قوي عندي الميل الى تعلم اللغة الفرنساوية حتى لا أكون في معرفة القوانين أضعف من أجلاس مهم مجلس القضاء وبعد مجيئي الى القاهرة واشتغالي بالقضاء في إحدى محاكمها وجدت الوقت والحال مناسبين للبدء في العمل فبحثت عن معلم فوجدت أستاذا لا بأس به فدعوته فجاءني حاملا كتاب نحو في يده (كرامير) فسألته ما هذا فقال كتاب نحو فقلت له لا وقت عندي لان ابتدىء وانما عندي زمن لان أنتهي ثم ناولته قصة من تأليف الكسندر دوماس وقلت له أنا أقرأ وانت تصلح لي النطق وتفسر لي الكلم وما عدا ذلك فهو علي والنحو يأتي في اثناء العمل ، وهكذا أتممت الكتاب وكتابا بعده وثالثا عقبه وكنت أطالع وحدي بصوت مرتفع كلما وجدت نفسي في بيتي خاليا فعلمت مبادىء اللغة الفرنساوية وحصلت منها ما كان يمكنني من القراءة والفهم لكن ما كنت أستطيع الكلام

« سافرت بعد ذلك الى فرنسا والى سويسرا عدة مرات في أيام العطلة الصيفية وكنت أحضر دروس العطلة في كلية جنيف وبهذه الطريقة تعلمت اللغة الفرنساوية في أوقات الفراغ مع اشتغالي بالقضاء في المحاكم الابتدائية ومحاكم الاستئناف . ثم ان الذي زادني تعلقا بتعلم لغة أوربية هو أني وجدت انه لا يمكن لاحد ان يدعي انه على شيء من العلم يمكن

به من خدمة أمته ويقتدر به على الدفاع عن مصالحها كما ينبغي الا اذا كان يعرف لغة أوربية كيف لا وقد أصبحت مصالح المسلمين مشتبكة مع مصالح الاوربيين في جميع أقطار الارض وهل يمكن مع ذلك لمن لا يعرف لغتهم أن يشتغل للاستفادة من خيرهم أو للخلاص من شر الشرار منهم» اه

الكلام في تربيته خاصة

هذا ما يقال في طلبه للعلم وأما تربيته فقد علم مما مر شيء منها وهو أنه نشأ في بيت يوصف أهله بالاخلاق الفطرية الجيدة التي لا ينقصها الا نور العلم وقد كان له ولم يعن في صباه الا بالفروسية وأعمال الرجولية فكان يلعب بالسلاح ويسابق الناشئين معه على ظهور الجياد ويكثر من السباحة وهذه الالعاب مما يحسن أن يربى عليها الولدان بالقصد كما قال الحكماء وعلماء التربية وهي مما يربى عليه أولاد الملوك والامراء في أوربا . بعد ان أخذ حظه من هذه التربية الفطرية أخذه الشيخ درويش خضر بالتربية الدينية فألزمه العزلة ومجاهدة النفس . وكان من جملته أن يأخذ كل شيء بقوة فكان في مدة طلبه للعلم يصوم النهار ويقوم الليل بالصلاة والتلاوة والذكر ويمشي مطرقا لا ينظر الا حيث يضع قدميه ولا يكلم أحدا الا لضرورة وقد ظل مدة سنين لا يلقي نظره على امرأة أجنبية حتى في الطريق . وقد كان لكثرة الانهماك في الذكر والفكر والنظر في كتب التصوف والتفكر في أحوال القوم ومقاماتهم يخرج عن حسه ويزج في عالم الخيال أو عالم المثال كما يقولون فيناجي أرواح السابقين . ولو كان يجيز شرح ذلك لشرحناه ولكنه كان يقول ان ما يحصل للصوفية من الاحوال غير الطبيعية لا يجوز ذكره لغير العارف به ولا تجوز كتابته بحال ولو

كتب ما كانت الحكومة تقتل الذين يكتبون ذلك لانهم يفتنون كثيراً من الناس ولا يفيدون به أحداً. وقال ما معناه مازج أحد نفسه في عالم الخيال ثم قدر على الخروج منه الا ان يجذبه جاذب آخر ويخرجه منه وذلك قليل • وأقول إن السيد جمال الدين هو الذي أخرجه منه ، ورقى به الى ما هو خير منه ، ولم يتمكن من ذلك الا بعد ان جاراه عليه زمنا عرفه به أنه أعرف بتلك المعاهد وأسبق الى تلك المشاهد، بما كان يحل له من عقد كلام الصوفية التي يعجز عن حلها ، حتى أفحمه بأنه من أفراد أهلها، وسنذكر في التاريخ الكبير الذي نضعه لفقيدنا شيئاً مما كتبه على طريقة الصوفية • وأقول هنا لو كان الجماهير من الناس يعرفون في أيام حادثة الشيخ عليش شيئاً من أمر الرجل في تصوفه وتنسكه لهاجوا على الشيخ عليش وان كانت شهرته بالصلاح عظيمة وعلى من وشى اليه من فساق المجاورين ولما خاضوا في فقيدنا بالذي خاضوا ولكنه كان يبالغ في كتمان ذلك خوفا من الرياء وحب السمعة والامة مستعدة للشر والشبهة عليه حضور كتب الفلسفة والكلام على عالم غريب وهو السيد رحمهم الله أجمعين

قلنا ان السيد جمال الدين هو الذي نقل فقيدنا من حال الى حال في التربية كما نقله في العلم وكان الشيخ درويش هو الذي مهد له السبيل للأمرين . وقبل ان ننتقل من الكلام في تربيته وتعليمه الى الكلام في عمله وإصلاحه نذكر ان الشيخ درويشا هو الذي رباه أيضا على التعرض للارشاد الديني والتصدي لنصيحة الناس فمهد السبيل التي سلكها به السيد جمال — سبيل الإصلاح العلمي والسياسي • ذلك ان الشيخ درويشا رأى ان مريده قد كملت نفسه بعد العزلة الطويلة وكمل سلوكه فصار بمأمن من المعاشرين الذين يقطعون الطريق على المريدين فأمره بمخالطة الناس والتعرض لإرشادهم وقد كتب رحمه الله في ذلك ما نصه :

« قلت انني كنت في أوائل مدة طلب العلم بعد مجيئي الى الازهر في عزلة عن الناس الا من استفيد منه علما أو نصيحة لكن بعد مضي سبع سنين على ذلك - والشيخ يقودني في سبيل الرياضة وقهر النفس على المكاره بالصوم تارة وبلبس الخشن والتعرض لانتقاد الناس تارة أخرى - قال لي عند مارجعت الى محلة نصر في سنة ١٢٨٨ : الى متى هذه العزلة وماالفائدة في العلم وتحصيله اذا لم يكن لك نورا تهتدي به ويهتدي به الناس؟ ان من المكروه أن تستأثر بالفائدة دون أهل ملتك وان من لم ينفع بما تعلم فقد أضاع أهم ثمرة تقصد من غراس المعرفة فعليك ان تخالط الناس وتعظهم وترشدهم الى الطريق القويمة والسنة الصالحة : فذكرت له اشمئزازي من الناس وزهادتي في معاشرتهم وثقلهم على نفسي اذالقيتهم وبعدهم عن الحق وتبرمهم منه اذا عرض عليهم فقال لي: هذا من أقوى الدواعي الى ماحثثتك عليه فلو كانوا جميعهم هداة مهديين لما كانوا في حاجة اليك: ثم أخذ يستصحبني في مجالس العامة ويفتح الكلام في الشؤون المختلفة ويوجه اليّ الخطاب لأتكلم فيتكلم الحاضرون فأجيبهم وانطلق في القول على وجل في أول الامر وما زال بي حتى وجد عندي شيء من الالفة مع الناس والاستئناس بكالمتهم وفي شوال من تلك السنة ودعني وبكى بكاء شديدا ومات في السنة الثانية رحمه الله تعالى » اه أقول يظهر انه أحس بأن عمله قد تم بتكميل تربية مريده وأنه ألهم بأنه قد دنا أجله إذ تم عمله فبكى بكاء مودع وللصوفية من هذا الإلهام والشعور ، ماهو معروف مشهور ،

طور العمل والاصلاح

(تمهيد) لو سأل سائل أيّ الرجال أعظم في الامة وأفضل لاختلف

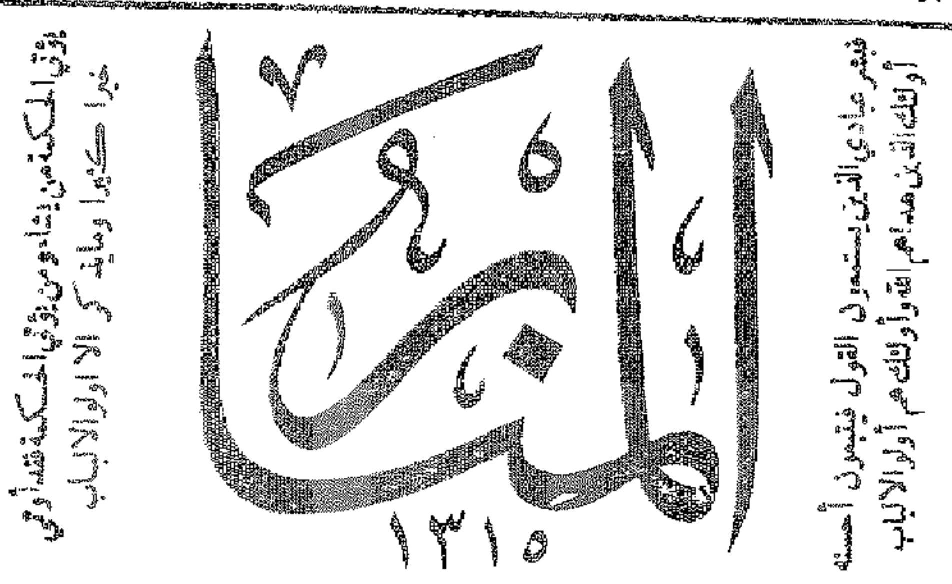
الجواب باختلاف أفهام الأفراد ومشاربهم فهذا يقول أعظمهم العالم وذاك يقول بل الفيلسوف، ويقول ثالث بل هو الرجل الصالح فيجري رابع قائلا بل القائد الماهر ويخالفهم رجل آخر يدعي ان أفضل الناس السياسي الحاذق ويقول آخرون أقوالا أخرى. واذا رجعت بالجميع الى البرهان رأيتهم يتفقون على ان أعظم الرجال وأفضلهم المصلحون الذين يوجهون عزائمهم الى رفع الأمة من الدرجة الدنيا الى الدرجة العليا، وهؤلاء قلما تجود الاجيال بواحد منهم على كثرة العلماء والصلحاء والقواد والسياسيين في كل زمان

إنما يكون الرجل عظيما بأمرين أحدهما فطري لا يأتي بالكسب وهو الاستعداد الذي يكون له بكمال الخلقة واعتدال المزاج، وحسن الوراثة من الوالدين والاجداد، وثانيهما كسبي وهو التربية القويمة والتعليم النافع، وقد كان استعداد الاستاذ الإمام لكل أمر عظيما حتى كان استعداده هو الاصل في حسن تربيته وتعليمه. فقد علمت مما مر أن فطرته السليمة لم تقبل الاستمرار على حضور دروس لا تفهمها ولم يعرف هذا عن غيره من المبتدئين بطلب العلم حتى أذكيائهم الذين استفادوا بعد العناء فقد كانوا يصبرون على ما لا يفهمون زمنا طويلا واذا حفظ أحدهم شيئا بالتكرار ظن انه فهمه وعلم لا سيما اذا حفظ تفسير المتن من شرحه وحاشيته. ولكن صاحبنا لم يكن يترك المسألة حتى يفهمها ويوقن أو يرجح ان الحكم فيها كذا. ولذلك أسرع اليه الملل من دروس مشايخ الاحتمالات. وكان يقول ان حضور كتب العربية على طريقتهم قد أضر بذهنه وعقله وانه ظل يكنس ذهنه وينظفه منها بضع سنين فلم ينظف تمام النظافة. وأما السيد جمال الدين فانه كثيرا ما كان يشرح معنى المسألة حتى تتجلى للأفهام ثم يقرأ عبارة الكتاب ويطبقها

عليها فان انطبقت والا أبان ما فيها من التقصير أو يقرأ العبارة ويبحث في دليلها فيقرها أو ينقده ويجزم بغيره وبهذه الطريقة ارتقى الى أن يحكم بنفسه في المسائل ولا يرضى بالفهم مع التسليم لمؤلف الكتاب فالذي امتاز به صاحب الترجمة على اخوانه الازهريين هو أنه في بدايته لم يرض أن يحفظ شيئاً لا يفهمه وفي نهايته لم يرض بما يفهمه الا بعد أن يستشير فيه الدليل فيرضاه له وأنه لم يقنع بالعلوم المتداولة في الازهر بل كان من أوائل عهده بالعلم الى يوم وفاته يطلب العلوم ويقدم منها ما يزيده كمالا في نفسه ويعينه على رفع شأن ملته وأمته ، ولو أنه تعلم في حداثته على طريقة قويمة كما تعلم النابغون من حكماء أوربا وعلمائهم في المدارس النظامية ولم يضيع ذلك الوقت الطويل في البطالة وفي الطريقة الازهرية الملتوية لرأينا من آياته السامية أضعاف ما رأيناه على أن ما رأيناه يكاد يكون من الخوارق فانه لم يكن يتكلم في علم الا وتراه صاحب القدح المعلى فيه حتى كأنه هو الواضع له ، فمن شاء أن يقتدي بطريقته المثلى من الازهريين وغيرهم فليفعل عسى أن يكون من المفلحين

وأما تربيته فقد علمت مما تقدم آنفاً انه تربى على طريقة الصوفية القويمة الخالية من البدع والخرافات حتى ملك نفسه وكملت أخلاقه وصار الدين وجداناً له ثم انتقل من ذلك الى أخذه بالبرهان ، وأهم ما تقوله تربية الارادة أي ملكة العزيمة والاقدام فقد كان فيها نسيج وحده في أمته

تقدم ان الرجل توجهت نفسه الى العمل والاصلاح قبل ان يصير مدرسا رسميا فبدأ باحياء اللغة ونفخ روح العلم والدين في الازهر ثم ان السيد جمال الدين وجهه وجهه الى الاصلاح الاجتماعي والسياسي فجعله ساعده وعضده في ذلك فاشتغل بها مدة ثم استقر رأيه على ان الاصلاح محصور في إحياء لغة الامة وإصلاح نفوسها بالتربية الصحيحة والتعليم النافع



(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق)

(مصر — غرة جمادى الثانية سنة ١٣٢٣ — ٢ اوغسطس (آب) سنة ١٩٠٥)

تتمة ملخص سيرة الاستاذ الامام

﴿ دخوله في الماسونية — من التمهيد ﴾

كان السيد جمال الدين قد أخذ على نفسه العهود والمواثيق أن يعمل عملا عظيما ينهض بدولة إسلامية نهوضا يعيد للاسلام مجده وكان مضطلعا بذلك الا انه كان مستعجلا يريد أن يعمل هذا العمل العظيم ويرى أثر نجاحه وثمرة غراسه في حياته لذلك جاءه من طريق الحكومة والسلطة وتوسل اليه بالعلم فاتخذ له في مصر تلاميذ بدأ يقرأ لهم كتب أصول الدين والفلسفة حتى اذا ما وثق بهم مزج لهم السياسة بالعلم وخاف استبداد اسماعيل باشا أن يحول بينهم وبين ما يشتهون فانتظم مع مريديه في سمط الجمعية الماسونية وكان باتحادهم رئيس محفل مرن فيه تلامذته على الخطابة والبحث في حياة الامم وموتها ونهوض الدول وسقوطها وقد دخل في هذا المحفل شريف باشا وبطرس باشا غالي وكثيرون من الكبراء والاذكياء وكان توفيق باشا

ولي عهد الخديوية مشايعا للسيد ومحفله ومكان صاحب الترجمة من السيد مكانه المعلوم فكان دخوله في الماسونية متمما لتربيته وتعليمه وصلة بينه وبين توفيق باشا وكثير من رجال مصر وسببا لبحثه في أحوال الحكومة المصرية ووقوفه على نقائصها ومساويها وتوجهه إلى السعي في إصلاحها ومهدا له الطريق للعمل الذي قام به قبل الثورة وبعدها على مانقصه هنا بالايجاز وفي التاريخ الذي سنؤلفه للفقيد بالتفصيل • وقبل أن ننتقل من هذا التمهيد نقول ان الاستاذ الامام رحمه الله تعالى ترك الماسونية من زمن طويل وقد أكثر أبناؤها من دعوته الى محافلها بعد رجوعه من النفي الى مصر فلم يجب وأهدوا إليه وساما فلم يقبله . وقد سألته عن حقيقتها مرة فقال انه عملها في البلاد التي وجدت فيها للعمل قد انتهى وهو مقاومة سلطة الملوك والباباوات الذين كانوا يحاربون العلم والحرية وهو عمل عظيم كان وكنا من أركان ارتقاء أوربا وانما يحافظون عليها الآن كما يحافظون على الآثار القديمة وروحها جمعية أدبية تفيد التعارف بين الناس • وأخبرني بأن دخوله مع السيد فيها كان لغرض سياسي اجتماعي وانه قد تركها من سنين ولن يعود اليها وانها ابتذلت في مصر ابتذالا لم يكن من قبل . وأخبرني أنه أرشد مرة أحد ولاة بيروت الى إبطال محفل ماسوني علم انه يكيد للدولة العلية بايعاز بعض الدول الاوربية فهاب ذلك الوالي وظن أنه فوق قدرته ولكن الفقيد رحمه الله تعالى هداه السبيل الى ذلك وشد من عزيمته ففعل، بل كان مبدأ انسحابه مع السيد جمال الدين من الماسونية عندما جاء الى مصر رئيس الشرق الاعظم الانكليزي وهو ممثل ولي العهد للدولة الانكليزية فاجتمعت المحافل الماسونية حفاوة به وذكر أحد رؤسائها ولي العهد بهذا اللقب فاعترض

السيد جمال الدين وقال انه لا يسمح بأن يحتفل بأحد ولي أنه ولي العهد لدولة من الدول لا سيما الدولة الانكليزية التي من وصفها كيت وكيت وليس لها فضل على الجمعية الخ ماقاله ولا أذكر منه الا مثل هذا الاجمال فرد عليه بعض رؤساء المحافل وبعد مناقشة انسحب من الماسونية هو وخواص مريديه . ولما رأى بعض علماء الازهر بعد ذلك ترقي الاستاذ الامام ونفوذه في الحكومة توهموا ان ذلك بمساعدة الجمعية له فدخل كثيرون منهم فيها ومنهم من دخل بدعوة بعض أصحابه من أهلها ولم يدخل أحد منهم لأجل عمل يفيد الامة والبلاد الا جماعة السيد جمال الدين

﴿ إصلاحه في مدارس الحكومة والازهر ﴾

اذا تمهد هذا فنقول : قد عين الفقيد في أواخر سنة ١٢٩٥ مدرسا للتاريخ في مدرسة دار العلوم وللعلوم العربية في مدرسة الألسن الخديوية فكان يدرس فيهما مع الاستمرار على التدريس في الجامع الازهر فبدأ في دار العلوم بقراءة مقدمة ابن خلدون لانها مقدمة للتاريخ وإنما غرضه بث أفكاره السياسية والاجتماعية في أذهان التلاميذ فكان يطبق ما فيها من الكلام عن نهوض الدول وسقوطها وشؤون العمران وأصوله على أمته ويبين أسباب ضعفها والوسائل التي تذهب به وتعيد اليها ما فقدت من عزها ومجدها . وكان يكلف التلاميذ كتابة المقالات والفصول في ذلك فكان كل واحد يشعر بروح جديد يدب في هيكله ويرى نفسه مخلوقا لخدمة بلاده وإعلاء شأن أمته . وقد كتب رحمه تعالى في ذلك العهد كتابا حافلا في علم الاجتماع وفلسفة التاريخ انتقد فيه بعض ماقاله ابن خلدون واستدرك عليه وبين مافتحته طبيعة الاجتماع في هذا العصر

من أحكام العمران فى العصور الغابرة . وكان فى مدرسة الألسن آية البيان فى إحياء اللغة العربية وإشراع الطريق اللاحب فى التعليم ، والخروج بالطلاب من مأزق العهد القديم، ثم ان دروسه في الازهر كانت بناء جديدا للعقائد على أسس البراهين القطعية ، وتجديدا لما يلي من سائر العلوم العقلية وكانت حلقة درسه في الأزهر واسعة جدا تحيط بأعمدة كثيرة وكان يقرأ فى بيته درسا فى الاخلاق أو السياسة لطائفة من المجاورين قرأ فى ذلك كتاب تهذيب الاخلاق لابن مسكويه الرازي . فكان ذلك سبب طبعه المرة الاولى وقرأ كتاب (كيزو) فى السياسة ولا أدري أتمه أم لا

كان القصد من هذه الدروس تكوين نابتة جديدة من السكان فى مصر تحيي اللغة العربية والعلوم الاسلامية، وتقوم عوج الحكومة المصرية فقد كانت هذه الحكومة لذلك العهد قد رثت ووهت ، ووقفت فى النزع أو اوشكت ، عظم فيها سلطان الاجانب ، وأحاطت بها سيول الفتن من كل جانب ، ومنيت الامة التي تعدها بالتربية والمسغبة ، وضربت عليها الذلة والمسكنة ، ذلك بما اسرف اسماعيل باشا فى الضرائب والمكوس ، وتعذيب الاجساد والنفوس ، فاما آثار اسماعيل باشا فى البلاد فلا يزال الكهول والاشياخ يحدثون بها الشبان والغلمان ، واما ما فعله السيد جمال الدين ومريده الشيخ محمد عبده من السعي فى إصلاح الحكومة فى الحال ، وتربية الرجال لأجل الاستقبال ، فلا يعرفه الا من كان يعمل معهما ، ويتلقى عنهما ، ومن شاء من أهل هذه الديار ، أن يروي شيئا من تلك الأخبار ، فليراجع من بقي من تلامذتهما الاخيار ، كالشيخ عبد الكريم سلمان وسعد بك زغلول وابراهيم بك اللقاني وحفني بك ناصف ومحمد بك صالح وسلطان

افندي محمد وغيرهم ، ولو طال العهد على عملهما لتم لهما المراد ولما حدثت الثورة العرابية ، ولكن خانهما الزمان ، وما قدر كان ،

كان من عمل السيد جمال الدين ومريديه أن اتصلوا بولي العهد توفيق باشا الخديو السابق واتفقوا معه على تغيير شكل الحكومة واصلاح شؤونها فكان يعد السيد والشيخ من أقوى أنصاره وأوليائه ولما انتهى الحيف والجور والخلل بخلع اسماعيل باشا ونصب توفيق باشا أميرا على مصر في رجب سنة ١٢٩٦ طفق السيد جمال الدين يطالبه بانجاز وعوده وأولها إنشاء مجلس نواب للحكومة وجعل الوزارة مسئولة وظهرت طلائع الاصلاح على يده ولكن وجد من الواشين من غير قلبه على السيد والشيخ وأوهمه انهما يسعيان في تقييد سلطته أو إزالتها فأمر بنفي السيد فأخذ من داره ليلا في عربة مقفلة وليس عليه غير قميص واحد وأرسل في قطار خاص الى السويس ومن هناك ذهب الى الهند وأمر بعزل الشيخ من مدرسة دار العلوم ومدرسة الالسن وبان يقيم في قريته (محلة نصر) لا يفارقها الى بلد أخرى وخاصة عاصمة البلاد والمدن الكبيرة كالاسكندرية وغيرها . وكان ذلك في رمضان سنة ١٢٩٦

عمله في المطبوعات والحكومة

وفي أواسط سنة ١٢٩٧ توجهت عناية رياض باشا الى تحسين كتابة الجريدة الرسمية وجعلها مفيدة مرغوبا فيها من الناس فاستشار الشيخ حسينا المرصفي ومحمود باشا سامي البارودي كلا على حدته فأشارا برأي واحد كأنهما تواصيا به وهو جعل الشيخ محمد عبده محررا فيها ففعل بعد ان استرضى توفيق باشا فصدر الامر العالي بتعيينه محررا ثالثا وانتظر رياض باشا

مدة من الزمن فلم يرتضوا عمله . ثم إنه كتب من الاسكندرية بأمر قلم المطبوعات في مصر بأن تكتب مقالة في مالية مصر تلم بشيء من تاريخها الماضي وحالها الحاضر الذي وضع له قانون التصفية وان تنشر هذه المقالة في أول عدد يصدر من الجريدة الرسمية وكان قد بقي له يوم واحد فخاص كتاب الجريدة وحاروا وأرسلوا الى صاحب الترجمة من أحضره من الازهر وكلفوه كتابة المقالة فكتبها في مجلسه ونشرت فلما قرأها رياض باشا أعجب بها أشد الاعجاب وسأل عن كاتبها فقيل له هو فلان فزاد عجبه أن وجد في الازهر شاب واقف على تاريخ المالية في مصر عارف بجميع شؤونها قادر على بيان ذلك والافصاح عنه . وفي أواخر هذه السنة طلبه رياض باشا وسأله عن رأيه في اصلاح الجريدة فبين له رأيه في تحريرها فأمر بأن تؤلف لجنة للنظر في التحرير من وكيل الداخلية ومدير المطبوعات وكاتب التحرير وان توضع لائحة لقلم المطبوعات وتحرير الجريدة فكان ذلك وعين الفقيد رئيسا لقلم تحرير الجريدة الرسمية العربية فاختار لها من المحررين المهرة الشيخ عبد الكريم سلمان والشيخ سعد زغلول (هو سعد بك زغلول المستشار بمحكمة الاستئناف لهذا العهد) والشيخ سيد وفا (رحمه الله) وهم ممن كانوا يحضرون دروسه ودروس السيد جمال الدين وبرعوا في الكتابة معه على يد السيد . ثم ماذا كان من شأنه ؟ كان مالم يكن يخطر على قلب بشر وهو أن رئيس التحرير للجريدة الرسمية صار رقيبا على الحكومة والامة ينتقد الاعمال والاقوال ، وينتقل بالناس من حال الى حال ،

وضع لائحة أو قانونا لقلم المطبوعات أجازه وأنفذه رياض باشا فكان

من أحكامه ان جميع ادارات الحكومة ومصالحها ومجالسها في العاصمة وغيرها ملزمة بأن تكتب الى ادارة المطبوعات مخبرة بما عملت فأتمت وماشرعت فيه وكذلك المحاكم ترسل اليها نتائج أحكامها ، وان لادارة المطبوعات الحق في انتقاد كل ماتراه منتقدا من الاعمال ، وأن لها حق المراقبة على الجرائد الوطنية والاجنبية التي تصدر في القطر المصري وان تبحث عن حقيقة ماتقوله في رجال الحكومة وأعمالها وعلى الحكومة مساعدتها على ذلك بمعنى أنها اذا نشر في بعض الجرائد ماتراب به ادارة المطبوعات فيه فان لها ان تسأل المصلحة أو الادارة التي يسند اليها ذلك عن الحقيقة بواسطة نظارة الداخلية ان لم يكن ماتشر مسندا الى النظارة والا فأنها هي مباشرة فان كان حقا مانشر في الجريدة وجب على الحكومة مؤاخذة من نسب اليه الذنب وذكر ذلك في الجريدة الرسمية وان كان كذبا طولب مدير الجريدة باثباته والا انذر واذا تكرر إنذار جريدة ثلاث مرات يمنع إصدارها ألبتة أو الى الأجل الذي تراه الادارة . وان من حق رئيس تحرير الجريدة الرسمية أن يجعل فيها قسما غير رسمي ينشر فيه لنفسه ولغيره مايراه نافعا من المقالات الادبية (ويدخل في الادبية الاجتماعية والاقتصادية وما أشبه ذلك) وقد أجاز هذا القانون وانفذه رياض باشا لماله من العناية بالاصلاح ولثقته بكفاءة صاحب الترجمة وغيرته واخلاصه في الخدمة العامة وإن في هذا لعبرة لأولي الالباب — صاحب عمامة أزهرية يدخل في حكومة مطلقة بعيدة في أعمالها عن رجال العلم والدين فيشرف من نافذة غرفة تحرير الجريدة على نظارات الحكومة ومجالسها ومحاكمها ومصالحها فيصلح لهم مايكتبون ، ويرشدهم الى اصلاح العمل فيما يعملون ، ثم يشرف من نافذة اخرى على الامة فيقوم من اخلاقها

ويصلح ما فسد من عاداتها ، بالوعظ الصحيح ، والارشاد الحقيقي ، ويطل من نافذة ثالثة على الجرائد العربية فيعلمها حسن التحرير ويربيها على الصدق في القول ويجعل للصادق منها سلطانا نصيرا ، وتأثيرا ، أثوراء بالهامن عمامة شرفت برأس صاحبها حتى حسدتها الطرابيش ، وهابتها التيجان والبرانيط ، ونذكرها على سبيل الفكاهة ان بعض الكبراء رغبوا الى الاستاذ الامام في ذلك العهد أن يستبدل الطربوش بالعمامة لان صاحب العمامة لا يرتقي الى مراتب الرؤساء والنظار كصاحب الطربوش فأبى عليهم ذلك فأرادوا الاستعانة عليه برياض باشا فأوهموه انه يميل الى لبس الطربوش ولكنه لا يلبسه الا بأمره فسأله فظهر له انه لا يرغب في ترك زيه وأنه اذا ألزمه بذلك إلزاما فانه يمتثل مادام في عمل الحكومة فاذا خرج من عمله عاد الى عمامته فقال رياض باشا كلا انني لا أرضى لك الطربوش لانني أحب أن يعلم الناس انه يوجد تحت العمائم من العقول والافهام مثل ما يوجد تحت الطرابيش وغيرها . فلله در رياض باشا وجزاه الله الخير فانه هو الذي أحضر السيد جمال الدين ومكن له في أرض مصر وهو الذي كان السبب في ظهور مواهب الشيخ محمد عبده في أول نشأته حتى انه حكمه في انتقاد نظارة الداخلية وهو أحد العمال المتوسطين فيها

كان من أثر مراقبة ادارة المطبوعات للجرائد ان اجتهد أصحابها في انتقاء المحررين وقد أنذر عامله الله تعالى باحسانه مدير جريدة شهيرة بمنع جريدته اذا لم يختر لها محررا صحيح العبارة في مدة عينها فقعل ذلك ذلك المدير . ولم يكن يأذن بطبع كتاب من الكتب الضارة . وكان من أثر انتقاد كتاب الحكومة أن نهض الجاهلون منهم وفتحت مدارس ليلية

لتعليم المصريين وتبرع تغمده الله برحمته بقراءة درس في بعضها . فهذا هو مبدأ النهضة العلمية الحقيقية في مصر فالفضل فيها للسيد جمال الدين والشيخ محمد عبده رحمهما الله تعالى

وأما انتقاد أعمال الحكومة فكان من أسباب تحريها الحق والعدل والاجتهاد في اصلاح كل نظارة وقد عني الفقيد بوجه خاص بنفسه في انتقاد نظارة المعارف ومثل مساوي التعليم والتربية في مدارسها شر تمثيل فضاق ذرع ناظر المعارف لذلك العهد فلان برياض باشا شاكيا من الجريدة الرسمية فقال له رياض باشا ان كان ما كتب حقا فلا وجه للشكوى منه وان كان باطلا فعليك أن تبين ذلك بالدليل والبرهان وفلان ينشره في الجريدة الرسمية تسها فانه لا يقصد بما يكتب فيها الا المصلحة فسكت الناظر واجما

عمله في مجلس المعارف الاعلى

اقتنع رياض باشا بما في نظارة المعارف من الخلل وعلم ان ما يكتب في الجريدة الرسمية حق فذاكر الفقيد في ذلك وفي وسائل تلافيه فعرض عليه ان يكون للمعارف مجلس أعلى يكون له الحكم الفصل في ادارة المعارف العمومية ويكون الناظر منفذا لما يقرره فانفذ ذلك رياض باشا وجعل صاحب الترجمة عضوا في هذا المجلس فكان له فيه الاقتراحات النافعة ولولا كثرة ما جعل فيه من الاعضاء الاجانب الذين كانوا يعارضون المشروعات النافعة للبلاد ثم حدوث الثورة لارتقت معارف البلاد في ذلك العهد ارتقاء عظيما . صدر الامر العالي بتشكيل هذا المجلس في ٢٨ ربيع الآخر سنة ١٢٩٨ وقد تألفت منه لجنة للنظر في إصلاح طرق التعليم والتربية في جميع المدارس وكان الفقيد الكاتب العربي لجلساتها وكان

له فيها الآراء الصحيحة والحجج القيمة على مايطلب من الاصلاح

اذكر من اقتراحه شيئا سمعته ولا ادعي اني أحطت به كل الاحاطة وهو انه اقترح مرة على المجلس ان يطلب من الحكومة مبلغا عظيما من المال يوزع على المدارس الاجنبية مكافأة لها على خدمة العلم ونشره في البلاد فدهش الاعضاء الاوربيون لهذا الاقتراح وعارض فيه بعض الاعضاء الوطنيين ووافق الآخرون الذين عرفوا مايرمي اليه المقترح فتقرر بأكثر الآراء . ثم انه اقترح في جلسة أخرى أن يقرر المجلس وجوب جعل المدارس الاجنبية تحت مراقبة نظارة المعارف لينظر مفتشو النظارة في نظام التعليم فيها فدهش الاعضاء الوطنيون لهذا الاقتراح وعارض فيه الاجانب فأقام عليهم الحجة بأن جميع الدول الاوربية تراقب جميع المدارس التي تأخذ منها إعانة وتفتش مدارسها اذ يجب على الحكومة أن تعلم انها لاتضيع دراهمها بل تنفقها فيما ينفع بلادها . فقال بعضهم ان هذا قول حق وانما نعارض الآن في هذا الاقتراح لاننا نعلم أن المعارف في مصر منحطة وانما اعتمدنا لترقيها وأرباب المدارس الاجنبية مرتقون في العلوم والمعارف ولا يصلح السافل للاشراف على من هو أعلى منه ولا المنحط للتحكم على المرتقي . فقال الفقيد رحمه الله تعالى كان يصح هذا الدفاع لو لم تكن أنت ورفاقك من أعضاء مجلس المعارف المصري فاذا كان الطلب في محله سنا وعقلا فلا يصح أن يرفض لان المعارف العمومية لم ترتق في البلاد المصرية لان عدم ارتقاء المعارف وانتظام المدارس لا ينافي وجود أفراد من الموظفين في النظارة من الاوربيين أو المصريين المتعلمين في مدارس أوربا العالية يصلحون لتفتيش المدارس الاجنبية : فنهضت حجته وتقرر اقتراحه .

وانها الأمنية يتاجز على ذكرها السلطان والامير ، ويميل لتوهمها النائب الناظر والوزير ، ولكن تقف دونها الآمال حسرى ، وتنحني أمامها العقول حيرى ، وتكبو في غاياتها جياد السياسة ، ويصغر عن الطمع فيها أهل الرياسة ، ثم تسمو اليها تلك الهمة ، وتستنزلها من أعلى القمة ، ولولا الفتنة العرابية لجعل لنا ذلك العضو أو الكاتب ، سيطرة على مدارس الاجانب ، على ما كان لهم في ذلك الزمان ، من النفوذ والسلطان ، فكيف لو كان ذا منصب أعلى ، ونفوذ أقوى ؟

(دعوته نظارة الاوقاف الى الاصلاح)

كان لنظارة الأوقاف من حظ إرشاده نفعنا الله بعلومه وآثاره نحو ما كان لسائر النظارات ومصالح الحكومة وكان من تأثير إخلاصه أن عزمت هذه النظارة يومئذ على عمل جليل وهو أن تصل دار الكتب المصرية (الكتبخانه) ومدرسة دار العلوم بالازهر وتوسع دائرة المدرسة بحيث تدرس فيها جميع العلوم ويبلغ عدد طلابها ٥٠٠ طالب ويكون المتخرجون فيها هم المقدمين في أعمال الحكومة ولو تم هذا لكانت الاوقاف ينبوع الحياة لهذه البلاد . ولكن حال دون هذا ودون ما كانت الحكومة شرعت فيه من الاصلاح الاداري والقضائي والعسكري تلك الفتنة المشؤمة

﴿ الثورة العرابية ﴾

علم مما تقدم ان البلاد المصرية كانت في أواخر إمارة إسماعيل باشا في ظلمات بحر من الظلم لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض ـ ظلمة الجور والظلم وظلمة الفقر والفاقة وظلمة الشرور وفساد الاخلاق والآداب وظلمة تحكم الأجانب وسيطرتهم

على الحكومة بحجة المراقبة المالية لما لهم من الديون على اسماعيل باشا وسلطتهم على الرعية التي أغرقيا فى الاستدانة منهم كثرة الضرائب والجزى، وكثرة الضرب وسوء الجزاء . وكان يظهر من غمرات هذه الظلمات بصيص من النور فى مواضع مختلفة لمعت جذوة منه فى الازهر فنفخ الشيخ عليش نفخة أخمدتها ولكنها ما أطفأتها ثم كان هذا النور يظهر فى معاهد خاصة فتعشو اليه الابصار ويسير فى ضوءه من سار ، حتى أشرق وتلألأ فى ادارة المطبوعات، وانتشر نوره في سائر الجهات، وكان ما كان من أخذ الحكومة والناس بوسائل الاصلاح ومقاصده فرحين مستبشرين بأميرهم الجديد (توفيق باشا) لعفته عن أموالهم ، ورغبته فى إصلاح حالهم ، وبوزيرهم العامل المخلص (رياض باشا) واذا بناجم الفتنة قد نجم ، وطائر الشر قد وقع ، إذ هب ضباط الجيش من المصريين يطالبون بحقوقهم ، وأيديهم على مقابض سيوفهم ، وتلك هي مايسمونه بالثورة العرابية

لا يعنينا فى هذا المقام خبر هذه الثورة ولا تاريخها وانما يعنينا أن نبين فى تاريخ أستاذنا انه كان كارها لها منفدا بزعمائها وهو يذمهم لانه كان يعلم انها تحبط عمله الذي مضى فيه ، وكل إصلاح تعمله الحكومة أو تنويه ، وانها تمهد للأجانب سبيل الاستيلاء على البلاد بل كان هو واستاذه يتوقعان ذلك من سيرة اسماعيل باشا وقد صرح السيد بذلك فى خطبه وفى بعض ما كتب وطبع لذلك العهد وحاول أن يحول دون ما يخشى ويتوقع بالسعي فى الاصلاح فليس مانقوله عن أستاذنا من أنه كان لا يجهل خطر الثورة بالحدث والرجم بالغيب ، بل هو قول مؤيد بالدلائل وثابت بالرواية الصحيحة عنه وعن الصادقين من العارفين بما كان .

كان يتقدم على زعماء الثورة بالقول خطابة وجدالا في انه تيهم وسمارهم وبالكتابة في الجريدة الرسمية حتى أرسل اليه عرابي مرة من يتهدده ويقول انك أهنت الشرف العسكري بما كتبت عن الجيش ورؤسائه . أرسل اليه ضابطين الى قلم المطبوعات من الداخلية فطردهما وهددهما بالضرب اذا هما لم يخرجا . وكان عرابي وأعوانه ينفضون من المجلس يدخل فيه

زار مرة طلبه باشا في أيام عيد الفطر فاذا بعرابي وأعوانه جلوس يتكلمون في الاستبداد والحرية والحكومة المطلقة والحكومة النيابية الدستورية واتفقوا على أن الأمن على الارواح والاموال ، وصعود الامة في مراقي الكمال ، من آثار الحكومة المقيدة بلا جدال ، وان هذا التحويل قد آن في مصر أوانه ، وأدركها إبانه ، فعارض الاستاذ في ذلك وقال ان أول مايجب ان يبدأ به التربية والتعليم لتكوين رجال يقومون بأعمال الحكومة النيابية على بصيرة مؤيدة بالعزيمة ، وحمل الحكومة على العدل والاصلاح ومنه تعويدها الاهالي على البحث في المصالح العامة واستشارتها إياهم في الامر بمجالس خاصة تنشأ في المديريات والمحافظات ، وليس من الحكمة أن تعطى الرعية ما لم تستعد له فذلك بمثابة تمكين القاصر من التصرف بما له قبل بلوغ سن الرشد وكمال التربية المؤهلة والممهدة للتصرف المفيد. فطفق عرابي يجادله هو وأحد أساتذة المدرسة الحربية وكان مما احتج به المقيد عليهما أن الأمة لو كانت مستعدة لمشاركة الحكومة في ادارة شؤونها لما كان لطلب ذلك بالقوة العسكرية معنى فما يطالب به رؤساء العسكرية الآن غير مشروع لانه ليس تصويرا الاستعداد الأمة ومطالبها ويخشى ان يجر هذا الشغب على البلاد احتلالا أجنبيا يسجل على مسببه اللعنة الى يوم القيامة ،

عند ذلك أبدى المجادل نواجذه لغير تبسم وقال أرجو أن لا استحق هذه اللعنة وابس الجند هو يطلب مجلس النواب ولكنه مؤيد لطلب أعيان البلاد ووجهائها، ثم أسر الى الاستاذ ان سلطان باشا جمع الاعيان لهذا الطلب،

وقد كتبنا في ص ٥١٢ من مجلد المنار الرابع ردا على صحافي عرض بأن الاستاذ الامام كان من أركان الثورة العرابية نذكره هنا وهو

« عرض هذا الانفجاني المتذمج بذكر الفتنة العرابية وبالية كان يعرف حقيقة الفتنة العرابية ويعرف المترددين فيها والناصحين لهم بالاعتدال فهو لا يعرف ولا يحب أن يعرف واذا أحب فليسأل العارفين ، وليراجع كتابة الكاتبين ، وعند ذلك تظهر له مزية من عرض به ان كان من المنصفين، يظهر له أن هذا الرجل الكبير العقل البعيد الرأي كان ينتقد أعمال عرابي وتهوره في جريدة الوقائع الرسمية في القسم الادبي منها على حين ترتعد فرائص قصر الخديوية من عرابي وحين يرى هذا المنتقد الشجاع ان رئيس النظار ينزل من ديوانه بأمر عرابي مكرها ويسمع من أتباعه ما يكره . وتظهر له تلك الخطبة التي خطبها هذا الرجل العظيم في زعماء الثورة العرابية عند ما ألزموه بحضور مجتمعهم وان يقوم فيهم خطيبا . ماذا كان موضوع خطبته؟

« كان موضوعها بيان تاريخي بأن المعهود في سير الامم وسنن الاجتماع أن القيام على الحكومات الاستبدادية وتقييد سلطتها والزامها بالشورى وبالمساواة بين الرعية انما يكون من الطبقات الوسطى والدنيا اذا فشا فيهم التعليم الصحيح والتربية النافعة وصار لهم رأي عام ، وانه لم يعهد في أمة من أمم الارض ان الخواص والاغنياء ورجال الحكومة يطلبون مساواة أنفسهم

بسائر الناس وإزالة امتيازاتهم واستئثارهم بالجاه والوظائف ومشاركة الطبقات الدنيا لهم في ذلك فكيف حصل في هذه المرة ومن أهل هذا المجتمع ؟ (قل) فهل تغيرت سنة الله في الخلق وانقلب سير العالم الانساني أم بلغت الفضيلة فيكم حداً لم يبلغ اليه أحد من العالمين حتى رضيتم واخترتم عن روية وبصيرة أن تشاركوا سائر أمتكم في جاهكم ومجدكم وتساووا الصعاليك حباً بالعدالة والانسانية ؟ أم تسيرون الى حيث لاتدرون ، وتعملون مالا تعلمون ؟ : وأمثال هذا الكلام الذي فهمه بعضهم فطفقوا ينفضون رءوسهم وتلا على أفهام الآخرين

«هذا ماقاله الشيخ محمد عبده في أعظم مجتمع لرؤساء العرابيين ولو كانوا يعقلون لرجعوا به الى رشدهم ولكن الامة لم تكن استعدت لفهم ارشاد هذا الحكيم ولما تستعد الى الآن ، ولهذا الاستاذ ان يتمثل بقول ابن الفارض رحمه الله تعالى

ونهج سبيلي واضح لمن اهتدى ولكنها الاهواء عمت فأعمت

هذا ما كتبناه منذ أربع سنوات كاملة . ولا حاجة الى كثرة الشواهد والوقائع في هذه السيرة المختصرة

ولا يلتبسن على القارىء معارضة الاستاذ الامام للعرابيين في مشروع مجلس النواب وتقييد السلطة مع أنه كان الداعي الثاني الى ذلك بعد أستاذه وأول من تلقى ذلك عنه فانه كان يحاول أن يكون ذلك برضى الامير وحكومته لا بالخروج عليه وأن يكون في البداية من قبيل التمرين والتعويد مقروناً بالتربية والتعليم الى أن تبلغ النابتة الجديدة أشدها وتصل من طريق الحكمة الى رشدها وقد رأيت كيف كان التوسل منه فيها

ودناه لك عنه، وهو لم يفارق القوم المطالبين بالصلاح عند هبوب الفتنة، ويلجأ الى قصر الامارة أو يتفيأ ظلال العزلة، لانه في فكره وسط بين الطرفين، وفي عمله بين المصلحتين، وقد قال لعرابي مرارا كثيرة عليك بالهدوء والسكينة وأنا أضمن لك أكثر مما تطلب في بضع سنين ونهاه بعد ذلك عن محاربة الانكليز

انتهت الثورة بالاحتلال الانكليزي وقبض على زعمائها وألقوا في غيابة السجن ليحاكموا فيقتلوا تقتيلا ، وجعل الفقيد منهم لامر ما وصدر الامر بأن تكون محاكمتهم بالقانون الانكليزي وعين لهم محام انكليزي جاءهم فسمع منهم وكلفهم ان يكتبوا دفاعهم بأيديهم كل يكتب عن نفسه، ولا يطعن في غيره ، فلم ير في كتابة أحد ما تقوم به الحجة ، وتقمد به التهمة، ويدل على الغوص في أعماق الحوادث ، والاحاطة بما لها من الأسباب والنتائج . الا ما كتبه وما قاله فقيدنا بالامس ، وقد زاد المحامي على بيان ذلك ان اشعره بالخفايا، وأطلعه على ما في زوايا القصر من الخبايا، كقوله ان الحاشية خاطبت محافظ الاسكندرية بلسان البرق بكذا في يوم كذا وعدد كذا بأن يفعل كيت وكيت . وأعطاه من المستندات ما يقلب وجه المسألة ، ولا ترضى إظهاره السياسة، وسنشرح ذلك في تاريخ الفقيد بالتفصيل . حكم على عرابي ورفاقه المعروفين بالنفي الابدي وعلى صاحب الترجمة بالنفي ثلاث سنين وثلاثة أشهر . وقد كان النفي بلاء وشقاء على كل المنفيين حاشا الامام فانه كان رحمة له ونعمة عليه ومزيدا في كمال علمه وتربيته وسببا لنشر علمه في بلاد كثيرة . ذلك انه كان من أهل الاخلاص والتقوى فجعل الله تعالى له من كل ضيق فرجا ومخرجا بل بدل له النقمة نعمة والسيئة حسنة فكان مبدأ حياة جديدة له نبينها فيما يلي هذا

الدين في نظر العقل الصحيح

﴿ المقالة الثانية ـ اصحاب الامضاء ﴾

النبوة

النبوة إصلاح في الارض من قبل الله تعالى على يد شخص يصطفيه من بين خلقه • معنى أنها من قبل الله أنها ليست مستمدة من معلومات من جاور هؤلاء المصطفين الاخيار من الاقوام، بل هي أرقى بكثير مما عليه الناس وما وصلوا إليه • وفائدتها تقدم العالم بسرعة إلى الامام وإصلاح ضمائر الخلق وما تكنه صدورهم بسبب ما توجبه من الايمان باليوم الآخر وما فيه من عقاب أو ثواب وبذلك تستقيم أمورهم في السر والعلن ذكرنا الايمان باليوم الآخر وحده ولم نذكر الايمان بالله مع أنهما مرتبطان أتم ارتباط لأن الاول لاسبيل للعقل أن يجزم به بدون النبوة بخلاف الثاني فالعقل وحده كاف لمعرفته ومعرفة صفاته كما بيناه آنفاه إذاً الفرض الاكبر من النبوة حمل الناس على الايمان بذلك اليوم وإصلاح حالهم الدينية والدنيوية إصلاحا لايصلون إليه بأنفسهم ولو بعد مئات من السنين إذا لم تقل الآف منها • هذا ولما كان محمد عليه السلام المثال الاكبر للانبياء وتاريخه أقرب عهداً وأصح سنداً رأيت أن أتكلم على حياته بما يقتضيه المقام، إيضاحا لما أجمله فيما مر من الكلام، وهذا يستلزم ذكر أحوال العالم في ذلك الوقت ثم أحواله عليه السلام وما أتى به من الاصلاح في الارض ولذا ابدأ الآن بوصف حالة العالم في عصره فأقول

كثرت المشاغبات في الدين ، وطمس نور الحق بين العالمين ، تشعبت الآراء ، وتعددت الاهواء ، وعبد كل ماشاء الشيطان من الاباطيل ، عم السجود للاوثان ، وعبدت الصور والصلبان ، واعتقد الناس الالوهية في التماثيل ، خلط الخلق في شأن اللاهوت ، وتوهموا ظهوره في الناسوت ، فاتخذ البشر آلهة من دون واجب الوجود ، سهل على الناس اعتقاد السلطة في بعض الافراد ، وظنوا ان بيدهم الاشقاء والاسعاد ، فهابوا مقامهم ، واعلوا شأنهم ، فطغى اولئك وبغوا ، وافتروا ماشاءوا من الاحكام ، وقالوا للتعسف المثم الكذب هذا حلال وهذا حرام ، اصبح الناس عبيداً اذلاء في جهالة عمياء

اشتغل الرؤساء بالمطامع الشخصية، وتفانوا في الحصول على لذائذهم البهيمية، واتخذوا البعض من المسائل الدينية ذريعة للمشاجرات والمماحكات، فتعددت البدع وكثرت الفرق وظهرت مذاهب الاباحيين والدهريين، اثار كل رئيس من تحت يده من المرءوسين، واشهروا الحرب على الآخرين فأريقت دماء المسلمين.

هـذا كان حال الامم في كل بقعة من الارض وفي بلاد العرب ادهى وامر، عم الفساد وزاد العناد وزال العلم وحل الجهل وفسدت الاخلاق في سائر الآفاق

ليس ما ذكر تخيلات شعرية، ولا افكار وهمية، بل هي حقائق تاريخية، اتفق عليها اهل العلم، ولم يشذ منهم فرد منهم.

ظهر في هذا الوسط الجاهل والظلام الحالك، الذي يضل فيه كل سالك، محمد العربي والنبي الامي، ونشأ يتيما فقيرا لا أب له يؤدبه ويربيه ولا معلم يرشده ويهديه

تدبر زعم بعض المجادلين انه تعلم القراءة والكتابة ليدفع بذلك ما سباق على سمعه من قوة البرهان ولكنه وهم تزيله بما يأتي من الدلائل الواضحة:

(١) إن الجمهور الاعظم من امته كان اميا إلا نفراً قليلا فاذا أضفنا إلى ذلك يتمه وفقره واميته فلا نجد أي حامل يحمله على تعلم القراءة والكتابة إذ أولى له أن يسعى على عيشه من أن يصرف وقته في الحصول على شيء لا يعرفه الا القليل ممن جاوره

(٢) تعلم القراءة والكتابة يحتاج إلى زمن ليس بقصير وخصوصاً في بلاد ليس فيها دور للعلم ولا كتب ولا مدرسون فلو سعى في تعلمهما لوجد مشقة عظيمة ولما أمكنه إخفاء أمره إذ لا بد أن يشاهده الناس ولو مرة واحدة مع أنه كان يجاهر بأميته على رؤوس الاشهاد ولم يوجد من يعارضه (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون)

(٣) لم يعهد عنه أنه كان يلاقي أحداً ممن اشتهر بمعرفة القراءة والكتابة قبل نبوته

(٤) لو كان أحد من الناس يعلمه لاضطر النبي إلى تقديمه على أصحابه ولا ظهر له احتراماً زائداً ولفاه المعلم بذلك لبعض الناس مع أنه لم يحصل شيء من ذلك مطلقاً

(٥) لم يشاهد أنه في منزله أو خارجه قبل النبوة أو بعدها كان يستعمل قرطاساً أو قلماً في تأليف شيء ما أو تدوينه فلو فرضنا أنه لم يشاهد وهو يتعلم فيبعد جداً أن

لا يشاهد وهو يستعمل القراءة والكتابة في شؤونه الخاصة.

(٦) لو كان ابتدأ بتعلم القراءة والكتابة لا لقصد دعوى النبوة لأظهر افتخاره بذلك وجاهر به ولو كان لقصد دعوى النبوة فمن البعيد جداً أن يدبر حيلة كهذه وخصوصاً إذا أضفناها إلى غيرها مما يسميه أعداؤه حيلاً فإنها تغيب عن أذهان الفلاسفة والسياسيين لأنهم إذا دبروا عدة حيل يظهر أمرهم ولو في إحداها على ممر الأزمان فكيف يتأتى لواحد منفرد في أول نشأته أن يدبر كل ذلك بنفسه ويكتمه حتى يصير كهلاً ولا يفتضح أمره مرة واحدة إن ذلك لبهتان عظيم

والخلاصة أن حاله ووسطه الذي تربى فيه كان اليتم والفقر والجهل والأمية والأوهام والضلال والوثنية، وقد احتاط به فساد الأخلاق من جميع الجهات، والتف حوله عشيرته الغارقة في بحر من الخرافات والترهات، فكيف كان تأثير ذلك في نفسه ؟؟ لم يكن لهذا التأثير المعهود بل نشأ منشأ يخالف ما عليه أهله وقومه. بغضت إليه الوثنية في مبدأ أمره. فلم يعرف عنه أنه سجد لصنم قط أو احتفل بعيد من أعياد أهله. كانوا يشربون حوله الخمور، وينغمسون في الشهوات والفجور، وهو بعيد عنهم منكر عليهم، كانوا يشتغلون بالتافه من الأمور ويثيرون الحروب لمسائل واهية ولم يكن هو منهم، كانوا يقومون ويقعدون، ويتفانون ويقتتلون، لقصيدة أو بيت شعر وهو لا يحفل بذلك ولا يجاريهم عليه. ماذا كانت حاله إذاً ؟؟ كان الاستقامة دأبه، والصدق والأمانة طبعه، حتى عرف بين أهل مكة بالأمين وهو في ريعان شبابه. ينهمك الشبان عادة في الشهوات ولو كانوا متعلمين مهذبين ولكنه هو يتزوج العوان ويبقى معها إلى ما بعد الأربعين حتى حين وفاتها ولا ينظر إلى سواها ويعيش معها بكل طهارة وعفة فلم يسمع عنه أنه ارتكب منكراً في زمن شبابه أو علق بحب فتاة أو مال إلى عشقها مع أن قومه كانوا غارقين في هذه البحار وقصائدهم تشهد بذلك. ماذا كان شغله إذاً ؟؟ كان شغله رعي الأغنام ثم التجارة ثم التعبد في الخلاء والتحنث بمناجاة الله تعالى

قام عند بلوغه الأربعين بدعوى الخلق إلى عبادة الحق وقرر أن للعالم إلهاً واحداً بريئاً من كل ما ينسبونه إليه مما لا يليق به، وأثبت ذلك بالحجج الدامغة، أمر الناس باستعمال الفكر والعقل في كل شيء ونهى عن التقليد وحض على النظر في الموجودات. أطلق للناس الحرية الصحيحة

وحرم عليهم الخضوع لرئيس في الدين او لأي احد سوى رب العالمين ومنعهم من الالتجاء الا اليه مباشرة وامرهم بالاستعانة به وحده ، اعطى الروح والبدن ما يطلبانه بشرط ان لا يضر بهما ولم يحث على المبالغة في الزهد ولا الرهبانية بل امر بالسعي والعمل وتصريف الاعضاء فيما خلقت لاجله مع مراعاة ان لا يضر ذلك بالمرء او بغيره ، أباح الطيبات وحرم الخبائث ، وامر بالعدل والمساواة ومسالمة المخالفين في الدين ومعاملتهم بالتي هي احسن والتوفيق بيننا وبينهم ونهى عن الاكراه في الدين واوجب تأمين الراغبين في النظر فيه ولو وقت الحرب (وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مأمنه ذلك بانهم قوم لا يعلمون) الى غير ذلك مما لم تهتد اليه الناس في الغرب الا بعد ان وصل اليهم شعاع من نور الاسلام في الشرق ، فارجع البصر الى تاريخ اوروبا قبل الاصلاح الديني بلوثر وقبل الاصلاح السياسي بالثورة الفرنساوية لتعرف ما كانوا عليه ، اتى مع ذلك بجميع الاخلاق الفاضلة المعتدلة والعبادات الصالحة والمعاملات الكاملة والمبادىء السامية والسياسات القويمة وغيرها مما كان السبب في اصلاح امر الانسان وتحريره من العبودية وانقاذ العقل من الاسر ورده الى مملكته ليحكم فيها بالقسط فنهض الشرق نهضة سريعة طالبة لم يهد مثيل في التاريخ ثم امتدت الى الغرب

فهذه هي آثار ذلك الامي وهذه هي اعماله فبماذا يجيب الضالون ؟

زعم بعضهم بعد أن سلم بأميته أنه لابد أن يكون تلقى ما أتى به من أحد الناس بالمشافهة فنجيب بأن ذلك التلقي لو هو إما أن يكون حصل قبل النبوة أو بعدها

فان كان قبل النبوة فاما ان يكون حصل ذلك في بلاده أو في غيرها أما في غيرها فهو لم يسافر إلا إلى بلاد الشام وذلك مرتين الاولى مع عمه أبي طالب قبل بلوغه رشده والثانية في سن الخامسة والعشرين مع غلام خديجة وفي كلتيهما لم يكن منفرداً ولم يشاهده أحد من التجار المسافرين معه يتلقى العلم عن أحد ولم يغب عن قومه الا مدة التجارة والا لو غاب عنهم بضع سنين لقالوا له لعلك تعلمت هذا مدة غيابك هنا وهم لم يفوهوا بمثل هذا مع أنهم كانوا يحاولون أن يلصقوا به هذه الشبهة وهي التعلم من الناس وأيضاً فأي عامل يحمل هذا الفقير الذي نشأ هذا المنشأ الذي بيناه ولم يوجد من يقبه ويرشد فكره لفضيلة العلم حتى يترك ملهيات به وهو في تلك البلاد

الاجنبية وما به إرضاء خديجة التي بعثته إليهم ساوي يجهد نفسه في البحث عن عالم ليس من امته ولم يكن على عقائدهم ويرضخ له حتى يبعث في قلبه كل هذه التعليمات ويسلم له فيما يخالف معتقد آبائه وأجداده . وان زعم انه حصل ذلك في بلاده فهو غير ممكن لاسباب :

(١) انه كان يشاهد يفعل ذلك ولو مرة واحدة

(٢) ان المعلم له إما انه كان من الوثنيين وهذا لا يمكن أن يعلمه ما في التوراة والانجيل وغيرهما من عقائد الموحدين واما انه كان من اليهود وهذا لا يمكن أن يعلمه أخبار المسيح وأمه والاقرار لهما بالفضل والنزاهة واما انه كان من النصارى وهذا لا يعلمه أن ينكر لاهوت المسيح ولا التثليث ولا الصلب ولا أن يرمي النصارى بالتحريف في كتبهم ولا غير ذلك مما يوجد في القرآن من الانكار عليهم واما انه كان من المبتدعين ومثل هذا أولى أن يشتهر بين الناس بنفسه أو يعرف له علاقة في التاريخ بمحمد عليه السلام تؤهله أن يتعلم منه

(٣) أي حامل يحمل هذا المعلم على اجهاد نفسه وصرف وقته في تعليم هذا العربي الامي ولم لم يدع الناس الى هذه الاشياء بنفسه او يختار احداً غير اشتهر بشعر او بخطابة أو شيء من العلم أو كان له جاه أو أعوان أو مال او غير ذلك مما يكسب المهابة في قلوب الناس

(٤) انه من الصعب جداً ان يقدر احد من الناس ان يهذب هذا الامي كل هذا التهذيب وان يخرجه من عقائد آبائه واجداده ويدخل في ذهنه مسائل النبوة والوحي والتنزيه والتوحيد ويجعله يعتقد ذلك اعتقاداً يقينياً الا اذا كان هذا المعلم مقتدراً عالماً حكيما ومثل هذا لم يعرف له ذكر في بلاد العرب ولا فيما جاورها فكيف لم يشتهر بالعلم والفضل وأي مؤرخ لذلك العهد ذكر كلمة عن أحد مثل هذا متمسكا بما يوجد في القرآن من العقائد والعبادات والمعاملات والاخلاق والمبادىء وغيرها

(٥) لم لم يسر هذا المعلم الى احد بأنه يعلم محمدا ويهذبه وما الذي حمله على اخفاء هذه المسألة وكتمها هذا الكتمان المطلق

(٦) لم لم يشاهد محمدا يحترم أحدا قبل نبوته أكثر من غيره او يلوذ به

ويلازمه كما هو شأن التلميذ مع معلمه

(٧) اي شيء ألزمه الصبر اربعين سنة ولم يجعله يسارع الى دعوى النبوة ولم لم يبادر الى سرد القصص التي تعلمها مرة واحدة ، وكذلك الاحكام والعقائد وغيرها خوفاً من الذهاب من الذاكرة والنسيان وهو الامي الذي لا يمكنه ان يستعمل مذكرة اي شيء مطلقا خوفا من ان يطلع عليها احد وهي معه ، شأن الذي يريد ان يدعي شيئاً مثل هذا ان يظهر عليه عدة محاولات تدل على ما تطويه سريرته ثم يجيء فيزداد شيئاً فشيئاً لا ان يسكت اربعين سنة ثم يندفع بدعواه مرة واحدة بعزيمة واحدة قوتها في الاول كقوتها في الآخر

(٨) كيف ان هذه الفكرة لم تأخذ بلبه ومشاعره فتجعله مشتغلا بها طول السنة وكيف يتناساها إحدى عشر شهرا ويشتغل بها شهر رمضان فقط من كل سنة فيستعد فيه لما سيدعيه كما يزعمه اولو الاهواء في عزلته السنوية ، عادة المفكرين ان تأخذ مثل هذه النيات بحواسهم وعقولهم حتى يظهر للناس انهم دائما في اشتغال بال ولكن النبي ما كان يشغله شيء عن شيء والا لانهك الفكر بدنه وصار سقيما وكلت قواه العقلية من كثرة الحيل وتعدد الصعوبات التي كان يلاقيها فتضعف عن ان تدبر كل ما كان يدبره لولا الارشادات الالهيـة والالهامات الربانية ، وكيف علم انه لن ينقضي اجله حتى يتم القرآن في آخر سنة من حياته ويأمن على نفسه فيأتي به نجوماً نجوماً

وان كان التعلم حصل بعد ظهوره بالنبوة

(١) فكيف ابتدأ دعواه على جهله وأي منبه قام بفكره حتى حمله على ذلك وكيف ضمن أنه يجد من يعلمه

(٢) لم يشاهد مرة يلجأ الى أحد الناس ليتعلم منه

(٣) لم لم يقدم هذا المعلم ويفضله على أصحابه أو يوصي له بالخلافة ولم بقي معلمه مرؤوسا له ولم يكن رئيسا عليه (راجع أيضاً الاوجه السابقة)

(٤) لم لم يوجد بين أصحابه من كان يأنف من أن يتلقى العلم عنه ويخضع لامره ونهيه فإن كان هذا المعلم حتى ساوى نفسه بأصحابه هذا ولم يعرف أحد بينهم ممتازا بعلم

سوى ما أخذه باقرارهم جميعاً عن كتاب الله وحديث رسوله فان كان هذا العلم موجوداً في عصر النبوة فلم لم يشتهر قبل دعوى محمد بالعلم والفلسفة ولم أخفى نفسه حتى ادعى محمد النبوة ولم لم يظهر بين العرب حتى تجله وتحترمه احترامها لمحمد وأي شيء استفاده حتى يكتم كل هذا فبالله من التعصب الذي يعمي ويصم

علمت مما تقدم أنه كان أمياً وأنه لم يتلق العلم عن أحد شفاهياً فكيف أتى بما أتى وكيف عمل ما عمل ؟؟ شيء آخر في تاريخه وهو أنه لم يجار العرب في الاشتغال بالشعر أو النثر أو الخطابة أو غير ذلك مما كانت تتفانى فيه العرب ولم يشتهر بينهم بشيء من ذلك مطلقاً ولم ينقل عنه أنه قال كلاماً في منتهى البلاغة قبل نبوته وكان قليل العناية بمجتمعاتهم واقتخارهم بنثرهم ونظمهم فكيف أتى بهذه البلاغة الخارقة للعادة وكيف أتى بهذا الاسلوب المعجز واخترعه وكيف لم يوجد فرق في البلاغة بين أول ما نزل من القرآن وآخره مع أن العادة أن الانسان يتدرج في الشيء فيكون آخر ما أتى به أحسن مما ابتدأ بانشائه وكيف يكون الكل معجزاً مع أن المعتاد من البلغاء أن يكون بعض كلامهم في منتهى البلاغة والبعض الآخر ليس كذلك وكيف لم تجد العرب إعجازاً في كلامه الذي ينسبه لنفسه قبل النبوة أو بعدها مع أنه لم يظهر عليه شيء يدل على عنايته بانشاء أحدهما دون الآخر بل كثيراً ما كان يقول أحدهما في عين الظروف التي يقول فيها الآخر بدون تكلف أو تحوير فيما يلقيه من أول وهلة وكيف أمكنه الجزم بأن جميع الناس لن تقدر على الاتيان بكلام مثل القرآن منفردين ومجتمعين ويخبر بذلك قبل وقوعه ويصدق خبره (فان لم تفعلوا ولن تفعلوا) الآية وغيرها فما هذه الحجج الباهرات وما هذه البراهين المفحمات؟

قام بالدعوة الى الله وحده ولا حول له ولا قوة والناس حواليه أحياء ما ألفوا أعداء لما دعوا اليه فسفه آراءهم ونكس أصنامهم ولاقى بسبب ذلك منهم ما لاقى مما يثبط الهمم ويذهب بالعزائم لولا تثبته في أمره وجزمه بالظفر والنجاح فنجا من جميع الشرائك التي كانت تنصب له في الحروب وغيرها وسلم من الدسائس التي كانت تدبر له والتربصات القتلية التي كانت تعقد عليه ووعد أصحابه بالنصر والفتح والتمكين في الارض والخلافة فوقع كل ذلك لهم وصدق في جميع ما أخبر به من المغيبات فتحققت نبوته وصح اخباره بانتصار الروم على الفرس في السورة المعروفة مع أنهم كانوا في حالة

لا يرجى منها نصر لشدة ضعفهم وقوة عدوهم وهو لم يكن من السياسيين ولا المطلعين على مواقع البلاد واحوال الامم وتاريخها فكيف يتأتى له الحكم بشيء مثل هذا ويعرض نفسه للتكذيب والخذلان مع ان المسألة ليست مما يمكن تقديره وكسبه. اما هو فلو لا ثقته بالوحي لما تجرأ على القول بأنهم سيغلبون في بضع سنين وعرض نفسه للسخرية والتكذيب وهو احرص الناس على عدم افتضاح امره كما يقول اعداؤه (وإذا سمعت قراءة من قرأ سيغلبون بالبناء للمجهول اي إن المسلمين تغلبهم فيها ايضاً الاخبار بغيب لو لم يقع لظهر كذبه) اجتمعت عليه العرب مرة احزاباً، واتحدوا على محوه وذكره من الوجود انتقاماً، فارسل الله عليهم ريحاً وألقى في قلوبهم الرعب من غير سبب ففروا انهزاماً، وكفى الله المؤمنين القتال، فما كل هذه المصادفات انصح ما يقول الواهمون الذين يتمحكون بهذه التأويلات الفارغة ويتمسكون بالتعللات الباردة، سمعت من بعضهم بعد ان ادهشه الدليل بان النبي لم يتعلم من واحد مخصوص قولا يريد به تسكين نفسه وتهدئة خاطره وهو انه ما كان يسمعه الني ممن حوله من الناس في مسائل الدين سهل عليه الاتيان بما اتى به وانه كان يستمد معلوماته ممن جاوره من النصارى واليهود باستراق السمع منهم فاقول لهم لا ايها المعجب بتفسيراته المغرور بتعليلاته واسمع لما سأتلو عليك وانت شهيد ولا تكن ممن عن الحق يحيد؟

انه لم يكن في مكة من أهل الكتاب الا أشخاص يعدون على أصابع اليد الواحدة وكانوا من أجهل الناس وأحطهم مقاماً في الهيئة الاجتماعية وكانوا يحترفون بدنيء الحرف تخدمة بعض العرب او الاتجار في بعض اشياء حقيرة، وقد نزل في مكة من القرآن ما كان محمد في اشد الحاجة الى من يلقنه إياه فهل يسلم العقل ان هاما محمد مستفاد من هؤلاء الاشخاص

هب انه كان يتصيد المسائل من نصارى العرب ويهودها فكيف أمن من الوقوع في خرافاتهم التي يجزم العقل ببطلانها كقصة شمشون وما يتعلق بقوته وشعره ونحو ذلك من الاوهام التي كانت ولا تزال منتشرة بين النصارى واليهود الى اليوم، لم تنزه كلامه عن اضاليلهم في المسألة اللاهوتية كعقائدهم في المسيح والصلب والتثليث ومصارعة الله بعض الانبياء وظهوره بمظهر شخص لم يدر فيما فعله فندم بعد ذلك

على ماوقع منه كأنه لم يكن يعرف عواقب الامور . أليس من المعهود ان الانسان يقع في بعض غلطات من كان يجعل كلامهم معتمده فيما يعتقد انه صواب فلماذا لم يقع محمد في خطأ واحد من خطأهم

كيف سلم كلامه من الغلطات في المسائل العلمية التي كانت منتشرة بينهم في ذلك الوقت كاعتقادهم ان الشمس وقفت لفلان او رجعت بعض درجات وان الحية لا تأكل إلا التراب مع انها لا تأكل التراب وكالأوهام في شأن جنة عدن وما ذكر منها من الانهار مما لا يصدق به الا الجهلة من اهل التحريف الى غير ذلك مما كان ذائعاً بينهم ولا يزال الى الآن . هل يعرف الامي الذي نشأ في وسط الجهل وفي زمن الجهل ماصح من المسائل وما فسد منها حتى انه لا يقع في كلامه الا الصحيح مع أن انتشار الخرافات والاقوال الفاسدة كان بحيث اذا كلف فيلسوف باعتقاده واختيار صحيحها لوقع في الوهم والحكم على بعض الصحيح بأنه باطل وعلى كثير من الباطل بأنه صحيح وخصوصاً في ذلك الزمن وفي تلك البلاد العربية التي كان فيها العلم عبارة عن مجموع خرافات العجائز اختلطت بشيء لا يخلو من الصحة من بعض الوجوه فما بالك بمحمد الامي والرجل العامي .

أيتصور ان هذا الرجل الذي كان يعتقد في أهل الكتاب انهم غاشون ماكرون يحرفون الكلم عن مواضعه ويفترون على الله الكذب ويكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلا أيتصور منه وهو يعرف كل هذا عنهم ان يثق بأقوال يسمعها من أفواه الجهلة منهم ويزعم بعد ذلك انها من عند الله مع انه ما كان يثق بقول اعظم عالم من علمائهم بل كان يرميهم بأنهم لا يفهمون حقائق ما عندهم من الكتاب وأنهم يختلقون اشياء كثيرة لتضليل عامتهم وغشهم . فكيف يعول النبي الذي لا ينكر أحد رجحان عقله على قولهم مع انه شرح للناس مكرهم وكذبهم . وكيف لا يخاف ان يكذبوا عليه ويغروه ويوقعوه في الخطأ الذي لا يمكنه التخلص منه . وكيف يسلم لاحد منهم مايقوله في دينه مع انه يجوز ان يكون مخطئا ولا أثر لما يقول في الدين لما نشاهد ذلك كثيراً في المسلمين وغيرهم فكم من غلط وقع فيه الكتاب الغربيون اثناء كلامهم عن الاسلام وعن عقائدهم بسبب مايسمعونه من جهلة المسلمين .

هل يمكن لعامي الأمي اذا سمع خليطاً من قصص بني اسرائيل من افواه آحاد الناس في مجالسهم مشوهة ممزوجة بكثير من الخرافات كما هو شأن العامة في أحاديثهم غير مرتبة على حسب وقوعها وغير مفصلة تفصيلا يزيل ما اشتبه على الافهام بحيث لايدري صحيحها من كاذبها ان يفهم منها حقيقة تاريخهم وعقائدهم ودعوى انبيائهم ويأتي بعد ذلك بتفاصيل اهم حوادثهم وذكر اعظم رجالهم وما حدث لهم ويشير الى ترتيب ازمنتها والى بعض البلاد التي وقعت فيها والى موقعها الجغرافي كأن يومئ الى موقع البحر الاحمر بالنسبة الى مصر بقوله (فأتبعوهم مشرقين) ويأتي على القصص الطويلة كقصة يوسف وموسى وابراهيم ولوط وغيرهم ويعرف نسبة كل منهم الى الآخر ويرتبها على حسب ترتيبها الطبيعي من غير تقديم او تأخير في حوادثها او يخلط فيها مع ان هذا التاريخ اجنبي عنه وعن قومه ولم يدرسه دراسة تمكنه من ان يكتب إحدى حوادثه الكبيرة ؟ تصور حالة عامي من عامة المصريين اذا سمع اقوالا متفرقة متشعبة من افواه بعض جهلة الاوروبيين من تاريخهم فهل يمكن هذا العامي ان يأتينا بشيء عظيم صحيح من تاريخهم مثل ما اتى به القرآن ويسرد علينا آراءهم ومبادئهم ومعتقداتهم ويذكر أهم رجالهم ونسبهم وتاريخ حياتهم وما اتوا به من الاصلاح في بلادهم وينبه على وجوه العبرة في كل ما يقص علينا وعلى ارتباط الحوادث بعضها ببعض ولا يذكر إلا الصحيح منها ويترك الاباطيل التي ألحقتها الاوهام بها . قل لي بأبيك هل هذا ممكن ؟؟ يزعم البعض أن في القرآن خطأ في هذه المسائل ويأتوننا بأشياء تعد على أصابع اليد الواحدة ويزعمون أنها غلط من غير اعتماد على دليل صحيح يعتد به . فلو كان مصدر القرآن كما يقولون هل كنا نجد فيه هذه الغلطات القليلة (على زعمهم) فقط غير الثابتة أم كنا نجد كل صحيفة مملوءة بالاوهام والخرافات والخلط في المسائل والخبط من غير اهتداء إلى صحيحها وذلك من غير كثير عناء وتعب بل بمجرد مطالعتها كان يضحكنا ويجعلنا نهزأ بها ونتعجب من ترهاتها وخصوصاً في زماننا هذا الذي صار فيه تلامذة مكاتبنا يضحكون من أفكار بعض فلاسفة من سبقنا ويتفكهون بذكرها ولا نحتاج إلى البحث والتنقيب وصرف الوقت في الحصول على هفوة قل أن نجدها في القرآن وإذا وجدناها فانها لاتلبث أن تزول بعد التروي والتأمل والتعمق في البحث . فهل

هذا هو ما ننتظره في قول العامي المصري الذي ضربناه لك مثلا أم كنا نستلقي على قفانا من الضحك عند سماع بضعة أسطر من كلامه في المسائل الطبيعية والتاريخية والعمرانية والاخلاقية واللاهوتية والشرائع المدنية والعبادات الدينية إذا حاول أن يملي علينا شيئاً من ذلك. استحضر الآن في فكرك ما أتى به القرآن. أليست التربية الاسلامية تضارع أعظم الشرائع كالرومانية وغيرها. أليست الاخلاق المحمدية أكمل الاخلاق لتقويم النفوس مع خلوها من الضعف وما يوجب المسكنة وإذلال النفس وغير ذلك مما ورد في غيرها من التفريط أو الافراط. أليست قصص القرآن عبرة لمن اعتبر مع بعدها عن سفاسف الامور واللغو الذي لا فائدة فيه (قارنها ببعض أسفار العهد القديم مثلا كسفري الملوك واخبار الايام) أليس من المبادىء الاسلامية ما لم تهتد الناس إليه إلا في العصر الحاضر

(لها بقية)

محمد توفيق صدقي حكيم بسجن طره

باب التربية والتعليم

شذرات من يومية الدكتور أراسم (*)

(التربية بالتأثيرات الطبيعية)

يوم ١٤ أغسطس سنة ــ ١٨٦

صادفنا غداة اليوم على مقربة من ليازنجيا آتيا يلتمس رزقه من عرض حيوان يسمى البوما وهو المثيل للاسد في أمريكا كانت قبيلة من المتوحشين اصطادته حيا وكان ربه وهو شبه مشدوه يؤمل أن ينال بعض النقود من عرضه على النظار

كان هذا الرجل على شدة فاقته وعجزه عن القيام بنفقة نفسه مصحوبا بصبية زنجية عليها طمر أزرق رأيت في مشيتها قزلا فسألتها بالاسبانيولية التي لا أحسنها عما أصابها فجعلها تعرج كما رأيت فكان جوابها أن ارتني إحدى ساقيها فاذا فيها جرح دام ورأيت قدميها قد ورمتا ورما مفرطا ولما أمعنت النظر في ساقها المجروحة عثرت على طرف شوكة

(*) معرب من باب تربية اليافع من كتاب أميل القرن التاسع عشر

فلبثاة في سمك لحمها وهي التي تسبب عنها الجرح قطعاً ثم خبث بما اعتوره من الشق والوصب ولدغ الحشرات فان هذين المسافرين كانا آتيين من مسافة بعيدة جدا

مازلت بهذه الشوكة حتى نجحت في سلها ثم ضممت أجزاء الجرح بعضها الى بعض وما لم أجد خرقة أعصبه بها أولتني «لولا» منديلها ولم تقتصر على ذلك بل دعتها رحمتها بهذه الفتاة الى خلع نعليها ووضع قدميها المرضوضتين فيهما فلاءمتاها أشد الملاءمة كأنما صنعتا لهذه المسكينة فأعربت «لولا» عن شكرها ثم غادرناها ومضينا في سبيلنا

ابتهجت «لولا» الى عملها هذا ابتهاجاً من بواعث الخير القلبية الا انها ما لبثت ان أدركت صعوبة الاحتفاء في أرض صلبة خشنة كأرض البيرو فان طرقها لا مشابهة بينها وبين طرق البساتين الكبرى في انكلترا

انثنت «إميل» أولاً يسخر من حيرة صديقته في سيرها حافية ولكنه لما أثرت في نفسه متهما دبت فيه النخوة فاحتملها على ظهره فقبلت ذلك مبتسمة

ان الباقي من طريقنا لم يكن طويلاً جداً ومع ذلك وقف «اميل» في أثنائه للاستراحة مرتين أو ثلاثاً متهاوناً في ذلك نصيحتي وفي آخر وقفة منها بصرنا من بعيد بالمشعوذ يقود البوما وعرفت «لولا» الصبية الزنجية وقد خلعت النعلين وحملتهما في يدها فما كان أشد غمها لهذا المرأى انظر كيف بخستها منحتها وكيف استعملتها

فسريت عنها ما خامر قلبها من الكدر بأن قلت لها ان العادة طبع ثان وان هذه الصبية لا بد أن تكون تعبت من الانتعال لاعتيادها الاحتفاء على ان نية اسداء المعروف محمودة على كل حال ولو أخطأ صاحبها فيما يتخذه من الوسائل لايصال النفع

والذي رأيته خيراً من هذه العظة كلها هو انما وجده قلبها الطاهر من السرور باحتمال «اميل» اياها قدر لها فيما أرى على ان الانسان لا يخسر شيئاً مما يسديه من المعروف» اهـ

يوم ٢٨ أغسطس سنة ـ ١٨٦

زرنا بعض أجزاء من جبال القوردير ولم يكن سبق «لاميل» أن شاهد مثل هذه الجبال التي يصح أن تسمى بالالب (١) الامريكية فراعه كل الروع ما لهذا الخالق هنالك

(١) جبال الالب هي سلسلة جبال عظيمة في اوربا

من مظاهر الفخامة والعظم مع اتالم نبلغ منها الا أدنى شعافها

لا بد لي أن ألاحظ هنا أن القدماء كانوا اقل في التأثر بالجبال الشامخة من المحاسن الرائعة فان المتأخرين من شعراء اللاتين من الكلام فيها إلا النذر اليسير ومعظم ما قالوه استهجان واستقباح وقد يحدو بي ذلك الى القول بأنه كان يلزم ان يدهمهم من الكوارث المحزنة ما تهتز له نفوسهم وأن تستضيء بصائرهم بنور العلم ويتمكن منها الاستعداد للبحث والتنقيب الذي هو من مزايا العصور الحديثة ولو تم لهم هذا لادركوا أن في سيارنا الذي نعيش على ظهره من المناظر الهائلة البديعة ما يدعو الى الاعجاب الحقيقي ١٠ هـ

يوم ٢ سبتمبر سنة ١٨٦

كسبت دولاه دعواها وان شئت قلت خسرتها فكلا القولين صحيح باعتبار جهة النظر اضطررنا للمصالحة في هذه القضية الكثيرة الارتباك لما يقتضيه الفصل فيها من الانتظار أشهراً بل سنين فرض على الخصم أن يعطوا لبنت السفان مقداراً زهيداً من النقود وبعض ما كان لوالدها من الارضين ٠ والارض هاهنا لاقيمة لها اليوم أصلا مالم يستغلها صاحبها بنفسه أو بواسطة وكيل له يقيم في هذه البلاد

فأما انا وهيلانة فاحتجنا لنقيم في ه ليما ٥ بل قد انتهت مهمتنا ولم يبق الا السفر لاسيما اني تلقيت مكتوباً من الدكتور وارنجتون يدعوني الى لوندره لامور نافعة لي بيننا فيه

وأما قوبيدون وجورجيا فانهما خبيران بفن الزراعة خصوصاً زراعة الاقطار الحارة وليسا من ذوي العقول الضعيفة وأمانتهما تقوم بكل ما في بلاد البيرو من الذهب ولا أرى ما يمنع من العهد اليهما بزراعة أطيان دولاه

وانه ليشق على مفارقة هذين الشهمين غير اني أرى أن اقاليم انكلترا لم يخلق لمثلهما من الزنوج وأما اقاليم جنوب امريكا فانه يؤذن بأن سيكون لهما فيه بتوالي الايام مناخ جميل ووطن سعيد ١٠ هـ

رجعت السفينة التي كانت حملتنا من لوندره الى قلاو منذ ثلاثة أسابيع ويسلم الله حتى يكون مجيئها ولذا رأينا بدلا من اجتياز رأس القرن أن نركب هذه المرة في سفينة تجارية على نهر الامازون (١) تسير بنا والشاطيء حتى نبلغ سواحل البرازيل حيث نجد

(١) المعروف ان الامازون أكبر انهار الدنيا ولعل المؤلف يريد بقوله نهراً أحد فروعه القريبة من ليما

سفينة تكون مسافرة الى انكلترا فان هذه الطريق أقصر من الاولى بسبع عشرين يوماً

توري « ولولا « أن تودمنا لان بلادها لقلما عرفته منها لم تبعث في نفسها شيئاً من الرغبة في توطنها ولانها تعلم فوق ذلك اننا نحبها

ما نمت على هذا السفر بحال « فاميل » قد مضى وقته هنا في الالتفات الى العلم والامعان في مسائله فهو يعود الى بلاده الآن ناقلا اليها مجاميع في علم التاريخ الطبيعي بل ماهو خير منها — ضروب الانفعال الكثيرة بالرأي وصنوف الذكر التي وعى وقد ترَبَّى طبعه في مدرسة الاختبار والحياة التي لا يربي الرجال غيرها «

نعم اني لا أعني بهذا القول أن لزم جميع من هم في سنه من المراهقين أن يبتعدوا عن أوطانهم بقدر ابتعاده ولكن رأيي الذي لا أحول عنه هو انهم لو خرجوا قليلا من أصدافهم ورأوا الكون في الكون قبل أن يروه في الكتب لتعلموا من ذلك أكثر مما يتوهم « اه

الكتاب الرابع في تربية الشاب

المكتوب الاول من « اميل » الى والده

وصف معيشته — نادي الطلبة الالمانيين ومحاوراتهم — تهافتهم على خدمة الحكومة تفكر « اميل » في أمره — تألمه من عدم فهمه اللغة الالمانية — ذكره « لولاه » — استيحاشه من غربته

برلين في ٨ يناير سنة ـ ١٨٦

اتصلت في سلك المدرسة الجامعة بعد امتحان كان لا بد من تأديته وصرت أدعى منذ أسبوع بالسيد الطالب

من المفروض عليّ ان أكاشفك بشيء من تفاصيل معيشتي وأنا طالب : اما نهاري فأصرفه في تلقي دروس الحكمة والتاريخ والقوانين وعلم تركيب الحيوان والنبات ومنافع أعضائهما والمقارنة بين اللغات وغير ذلك وأما ليلي فأقضيه في مسكن استأجرته ستة أشهر بنحو مائة وخمسين فرنكا واما طعامي فأتناوله في مطعم على مائدة جامعة في مقابل أربعة وعشرين صولديا (١) وبعد العشاء تارة آوي الى حجرتي وطوراً

(١) الصولدي جزء من عشرين جزءاً من الفرنك قيمة طلمانه عن فرنك واحد

أثره في المدينة ولكوني أجنبياً لا أطلع على اسرار طائفة الشبان كلها على ان أحدهم قد أخذني معه ذات ليلة الى مدخن (مكان لتدخين التبغ) يجتمع فيه بعض الطلبة الالمانيين فما فتح بابه حتى رأيته تاماً مغموراً بسحاب مركوم من الدخان حال بيني وبين رؤية جدران المكان وسقفه بل رؤية المكان برمته وكان يخيل الي أنه يمتد الى غير نهاية وكنت اسمع اصواتاً واغاني وقهقهات ولا ابصر شيئاً من الصور الحية وأرى أضواء صفراء تبدو في بعض جهات هذا المكان يغشاها ذلك السحاب كأنها تسبح منه في بحر لجي وكنت أمشي كخابط ليل وراء الدليل وعلى مقربة منه بين صفين من الموائد خيل الي انها تحومّ في الضباب ورأيت عليها رؤية غير مستبينة آنية من القصدير كان لمعانها المعدني يجهد في صدع حجاب الظلام الدخاني المنسدل على القاعة كلها ثم لمحت من خلال هذه الآنية وجوهاً آدمية لان بصري كان يتدرج في اعتياد هذا الجو الغريب والانس به ولم يكشف عني الحجاب كشفاً تاماً الا عند ما بلغت نهاية القاعة حيث اقيم مصلى عظيم فرأيتني في جمع حافل من الشبان على رؤسهم القلنسوات وفي أيديهم أكواب الجعة وبين هذا التشويش واللغط عثرت على حلاق من الطلبة قامت بينهم مناظرات في مسائل مهمة ولم تعقهم عن مداومة الشرب والتدخين

ان أذني لم تعتد سماع الاصوات الالمانية اعتياداً يكفي لمتابعة مجرى الحديث وفهمه ومع ذلك قد فهمت من فحوى ما سمعته أنهم يتناظرون في مقاصد ووسائل بعضها اسمى من بعض تتعلق باصلاح أحوال البشر وكانت البراهين والنكت والمعاني تنبعث من أفواههم كأنها سهام نارية تتقذف بين أنفاس الدخان ولما انتصف الليل غادر القاعة جميع الطلبة ورأيت بعض من لاحظت فيهم الحمية والغيرة على مصالح الانسان منصرفين الى بيوتهم وقد جعلوا يغنون جهاراً في وسط الشارع أغاني مبتذلة ولم يبد عليهم حينئذ ما يدل على انهم ذاكرون لما تعاهدوا عليه من اصلاح شؤون الكون

أخص غاية الطلبة من اختلافهم الى المدارس الجامعة هنا بحسب ما سمعته هي ان ينالوا عملاً من أعمال الحكومة فكلهم يؤمل أن يكون خادماً لها على تفاوت بينهم في ذلك فاذا حصل أحدهم على لقب دكتور مثلاً رأيته يقدم الى الحاملا شهادته واضعاً انّ توليه أحد الاعمال الخالية في ادارتها ومعظم هذه الاعمال لا يولى الا بالامتحان ولا ينالها الا من

يظهر انهم اعلم من غيرهم وحينئذ يقول الذين يجبرون فيه على الاشتغال بالاعمال المستقلة ولا ادري اهذه الحالة وهي فرط الرغبة في تقلد المناصب العامة هي التي ينبغي أن ينسب اليها التغير الذي يحصل في عقول شبان الدكاترة عند خروجهم من الجامعة ام له سبب آخر

فالواقع هو انه ليس بين اخلاق الطلبة واخلاق غيرهم من الالمانيين ادنى مشابهة: الطلبة يتظاهرون بالتبجح (١) والشذوذ والعربدة ويخيل الى من يرى غيرهم من الالمانيين انهم عاشون سكينة بل جموداً وبلادة والاولون مشهورون بالميل الى الثورة وحب الحكومة الجمهورية وبعدم المبالاة بالخوض في اي بحث نظري وبالهجوم على جميع المسائل سياسية كانت او دينية او قومية بما يدهش من جرأة الجنان وبقية الامة يظهر عليها التشدد في الاستمساك بالعوائد القديمة وبالحكومة الملكية . وترى الطلبة يتباهون باحتقارهم جميع المميزات التي لا منشأ لها الا اتفاق النسب على حين ان أواسط الناس يجلون ألقاب الشرف اجلالا لا حد له فترى الفريقين كامتين متمايزتين وليس للطلبة في الحقيقة ارتباط بباقي الامة الا رغبتهم العظمى في أن يلواهم بعد مبارحة الجامعة اعمالا رسمية على ان هذا الارتباط كاف في عدم اكتراث الحكومة كثيرا بما يبدونه من حدة أفكارهم الحرة .

دعتني سيرة هؤلاء الشبان الى التفكر في سيرتي فاني قد بلغت التاسعة عشرة من عمري ولا مقام لي بين الناس بل لم يقف بي الاختيار حتى الآن على صناعة نافعة اشتغل بها واذا أردتني على الاقرار لك بما أجده قلت اني أحياناً آنس من نفسي فتوراً في الهمة وضعفاً في العزيمة وأماثلها عما أصلح له من الاعمال وأنا ضائق بذلك صدراً ثم انك قد رأيت مني تقدماً سريعاً مناسباً لحالي في العلوم ودرس كتب المتقدمين في أربع سنين أو خمس مضت وما ذلك ولا شك الا من الطريقة التي أهلتني بها أنت ووالدي للعمل العقلي وهي مراقبة الامور والاستفادة وما تلقيته منكما من الدروس النافعة ولا اشك ان لي طمعاً في العلم ولكني اجهد فكري في استقصاء ما يعوزني من الخصائص فتارة اتوهم اني احس في نفسي بروح الهي يقدرني على كل شيء

(١) التبجح افتخار الانسان بأكثر مما عنده

وساعات يخيل إلي اني قد فنيت في عجزي وتجردت من حولي وقوتي وتارة تملكني الافكار وطوراً يستحوذ علي وجدان الحاجة الى العمل والذي اراه يقيناً اني لم اجد الى الآن استقامة واستقراراً فيما لنفسي من القوى ان صح ان يسمى بها ما للشاب من الشهوات القوية التي تدعوه الى السعي لادراك مقامه في هذه الدنيا

لما بلغت ليبزغ منذ شهرين كنت اعتقد اني على علم باللغة الالمانية لما قرأته منها في الكتب فما لبثت ان تبين لي خطأي في ذلك ومنشأ هذا الخطأ اني كنت احسن قراءة الصحف وعناوين الحوانيت واسماء الشوارع وما على الجدر من الاعلانات فان الجدر هنا كما تعلم تتكلم بالالمانية فاذا جرت حولي المحاورات اصغيت اليها وما كنت أسمع الا اصواتاً لا أفقه شيئاً من معانيها فكنت مطلق البصر اسير السمع لان من الامر المحزن الحقيقي ان يعيش الانسان بين قوم لا يفهم لغتهم . كان الغلام الذي في الثالثة من عمره وهو في هذه السن لا يعرف من هذه اللغة الا النادر من بعض ألفاظها يعرف منها أكثر مما اعرف حتى اني لما كنت احاول مخاطبته كان ينغض الي رأسه استهزاء كأنه يقول « اليك عني اني لا افقه لك قولا »

كنت بين اولئك القوم كالاصم الابكم الذي فقد كل وسيلة التفاهم حتى لغة الاشارات فهل يمكن ان ينشأ عن الامواج الصوتية اذا اختلف انتقالها الى الاذن اختلافاً يسيراً باختلاف كيفية تحريك الشفتين مثل هذه الحوائل والحجب التي تبعد الناس بعضهم عن بعض

استأت جداً من هذه العزلة فجاهدت جهاداً عظيماً في التجرد من الانكماش الذي اجده من حياتي الطبيعي وانشأت اليوم انطق بالالمانية نطقاً مفهوماً واني لاعلم انه لا يزال يعوزني تحصيل الكثير منها ولكن من هو في مثل سني قد يمكنه ان لا يحصل في قليل من الزمن لغة هو لا ينفك يسمع اصواتها من افواه جميع الناس في هذه البلاد وليس اصعب ما في هذه اللغة التكلم بها فيما أرى بل هو فهم ما يسمع من التحاور بها بين اثنين من أهلها فقد كنت ذات مرة في الملعب وكان اثنان من الممثلين يتحاوران فما استطعت في سرعة تحاورهما ان افهم كلمة منه اللهم الا ما كان من تحية المساء وهي « ليلتك سعيدة »

(●● — لها تلو)

مثل اللغات الاجنبية ان لم اكن واهماً كذلك ودخان التبغ بالنادي الذي حدثتك عنه في كونه كان يحجب عني بادىء بدء رؤية ما كان فيه من الاشياء والاشخاص فهو حجاب يزول على التعاقب وآمل ان يظهر لي النور عما قليل

ارجوك ان تكتب عني قبلة لوالدة واود لو ادري هل هي مواظبة على سقي الازهار وتمام العناية بالطيور وتنسيق مجاميع الاعشاب والدفاتر وآمل منك ابلاغها بأن تذكرني كما اذكرها

إذا انا كتبت اليك فقد كتبت الى والدتي فانتما في قلبي لا تفترقان وهذا لا ازيدها شيئاً الا اسفي على حرماني من حجرتي الصغيرة اني كنت أسمع منها حركة غدوكما ورواحكما في البيت وعلى أنسي بقربكما عند اصطلاء النار ليلا فاني هنا في وحشة أي وحشة . اختم اليك هذا المكتوب في الساعة الحادية عشرة من الليل على ضوء مصباح يعلوه غطاء كمثري يسقط منه نور ضارب الى الخضرة فوق احدى زوايا حجرتي ساعة دقاقة من الصنف الذي يصوت كطير الكوكو عند انقضاء كل ساعة تكرر تكتكتها التي لا تفتر واسمع حسيس احتراق الحطب في التنور وصرير الباب من خفق الريح اياه وارى البدر من خارج الحجرة شاحب الوجه يرنو الي من خلال ستارتين كبيرتين موشاتين بالاشجار والازهار ما بين بيضاء وحمراء وقد أحسست بانقباض عظيم مع ان هذه الاشياء في ذاتها لا تدعو الى الحزن ولكن لأنني فاني مازلت طفلا ولست آسى على بلادي وانما آسى على مفارقة مهدي فاني احبكما وارجو من هذه الجهة على الاقل ان اعيش طول عمري طفلا

آثار علمية ادبية

تاريخ الاستاذ الامام

ان التربية بناء يوضع على أساس القدوة ويرفع على قواعد الاسوة فسير عظماء الرجال هي أنفس مدخر للاجيال ، وان العبرة بسير المعاصرين هي أقوى من العبرة بسير الغابرين ، لان عامة الناس عندنا تعتقد ان الاولين من عنصر ازكى ، واستعداد اقوى ،

فلا يضرب معهم التأخر بهم ، ولا يداينهم في فضل او علم — لذلك رأينا ان من اتمم ما نخدم به الامة وضع تاريخ مطول للاستاذ الامام رحمه الله تعالى وقد نوهنا بذلك فيما نشرناه من سيرته . ونريد ان نقول هنا ان ورثة الفقيد واصدقاءه ومريديه الذين نعرفهم هنا عون لنا على هذه الخدمة ونرجو من اخوانهم في الصداقة والوفاء من سائر الاقطار ان يتفضلوا علينا بما يرون من النصائح ، وما يعرفون عن الفقيد من الاعمال والمآثر مما يخفى مثله علينا ، ويظن ان لا يكون وصل الينا كبعض الكتب والرسائل وما رأوا من الاعمال او سمعوا من المسائل ، ومن ارسل الينا شيئاً من خط الفقيد فانما نعيده اليه على عهد الله ورسوله

ثم ان ما يرسل الينا منه ان كان اثارة من علم او ادب فانا ننشرها حتماً ونكافئ مرسلها بنسخة من التاريخ نهديها اليه وان كان كتاباً خاصاً بمن كان ارسل اليه فانا لا ننشره الا اذا كان فيه فائدة عامة من حكمة تؤثر او بلاغة تؤثر على انه قلما يخلو كلامه من كلتا المزيتين مهما كان الموضوع الذي كتب فيه ، ولا شك ان الذين توجد عندهم هذه الآثار والاخبار يحرصون مثلنا على تدوينها واستفادة الناس منها في الاغلب فلا يبخلون علينا بما ينفع الامة ويحفظ اثر الامام ونذا الاستعداد سيصادف بذلا وسماحاً ان شاء الله تعالى

وانا نقدر ان التاريخ لا يقل عن الف صفحة وقد يزيد عليها وان نجزئه الى جزئين او ثلاثة اولى وربما نجعل له اشتراكاً

وليعلم الشعراء الذين نظموا المراثي ونشروها في بعض الجرائد انا لا ننشر منها الا مختار مما ارسلوه الينا او الى الشيخ عبد الكريم سلمان او وجدوه بعينه لانا لم نتتبع الجرائد ونحفظ ما فيها من القصائد وليس المانع من اثبات المرثية في التاريخ هو سبق نشرها في بعض الجرائد وانما هو ما ذكرنا من عدم التتبع والحفظ فمن شاء ان يرسل الينا شيئاً مما نشر فليفعل

وكما نود لو بين لنا كل من أرسل او يرسل الينا شيئاً من كاتب وشاعر لقبه الذي يخاطب به ووظيفته التي يذكر بها لنذكره بما هو معروف به ان لم يكن متشكراً فاننا نخجل من نشر القصيدة او المقالة بالتوقيع الذي يذكر فيه الاسم غفلاً لا يعرف مسماه الا المتصلون به وقد يشتبه بغيره لكثرة المشاركة في الاسماء والالقاب هنا (اي في البلاد المصرية)

كتاب الهدية المصرية الى الجامعة الوطنية

كتب سليمان افندي مصوبع المحامي السوري مقالات في الاجتماع البشري والعمران ونشرها في جريدة ثمرات الفنون وغيرها من جرائد بيروت ثم اقترح عليه أن يجمع شملها في كتاب فجاء الكتاب نحو مئتي صفحة في عشرة أبواب ١ في العمران أساسه وتحديده وسره ٢ في الحاجة تأثيرها والوقاية منها ٣ في الخرافات ٤ في الاعتقاد في مسئولية الانسان ٥ في أدوار الحياة ونحو ذلك ، وفي هذه المباحث آراء صحيحة وفيها مسائل غامضة ولعل أكثر الغموض من ضعف التأليف واعوزاز البيان حتى كان الكلام كترجمة باصطلاحات جديدة وأسلوب خاص داخل في الاسلوب العربي الصحيح من حيث تعدية الافعال وربط الكلام بعضه ببعض ووضع الكلم موضعه على أن فيه جملا رائعة وتجوزاً حسناً في بعض المواضع ، وقد كان أعجب الكتاب الي وأحسنه عندي كلامه في الدين والشرائع الثلاث الموسوية والمسيحية والاسلامية فانه قد بناه على قاعدة التدرج والارتقاء وبذلك تبين ان دين الانبياء واحد وان الاخير مكمل لما قبله وعليه المعول في الخلاف ولولا التطويل لنقلت كلامه هنا على انه قد سبق لنا اقتباس ما كتبه الاستاذ الامام (رحمه الله تعالى) في ذلك من رسالة التوحيد وهو الكلام الذي ليس فوقه مطلع ولا وراءه غاية ، وانما نثني على سليمان أفندي لعنايته بمسائل العناية به في تلك البلاد ، ونرجو له زيادة التحرير والاجتهاد ،

كتاب آراء أهل المدينة الفاضلة

هذا الكتاب ذكر في دواوين المتقدمين لشهرة مؤلفه أبي نصر الفارابي فيلسوف المسلمين في القرن الرابع وقد كان من كنوز الكتب الخفية فظهر في هذه الايام وطبعه الشيخ فرج الله الكردي والشيخ مصطفى القباني الدمشقي ويطلب من المكتبة الازهرية بمصر

مسائل الكتاب تدور على أقطاب الفلسفة اليونانية في الوجود الاول وما يجب له من الصفات وفي أقسام الموجودات الاخرى ومنها النفس ومن هنا ينتقل الى الكلام في الوحي والنبوة ثم الى حاجة الانسان الى الاجتماع والتعاون وانما يكملان بالمدينة لذلك بين معنى المدنية وقسمها الى أقسام المدنية الفاضلة وما يضادها من المدنية الجاهلة والمدنية

لفاسقة والمدينة المتبدلة والمدينة الضالة . ثم ذكر في التفصيل أقساماً أخرى منها مدينة خسة والشقوة قال : وهي التي قصد أهلها التمتع باللذة من المأكول والمشروب والمنكوح بالجملة اللذة من المحسوس والتخيل وإيثار الهزل واللعب بكل وجه ومن كل نحو وهذه المدينة قسم من أقسام المدينة الجاهلية . أما المدينة الفاسقة فهي أرقى من المدينة لجاهلية وقد عرفها بقوله : وهي التي آراؤها الآراء الفاضلة وهي التي تعلم السعادة والله عز وجل والثواني والعقل الفعال وكل شيء سبيله أن يعرفه أهل المدينة الفاضلة يعتقدونه ولكن تكون أفعال أهلها أفعال أهل المدن الجاهلية . وجميع مباحث الكتاب تجري على طريق الفلسفة اليونانية

ولعل من اطلع أو يطلع على هذا الكتاب يتذكر أنا كتبنا عن هذه المدينة الفاسقة فقام بعض الذين لم يرتقوا عن أهل المدينة الجاهلية يسلقوننا بألسنة حداد زاعمين أن ذلك يتضمن الطعن بعرض كل من يقيم في هذه المدينة . يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم . على أنهم هم الطاعنون ولكن لا يخجلون

(مرور في أرض الهناء . ونبأ من عالم البقاء)

كتاب جديد الوضع والاسلوب والتخيل ألفه شكري أفندي الخوري اللبناني المقيم في البرازيل . فأما أرض الهناء فهي المدينة الفاضلة أو الكاملة في رأي فلاسفة هذا العصر وعلمائه وهي سعادة الحياة التي يتمنون ان يصل اليها البشر بالعلم والعمل والاتفاق والتواد بين جميع الناس وبلوغهم العمر الطبيعي (مئة سنة او اكثر) مع التمتع بالصحة والعافية لما يتربون عليه من الرياضة البدنية والعقلية وتجنب الافراط والتفريط في الامور كلها لاسيما السرف في الطعام والشراب . مر بهذه الارض روح بشري فارق جسده وذهب الى الدار الآخرة فكانت في طريقه اليها وقد كتب الى صديق له في الدنيا ينبئه بوصفها على ما نخيله مؤلف الكتاب

وأما عالم البقاء فهو معروف والمؤلف يصور فيه موقف الحساب والجزاء يحضره ملك شرقي ظالم وأحد المتصرفين في جبل لبنان وراهب وشيخ مسلم ودجال واعظ وكاهن (قسيس) وصحافي وطبيب وسكير ومحام . يحاسب كل منهم ويعاقب على ما أفسد في الارض . تذكر ذنوبه . وتشرح عيوبه . ويعتذر ويتنصل . فلا يعذر ولا يقال .

وأما أسلوب الكتاب فهو فكه سلس يقرب من أسلوب العوام ويتخلله كثير من عباراتهم وأمثالهم وتشبيهاتهم ومن قرأ طائفة منه يندفع إلى إتمامه بسائق الرغبة وحادي اللذة وقلما نرى بين الكتب التي تؤلف وتنشر بيننا ما جمع بين اللذة والفائدة لا سيما في شؤون المعيشة والاجتماع والسياسة . نعم ان الفكاهة لا تليق في مقام الرهبة والجبروت وفي مواقف الحساب والجزاء ولكن غرض المؤلف من ذلك تمثيل سيئات هذه الأصناف من الناس التي تشتغل بالمصالح العامة فتفسدها وهم الملوك المستبدون وأعوانهم والأطباء والصحافيون والمحامون والقسوس وغيرهم من رجال الدين وقرنهم باللصوص والبخلاء وليس الغرض الأول تمثيل أهوال الحساب والجزاء وارهاب الناس منه بل هذا وسيلة وذاك هو المقصد

ومما ينتقد عليه أن ما ذكره من حال الملائكة التي تذهب بالأرواح والتي تتولى الحساب والجزاء لا يتفق مع عقائد الناس أو تخيلاتهم فيهم ولا هو في نفسه مؤثر يصادف من النفس موقعاً يليق به وأكثره لا فكاهة فيه الا ما ذكره من فتنة الطاعي . تهييجه التعصب في ذلك العالم لأجل أن يخرج من العقاب فلا يستطيع أحد أن يملك ضحكه عند قراءة هذا

وقد انتقد عليه زميلنا نعوم أفندي لبكي صاحب جريدة المناظر الحرة في مقدمة وضعها له اكتفاءه بذكر الراهبات من الأجواق التي رآها صاعدة إلى السماء حيث تلقى أحسن الجزاء فوق الناس من يستحق ذلك غيرهن . وانتقد عليه أنا بقوة زعمه أن النصارى تتقرب من المسلمين في جرائدهم ومدارسهم والمسلمون لا يزدادون إلا تباعداً والصواب أن في عقلاء الفريقين من يسعى للتساهل والتقرب بينهما وأن جرائد المسلمين أبعد عن إثارة التعادي من جرائد النصارى فإننا لا نرى فيها جريدة منتشرة تتعرض للنصارى فيما يختص بدينهم ورؤسائه كما نرى في جرائد النصارى بمصر من ذلك حتى أن بعض الجرائد اليومية كانت من عهد قريب تطعن وتنعى على العقائد الإسلامية في الأزهر وتعرض ببعض كبار العلماء والأئمة وتحاول إشراب الأفهام أنهم يبثون في الأزهر الإلحاد ويفسدون الدين ومثل هذا كثير في الجرائد كالمناظر وأما المدارس النصرانية فأكثرها أو جميعها تلزم التلاميذ المسلمين بالعبادات النصرانية ولا نعرف مدرسة إسلامية في الدنيا تعامل التلاميذ النصارى بمثل هذه المعاملة .

ثم انه ليس لمشايخ المسلمين من العناية بعلمهم وتلقينهم التعاليم والتقاليد الدينية مثل ما للقسوس وأكثر حديث المشايخ مع غيرهم في الامور العادية ولو انهم كانوا يعنون بنشر مسائل الدين إذاً لقل التنافر فان رأي الاسلام في النصرانية ليس كرأي النصرانية في الاسلام. الاسلام يثبت ان كتاب النصرانية حق ويوجب الايمان بمن جاء به وانما يثبت ان اهلها حرفوا وانحرفوا عن صراطها وان ايذاءهم حرام والبر اليهم مشروع. والنصرانية تعد الاسلام كفراً في أصوله وفروعه وقد ألف القسوس في ذمه كتباً حشوها أكاذيب لم تخطر على قلب مسلم في الارض ثم انه لم يعقد احد من المشايخ مجالس وسماراً لاجل الطعن في النصرانية ولم يدعوا احدا منهم لدعوة النصارى الى الاسلام كما يفعل القسوس بالمسلمين. فأي الفريقين هو المفرق بين العالمين.

هذا أرى ان أقرب طريق الى التأليف بين الفريقين نشر تعاليم الاسلام الصحيحة في المسلمين واقتلاع قسوس النصارى الذين لهم السلطان الاعلى على قلوب عامتهم عن تنفيرها من المسلمين وكفهم عن الطعن في الاسلام ولا أبرئ بعض المشايخ من كلام ضار يقولونه في المجالس عند ما يذكر تعصب النصارى ولكن مثل هذا الكلام لا يكاد يجيء في درس ديني ولا كتاب تعليمي. وقد اتفقت مع من لا أحصي من المسلمين بأن التساهل والاتفاق في المصالح الدنيوية خير يأمر به الدين فلم أجد مقاومة تذكر، ولا رداً يؤثر. وقد كتبت من قبل ان الصواب في التأليف ان يحمل الاحرار من كل طائفة على المتعصبين الفريقين منها واما حمل كل طائفة على الاخرى فهو الداء الذي لا يرجى معه شفاء.

تهذيب الاخلاق

يولد في كل أمة ألوف من الاولاد على استعداد عظيم للعلوم والفضائل فيضيع استعدادهم بإغفال تربيتهم وتعليمهم وفيهم من لو علم وربي لنهض بالامة أو لكان ركناً من أركان ارتقائها. على أن إغفال تربية الاولاد وتعليمهم لا يكون من والديهم بالعمد والاختيار وانما هو الجهل والعجز. وقد تهمل التربية الصحيحة والتعليم النافع في الامة حتى لا يوجد أحد يقوم بهما ويقيمهما على قواعدهما وأمة مثل هذه يلوح للناظر انها قد تودع منها حتى لا رجاء فيها. ولكن هذا النظر غير صحيح فقد يقيض الله لمن عم فيه الجهل والفساد من يحيي فيه بعض الافراد، فيكون منهم النور المستطير.

والخير الكثير، كما علمت من سيرة الاستاذ الامام رحمه الله تعالى . وقد ينهض الاستعداد ببعض الناس الى أن يربي واحدهم نفسه بعد الرشد واستقلال الفكر ثم يتولى تربية غيره ولا بد لمثل هذا من الاسترشاد بالكتب النافعة . ومن هذا الصنف العالم الفيلسوف أحمد بن محمد بن مسكويه صاحب كتاب (تهذيب الأخلاق) الذي هو أحسن المختصرات في هذا العلم الجليل .

ولعت بهذا الكتاب منذ رأيته فطالعته ثم قرأته درساً . ثم علمت بعد الهجرة الى مصر ان الاستاذ الامام قرأه درساً كما ذكرت ذلك في ترجمته وكان الكتاب يومئذ مجهولا عند المشتغلين بالعلم فعرف ومدح فاشتهي ويسرنا ان الناس أقبلوا عليه في هذه السنين فقد كان طبع طبعاً قبيحاً وفقدت نسخه فأعاد طبعه عبد العليم افندي صالح منذ سنين بالحرف الاسلامبولي الجميل على ورق جيد فأقبل الناس بسببه عليه حتى فقدت نسخه ورأى من الاعانة على التربية أن يطبعه ثانية فتفضل وله من الفضل في اتخاذ الوسائل لنشره ما يضاهي قيامه باجادة طبعه فعسى أن يكون في هذه الكرة اسرع انتشاراً لنستبشر بأن أمتنا تزداد حباً في العلم النافع وميلا الى التربية الصحيحة عاما بعد عام . وثمن النسخة من الكتاب خمسة عشر قرشاً وأجرة البريد قرش صحيح ويطلب من طابعه ومن إدارة المنار بمصر

شكر واعتذار

نشكر للذين عزونا برثائهم وكتبهم عن مصابنا بمولانا الاستاذ الامام عالمين أن مكانته منه مكان الولد البار من الوالد الرحيم، والمريد الصادق من المرشد الحكيم، على انه تغمده الله برحمته كان أبا الامة ومربيها ومرشدها وهاديها، فما من معز لنا الا وكان يعزي نفسه ثم بذكر الامة والاسلام ويعترف بأن المصاب عام، وكذلك رأينا التعازي التي خوطب بها أخونا حموده بك عبده والشيخ عبد الكريم سلمان بل رأينا مثل هذه التعازي في أيدي بعض المريدين وسننشر شيئاً من ذلك في كتاب التاريخ ان شاء الله تعالى . وأما الاعتذار فهو عن عدم مجاوبة المعزين ويدخل فيه الاعتذار لمن كاتبونا منذ أشهر في مسائل اخرى ونخص بالذكر البحرين وزنجبار والمغرب الاقصى . ولعلنا نكتب اليهم عن قريب

(تنبيه) لا تنسخ الجرائد المصرية نقل ترجمة الاستاذ الامام عن المنار ولا يضر اقتباس قليل من العبارة مع العزو وكثير من المعنى ولو بدونه والمنار أمانة بين أهله



فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق)

(مصر — ١٦ جمادي الثانية سنة ١٣٢٣ — ١٧ اوغسطس (آب) سنة ١٩٠٥)

تتمة سيرة الاستاذ الامام

حياته في النفي

لا تكمل تربية الرجال ، الا بمكافحة الاهوال ، فمادن النفوس لا تصفو من شوائب التصنع في الحق ، وتمكن من مقعد الصدق ، الا بعد أن تعرض على نيران الفتن ، وتذاب في بوادق المحن ، « فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ماينفع الناس فيمكث في الأرض » ولذلك يبتلي الله سبحانه وتعالى عباده المصلحين بفتن المفسدين ، ليعلم الصابرين والصادقين ، وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين ، فالفتن والكوارث تمحص نفوس المؤمنين بالله السائرين على سننه تزكيها وتعليها ، وتمحق الكافرين بنعمه والمنحرفين عن سننه فتدسيها وتفنيها ، وقد اتهم فقيدنا في الثورة بما هو بريء منه ، وفتن المنافقون يومئذ بأخبار السوء منه ، حتى أنذر بالاعدام ثم استبدل ذلك بالنفي ثلاثة أعوام فما حقد على واش ولا غال ، بل كتب من السجن الى صاحب له يعجب من كيدهم ثم قال :

« ولئن عشت لأفعلن المعروف ، ولأغيثن الملهوف ، ولأقذفن الهاوي في حفرة الغدر ، ولآخذن بيد المتضرع من ضغط الظلم ، ولأتجاوزن عن السيئات ، ولأتناسين جميع المضرات ، ولأبينن لقومي أنهم كانوا في ظلمات يعمهون » ولأظهرن الصديق في أجمل صوره ، ولأجلونه الناس في أبهج حلله ، ولأثبتن لهم ببرهان العمل انه فكرك الثاني في روحك الواحدة ، وجسمك الآخر في حياتك المتحدة ، وأنه صاحبك اذا طال ليل الكدر ، ومصباحك اذا غسق دجى الهموم ، تستضيء به في حل ما انعقد ، وتستعين بقوته في تيسير ما عسر ، وتذهب به إلى أوج المعالي والناس من

معجزات الصديق يتعجبون » – الى ان قال – لكني أقول لكم ان هذه الحوادث المريبة سوف تنسى ، وان هذا الشرف سوف يرد ، واني أرى أن طينة هذه الأرض بحسبها ان يكون لها من عوده نصيب فليعودن في بلاد خير منها ، ولأجذبن الى المجد احبتي ومن الى المجد ينجذبون » كل ذلك ان عشت وساعدتني صحة الجسم ولا أطالب شيئاً فوق هذين سوى معونة الله الذي عرفه بعض الناس وبعضهم له منكرون » والكتاب طويل وسننشره برمته في تاريخ التقييد

وله قصيدة في الثورة نظمها في ظلمة السجن أيضاً تزيد على مئة بيت وقد عرض في آخرها بما أثبته في آخر كتابه هذا من صدق العزيمة والثقة بنفسه والاعتماد عليها في مغالبة الزمان بعد الاتكال على الله تعالى وكونه لا يخاف شيئاً يقطع عليه طريقه في عمله لوطنه وأمته الا الموت قال:

وأحفظَ الدهرَ أني لا أشاكله ... فيما تبطن من غش وتمويه
أحارب الدهر وحدي ليس ينفعني ... الا الثبات وحسبي من أصافيه
تعلم الدهر مني كيف يطعنني ... فخاب ظنا وخانته مراكبه
وليس يعجزني عن كسر فيلقه ... الا المنايا تناجيني فتحميه
ان المنايا سهام الله سددها ... وليس يخطىء سهم الله مرميه

أرأيت من كانت له هذه النفس العالية ، والعزيمة الماضية ، أيحط من قدره ان يتهم بالسياسة فيلقى في غيابة السجن ، أم يطفىء نور استعداده الاخراج والنفي ، ؟ كلا

(عمله في اوربا لمصر والاسلام)

سافر رحمه الله تعالى الى سوريا فأقام فيها نحو سنة ثم سافر الى أوربا

على اتفاق بينه وبين استاذه وصديقه السيد جمال الدين لأجل الاشتغال بما كان يسمى « المسألة المصرية » فأقام فيها عشرة أشهر معظمها في باريس حيث أصدرا جريدة العروة الوثقى وكانا أسسا لها جمعية من مسلمي الهند ومصر والعرب وسوريا غرضها السعي في جمع كلمة المسلمين وايقاظهم من رقدتهم وإعلامهم بالاخطار المحدقة بهم وإرشادهم الى طريق مقاومتها.

كان السيد جمال الدين مدير سياسة الجريدة والشيخ محمد عبده المحرر الاول لها، على انه لم يكن لها محرر سواه الا من كان يترجم بعض الأخبار من الجرائد الاوربية ويلقيها الى الشيخ يصححها وينفخ فيها من روح العبرة ما ينفخ. كان السيد منبع الافكار والآراء السياسية التي تنشر في الجريدة لاسيما ما هو من سيئات الانكليز في الهند وغيرها وكان الشيخ يبرز هذه المسائل في صورة تروع الابصار وتحرك الأفكار ويتصرف فيها ما شاء.

أما المقالات التي كان يكتبها في الاجتماع والوعظ والاخلاق والسياسة الإسلامية فقد كانت من الآيات البينات التي لا يكاد يوجد في كلام البشر ما يساميها في البلاغة والتأثير حتى كان علماء المسلمين وعقلاؤهم في كل قطر يتوقعون ان تحدث تلك الجريدة انقلابا عاما في المسلمين: حدثني الثقة عن السيد سلمان أفندي الكيلاني نقيب بغداد انه كان يقول كلما قرأ عددا من جريدة العروة الوثقى: يوشك ان تحدث انقلاب في بعض بلاد الاسلام قبل ان يصدر العدد الذي بعده. والسيد سلمان هذا كان من بقايا زعماء المسلمين يخضع له مئات الالوف من العرب والعجم وسمعت شيخنا الشيخ حسينا الجسر العالم الطرابلسي الشهير يقول: لو طال الزمان على جريدة العروة الوثقى لأحدثت نهضة جديدة للمسلمين وانقلابا عظيما.

أقول وهي هي التي نقلتني من طور الى طور وحببت الي صاحبها حتى جذبني الحب الى مصر ووصل حبل ودي بالاستاذ الامام وحملني على نشر حكمته ، وإعلان دعوته ، فقد كنت مرة أبحث في أوراق والدي العتيقة وأتصفح ما فيها من الجرائد المطوية فعثرت على أعداد من العروة الوثقى فطفقت أقرأها المرة بعد المرة وهي تفعل في نفسي فعلها ، تهدم وتبني ، وتمد وتفني ، وما كان وعدها الا حقاً ولا تمنيها الا رجاء وأملا ، أحدثت إصلاحا وعملا ، فكانت هي أستاذي الثاني الذي أثر في نفسي ، وأقيم عليه بناء عملي وأملي ، وأما الاستاذ الاول فهو كتاب إحياء العلوم للامام الغزالي الذي كان أول كتاب ملك عقلي وقلبي ، أنشأت بعد ان ظفرت بتلك الاعداد أبحث عن اخواتها في طرابلس فكنت أجد عند الرجل العدد وعند الآخر العددين فأنسخ ما أجد ثم علمت ان الشيخ حسيناً الجسر احتواها كلها ومن عنده أتممت استنساخها ، وأكبر أثرها عندي أنها هي التي وجهت نفسي للسعي في الاصلاح الاسلامي العام بعد أن كنت لا أفكر الا فيمن بين يدي وأرى كل الواجب علي أن أظهر في دروسي العقيدة الصحيحة والاخلاق الفاضلة وآمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأنفر عن المعاصي وأنا لا أعلم سبب الفساد الذي فعل في العقائد والاخلاق ما فعل ، ودفع المسلمين الى مزالق الزلل ، حتى هدتني العروة الوثقى الى المناشيء والعلل ،

لم تكن خدمة الشيخين للاسلام في أوربا قاصرة على الوعظ والارشاد بل كان لهما سعي لدى فرنسا وانكلترا نفسها في المسألة المصرية ومسألة السودان وكان سعيا ـ لو ظهر ـ غريبا . وكان منه إقناع أنظار خارجية انكلترا بعد فصل السودان عن مصر وسفر الاستاذ الامام الى بلاد كثيرة لتوثيق

المروة والتمهيد للعمل أن يترك السودان لأهله ويعدلوا عن محاولة فتحه، وكان لهما في ذلك آمال، ومقاصد ذات بال، وقد كان تقرر هذا وما حال دون إمضائه رسميا إلا موت محمد أحمد مهدي السوداني، ولو شرحنا الوسائل التي اتخذها الشيخان لذلك لحار في براعتهما الثقلان، ولا أنكر ان هذه الاعمال السياسية كان السيد جمال الدين هو المقترح لها ولكن كان فقيدنا عضده وساعده ولسانه وقلمه ولولاه لما استطاع المضي فيها على أن فقيدنا كان بما جرى له ولشيخه مع توفيق باشا في مصر قد ضعف أمله في الاصلاح السياسي ووجه همه الى الاصلاح القومي في التربية والتعليم. حدثني انه قال للسيد في أوربا إن هذه السياسة لا أرى منها خيراً لان تأسيس حكومة اسلامية عادلة مصلحة لا يتوقف على ازالة الموانع الاجنبية فقط فخير لنا ان نذهب معا الى مجهل من مجاهيل الارض لا سلطان للسياسة فيه ونحاول تربية افراد على ما نحب فاذا تيسر لنا تربية عشرة رجال يبذلون انفسهم لخدمة الامة لا يصدهم عن ذلك الجذوم في وطن، ولا الاخلاد الى الاهل والسكن، بل يكون همهم الاكبر الضرب في الارض لتربية مثلهم على ما ربوا عليه فلا يبعد ان يربي الواحد منهم عشرة فيكون لنا في زمن قريب مئة رجل يعملون للاصلاح والرجال هم الذين يعملون كل شيء، فقال له السيد انما أنت مثبط قد شرعنا في عمل فلا بد من المضي فيه حتى يتم أو نعجز

كان لذلك السعي في انقاذ مصر والسودان أو السودان فقط طريق في ذلك الوقت لان الاحتلال الانكليزي كان في نظر أوربا كلها موقتا ولم تكن قدم انكلترا راسخة في مصر. وبعد ان رسخت القدم وتمكنت السلطة من البلاد قام بعض الأحداث يكتبون ويخطبون ويقولون ما يعدّ أمام ما قاله وكتبه

الشيخ في وقته لذوا وكانوا يعدون أنفسهم بذلك خدمة مصر ومنقذيها ويعدون مثل الفقيد بالتقصير في خدمة الامة والوطن على انه هو المصري الوحيد الذي قدر على استخدام السلطة الانكليزية في مصر لخدمة مصر والاسلام بعد ان صارت الخدمة بمقاومتها من المحال ، ولو كانت الخدمة النافعة هي مقاومة القوة بالكلام والكتابة لكانت العروة الوثقى أخرجت الانكليز من مصر قبل ان يتمكنوا منها

(مناظرة الفقيد لوزراء الانكليز في المسألة المصرية)

ذهب الفقيد الى لندن في تلك الاثناء وتكلم مع وزراء الانكليز في المسألة المصرية ومسألة السودان وفي المالية المصرية وغير ذلك ونشرت الجرائد الاوربية بعض محادثاته معهم ، نذكر هنا محادثة نشرت في العدد الرابع عشر من العروة الوثقى الذي صدر في ٢٢ شوال سنة ١٣٠١ - ١٤ اغسطس سنة ١٨٨٤ تحت عنوان (هؤلاء رجال الانكليز وهذه أفكارهم) والكلام بلسان السيد قال :

« تأخر صدور الجريدة أياما لضرورة ماسنا من ضعف في المزاج مع مصادفة رداءة الهواء في البلاد الفرنساوية هذه الايام والحمد لله على زوال المانع ، الا اننا مع ذلك لم نقصر في أداء الواجب من العمل الذي قمنا به في المدافعة عن حقوق المسلمين فقد خلقنا والشكر لله لهذا العمل وعلينا عليه ونرجو ديان السماوات والارض ان نموت في هذا السبيل وان نبعث في زمرة السالكين فيه ،

وأنا إن يذهب الشيخ محمد عبده (المحرر الاول لهذه الجريدة) الى لوندرا إجابة لدعوة من يرجى منهم الخير للملة ومن يؤمل فيهم صدق

النية في رعاية مصالح المسلمين من رجال السياسة الانكليزية ، وليستكشف مناصب الفخاخ السياسية التي مامرت عليها قدم شرقي الا سقطت منها فيها يعسر الخلاص منه ، وليسبر أغوار المطامع الانكليزية التي لا يدرك منتهاها تلك المطامع التي بعد ما التهمت ثلث المسكونة وطوقت كرة الارض بالفتح والاستملاك لم تزل في مد لا جزر معه ولا تزال رجال حكومة بريطانيا في قرم شديد لابتلاع ما بقي من العالم وكلما أساغوا قطرا طلبوا اليه آخر ، وليستطلع خفايا المقاصد من أثناء الافكار وغضون الاقوال ، وليقف على الطرق المألوفة بين أولئك السياسيين في التلوين ويتبين كيف يتمكنون من ابراز محاسن الاعمال في صفات رديئة يستنكرها كل ناظر اليها واظهار السيئات في ألوان بهجة تسر الناظرين حتى يمكن بعد ذلك وضع ميزان قسط يميز به الزيف من النضار الخالص كي لا يغتر الجاهل ولا يزل العالم . لاقى (محرر الجريدة) كثيرا من رجال السياسة الانكليزية وأثقف الناس رأيا فيها وقد جرت بينه وبينهم محادثات طويلة في الاحوال المصرية ومن محادثاته الابتدائية ما نشر في بعض الجرائد الانكليزية كجريدة « البال مال كازيت » وجريدة « الترويث » التي يحررها الكاتب الشهير مستر لابوشير وجريدة « التيمس » وسيذكر شيء مما جرى بينه وبين بعض الاكابر من رجال الحكومة الانكليزية مما يستفيد منه الشرقيون عموما والمصريون خصوصا وستأتي جريدتنا على بعض ما استنبطه من فحوى أقوالهم وأدركه من مرامي أفكارهم . أما الآن فنأتي على جملة واحدة من محادثة طويلة كانت بينه وبين اللورد (هرتنكتون) وزير الحربية الانكليزية ليأخذ كل مصري منها حظه ويصيب كل شرقي سهمه ويقف جميعهم على مواقع الشرقيين من

أنظار رجال الحكومة الانكليزية .

سأل اللورد هرتنكتون وزير الحربية الانكليزية : ألا يرضى المصريون أن يكونوا في أمن وراحة تحت سلطة الحكومة الانكليزية أو لا يرون حكومتنا خيرا لهم من حكومة الأتراك وفلان باشا وفلان باشا ؟ فأجاب الشيخ (محرر جريدتنا) كلا إن المصريين قوم عرب وكلهم مسلمون إلا قليلا وفيهم من محبي أوطانهم مثل ما في الشعب الانكليزي فلا يخطر ببال أحد منهم الميل إلى الخضوع لسلطة من يخالفه في الدين والجنس ولا يصح لحضرة اللورد وهو على علم بطبائع الأمم ان يتصور هذا الميل في المصريين : فقال الوزير هل تنكر ان الجهالة عامة في أقطار مصر وان الكافة لا تفرق بين الحاكم الاجنبي والحاكم الوطني وان ما ذكرته من النفرة من سلطة الاجانب انما يكون في الأمم المهذبة ؟ فأخذت الشيخ حدة تليق بمسلم لا يتهاون في أداء مافرض الدين وأوجبته حقوق الملة وقال : أولا ان النفرة من ولاية الأجنبي ونبذ الطبع لسلطته مما أودع في فطرة البشر وليس يحتاج للدرس والمطالعة وهو شعور إنساني ظهرت قوته في أشد الأمم توحشا كالزولو ـ ولوحى الدين لم تنسوا ما كابدتموه منهم في الدفاع عن أوطانهم . وثانيا ان المسلمين مهما كانوا وعلى أي درجة وجدوا لا يصلون من الجهل الى الدرجة التي يتصورها الوزير فان الاميين منهم ومن لا يقرأون ولا يكتبون لا يفوتهم العلم بضروريات الدين ومن أجلاها وأظهرها عندهم ان لا يدينوا لمخالفيهم فيه وان لهم في الخطب الجمعية ومواعظ الوعاظ في مساجدهم مايقوم مقام العلوم الابتدائية وان جميع مايتلقونه من النصائح الدينية يحذرهم من الخضوع لمن لا يوافقهم ويحدث فيهم من الاحساسات

الشريفة الانسانية مالا ينحطون معه عن سائر الأمم خصوصا المصريين الذين ينطقون باللسان العربي ويفهمون دقائق ما أودع في ذلك اللسان وهو لسان دينهم . وثالثا إن أرض مصر من زمن محمد علي قد انتشرت فيها العلوم والآداب الجديدة على نحو ماهو موجود في بلاد أوروبا وأخذ كل مصري نصيبا منها على قدره ولا تخلو قرية من القرى الصغيرة من أن يكون فيها قارئون كاتبون والاخبار العمومية توصلها إليهم الجرائد العربية ومن لم يقرأ يستمع الاخبار من القارئين فهذا أضافوا إلى الشعور الطبيعي والتقليد الديني محبة وطنية منشأها التهذيب العمومي قوي بها الميلان الاول لان ولأنهم يخالفون في ذلك سائر الأمم : اه

«أين العلماء الاذكياء أين الجهلة الاغبياء أين الآباء الاعلياء أين السفلة الأدنياء ليرى كل واحد منهم منزلة الشرقيين عند رجال الحكومة الانكليزية كل ذي شكل إنساني وصورة بشرية يدرك ماوراء هذه الاسئلة وماتشف عنه هذه الظنون العجيبة .

«هذا اللورد هرتنكتون وزير الحربية الانكليزية يظن ان الجهل بلغ من المسلمين عموما والمصريين خصوصا الى حد سلب عنهم كل إحساس إنساني وانهم في حضيض من الجهل لايميزون فيه بين الغريب والقريب ولا بين العدو والحبيب

هذا دليل على ان الانكليز (لا من أنار الله بصيرته ووفقه لفهم الصواب) يعتقدون ان الأمم الشرقية والأمة المصرية في درجة الحيوانات السائمة والدواب الراعية لاتتألم الامن الجوع وفواعل الطبيعة المادية وليس لها من الاحساس إلا نوع من الانفعالات البدنية ولا تعرف من شؤونها

الا ابه تقوم حياتها الحيوانية فتألف راكبها والعامل عليها ومستخدمها في أي عمل من الاعمال الشاقة مادام يقدم لها طعاما وشرابا وانها تهش وتبش لرؤية من يقدم لها غداءها وعشاءها وإن كان من أشد البلاء عليها بما يسومها من مشاق الأعمال فاذا عجزت عن العمل ذبحها وتغذى بلحومها: « الخ الخ

ضاقت الحرية الانكليزية الواسعة ان تسع جريدة العروة الوثقى فمنعتها من الهند ومصر واشتدت الحكومة الانكليزية في إعنات من تصل اليهم وفرضت الحكومة المصرية غرامة وعقوبة على من ترى عنده فكان ذلك مانعا من الاستمرار في اصدارها وقد كان صدور آخر عدد منها (وهو الثامن عشر) في ٢٦ ذي الحجة سنة ١٣٠١ — ١٦ اكتوبر سنة ١٨٨٤ ثم سافر الفقيد الى تونس فأقام فيها أياما ثم سافر الى بلاد أخرى متنكرا فوثق عقود العروة السرية التي كان من أغراضها ما أشرنا اليه ولو ذكرناه مرتبا مفصلا لكان مثارا للعجب من ركوب هذا الرجل مع استاذه الصعاب واقتحامهما الاخطار في خدمة هذه الأمة التي كانت ولا تزال كالمريض الاحمق يأبى العلاج لأنه علاج وان كان سهلا سائغا ، ويمقت حكيمه وطبيبه وان كان برا رحيما ، فليحفظ القارئون هذا الايجاز ليذكروه عندما يصلون في تاريخه الى سلوكه الاخير في مصر إعلان رأيه بتحتيم مسالمة المحتلين والاستفادة من حريتهم وحبهم للعمران ليعلموا انه هو عين الحكمة التي اختبرت بعد مساع جليلة ، وتجارب طويلة ،

عمله في البلاد السورية

وبعد الاخفاق في ذلك العمل السري ، دون ذلك الهدي النبوي ، ألقى عصا السير في بيروت أعظم ثغور سوريا وأقربها من العمران فأقبل عليه

أهل العقل والفضل ، وأرباب الذكاء والنبل ، يستفيضون منه سناء الحكمة ويتلقون هدي الحكماء والأئمة ، فكانت داره مدرسة عامة يؤمها الاذكياء وعشاق المعارف ، من جميع الملل والطوائف ، ومما كان يقرأ عليه فيها السيرة النبوية ، على صاحبها أفضل الصلاة والتحية ، وكان يقرأ التفسير في الجامع الكبير وفي جامع الباشورة لا يلتزم فيه كتابا وإنما يقرأ في المصحف ويلقي مايفيض الله على قلبه وكان الناس يقبلون على درسه إقبالا لم يعرف في تلك البلاد لأحد من قبله حتى حسد النصارى عليه المسلمين فكانوا يتسلقون الجدران وجدانا ويقفون بباب المسجد يمدون أعناقهم ويشخصون بأبصارهم ويصيخون بآذانهم لعلهم يلتقطون شيئا من تلك الدرر . ثم إنهم استأذنوه في دخول المسجد والجلوس في ناحية من حلقة الدرس فأذن لهم « فأجره حتى يسمع كلام الله »

وفي أول سنة ١٣٠٣ دعي إلى التدريس في المدرسة السلطانية لإحياء اللغة والدين فيها قبلي ولم يكن في المدرسة من العلوم العربية الا مبادىء النحو والصرف وما تسميه الترك « علم حال » وهو مايلقن للولدان من أحكام العبادات . فلما دخل المدرسة أدخلها في طور جديد كما كان شأنه في عامة أعماله يدخل في العمل مرءوسا فيكون في الواقع رئيسا . ذلك انه أصلح إدارتها بالاتفاق مع مديرها ووضع قانونا جديدا (بروجرام) للدروس وزاد في العلوم التوحيد ومعاملات الفقه والتاريخ الاسلامي والمنطق والمعاني والانشاء زادها لنفسه فكان هو الذي يدرسها حتى كانت دروسه تستغرق عامة النهار . وكانت دروسه كلها للتلاميذ على نحو ما ذكر في رسالة التوحيد « أمالي مختلفة تتغاير بتغاير طبقاتهم ... في أسلوب لا يصعب تناوله ، وإن

لم يعهد تداوله» إلا معاملات الفقه فكان يقرأ فيه مجلة الاحكام العدلية التي يحكم بها في المحاكم العثمانية . وكان يكلف تلاميذ الانشاء حفظ شيء من نهج البلاغة وديوان الحماسة والالفاظ الكتابية ويشرحه لهم . وكان له هم عظيم وعناية تامة بملاحظة آداب التلاميذ في المدرسة حتى إنه كان يزورها ليلا لأجل ذلك . وقد تخرج على يديه نابتة هي الآن تخدم البلاد بغيرتها واستقامتها وعرفانها ونباهتها ،

ثم إنه في سيرته كان مربيا للجماهير الذين يترددون عليه فقد كان يجلس اليه السني والشيعي والدرزي والنصراني واليهودي فيوسع صدره الجميع ويعامل كل واحد بالأدب الذي يليق به لا يؤذي جليسا ولا يغمط فضل مذاكر ولا مناظر على أنه لم يكن يقول غير ما يعتقد سواء كان القول في الدين أو في العلم أو في العادات والأمور الاجتماعية فكان رضي الله عنه نسخة كاملة من رجال السلف في التسامح والتساهل وجمع الكلمة واحترام العلم وأهله كما وصف في كتاب (الاسلام والنصرانية) وقد أدهش أهل الفضل بعلمه وأدبه وبلاغته لا سيما في الخطابة الارتجالية التي لم يكونوا يعهدونها

وكان هنالك يشتغل بالتأليف فقد نقل إلى العربية رسالة الرد على الدهريين أو المقابلة بين الايمان والكفر في العمران التي كتبها السيد جمال الدين باللغة الفارسية . وشرح كتاب نهج البلاغة ومقامات بديع الزمان الهمذاني . وقد أقبل الناس على هذه الكتب وانتفعوا بها حتى انها طبعت مرارا . وكان يكتب المقالات النافعة في الجرائد وسننشر ما عثرنا عليه منها في تاريخه . ولم يكتف بهذا الاصلاح المعنوي بل كان يسعى لدى الحكومة في إصلاح البلاد الاداري فوضع في ذلك لائحة قدمها للوالي

ونشرها في تاريخه أيضا وكتب لائحة أخرى في الاصلاح الديني وقع عليها بعض الوجهاء وقدمت بواسطة الوالي الى السلطان . وكان قد جال في أرجاء الولاية واختبرها أتم الاختبار

عودته الى هذه الديار ، وما استفاده من الاسفار

وفي سنة ١٣٠٦ عاد الى القطر المصري وقد كمل تهذيبه بالاسفار ، وركوب الاخطار ، ولذلك كان يسافر بعد ذلك في أكثر السنين مختارا كما كان يكره الطالبة والممارسة من رغبة ، بعد أن ألزم بالدرس أولا بالقوة ، وقد كتب عن تأثير الاسفار في نفسه ما نصه :

« أما الاسفار الى البلاد العثمانية ومعاشرة كثير من المسلمين غير مسلمي مصر فقد كان من نتائجها عندي أني عرفت حق المعرفة أن مرض المسلمين نشأ من أمرين الأول الجهل بدينهم وابتداع ما لم يكن منه وإلصاقه به واختلاط ما هو من الدين بما ليس منه حتى صار ما هم عليه دينا أجنبيا عن أصل الدين الاسلامي الطاهر الرفيع . والامر الثاني استبداد الحكام الظالمين من المسلمين في جميع أقطار الارض

« وقد سافرت بعد ذلك مرات الى أوربا وأفريقيا فكان أثر الاسفار في بلاد المسلمين زيادة البصيرة في ذلك الذي عرفته لأول الامر ، وأثر الاسفار في أوربا قوة الامل في إصلاح أحوال المسلمين فما من مرة أذهب الى أوربا الا وتتجدد عندي الامل في تغير حال المسلمين الى خير منها وذلك باصلاح ما أفسدوا من دينهم ، وتشحيذ عزائمهم الى معرفة شؤونهم ، وامتلاك ناصيتها بأيديهم دون افراد ظالميهم ، وهذه لا آمل وان كانت تضعف في نفسي عندما أعود الى دياري لكثرة ما ألاقي من العنت

وشدة ما أصادف من المصاعب وسوء ما أرى من انصراف المسلمين عن النظر في منافعهم وشدة عداوتهم لانفسهم وقوة رغبتهم في تمكين ظالميهم من رقابهم وحبهم في الاستبداد لهم لغير سبب معقول ، لكني متى عدت الى أوربا ومكثت بها شهراً أو شهرين تعود اليّ تلك الآمال ، ويسهل عليّ تناول ما كنت أعده من المحال ، ولا تسألني عن السبب في ذلك فاني لا أستطيع تفسيره ولكن هذا ما تحدثه الأسفار في نفسي » اه

أقول والمتبادر الى الذهن ان السبب في ذلك هو ما يسمى في العرف الآن بتأثير الوسط أي البيئة من المكان والمكين لأن كل انسان يحل في مكان ويشاهد حال قوم لابد ان يتأثر بشيء مما هم عليه بحسب استعداده وما وجهت اليه نفسه . وبلاد أوربا قد ارتقت ارتقاء عظيماً في العلوم والصناعات والكسب والسياسة وغير ذلك فمن سافر اليها وكان من همه التجارة يزداد معرفة بطرقها ونشاطاً في عملها ومن كان همه غير ذلك يتأثر بارتقاء القوم فيه فتنبعث همته اليه وناهيك بعلو كعب القوم في خدمة أمتهم ، وإعلاء شأن ملتهم ، وما يبذلون في هذه السبيل من الاموال ، وما يركبون لها من الاهوال ، فمن يرى ما هم عليه من العزة والسيادة ، وهو يعلم ما كانوا فيه من الضعة والمهانة ، فهو جدير بأن يكبر أمله في قومه ، ولا ييأس من غده في يومه ، وكان تغمده الله برحمته يقول لي عندما يريد السفر الى أوربا : اني أذهب لأجدد نفسي ، أي فقد أخلقتها معاشرة الكسالى واليائسين . وقد توجهت همته في هذه السنين الأخيرة لزيارة الشعوب المسلمة فبدأ بزيارة تونس والجزائر وكان عازماً على زيارة الهند وإيران وقزان والقوقاس في هذه السنة وما بعدها فصرفه المرض عن عزمه في هذا العام ، ثم قطع آماله كلها الحِمام ،

سيرته في القضاء الاهلي

لما عاد من سوريا الى مصر تسابق العظماء الى توفيق باشا في طلب العفو عنه فكان من الشافعين بعض الاسرة الخديوية ومختار باشا الغازي واللورد كرومر ولم يكن أحد منهم يعرفه من قبل معرفة شخصية ولكنهم سمعوا بفضله فخفظ لكل منهم جميله وعفا عنه الامير وهو يعلم انه كان خصما للثورة العسكرية وإن كان روحا مدبرة لتلك الحركة الفكرية ، وأن الحكم عليه لم يكن عادلا ولذلك قال كما روى الثقة الفقيد : ما عفوت عن أحد عفوا كان أشبه بالاعتذار من هذا العفو : ولكنه كان يخاف أفكاره السياسية وميله الى تربية ملكة الاستقلال في الامة ولذلك أمر بأن يعين قاضيا في المحاكم الاهلية فلما نمي الخبر الى الفقيد امتعض وقال إنني لم أخلق لأكون قاضيا أقول حكمت على فلان بكذا وعلى فلان بكذا وانما خلقت لأكون معلما وقد جربت نفسي في التعليم فنجحت ثم طلب من ناظر الداخلية أن يشفع له عند الامير باستبدال التدريس في مدرسة دار العلوم بالقضاء وقال انني أعلم انه لا ارتقاء في التدريس وانني ارتقي في القضاء ولكنني لا احبه فلم يرض توفيق باشا وقال انني لا أحب ان يربي لي التلاميذ على أفكاره السياسية فرضي الفقيد بالقضاء وما زال يرقى فيه الى ان بلغ أعلى درجة منه

وقد كان قاضي العدل والانصاف لا قاضي القانون والرسوم وان شئت قلت القاضي المجتهد لا المقلد ذلك أنه لم يكن يحكم بظاهر عبارة القانون وتطبيق الوقائع عليها بادي الرأي بل كان يتحرى اظهار الحق واصابة العدل في القضايا فان انطبقت على القانون والاعمد الى الصلح وكأين من قضية خالف فيها القانون عمدا حتى وشي به بعض حساده الواقفين على ذلك

وذكر شيئا من محادثاته معه فيما سأله المستشار القضائي السابق (مستر سكوت) عن حقيقة ذلك فقال هل العدل وضع لاجل القانون أم القانون وضع لاجل العدل ؟ قال المستشار بل القانون وضع لاجل العدل والعدل هو المقصود بالذات : فأنشأ حينئذ يشرح له القضايا ويبين أنه لم يحكم فيها الا بالعدل فاقتنع المستر سكوت وصرح بذلك مرورا عظيما لانه كان منصفا عارفا بقيمة الرجال على ان هؤلاء الانكليز أبعد الشعوب الاوربية عن الرسوم في القضاء وأقربهم الى اعتبار الانصاف ووجدان القاضي ولو كانت هذه البلاد محتلة من دولة أوربية أخرى لتعذر ارتقاء الفقيد فيها

ومما كان يحكم فيه باجتهاده واعتقاده مسائل الربا فانه كان اذا تعذر عليه الصلح يحكم برأس المال دون الربا فيلجأ رب المال الى الاستئناف ليحكم له بالربا . ومما كان يخالف القانون فيه حبس الشهود الذي يظهر له تزويرهم فانه كان يخرجهم من الجلسة الى الحبس . ثم ان الحكومة أقرت عمله هذا وأدخلته في القانون بالتعديل الاخير . وقد أساء الادب بعض الاجانب مرة في الجلسة فأمر بحبسه فحبس ثم جاء قنصله الجنرال الى نظارة الحقانية شاكيا من ذلك . وكلم المستشار القضائي الفقيد في ذلك قائلا ان هؤلاء القناصل ليس لهم عمل يشغلهم في مصر فهم يترصدون شيئا مما يحكون به الحكومة ونحن نحب ان لا نجعل لهم سبيلا إلى القيل والقال : فذكر له الفقيد ما كان من ذلك الاجنبي في الجلسة من رفع الصوت وعدم التزام الادب المعروف وقال انني مادمت جالسا على هذا الكرسي لتقرير العدل فانا لا أقصر في احترامه اذ لا يمكن احترام القضاء الا بذلك الخ ما قال وكان مستحسنا عند المستشار

وقد كان يحكم على الاجانب وينفذ أحكامه . من ذلك أن كثيرا من

الفلاحين كانوا اذا حكم على أحدهم بنزع أرض من يده يلجأ الى رجل أجنبي أو رجل داخل في حمايتهم فيعطيه الارض بعقد كاذب نكاية في خصمه فيمنع الاجنبي الحكومة من تنفيذ الحكم أو ترفع الدعوى إلى المحكمة المختلطة فتحكم فيها وكان من المحكوم لهم من يترك الارض للاجنبي لاعتقاده بعجزه عن انتزاعها منه في المحاكم المختلطة ومنهم من كان يأتي بنفسه في مهاوي الدعاوى ويخسر فيها ماشاء الجهل ان يخسر، فعلى أمثال هؤلاء الاجانب كان ينفذ أحكامه بالقوة متحملا تبعة لتنفيذ لعلمه بأن ذلك الاجنبي المحتال لايتجرأ على مقاضاة الحكومة في دعوى هو فيها مبطل يعجز عن إثبات دعواه

ذلك شأنه في القضاء وقد كان فيه نسيج وحده ولم يكن مشغولا فيه عما خلق لأجله من تربية الأمة فقد كان يعاقب المزورين وشهداء الزور حتى طهر كثيرا من البلاد من شرهم بعد ان استفحل وطمى سيله وكان يجتهد في الاصلاح بين أهل البيوت وذوي القربى ويبالغ في حفظ حقوق النساء. وكان يطارد الفحش والفجور حتى كادت الزقازيق تطهر من رجس البغايا أيام كان قاضيا فيها كما طهرت من الزور. ذلك أنه كان يحكم بأشد العقوبة التي يسمح له القانون بها على كل بغي تبرجت في الشوارع وعلى أعين الناس حتى كاد يخلو من ذوات الجلابيب وقد نقل الينا عن بعض الفساق هناك انه قال مرة لبغي يعرفها: كيف الحال؟ قالت: زي الزفت واذا بقي القاضي أبو عمة (ذو العمامة) هنا فانه يقطع رزقنا من هذه البلد. عايز يرجع الدنيا لزمان سيدنا النبي! أو قالت ماممناه ان النبي ظهر ثانية

وأما براعته في تحقيق القضايا وفراسته في تمييز البريء من ذي الريبة فحدث عنهما ولا حرج وقد كان مؤيدا بالوجدان الصحيح

والإلهام الصادق فإن كان كغيره من البشر عرضة للخطأ في رأيه فقد كاد لا يخطىء في وجدانه أو إلهامه ، وسمعته يقول في بحث الكسب والاختيار انني كثيرا ما أنظر في قضية فأستخرج من التحقيق الطويل وجوها كثيرة للحكم بالادانة مثلا حتى اذا ماتمت المحاكمة وأردت النطق بالحكم تقوض كل ذلك البناء الذي كنت بنيته من وجوه الادانة وظهر لي بغتة ان المتهم بريء حتما فأحكم بالبراءة فسبحان مقلب القلوب .

عمله في الأزهر

كان أول حديث دار بيني وبين الاستاذ الامام (قدس الله روحه) في مصر الحديث في إصلاح الأزهر . زرته في اليوم الثاني من وصولي إلى القاهرة بداره (في أواخر رجب سنة ١٣١٥) وبعد التحية والسلام ومايتصل بذلك من كلام كاشفته باعتقادي واعتقاد من أعرف من العقلاء فيه وانه بقية رجاء المسلمين في السعي للاصلاح وأنه بلغني انه يعمل لذلك في الأزهر فأفاض في كلام لخصته بعد مغادرة المجلس في عشر مسائل . قال (١) إن إصلاح الازهر أعظم خدمة للاسلام فإن إصلاحه إصلاح لجميع المسلمين وفساده فساد لهم و(٢) ان أمامه عقبات وصعوبات من غفلة المشايخ ورسوخ العادات القديمة عندهم . و(٣) ان هذا الاصلاح لا يتم إلا في زمن طويل وانه اذا رأى حال الأزهر قد صلحت قبل موته فانه يموت قرير العين ويرى نفسه سعيدا بل يرى نفسه ملكا . و(٤) انه لا يرى لدخوله في الحكومة فائدة الا الاستعانة على إصلاح الأزهر فانه لولا مكانته عند الخديو والحكومة لما كان يسمع له في الازهر كلام ولا يقبل له رأي . و(٥) انه لم يحصل شيء من الإصلاح يذكر حتى الآن و(٦) انه أراد أن يبدأ بأعمال عظيمة في الاصلاح اغتناما

للفرصة فأشير عليه بوجوب التدريج ولكن لابد له من المسايرة وإن كان يخشى أن تضيع الفرصة بما يسمونه التدريج

هذه ست مسائل في موضوع الازهر أطال القول فيها وانتقل منها الى المسائل الاخرى وأهمها تخطئه أذكياء المسلمين الذين يريدون خدمة الاسلام من طريق السياسة والى يأس من يعرفه من كبراء المسلمين من نهوضهم وتخطئتهم في ذلك . وقال لي في حديث آخر ان همي توجهت لاصلاح الازهر منذ كنت مجاورا فيه بعد التلقي عن السيد جمال الدين وقد شرعت في ذلك فحيل بيني وبينه ثم كنت اترقب الفرص فما سنحت الا واستشرفت اليها وأقبلت عليها حتى اذا ما صدفت الموانع لويت وصبرت مترقبا فرصة أخرى . وبعد ان عدت من النفي حاولت اقناع الشيخ محمد الانبابي بشيء فلم يصادف قبولا . قلت له مرة هل لك أيها الاستاذ ان تأمر بتدريس مقدمة ابن خلدون في الأزهر ووصفت له من فوائدها ماشاء الله ان أصف فقال ان العادة لم تجر بذلك . فانتقلت به في شجون الحديث الى ذكر الشيوخ وسألته منذ كم مات الاشموني والصبان ؟ قال منذ كذا قلت انهما حديثا عهد بوفاة وهذه كتبهما تقرأ بعد ان لم تجر العادة بذلك . فسكت ولم يدخل في الحديث

وقال لي مرة أخرى ان بقاء الازهر متداعيا على حاله في هذا العصر محال فهو إما ان يعمر وإما ان يتم خرابه وانني أبذل جهد المستطيع في عمرانه فإن دفعتني الصوادف الى اليأس من اصلاحه فانني لا أيأس من الاصلاح الاسلامي بل أترك الحكومة وأختار افرادا من المستعدين فأربيهم على طريقة التصوف التي ربيت عليها ليكونوا خلفا لي في خدمة الاسلام ثم

أؤلف كتابا في بيان حقيقة الازهر أمثل فيه أخلاق أهله وعقولهم ومبلغ علومهم وتأثيرهم في الوجود وأثره باللغة العربية ولغة أفرنجية حتى يعرف المسلمون وغيرهم حقيقة هذا المكان التي يجهلها الناس حتى من أهله

لما جلس عباس باشا حلمي على كرسي الخديوية تجددت للبلاد المصرية آمال، وتوجهت الى أعمال، كان الغرض منها إزالة الاحتلال، ولو كان هذا الغرض مما ترجى اصابته بسهام المصريين، لكان الفقيد يكون في طليعة العاملين، لانه كان لهم أنفذهم رأيا وأقواهم عزماء وأخلصهم قلبا، ولكنه كان يعتقد بعد ذلك السعي الذي أشرنا اليه أن المسألة لا يمكن أن تحل الا باتفاق الدول العظام وأن الرجاء في اتفاقهم بعيد كما تبين . فأراد أن يكون حظه من حب الأمير الجديد للعمل السعي في اصلاح الأزهر بنفسه واقناع الأمير بالسعي في اصلاح المحاكم الشرعية والاوقاف لأن هذه المصالح الثلاث إسلامية محضة لامقاومة في اصلاحها القوة المحتلة ولا منها فاتصل بالامير وحظي عنده وكاشفه برأيه كما كاشف الحكومة بأمله في الأزهر وجاء بما جاء من آيات الاقناع به حتى توصل الى إنشاء قانون تمهيدي للإصلاح يديره مجلس مؤلف من أكابر علماء المذاهب في الأزهر ينتخبون انتخابا وقد جعل هو وصديقه الشيخ عبد الكريم سلمان من أعضائه على أنهما من قبل الحكومة لا رأي لشيخ الازهر ولا للمجلس في انتخابهما ولا في استبدالهما وكان الشيخ محمد الانبابي الذي هو شيخ الأزهر لذلك العهد مريضا وقد كثرت شكوى الشيوخ من إدارته فعين الشيخ حسونة وكيلا له بعد أن أخذ عليه العهد باقامة النظام والاتفاق مع الفقيد على الاصلاح

عين الشيخ حسونه وكيلا لمشيخة الأزهر مأذونا بإدارة شؤونه لسبع

خلون من جمادى الثانية سنة ١٣١٢ وصدر الأمر العالي بتشكيل مجلس إدارة الأزهر لست خلون من رجب من تلك السنة أي في الشهر الثاني ثم كان السعي في إقناع الشيخ الانبابي بالاستقالة يكاد يكون أمراً احتماً فاستقال وصدر الأمر العالي بتولية الشيخ حسونة شيخاً للازهر في ٢ المحرم سنة ١٣١٣

كان الاستاذ الامام ، روّح الله روحه في دار السلام ، يحب أن يجري الاصلاح في الأزهر بإقناع كبار مشايخه ورضى أهله فبدأ باستمالتهم بتكثير رواتبهم فسعى لدى المستشار المالي الاسبق وطلب تعيين مبلغ من خزينة المالية لمساعدة الأزهر الذي يخرّج للحكومة كذا رجالا من القضاة الشرعيين والمفتين والمأذونين فأجيب الطلب وعين في ميزانية سنة ١٨٩٥ م مبلغ ألفا جنيه للازهر على أن تصرف بنظام معلوم لا برأي شيخ الأزهر وميله على ما كان يعهد في الأزهر مع الوعد بالزيادة على هذا المبلغ في فرصة أخرى اذا جاء بفائدة فكان هذا حجة للتقييد على وجوب وضع قانون للمرتبات في الازهر ليكون لكل عالم حق معلوم يتناوله في وقته من غير توقف إلى شيخ الجامع أو غيره . وتلا هذا القانون قانون كساوي التشريف ومرتباتها وكان الرأي فيها من قبل لشيخ الجامع يعطي من يشاء ويمنع من يشاء فصارت تعطى لمستحقها من غير سعي ولا توقف فسر الشيوخ بذلك سرورا عظيما

بعد هذا وجه العناية في المجلس الى نظام التدريس والامتحان وبيان وسائل العلوم ومقاصدها وجعل التدريس فيها على طريق توصل الى الغاية منها وبعد اجتماع ومذاكرات طويلة وضع القانون لذلك واحتيج في تنفيذه الى المال فلجأ المجلس الى اريحية الأمير فصدر الأمر لديوان

الاوقاف بصرف ٣٣٧٤ جنيها للأزهر بعد مصارفها ومنها ٤٩٤ جنيها لانشاء دار الكتب الازهرية . ثم وضع نظام آخر لتوزيع الجرايات بالعدل

أما نظام التدريس واختيار كتب العلوم فهو الذي أحب الاستاذ الامام رحمه الله تعالى ان يجعله برأي كبار الشيوخ ليسهل تنفيذه بالرغبة، ولا يثقل عليهم إلزامهم به من جانب القوة ، وليتعود أهل هذا المكان على البحث في الأمور المهمة ، والتعاون على ما ينفع الأمة ، فوضع مشروع نظام التدريس واختيار الكتب واقترح ان تؤلف لجنة من كبار الشيوخ للبحث فيها واقرار مايرونه نافعا فتألفت اللجنة من أكثر من ثلاثين عالما وجعل الشيخ سليم البشري أحد أعضاء مجلس الادارة رئيسا لها ، ثم انتخب منها لجنة للبحث في كل فرع من المشروع وابداء رأيها فيه للجنة الكبرى وكانت هذه اللجنة مؤلفة من بضعة عشر هم أكابر شيوخ الازهر وضم اليهم الاستاذ الامام من قبل مجلس الادارة وبعد ان أتمت هذه اللجنة عملها قدمته إلى اللجنة الكبرى فأقرته هذه بعد تحوير قليل لا يذكر ، وكانت مشيخة الازهر قد أسندت يومئذ الى الشيخ سليم البشري الذي أوقف كل ما كان المجلس شرع فيه فأوقف أيضا مشروع اصلاح التدريس بل كان المجلس يقرر الشيء بالاتفاق مع رئيسه الشيخ سليم ثم انه لا ينفذه ولم يكن القصد من ذلك الا إحباط سعي الاستاذ الامام وابقاء القديم على حاله ولقد كان قادرا على الالزام بالتنفيذ بطلبه رسميا من الحكومة ولكنه لم يكن يحب أن يكون للحكومة تصرف في الأزهر بل ان يبقى مستقلا يصلح أهله برضى واقتناع وعلى بقي كذلك بعده ? الله أعلم والايام تظهر مايعمل

وكان من الاصلاح الذي تم في الازهر بسعيه رحمه الله تعيين طبيب للازهر

وصيدلية (أجزاخانه) خاصة به في قسم الجامع وانارة المسجد بالغاز البخاري وانشاء الميضأة على الاصول الصحية وتجديد مبان صحية في الاروقة وغير ذلك مما فصل في التاريخ . ومن شاء ان يطلع على ذلك بالتفصيل التام ، فليرجع الى كتاب (أعمال مجلس ادارة الازهر) الذي طبع في هذا العام (١)

وقد انتقل الازهر بهذا الاصلاح من خلل عام الى شيء من النظام ، ومن حالك الديجور الى بصيص من النور ، ولم يتم عمل من الاعمال على ما كان يحب رحمه الله تعالى . ولكن الاصلاح الحقيقي الذي كان روحا حيا ونورا مبصرا فهو ما كان يلقيه من دروس التوحيد والتفسير والبلاغة والمنطق فهذه الدروس هي التي حولت نفوسا كثيرة عن السبل المتفرقة الى سبيل الله وصراطه وهي عز الرجاء في هذا المكان ، (للسيرة بقية)

مرثية محمد حافظ افندي ابراهيم في الاستاذ الامام رضي الله عنه

سلام على الاسلام بعد محمد　　　سلام على ايامه النضرات
على الدين والدنيا على العلم والحجى　　　على البر والتقوى على الحسنات
لقد كنت اخشى عادي الموت قبله　　　فأصبحت أخشى ان تطول حياتي
فوالهفي والقبر بيني وبينه　　　على نظرة من تلكم النظرات
وقفت عليه حاسر الرأس خاشعا　　　كأني حيال القبر في عرفات
لقد جهلوا قدر الامام فأنزلوا　　　تجاليده في موحش بفلاة (٢)
ولو ضرحوا بالمسجدين لأنزلوا　　　بخير بقاع الارض خير رفات

---

(١) هو تاريخ بين ما كان عليه الازهر قبل الاصلاح وما صار اليه بعده صورة ومعنى وصفحاته ١٢٤ وثمن النسخة منه ٤ قروش واجرة البريد قرش واحد ويطلب من ادارة المنار ومن بعض المكاتب بمصر (٢) تجاليد الانسان جسمه

تباركت هذا الدين دين محمد   أيترك في الدنيا بغير حماة
تباركت هذا عالم الشرق قد قضى   ولانت قناة الدين للغمزات

***

زرعت لنا زرعا فأخرج شطأه   وبنت ولما نجتن الثمرات
فواهاً له ألاّ يصيب موفقاً   يشارفه والارض غير موات
مددنا إلى (الأعلام) بعدك راحنا   فردت الى اعطافنا صفرات
وجالت بنا تبغي سواك عيوننا   فعدن وآثرن العمى شرقات
وآذوك في ذات الاله وأنكروا   مكانك حتى سودوا الصفحات
رأيت الأذى في جانب الله لذة   ورحت ولم تهمم له بشكاة
لقد كنت فيهم كوكبا في غياهب   ومعرفة في أنفس نكرات
ابنت لنا التنزيل حكما وحكمة   وفرقت بين النور والظلمات
ووفقت بين الدين والعلم والحجى   فاطلعت نورا من ثلاث جهات
وقفت لهانوتو ورينان وقفة   امدك فيها الروح بالنفحات
وخفت مقام الله في كل موقف   فخافك أهل الشك والنزغات
وكم لك في إغفاءة الفجر يقظة   نفضت عليها لذة الهجعات
ووليت شطر البيت وجهك خاليا   تناجي اله البيت في الخلوات
وكم ليلة عاندت في جوفها الكرى   ونبهت فيها صادق العزمات
وارصدت للباغي على دين أحمد   شباة يراع ساحر النفثات
اذا مس خد الطرس فاض جبينه   بأسطار نور باهر اللمعات
كأن قرار الكهرباء بشقه   يريك سناه أيسر اللمسات

***

فيا سنة مرت بأعواد نعشه | لانت علينا أشأم السنوات
حطمت لنا سيفا وعطلت منبرا | واذويت روضا ناضر الزهرات
واطفأت نبراسا واشعلت انفسا | على جمرات الحزن منطويات
رأى في لياليك المنجم ما رأى | فأنذرنا بالويل والعثرات
ونبأه علم النجوم بحادث | تبيت له الابراج مضطربات
رمى السرطان الليث والليث خادر | ورب ضعيف نافذ الرميات
فاودى به خلا فمال الى الثرى | ومالت له الاجرام منحرفات
وشاعت تعازي الشهب بالمسح بينها | عن النير الهاوي الى الفلوات
مشى نعشه يختال عجبا بربه | ويخطر بين اللمس والقبلات
تكاد الدموع الجاريات تقله | وتدفعه الانفاس مستعرات
بكى الشرق فارتجت له الارض رجة | وضاقت عيون الكون بالعبرات
ففي الهند محزون وفي الصين جازع | وفي مصر باك دائم الحسرات
وفي الشام مفجوع وفي الفرس نادب | وفي تونس ما شئت من زفرات
بكى عالم الاسلام عالم عصره | سراج الدياجي هادم الشبهات
ملاذ عيابيل ثمال أرامل | غياث ذوي عدم إمام هداة
فلا تنصبوا للناس تمثال عبده | وان كان ذكرى حكمة وثبات
فاني لاخشى ان يضلوا فيومئوا | الى نور هذا الوجه بالسجدات
فياويح للشورى اذا جد جدها | وطاشت بها الآراء مشتجرات
وياويح للفتيا اذا قيل من لها | وياويح للخيرات والصدقات
بكينا على فرد وان بكاءنا | على أنفس لله منقطعات
تعهدها فضل الامام وحاطها | باحسانه والدهر غير مؤات

فيا منزلا في عين شمس أظلني وأرغم حسادي وغم عداتي
دعائمه التقوى وآساسه الهدى وفيه الأيادي موضع الثبات
عليك سلام الله مالك موحشا عبوس المغاني مقفر العرصات
لقد كنت مقصود الجوانب آهلا تطوف بك الآمال مبتهلات
مثابة ارزاق ومهبط حكمة ومطلع أنوار وكنز عظات

《 المنار الاسلامي واللواء الوطني 》

بين المنار الاسلامي وجريدة اللواء الوطنية تضاد فيما يسمونه المبدأ فالمنار يدعو الى الاصلاح الاسلامي ويثبت ان المسلمين لايرتقون الا بترك البدع ورجوعهم في الدين الى ما كان عليه السلف وبأخذهم بوسائل القوة والمدنية العصرية في أمر الدنيا ويدخل في الاول ان كل مسلم أخ لكل مسلم وفي الثاني ان أهل كل قطر من الاقطار ينبغي لهم التعاون على عمرانه لايفرق بينهم في ذلك دين ولا مذهب . وجريدة اللواء لارأي لها في الدين والاصلاح بمعناها ولكن لها وطنية عمياء من معناها أنه يجب على كل مصري ان يتعصب على كل من يقيم في مصر من غير أهلها الاقدمين وان كان مسلما وعلى كل مصري مسلم ان يتعصب على كل مصري ليس بمسلم وهذا مما ينقضه المنار ولذلك ترى جريدة اللواء تقدح في المنار وقلما نطلع على شيء من طعنها . وقد صارت في هذه السنة تسند الطعن الى بعض الاقطار إما اختلاقا وإما لأن مثل أحمد المتوفي كتب اليها بذلك (هذا الرجل من باعة الكتب كالذين يطوفون بالازبكية وسافر الى كلكته فصار امام مسجد بها) فتسمي ذلك صوت اللواء في الهند ! ! وقد يجيئها ما ينقض مطاعنها فلا تنشره كما ترى في الرسالة الآتية التي كتب الينا مرسلها من سنغافورة صورتها وكلفنا نشرها ان لم تنشر في اللواء وهي

عن سنغافوره في ٢٧ جماد أول سنة ١٣٢٣ الى مصر القاهره .

حضرة الفاضل سعادتلو أفندم صاحب اللواء دام علاه

بعد السلام قد اطلعت على ما كتبه في جريدتكم الغراء في العدد ١٧٥١ حضرة الفاضل الهندي المولوي عبد المجيد المرادآبادي أحد مدرسي العلم الشريف بكلكتا فأسفت كثيرا لانه لم آكن طالعت شيئاً من أفكار علماء الهند قبل في هذا الموضوع

وظننت حينئذ أنهم في جمود وخمود لا كما كنت أظن وأسمع حتى رأيت ما كتبتموه من كلام حضرة الفضال النواب محسن الملك كثر الله أمثاله وحفظه فسري عني ذلك الأسف وحل محله الرجاء وقد أعجبني كثيرا ما كتبتم على كتابه الأخير. فجزى الله أحسن الجزاء كل داع إلى الهدى نابذ التعصب الأعمى

اللهم إلا أنه وقع عندي موقع الاستغراب جهل المولوي انتشار المنار بالهند وخصوصاً في كلكته إذ حضر لدي وقت قراءتي تلك الرسالة أحد أهل كلكته ممن يقرأ المنار منذ سنين من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ويعرفون الرجال بالحق لا بالعكس وقد أفادني أن للمنار هنالك سمعة حسنة وأكثر من الجرائد والمجلات العربية والمصرية.

أما حصر المولوي ما وجد في المنار في نبذ المذاهب الاربعة فشيء اخترعه هو وبه فليعلم الناظر أن لم يسعه تعصبه ليعلم أن المنار يدعو إلى نبذ نحو قولهم (إذا زنى الرجل بأمه أو بنته بعد أن يعقد عليها صارت له فراشاً ولا حد عليهما) وأمثال ذلك وصاحب المنار ومن على شاكلته هم المتبعون للأئمة عليهم الرضوان لأن الأئمة لم يكونوا مقلدين جامدين بل أفنوا أعمارهم في اقتباس العلم من الكتاب والسنة

وتنظيره بالخوارج مما دلنا على كمال عناده وعلمه بالدين والتاريخ فلا نطيل الكلام معه من كان أعمى أو يتعامى لكننا ننصح لذوي الشأن في المدارس بأن لا يثقوا بمن هذا علمه وعقله وغالب الظن أن ذلك الكاتب لا عالم ولا متعلم بل متعصب متخبط أراد التضليل فنسب نفسه إلى العلم والتدريس وإلا فليكتب لنا العبارة المنتقدة بنصها ثم ليرد عليها بالدليل لا بقال وقيل. وأنى له ولأمثاله ذلك فيقال له (ليس بعشك فادرجي) ولسنا ممن يعتقد العصمة للمنار ولكننا نعلم أن المتعصبين لا ينكرون إلا الحق. وأما تربصه الدوائر لمن ينفي تحريف المبطلين وانتحال الغالين عن هذا الدين فنقول له ولشيعته تربصوا فإنا معكم متربصون والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين افندم

شيخ بن أحمد الهاذي

﴿ مشروع بناء مسجد في باريس ﴾

خطر هذا المشروع للخواجه (ليون لامير) المقاول في مصر من عدة شهور وكاشف به بعض وجهاء مصر فعلم منهم أنه لا يرجى نجاحه إلا إذا كان تحت رئاسة فقيد الاسلام والشرق الاستاذ الامام رحمه الله تعالى فأرسل أحد أولاده (فيكتور لامير) بكتاب منه إلى الامام عندما ذهب إلى رمل الاسكندرية مريضاً فمنعناه من مقابلته لأن صحته لا تسمح

له بالكلام ولا الفكر في الاعمال فعاد الى مصر وأرسل الي بعد ذلك كتاباً في ١١ يوليو يرجوني فيه رجاء مؤكداً أن أعرض المشروع على الامام في الوقت المناسب وأرسل معه قائمة كتب في أعلاها (أسماء المتحدين على مشروع بناء جامع في مدينة باريس تحت رياسة فلان الخ) ورغب الي أن أكلف الامام بامضاء القائمة ثم أعرضها على بعض وجهاء الاسكندرية ثم أرسلها اليه لكي يتمم له امضاؤها من وجهاء مصر. وانتهزت أول فرصة مناسبة لذاكرة فقيدنا في هذا المشروع لاعرف رأيه فيه وبعد ان توفاه الله تعالى بلغني ان الرجل رغب الى شيخ الازهر ان يجعل المشروع تحت رياسته فقبل فعسى ان ينجح المشروع ويبنى المسجد في مكان يسهل على المسلمين في باريس التردد اليه والصلاة فيه ولا يكون كجامع لوندن (لوندره) الذي حدثنا عنه الأستاذ الامام رضي الله عنه بما يأتي قال

خطر لرجل يهودي ... مستخدماً في الهند ان يجمع من المسلمين مالا يبني به مسجداً في لوندره فجمع خمسين الف جنيه ثم جاء لوندره فبنى مسجداً في خارجها على مسافة ساعة في السكة الحديدية وهو مكان لا يصل اليه احد من المسلمين في لوندره فهو مغلق ابداً لا يصلي فيه احد. وقد اشترى الرجل ارضاً لنفسه عند الجامع وبنى فيها بيتاً لنزهته فاذا علم بأن بعض امراء المسلمين اواغنيائهم زار لوندره يبحث عنه ويدعوه الى داره الى رؤية المسجد ولما زار امير الافغان هذا المهد لوندره — وكان يومئذ ولي العهد للامارة — اجاب دعوة هذا اليهودي وبعد الطعام اعطاه خمسمائة جنيه. ولا يخالن احد ان الامير كان مبسوط الكف لكل احد يتصل به او يخدمه فقد كان خالد افندي استاذ اللغة التركية في مدرسة كمبردج (مهمنداراً) للامير في لوندن لزم خدمته واعده كل وسائل الراحة وهو لم ينعم عليه الا بجنيه واحد لم يقبله

والعبرة في هذا المقام ان المسلمين قد فتنوا بهؤلاء الاجانب فتوناً فالخواجه مجهول منهم يحظى عند كبيرهم وصغيرهم ويسهل عليه أن يبلغ منهم ما لا يبلغه اوسعهم علما وابعدهم فهما واشدهم غيرة واطهرهم سريرة فلو ان مسلما حاول جمع المال من الهند او مصر لبناء مسجد في لندن او باريس لعجز ولكن الاجنبي لا يعجز عن استخدام نفوذ كبرائهم حتى رجال الدين وما احوجنا الى رجال يسبرون غور الاجانب ويستفيدون من خيارهم ما ينفع الامة ويتوقون شر شرارهم ويدفعونه عنها كما كان فعل الاستاذ الامام رحمه الله تعالى وجزاه عن هذه الامة افضل الجزاء



فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق)

(مصر — غرة رجب سنة ١٣٢٣ — ٣١ اوغسطس (آب) سنة ١٩٠٥)

تتمة سيرة الاستاذ الامام

(افتاء الديار المصرية وخدمة الاوقاف والمحاكم الشرعية)

في ست بقين من المحرم سنة ١٣١٧ (٣ يونيو سنة ١٨٩٩) صدر الامر العالي بناء على قرار مجلس النظار بتعيين الفقيد مفتيا للديار المصرية وكان الامير أيده الله بتوفيقه هو الذي اختاره لذلك أولا . وقد رأيته في أول الامر غير مرتاح الى هذا المنصب وإن كان شريفا لانه ليس فيه أعمال عمومية ولكن الرجل الذي قدر على ان يجعل التحرير في الجريدة الرسمية وسيلة للاصلاح في الحكومة والارشاد للأمة لا يعجز عن التوسل بأكبر منصب شرعي الى الخدمة الملية العامة وكذلك كان فانه به خدم القضاء الشرعي والاوقاف الاسلامية أجل خدمة . وزادت في أيام هذا المنصب شهرته وكثر عدد العارفين بفضله حتى كاد يكون المرجع في الفتوى لجميع مسلمي الأرض وناهيك باستفتاء مثل مفتي ترنسفال اياه

كان أول عمل جليل له بعد ان صار مفتيا تفتيش المحاكم الشرعية في القطر كله واظهار جميع ما فيها من الخلل وبيان مناشئه فمنها ما كان من تقصير الحكومة ومنها ماهو من تقصير القضاة والكتاب وقد كتب في ذلك تقريره المشهور فكان مدهشا للافكار في دقة بحثه وتشخيصه داء هذه المحاكم ، ووصفه للعلاج الذي لا شفاء بدونه وقد عجب الجبناء من شجاعته اذ خاطب الحكومة وسيما ببيان تقصيرها وطالبها بإزالته . وقد أحالت الحكومة هذا التقرير على الاعتبار وألفت لجنة في نظارة الحقانية للبحث في تنفيذ ما يتيسر تنفيذه منه بالتدريج

وكان رحمه الله صاحب الرأي المنير في مجلس الأوقاف الأعلى بما كان

يطبق الأعمال على الشرع والمصلحة وأهم خدمة له فيه مشروع المساجد الذي وضعه لعمارة بيوت الله تعالى وإحياء الدين وعلومه وترقية الخطابة وبث الإرشاد في الأمة وقد نوهنا به في المنار من قبل ونشرنا في الجزء الثامن من هذا المجلد ما أقره المجلس من ذلك المشروع ثم صدر الامر العالي بتوقيف تنفيذه ثم صدر أمر آخر بتنفيذ شيء منه . ومن هذا المشروع تعلم انه رحمه الله تعالى كان يتوسل بكل عمل يدخل فيه الى إحياء العلم وهداية الدين وتربية المسلمين

عمله في مجلس الشورى

في سنة ١٣١٧ ـ ١٨٩٩ عين عضوا دائما في مجلس الشورى فانتقل المجلس به من حال إلى حال . كانت الحكومة قلما تحفل برأي المجلس وكان المجلس في نظر الأمة وفي نظر أعضائه الوكلاء عنها غير مضطلع بما أوجد لأجله حتى ان جلساته كانت قلما تلتئم على أصول نظامه بحضور جميع أعضائه أو معظمهم . فلما دخله نفخت فيه روح جديدة زال بها سوء التفاهم بينه وبين الحكومة فصارت تحفل برأيه وتحله من الاعتبار ما لم تكن تحله فتأخذ برأيه فيما يمكن الأخذ به وتبين له سبب ما لم تأخذ به وقوي رجاء أعضائه في خدمتهم وانتظم عقد اجتماعهم وعظمت ثقة الأمة بهم وكان أكثر ما ترسله الحكومة الى المجلس لينظر فيه يؤلف له لجنة تحت رياسة الفقيد لتدقق النظر فيه وتعرض رأيها على المجلس . وكان له رحمه الله الرأي العالي والصوت المسموع في كل مسألة وكل مشروع فكنت تراه في المسائل المالية حاسبا اقتصاديا ، وفي المسائل الادارية اداريا ماهرا ، وفي اللوائح والقوانين قانونيا خبيرا ، وفي الامور الشرعية

إياما فقهاء . وكان المجلس يعهد اليه مذاكرة الحكومة في الشؤون المهمة ليكون الحد الاوسط في شكل القياس لتخرج النتيجة في خدمة البلاد صحيحة

وقد كادت أعمال المجلس تستغرق معظم وقته فكنت أتألم من ذلك لاعتقادي ان وقته أثمن من أن ينفق في خدمة المجلس فلا أكاد أجد فرصة الا وأرغب اليه فيها بالتخفيف والاقلال من الاشتغال بعمل المجلس حتى قلت له مرة ان الحكومة المصرية يشبه ان تكون أعمالها وقوانينها مؤقتة فهي عرضة للتغيير قريب مما تتفق فيه أياما طويلة لتقره الحكومة على ما ترى انه أنفع للبلاد ولاتلبث هي بعد ان تقره ان ترجع عنه بعد زمن قصير أو طويل وربما ترى انه تتفق في تحقيق بعض الأمور اياما كثيرة ثم لا يتيسر اقناع الحكومة به أو تقتنع بأنه نافع ويمنعها مانع من العمل به ولو صرفت مثل هذه الاوقات في الكتابة والتأليف لكان ماتكتب هداية لهذه الامة باقية مابقيت الامة : فقال ان الغرض الاول من العمل في المجلس هو التعاون مع الاعضاء على الجد والاهتمام بالبحث في الامور العامة ومصالح البلاد وتربية الرأي العام في الامة ليكون ذلك إعدادا لنفوس طائفة منا لعمل الاحكام بالشورى فاذا ارتقت هذه الملكة في الهيأة الحاضرة للمجلس فانها تنتقل منها الى الهيأة التي تخلفها ويكون ذلك جرثومة من جراثيم الاصلاح في البلاد فعلمت من هذا الجواب أنه لا يترك مذهبه في الاصلاح من طريقة التربية العملية في عمل من اعماله وسيأتي ذكر مذهبه هذا في عمله

﴿ عمله في الجمعية الخيرية الاسلامية ﴾

يوجد في كل قطر من بلاد المسلمين أفراد قرنت فيهم الفضائل

الكثيرة التي هي مناط حياة الأمم ولكن يعوزهم شيء للحياة الاجتماعية في هذا العصر هو أهم شيء وعليه يتوقف كل شيء وهو التعاون على الخدمة العامة والاعمال المشتركة وانك لاتكاد ترى في قطر إسلامي جمعيات ولا شركات ناجحة يرجى خيرها الأمة الا ما بدأ به مسلمو الهند ومصر في ظل الحرية الانكليزية ، ولا يزال كثيره في مهد الطفولية ، ولم تنجح في مصر جمعية من الجمعيات الكثيرة التي ألفت فيها بأسماء مختلفة لمقاصد مختلفة مثل نجاح الجمعية الخيرية الاسلامية ولم تصادف جمعية منها ما صادفته هذه الجمعية من الصدمات ، التي يعز فيها الصبر والثبات ، وكان الفضل الأول في ثباتها ونجاحها للاستاذ الامام أحسن الله جزاءه

أنشئت الجمعية للتعاون على تربية أولاد الفقراء والمساكين من المسلمين وإعانة العاجزين منهم عن الكسب على شقاء الحياة فاتهمها أعداء البشر بالسياسة وسعوا بها الى ذوي النفوذ والسلطة ولولا سعيه في الدفاع عنها وإقناع أهل الحل والعقد بأنها خيرية محضة ليس من موضوعها ولا مما تقصد اليه شيء سياسي أو سري لعفت رسومها . ثم إنه خدمها بنفسه وبالتعاون مع أصفيائه المؤسسين لها معه كوكيلها وأعضاء ادارتها لطف العهد خدمة جليلة حتى ارتقت عن طور الطفولة وصار ثباتها مضمونا بحول الله وقوته . ومما انفرد به في خدمتها دعوة الأمراء والوجهاء والاغنياء الى الاشتراك فيها ومساعدتها وتحصيله منهم قيم الاشتراك إذا قضت الحال بذلك

أسست الجمعية سنة ١٣٠٠ وفي سنة ١٣١٨ انتخب رئيسا لها فزاد اجتهاده في خدمتها وكان من ارتقائها في زمن رياسته ان صار إيرادها في السنة الماضية ١٠٣٩٥ جنيها وكان في سنة (١٣١٧) ٤٤٣٠ جنيها وصارت

أطيانها ٣٣٥ فدانا وكانت قبل ذلك ٢٨٠ فدانا وصارت مدارسها سبعا وكانت أربعا . على أنه كان يرى أن الفائدة الأولى المقصودة بالذات من الجمعية هي تعويد المسلمين الاجتماع للخير والتعاون على البر والخدمة العامة واستمار قلوب الاغنياء عاطفة الرحمة والإحسان بالفقراء كما كان يصرح بذلك في الاجتماع العام السنوي كل عام فهو فيها عامل بمذهبه في تربية الأمة كما كان شأنه في غيرها جزاه الله عن هذه الأمة أفضل الجزاء

﴿ طبع الكتب النافعة وجمعية إحياء العلوم العربية ﴾

كان رضي الله عنه يرى أن حياة الامة بدون حياة لغتها من المحال وان حياة العلوم العربية بمثل هذه الكتب الازهرية محال وانّ لا بد للاصلاح من إحياء كتب أئمتنا وكبار علمائنا التي ألفت أيام كان العلم حيا في الامة فكان يسعى لذلك سعيه ويبذل جهده وإسعاده طبعنا فيك الكتابين الجليلين اللذين هما روح علم البلاغة ـ أسرار البلاغة ودلائل الاعجاز ـ للشيخ عبد القاهر الجرجاني مؤسس علوم البلاغة ولولا تصحيح الفقيد لهما واستحضاره لنسخهما من الاقطار النائية لما تيسر طبعهما . وفي سنة ١٣١٨ أسست في مصر جمعية خاصة لهذه الخدمة تحت رئاسته سميت (جمعية إحياء العلوم العربية) كانت فاتحة أعمالها طبع كتاب (المخصص) لابن سيده في اللغة وهو كتاب لا نظير له في بابه ولا غناء عنه في إحياء اللغة في هذا العصر . وقد شرعت بسعيه في احياء مدونة الامام مالك وعني الفقيد رحمه الله تعالى باستحضار نسخها من تونس وفاس وغيرهما من البلاد ولولاه لما تيسر جمعها كلها ولنا رجاء عظيم في بقائها وحسن خدمتها بهمة من كان وكيلها وليس لرئاستها بعد الفقيد سواه الا وهو حسن باشا عاصم

﴿ مؤلفاته ـ بحسب تاريخ تأليفها بالتقريب ﴾

(١ ـ الواردات) رسالة في الكلام أو التوحيد على طريقة الصوفية وأسلوبهم وهي أول تآليفه ولعلنا ننشرها برمتها في سيرته المطولة فقد كان أعطانا نسخة منها

(٢ ـ رسالة في وحدة الوجود) وهي رسالة نفيسة لم أطلع عليها ولكنه هو الذي أخبرني بها وقال انها ليست بمعنى ما كتب عبد الكريم الجيلي وأمثاله مما هو أقرب الى مذاهب الحلول كالنصرانية منه إلى توحيد الاسلام ولكنها بأسلوب آخر وأراه يبين فيها مراتب الوجود وتعددها من وجه ونظامها العام ووحدتها من وجه آخر ولعلنا نظفر بها ونطبعها

(٣ ـ تاريخ إسماعيل باشا) أخبرني بهذا الكتاب أحد تلامذته الأولين وقال ان عبد الله النديم كان أخذ من الفقيد نسخته في أثناء الثورة العرابية ونشر منه فصولا في جريدة الطائف بتصرف أو بغير تصرف ولم أسمع منه رحمه الله تعالى ذكرا لهذا الكتاب وكنت أظن أنه لم يصنف شيئا الا وقد أخبرني به لأنه نص علي تاريخه بالتفصيل وكتب إلي شيئا مجملا منه كما علم القراء

(٤ ـ فلسفة الاجتماع والتاريخ) هو الكتاب الذي ألفه أيام كان يدرس مقدمة ابن خلدون في مدرسة دار العلوم كما ذكرنا في هذه السيرة وقد فقد هذا الكتاب عند ماعزله توفيق باشا من المدرسة ونفي السيد جمال وأخذت أوراقه. وكان طيب الله ثراه يقول أتمنى لو يحفظ هذا الكتاب من وقع في يده ويدعيه لنفسه ولو بعد موتي لينتفع به الناس

(٥ ـ حاشية عقائد الجلال الدواني) وهي غاية الغايات في علم الكلام

وتحقيق مسائله وتحرير الخلاف بين المتكلمين وبيان ماهو لفظي منه وماهو حقيقي وقد كان السيد عمر الخشاب شرع في طبعها ولعلها تتم عن قريب

(٦ ـ شرح نهج البلاغة) وهو شهير جداً وقد طبع في بيروت مرتين وفي طرابلس مرة وفي مصر مرة

(٧ ـ شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني) وهو مطبوع في بيروت ولم يعرف لغيره شرح لهذه المقامات وقد فرغ منه في ١٩ رمضان سنة ١٣٠٦

(٨ ـ شرح البصائر النصيرية) في المنطق وهو شرح وجيز أطلق عليه لفظ التعليقات والكتاب عالي الاسلوب وهو من أحسن ما كتب المسلمون في المنطق ولم يسبق لاحد قبله كتابة عليه فيما نعلم وقد قرأه دروسا في الجامع الازهر وحضرناه عليه ولعله لا يتسامى أحد الى تدريسه بعده وان كان من الكتب التي قرر مجلس ادارة الازهر تدريسها فيه وسيما الا ان يكون بعض من تلقاه عنه

(٩ ـ نظام التربية بمصر) رسالة في الطريقة المثلى لتربية المصريين وتعليمهم وهي على إيجازها من أحسن ما كتب وأتمه وستنشر في تاريخه

(١٠ ـ رسالة التوحيد) وما أدراك ما رسالة التوحيد هي التي يصدق عليها القول المشهور «لم ينسج ناسج على منوالها ولم تسمح قريحة بمثالها» هي التي يصح أن تعد معجزة من معجزات النبي عليه السلام، وآية من آيات الاسلام، هي التي ينبغي ان تجعل أصل الدعوة الى هذا الدين، ويعم تلقينها جميع المسلمين، وقد قلت للاستاذ الامام رضي الله عنه إنه لولا اسم هذه الرسالة وما في أولها من الاصطلاحات الكلامية الوجيزة لكان انتشارها أضعاف ماهو الآن، ولعم الانتفاع بها كل مكان، ولكن

البعيد ، اذا سمع باسم رسالة التوحيد ، يتوهم انها عقيدة كالسنوسية ، أو كالعقائد النسفية ، والقريب قد يأخذ نسخة منها ، فيصرفه ذكر الواجب والممكن والمستحيل منها ، توهما انها في علم الكلام ، الذي لا يتناوله الا العلماء الاعلام ، وقد كان رحمه الله تعالى عازما على بسط الكلام في هذه المقدمات ، وسائر مسائل الالهيات ، وجعل الكلام فيها كالكلام في النبوة ومزايا الاسلام ، موجها الى العقل والى الوجدان ، لا مجرد تقرير وجيز للبرهان ، وقد قرأها درسا في الأزهر وتلقيناها عنه

(١١ - تقرير المحاكم الشرعية) هو على خصوصية موضوعه مفيد حتى لغير القضاة ومستخدمي هذه المحاكم من جميع أهل العلم والادب لا سيما طلاب علم الفقه فانه يعطيهم من البصيرة في طريقة التحصيل على الوجه الذي ينتفعون به وينفعون مالا يجدونه في سواه وفيه كثير من الفوائد الادارية والاجتماعية والادبية ، وأحوج الناس اليه بعد القضاة وكتاب المحاكم المرشحون للقضاء والكتابة في هذه المحاكم

(١٢ - الاسلام والنصرانية ، مع العلم والمدنية) وهو مقالات كتبها لمجلة المنار ثم جردناها منه وطبعناها على حدتها وسميناها بهذا الاسم باذنه فجاءت كتابا مستقلا يناهز مئتي صفحة وقد نفدت نسخ الطبعة الأولى فأعدنا طبعه

(١٣ - تفسير سورة العصر) كتبه لينشر في المنار اجابة لرغبتنا ورغبة بعض أهل العلم في مدينة الجزائر الذين حضروا هناك درسه في تفسير السورة وقد كتب في هامش تفسير جزء عم عند تفسير هذه السورة مانصه : «وقد كتبنا تفسيرا لهذه السورة الشريفة نشر وحده بعد ان طبع في

مطبعة جريدة المنار وهو ما كنا ألقيناه درسا فى مدينة الجزائر فى شهر جمادى الاولى سنة ١٣٢١ وفيه تفصيل طويل لما أجملناه فى هذا التفسير المختصر فمن أراد بيانا أوسع ، وتفصيلا أبدع ، فليطلب ذلك التفسير ، فهو فيما أعلم غير مسبوق بنظيره » اهـ أقول اننا طبعناه بالقطع الصغير ليوضع فى الجيب وطبعنا معه ملخص درس الاستاذ الامام فى تونس وموضوعه العلوم الاسلامية وأقرب الطرق لتعلمها

(١٤ - تفسير جزء عم) هو على قرب العهد بطبعه أشهر من نار على علم وقد كان رواجه أكثر من رواج سائر كتبه على شدة الرغبة فيها كلها حتى انه قد وزع منه عدة ألوف فى عدة شهور وهذا شيء لم يعهد له نظير فى المطبوعات العربية

هذه هي مؤلفاته التامة ولا حاجة هنا لذكر ما بدأ به ولم يتمه وأما مقالاته التي نشرت قديما وحديثا فى الجرائد المصرية وغيرها فهي كثيرة جدا وكلها آيات بينات فى العلم والدين والادب قمع الله بها وأعاننا على احيائها (للسيرة بقية)

باب المناظرة

الدين في نظر العقل الصحيح

المقالة الثانية - لصاحب الامضاء

بقية الكلام فى النبوة

أليست العقائد الاسلامية أنزه العقائد وأبعدها عن مخالفة المعقول والوحيدة فى قوة الحجة ومتانة البرهان (أنظر ما تقدم فى المقالة الاولى) . أليس فى القرآن أصول الدلائل العقلية على صحة هذه العقائد مع الرد على من خالفها أجلى بيان . أليس فى العبادات والاوامر والنواهي القرآنية ما يطهر القلب ويصلح النفس والجسم معاً وأحوال الدين

والدنيا. أليس في القرآن من المسائل العلمية الطبيعية ما لم يخطر على قلب بشر في ذلك الزمن وفي تلك البلاد. ماذا يكون قول العامي إذا ذكر شيئاً عن البرق والرعد والصواعق وماذا يقع في كلامه من الاوهام ونحن في القرن العشرين المسيحي فما بالك إذا كان في القرن السادس فكيف لم يدخل ما يذكره العامة من الخرافات في القرآن ولم يذكرها محمد فيه اعتقاداً منه بها وجرياً على ما كان عليه معاصروه. فكم ذكرت هذه الاشياء في القرآن وغيرها من عجائب الكون ومع ذلك لم يرد فيها إلا كل قول صحيح سالم من طعن الطاعنين فكيف تحامى محمد الوقوع فيما يقع فيه مثله من العامة عند ذكر هذه المسائل. هل يعرف العامي الامي من العرب في ذلك الزمن أن كل الثمرات لها حياة كحياة الحيوان وأنها جميعها ذكر وأنثى وهو الامر الذي لم تقل به العلماء إلا في الزمن الاخير (ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين) مع ان العرب لم تكن تعرف ذلك إلا في النخيل. هل يعرف العامي أن القمر ليس مضيئاً بذاته ويدرك ان الشمس وحدها هي مصباح عالمنا هذا فيقول (فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة) ولا يصف القمر بما يستفاد منه أنه مصدر النور ويصف الشمس وحدها دائماً بذلك كقوله أنها سراج ونحو ذلك. هل كان احد في ذلك الزمن يعتقد دوران الارض حتى يرد في القرآن (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء) وليس ذلك في يوم القيامة على الاصح إذ قوله (تحسبها جامدة) لا يناسب مقام التهويل والتخويف وقوله «صنع الله الذي اتقن كل شيء» لا يناسب مقام الاهلاك والابادة هل كان احد يدرك الفرق بين جعل النهار الذي هو من حركة الارض مجلياً الشمس والليل غاشياً لها وبين العكس حتى يأتي بهذا التعبير (والنهار إذا جلاها والليل إذا يغشاها) والذي أتعب المفسرين زمناً ولا يقول إن الشمس هي المجلية للنهار بتحركها كما كان ينتظر من مثل هذا العربي الامي.

من من العامة يدرك أن صغر القمر وكبره حسب ما نشاهده ليس الا لاختلاف منازله بالنسبة إلى الشمس لا لان حجمه الحقيقي يصغر ثم يكبر شيئاً فشيئاً حتى يقول (وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب). يظن العامة أن المطر آت من الجنة أو من الملكوت الاعلى أو من عالم غير عالمنا هذا ولا يتصورون أن أصله من ماء بحار أرضنا هذه ولكن القرآن يقول (أخرج منها ماءها ومرعاها) أي إن المياه بأنواعها التي تستعملها

خارجة من الارض ولم يستثن منها ماء المعارك يتوهمون ، فهل يكون في كلام الامي العامي في ذلك الزمن هذه الدقة في التعبير والصدق في العبارة والاشارة الواضحة الى مسائل علمية لم تكن معروفة من قبل أو معولا عليها في زمنه

هل تدرك العامة بل وكثير من الخاصة أن التغيرات في العالم أعظم برهان على وجود الخالق تعالى حتى يستشهد القرآن على ذلك باختلاف الليل والنهار وحركات الكواكب وشروقها وأفولها ، أليس ذلك مما لم تنته اليه عظماء الفلاسفة الا بعد الجهد والعناء الكبير

هذا وإن القرآن قد أتى بالحكم الكثيرة والامثال الصحيحة على وجه وتعبير ينوك الفيلسوف الحكيم بدنه دون أن يأتي على تعبير مثله فما بالك بهذا الامي ، فهل تقول بعد ذلك كله إن سماع النبي لخاطر من جاوره من الناس الجهلاء وهوسهم هو المصدر لهذا الكتاب الحكيم

فوالله لو كلف أحد الفلاسفة أن يحص المسائل كما عدها القرآن وان يأتي بأصح الآراء وأقومها في المعتقدات وغيرها ويؤسس مثل هذا الدين الكامل بجميع ما فيه ويتبع السياسة الرشيدة والحكمة البالغة في ارشاد الناس اليه كما فعل محمد عليه السلام وأن يحترس من الوقوع في زلة واحدة وان يخبر عن بعض اشياء في المستقبل بفكره وقريحته بحيث لا يخطيء فيها وأن يأتي ببعض مسائل علمية لا يعرفها معاصروه وكلف بأن يجعل كل كلامه هذا بأسلوب غريب لم تعهده الناس من قبل ويكون في درجة من البلاغة لا يحاكيها أحد وأن يقلب كيان أمة عظيمة كالامة العربية فبعد ان كانوا اعداء صاروا اخواناً وبعد ان كانوا عابدين للاوهام صاروا علماء وبعد ان كانوا اضعف الامم صاروا اقواها وسادتها في مدة قليلة ــ لو كلف بهذا كله لاقر في الحال بالعجز واعترف بالضعف فما بالك اذاً بالنبي العربي الذي نشأ يتيما فقيراً امياً في وسط الجهل والوثنية في زمن العمى والظلام تحتاط به الخرافات من كل جانب والاباطيل من كل مكان امتزج حوله الحق بالباطل واختلط الصدق بالكذب يسمع قولا حقاً مرة وا كاذيب بجانبه مرات فلا يمكنه ان يميز احدهما عن الآخر لعدم علمه ، تشعبت في فكره الآراء وتضاربت في نفسه الاقوال فوقف وقفة الحائر ينتظر الارشاد الالهي حتى جاءه الوحي الرباني فمحص الحق ونفى الاباطيل وقرر الصدق وازهق الاكاذيب ،

واعتمد في دعواه على الحجج البينات لا على الالاعيب فأعظم به من نبي ختم الله به الانبياء واكرم به من رسول طارد كره في السماء صلى الله عليه وسلم

بقي علي أن اذكر شيئاً عن اخلاقه بعد ان خضعت له الملوك وهابته الجبابرة وانتشر اسمه في سائر الآفاق ، هل طغى وبغى وانهمك في اللذة ؟ كلا ثم كلا ، ملك مالكا واسعاً ولكنه مافارقه الزهد والتقشف طول حياته مات ولم يترك الاشيئاً زهيداً أوصى أن يكون صدقة لامته لم يتغير حاله وفقره وزهده ورأفته ورحمته بالناس بل زادت ، اقتصر على زوجته العجوز الى ما بعد الاربعين كما قلنا سابقاً حتى توفيت ومن تزوجهن بعد ذلك لم يكن فيهن بكر سوى عائشة وتزوجها وهي في سن تكاد أن لا تشتهي فيه لتوثيق ما بينه وبين والدها من المحبة والمودة وكان غرضه من تعددهن القيام بكفالتهن لفقرهن أو عدم وجود من يقوم بشؤونهن كمن فقدت بعلها في حرب أو غضب عليها أهلها لاسلامها أو لم يرغب فيها أحد من أصحابه لكبر سنها وليس للنبي أن يشير على أحد بتزوج بعضهن لئلا يأخذها مضطراً في زواجها فلا يحصل بينهما وفاق ، وكان الغرض في زواج بعضهن ايجاد الرابطة بينه وبين أهليهن أو تعزية بعضهن على فقد زوج كانت تتفانى في حبه أو ابطال عادة من عادات الجاهلية الى غير ذلك من الاغراض الشريفة كما يتضح للمدقق في أخبارهن شفقة بهن ورحمة لهن كان يتزوجهن ولا يمكنه أن يبقيهن في منزله من غير زواج لئلا يرميه الناس باستخدامهن من غير حق أو بارادة الفحشاء بهن (تنزه عن ذلك وجل مقامه عنه) ولو كان غرضه الشهوة لكن من حسان الابكار لا الثيبات المسنات فمن كان هذا شأنه لا يتصور أنه كان يطلب بدعواه النبوة الحصول على شيء من لذات هذه الدنيا والا لوجدته بعد نجاحه متكبراً جباراً منتقما فظاً غليظ القلب متعالياً في نفسه محتقراً لغيره فأين هذا كله ممن كان متواضعاً متقشفاً يخصف نعله بيده ويرقع ثوبه ويطوي على الجوع ليالي راضياً بالقليل رحيما بالناس لطيفاً يحترم كل أحد حسب منزلته حليما لا يغضبه جهل الجاهل ولا قلة أدب الوقيح ، يعفو ويصفح عمن أساء اليه ، اذا احتاج يقترض المال حتى من اليهود وكثيرا ما أوذي بسبب ذلك فالله أكبر ما أجل شأن النبوة وأرفعها عما يرميه به الجهلة من الناس هداهم الله

هذا الذي ذكرناه من الدلائل هو المعول عليه في هذا الباب والسند الاقوى للنبي

في دعواه وأما ما ظهر على يديه من خوارق العادات فلم يكن عليه السلام يعتمد عليها كثيراً فلذا اضربنا صفحاً عن اطالة البحث فيها وغاية ما نقول أن هذه المعجزات ليست من المستحيلات بل هي مما يدخل تحت قدرة الله تعالى وقد نقلها الثقات نقلاً متصلاً صحيحاً وتواتر بعضها بحيث ان الانسان اذا شك في بعض أفرادها لا يمكنه ان يشك في مجموعها ٠ وامثال هذه المعجزات كانت الحجة الكبرى والدليل الوحيد للانبياء السابقين مع أممهم ٠ ذلك لأن الانسان في تلك العصور ما كان يدرك قوة الدليل العقلي فكان كالطفل لا تنفعل نفسه الا بما وقع تحت حسه ولا يتأثر الا بما كان تحت لمسه ولما بلغ رشده وارتقى ارتقت ادلة النبوة كذلك وآتاه الله من الدلائل بما يناسب حالة رقيه العقلي وجعل المعجزة الكبرى في اتيان الامي بما أتى به مما فصلناه وعجز البشر جميعاً عن الاتيان بمثله وأما المعجزات الاخرى فلم يكن يراد بها الا تثبيت الذين آمنوا بالحس بعد ان اقتنعوا بالعقل وإلزام المعاندين الذين علقوا ايمانهم على رؤية هذه الخوارق ولذا لم يؤمنوا عند ظهورها ما كان يحملهم الى طلب غيرها لان من لم يقتنع بهذه لا يقتنع بتلك اذ الدلالة على الصدق في جميعها واحدة ٠ وهذا الذي قلناه هو ما يستفاد من مجموع آي القرآن الواردة في هذا الشأن فليراجعها من شاء ٠ والخلاصة أن الدليل قسمان حسي وعقلي اما الحسي فانه اشد تأثيراً على النفس وافعل في القلب واما العقلي فانه اصح واعم فائدة وذلك لانه متى احكمت مقدماته ونتائجه فلا سبيل لتطرق الشك اليه وكل من تصوره صدق به بخلاف الحسي فلا يؤثر الا على من نظره بعينه ويتطرق اليه شبهات كثيرة كالشعوذة والتدليس والحيل وكلما كان الانسان بسيطاً كان فعله في نفسه اشد.

ولما كان محمد عليه السلام خاتم الانبياء ومرسلاً الى الانسان بعد بلوغه رشده ودعوته ليست قاصرة على زمن او مكان كان الانسب ان تكون حجته عقلية من ان تكون حسية ٠ وقد كان ذلك وظهرت حكمة الله جل شأنه في هذا النوع فآتاه في زمن طفولته بما يناسب بساطته وفي زمن كهولته بما يوافق رقيه ودرجة عقله كالأب الحكيم يحمل ابناءه في صغرهم على الدرس باعطائهم المكافآت كالحلاوى والصور وفي كبرهم بتبيين فوائد الدراسة ومنافعها وتأثيرها في مستقبلهم فالانسان بالبعثة المحمدية ادرك قيمة عقله وتخلص من سائر القيود ولم يبق لشعوذ عليه سلطان او لمحتال عليه حجة

وقام ينفض ما على جسمه من غبار التقليد ونظر بعقله الى ما حوله من الموجودات واستخدمها وهكذا سار في طريق الاصلاح الى ان يبلغ الكمال ان شاء الله تعالى

ولنختم هذه المقالة باختصارها في كلمات معدودة فنقول:

كل من اتى باصلاح في الارض من قبل الله تعالى فهو نبي ومحمد قد اتى بالاصلاح من قبله تعالى فهو نبي والدليل على ان اصلاحه من عند الله انه ليس مستمداً من معلومات من جاوره من الناس كابيناه آنفا وان ما اتى به لا يقدر البشر على الاتيان بمثل جزء منه اذ لو كان مقتبسا من علمهم لكانوا اقدر على الاتيان بذلك قال تعالى (فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله)

اذاً القرآن كتاب الله وكل ما فيه حق من عنده تعالى فيجب الايمان به والعمل بما فيه لنحوز سعادة الدنيا والآخرة (محمد توفيق صدقي طبيب بسجن طره)

باب التربية والتعليم

شذرات من يومية الدكتور أراسم (*)

﴿ المكتوب الثاني ﴾

من إراسم الى «إميل»

فراق الولد لوالديه سنة فطرية - العلم في ألمانيا - نقد التلميذ ما يقرؤه من أفكار غيره - القصد في علوم المعقولات نفع الامة بالقيام بالواجب على قدر الطاقة - اختيار الولد العمل الذي يشتغل به بعد - بيان انه لا حرية لامة يتكالب شبانها على تولي أعمال الحكومة - التحذير من الملحدين - بيان ان الرأي العام لا قيمة له الا اذا كانت الحكومة شورى - خدمة الامة لذاتها لا للجزاء

لوندره في ١٣ فبراير سنة ١٨٦

اذا كنت يا عزيزي «أميل» تألم من استيحاشك فنحن نألم من فراقك ولكن يجب علينا التسليم والرضا بما لا بد منه واعلم انه لو كان في وسعي أن أبرح لوندره وأخلف من أقوم

(*) معرب من باب تربية الشاب من كتاب أميل القرن التاسع عشر

عليهم من المرضى لم اقتفك الى حيث أنت الآن لكنت فيه متردداً فقـد آن لك أن تعلم كيف تسير سيرة الرجال ان الطيور لتحب افراخها ولكنها متى آنست فيها من القوة مايكفي لاستقلالها بنفسها في الطيران شجعتها على تجريب أجنحتها فيه سنة الله الذي أراد أن يهب الحرية لجميع البرايا

أنت تعلم حق العلم أني لم أرسلك الى «بن» الا لاسهل عليك درس لغة الالمانيين وأخلاقهم وأفكارهم وأنا أعلم أنك الى الآن قد استقللت بنفسك في تعلمك فكنت في باطن الامر وحقيقته أستاذاً لنفسك ومرشداً وليس ما أخذته عني من الدروس شيئاً يذكر ولكن قد اقتضت أحوال هذا العالم أن توجد مذاهب وطرق لا بد في تعلمها أن تلتمس من ينابيعها والمانيا في يومنا هذا هي مقتبس نور العرفان وهي البلاد التي يجب أن يعرف لها الفضل في الحكمة والعلم والنقد وآداب اللغة ومدارسها الجامعة محط رحال الكثيرين من أفاضـل الاساتذة وجهابذة العلماء ولست مع ذلك أدعوك الى قبول تعليمهم على غـير بصيرة وتلقي أقوالهم وآرائهم قضايا مسلمة اذن أكون قد تخليت عن جميع الاصول التي أسير عليها، ان للانسان شيئاً لا ينبغي أن يسمح به لاحد الا وهو حرية الفكر فالعلوم التي تتلقاها في الجامعـة لا يمكن أن يتسع بها نطاق عقلك ويقوي بهـا ادراكك مالم تراقب مافيها من أفكار غـيرك مراقبة ذاتية واياك ثم اياك أن تنهك قواك التي أنت محتاج اليها في العمل بفرط الانكباب على دراسة المنقولات بالغـة ما بلغت من الطلاوة وبعد الغور فان البحث في المنقولات لا قيمة له الا اذا أدى الباحث الى وسـيلة ينفع بها نظراءه والمحب لنفسه من يقصر ثمرة فكره ودرسه عليها لا مراء في ان الاتصاف بالعلم من الامور الحسنة ولكن أجل منه وأحسن أن يكون الانسان محباً لوطنه نافعاً لاهله ولا يعزب عن ذهنك ان المانيا ليست بلادك وان آثار سلفك هي حكمة القرن الثامن عشر وان أملك هي الثورة الفرنسية»

آلمتني عبارة من مكتوبك وهي قولك «اني أحياناً آنس من نفسي فتورا في الهمة وضعفاً في العزيمة وأسائلها عما أصلح له من الاعمال وأنا ضائق بذلك صدراً» فاعلم انه ليس من الضروري لتحقق النفع في الانسان أن يكون من كبار الرجال فأيمـا رجل صدقت نيته في فعل الخير وصح قصده للنفع فانه يقوم من حالة القوم الذين يعيش

فهم بقدر تام من التعبير وعلى كل حال ليست الحياة الا نتيجة القيام بفروض صغيرة فمن أداها كلها بجانبي وبعضه من الوسائل كان في الغالب أفضل ممن يسعى في الاشتهار بعمل خطير وليس شيء من أفكارنا ولا من أعمالنا بضائع علينا فان آثارها تظهر فيمن حولنا من الناس أو فيمن يخلفوننا ومن ذا الذي يستطيع أن يقول ان الحركات الكبرى التي غيرت أحوال العالم من جهة السياسة والعمران لم يكن في المستضعفين العاملين من الخدمة والعمل ما للرؤساء المسيطرين كلا بل ربما لم يكن ظهور هؤلاء واشتهارهم الا صورة منعكسة لفضائل أولئك ومساعيهم المحمودة

اقنع بأن تكون كما أنت مع مواصلة السعي في تنمية غرائزك وتوسيع نطاق مواهبك بالدأب في العمل والمدارسة واذا احتجت في بعض أوقاتك الى تكبير دائرة وجودك فتصفح دواوين الشعراء الحقيقيين وكتب أئمة النظار المشهورين وتمتع بما تجده في نفسك عند مطالعتها من عظم القدر وسمو المكانة الذي يسري اليك منهم فان في ذلك غبطة لا يحيط بها الوصف فاذا هبطت من هذه المقامات العلى لم تصدم حولك من النفوس الصغيرة المحتاجة للاستضاءة بنور العلم من يشغلك الاشتغال بهم عن الاهتمام بغيرهم ومن صنائع البر ما فيه تسلية لك عما يعوزك من الخصائص واعلم انه لا يتألم مما في عقله من مواضع الضعف والقصور الا صاحب نفس أو خبيث واما من يستسلم ويرضى بقسمته ويتعلم ليعمل فانه لا يطالب فوق ما قسم له من العقل شيئاً بل يكون مغتبطاً به غير حاسد لغيره

أراك أيضاً تغلو في الاهتمام باختيار ما تمارسه من الاعمال فانه وان كان مما لا مرية فيه ان كل فرد من الناس يجب عليه أن يعيش من كسبه وكده واني أعلم لو رأيتك مفرطاً في هذا الامر الذي هو أول فرض على الانسان ينبغي أن تعلم ان جملة الدروس التي تتلقاها الآن مع كونها تؤدي الى جميع الحرف لا تفتح لك باب واحدة منها ولا أرى في ذلك ما يدعو الى كدرك لان كل علم تحصله هو ذخيرة لعقلك فان لم يفدك في نفسك فقد تجد فيه وسيلة لنفع غيرك على ان ما في الكون من طوائف الامور المختلفة وطبقات الحوادث المتباينة مرتبط بعضه ببعض فلا بد في معرفة أمر منها معرفة صحيحة من معرفة أمور كثيرة ظاهرها الامر تعلق بعيد ولست بهذا القول ألزمك السعي في تحصيل ما يسمى

بالعلم التام الذي هو ضرب من الخيالات والاوهام وانما أريد به تفهيمك ان العلوم قضايا عامة لابد لك من تصور حدودها الاصلية قبل تفرغك لتحصيل علم منها على حياله

أنت ولي أمرك في الحكم على ما يلائمك من الاعمال وليس عليّ الا أن أسألك عدم التأني في ذلك باخوانك من الطلبة فكن كما يرشدك اليه خلقك وميلك اما طبيباً أو محامياً أو مهندساً أو صانعاً أو آلياً أو غير ذلك ولكني أسألك بالله أن لا تكون عاملا للحكومة

أي حرية ترجى لقوم يتطلع المتعلمون من شبانهم الى الانتظام في سلك عمال حكومتهم قد كان فن ظلم الحكام للناس في الايام الخالية من الفنون الصعبة الكثيرة المشكلات التي يلزم لتعلمها استعداد خاص ونفس كنفس مكيافيل (١) وأما الآن فيظهر من أحوال الرعية انهم يغنون أشد العناية بكفاية حكامهم مؤنة استعبادهم بالحيلة أو القهر لانهم يتهافتون على احتمال نير عبوديته فأي ملك أو عامل يجد حول أريكته رؤوساً خاضعة واطماعاً سافلة نهمة كأطماع الكلاب التي لاهم لها الا قضم العظام مادام بين يديه من الاموال الوافرة ماينفقه كيف يشاء ومن المناصب وألقاب الشرف والرتب الكثيرة مايوزعه على من يريد

ليس الالحاد والوقاحة مقصورين على احداث المانيا فانك حيثما حللت تجد من الشبان من لايعتقدون بشيء ولايوقرون شيئاً فكن منهم على حذر لان هذا الفسوق العقلي يساعد قطعاً على تثبيت الاوضاع القديمة ذلك ان هؤلاء الذين يدعون لانفسهم حرية الفكر لم يخلصوا من قيد الاثرة ومن هذه الجهة تأخذ الحكومة منهم بالنواصي والاقدام أعني ان عبادتهم لنجح مساعيهم وطمعهم في الوصول الى مايبتغون وظمأهم الى المناصب والتمتع بمرتباتها الجسيمة لاتلبث أن تدعوهم الى توقير النظام الذي سنته الحكومة واجلاله واني لاأعتد بجراءة العقل مالم تصحبها بسالة النفس وتنزهها عن الاغراض ثم انه مهما كان بلوغ كل أمنية في الدنيا ممكناً بمحض هوى الغير ورضاه لم

(١) مكيافيل هو أحد رجال الحكومة الايطالية ومن كتابها المشهورين ومن كتبه كتاب الامير وهو مختصر في السياسة المفسدة للاخلاق

يعدم المستبدون عبيداً متحمسين في خدمتهم يعملون لهم ما يشاؤون وتجد من كانوا من الشبان بالامس منطقين متحذلقين يصبحون وهم أكثر الناس سجوداً للقوة واستكانة للسلطان ٠

ولاية أعمال الحكومة هي بلاء الامم في هذه الايام فالبلاد التي رئيس حكومتها هو الذي يوزع مناصبها لا يمكن أن تكون آراء الناس فيها الا تبعية على حسابي المنافع منها فاذا وقع خطأ سياسي أو دنى من الحاكم وكان ينتج للموافقين عليه بعد الحساب عشرة آلاف فرنك مثلا فانه يصير حينئذ صواباً واذا أتى أمراً خسيساً ودفع ضعف هذا المقدار قيل انه قام بهذه الرقيا تدعو اليه الطمع والبسالة فيجب الاخلاص له

يلهج الناس كثيراً بذكر الرأي العام ويقولون انه أقوى كفالة للحق والحرية وهو صحيح اذا كان أمر الامة بيدها وكانت هي التي تلي شؤون ادارتها وأما اذا كان حالها غير هذا فالرأي العام نفسه قد يكون فيها آلة للاستبداد فان أكفل وسيلة لظالم الامة هي اعدام شرف النفس من افرادها وازهاق روح الاستقلال بينهم بتحبيب الحكومة القائمة اليوم وحملهم على رجاء بقائها ٠ ورب قائل يقول ان عدد العمال في الحكومة لا يذكر في جانب السواد الاعظم من الامة : فأجيبه ان هذا الاعتراض عبث لانه قد نسي ان بازاء كل عامل نال منصباً ألفا من الناس يطلبونه ويرجون رجاء قوياً ان ينالوه يوماً من الايام فعالم العمال يكاثفه عالم آخر من السائلين ومن ورائهم جميع طلاب الاموال واذا كان تحرير الناس من الاستعباد لا يتأتى الا من أعانوا عليه بارادتهم فأي وسيلة تبعثهم على ارادة التفصي من ربقته اذا كان فريق منهم وهم الذين تقوم لهم الحكومة بنفقات مطعمهم وملبسهم ومسكنهم قد بلغت بهم الحال الى أن يكون استعبادهم قوام معيشتهم والفريق الآخر يغبطونهم على هذه النعمة ولا يأسفون الا على عجزهم عن مشاركتهم فيها

ولست أقصد بهذا القول ان من لوازم المناصب العامة تصغير نفوس القائمين بها أو الساعين في تقلدها حاش لله فانها في الحكومات الحرة كحكومة أمريكا مثلا من شأنها أن تنمي فيهم قوة النزعة ومكارم الاخلاق لان الحكم في اختيارهم راجع الى انتخاب الامة ولانهم انما يمرون بالاعمال مروراً ولان جميع الولايات لا تثبت

أن يرد أمرها إلى الأمة فتقلدها من تشاء ومن هنا يعلم أني لا أتكلم عن الأمم التي حكوماتها مؤسسة على الشورى وإنما أتكلم عن الحكومة التي تولي الأعمال فيها بالمحاباة والهوى فشبانها يتدلون ويصغرون نفوسهم في تقلد تلك الأعمال لأن حكوماتها لا تبتغي في الحقيقة الا نفوساً سلسة القياد تلصق بما يجري عليه العمل من التقاليد الادارية وطباعاً لينة عطفت على كل ناحية فلم تبق لها وجهة ذاتية وعقولاً مثقفة ولو لم تسم عن عقول العامة تستعمل زخرف القول في تصوير ما وضع من النظام بصورة معقولة، وإني لتمر بي ساعات أحدث فيها نفسي بأن من ظلم الشعوب أن يلوموا حكامهم على استعبادهم فأي معنى للومهم إذا كانوا قد جعلوا مقادتهم بأيديهم وكان الآباء لا يتمنون لأبنائهم الا تقلد المناصب ذات الرواتب العظيمة التي لا عمل فيها بدلاً من صرفهم إلى وجوه الكسب الأخرى بل إذا كان كل الناس يؤملون أن يكونوا عالة على المصلحة العامة ويودون لو أن للحكومة من التغفل والوداعة ما يمكنهم من الانتفاع بما يقدمونه لها من الفوائد في أسخف عقولهم فجعلوا أنفسهم تراباً ثم هم يدهشون من وطء الحكام إياهم

أنا لا أنكر أن نيل الشاب منصباً من المناصب الكثيرة المقررة في الحكومة أسهل عليه كثيراً من أن يفتح لنفسه باباً للكسب في قومه بجدارته وأهليته الذاتية وهذا لا يلبث الانسان أن يعرف الأمم التي اعتادت الارتزاق من حكومتها لا يكون فيها من قصد الاستعداد لانشاء الأعمال وابتكارها فترى الصناعة والزراعة والتجارة تنساق في مجرى العادة بتكلف وجهد والأموال تحذر الخروج من جيوب المتمولين والتقاويم التجارية التي تأبى الحكومة حمايتها يشق عليها كما قال أن تطير بأجنحتها والصناعات الحرة تحوم حول السلطان لنيل الأعمال والمحاباة وترقب فرصة التطفل على مائدة المصلحة العامة وآداب اللغة والفنون تتأثر بقوة السلطان وتدلي بتدلي الحياة العامة التي يحطها سلطان رجل واحد وحاجة التغذي من يد الحكومة تزيد على الدوام عدد طائفة الندمان والمتملقين

كأني بك تقول لي إن ذلك الذي وصفت عيب في شكل من أشكال الحكومة وذنب لجموع الأمة التي ترتضي هذا الشكل وإنه ليس مما يعتد به كثيراً أن يزيد عدد عمال الحكومة واحداً أو ينقص واحداً لأمة حيث لا يعد؛ فأجيبك على هذا بأني لست أجهل

ان واحداً من الناس ليس في قدرته أن يغير أحوال الأمة بأسرها ولكن اذا لم تكن كل فرد من افرادها على هذه المغالطة فاستسلم للتيار المحتوم الذي يسوق غيره فلا ينبغي أن يرجى شرف للاوضاع القوميه ولا حرية للناس . إن الامم اذا تدلت وفشت فيها عدوى التأسي وجب على كل انسان حقيق بأن يسمى انساناً أن يرفع لها من نفسه لواء الجد ويدعوها الى النهوض فانها لا تنهض من انحطاطها الا بالمجاهدة وبذل القوة الذاتية وكم من رجل يشكو من خسة السرائر في قومه ويتألم من دناءة نفوسهم وهو شريك لهم بالواسطة في فعل ما أداهم الى هذه الحالة بكثرة خشيته وتحرجه في سيرته فانه اذا تعفف هو عن تولي المناصب الرسمية فقد يريدها لابن أخ له أو لاحد اللاجئين بيته وبهذا يصير شريكاً في الضرر الذي يتسبب عن سوء مثاله

هذه يابني أفكاري قد أفضيت بها اليك صراحة فان كنت لا بد راغباً في بلوغ منصب رسمي فوسائلك اليه ميسرة جداً وهي أن تذل وتستكين وأما اذا فضلت كرامة نفسك واستقلالك وشرفك على التربية التي تجدها في سهولة فتح باب الكسب وسرعته فاني أهنئك عليه من صميم فؤادي ولكن لابد لك حينئذ أن تعرف ما أنت داخل فيه فانك بتنازلك عن رعاية الحكومة تضطر الى كسب قوتك بالعمل والجهاد ولا تجد من أحد حمداً على كدك ونصبك وترى كثيراً من الناس يسخرون من بسالتك واقدامك فلا يحزنك ذلك اذا كنت تسفههم وتزري عليهم بالمنهج الذي تسير عليه في عملك وفكرك

أخدم الامة ولا ترج منها جزاء ولا شكوراً فانها لا تملك ما تجزيك به لانه ليس بيدها شيء من أموال البلاد ولا من ألقاب الشرف ولا من وسائل التنويه واعلاء الذكر وعلى انها قد تنكر مالك من حسن النية في خدمتها فليس عليك حينئذ الا الاعتماد على قواك الجسدية والعقلية . . . وانه ليس في هذا الانكار المتوقع ما ينبغي أن يريبك فليست أهم مسألة للانسان في حياته أن يبلغ مقاماً سامياً بل المسألة الكبرى هي أن يكون قدره أعلى من المقام الذي يشغله

وأما أخبار البيت فبيانها أن والدتك عهدت الى إعلامك بأن طيورك وزهورك في حالة راضية وان دفائنك بعد أن حفظت في بطن الارض مليونين أو ثلاثة من السنين سالمة من التغير قد تغيرت قليلا من غبار لندرة ودخانها وبأنها قد رتبت مجموع حشائشك وانها أشد لك ذكراً منك لها

وفي الختام اقبلك أنا وأمك قبلة الوداع ونرجو أن تكون دائماً على علم بدروسك ومقاصدك وحالة معيشتك فكل ما يتعلق بك يعنينا . اه

آثار علمية أدبية

الجلد الاول من كتاب أشهر مشاهير الاسلام

قد صدر الجزء الرابع من هذا المجلد وهو في سيرة الخليفة الثالث عثمان بن عفان ومن اشتهر من رجال دولته وصفحاته ٢٢٠ وقد كان مصنفه (رفيق بك العظم) وعد بأن سيوجز القول في خلافة عثمان وعلي (رض) تحاميا للخوض في مسألة الخلافة ومثار الفتن في الامة فما زال به محبو التاريخ وطلاب الحقائق من قراء كتابه حتى أرجعوه عن رأيه وأقنعوه بوجوب بيان تلك الحوادث بطالها وأسبابها ونتائجها ومطولاتها فأقدم على البحث بما عهد فيه من الادب والاخلاص والبعد عن التشيع والاعتساف فجاء بمصاص الاخبار واستخرج منها آيات العظة والاعتبار وألم بالجهد في حسن الاختيار واستنباط الحكم والاعذار لعظماء الصحابة الاخيار

تصفحت جل ما كتبه في الفتنة التي أدت الى قتل عثمان (رض) فرأيته قد حصر مانقمه الناس من عثمان بحق في غلبة بني أمية على أمره حتى استبدوا بالامر دونه وافتاتوا عليه وحملوه على الرجوع عما عاهد عليه المسلمين وتاب عنه في محفل كبراء المهاجرين وبين ان أهل الرأي ورجال الشورى من الصحابة خافوا أن يجعلوا الخلافة أموية تقوم بالعصبية لاقرشية تقوم بالانتخاب والشورى الشرعية وكشف الحجاب عما كان هناك من الجمعيات السرية التي تحرض الناس على التألب على الخليفة والزامه بإبعاد دعاة بني أمية عنه أو اعتزاله وخلع نفسه وبين انه لم يكن أحد من كبراء الصحابة وزعمائهم يعتقد ان الامر يصل الى ما وصل اليه وانهم يقتلون الخليفة ظلما ولم يفعل فعلا يبيح دمه واحتمل لعثمان أحد عذرين في الاعتصام بقومه أحدهما أنه علم ان رجال الشورى الستة كل منهم يريد الخلافة لنفسه وله انصار فخاف أن يترك أنصاره الاقربين من بني أمية فيختلف القوم دونه ويتوثب عمال الامصار عليه فلا يجد له عاصما لذلك ولا هم الامصار وزاد استمساكه بهم حين سئل التخلي عنهم وثانيهما أن قومه استلانوا جانبه واستضعفوه فغلبوا على رأيه فيهم . أقول ان الثاني هو الصواب ويدل عليه تعويله على تنحية مروان

وذويه وتصريحه بذلك في خطبته التي بكى فيها وأبكى الناس (وهي في ص ٧٩٧ من الكتاب) وفيها ان بني أمية قد استحوذوا على عثمان بعد ذلك وملكوا جنانه لكبر سنه وضعفه فذلوه واستذلوه وافتات عليه مروان بما افتات •

يعلم كل من قرأ تاريخ المسلمين أن تألب الناس على عثمان لم يكن يرجى له صرفه الا باعتزاله الخلافة وخلع نفسه منها أو بعزل مروان وغيره من دهاة بني أمية الذين غلبوا على أمره وتقلدوا معظم أعماله وقد علمت رأي المصنف في الامر الثاني وأما الامر الاول فقد ذكر أن لامتناع عثمان عنه أحد أسباب ثلاثة ١ــ ضعف الارادة الذي هو أثر كبر السن ، ٢ــ الخوف أن يعجلوا عليه ما انتهوه به من الاحداث وهو يعتقد أنهم يستحلون فيها محرما ٣ــ العمل برأي مروان وأضرابه الذين كانوا يعلمون ان أمر الملك لا يتم لهم الا بارادة الدم • والثالث هو الصواب وربما كان غيره داعما له ولولاه لكان يمكن أن يقال ان امتناعه من اعتزال الخلافة مع تألب الناس عليه وحصرهم اياه هو من قوة الارادة لا من ضعفها • ومن فصول الكتاب الذي تستحق أن ينبه عليها ويلفت اليها فصل عقده لاثبات عدم تحامل رجال الشورى على علي كرم الله وجهه وبيان أن خلافة كل واحد من الراشدين جاءت في وقتها اللائق بها

ورأيت صديقي المؤلف قد أكثر القول بهذا الجزء في تقرير رأيه في الخلافة والحكومة الاسلامية وبيان ضرر ما ينكره منها ويعده أصل البلاء وعلة الضعف والشقاء وهو أمران عدم توفر شروط الشورى والاختيار في البيعة بحيث كان شكل الخلافة وسطا بين الشورى والاستبداد او بين الحكم المطلق والحكم المقيد اذ أناطوا بالخليفة جميع الأعمال • وثانيهما اصطباغ المسلمين في حياتهم السياسية بصبغة الدين وعدهم الخليفة رئيسا دينيا

قراء المنار يعرفون رأيه في هذه المسألة ولم ينسوا المناظرة التي كانت بينه وبين أحد علماء الهند في هذه الجملة • واقول ان هذه المسألة الكبيرة لم تحل فيما كتبه فلا تزال في حاجة الى التحرير وكنا وعدنا بكتابة رأينا فيها بالتفصيل ولما تسمح لنا الفرص بذلك • ونقول هنا ان ما جاء به الاسلام في ذلك وما كان من انتخاب الخلفاء الراشدين وسيرتهم يصدق عليه قول الامام الغزالي في نظام الوجود العام «ليس في الامكان أبدع مما كان» الا ما كان

من اصرار عثمان على إمساك مروان وغيره من ذوي قرابته الذين نقم منهم المسلمون ولقد يظهر للمؤرخ الذي وقف على نظام الحكومات النيابية في هذا العصر أنه كان ينبغي للراشدين أن يضعوا نظاماً مثله واذ لم يفعلوا قلنا أن نحكم بأن عملهم كان ناقصاً . ومثال هذا مثال من يشكر بعض مظاهر الوجود التي رأى من جنسها ما هو أحسن منها غافلا عن امكان ذلك و عدم امكانه بحسب سنن الكون العامة

الحكومة النيابية المنتظمة القائمة على أساس الشورى والاختيار لا تصل اليها الامم الا بعد أن ترتقي وتتعلم في مدرسة الحكومة الاستبدادية زمناً طويلا فلم توضع حكومة نيابية منتظمة على وجه الارض بمجرد الرأي والاستحسان من افراد أسسوها واقنعوا الامة بأن فيها مصلحتها فقامت بها وثبتت عليها اقتناعاً بقولهم وعملا برأيهم . وانما كان تأسيس الحكومات النيابية والجمهورية جاهلها ويعلم صديقنا مؤلف أشهر مشاهير الاسلام ثم كان تقدمها وثباتها بالتدريج بعد ارتقاء الامم في العلوم والاعمال الاجتماعية بالتدريج ايضا

كان يقول كما يقول بعض الناس انه كان ينبغي للمسلمين أن يتعلموا كيفية تأسيس الحكومة النيابية من جيرانهم الرومانيين ثم هو يعتذر الآن عن الخلفاء الراشدين بأن الحكومات النيابية كانت بعيدة العهد يومئذ من مجاوريهم الرومانيين فالجأوا الى إناطة كل شؤون الدولة السياسية والدينية بالخليفة (ص ٦٧٩) فبالله وللرومانيين هل كانت قوانينهم ومجالس شيوخهم ونوابهم عاصمة لهم من السقوط في هوة الاستبداد ثم من تحويل الجمهورية الى امبراطورية . ألم يكن الاشراف هم أصحاب المجالس والحقوق والعوام لا حقوق لهم ؟ ألم يكن الدافع للملك ماريوس الى السعي الى منح العوام جميع الحقوق الرومانية هو التخلص من أثرة الاشراف وظلمهم وشدة فرقهم منهم ؟ ألم يأت بعده الملك الطاغية سيلا وكان من أشد ضروب الاستبداد تشويها اقتفاء كل ما كان أصاحبه ماريوس . وكان يقتل كل من يتوسم فيه عدم الاخلاص له من أعضاء مجلس الشيوخ والاعيان وبعض الاهالي لاعماله الخاصة حتى كانت مظالمه العامة هي السبب في تأسيس الجمهورية سنة ٥١٠ ق م ألم يحول اغسطس قيصر الجمهورية بعد استقرارها الى امبراطورية سنة ٢٨ ق م أولم يحول نابليون الجمهورية الفرنسية الى ملكية ويفعل فعلته بمجلس النواب على ان شعب فرنسا كان ارقى من شعب رومية يومئذ؟

هل تأسست الجمهورية الرومانية كاملة؟ ألم يكن ضباط الجيش هم الذين ينتخبون النواب في الحكومة الجمهورية ؟ ألم يكن هؤلاء الضباط وعسكرهم آلة في أيدي الاشراف المستبدين؟ ألم يقاوم الاشراف اقتراح «فوليرو» أن يكون الشعب هو الذي ينتخب نوابه حتى ثار الشعب ونال هذا الحق بالثورة سنة ٤٧١ ؟ هل نال الشعب بعد هذا حقوق المساواة الا بالتدريج إذ نال المساواة في الحقوق المدنية سنة ٤٥٠ ق م والمساواة في الحقوق السياسية سنة ٣٩٧ والمساواة في الحقوق القضائية سنة ٣٢٩ ثم لم يتم له حق المساواة في الاعمال القضائية الا بعد سنين ، والمساواة في الدين سنة ٣٠٢ ق م ؟

أو لم تكن المساواة في جميع هذه الحقوق عامة في الحكومة الاسلامية من أول يوم لاصطباغها بصبغة الدين الذي يخضع المتدين لاحكامه عند ما يسمعها ؟

نعم كل هذا مما لا ينكره عارف ولولا ان كانت أركان الحكومة الاسلامية قائمة على أساس الدين لما استقام للمسلمين حكم ولما وجد ذلك العدل العام الذي لم تكتحل عين الزمان بمثاله حتى اليوم فان الدولة الانكليزية التي هي أرقى الامم الاوربية في حكومتها وأقربها من العدل في مستعمراتها لا تساوي بين أبناء جلدتها في الحقوق وبين الهنود بحيث تقتص من مثل اللورد كتشنر لرجل هندي كما أراد عمر أن يفعل بجبلة بن الايهم ملك غسان وكما ساوى بين علي ورجل من آحاد يهود وكما عد الصحابة من أحداث عثمان التي توجب خلعه عدم قتل عبيد الله بن عمر أمير المؤمنين بالهرمزان الفارسي الذي قتله لقيام القرينة عنده على إغرائه بقتل أبيه أمير المؤمنين وان استرضى عثمان ولي الدم بماله الخ الخ

وسنبين في مقال خاص بهذه المسألة كيف كان ما عمله الراشدون هو المتعين الذي لا يمكن أن يكون خير منه يومئذ وكيف كان الفساد الذي طرأ على الحكومة الاسلامية فأضعف الامة وزعزع الملة محصوراً في هدم بني أمية للقواعد التي وضعها القرآن للحكومة الاسلامية وأيدتها السنة وهي ابطال العصبية الجنسية وجعل أمر المسلمين شورى بينهم والاذن لاولي الامر وهم أهل الحل والعقد باستنباط الاحكام مجتمعين وايجاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بالقول والفعل

وجملة القول في هذا الجزء من كتاب أشهر مشاهير الاسلام انه من أنفع الاجزاء

وأشدها عظة وتذكيرا بحال سلفنا «ومايتذكر الأأولو الالباب» وهو مطبوع طبعاً حسناً على ورق أجود من ورق الاجزاء الاولى وثمن النسخة منه ثمانية قروش صحيحة واجرة البريد قرش ونصف ويطلب من مكتبة المنار وغيرها

﴿ تاريخ التمدن الاسلامي ﴾

قد صدر الجزء الرابع من هذا الكتاب لمؤلفه جرجي أفندي زيدان صاحب مجلة الهلال وهو خاص البحث في سياسة الدول العربية في الشرق والغرب وقد جعل الكتاب أبوابا عبر عنها بالعصور فأولها العصر العربي الاول وفيه الكلام عن حال العرب وعصبيتها قبل الاسلام وعن الارقاء والموالي والاجانب والسياسة في الجاهلية ثم عن سياسة الخلفاء الراشدين وسياسة الامويين واحداثهم في الدولة والاسلام • وثانيها العصر الفارسي الاول ويسمى به زمن نفوذ الفرس واستبدادهم في الدولة العباسية من خلافة السفاح سنة ١٣٢ إلى خلافة المتوكل ٢٣٢ وفيه الكلام عن سياسة العباسيين وحربهم والعصبية العربية في زمنهم • وثالثها العصر التركي الاول وفيه الكلام عن الجند التركي في الدولة العباسية وعن الخدم ونفوذهم وتأثير النساء في سياسة الدولة وفي هذا العصر كان مبدأ فسادها وسقوطها ثم الكلام في تشعب المملكة العباسية وانقسامها إلى دول فارسية وتركية وكردية • ورابعها العصر العربي الثاني في الاندلس ومصر وخامسها العصر المغولي أو التتري وفيه الكلام عن انحلال المملكة الاسلامية بقيامة الترك وتنكيلهم بالمسلمين الى ان نهض العثمانيون بتكوين دولة جديدة قوية • هذا موضوع الكتاب وهو من الفائدة بالمكان الذي يستغني فيه عن التنويه به والحث على مطالعته • واننا لنرجو ان يأذن لنا الزمان بفرصة نطالع فيها هذا الجزء وما سبقه بالتدقيق لنعطيها حقها من النقد والتقريظ فنكون من الشاكرين لمؤلفه على اجتهاده العظيم في هذه الخدمة لتاريخنا المبعثر في كتب الاخبار والآثار

﴿ مراشد الهدايات • إلى واجبات الحلاقين والدايات ﴾

كتاب جديد للدكتور أحمد أفندي الدرندلي مفتش صحة الفيوم • ويعني بالحلاقين الاطباء الذين خصتهم الحكومة بالكشف على الموتى لتحقيق موتهم ولمعرفة

سببه وبالتبليغ عن الامراض الوبائية والتلقيح لمنع الجدري ، وبعني بالدايات القوابل ، والكتاب يشرح الامراض التي يتقاق بها عمل الفريقين ويبين ما يجب عليهما فمله ومباحثه نافعة ينبغي اطلاع كل قاريء وقارئة عليها ليكون الناس على بصيرة من الامراض التي تعرف لهم ولئن يتيشروا معهم فلمؤلف الكتاب الشكر أن طبع هذا الكتاب ومن الشكر الاقبال عليه

«ديوان الرافعي»

قد طبع مصطفى صادق أفندي الرافعي الجزء الثاني من ديوانه وشعره فيه يدخل في ستة أبواب أولها باب التهذيب والحكمة وثانيها باب النسائيات وثالثها باب الوصف ورابعها المدح وخامسها الغزل والنسيب وسادسها الاغراض والمقاطيع وصفحات هذا الجزء تبلغ ١٢٠

ومما يذكر له أنه أكرم ديوانه عن مدح زيد وعمرو وخالد وبكر فلم يمدح من عظماء الدنيا غير السلطان وأمير مصر ومن عظماء الدين ورجال العلم غير الاستاذ الامام (رحمه الله تعالى) ومن الاغنياء غير أحمد باشا المنشاوي أيام وفق للاحسان بماله ونفع الناس بوقفيته ، ومن باب النسائيات قوله في المرأة المصرية :

أنى عليك وان لم تشعري الامد — وأنت أنت مضى أمس وحل غد
فهبك عيناً فما من الناس ذو نظر — الا ويؤلمه في عينه الرمد
وهبك قلباً فما في الخلق من رجل — الا ويوجعه في قلبه الكمد
وهبك من كبد في جنب صاحبها — أليس يحمل ما تغلي به الكبد
عجبت لامرأة هانت وما اعتبرت — ومن رجال أهانوها وما رشدوا
كلاهما رجل في الناس وامرأة — ولا تميز الا ذلك الجسد
وكل ما حولهم في الذل مثلهم — يستعبد الكل حتى البر والبلد
يابنت مصر ولا قوم تنزههم — ولا بلاد ولا أهل ولا ولد
زاغت عيون بني مصر وضل بها — غي النفوس وهذا الجهل والفند
فأنت في نظر الراقين سائمة — وفي نواظر فلاحيهم وتد
وأنت ينهم في كل منزلة — صفر اليسار به يستكمل العدد

أقام في رأسك الجهل الذي سلفت ... به الليالي وفي أضلاعك الحسد
وما يحلان بيتاً كان في رغد ... الا وهاجر منه ذلك الرشد
(فالسحر والزار والاسياد) جلتها ... لاهلها نكد ما مثله نكد
ما أنت في الصين والاوثان قائمة ... وللشياطين في كل الامور يد
تالله لو كان من علم وتربية ... شيء يمازجه ذا الصبر والجلد
اذاً لما سخرت من بنت جيرتها ... من يومها السبت أو من يومها الاحد
فهل أرى رجلا فينا أو امرأة ... بعد الجمود وطول الذل يتقد
ياقوم لو نام ليث الغاب نومكم ... لاستنكف الفار ان قالوا له أسد

فهذه القصيدة تشعر بأن الشاعر يرى وجوب تعليم النساء ليسلمن من الاوهام والخرافات ولكن له مايدل على خلاف ذلك كقوله في المقاطيع :

ياقوم لم تخلق بنات الورى ... للدرس والطرس وقال وقيل
لنا علوم ولها غيرها ... فعلموها كيف نشر الغسيل
والثوب والابرة في كفها ... طرس عليه كل شيء جميل

وأحسن ماقرأت في هذا الديوان قوله في فنون من الوصف وذكر الليل

تقاصر عمر الزمان الطويل ... ولا بد من أجل للعليل
وضاق به الافق ضيق القبور ... فزم الكواكب يبغي الرحيل
وراح تخفت هموم القلوب ... كما سار بعد المقام الثقيل
لقد كدت أبغض لون الظلام ... لولا شفاعة طرف كحيل
طوى الشمس فاختبأت أختها ... نفور الغزالة من وجه فيل
وكانت إذا احتجبت قبله ... تجاذبها لمسات الاصيل
ترى البدر غار فأغرى بها ... وكل جميل يعادي الجميل
أم الحظ أرسل لي ذا الدجى ... فكان الرسالة وجه الرسول
أم الليل قد قام في مأتم ... فمنه الحداد ومني العويل
ولم أنس ساعة أبصرتها ... وجسم النهار كجسمي نحيل
وقد خرجت تتعزى السماء ... عن بنتها اذ طواها الافول

على مركب اشبهته البروج ... تمر به كالبروق الخيول
اذا قابلته لحاظ العيون ... سمعت لاسيافهن صليل
وان قاربته ظنون النفوس ... رأيت النفوس عليه تسيل
وقد اخرجت نفحات الرياض ... زكاة الرياحين لابن السبيل
وقد عبث الدل بالغانيات ... فذي تتهادى وهذي تميل
كأن الحواجب قوس فما ... تحرك الاجفان عن قتيل
كأن القلوب أغلقت قلوبا ... فكانت لحاظ العيون الدليل
حمائم في حرم آمن ... بهذا الضلوع بناه الخليل
وما راعها غير لون الدجى ... يصدئ لوح السماء الصقيل
فيا قبح الليل من قادم ... بوجه الكذوب ومرأى العذول
يغض الينا على ذله ... وشر من الذل بغض الذليل
وكم عزني بالاماني التي ... ارتني ان زماني بخيل
ومن امل الناس ما لا ينال ... كما ان في الناس ما لا ينيل

وثمن النسخة خمسة قروش واجرة البريد قرش ويطلب من المكتبة الأزهرية بمصر

حقوق المرأة في الاسلام

أيقظت المدنية الاوربية العالم كله ووجهته الى حياة جديدة من العزة والقوة فمن الشعوب الشرقية من سار الى هذه الحياة من طريقها فادركها وكل من سار على الدرب وصل، وكل قارئ يعلم ان هذا هو الشعب الياباني وهناك قوم آخرون من الوثنيين في الهند يسيرون على هذه الطريق ولو كان لهم استقلال في الحكم لصاروا دولة عظيمة . وأما الشعوب الاسلامية فقد وقفت أمام هذه المدنية موقف الحائر لاتدري كيف تستفيد منه وأول شعب اسلامي ولي شطرها هو الشعب المصري فان حكامه حاولوا اقتباس هذه المدنية منذ مئة سنة ولكنهم لم يسيروا اليها من طريقها فكانت العاقبة ان احتلت بلادهم دولة اوربية في الربع الاخير من القرن

لم يوجد للمسلمين حكومة تقودهم في الطريق الموصلة الى النافع من هذه

المدنية مع التوقي من مضارها ولم يكن لهم زعماء في الدين والعلم اذا قالوا يسمعون ، واذا هدوا يتبعون ، بل ظهر في شعوبهم المتمتعة بشيء من وشل الحرية او غمرها (كمسلمي روسيا والهند ومصر) كتاب ومؤلفون يدعون الى شيء من الاصلاح الاجتماعي الذي حولت العالم اليه مدنية اوربا ولكن صوت العارف الناصح من هؤلاء الكتاب يكاد يخفى بين ضوضاء الوقاء من المتطفلين والمقلدين والمتجرين بالكتابة والصحافة ولا غرض لهم منها الا ارضاء عامة الدهماء ، او التزلف الى بعض الحكومات او الرؤساء ، والو من الاجانب والغرباء ، والدهماء في جهل مبين ، لا تميز بين الغث والسمين .

لا يكاد يوجد اصل من اصول الاصلاح الذي يحتاج اليه المسلمون الا وله في دينهم دليل يرشد اليه ، او سبق عمل يعول عليه ، وقد حكموا التقاليد والعادات في اعمالهم فلا الى هدي الدين يرجعون ، ولا بما تقضي به حال العصر يعتبرون ، وانما تتنازعهم التقاليد القديمة والحديثة فيندفعون ، ولا يدرون في اي طريق يسيرون ، ولا الى اي غاية يصيرون .

امامك مسألة تربية النساء وتعليمهن وهي من اعظم مسائل الاجتماع في هذا العصر والمسلمون في حيرة لا يدرون الصواب فيها وقد كثر اختلاف الكتاب والمتفننين فيها حتى كأنهم في مجموعهم خيال ذلك الشاعر الذي اوردنا كلامه المتناقض في النساء آنفاً . صاح بعض الكتاب في الهند ومصر ان علموا النساء وربوهن فلا ارتقاء لكم مع جهلهن ، فصاح بهم آخرون انكم مخطئون تفسدون في الارض ولا تصلحون ، وقد سمعنا في هذه الايام صيحة جديدة من مسلمي روسيا فان احداث آحاد احد كتابهم المشهورين ألف كتاباً باللغة الروسية سماه حقوق المرأة في الاسلام ونقله الى اللغة العربية سليم افندي قبعين وطبعه وقدمه الى قاسم بك امين الذي فتح بمصر باب البحث في مسألة النساء بكتابه (تحرير المرأة) ثم كتابه (المرأة الجديدة)

ليتني كنت ادري ماذا كان لكتابه من التأثير في بلاده ولعله كان اقرب الى قلوب الجمهور هناك من كتاب تحرير المرأة الى قلوب الجمهور هنا لان الناس هناك اكثر اعتدالا واشد استعداداً فيما أظن ولان اسلوب الكتاب يوافق هوى المسلمين عامة

افيرز في صورة الدفاع عن الاسلام والرد على الاجانب الذين يسيئون به الظن ، ويكثرون فيه الطعن ، فقد ذكر الكاتب شيئاً من إفك الافرنج واختلاقهم في الاسلام ، وطعنهم في النبي عليه الصلاة والسلام ، ثم ذكر انصاف افرادهم عرفوا شيئاً من الحق فنطقوا ببعض ما عرفوا ، ومن هنا انتقل الى الكلام في حقوق النساء في الاسلام لان الافرنج يبالغون في الطعن بأحكام الاسلام في النساء ، ويعدونها من اكبر علل الشقاء ، ذكر ما كان عليه النساء في الامة العربية وغيرها قبل الاصلاح الاسلامي ثم انه ذكر الاحكام التي انفرد بها الاسلام في ذلك مستشهداً بالآيات الكريمة والاحاديث الشريفة والاحكام الفقهية على بعض المذاهب وقد انتقل بعد ذلك الى التاريخ فتناول منه شيئاً من سيرة المسلمات اللواتي اشتهرن بالعلم والادب ، ويقول المؤلف في الحجاب انه ليس من الاسلام في شيء ،

وجملة القول ان الكتاب نافع ولا يخلو من افكار جديدة وقل فيه ما يتناوله النقد فنشره مما يزيد المسلمين بصيرة في هذه المسألة إن كانوا يطلبون البصيرة ليعملوا بها وأنى لنا العمل ومن ذا الذي يعمل وهذه مصر التي يذكرها المؤلف ويظن انها عاملة قد كثرت فيها الكتب المؤلفة في تربية المرأة وتعليمها لم تغير الحال بها بل لا تزال الامة تتدرج في التيار الذي قذفها فيه الحرية الشخصية والتقليد الصوري فيزداد النساء تبرجاً وتهتكا وزمام تعليم البنات في ايدي الاوربيين والورد كروم ينادي في تقريره الاخير بما علمه القراء في مقالات (الحياة الزوجية) فنحن في حاجة شديدة الى مدرسة اسلامية للبنات كالمدرسة التي كان الاستاذ الامام عازماً على انشائها للجمعية الخيرية وسترى ذكرها في ترجمته رحمه الله تعالى

كتاب الرسائل الزينبية

زينب فواز أشهر النساء المتعلمات الكاتبات بالعربية للطامن الرسائل في الصحف المنتشرة ، والكتب والقصص المنتشرة ، وقد جمعت رسائلها المتفرقة في الجرائد ، وطبعتها في ديوان واحد ، فاذا هي سبعون أو تزيد ، وكم فيها من مبحث طريف وموضوع جديد ، كالكلام في بدعة الزار ، وما فيها من الاوزار ، وكوصف حفلات الاعراس ، في بيوت كبراء الناس ، وما للنساء من التقاليد والعادات في تلك البيوتات ، ومن هذه الرسائل مناظرات بينها وبين بعض الكاتبين والكاتبات ، ومنها ما هو في وجوب تعليم البنات ، ، وثمن الكتاب خمسة قروش صحيحة يضاف اليها قرش أجرة البريد وهو يطلب من مؤلفته القيمة في سوق السلاح بمصر

البدع والخرافات والتقاليد والعادات

تبرج النساء بمصر

للكلام في مصر دولة ذات صولة بل له دول متعددة يصول بعضها على بعض والحرب بينها سجال، وأكثرها يقع في عالم من الوهم والخيال، هو بمعزل عن عالم الحقيقة والاعمال،

قال قوم ان النساء أسيرات الحجاب في سجون الحجالة قد استضعفهن فاستعبدهن معشر الرجال، فيجب تحريرهن من هذا الرق، والمن عليهن بنعمة العتق، فقام آخرون يقولون ان هذا الحجاب، حكم أنزله الله في الكتاب، فالتهاون فيه إهمال للديانة، وجناية على العفة والصيانة، وقد أكثر هؤلاء القول وسودوا صفحات الصحف في التألم والشكوى من الدعوة الى تخفيف الحجاب، ونبز من يراه بالالقاب

ليس من غرضنا أن نقول ان هؤلاء أو أولئك مخطئون وانما الغرض أن نبين ان مسألة الحجاب مسألة كلام ومراء، لا مسألة إرشاد واصلاح، وان الغيرة فيها ليست غيرة على الصيانة وآداب الاسلام، وانما هي تغاير في ذرابة اللسان وخلابة الاقلام،

نحن نعلم ان نساء المدن اللذين يطلق عليهن لفظ المخدرات والمحجبات، لا يبلغن عشر النساء المسلمات، ثم ان مظهر هذا الحجاب وعنوانه هو البرقع والملحفة التي تعرف بالملاءة أو الحبرة وان خلت صاحبتها بالرجال، وشاركتهم في بعض المعاملات والاعمال، وكان الاصل في هذا البرقع أن يستر الوجه حتى لا يظهر منه الا العينان والاصل في هذه الملاءة أن تستر الرأس وجميع البدن فلا يبدو منها شيء،

فما زال هذا البرقع يرق حتى صار يشف عما وراءه فيبدو مستوراً أجمل منه مكشوفاً ومازال يدق من جانبيه ويتدلى من أعلاه والملاءة تحسر من حوله فتظهر الجبهة وقصبة الانف والاذنان والليتان (صفحتا العنق) والوجنتان ثم خرجت الملحفة التي تعرف بالملاية والحبرة عن كونها ملحفة تستر البدن والثياب والزينة فصار نساء الاغنياء

والربطة [illegible] فإنهن من دونهن يستبدلن بالملحفة الساترة "تمارة" قصيرة تتدلى من أوراكهن إلى [illegible]هن وكساء من نسيج العمارة يشددنه على صدورهن ويزررن قمصانهن فوق فساتين ويخرجن وهن كذلك إلى الأسواق والشوارع حاسرات عن سواعدهن المحلاة بالأسورة وسواعدهن إلى المرافق وإذا رفعت إحداهن يدها ظهر ما وراء المرفق من العضد لأن أردان جلبابها واسعة جداً تشبه أردان ورق نبات الأزهر .

[illegible] من صيانة غدواتنا المحجوبات وراء الحجاب ، في زعم أنصاره باللسان والكتاب ، يتبرجن في الأسواق والشوارع تبرج الجاهلية الأولى مظهرات جميع زينتهن [illegible] الناظرين فلا قرط ولا خاتم ولا سوار ولا خلخال ، إلا وهو معروض في الطريق لأنظار الرجال ، والرأس نصفه مكشوف وكذلك الوجه الا ما على [illegible] الإتب من تلك الحريرة البيضاء التي تسمى البرقع وما هو إلا من نوع الشفوف المعروف بالساري (الذي يكون المكتسي به كالعريان) أو النهد الذي هو أرق من الساري

[illegible] أصحاب الغيرة الاسلامية الذين حملوا على قاسم بك امين تلك الحملة أن قال إنه يجب على المرأة أن تستر جميع بدنها إلا وجهها وكفيها وأن لا تخلو بأجنبي ولا تزيد لأن هذا هو الحجاب المشروع ؟ ألا يحملون على اللواتي أظهرن الشعور والنحور والمعاصم والسواعد والمرافق والأعضاد وطفقن يتبرجن بزينتهن هذه في كل مكان ؟ ألا يحملون على أزواجهن وآبائهن وإخوتهن وسائر أهليهن فيسفهون أحلامهم ، ويحركون غيرتهم ، ويأمرونهم بإمساك أموالهم أن تنفق في إعانة نسائهم على هذا التبرج الذميم ؟ فلماذا ثارت حميتهم على القائل ولم تثر على الفاعلين والفاعلات ، فإن زعموا أن القول لا يفيد فلماذا خافوا من ذلك القائل ولماذا قالوا في حقه ما قالوا

النساء في مدن مصر لسن مسترقات فيدعى إلى تحريرهن ، ولسن مظلومات فيدعى إلى الرفق بهن وإنما هن مسترقات للرجال ، ظالمات لهم في الأنفس والأموال ، والسبب الغالب في هذا هو جهل الرجال وضعف إرادتهم وسوء إدارتهم فهم غير رؤساء في بيوتهم ، فإذا كان تعليم البنات وتربيتهن على ما يحب دعاة المدنية سبباً لنهوض الأمة من كبوتها وارتفاع

شأنها لانهن يربين الرجال فيكونون أصحاب عزائم، ويعلمنهم فيعرفون حقائق المصالح، كما انهن يربين صنفهن على التوقير والاقتصاد، والعمل الموافق لمصلحة البيوت ومصلحة البلاد، فمن المطالب الآن بتربية النساء؟ لاجرم انهن هن المطالبات بتربية أنفسهن، لانهن متصرفات بإرادتهن لا بإرادة أوليائهن، ولكن هل يسمعن النداء، ويميزن بين ما يدعو اليه الجهلاء والعقلاء؟

الحق انه لا يرجى أن تقوم بتربية حسنة للبنات يرجى منها مقاومة تيار الفساد الجارف الا بتحقيق أمنية الأستاذ الامام رحمه الله وهي إنشاء الجمعية الخيرية مدرسة لهن على الوضع الذي كان عازماً على تنفيذه في العام القابل بعد القيام بجمع الاعانة له في هذا الشتاء كما نذكر ذلك في موضعه فاذا كان عدد أهل الغيرة على الدين والشرف وعلى الآداب والمدنية كثيراً فليبذلوا المال للجمعية وهي زعيمة بهذه الخدمة كما كان يريد ويحاول رحمه الله تعالى

﴿ خنوثة الرجال وفسوقهم ﴾

بينا في النبذة الماضية أن النساء قد استضعفن الرجال فاتبعن الهوى، وضللن طريق الهدى، وصار التبرج في الاسواق، وابداء الزينة للصالحين والفساق، سنة في العمل متبعة، وان كان في الشرع بدعة محرمة، ولذلك يوشك أن تعم جميع النساء، لانهن خلقن مولعات بالتقليد في الازياء، والذنب في ذلك كله على الرجال، فهم الرعاة وعليهم تبعة الاختلال،

يرضى الرجل لامرأته العطول، بعد ان يبذل لها ثمن ماتشتهي من الحلي والحلل، وتخرج الى الطرق والمتنزهات، يتشرف للظباء السانحات، فلا تمر بعذراء الا ويلقي اليها قولا، ولا تلمحه عوان الا ويطلب منها نيلا، وقد حملني على هذا الذي كتبت الآن اني رأيت رجلين في سن الكهولة عليهما أثر النعمة يمشيان في شارع من اعظم شوارع القاهرة فمر بهما فتاتان صبيحتا الوجه فكرا على عقبيهما يقتفيان أثر الفتاتين ويتبذلان بكلمات التصبي التي تغثي لسماعها نفس الحر حتى تكاد تقي

صادف هذا المنظر من نفسي أشد الاستهجان على انني لا اكاد امر في شارع ولا

أطل من كوة الا وأرى ما يحاكيه او يزيد قبحاً وشناعة وكان السبب في ذلك انني توهمت الادب والكمال في الكهلين

رأيت منذ ايام شابا يتأثر فتاة في جادة واسعة في أحد جانبيها قامة واقذار فكان كلما دنا منها بعدت عنه حتى اضطرها الى المشي في ذلك الجانب القذر فراراً من قذارة نفسه ونتن أخلاقه وما كان امتعاضي من هذا المنظر الا دون امتعاضي من منظر ذينك الكهلين اللذين كانا يتكلمان بما يعد في العرف البذيء ظرفاً وذوقاً

ما كل متبرجة بغي او محتمة خفر بل فيهن المقلدة في الزي كيلا تعاب بين النساء بالعجز عن مجاراة سنفها او بالتأخر فيما يسمونه «الموده» ولكن هذا التبرج مطمع الفساق — وما اكثرهم لا اكثر الله من أمثالهم — ولهم العذر فقد ورد في الحديث «أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية» رواه ابنا خزيمة وحبان في صحيحهما · ودخلت امرأة من مزينة المسجد ترفل في زينة لها فقال النبي (ص) «يا أيها الناس انهوا نساءكم عن لبس الزينة والتبختر في المسجد فان بني إسرائيل لم يلعنوا حتى لبس نساؤهم الزينة وتبخترن في المساجد» رواه ابن ماجه والتبختر في الشوارع والمتاره ادعى إلى الفتنة منه في المساجد فهل من ذي نفس ابية، وغيرة اسلامية، يسعى في ابطال هذه الازياء الفاضحة، والمعاصي القادحة، وهل للكتاب أن يحملوا على هذه العادات الشائنة حملة منكرة في الجرائد لعلهم يفيدون

الحداد والمآتم

وقفت على عادة من عادات البيوت في الحداد لم اكن أعلم بها من قبل وهي ان النساء يفرشن البسط والطنافس في البيوت مقلوبة ويجعلن على الارائك والحشايا التي يجلس عليها نسيجاً أسود ويغيرن سائر مافي البيت من الاثاث والمتاع بعضه بالقلب وبعضه بالنزع وبعضه بتغشيته بالسواد ليكون كل شيء مذكراً بالمصاب باعثاً على تجديد الحزن واثارة الشجن · وهذه العادات عامة لا يكاد يخلو منها بيت عالم ولا جاهل ولا رفيع ولا وضيع اذا مات احد من اهله لاسيما كبير البيت · والكالحمد لله ان لم يبتل من ربينا بهم من الاهل والمعاشرين بهذا البعد الشديد عن هدي الدين والسخط اقتضاء الله تعالى · ونسأله تعالى ان يوفق علماء هذه البلاد وكتابها الى الاجتهاد في تغيير منكرات الحداد والمآتم · وازالة ما اعتيد فيها من البدع والمآثم ·



فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق)

(مصر — ١٦ رجب سنة ١٣٢٣ — ١٥ سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٠٥)

تتمة سيرة الاستاذ الامام

نموذج من كتبه وترسله

كتب من بيروت سنة ١٣٠٢ الى صديق عالم في بعض البلاد وفيه من الحث على احياء دين الله، والاهتداء بكتاب الله، مالا تجد مثله في كلام، الا ان يكون لمثل علي عليه السلام، قال رضي الله عنه

السلام عليكم، تحية أخ يهزه التشوق اليكم، وبعد فقد تلقيت اليوم كتابك وتشممت منه ريح الحمية، والنعرة الدينية، وأرجو ان تصل بك بدايتك الى مايختار الله لك من حسن النهاية ولم يكن ظني في همتك، دون ماتبينت في عبارتك، فليكن سرورك بنفسك، على قدر شفقتك على دينك، وحركة ميلك للاخذ بيده، وتقويم أوده، فانما هو الدين المتين الذي أطلق العقل من قيده، وأخذ على الوهم في كيده، وهز النفوس الى نيل الفضائل، ونكب بها عن مشايعة الرذائل، حتى ساد به الضعفاء وذلت لسلطانه الاقوياء، وسبق وعد الله بأن يظهره على الدين كله، والله

منجز وعده لأهله ، وانما خلقنا الله وكلفنا صرف همومنا اليه ، وتمويلنا في شؤوننا عليه ، وليس لنا من الحق في أنفسنا وأموالنا ، الا مانبذله في تأييد ديننا ، ولا حاجة لله فيمن لم يكن له من نفسه وماله نصيب

داوم قراءة القرآن وتفهم أوامره ونواهيه ومواعظه وعبره كما كان يتلى على المؤمنين والكافرين أيام الوحي وحاذر النظر الى وجوه التفاسير الا لفهم لفظ مفرد غاب عنك مراد العرب منه ، أو ارتباط مفرد بآخر خفي عليك متصله ، ثم اذهب الى مايشخصك القرآن اليه ، واحمل نفسك على مايحمل عليه ، وضم الى ذلك مطالعة السيرة النبوية واقفا عند الصحيح المعقول ، حاجزا عينيك عن الضعيف والمبذول ، (*) واعتبر بما قاسى النبي وأصحابه من الجهد والعناء لنصر دين الله ، وما ركبوا من المتاعب ، وما احتملوا من المصاعب ، على ما تعلم من درجة قربهم الى الله وغفرانه لهم ما تقدم من ذنبهم وما تأخر ، واجعل عيشك للآخرة واستعد لما وعد فان سعادة أبدية ، لاتنال الا بسيرة محمدية ، ولن تنال بنوم موسد ، على فراش ممهد ، واعلم انك محاسب على الدقيقة من أوقاتك ، لاعزازدينك كانت لك والا كانت عليك ، وأرجو ان يكون كل سعيك خيرا يجعله الله نورا يسعى بين يديك ان شاء الله

اما ماذكرت من مسألة الشيخ . . . فبودي لو توجه الى الله كل مسلم ، واعتصم بحبله كل مؤمن ، فما بالك بشيخ من جمال الوصف على ما ذكرت ، ومن علو المنزلة على مابينت ، فان تيسر لك السبيل فتقدم

(*) يريد بالمبذول تلك الموضوعات التي ينبذها روح الدين وتأباها قواعده العامة ونصوصه القطعية

لدعوته (أي إلى الاعتصام) وادخل اليه ابتداء من طريق لا يعرفه وتلطف له في القول وان شئت أطلعته على شيء من مقالات العروة الوثقى فاذا انتهيت به الى ما يعرف وآنست منه الميل والرضاء فإما ان يكتب إلي وإما ان يستعد لتلقي كتاب مني ثم سارع إلي بالخبر الخ

وكتب منها الى عالم كبير في بعض البلاد في ٧ جمادى الاولى سنة ١٣٠٢

أشد ما أجد من فراقك ، حرماني من محاضرة آدابك ، والاقتباس من نوادر فضلك ، وتعرف الصواب من صائب رأيك ، وإنما يخفف ألم البعد عنك أن أكون بمكان من فكرك ، وأصيب حظاً من مراسلتك ، وجدير بكرمك ان تصل واصلاً ، وتجيب سائلاً ، وسلامي عليك وعلى أنجالك الصالحين ، والله ينفع المسلمين بسعيك وخالص نيتك والسلام اه

فانظر كيف كان إحياء الدين وهم المسلمين والسعي في إصلاحهم مما يدخل في كل أقواله ، كما كان مسيطراً على جميع أحواله ، فهل تزن بمثله من ليس لهم حظ من الدين ، الا الأكل به من السوقة والفلاحين ، لا يهمهم الا التحلق حول الموائد ، والتطواف لجمع النذور «والعوايد»

قوة عقله وسعة علمه

يصف الناس كل نابغ بالذكاء الفطري ويعنون به سرعة الفهم وسهولة الحفظ ولذلك كنت تجد الناس مجمعين على وصف الاستاذ الامام بالذكاء النادر ، لا يختلف في هذا منصف ولا مكابر ، أما هو فكان يقول عن نفسه إنه متوسط في الذكاء وانه يوجد في كل مئة رجل ٧٥ رجلاً مثله في فهمه . وعلى هذا كان يجب ان يكون ثلاثة أرباع الناس أو طلاب العلم منهم خاصة مثله ولكن الناس لم يروا في الملايين الكثيرة مثله وانك لتسمع

كثيرا من أهل الفضل يقولون ان الدنيا انما تلد مثل هذا الرجل في كل عدة قرون مرة وقالوا بعد موته ان الفراغ الذي حدث بفقده لا يملأه أحد في هذا العصر . وقد راجعناه في قوله ان ثلاثة أرباع الناس يساوونه في ذهنه وقلنا له كيف تحصل في الزمن القصير من العلم مالا يحصلونه في الزمن الطويل فقال ان الفرق بين الناس في هذا لا يأتي من الاختلاف في الذهن فقط وانما يأتي معظمه من الاختلاف في توجيه الارادة الى الشيء ومعرفة طريقه وتأتيه قبل طلبه . وهذه حقيقة لا مرية فيها ولكنها لم تذهب باعترافنا في ان قوله ذلك من المبالغة بمكان وان كان قاله اعتقادا لا تواضعا وهضما لنفسه . على اننا نعرف من أصحاب الذكاء المدهش من كان ذكاؤهم وبالاعليهم خاصة أوعليهم وعلى كثير من الناس الذين يعرفون : فالعبرة بما قال وهو ان ادراك المقاصد انما يكون بصحة توجيه الارادة اليها وطلبها من طرقها الطبيعية

بلغ هذا الرجل من قوة العقل ان عجزت الأمراض الشديدة عن منعه المطالعة فكان يقرأ في أيام مرضه أكثر مما يقرأ في صحته التي تشغله فيها الأعمال . أتظن انه كان يقرأ كتب القصص والفكاهات ؟ كلا انما كان يقرأ العلوم العقلية والفلسفة وكتب التربية والتاريخ . وقد رابه من مرضه الاخير ماله فيه من المطالعة وقال انه لم يعهد ذلك في مرض قط فقلت له هكذا شأن أمراض المعدة على ان كثرة الاعمال العقلية هي السبب الفعال في مرضك هذا كما يقول الأطباء - ولم يكن المرض يومئذ قد اشتدت وطأته

وقد أصيب بحمى التيفوس مرة في بيروت فبلغت نهاية شدتها وأعلى

حرارتها ولم يغب عقله ولم يهذ لسانه حتى قال الطبيب الذي كان يعالجه انني لم أر مثل دماغ هذا الرجل ولو حدثت عن مثل ما رأيت منه لما صدقت . وكذلك قال بعض الأطباء الذين زاروه قبل موته بأيام قليلة فقد ذهب السم في جسمه وعقله حاضر وذاكرته تملي على لسانه الأجوبة السديدة في وصف مرضه لمن يسأل عنه . وقد اتفقنا نحن الذين كنا نلازمه على ان لا نحدثه في الجد ولا مسائل العلم والاجتماع وان نمنع عائديه من الحديث في ذلك لاسيما بعد اشتداد المرض عليه ولكنه كان ينتقل بنا من الفكاهة الى الجد فاذا ساقت شجون الحديث مسألة عويصة أو عبارة احتجب معناها ، أسرع ذهنه الى كشف الحجاب عن الخفايا فجلاها ، ونفث في عقدة العويص من عراها ،

أذن لنا بذكر الشعر والادب في يوم تواترت فيه نوبات الألم فكان مما أنشده حافظ ابراهيم من مختار محفوظه قول بشار :

اذا ما غضبنا غضبة مضرية * هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما

وقال انني أنشد هذا البيت منذ سنين وأنا لم أفهمه وسألت عنه غير واحد من الادباء فلم يأت أحد بتفسير ترتاح اليه النفس فلم يلبث الامام ان قال ، والالم ينال من كبده ما ينال ، ان معناه ظاهر فانه يريد انهم اذا غضبوا سلوا سيوفهم وأشرعوا رماحهم فكان بريقها ولمعانها هتكا لحجاب الشمس الى أن يكنوها من طلى أعدائهم وصدورهم فتخرج وهي تقطر دماء وتسيل مهجا ، هنالك يخفى ذلك البريق واللمعان بستر الدم له وريته عليه . فالضمير في قوله قطرت دما عائد الى السيوف أو الرماح وان لم تذكر بالقول فهي معلومة بالقرينة أي على حد قوله تعالى « إني أحببت حب

الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب » على التفسير المشهور

ناهيك بمن كان يشتغل عامة نهاره وزلفا من ليله بحل المشكلات وإمضاء الأعمال في مقاصد كثيرة ولا يشكو تعبا ولا يخاف مللا ، كان يصبح فيغدو الى مجلس الشورى مثلا فيجلي المسائل الموضوعة للبحث سواء كانت قضائية أو إدارية أو مالية ويؤلف بينها وبين مصلحة البلاد ويؤيدها بالحجج القانونية والعقلية التي تضم الحكومة بعد اقتناع الاعضاء ثم يخرج من هذا المجلس فيأكل طعام الغداء ويذهب الى الازهر فان كان اليوم يوم جلسة الادارة جلسها وعمل فيها عمله ثم ينتقل الى مكتب الافتاء حيث كان ينتظره أصحاب الحاجات المختلفة في جميع مصالح الحكومة وغيرها والمستفتون والزائرون وكتاب الجمعية الخيرية والازهريون من علماء ومجاورين فينظر في هذه الأمور الى ما بعد العصر ثم يخرج الى ديوان الاوقاف ان كان اليوم يوم جلسة المجلس الاعلى أو الى مجلس ادارة الجمعية الخيرية ان كان اليوم يوم جلسته ثم يعود عند الغروب الى الازهر فيقرأ الدرس فيخرج بعد العشاء قاصدا داره فيجد الفئة وأصحاب الحاجات ينتظرونه في المحطة وفي البيت يعرضون عليه حاجاتهم وبعد هذا كله لم تكن تخلو داره ليلة من السامرين يتكلمون في العلم والادب والمصالح العامة والخاصة . ولا تنس ان الايام التي لم تكن موعد الجلسة في تلك المجالس الرسمية هي التي تقرأ فيها أوراق تلك المجالس ، ولكنه كان على ذلك العقل الكبير والعرفان الغزير كثير النسيان للأمور الجزئية لا سيما أسماء الاعلام حتى انه نسي اسم نفسه مرة . ذهب لزيارة صديق له فلم يجده فسأله البواب عن اسمه ليخبر مخدومه به فتوقف الاستاذ في الجواب ذهولا عن اسمه فقال الخادم أقول الشيخ

محمد عبده ؟ قال نعم فأنت اعرف باسمي مني

أتقن جميع العلوم الاسلامية وضرب بسهم في العلوم والفنون العصرية قبل تعلم اللغة الفرنسية وقد أتقن هذه اللغة في سن الكهولة وتوسع بها في العلوم على طريقة الافرنج وكان يعني بالعلم على قدر الحاجة اليه في العمل والإصلاح . فأما علوم اللغة العربية فقد بلغ منها ان كان ادق الناس فهما للقرآن ، ولغيره من فصيح الكلام ، وأبلغ الكتاب بلا منازع ، وأخطب الخطباء بلا مدافع ، وأما العلوم العقلية فقد ارتقى فيها الى أن كان فيلسوفا حكيما اعترف له بذلك من يعتد بمعرفتهم . ونذكر هنا تفسيره لكلمة فيلسوف . حدثنا في طرابلس الشام قال كنا في مجلس بعض الوجهاء بمصر وكان في المجلس بعض أهل العلم وحملة الاقلام من السوريين . فقال ما معناه ان الناس قد ابتذلوا لقب فيلسوف فصاروا يطلقونه على غير أهله وكان أطلق هذا اللقب في جريدة على بعض الحاضرين فجرى هنا كلام في معنى كلمة فيلسوف قيل الفيلسوف هو الذي يتقن جميع العلوم قال الاستاذ اذاً لم يوجد فيلسوف في الارض قيل هو الذي اتقن بعض الفنون وله إلمام بسائرها قال ان جميع الذين يتعلمون على الطريقة الحديثة يخرجون على إلمام بجميع العلوم العصرية ويتقنون بعضها فما أكثر الفلاسفة في المهندسين والأطباء وفي التلامذة أيضا . ثم قال بعد كل مقال : الفيلسوف هو الذي له رأي ومذهب في العقليات يمكنه الاستدلال عليه والمدافعة عنه

وأما العلوم الشرعية فقد كان فيها إماما مجتهدا وان كبرت هذه الكلمة عند الذين سجلوا على أنفسهم الحرمان من فضل الله على المتأخرين ،

وإيتائهم من العلم والفهم ما آتاه المتقدمين ، وناهيك بفهمه في القرآن ووقوفه على أصول الشريعة وحكمها واسرارها وقوة حجته في إثبات عقائدها ودفع الشبهات عنها وتطبيق أحكامها على مصالح البشر . ولست أعني بكونه إماما مجتهدا في الشريعة انه صاحب مذهب دونه أو كان يريد أن يدونه وانما أعني ماذكرت آنفا من فهمه الدين أصوله وفروعه بالدلائل والبراهين والفقه فيه والوقوف على حكمه والقدرة على بيانه بدون تقليد عالم معين من العلماء السابقين والأئمة المهديين الذين اتبع آثارهم واقتدى بهديهم . وكان يرى ان من يضع للناس مذهبا جديدا فانما يزيدهم عمى وجهلا وتفرقا واختلافا

﴿ أخلاقه وشمائله ﴾

الأعمال ثمرات الأخلاق فما ذكرناه من أعمال الرجل تمثل بعض أخلاقه لانها بعض آثارها وان وراء ذلك من أحاسن الخلال ، وآيات الكمال ، ماتقصر عن تمثيله جلائل تلك الأعمال ، ولقد كانت للاستاذ الأمام أصول الفضائل الأربع ، وما نشأ عنها وتفرع ، واننا نشرح بعض أخلاقه لتكون قدوة للمقتدين ،

طبع الله هذا الرجل على عزة النفس وعلو الهمة من أول نشأته وقد أدركه السيد جمال الدين الذي درج في حجر السيادة وترعرع في بيت الامارة وهو مجاور في الأزهر ومنقطع إلى التصوف يلبس قميصاً يبدو من أعلى جيبه صدره الاشعر وقد أرسل جمة كجمة الدراويش فرأى من صاحب هذا التقشف ماعنده من العزة والاباء وحفظ الكرامة ورقة شعور الشرف وأكبر ان يكون هذا أثر التربية والتخلق في بلاد ساسها الظلم وتحكم فيها الجور المذلل للنفوس وكأنه سبق إلى نفسه أن هذا أثر وراثة

لأحد آبائه الاولين ، وانهم لابد ان يكونوا من الملوك والحاكمين ، فقال له مرة : « قل لي بالله أي أبناء الملوك أنت ؟ » : وهـذا الخلق هو ركن الفضائل الركين ، وناهيك بقول الله تعالى « ولكن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين » ، وهو الباعث على تلك الأعمال ، والحامل على الاستهانة بما بين يديها من الاهوال ، وقد يشتبه على كثير من الناس هـذا الخلق الكريم ، بخلق الكبر الذميم ، ولذلك كان بعض الحاسدين والجاهلين ينبز الاستاذ الامام بهذا اللقب لاسيما عندما كانوا يرونه مترفعا عن الدهان والتملق للكبراء ، معرضا عمن يعارضه في مقاصده وان كان من العظماء ، ولو عاشروه ناظرين بعين الانصاف لرأوا حقيقة التواضع مع الرفعة كيف تكون ، لرأوا كيف كان ذلك الرجل العظيم يخدم الفقير والمسكين ، ويتجافى جنبه عن مضجعه لاجل العفاة والمستفيدين ، ومن دقائق ملاحظته في التواضع انه كان يتحامى صيغة الطلب الجازم في مخاطبة أصدقائه ومحبيه ، بل وتلامذته ومريديه ، فيستبدل بالأمر الاستفهام والتخيير ويوسع للمخاطب العذر قبل أن يحتاج الى الاعتذار ثم اذا أخلف معه يتناسى فلا يقابله بلوم ولا عتب . أذكر من لطائفه في هـذا الباب قوله لي مرة : اني أكون غدا في مكان كذا بعد الظهر فان ذكرت ذلك ووجدت فراغا وأحببت أن تجيء فعلت : ذكر كل هذه القيود وأنا اعلم انه يريد ان أوافيه حتما ولولا ذلك لذكر لي أنه يكون في ذلك المكان ولم يزد كعادته معي إذ كان يخبرني بمواقيته

وقد عرف رحمه الله تعالى بسلامة الصدر وصفاء القلب والحلم والصفح فما انتقم من مسيء ولا سعى في ضرر أحد قط بل كان يحسن

الى من أساء اليه اذا استنجده أنجده ، واذا استرفده أرفده ، وان عاد الى الاساءة سبعين مرة . وكان أهل الخبث والمكر من حاسديه يظنون أنهم يخدعونه بدهائهم ودهائهم ولكن فراسته كانت تخترق صدورهم ، وتنفذ الى سواد قلوبهم ، ويقرأ في صحائف وجوههم الاولى ، مارسم على صحائف وجوههم الاخرى ، وانما يقبل منهم ما أظهروا ، ويتغابى عما أضمروا ، عملا بما ورد في الخبر « إصنع المعروف مع أهله ومع غير أهله فان اصبت أهله فقد أصبت أهله وان لم تصب أهله فأنت من أهله » وكان يعجبه قول أفلاطون : استصلاح العدو أحزم من استهلاكه :

ثم كان يغلب عليه حسن الظن وبذلك رفع أناسا الى مراتب لم يكونوا أهلا لها والناس يعدون ذلك عليه ويغفلون عن عذره فيه وهو ان من رفعهم ورقاهم كان لابد للاعمال التي رقاهم اليها من عاملين فحسن الظن ببعض من يمكن ان يعهد اليهم العمل وناطه بهم فمنهم من ظهر بالاختبار ان ظن الخير فيه صادق فكان صالحا للخدمة شاكرا للصنيعة ومنهم من ظهر بعد التجربة لؤمه ، وتبين فساده وشؤمه، فلم يصلح عملا ، ولم يشكر محسنا، ومن هذا الفريق من أساء الى من أحسن اليه ، وكفر حقوق النعم عليه ، ومنهم من أظهر الوفاء في وقت الرخاء ، وأظهر حقده وضغنه ، عند الضراء والمحنة ، وليت شعري ماحيلة الرجل الذي جبلت طينته على الاحسان، وتوجهت همته الى الخدمة العامة ، وقد نشأ في قوم فشا فيهم فساد الاخلاق، وقل فيهم الوفاء والاخلاص ، أيمكن ان يقال له لاتسد الى أحد معروفا، ولا تسع الى أحد بخير ، إلا بعد ان تجربه عدة سنين ، فتعلم انه من المصلحين والشاكرين؟ كيف وانما يجرب الرجل بما يعهد اليه من الاعمال ،

وما يعامل به من البر والاحسان ،

على أنني لا أنكر انه كان لسلامة قلبه يفيض أمام بعض من يعتقد إخلاصهم بما لا تسع عقولهم ، ويفضي إلى بعضهم بما تضيق عنه صدورهم، وانه كان لمبالغته في الحلم يعفو عمن لا تعفو المصلحة العامة عنه ، ويصفح عمن يقتضي الاصلاح بالانتقام منه ، وقد كان يكون هذا العفو والصفح مما يخزي على من عفا وصفح عنهم ، كما كان يخزى الانتقام لو انه انتقم منهم، ولعله لولا هذا الخلق لكان نجاحه أسرع وأتم ، وإصلاحه أشمل وأعم ،

وكان من الكمال في الوفاء لأصدقائه ، والغيرة على أحبائه بحيث يهتم بشأنهم في السر والجهر والبعد والقرب والغيب والشهود بمثل ما يهتم آباؤهم وأبناؤهم او أشد وكثيرا ما تراه يسعى في دفع الشر عنهم وفي سوق الخير اليهم بأشد مما كانوا يسعون لأنفسهم . وما من صديق ولا محب له وإلا وكان آمنا من انحرافه عنه ، بل من توانيه في الانتصار له ، تأثرا بقول واش محال، أو رهبته من كيد قوي ذي محال ، أو طمعا في جاه أو مال ، وقد كان في وفائه هذا خير قدوة لمعاشريه والمتصلين به يربي نفوسهم بأخلاقه وسيرته ، كما يربي عقولهم بعلمه وحكمته، فريدوه ومحبوه أشد الناس وفاء لمن يحبون،وأعظمهم إخلاصا لمن يصطفون،

وقد كان على ما علمت من صفحه من الأعداء،وكمال الوفاء للاحباء، والاحسان لأولئك وهؤلاء ، لايخاف في طريقه الى الاصلاح عدوا مبينا ، ولا يعتمد فيه على الصديق وإن كان ناصحا أمينا ، وانما كان مستقلا برأيه مع الاستشارة ،مستقلا بارادته مع الاستعانة، واثقا بأن الله يؤيده ويسخر له الناس لإخلاصه لله وللناس ، يستخدم في سعيه كل من

استطاع استخدامه من موافق ومخالف ووطني وأجنبي ولكنه لا يعتمد في قلبه على أحد من الناس ولا يغتر بأحد منهم . كان في الناس من يظن بأن السبب في شجاعته وقوة عزيمته في عمله وتقوده عند الحكومة وإدلاله عليها هو اعتماده على حزبه الكبير الذي يضم جماهير العقلاء والفضلاء والكتاب والادباء ، وفيهم من يظن أن جرأته ومضاءه وإقدامه من ثقته بتأييد الحكومة له والقوة المحتلة من وراء الحكومة ، أما هو فكان يعتقد أنه لا حول له ولا قوة الا بالله العلي العظيم وما وهبه من العزيمة والاخلاص ، وقد كلمته مرة في هذا فأقسم بالله انه يشعر بأنه في هذا الوجود كالعريان الذي ليس له فيه شيء ، وانه لا يعتمد على شيء الا على الله وهو المسخر لمن يشاء

وكان رضي الله عنه معتصما بحبل الصدق ، متحريا مايعتقد انه حق ، واذا تذكرت ان علة العلل لفشو الكذب في الناس هي شدة ظلم الحكام ، واستبداد ذوي السلطان ، وأن أكذب الناس أكثرهم قربا من الظالمين ، ومعاملة للحكام المستبدين ، علمت أن ملكة صدق اللسان لا تربى الا في حجر شجاعة القلب وجرأة الجنان ، ولولا شجاعته لما نادى بمقاومة الاستبداد والاستبداد ـ كما قال ـ في عنفوانه ، والظلم قابض على صولجانه ، ولما حافظ على رأيه واعتقاده وان خالف العلماء والحكام ، وخالف الجماهير المعبر رأيهم بالرأي العام ،

هذان الخلقان ـ الصدق والشجاعة ـ هما شرطان للقدرة على الاصلاح فالكذوب والجبان عدوان لله لا يصلحان لشيء من الخير ولا يصلح بهما شيء ، وان التزام الصدق في أمة فشا فيها الكذب ، واعتادت على الدهان والملق ، من أشق الامور على النفوس ، وأبعدها عن طاقة التهذيب ، لما له من

الاولى إحفاظ القلوب، والتأثير فى إثارة البغضاء، وتكثير سواد الأعداء، وتنفير المحبين والاصدقاء، فكيف يتكلفه المتكلف مع هذه المنفرات عنه، والمرغبات فى ضده، ثم كيف يكون ملكة نفسية، لاتكلف فيه ولا روية، لاتحسبن الامر سهلا فان الظهور بمخالفة اهواء العامة مما يجبن امامه الملوك القاهرون، وينكمش دونه العلماء العاملون، ولهذا يدهن الرؤساء المرؤسين، ويدهن المرؤسون للامراء والسلاطين، فالصدق فيما لا يرضى العامة، أشد من الصدق فيما لا يرضي الخاصة، فما بالك بالصادق فيما قد يغضب الفريقين، والصابر على الطعن من الجانبين، أليس هو في مرتبة الصديقين، التي تلي مرتبة النبيين والمرسلين، ؟

رأيت الاستاذ الامام فى النوم بعد موته بأيام فقال لي ان الله تعالى أعطاني مقام الصدق أو قال انى في مقام الصدق فتذكرت كلام الشيخ محي الدين بن عربي فى مقام الصدق وحال الصدق ومنه ان صاحب حال الصدق يكون كثير الظهور بالولاية والكرامة كثير الدعوى بحق وصاحب مقام الصدق أعلى وأكمل ويكون فى الولاية مجهولا لا يعرف، ونكرة لا تتعرف، وتذكرت جهل الناس بمقام الاستاذ الامام، فى الولاية والعرفان، احتجابا بظهوره الدنيوي ومعارفه الكونية، عن مرتبته الروحية ومعارفه اللدنية، واستيقظت وعلى لساني قوله تعالى « ان المتقين فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر »

ان ما ذكرناه من الشجاعة فى التزام الصدق، والمجاهرة بنصرة الحق، هو ما يعبر عنه كتاب العصر بالشجاعة الأدبية وانت لاتجهل ان من لايهاب فى الحق وثبات الحكام، ولا يخاف طعن الخواص والعوام، فهو

جدير بأن لا يخيفه الحسام ، ولا ترهبه السهام ، كاشفني رحمه الله مرة بكتاب جاءه بغير توقيع يهدده مرسله فيه بالقتل اذا هو ظل مسترسلا في عمل نسب اليه ورأيته غير مبال به ولا مكترث فقلت له ان الاشرار أعداء لا يخافون الله وانك تجيء دارك في الليل وهي في الخلاء بعيدة عن العمران فلو نظرت في ذلك : فقال أو تخاف علي من مثل هـذا الكاتب المهدد؟ انني لم أهنيء نفسي الى الآن بأنه وجد في وطني من تجرأ علي بكلمة «أخطأت» . وسألته مرة ماذا تصنع اذا هجم عليك لص في الليل أتطلق عليه الرصاص من هذا المسدس - وأشرت الى مسدس معلق بسرير نومه - فقال لا يجوز اطلاق الرصاص في البيت فانه يزعج النساء والعيال وليس عندي للص الا القبض عليه والاخذ بطوق رقبته: وكذلك يفعل

ومن خلائقه الانصاف في الرأي والعلم ، كالانصاف في الحكم ، والبعد عن المكابرة ، في المذاكرة والمناظرة ، فلم يكن يزدهيه الغرور والاعجاب ، بسعة العلم وكثرة الصواب ، ولا كان يصده الارتقاء عن مرتبة المقلدين ، عن الرجوع الى رأي أحد التلاميذ والمريدين ، بل كان رجاعا للحق اذا ظهر له ، يحترم فهم غيره ورأيه ، وهذا الخلق عزيز في العلماء ، لاسيما ذوي الشهرة والجاه ، ومن طلب آية على هذا فليرجع الى ما كتبه الامام الغزالي منهم في بيان آفات المناظرة من كتاب العلم في الاحياء . فاذا علم بما كان يجري والعلم حي والامة عزيزة - ومن لوازم ذلك الانصاف - فما ظنه بهذا الخلق في خلف لم يبق لهم من عزة سلفهم الا الفخر بها ، ولا من علمهم الا الحكاية عمن قلدهم فيه ،

من آيات انصاف استاذنا ورجوعه الى الحق ماهو معروف في المنار .

لم ينس القراء مانشرناه له في تفسير «وأما السائل فلا تنهر» اذ اختار قول بعض المفسرين ان المراد بالسائل من يسأل من العلم ويطلب التفقه في الدين وذكر فيما كتبه في تفسير جزء عم ان لفظ السائل لم يرد في كتاب الله عنوانا للفقير والمسكين فظن بعض من قرأ ذلك ان قوله يفيد ان لفظ السائل لم يرد في القرآن بمعنى طالب المال . فذكره رجل من صعيد البلاد بقوله تعالى « والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » فحسب انه أخطأ فيما كتب فأرسل اليّ ورقة صغيرة يصرح فيها بتخطئة نفسه وكلفني طبع عشرة آلاف نسخة منها بعدد ماطبع من كتاب تفسير «جزء عم» لتلصق بنسخ التفسير وأمر الجمعية الخيرية بأن تمسك عن بيع الكتاب حتى تطبع الاوراق وتلصق فرجعت الى الجزء فرأيت عبارته صحيحة الا انها مبهمة ليست كالمعهود في بيانه فراجعته في ذلك ولم أطبع الورقة فعاد الى التأمل في العبارة ورجع الى مسودات تفسير الجزء فتذكر انه ما كتب تلك العبارة في السائل الا وهو ذاكر لما توهموا انه ينافيها من قوله تعالى « وفي أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » وقوله تعالى « والسائلين وفي الرقاب » ثم كتب ما كتب في إيضاح العبارة واعترف بما فيها من الابهام واستغفر الله من العود الى مثله وقد نشرنا ذلك في ص ٨١٥ من المجلد السابع من المنار فليرجع اليه من شاء

وكان هذا الاواب الرجاع الى الحق جبلا راسخا في الثبات والاستقامة لا يرجع عما شرع فيه فكيف يطمع في رجوعه عما طبع عليه لانه كان لا يقدم على العمل إلا بعد الرّوية والتدبر والبصيرة والتثبت وقد كان السيد جمال الدين يقول فيه هو كالقلك لا يتغير قال هذا بعد ما غاب غيبته في بلاد

المشرق ثم عاد إلى أوربا ورأى فيها جماعة ممن كان يعرف قد تغيروا عما كان يعهد الا الشيخ محمد عبده فانه لقيه كما تركه

ولا حاجة الى الكلام في جوده وسخائه فانه سار فيه على اكتنامه الصدقة واخفائه البذل أشهر من علم وعرف الناس كثيرا من البائسين والمعوزة الذين كان يعولهم ويوصيهم بالكتمان . ولم يكن في أيام السراء أبسط يدا منه في أيام الضراء ، لقيه صاحب في بيروت فقال له ان والدي قد توفي وليس لدي ما أنفقه في تشييعه فأعطاه كل ماكان يملكه من النقد وهو راتبه الشهري من المعونة السلطانية كان قد قبضه ولم ينفق منه شيئا ولكن الله أخلف عليه بما لم يكن يحتسب فقد كان له دين عند رجل في مصر يلويه ويمطله به أيام كان يتقاضاه ، وهو يراه فيستحي منه ويخشاه ، فما مر يوم على بذل جميع مافي يده وايثار صديقه على عياله حتى آذنه مصرف (بنك) بيروت بأن حوالة برقية جاءت باسمه من مصر واذا هي دينه على ذلك الرجل « ومن يتوكل على الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب » وكان اذا وفر شيئا من النفقة صرفه في سبل البر . كان يدخن باللفائف المعروفة بالزنوبة وبالنارجيلة (الشيشة) ثم ترك التدخين بالمرة وجعل ماكان ينفقه فيه صدقة ولولا بعض أصدقائه لما امتلك من طين هذه الارض شيئا ولا حاجة الى بيان ذلك هنا

لعلي لا احتاج إلى التنويه بغيرته على ملته وأمته فان بذل حياته كلها في السعي بتربية الأمة على آداب الملة لم يكن الا أثرا من آثار هذه الغيرة فالدليل وجودي عملي عرفه القريب والبعيد واعترف به العدو والصديق ولكنى أذكر في هذا الباب شيئا لا يعرف نظيره الا بعض أصفيائه الذين

لم يغب عنهم شيء من أحواله

جئته مرة في رمضان (سنة ١٣١٥) بعد الظهر على موعد فقيل انه نائم ولم يكن ينام في مثل هذا الوقت بل كان ينام طائفة من الليل ثم يقوم في السحر ويلبث بعد السحور الى أن يصلي الصبح ثم ينام حتى ترتفع الشمس فمكثت ريثما استيقظ فسألته ما أنامه قال ما معناه أرقني الليلة الفكر في حال المسلمين وما نزل بهم من البلاء بعدهم عن دينهم واتباع أهوائهم وشهواتهم وقوي سلطان الفكر فهاج المجموع العصبي ونبه تنبيها شديداً حتى حدثتني نفسي بأن أنزل الى حيث يكثر اجتماع الناس كالموسكي والازبكية فأقف في الطريق وأنادي أيها الناس ماذا رأيتم في دينكم من القبيح حتى تركتموه ، وماذا رأيتم فيما اخترتم بديلا منه حتى تقلدتموه ، ثم أعظهم في حقيقة ما هم فيه ، وأنذرهم عاقبة ما هم عليه ، وأبين لهم طريق النجاة منه ، وقد عالجت النوم فلم أملك منه شيئا فلجأت الى الكتابة وما كنت لأكتب في الليل فجرى القلم بفصل جملته آخر فصول رسالة التوحيد فثابت الي بعد ذلك نفسي وران النوم على عيني ولكن الليل قد آذن بالرحيل فلم أنل منه نيلا فكانت هذه النومة في النهار عوضا مما فاتني في الليل

أقول قد عرف من سبق له قراءة رسالة التوحيد ان الفصل الذي كتبه في تلك الحالة هو الفصل الذي عنوانه (انتشار الاسلام بسرعة لم يعهد لها نظير في التاريخ .) ولعمري ان ذلك الفصل لقول فصل ، وما هو بالهزل ، أملاه على كاتبه الالهام ، حتى كاد يكون معجزة من معجزات الاسلام ، وقد قال في أوائله

« ابتدأ هذا الدين بالدعوة كغيره من الاديان ولقي من أعداء أنفسهم أشد ما يلقى حق من باطل ، اوذي الداعي صلى الله عليه وسلم بضروب الايذاء وأقيم في وجهه ما كان يصعب تذليله من المصاعب لولا عناية الله ، وعذب المستجيبون له وحرموا الرزق ، وطردوا من الدار ، وسفكت منهم دماء غزيرة ، غير ان تلك الدماء كانت عيون العزائم تتفجر من صخور الصبر يثبت الله بمنظرها المستيقنين ، ويقذف بها الرعب في أنفس المرتابين ، فكانت تسيل لمنظرها نفوس أهل الريب وهي ذوب ما افسده من طباعهم فتجري من مناحرهم مجرى الدم الفاسد من المفصود على أيدي الاطباء الحاذقين « ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون » تألبت الملل المختلفة ممن كان يسكن جزيرة العرب وما جاورها على الاسلام ليصدوا نبته ، ويخنقوا دعوته ، فما زال يدافع عن نفسه دفاع الضعيف للاقوياء ، والفقير للاغنياء ، ولا ناصر له الا انه الحق بين الاباطيل ، والرشد في ظلمات الاضاليل ، حتى ظفر بالعزة ، وتمزز بالمنعة ، وقد وطيء أرض الجزيرة أقوام من أديان أخر كانت تدعو اليها وكانت لهم ملوك وعزة وسلطان وحملوا الناس على عقائدهم بأنواع المكاره ، ومع ذلك لم يبلغ بهم السعي فلاحا ، ولا انالهم القصد نجاحا » الخ

وجئته مرة في داره بعين شمس (سنة ١٣٢١) وكان قد وعدني غداة يومه فرأيته ينظر في ثلاثة كتب عربية يقرأ المسألة في كل منها فسألته ما بك وما هذا الذي تنظر فيه فقال هو التهيج العصبي الذي يلم بي أحيانا من الفكر في الامور العامة وهذه كتب في أصول الفقه ألهو بمباحثها عن

القرآن فاني اذا فكرت فيه رأيت بعد المسلمين عنه فيقوى التهيج العصبي

وأما عاداته فقد كان يخالف فيها علماء هذه الديار يخالفهم فيما يكره شرعا أو عقلا كتطويل الأردان وتوسيعها وجر الاذيال فكان زيه أقرب إلى زي علماء سوريا منه إلى زي علماء مصر . وكان يكره أن تقبل يده بل يصافح الناس مصافحة وقد منع الأزهريين عن تقبيلها بعد الدرس كافتهم ، وكان يكره ان ينشد أمامه شعر أو يقرأ شيء في مدحه يكره ذلك رأيا وشعورا فيتألم لسماعه وينفر منه . ولما كتب ما كتب في الرد على مقالات هانوتو في الاسلام ونشر ذلك في المؤيد معزوا الى أحد أئمة الاسلام لم يخف على الناس أنه هو الكاتب لاعتقادهم انه لا يوجد في مصر من يقدر على مثل ذلك غيره وقد ذكر هذا أمامه فظهر التغير على وجهه وقال إنه لا يؤلمه شيء مثل هذا لانه إقرار بأن أمته بلغت من الجهل ان انفرد فيها واحد بالقدرة على أداء بعض الواجبات التي كان من الضروري أن يضطلع بها كثير من أفرادها في كل بلد وأي ألم أشد من ألم من يحب ارتقاء امته ورفعة شأنها وهو يراها بهذه الحال من العجز (قال) ومن البلاء ان يعجز الانسان في هذه البلاد عن التفكر في بعض الخدم التي تقضي المصلحة بتفكر من يخدم الأمة بها . وقد ذكرني قوله هذا قولا آخر له قريبا منه وهو انني أحب لو يكون في قومي كثير من الناس الذين يفضلونني في كل علم لأن ذلك يعينني على تكميل نفسي بالرجوع إليهم فيما أجهل والاستعانة بهم على ما أعجز ومن أكبر المصائب على محب العلم ان لا يجد من يستمد منه فيقف علمه عند حد بحثه لا سبيل إلى ضم بحث غيره إليه .

(البقية)

المصاب العظيم * بوالدنا البر الرحيم

﴿ انا لله وانا اليه راجعون ﴾

في يوم الاحد رابع رجب الحرام فجعنا بوفاة والدنا ومربينا ومربي اليتامى وكافل الارامل الشيخ الجليل ، السيد النبيل ، علي رضا الحسيني الحنفي أحد سادات الديار الشامية المشهورين ، وأحفاد الأئمة المحسنين ، وله من السن ستون سنة أو ثلاث وستون سنة في الاكثر (وليس عندي هنا قيد لسنة ولادته) فصبرنا واحتسبنا رجاء صلوات ربنا ورحمته وهدايته ومثوبته فلم نقل ولم نفعل مالا يرضي ربنا جل جلاله فله ما أعطى وله ما أخذ واليه المصير

ولد تغمده الله تعالى برحمته ورضوانه في قرية القلمون بسفح لبنان من الجهة الشمالية بجوار طرابلس الشام وفيها تعلم مبادي القراءة والكتابة ثم اشتغل بطلب العلم في طرابلس على المرحوم الشيخ محمود نشابه أشهر علماء الديار السورية وشيخ الشيوخ في طرابلس عدة سنين وأدى امتحان العسكرية فيها غير مرة ثم انقطع عن الطلب قبل أن يتم حضور الكتب ويصل الى مقام التدريس لشدة حاجة والده اليه في ادارة أملاكه والنظر في أعماله مع الحكومة والناس اذ لم يكن يومئذ لوالده رشيد سواه ولكنه لم ينقطع عن المطالعة في كتب الدين والادب والتاريخ بل كان يراوح بين هذه الكتب ما سمح له الوقت وكان قوي الذاكرة طلق اللسان جريء الجنان يذكر ما يحفظ من الاشعار وأخبار الاوائل ووقائع الاواخر كلما عرض ما يذكر بشيء منها ولكنه كان يعيد الشيء المحفوظ كما قرأه أول مرة فان اتفق ان كان محرفاً أو ملحوناً أعاده كذلك عند الاستشهاد به غالباً وان عرف بعد حفظه بما فيه من خطأ أو تحريف كأن ما ينطبع في ذهنه لا يقبل المحو وكأن ما يعرض بعد ذلك من التصحيح ينطبع في مركز آخر من مراكز الدماغ فلا يلقيه الى اللسان إلا اذا أورد المحفوظ لاجل بيان صحته ، ومن قوة ذاكرته انه كان يحفظ كل ما مر به في سفره وحضره وكل ماله عند الناس أو لهم عنده من الحقوق المالية وان طال عليها الزمان

وكان مهيباً وقوراً حتى في طور الشباب يجله كل من جالسه وان كان أكبر منه

سنا أو فضلا ومجاها كشايخه وكبار الحكام. وأعرف ما عرف به وغلب على سائر أخلاقه الجود والسخاء فقد كان مضيافاً متلافاً مبذول القرى لكل طارق من غني وفقير وقريب وغريب ومسلم وغير مسلم لكل من نزل به يلقى ما يليق به من الاكرام والحفاوة وكان في أول العهد يتكلف لاهل الوجاهة والثروة اذا استضافوه زيادة هما جرت به العادة في المنزل ويقدم لغيرهم ما راج حتى كنا نشكر عليه ثم رجع عن هذا الى قاعدة الصوفية «لا نبخل بموجود ، ولا نتكلف لمفقود .» حتى ربما أنكرنا ذلك أحياناً ، ولا حاجة لاستثناء ما لاهل الخصوصية الذين يدعوهم اليه من الاختصاص وانما الكلام في العادة اليومية مع الضيوف وقد بلغت عنايته بأبناء السبيل أنه كان يحمل الطعام اليهم بنفسه أحياناً . وقد جاع الناس في سنة من السنوات فكان يرسل الدقيق والارز الى بيوت القانعين الذين يفضلون الموت على السؤال في حنادس الظلام والناس نيام وله في اخفاء الصدقة حذق غريب

أنعم السلاطين العظام على جدنا الثالث بسبع قراريط من مال عشر القلمون وما يتبعها من المزارع لينفق منها على مسجده الذي جدده في القرية وعلى نفسه فلما وصل هذا الى والدنا رحمه الله تعالى كان في الغالب يأخذ من الحكومة حصتها بما يسمونه الالتزام ثم يسمح لاكثر الاهالي بعشر كثير مما يزرعون من البقول وغيرها وما يجنون من الثمار لا يبقى الا عشر حب الحصيد والزيتون وكان كثيراً ما يفوض اليهم أمر ما يجب عليهم من غير أن يخرص ويقدر يجيئه الرجل بشيء من الزيتون مثلا ويقول هذا عشر ما جنيت فيرضى ويعطيه الآخر شيئاً من النقد يزعم انه عشر ما استفاده من أرضه فيقبل . وكنا نقول له يجب أن تضبط جميع مالك عند الناس ثم تأخذ ما شئت وتسمح بما شئت فلا يعجبه . وكان كريماً بجاهه أيضا اذا قصده بحاجة أو قدر على دفع مكروه او جلب منفعة للناس فانه يبذل جهده

وكان حسن المجاملة عظيم التساهل في معاشرة المخالفين في الدين مع الغيرة الشديدة على الاسلام والمناضلة عنه بما يحج الناظر ولا يؤذيه وانى منذ دخلت في سن التمييز أرى في دارنا وجهاء النصارى من طرابلس ولبنان بل وأرى فيها القسوس والرهبان لاسيما في أيام الاعياد وأرى الوالد رحمه الله تعالى يجاملهم كما يجامل من يزوره من

الحكام ووجهاء المسلمين ويذكر ما يعرف من محاسنهم في غيبتهم بكل إنصاف وقد كان هذا من أسباب دعوتي الى التساهل والوفاق وتعاون جميع أهالي البلاد على ما يرقي البلاد مع القسط والبر المشروعين فان الانسان اذا تربى على شيء ورأى ثمرته في نفسه وفيمن يباشر كان أعرف بفائدته لاتفاق فكره ووجدانه فيه

وكان شديد الغيرة على الدولة العلية وقد عرف كثيرين من وزرائها وعظمائها كالمرحومين شرواني باشا ومدحي باشا اللذين وليا الصدارة وولاية سورية وكامل باشا والي أزمير اليوم والصدر الاعظم من قبل وجميع متصرفي لبنان السابقين وغيرهم فكان لاجلاله هؤلاء واعتقاده بحسن سياسة أكثرهم كبير الامل في الدولة ولا أعلم انه صدر منه قول ولا فعل ينافي الاخلاص للدولة والسلطان المعظم وكان يعز على الجواسيس المفسدين أن يأخذوا من أقواله ما يشون به عليه الا أن يكون حسن ذكره لمصر وثنائه على اميرها الماضي وأميرها الحاضر وقد زارها في أيامهما على أني عرضت عليه عندما زار مصر في سنة ١٣١٧ أن أستأذن له في زيارة الامير فلم يرض ومع هذا كان يملأ الاندية ثناء على سموه وعلى الاستاذ الامام وكذا على صاحب المؤيد الذي عرفه هناه

وأما اتهامه بالسياسة في هذا العام، وجعله تحت المراقبة الى أن وافاه الحمام، فسببه وشاية من مصر فيه الى السلطان بأنه من أعوان مريدي إقامة الخلافة العربية (الموهومة) على انه منذ سنين لم يفارق القرية فهل تقلب الدول وتؤسس الممالك من شيخ مريض في قرية لا زعماء فيها ولا ثروة ولا سياسة ولا حكومة ولا مدارس ؟ ؟

وأن تعجب فعجب عجاب ان تهتم الدولة بأمر الشيخين ــ الشيخ محمد عبده والسيد علي رضا ــ وتأخذ الحذر منهما بعد أن نزل بهما مرض الموت وأعجب من هذا أن يبقى هذا الحذر على أشده بعد موتهما فان كانا قضيا عمرهما ولم يحفظ عنهما قول ولم يعرف لهما فعل يؤذي الدولة فهل يخشى من رفاتهما في القبر أن يقلب دولة ويؤسس دولة؟ يالالخجل، من تلاعب سفهاء الجواسيس بالدول، الحق أقول اني كنت شديد الميل الى البحث في خلل الدولة وبيان طرق إصلاحها وما منعني من الاسترسال في ذلك الا الشيخان اعلم ان والدي يستاء إن كتبت ما لا يرضي الدولة وأستاذي كان ينهاني عن الكتابة في السياسة مطلقاً

وكان الوالد تغمده الله برحمته متصفاً بكمال الصبر في المصائب ابتلي بمرض الصدر

المعروف بالربو وهو في شبابه فكانت النوبة تشتد عليه أحياناً حتى يمنعه الزفير من النوم والكلام المتصل فلا تراه الا حامداً شاكراً وكان فخوراً بنسبه الى البيت النبوي خلافا لما عليه أسرتنا من البعد عن الفخر ، وكان سنيا شافعي المذهب ويميل الى الشيعة الا انه يعظم الشيخين والسيدة عائشة ويقول في معاوية « لا أسبه ولا أحبه » ويتحرى على غير الصحابة وعمر بن عبد العزيز من بني أمية إنحاء شديداً ، وقد كان يقرأ في كتاب أمام استاذه الشيخ محمود نشابه فجاء ذكر معاوية فقال له الشيخ لم لم تقل « سيدنا معاوية » قال الوالد « سيدكم معاوية » قال الشيخ ألا تعترف بالسيادة لصاحب الرسول صلى الله عليه وسلم وكاتب الوحي ؟ قال اني لم أنكر صحبته ولا كتابته للوحي ولكن أقول انه لا سيادة لاموي على هاشمي : فسكت الشيخ رحمه الله تعالى وكان الشيخ يحترمه حتى كان يخاطب جميع تلامذته ويذكرهم بأسمائهم ولا يذكره الا بلقب السيد

وكان طيب الله ثراه سليم القلب بريئا من الحقد والحسد بعيداً من الايذاء والانتقام الا انه كان يحتقر من عاداه ، بقدر ما يتودد لمن والاه ، فلا يعرف المداهنة والتملق وكان باطنه خيراً من ظاهره لاعدائه وأحبائه فمهما أعرض عن عدوه وازدرى به في الظاهر لا يستحل أن يؤذيه في الباطن واني لاستحي أن أصف ماامتاز به في معاملة الاصدقاء لئلا يشم منها رائحة المنة على أحد منهم مع أنه كان يرى لهم المنة اذا حكموا في ملكه حكمه فيه

وجملة القول ان مزاياه كثيرة وفضائله عظيمة ولا بدع فان البيت الذي نشأ فيه يندر ان يوجد مثله في هذه الامة الآن في سلامة الفطرة وطهارة الاخلاق وحسن الفعال واني والله لم أحكم هذا الحكم الا بعد الاسفار وطول الاختبار ، بل أقول ان قريتنا تمتاز على القرى والمدن التي نعرفها بالخبر والخبر بالعفة والشجاعة والتقوى والاخذ بالسنن والبعد عن البدع وانما كانت كذلك بوجود بيتنا فيها اذ لا يخلو مسجدنا من واحد منا يقرأ علوم الدين والتهذيب للعامة واستمداد أهلها للعلم عظيم وكلهم في الاصل شرفاء النسب مشهورون بالسيادة وقد كتب في سجل الاحصاء العام للدولة المودع في الباب العالي المعبر عنه بالدفتر كنار « القلمون سيدة القرى والمزارع » ثم صار فيها

دخلا، كثيرون أ كثرهم من مسلمي لبنان وأكثر مايقع فيها من المخالفات الضرب وسرقة الثمار وفق الله أهلها وتاب عليهم انه هو التواب الرحيم

ومما كنت أنكره على الوالد عفا الله عنه بعد ما عرفت طرق التربية الحديثة وقرأت علم الاخلاق اختيار الشدة والترهيب في التربية فقد بلغنا مبلغ الرجال ونحن نهاب مؤاكلته ومكالمته والاتكاء أمامه . وكان يعاقبنا على الذنب بالاعراض والهجران حتى نتوسل اليه بأن يرضى . وقد صار في أخريات سنيه يمازح أولاده الصغار ويجمعهم على الطعام ذكراناً واناثاً اذا اتفق خلو البيت من الضيوف وكان يوصينا دائماً بالخوف من الله تعالى دون سواه . عفا الله عنه وأحسن اليه ورحمه رحمة واسعة بمنه وكرمه وأحسن عزاءنا عنه وثوابنا فيه

نعيه الينا وتعزيتنا عنه

توفاه الله عن ستة ذكور أ كبرهم صاحب هذه المجلة (المنار) ومنهم ثلاثة يشتغلون بالعلم في الازهر وواحد في السجن متهم بالسياسة وهو منها بريء وربما جاهل وهذا غير مستعد وواحد في القرية لاغنائه . وقد كتب الينا أحد علماء سوريا الاعلام في التعزية مانصه :

«إنا لله ، ولاحول ولاقوة الا بالله ، مصاب بعد مصاب ، وخطوب تذهل الالباب ، لقد جلت الرزية ، وفدحت المصيبة ، وتضاعف الاسف ، وتجددت الاحزان ، بوفاة السيد السند الكريم ، الوالد البر الرحيم الذي فجع به الفضل والكرم ، ورزىء به المجد والشرف ، وإنما غار الله له ، فاختار له ماعنده ، فنقله من دار المحن والشجون ، الى دار الكرامة والمنن ، وأنقذه ممن أرادوا به كيداً ، وأمهلهم رويداً ، ولسوف يأخذهم عذاب يوم شديد ، ان ربك فعال لما يريد ، وان من أعجب مثلك أيها السيد الكريم فهو حي باق أمد الدهر ، لايموت له ذكر ولاينقطع له أجر ، بل طوبى له وقرة عين ، لاسيما بجوار سيد الكونين ، تغمده الله برضوانه وعظيم رحمته ، وأسكنه بحبوحة جنته ، وأحسن عزاءكم عنه جميعاً ، وأنزل عليكم السكينة والرحمة ، وأسبغ عليكم النعمة والمنة ، وضاعف لكم الاجر ، وأفرغ عليكم جميل الصبر ، إنا الى الله راغبون ، ولمثل هذا المصير صائرون ، أسأله تعالى أن يعوضك وأشقاءك عنه خيراً ويعوضنا بطول حياتكم الخ

وكتب آخر من أهل العلم والادب هناك معزيا عن الاستاذ الامام والسيد الوالد

«أعزي السيد أطال الله حياته عن رزأيه بأبويه، ومصيبته في والديه، وما أجلهما من رزئين عظيمين، وخطبين جسيمين، فأما رزء فقد أصيب به الاسلام كله، وبكى له العالم بأسره، وانطمس لاجله نور العرفان، وغيضت ينابيع الفضل، وهيضت أجنحة النهضة، وانقطع به ما اتصل من الآمال، واختل ما انتظم من الاعمال، وأما رزء فقد ذبل له روض الكرم، وهوى نجم الشرف، وسقط عمود المجد القديم، والحسب الصميم، فأحسن الله عزاء السيد عنهما، بما يرثه منهما، من المجد الذي لا يضاهي، والعلم الذي لا يتناهي، ان شاء الله تعالى، الخ

وكتب غيرهما من أهل الفضل والوجاهة في تلك البلاد والكلام كله في سياق واحد فنشكر لكل واحد فضله، ونكتم خوف الظلم اسمه وبلده، أما الجرائد السورية فلم تكتب شيئاً عن وفاة الشيخين لانها لاحرية لها فهي تخاف ان تكتب ثم ان هي سلمت من الضر فلا يؤذن لها في النشر

ولما بلغ نعيه هذه البلاد كتبت الجرائد اليومية الشهيرة ما كتبت، وألقى الينا البرق والبريد من رسائل المحبين في التعزية ما ألقى، قالت جريدة الاهرام في العدد ٨٣٥٢

ورد من طرابلس الشام نعي الشيخ الجليل السيد علي رضا والد حضرة العلامة الفضال السيد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الاسلامية

توفي الى رحمة ربه في يوم الاحد الماضي وهو في نحو الستين من عمره تاركاً في دنياه أحسن ذكر مقدماً للآخرة أعمالا طيبات فعز المصاب به على آله وعارفي فضله ونبله اذ كان الرجل وجيهاً في قومه رحب الصدر طيب الخلق مضيافاً كريماً مازار القلمون زائر الا وكان في منزل الفقيد كانه في منزله ولا يذكر هذا البيت الكريم من قديم الزمان حتى اليوم الا كل ماثرة طيبة وفضل ونبل

وقد شيعت جنازته في بلدة القلمون بمشهد كبير يليق بمقام هذه الاسرة الحسينية الشريفة فنحن نعزي حضرات أنجاله الكرام وآله الافاضل على فقده سائلين له الرحمة والرضوان ولهم العزاء والصبر الجميل

وقالت جريدة الظاهر في العدد ٨٤٥

بلغنا بمزيد الاسف انتقال فضيلة الحسيب النسيب والعالم الفاضل السيد علي رضا الحسيني من أعيان طرابلس الشام وأشرافها الى رحمة الله تعالى ورضوانه نهار الاحد ٤ رجب عن عمر ناهز الستين قضاه في البر والافادة وعمل الخير أثر مرض حارت فيه الاطباء في بلدته القلمون فكان لنعيه رنة أسف عظيمة في البلاد السورية لماله من سمو المكانة وعلو القدر وشرف الاصل وعميم الاحسان تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته

وقالت جريدة المقطم في العدد ٥٠٠٢

ورد على حضرة العالم الفاضل الشيخ رشيد رضا صاحب مجلة المنار نعي المرحوم والده الجليل الشيخ علي رضا امام القلمون وشيخ جامعها توفاه الله يوم الاحد الماضي (٤ رجب) في القلمون عن ستين عاماً قضاها في عمل الخير والصالحات وهو من بيت مجد موصوف بالكرم وحسن الضيافة ومعروف في لبنان وولاية بيروت . وقد خلف ستة أولاد وكلهم من النجباء وأكبرهم حضرة الشيخ رشيد المشار اليه آنفاً

وقد لقي الفقيد رحمه الله من اضطهاد الحكومة الحميدية وظلم عمالها وقسوتهم ما أضناه وعجل عليه بالوفاة فقد كان محتضراً والعساكر العثمانية ملازمة باب داره ليلا ونهاراً خوفاً من أن ينهض عن فراش الموت ويخلع السلطان أو يثل عرش آل عثمان في حكم عقلاء هذا الزمان وابنه المدبر أمور بيته في غياب أخوته مطروح في سجن طرابلس الشام حيث يتقلب على جمر العذاب ريثما تمتثل المحكمة أمر الظالمين وتحكم عليه بالعقاب • وكل هذا الجور والظلم بناء على وشايات قوم يبغضون صاحب المنار ويحقدون على فقيد الوطن المرحوم الشيخ محمد عبده • فاجتمع الشيخان الجليلان الآن امام عرش العادل الديان يدعوان الى قاهر العتاة ومؤدب الطغاة أن يجبر الضعفاء المظلومين ويكشف شر الطغاة الظالمين

وقالت جريدة الاخلاص في العدد ١١٠٠

﴿ انا لله وانا اليه راجعون ﴾

نعي الى حضرة صديقنا المحبوب العالم الكامل المهذب الشيخ رشيد رضا أفندي

صاحب مجلة المنار الغراء والدماالجليل سليل بيت المجد الاثيل الشيخ علي رضا امام القلمون وشيخ جامعها في طرابلس الشام فكان لنعيه رنة أسف وحزن لامزيد عليهما لدى كل من عرفه لانه فضلا عن حسبه ونسبه كان رحمه الله من ذوي الغيرة على الفقراء والبائسين مشهوراً بالجود والكرم ومحباً للخير والاعمال الصالحة قضى ستين عاماً من عمره وهو في مقدمة الغيورين على دولته ووطنه ولكن في المدة الاخيرة وشى الواشون بحقه على أثر وفاة المغفور له فقيد الاسلام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية فأهين من رجال حكومة الدولة على مابلغنا فكانت هذه الاهانة سبباً كبيراً لفقد حياته العزيزة

ولقد ساءنا ويسوءنا وأيم الله كلما سمعنا خبراً كهذا عن رجال دولتنا العلية ومعاملتهم هذه المعاملة لرجال اشتهروا بالغيرة والاخلاص نحو سلطانهم ودولتهم كهذا الفقيد الجليل . وهذه هي الفرص التي ينتهزها الاغيار منا فيحفظونها لنا في سجلاتهم الى أن يجيء اليوم الذي يحاسبوننا فيه عليها .

فياأيها الرجال الامناء والخاصون للدولة والجالس على كرسي الخلافة العظمى اتقوا الله وفكروا في ماهو أهم لصوالح الدولة والامة . اخدموا جلالة السلطان باخلاص اللسان والفؤاد وانبذوا الوشايات واتركوا هذه الخطة الذميمة لانها لاتنيلكم المرام وهب انكم نلتموه فسوف تجازون عن عملكم هذا لانه قيل «بالكيل الذي تكيلون به يكال لكم وازود» تقربوا الى جلالة المتبوع بطريقة غير هذه الطريقة حتى ان الله تعالى يبارك لكم في أموالكم وعيالكم وينقذكم وينقذهم من شرور الزمان وغدراته وقد كفى ماحل بنا وبدولتنا العلية والامة والوطن من سوء أعمال بعض رجال الدولة الخائنين الذين يتظاهرون بصدق الخدمة نحو المتبوع الاعظم ولكنهم أولى المنافقين . والآن ياان المجال ليس مجال وعظ وارشاد بل هي فقيدة أثر لموته الكثيرون فوعدنا بنشر شيء من هذا القبيل في أعداد قادمة ان شاء الله

هذا وفي الختام نقدم واجبات التعزية لجناب زميلنا الفاضل المهذب الغيور الشيخ رشيد رضا أفندي وجميع اخوته أنجال الفقيد والله نسأل أن يفرغ في قلوبهم جميل الصبر والسلوان ويتغمد فقيدهم الجليل بواسع الرحمة والرضوان اه





(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق)

﴿ مصر — غرة شعبان سنة ١٣٢٣ — ٣ ستمبر (ايلول) سنة ١٩٠٥ ﴾

الحياة الزوجية

﴿ ٥ ﴾

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (سورة الروم ٣٠ — ٢٠)

﴿ الركن الثاني من أركان هذه الحياة — المودة ﴾

تكلمنا في المقالات الاربع السابقة من هذا البحث عن الركن الأول من أركان الحياة الزوجية وهو سكون كل من الزوجين الى الآخر وبينا أنه يتوقف على حسن اختيار كل منهما للآخر وهذا الركن خاص بالزوجين عليه تبنى سعادتهما وهناء معيشتهما وتحققه شرط لتحقق الركنين الآخرين أو كمالهما وهما المودة والرحمة وبتحقق الأركان الثلاثة تكمل فائدة هذه الحياة الفائدة التي أرشدنا الله تعالى الى طلبها منه بقوله في صفات المؤمنين « والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً » (الفرقان ٢٥ — ٧٤)

أما الركن الثاني وهو المودة فليس خاصاً بالزوجين لأن المودة تصل بين عشيرتيهما بما تصل به بينهما ولذلك لم يقل « لتسكنوا اليها وتودوها » بل قال « وجعل بينكم مودة » والخطاب للناس لا للازواج خاصة أي أنه جعل من مقتضى الفطرة البشرية التوادّ بينكم بسبب الزوجية بين الزوجين ومن يتصل بهما بلحمة القرابة والنسب كما هو معروف بالاختبار فيمن سلمت فطرتهم من الفساد، وعرفوا قيمة الحياة الاجتماعية فعاشوا عيشة الاجتماع لا عيشة الأفراد، وما زال البشر يعدون المصاهرة من أسباب العصبية بين البيوت والعشائر والقبائل بل نرى الامراء والملوك يحاولون بمصاهرة بعضهم بعضاً التواد والتناصر بين دولهم، أو تخفيف العداء والتنافر بين أممهم، حتى أنهم ينبذون لذلك مذاهبهم الدينية كما فعلت الاميرة الجرمانية التي تزوج بها قيصر روسيا — فهذه سنة من سنن الفطرة عرفها البدو والحضر وجرى عليها أدنى القبائل همجية وأعلى الشعوب مدنية، وتنكبها أناس مذبذبون كاد يخرج بهم فساد الفطرة عن البشرية،

نرى ونسمع في هؤلاء الذين خلقوا على صورة الانسان من التخاصم والتنازع مع أصهارهم واختانهم مالا نرى نظيره ولا نسمع بمثله في أهل الاضغان الموروثة والاحقاد المتسلسلة، يرى أحدهم نعمة الآخر قذى في عينه وحرجاً في صدره، و يعد شرفه اذا ارتفع خافضاً لقدره ، فهو أنكى حاسديه ، وأنكأ جارحيه ، وأول المتربصين للوثبة عليه،

لم يقف تأثير اعتلال الفطرة في نفوس هؤلاء عند تنكيث المفتول ، وتشتيت الملوم وتقطيع الموصول ، بل أوغل في النفس الى مواضع الشعور بالحاجة الى الاعتصام، والاحساس بزايا الانفصام، فتخدرت الاعصاب، وانطمست البصائر والالباب ، وانتكس الطبع، وانعكس الوضع، فصارت أسباب المودة والالتئام، عللا للتباغض والانقسام ، وانقلبت معارج الشرف والرفعة ، مدارج للتسفل والضعة، وأمسى ما يكتسب لاجله يكتسب به، وما يتعزز به يعتز عليه ، ولا يعتد بشيء من هذا خروجاً عن سنن الفطرة ، ولا اعتداء لحدود الشريعة ، وانما يحسب من أمور الحزم، وطرق القيام بالمصالح،

لو أحب الأزواج أنفسهم حباً صادقاً وسكن بعضهم الى بعض ذلك السكون الطبيعي لوادّ كل منهما الآخر ووادّ لأجله أهله وعشيرته بلا تكلف ولا تعمل وأحس بأن قوتهم قوة له وشرفهم مزيد في شرفه وكثرة مالهم زيادة في نعم الله تعالى عليه

لو عرف الأزواج معنى الحياة الزوجية وقيمتها واتفق ان كان كل منهما على غير ما يحب الآخر و يهوى فلم تسكن اليه نفسه ذلك السكون المطلوب لتودّد كل منهما للآخر تودداً لعله يصيب بالتكلف والصنعة بعض ما فاته بالسجية والفطرة فان التودّد مودة متكلفة أو صورة للود الحقيقي فله جميع فوائد المودة الصورية وانما ينقصه روحها وهو ما فيها أريحية النفس وأنسها بالفضيلة ولذتها واغتباطها بها وقد ينتهي التودد بشيء من هذا ومن فاته كمال المنفعة بشيء فليس من الرأي ولا الكياسة أن يفوته كل جزء من أجزائه وكل أثر من آثاره وهو قادر على ادراكه فان بلغ النفور في قلبي الزوجين مبلغاً يعز معه التودد و يتعذر التجمل فالواجب أن يتفرقا بالمعروف والاحسان كما اجتمعا بهذا القصد لانهما تحققا حينئذ انهما لا

يقيما حدود الله تعالى « وإن يتفرقا يغن الله كلاً من سعته »

من المودة أن يحب كل من الزوجين من يحب الآخر من أهله وعشيرته وأصدقائه فيسر لسرورهم ويستاء لاستيائهم ويتمنى لهم الخير والنعمة ويقوم بأداء حقوقهم بما جرى به العرف بين أمثالهم في ذلك والتودد هو عبارة عن هذا الأمر الأخير الذي هو عمل اختياري دون ما قبله لأنه من عمل القلب وهو شعور اضطراري يملك النفوس المستعدة له اذا هي آنست من هو أهله

النفوس المستعدة للود الصحيح والحب الخالص هي النفوس الزكية التي أدى حسن التربية منها الى سلامة الفطرة والنفوس المتأهلة لذلك هي النفوس المستعدة له فالمحبة والمودة من ثمرات المشاكلة في السجايا والصفات النفسية الفاضلة وأما المشاكلة في الصفات الرديئة والسجايا الخسيسة فهي لا تثمر حباً خالصاً ووداً صادقاً ولكنها تثمر تودداً يقصد به كل من المتشاكلين الاستفادة من الآخر والتعاون معه على المقصد الذي وجههما اليه فساد الطبع فاذا أحس بالاستغناء عنه أو ظفر بمن يقوم مقامه فيما توادا لأجله ويكون الربح منه أكثر أو المكافأة له أقل فلا يلبث أن يتبدله به جذلا مسروراً . فأصحاب الأخلاق الفاسدة محرومون من ملكة المودة الصحيحة وهم في توددهم تجار مما كسبون حتى ان فساد الفطرة يبلغ منهم أن يتجروا بعقد الزوجية ويعدوا أزواجهم من سلع التجارة كما قدمنا في مبحث اختيار الأزواج

من التودد ما هو رذيلة وهو تودد الشطار العيارين الذي كشفنا عن حقيقة أمرهم آنفاً ومنه ما هو فضيلة وهو ما يقصد به أداء الحقوق المعروفة للخلطاء والعشراء وتكلف القيام بآثار المودة كراهة الحرمان من خيرها الظاهر والباطن معاً ورجاء أن يصير التودد وداً والتحبب حباً فقد علم بالتجربة ان تكرار العمل بأثر خلق من الأخلاق تكلفاً قد ينتهي بأن يصير ملكة كما ورد في الحديث «والحلم بالتحلم»

وقالت علية بنت المهدي

تحبب فان الحب داعية الحب ... وكم من بعيد الدار مستوجب القرب

وهذا النوع من التودد وهو الذي نأمر به من تزوجا فلم يجدا في أنفسهما سكوناً

يبعث كلا منهما على مودة الآخر ظاهراً و باطناً وهو ضرب من ضروب التربية القويمة

التربية في الكبر بعيدة المنال لا يقصد اليها الا أهل العلم ، ولا يصل منهم الا أولو العزم، لأن الجاهل بعلم النفس وأخلاقها ، والشريعة وآدابها ، يقوده شعوره على غير هدى ، حتى يهوي به في مهاوي الردى ، فان كان زكي الطبع ، سليم القلب ، صبر على تجرع الغصص ، وتحمل المضض ، من معاشرة زوج لا يأنس به ، وقرين لا تسكن نفسه اليه ، حتى يقتله الصبر ، أو يخرج به الى الفساد والنكر ، وان كان شرساً شكساً كانت حياته مع الزوج الآخر في تشاكس وتماسر ، وتنافس وتنافر ، وأما العالم فاذا ابتلي بزوج لا تسكن اليه النفس ولا يخلص له الود ، فكان العدو الذي مامن صداقته بد، فانه يتكلف اظهار صداقته ، واخفاء مقته وكراهته ، ليسلم من سوء المعاشرة ، ويستظهر على آفات المنافرة ، واذا كان واسع العلم بتربية النفوس ، وأثر المعاملة في تقلب القلوب ، صادق الارادة في تربية نفسه ، قوي العزيمة في تأديب وجدانه وحسه ، فانه يطمع في أن يكون التودد وداً ، والتطبع طبعاً ، ويعطى ما يطمع ، وينال ما يريد ، ومصداق هذا واضح في أهل العلم ، ومصداق ماقبله ظاهر في أهل الجهل ،

لك أن تقول انا رأينا من المتعلمين والمتعلمات في هذه البلاد أزواجاً كان يرجى أن يكونوا حجة للعلم على الجهل بالعيشة الراضية ، وقصر كل من الزوجين طرفه على الآخر وقناعته بالاختصاص به لكمال سكون نفسه اليه واخلاصه في مودته ومحبته ، أو التودد اليه ومجاملته، فبدا للناس منهم مالم يكونوا يحتسبون فلم تكد تنتهي أيام أعراسهم وليالي أفراحهم الا وقد نجمت بينهم قرون الفتنة ووقع عليهم طائر الشقاق ، وصاح بهم غراب الافتراق ، و ياليته كان شقاقاً بكتمان ، وتسريحاً باحسان، وانما هداهم العلم الى أن يكيد أحدهم للآخر في المحاكم الشرعية، ومنهم من قذف بهم التخاصم الى المحاكم الاهلية،

ولي أن أجيب بأنك قد نسيت أني أعني بالعلم علم النفس وأخلاقها، وعلم الشريعة وآدابها ، ومن تحدث عنهم لا يعرفون من ذلك شيئاً الا قليلا من الألفاظ المحفوظة ، والكلمات المتداولة ، التي يمليها الخيال ويلوكها اللسان، وليس

لها في النفس منشأ يعرف ، ولا في الاعمال أثر يوصف ، كما هو شأن الأمة في إبان موتها توجد عندها صور من العلوم لا تطلب بها غايتها ، و بقايا من الرسوم لا تجني منها فائدتها ،

سكون الزوج الى الزوج سبب من أسباب سعادة الزوجين وهناء معيشتهما خاص بهما لا يشاركهما فيه أحد من الأقربين والمحبين وأما المودة بينهما فهي من أسباب سعادة عشيرتيهما أيضاً لأنها متعدية فهي مبعث التناصر والتوازر والتعاضد والتساند وبهذا تكون سبباً من أسباب سعادة الأمة المؤلفة من العشائر المؤلفة من الأزواج فهذا التأليف هو الذي يتكون منه مزاج الأمة فما يكون عليه من اعتدال وكمال يكون كمالا في بنية الأمة وقرة عين لمجموعها وما يطرأ عليه من فساد واعتلال يكون مرضاً للأمة يوردها موارد الهلكة

ان الانسان ليشعر بحاجته في كماله الى الامة وبحاجتها اليه في ذلك على قدر قوة معنى الانسانية فيه فأدنى أفراد الانسان حظاً من الانسانية لا يشعر بحاجته الى أحد ولا بحاجة أحد اليه الا من تقوم بهم شؤون حياته الشخصية فهو ينظر الى زوجه في البيت بالعين التي ينظر بها الى شريكه في السوق أو معامله في الحقل وهي عين المبادلة في المنفعة وطلب الربح فاذا قدر على استبدال زوج مكان زوج يكون به حظه من التمتع أوفر ، أو مكافأته له بالنفقة وغيرها أقل ، فهو يقدم على ذلك فرحاً راضياً كما يستبدل عاملا بعامل وشريكا بشريك وأجيرا بأجير اذا رأى ان الجديد أنفع له من القديم . فمثل هذا لا يمتد وجوده الى ماوراء محيط جسمه فلا يتحقق فيه معنى الزوجية الذي هو عبارة عن حقيقة مؤلفة من فردين يعيشان بروح واحدة واذا لم يصل في سعة الوجود الى أن يكون زوجاً فلا شك أنه لا يصل الى أن يكون عضواً من عشيرة يشعر بأن له بها حياة أعلى من حياته الفردية ووجودا أوسع من وجوده الشخصي واذا صغر عن هذا فانه يكون أصغر وأحقر من أن يشعر بمعنى الوجود القومي والحياة الملية التي ترفع صاحبها الى الشعور بأن كل عمل من أعماله يجب أن يكون نافعاً لأمة عظيمة وان مجموع أعمال العاملين في هذه الأمة يلحقه شرفه اذا كان شريفاً وتصيبه خسته اذا كان خسيساً وهذا هو شأن الانسان الكامل فمودة الأهل هي أول مجالي الانسانية الكاملة ولذلك

قال عليه الصلاة والسلام « خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي » رواه الترمذي من حديث عائشة وصححه ورواه أيضاً مصححاً من حديث أبي هريرة بلفظ « خياركم خياركم لنسائهم » وروى أحمد والبخاري وأبو داود والترمذي والنسائي وغيرهم من حديث أبي هريرة مرفوعاً « أكمل المؤمنين ايماناً أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله »

ومن المودة بين الزوجين الممازحة والملاعبة ومن الرجال من يرى ان مفاكهة المرأة ومداعبتها مما يذهب بهابتها اياه واحتشامها له وينسى ان ترك ذلك يذهب بأنسها به وسكونها اليه وحبها اياه وان الحب ليغني عن المهابة والاحتشام ان صح ان الممازحة والملاعبة والمفاكهة والمداعبة لاتتفق معها وما ذلك بصحيح فان أعظم الرجال قدراً من الانبياء والحكماء والملوك المهذبين كانوا يرضون نساءهم في البيوت ولا يتخوّن ذلك من مهابتهم واجلالهم شيئاً كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يمازح نساءه ويداعبهن وقال لجابر رضي الله عنه حين استأذنه في نكاح الثيب «هلا بكراً تلاعبها وتلاعبك» والحديث في الصحيحين وكذلك كان يفعل (ص) حتى رووا انه كان يسابق عائشة في العدو (الجري الشديد) سابقها فسبقته ثم سابقها فسبقها فقال «هذه بتلك» والحديث عند أبي داود والنسائي وابن ماجه وسنده صحيح . ويؤثر عن عمر انه كان يقول « كل امرىء في بيته صبي » وفي الاحياء : وقال عمر رضي الله عنه مع خشونته «ينبغي للرجل أن يكون في أهله مثل الصبي فاذا التمسوا ماعنده وجد رجلا» :والدعابة في البيت حد من تجاوزه ذهبت حشمته ، ومن قصر فيه ثقلت عشرته ، واستثقال المرأة للرجل مدرجة البلاء ، ومدعاة الشقاء ،

ومن المودة بين الزوجين الاعتدال في الغيرة ، بحيث تتحامى فيها الظنة والريبة ، فينبغي للرجل أن يؤذن امرأته بأوقاته خارج البيت أين يصرفها فان ذلك يعلي مكانه من قلبها ، ويمكن الثقة به من نفسها ، ويحول بينها وبين وسوسة الشيطان، فلا تتهمه باتخاذ الأخدان ، ويكون أعون له على إلزامها القرار في البيت وتحري رضاه في الخروج عند الحاجة اليه . وان كثيراً من الرجال ليشاقون النساء

بالمشادة في الخروج حتى يتقوا بهن الريبة فيوقعوهن فيها ومنهم الذين يسلسون لهن أو يلقون حبالهن على غواربهن فيسرحن ويمرحن ويتبرجن تبرج الجاهلية الاولى حتى يكون البيت في نظرهن كالسجن وان ملل المرأة من البيت وكراهتها له كملل التاجر من محل تجارته والقاضي من محكمته والأمير من امارته، وكراهة كل عامل من عمله سبب للضياع ومعول للخراب

ومن المودة بين الزوجين أن لاتخرج المرأة من دارها الا باذن الرجل ورضاه وأن لاتكلفه من النفقة والزينة فوق مايليق بحاله في الثروة وقد مضت التجارب بأن العهد الى النساء بالنفقة يحثهن على الاقتصاد ويغريهن بالتوفير. وارجع فى سائر مايطلب من المرأة لزوجها وولدها في المقالات السابقة فالنهوض بها مع الغبطة والسرور هو أثر المودة المطلوبة

لو لم تكن المودة بين عشيرتي الزوجين مما يقصد بالزواج قصداً مستقلاً لكانت مما يقصد بالتبع لتوثيق الرابطة الزوجية بين الزوجين فان احترام كل منهما لقرابة الآخر مزيد فى احترامه له ولعل الذين يختارون الازواج لمكان البيوت والعشائر أكثر من الذين يختارون لمجرد الاستحسان الذاتي ولا تكاد تجد في العناصر الكريمة من لا يبالي بالمنبت وانما أولئك تحوت الناس وعبيد الشهوات

ان المشاكلة بين الزوجين فى السجايا والعادات كافية مع سكون الزوجية لتحقق المودة بينهما ولكن مكان عشيرتيهما قد يفسد مودة بينهما اذا كانت غير مرضية لهم وقد يشفع لما ينقصهما من سكون النفس ومودة القلب لحلول عاطفة الاحترام القومي محل عاطفة المشاكلة في بعض الطباع فان لم يأت احترام العشيرة بالمودة فهو لا يقصر عن الاتيان بالتودد وحسن المعاشرة

سل قضاة المحاكم الشرعية ووكلاء الدعاوي فيها يخبروك عن أرباب التخاصم من الأزواج ان أكثرهم من الشذاذ الذين ليس لهم عشائر معروفة أو من البيوت التي أفسدها الترف والتربية السوءى حتى كان أهل الزوجين هم الذين يحلون ميثاق الزوجية بينهما ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً بمضارة الرجل بامرأته والمرأة ببعلها باسم المحافظة على الحقوق ورعاية الشرف

وما الشرف الا في الوفاق الوئام، والوداد والالتئام،

يقع مثل هذا مع فساد الفطرة من الذين عزموا عقدة المصاهرة على رغبة وتخير فما بال أولئك الذين يعتون الى هذا العقد بوسائل الرهبة أو الحيلة أو يهجمون على البيوت فيأتونها من ظهورها لا من أبوابها، ويمزقون ستارها ويهتكون حجابها، وينتزعون الخرائد من أكنافها، والفرائد من أصدافها، ويفرقون بين الاولاد والوالدين، ويوقعون العداوة والبغضاء بين الاقربين، ماذا يكون أثرهم في البيوت التي تتكون منها الأمة وفي الأمة التي تتكون من البيوت؟ لا يغيب عن عاقل ان شرهم مستطير، وان ما يفعلونه فتنة في الأرض وفساد كبير. (الكلام بقية)

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا، ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

تزويج الشريفة بغير شريف وفضل أهل البيت

(س ٣٩) مستفيد في (سنغافوره) سيدي هل هذه الفتوى (المذكورة أدناه) صحيحة ويجوز العمل بما فيها أم الاصح خلافها أفيدونا لا زلتم خير خلف لخير سلف عن جوهر الاسلامية وأرجو من حضرتكم الكلام عنها في المنار وهي:

ما قولكم في من يستحل تزويج الشرائف بمن ليسوا بأشراف بل لو كان بعضهم يزعم أنه هاشمي أو مطلبي أو من بقية قريش فهل يصح تزويجهم بالشرائف أو لا

الجواب والله أعلم بالصواب

اعلم أن مراعاة الكفاءة في النكاح واجبة وهي في النسب على أربعة درجات (كذا) الاولى العرب لا يكافئهم غيرهم من العجم الثانية قريش لا يكافئهم غيرهم من بقية العرب الثالثة بنو هاشم وبنو المطلب لا يكافئهم غيرهم من بقية قريش الرابعة أولاد فاطمة الزهراء بنو الحسن والحسين رضي الله عنهم لا يكافئهم غيرهم من بني

هاشم والدليل عليه كما في التحفة والنهاية وغيرهما خبر مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال «ان الله اصطفى من العرب كنانة واصطفى من كنانة قريشاً واصطفى من قريش بني هاشم» والاحاديث الواردة في فضل العرب وفي فضل قريش وفي فضل بني هاشم كثيرة جداً وقال ابن حجر في التحفة والرملي في النهاية أولاد فاطمة لا يكافئهم غيرهم من بقية بني هاشم لأن من خصائصه صلى الله عليه وسلم ان أولاد بناته ينتسبون اليه في الكفاءة وغيرها كالوقف والوصية كما صرحوا به (انتهى) لأنهم أبناؤه كما ثبت في قصة المباهلة في قوله تعالى «ندع أبناءنا وأبناءكم» فانه ورد انه خرج ومعه الحسن والحسين وعلي وفاطمة وروى الحاكم قال صلى الله عليه وسلم لكل بني أم عصبة الا أبناء فاطمة فأنا وليهم وعصبتهم وأخرج الترمذي عن أسامة انه صلى الله عليه وسلم أجلس الحسن والحسين يوماً على فخذيه وقال هذان ابناي وابنا بنتي اللهم اني أحبهما فأحبهما وأخرج الطبراني وغيره انه صلى الله عليه وسلم قال : كل بني أم ينتمون الى عصبة الا ولد فاطمة فأنا وليهم وأنا عصبتهم (انتهى)

فقول الشارع نص ويترتب عليه أحكام البنوة في الاشباح والارواح كالحسن والحسين وأولادهما والتشريف ببعض خصائصه صلى الله عليه وسلم كوجوب الصلاة عليهم ودخولهم في آية التطهير وتحريم الزكوة عليهم وافتراض محبتهم على الامة وغير ذلك ثم اعلم ان الشرف قسمان ذاتي وصفاتي وقد اصطلح العلماء على ان الشرف الذاتي للنبي صلى الله عليه وسلم ومنه بالنسبة لذريته فكما كانت ذات النبوة مختارة الله من الوجود جعلها الله معدناً لكل نعت محمود ولم يزل يسري منها في شعبها مظهرها في المعدن ومع ذلك فقد بالغ الجليل الكبير في كمال التطهير لها كما قال «ويطهركم تطهيراً » لا بعمل عملوه ولا بصالح قدموه بل بسابق عناية من الله لهم فتأثير البضعة النبوية لا يدركه أكابر الاولياء من غيرهم ولو جاهدوا أبد الآباد ولهذا السر قال الله «قل لا أسألكم عليه أجراً الا المودة في القربى» اذا عرفت ذلك واتضح لك ان مقام ذات النبوة وقدرها لا يدرك وعرفت ان الكفاءة عند العرب بل وغيرهم أمر مرعي وقد جاء الشرع في ذلك على موافقة عادتهم وعرفت ان تزويج

الادنى بمن ليس كفوءا لها ملحق عاراً على عصبتها كما صرح به الفقهاء الواصل ذلك العار عند تزويج الشرائف بغير الاشراف الى مقامه صلى الله عليه وسلم تحقق لديك ان الجراءة على ذلك ايذاء للنبي صلى الله عليه وسلم وللذريته وأي ايذاء أعظم من إلحاق العار فقد قال صلى الله عليه وسلم: من آذى أهل بيتي فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله: وقال عليه الصلاة والسلام: لا تؤذوني في أهل بيتي الخ وقال عليه الصلاة والسلام: احفظوني في أهل بيتي: فإيذاؤهم من أكبر الكبائر ومن استحله كفر فلا يجوز تزويج غير السيد بالسيدة ولو رضيت وأسقطت الكفاءة أورضي وليها لان الحق ليس لهما لانه شرف ذاتي ليس من كسبهما حتى يسقطاه بل له صلى الله عليه وسلم ولكافة أبناء الحسنين ولا يتصور رضاهم وقد ثبت أنهم موال على ماسواهم من كافة الخلق بنص حديث «من كنت مولاه فعلي مولاه» وهل يجوز تزويج العبد مولاته لاقائل به بل قد منع خليفة الزمان السلطان عبد الحميد خان أيده الله تبعاً لسلفه تزويج السيدات بغير السادة وأمر الخليفة يجب العمل به في المباحات فضلا عن الموافق للحكم الشرعي . وأما مانسب الى الامام مالك عالم دار الهجرة رضي الله عنه من أن المسلمين أكفاء فلا يبعد انه مقول عليه لانه ثبت عنه انه امتنع من لبس النعال في المدينة وقال أستحي أن أطأ بنعلي أرضاً وطئها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدمه فمن استعظم واستشرف أرضاً وطئها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدمه بيبح و يستحل افتراش ووطء بضعته صلى الله عليه وسلم يجل قدره عن مانسب اليه رضي الله عنه وفي هذا القدر كفاية لمن من الله عليه بالهداية ومن قال بخلاف ما ذكر فإما عدم اطلاع وإما جهل بقدره صلى الله عليه وسلم وقدر أهل بيته بل من تجرأ وارتكب ذلك بعد اطلاعه على ما ذكر فهو ضعيف ايمان بل مسلوبه لمراغمته ومعاندته للشرع يخشى عليه من سوء العاقبة «ومن يضلل الله فلا هادي له» حفظنا الله من ارتكاب الموبقات وعصمنا من الهجوم على الخطيئات وعرفنا قدر نبيه وأهل بيته السادات انه ولي التوفيق غير انه معلوم لذي كل ذي عقل أنه للضرورات تباح المحظورات وارتكاب أخف الضررين لدفع الاشد متعين فلا يلزمك العناد ارتكاب الفساد والعدول

عن سبيل الرشاد. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم: قاله بفمه وكتبه بقلمه أضعف الناس عمر بن سالم العطاس عفى الله عنه آمين وذلك في شهر محرم سنة ١٣٢٣

(ج) سبق لنا أن نشرنا في هذه المسألة سؤالا لأحد القراء في سنغافوره في واقعة حال هنالك ثم جاءنا من سنغافوره رسالة بتوقيع أحد الحضارمة رغب الينا مرسلها أن نرمز له بحرفي ع. ب قال فيها بعد الثناء والإطراء ان ما نشرناه في الواقعة (في ج ٦ م٨) لم يكن السؤال فيه مطابقاً للواقع وان الشريفة التي تزوجت بالسيد الهندي قد زوجها وليها الشرعي برضاه ورضاها مع علمها بأن الزوج مطعون في نسبه على أنه قد شهد ١٢ شاهداً من أهالي بلده وغيره بالسيادة له وان ما ذكره السائل أيضاً عن طعن ذلك الرجل بكتب الشرع غير صحيح وطلب منا هذا الكاتب أن نذكر الحكم في الواقعة على ماقرره هو من تزويج ولي الشريفة لها برضاه ورضاها على أنه لا حاجة الى ذلك فان الجواب الأول ناطق بصحة العقد في هذه الحالة. وقد فهمنا من الرسالة ومن مجموع ما كتب الينا في معناها من تلك الجزيرة ان سبب الاهتمام بهذه المسألة هو أن بعض السادات الحضرميين الذين يوجد منهم طائفة هنالك غالون في التفاخر بأنسابهم، والإدلال باحسابهم، ولذلك ذهبوا في الغلوّ الى ما تراه في فتوى الشيخ عمر بن سالم العطاس التي سألنا عنها أحد القراء في سنغافوره وقد أرسلنا الينا صورتها مطبوعة فعلمنا أنهم طبعوها ووزعوها لاثبات اعتقادهم في أنفسهم

أما الحق في مسألة الكفاءة فهو ما بيناه في الجزء العاشر من المجلد السابع أيام حادثة الشيخ علي يوسف صاحب المؤيد وقد نقل المؤيد ما كتبناه يومئذ فاطلع عليه الأستاذ الامام مفتي الديار المصرية رحمه الله تعالى وكان في مصيف رأس البر فكتب اليّ « اطلعت في المؤيد على ما كتبتَ في الكفاءة والأولياء واستحسنته» وانما اطلع عليه في المؤيد لأنه نشر فيه ما كتبت قبل أن أرسل المنار ولذلك كتب اليّ الامام في ذلك الرقيم « كنت أنتظر أن يصل اليّ المنار هنا ليكون مما ألقي عليه نظري اذا أرجعته عن أمواج البحر الابيض ولم أطلقه الى بساط النيل الاحمر فاني جالس طول يومي بين البحرين» والمقصود ان الأستاذ الامام

قد أجاز ما كتبته في الكفاءة فكأنه أفتى به

أما المنزع الذي رمى عنه الشيخ سالم العطاس فهو غريب وأوغله في الغرابة والغرابة جعل الكفاءة في الشرفاء حقاً للنبي صلى الله عليه وسلم ولجميع أبناء الحسنين بحيث لا يصح تزويج الشريفة بغير شريف ولو رضيت ورضي وليها اذ لا يتصور أن يرضى النبي (ص) وسائر الشرفاء في مشارق الارض ومغاربها واستدلاله على ذلك بكونه ايذاء للنبي بايذاء أهل بيته قال وايذاؤهم من أكبر الكبائر يكفر مستحله ثم استدلاله أيضاً بحديث «من كنت مولاه فعلي مولاه» على كون ذراري عليّ موالٍ على من سواهم من جميع الخلق بالنص وخروجه من ذلك الى ان جميع الناس عبيدلهم وانه لا قائل بجواز تزويج العبد لمولاته نعوذ بالله من هذا الغلو والغرور

يستدل الشيعة بحديث «من كنت مولاه فعلي مولاه» على ان علياً أحق بالخلافة ممن سبقه فيها ولا أعرف عنهم انهم بعدوا في الاستدلال الى جعل جميع الناس عبيداً له ولذريته بل لم يقل مسلم بأن الناس عبيد للنبي صلى الله عليه وسلم بل الاسلام يمنع هذا فمن أين جاء به العطاس يرحمه الله ويصلح باله. وكيف يتفق استنباطه هذا مع ذكره السلطان عبدالحميد بلقب الخلافة واذا كان غير الشريف العلوي الفاطمي لا يجوز أن يكون زوجاً للشريفة لانه عبدها فكيف يكون العبد خليفة على ساداته ومواليه الذين لا يحصى عددهم والخليفة مولى لرعيته يجب عليهم طاعته في كل معروف وأما الزوج فليس مولى لامرأته بهذا المعنى بل يقول جماهير الفقهاء انه لا تجب عليها طاعته الا في المكث في البيت والتمكين من الاستمتاع.

والحق ان لفظ المولى في الحديث معناه الناصر كما قال الجوهري في الصحاح ويطلق في اللغة على الصاحب والقريب والجار والحليف والنزيل والشريك والعبد والمعتق والمعتق فكيف يسمح لنا الدين أن نتخطى هذه المعاني ونقول ان الحديث نص في أن الناس عبيد لذرية علي؟ هل كان أبو بكر وعمر والعباس وغيرهم من الصحابة وسائر المسلمين عبيداً لعلي في حياته وهل ملك أولاده من بعده الناس بالارث أم نص الحديث دال على انهم يملكونهم بالاستقلال في كل زمان؟ ظاهر قوله

المطاس الثاني وكل مسلم يبرأ الى الله من الاول والثاني

كان الشرفاء وما زالوا يزوجون بناتهم من غيرهم وجميع العلماء يستحلون هذا مع التراضي وسائر الناس تبع لهم فيه فهل يقول المطاس ان جميع من استحل ذلك كافر حتى المزوجون والمتزوجات بالرضى والاختيار فيكفر الشرفاء مبالغة في تعظيمهم ؟؟

ليس هذا المنزع الذي رأيت بأغرب من منزعه الآخر في جعل النسبة الى الحسن والحسين في معنى نبوة النبي عليه الصلاة والسلام من حيث ان شرفها ذاتي غير مدرك وأنها من اختيار الله تعالى وانها منبع لكل نعت محمود وأن أكابر الاولياء لو جاهدوا أبد الآباد لا يلحقون لشريف أثراً لأن الله تعالى بالغ في كمال تطهير آل البيت اذ قال «و يطهركم تطهيرا» لا بعمل عملوه ولا بصالح قدموه بل بسابق عناية من الله لهم: ثم قال ولهذا السر قال الله «قل لا أسألكم عليه أجراً الا المودة في القربى»

فانظروا أيها المنصفون كيف يُلعب بكتاب الله ويحرف كلمه عن معناه ، بدعوى الاهتداء بهديه، والعمل بأمره ونهيه، وانما هو اتباع الهوى، شرد بالغالين عن معهد الهدى ، وأحمد الله تعالى أن جعلني شريفًا غير مفتون، وجنبني وقومي مزال الغرور ، فأما قوله تعالى «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا» (سورة الاحزاب ٣٣-٣٣) فقد ورد تعقيبا لآيات في خطاب نساء النبي عليه الصلاة والسلام يأمرهن الله تعالى بها وينهاهن و يعلمهن بأن جزاءهن على الخير والشر مضاعف لأنهن لسن كسائر النساء وهذا ظاهر معقول المعنى فان بيت المرشد الكامل قدوة في الهدى والرشاد ولو ظهر العمل السيء من ذلك البيت الذي جعله الله منبعاً للهدى ومشرقًا للوحي لكان أعظم منفر عن الاهتداء والايمان فقوله تعالى بعد تلك الاحكام «انما يريد الله» الخ تعليل وبيان للحكمة في كون نساء النبي لسن كسائر النساء وكونهن جديرات بمضاعفة العذاب على المعصية والثواب على الطاعة لمكان القدوة كقوله تعالى بعد ذكر أحكام الصيام وما فيها من الرخص «يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر» وانما قال «عنكم» لان النبي صلى الله عليه وسلم في البيت وهو المقصود بالتطهير أولا وبالذات لأن كمال نسائه ينسب الى هدايته صلى الله عليه وسلم

وأما قوله تعالى « قل لا أسألكم عليه أجراً الا المودة فى القربى » فليس معناه انه يطلب من الناس مودة قرابته أجرة لتبليغه أحكام ربه حاش لله ما كان لنبي أن يطلب على التبليغ أجراً كما نطق القرآن ونهض البرهان وانما الاستثناء منفصل ومعناه لا أسألكم أجراً على ما جئتكم به فتتوهموا اني طالب منفعة لنفسي وانما أسألكم ماهو نافع لكم وهو المودة في القرابة أي ان تودوا ذوي القربى منكم فهو اذاً بمعنى ما يؤثر عن الانجيل من الامر بمحبة القريب أو أن تودوني في قرابتي منكم لالأني بعثت لهدايتكم فعاملوني معاملة سائر الاقربين ولا تؤذوني وأما الدين فلكم دينكم ولي دين لست عليه بجبار ، وانما عليّ البلاغ وللناس الخيار وعقب هذا بقوله «ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً » والآية من سورة الشورى وهي مكية من أول القرآن نزولا وأمثال هذا الخطاب في الدعوة والاستمالة الى الحق كثيرة ولا يمكن أن يحمل لفظ القربى فيه على ذرية فاطمة عليها السلام لما تقدم ولانها لم تكن تزوجت ولا ولدت في ذلك العهد

سبق للمنار قول في تفسير هذه الآية وفيه ان الشيعة هم الذين افتحروا لها هذا المعنى غافلين عما وراءه من الطعن في الرسالة واحتجاج الكافرين على المؤمنين بأن الرسول كان يطلب بدعوته الدنيا لذريته كالملوك والامراء . وإن القرآن بجملته وتفصيله وسيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في نفسه وأهله ومعاملته للناس وتوليتهم الاعمال كل ذلك مما ينسف هذه الشبهة نسفاً

أيّ غلوّ العطاس يرحمه الله ويصلح باله ليس بالغريب ؟ أانكاره قول الإمام مالك : ان المسلمين أكفاء : واحتجاجه على ذلك بما كان من أدب هذا الامام مع النبي عليه السلام اذ كان لا يطأ أرض المدينة بالنعال واستنباطه منه عدم اباحة افتراش البضعة النبوية ووطئها ؟ أيظن أن الامام مالكا كان يحرم أن يمشي الناس في المدينة بالنعال ، أوأن تركب فيها الحمير والبغال ؟ أيظن أنه يقيس اتخاذ المرأة زوجاً وقرينة للرجل تشاركه في نعمته وتتحد معه في معيشته على وطء الأرض بالنعل أو بغير النعل ؟ ماهذا الفقه المقلوب ؟

يسهل على من يسلك مسلك هذا المفتي في الاستنباط أن يستخرج من كلامه

مايعده الفقهاء من المكفرات فيكفره كما كفروبن يخالف فتواه أوكاد يكفر بها جميع المسلمين والحق أنه لا يحكم بكفر أحد من أهل القبلة الا بقول أوعمل يدل دلالة قطعية على أنه لا يؤمن بالله وبما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم مما هو متواتر مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة فمن آذى شريفاً من آل البيت لحظ من حظوظ الدنيا يكون عاصياً الله كما لوآذى غيره لأن الايذاء حرام وأما من يؤذي الشرفاء لأنهم ينتمون الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فالاقرب أن يكون ايذاؤه اياهم بهذا القصد ملولا لكفره به لاعلة له اذلا يعقل أن يقصد المؤمن ذلك ولا يظهر هذا الافيمن يؤذي كل من قدر على ايذائه منهم فمتى خصص فرداً أو أفراداً علم انه لا يؤذيهم لأجل النسبة

وجملة القول أن الشريعة الاسلامية شريعة عدل ومساواة لاشريعة تقسيم ومحاباة وأحكامها عامة مدار العبادات فيها على تزكية النفس وتحليتها بالفضائل ومدار المعاملات على درء المفاسد والمضار وجلب المنافع وحفظ المصالح وليس لأحد أن يخص الشرفاء أوغيرهم بأحكام شرعية تؤخذ بالتسليم على انها من التعبد فأبناء الحسنين وغيرهم من الناس سواء في أحكامها وماورد في تخصيص آل النبي (ص) ببعض الاحكام كتحريم الصدقة عليهم معقول المعنى ولايجوز لاحد أن يزيد عليه لأن التخصيص خلاف القياس فلا يقاس عليه وفي الحديث الصحيح أن الآل في باب تحريم الصدقة هم بنو هاشم و بنو المطلب لاذرية فاطمة خاصة، وان الكفاءة في النكاح لا يستدل عليها بالفضائل والخصائص وانما يرجع فيها الى نص الشارع أوالقياس الصحيح . أما نص الشارع فلم يصح منه في مسألتنا شيء قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري: لم يثبت في اعتبار الكفاءة في النسب حديث وأما ماأخرجه البزار من حديث معاذ رفعه «العرب بعضهم أكفاء بعض والموالي بعضهم أكفاء بعض» فإسناده ضعيف : اه وانما الكفاءة الثابتة في السنة خاصة بالدين والحرية والأخلاق واليسار وهذا ماكان عليه أكثر أهل الصدر الأول ومن قال من الفقهاء باعتبارها في النسب فحجته الصحيحة القياس ومداره على دفع العار فاذا لم يكن هنالك عار بالفعل فلا اعتبار بالنسب في الكفاءة

وعلى هذا أكثر البلاد الاسلامية فيما نظن واذا رضيت امرأة شريفة هي وأولياؤها بالتزوج بمن ليس بشريف في بلاد يعد ذلك فيها من العار فلا حرج عليهم لأنهم أعلم بمصلحتهم وأحرص على شرف أنفسهم والامر ليس بتعبدي ولو كان ماذكره العطاس من فضل أهل البيت يجعل استنباطه صحيحاً وداخلا في الاحكام التعبدية لكان لنا أن نقول مثله في العلماء فان ما ورد في الكتاب والسنة في مدح العلم والعلماء أعظم وأظهر مما ورد في آل البيت فهل نقول إنه لا يحل للعالم أن يزوج ابنته بمن ليس بعالم لأن ذلك اهانة للعلم الذي عظمه الله تعالى فالامر فيه ليس اليه وانما هو متعبد بذلك ؟ كلا ان الزواج من المعاملات التي تبنى على أساس المصلحة وكل قوم أعلم بمصلحتهم والشرع لم يحجر عليهم في اختيار الخير وانما حرم عليهم الايذاء والله أعلم وأحكم

هذا واني لا أظن بالشيخ عمر بن سالم العطاس الا الخير وحسن النية وأشكر له حبه للشرفاء ولولا أن فتواه طبعت لما رددت عليها في المنار وأسأل الله تعالى أن يحفظنا واياه من الغلو ويلهمنا رشدنا أجمعين

﴿ ضمان البضاعة وسلع التجارة والسيكارتو ﴾

(س ٢٩) سألنا كثيرون من أهل هذا القطر وغيره من الاقطار عما جرى عليه عرف التجار من ارسال البضائع للبلاد مضمونة من شركة تسمى شركة الضمان وقد أرجأنا الجواب عن ذلك لأجل أن نبحث عن كيفية هذا التعامل بنفسنا فنجيب عن بصيرة ولم يتيسر لنا ذلك وقد جاءنا من عهد قريب صورة فتوى في ذلك من سنغافورة يسألنا مرسلها عن رأينا فيها فلم نجد بداً من التعجيل بنشرها وبيان رأينا فيها وهذه هي :

بسم الرحمن الرحيم رب زدني علماً ولا تزغ قلبي بعد اذ هديتني الحمد لله على آلائه ، والصلاة والسلام على رسول الله وآله ، أما بعد فقد ورد عليّ سؤال من بعض التجار القاطنين بعدن فيما كثر تعاطيه في الناس ليكونوا على بصيرة من أمره ونص سؤاله هو .

ماقولكم دام فضلكم في معاطاة التجار مع الافرنج الجارية في هذا الزمان

بغير صيغة شرعية أصلا وهو ان التاجر اذا أراد ارسال مال له الى بلد أخرى على طريق البحر يطلع ماله في احدى البوابير الذاهبة الى تلك البلاد المطلوب ارسال المال اليها . فاذا أطلع التاجر ماله وسلم نولاً على المال وأخذ ورقة من قبطان الوابور بوصول المال اليه في الوابور ومقداره وثمنه ثم اذا كان موجود احد الافرنج وعرض التاجر عليه ورقة صاحب الوابور وسلم له على المال المقدر فيها على كل مائة (ربية) خمس (ربيات) بقدر المال الذي طلعه ثم يسلم له الافرنجي ورقة بعلامته متضمنة بكلام الافرنج ضمانة المال عليه اذا غرق في البحر فهو يعطيه ثمنه بقدر ماهو محرر في ورقة قبطان الوابور وسمو هذه المعاملة « بيمه » . ثم انه يوجد إفرنجي آخر اذا احتاج التاجر المذكور ثمن ماله الذي أرسله مقدماً فيعرض عليه ورقة الأفرنجي المتضمنة الضمان للمال فعند ما يراها يقدم للتاجر ثمن ماله ويحوله التاجر على وكيله الذي يستلمه بتلك البلدة الاخرى ان سلم المال من الغرق والا فيستلم ذلك الافرنجي الاخير من الافرنجي الاول الذي سلم الورقة المتضمنة لضمان المال بلفتهم فهل والحال هذا اذا جرت هذه المعاملة منا مع أهل حرب أو مؤمنين من غير ألفاظ شرعية أصلا تكون من قبيل مالو أعطونا شيئاً من حقهم مجاناً برضاهم ويجوز أخذها أم لا يجوز ذلك أصلا افتونا مأجورين نفع الله بكم المسلمين . اه .

﴿الجواب﴾ فقلت وبه القوة والحول ان هذه المسئلة هي من حوادث الزمن الاخير لم أر من تكلم عليها من أئمتنا الشافعية في كتبهم المتأخرة فيما اطلعت ومن حيث ان الباع قصير والمقام خطير تكأكأت مدة عن الجواب ، وصاحب السؤال يلح علي في الخطاب ، ويطلب مني بيان حكم الله تعالى فيها فلم أجد بدا من اسعافه فاقتحمت ذلك ، متحرياً فيما هنالك مجتهدا في استخراجها من كلام الائمة تصريحاً أو تلويحاً فأول ما وقفت على كلام في ذلك لخاتمة محققي السادة الحنفية الامام العلامة ابن عابدين في حاشيته على الدر حيث قال في فصل في استئمان الكافر بعد كلام في ذلك ما نصه (وبما قررناه يظهر جواب ما كثر السؤال عنه في زماننا وهو أنه جرت العادة ان التجار اذا استأجروا مركبا من حربي فيدفعون له أجرته ويدفعون أيضا مالا معلوما لرجل حربي مقيم في بلاده ويسمى ذلك المال (سوكره)

على انه مهما هلك من المال الذي في المركب بحرق أو غرق أو نهب أو غيره فذلك الرجل ضامن له بمقابلة ما يأخذه منهم وله وكيل عنه مستأمن في دارنا مقيم في بلاد السواحل الاسلامية بأذن السلطان يقبض من التجار مال السوكره واذا هلك من مالهم في البحر شيء يؤدي ذلك المستأمن للتاجر بدله تماماً والذي يظهر لي انه لا يحل للتاجر أخذ بدل الهالك من ماله لان هذا التزم مالا يلزم اهـ . أي فلا يحل أخذ ماله بعقد فاسد.

أي هذا الحكم مع المستأمن في دارنا قال بخلاف المستأمن في دار الحرب فان له أخذ مالهم برضاهم ولو بربا أو قمار لان مالهم مباح لنا الا أن الغدر حرام وما أخذ برضاهم ليس غدراً من المستأمن منهم في دارنا لان دارنا محل اجراء الاحكام الشرعية فلا يحل لمسلم في دارنا أن يعقد مع المستأمن الا ما يحل من العقود مع المسلمين ولا يجوز أن يؤخذ منه شيء لا يلزمه شرعاً وان جرت به العادة كالذي يوخذ من زوّار بيت المقدس : اهـ ما نقلته عن حاشية الدر لابن عابدين

نرجع الى الحكم على عدن هل هي الآن دار حرب لاستيلائهم عليها أو باقية دار اسلام على أصلها نص في شرح الدر ان دار الاسلام تصير دار حرب بثلاثة أمور باجراء أحكام الشرك و باتصالها بدار الحرب ولا يعد البحر فاصلا بل قال تقدم ان بحر الملح ملحق بدار الحرب والشرط الثالث أن لا يبقى فيها مسلم أو ذمي آمنا بالأمان الأول على نفسه أي الأمان الذي كان ثابتاً قبل استيلاء الكفار للمسلم باسلامه وللذمي بعقد الذمة اهـ . بتوضيح في حاشيتها لابن عابدين ولا شك ان هذه الشروط قد وجدت في عدن فهي دار حرب عند السادة الحنفية يجوز للمسلم فيها أخذ مالهم برضاهم ولو بربا وقمار كما تقدم آنفاً عن العلامة ابن عابدين أما عند الإمام الشافعي فلا تعتبر دار الاسلام دار حرب مطلقاً أي سواء غلب عليها الكفار أم لا منعوا المسلمين أم لا كما في باب الجهاد من شرح المنهاج للامام ابن حجر رحمه الله تعالى

هذا ما عند السادة الحنفية أما حكم السؤال على مذهب السادة الشافعية فالذي ظهر لي من كلام فقهائنا انه اذا لم تجر هذه الالتزامات بمعاطاة أو صيغ فاسدة في الشرع ولا يتلفظ بشيء منها بل يعطيه ذلك المال بمجرد اوراق

تتضمن ذلك الالتزام عن وجه رضاء واختيار فــلا بأس بقبوله من كافر أومسلم وما أظن أحداً يخالف في جواز قبوله كيف وقد نبه العلامة ابن حجر في الايعاب في باب البيع عنــد القول بجواز المعاطاة حيث قال ولك أن تقول الكلام جميعه مفروض فيمن لم يعلم أو يظن رضا المأخوذ منــه ولو بلا بدل أما من علم أوظن رضاه فلا يتأتى فيه خلاف المعاطاة لأنهم اذا جوزوا لهم الاخذ من ماله مجاناً مع عــلم الرضا أوظنه فلأن يجوز الاخذ عند بذل الشيء أولى لأن المدار ليس على عوض ولاعلى عدمه بل على ظن الرضا فحيث وجد عمل به وحينئذ لا يكون أخذاً من باب البيع لتعذره بل من باب ظن الرضا بما وصل اليه وعجيب من الائمة كيف أغفلوا التنبيه على ما ذكرت وكأنهم وكلوه الى كونه معلوماً اه كلام الايعاب وكذلك ما يؤخذ في صورة السؤال لا يكون من باب الضمان ولا عدمه بل من باب أخذه بالرضا والاختيار هذا ما ظهر لي في المذهبين وفوق كل ذي علم عليم والله سبحانه وتعالى أعلم

(الختم) (الواثق بخفي الألطاف علوي بن أحمد السقاف) كان الله لهما آمين

ثم كتب عند قوله بل من باب أخذه بالرضا والاختيار : ولك أن نقول هذا الكافر الملتزم للغرم عند التلف فيما كتبه للمسلم متردد بين غنم وغرم فيحتمل أن يكون من أنواع القمار الممنوع اقراره عليه فنقول على فرض تسليمه انه نوع منه فلا نمنعه منه الا ان كان من الملتزمين لأحكامنا أما كالذي في عدن كما هو في صورة السؤال فليس من الملتزمين لأحكامنا بل ربمــا قهرونا على مجاراة بعض أحكامهم كما هو مشاهد فلا مانع من أخذ ماله برضاه هذا ما تبادر الى فهمي الفاتر وعلمي الناقص فان أصبت فمن عند الله وان وجد نص يعتمد بخلافه فالمرجع اليه والله ولي التوفيق

﴿ المنار ﴾

ان ما يسمونه (سوكرة البضائع) عقد تأمين وضمان يكون بين التاجر صاحب البضاعة وبين رجل آخر هو وكيل شركة كبيرة والورقة التي ذكرها السائل العدني في استفتائه هي صك بعقد التأمين والضمان فهي متضمنة للايجاب والقبول والفقهاء يعدون هذا العقد فاسداً لأن الضامن يلتزم فيه ما يلزمه شرعاً وكان يظن انه يأخذ ما يأخذه بدون مقابل ولكننا علمنا من بعض التجار أن لهذه الشركة التي تؤمن

التجار على بضائعهم وتضمن لهم مايهلك منها أعمالا في حفظ البضائع تتفق بهمع شركات النقل في المراكب وغيرها فهي اذاً من قبيل الاجارة كأن التاجر يستأجر صاحب الباخرة للنقل وصاحب التأمين للحفظ فما يأخذانه من المال على ذلك يعد أجرة عملها فعلى هذا يجوز للتاجر أن يسوكر بضاعته ثم اذا هي تلفت بتقصير في الحفظ جاز له أخذ الضمان عنها وأما اذا تلفت بدون تقصير في حفظها فلا يجوز عند الفقهاء أخذ الضمان لانه لا يلزم الأجير وان التزمه وقد خرج السقاف الجواز في الواقعة المسئول عنها على مذهب الحنفية بأنه أخذ المال الحربي بعقد فاسد بغير غدر ولا خيانة وهو جائز وعلى مذهب الشافعية بأنه مال أخذ برضاء صاحبه وسكت عن إعطاء الاجرة

ويجب التنبيه هنا الى مسألة مهمة وهي أن مايشترطه الفقهاء باجتهادهم من شروط صحة العقود وفسادها ولزوم ما يلتزم فيها وعدمه ونفوذ الحكم بها وعدم نفوذه ليس من الامور التعبدية التي يتقرب بها الى الله تعالى بحيث يكون العقد الفاسد معصية من المتعاقدين وان كان برضاهما واختيارهما بلا غش ولا تغرير كلا ان هذه المسائل وضعت لاجل ضبط الاحكام وحفظ الحقوق وتسهيل الحكم بالعدل على القضاة فهي لاتسلب الناس حرية التصرف في أموالهم بما يرونه نافعاً لهم في حفظها أو تنميتها مع التزام حدود الله الثابتة في كتابه العزيز وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم كتحريم الغش والتغرير والخداع والغصب ونحو ذلك وهذا هو مراد ابن حجر الفقيه اذ جوز الأخذ والاعطاء بالتراضي فيما كان مخالفاً لشروط صحة عقد البيع (ومثل البيع غيره من العقود) فكأنه قال ان هذه الاركان والشروط التي ذكروها لصحة العقود هي التي يلزم الحاكم الناس بها اذا تنازعوا فاذا تراضوا فيما بينهم على خلافها فلا حرج عليهم وعد هذا من الامور التي سكت عنها الائمة لكونها معلومة بالبداهة فتبين من هذا ان العاقل الرشيد له أن يتصرف في ماله مالم يرتكب محرماً والمحرم فيه ضرر بالفاعل أو بغيره فاذا ثبت بالاختبار ان هذه (السوكرة) نافعة غير ضارة فهي جائزة اذ لم يرد نص من الشارع في تحريمها ومدار الاجتهاد في أحكام المعاملات على دفع الضر وجلب المنفعة وحفظ المصالح واذا ثبت بالاختبار أنها ضارة ومضيعة للمال بغير فائدة كانت محرمة والله تعالى أعلم

باب التربية والتعليم

﴿ المكتوب الثالث – من «إميل» الى أمه (*) ﴾

افضاؤه اليها بحبه لفتية من المشلات – كيف تعلق قلبه بها – استطلاعه سيرتها – تمنيه انقاذها مما هي فيه – طلبه المغفرة من أمه بعد اعترافه لها بالحب.

تحريراً في ١٢ مايو سنة ١٨٦

اني منذ عرفت نفسي أبثك جميع ما يسوءني وما يسرني وما أكره وما أحب وأكاشفك بالخير والشر ولا أكتم عنك شيئاً حتى اني لما كنت بحضرتك ما كنت في حاجة الى البيان لانك كنت تطالعين أفكاري في عيني وتبصرينها تجول على جبيني وهذه أول مرة لي في حياتي أسررت فيها سرا . . . وليت شعري أأبوح به الي قصب نهر الرين؟ إذا لتضاحك مني كما تضاحك من اذني الملك ميداس (١) أم أبثه الى القمر؟ كلا فقد سمع كثيرا من أمثاله أم أكنه في قلبي؟ اذاً لا تنبثي عليه سريرتي . ما أنا بفاعل شيئاً من ذلك بل أريد أن أودعه صدر أمي

على ان الافضاء به ليس من السهولة بالمقدار الذي كنت أتوهمه فاني ما أنشأت أخط هذه السطور الاولى من مكتوبي حتى ارتعشت يدي وخفق قلبي ولست إخالك الا ساخرة مني ولكن أقل ما أنا واثق به منك انك لن تجدي علي أن صدقتك الخبر واذا كان الامر كذلك فلابد من افشائه وهو اني أحب!

الآن أراك تسألينني من هي التي تحبها وأين رأيتها وكيف عرفتها وفي هذه

(*) معرب من باب تربية الشاب من كتاب أميل القرن التاسع عشر

(١) ميداس بحسب ما جاء في أساطير اليونان هو ملك فريجيا وهي قطر من أقطار آسيا الصغرى اشتهر بواقعتين نذكر إحداهما فقط لاختصاصها بهذا الموضوع وهي ان ابولون بن المشتري حكمه في المناظرة التي قامت بينه وبين بان إله الرعاة في الموسيقى والشعر والفنون وكان بان صديقاً للملك فحكم له فلم يكتف ابولون في الانتقام من ميداس بسلخ جلده حيا بل جعل له بدلا من أذنيه أذني حمار فغطاهما ميداس بتاج حتى لايظهرا للناس ولما علم ان حلاقه لابد له من رؤيتهما عاهده على كتمان أمرهما ولكن الحلاق لم يلبث أن ثقل عليه الكتمان فاحتفر حفرة في الارض بمعزل عن الناس وأسر فيها قوله ان للملك ميداس اذني حمار فاتفق بعد حين أن نبتت في هذا المكان قصبات كانت كلما هزتها الريح كررت هذا القول

الاسئلة ما يزيدني حيرة وارتباكاً

في مدينة بُن ملعب من الطبقة الثانية غير انه مشهور بحسن اختيار القصص التمثيلية فمما يمثل فيه قصة مريم استوارت (١) وقصص شيلار (٢) وقصة غويت عن فوست ومرغريته (٣) وغيرها من القصص الشهيرة والموسيقى والاغاني الموقعة عليه في هذا الملعب يومان أو ثلاثة تحل فيها محل الأدبيات والوقائع التمثيلية وأنا أذهب اليه في بعض الاحيان لسببين أولهما ترويح نفسي من عناء الدرس وثانيهما إيلافها أصوات اللغة الالمانية فمن نحو شهر ابتدأت قينة بافيرية (٤) فتية تغني على الموسيقى هناك وكان أول ما غنته قصة النبي من توقيع ماير بير فبلغت من الاجادة في تغنيتها الى حد أن جميع طلبة الجامعة كانوا يلهجون بذكرها كأنها آية من الآيات فجريت معهم في مساق الاعجاب بها ولما انطلقت الى الملعب ورأيتها داخلة في باحة التمثيل كان كلي عيوناً تبصر وآذاناً تسمع وليس صوتها هو الذي استدعى اعجابي بها مع كونه من أندى الاصوات وأندرها بل الذي ملأني اعجاباً هو ما في تغنيتها من الروح بل ما في خلقها من الحسن والاتقان فبت ليلي كله أحلم بها ولا يفارقني طيفها وكنت أراها بين الافلاك السماوية وأسمع أنغام الكواكب الموسيقية فكأن فيثاغورس (٥) كان يحب قينة مثلي عند ما كان يحدث تلاميذه عن حسن ألحان النجوم

ولخوفي من انقضاء اعجابي بها فيما يلي من التمثيل عاهدت نفسي على أن لا أختلف الى الملعب ليالي تغنيتها ولكني ما استطعت أن أوفي بعهدي وقد اتفق

---

(١) مريم استوارت هي بنت يعقوب الخامس ملك ايقوسيا ومريم لورين ولدت سنة ١٥٤٢ م وماتت سنة ١٥٨٧ ، تزوجت بولي عهد فرنسا (من اول حكم فرنسيس الثاني) وبعد موت زوجها رجعت الى ايقوسيا وتزوجت بهنري درنلي ثم بالكونت بوتويل ثم ثار عليها رعاياها فلاذت باليصابات ملكة انكلترا التي حبستها ١٩ سنة ثم أمرت باعدامها (٢) شيلار شاعر ألماني شهير ولد سنة ١٧٥٩ م ومات سنة ١٨٠٥ ومن أشهر قصصه الحزينة النهبة والانشنين وغليوم تل (٣) غويت واسمه جان ولفنه جانج هو أكبر كاتب ألماني ولد في فرنك فور سيراين سنة ١٧٤٩ م ومات سنة ١٨٣٢ وفوست اسم لشخص خرافي مشهور في حكايات الالمان بأنه تعاهد مع الشيطان (٤) نسبة الى بافير احدى ولايات المانيا (٥) فيثاغورس فيلسوف يوناني ولد في ساموس سنة ٥٦٩ ق م ومات سنة ٤٧٠ أقام بمصر وبابليون مدة طويلة ثم رجع إلى بلاد اليونان وأسس مدرسة في كروتون وهو أول من قال بالتناسخ وعرف نظام العالم الحقيقي

عني كثيراً خوف اقلالي من التحمس في حبها بما أكتشفته فيها على توالي الايام من الخصائص الجمة التي لم أكن لاحظتها من قبل ولا بد من الاعتراف لك بأني كنت أجلس من الصف المواجه لباحة التمثيل بحيث أكون مرئياً لها وقد حسب لحظي مرة أو مرتين انه لاقى لحظها . . . ولكن ربما كان هذا ضلالا ومع ان التمثيل كان يمكث أكثر من أربع ساعات كنت دائماً أجده في غاية القصر وأغادر مقعدي في ختامه وقلبي مفعم بما لا يوصف من الاضطراب

خطر في ذهني ان أخاطبها بأبيات من الشعر أنظمها وأرسلها اليها غير ممضاة مني على يد بواب الملعب الهرم ففعلت وكنت أقول في نفسي وقت نظمها ان أقل فائدة لي منها ان تعلم ان واحداً من الناس يحبها ولكنها كانت أبياتاً رديئة وأقر بأنها ما كانت تؤدي نصف ما كنت أضمره لها من عواطف الميل وهذا ما دعاني الى عدم الاعتقاد بصحة ما قيل من أن الشعر من لوازم الحب كما قرأته ذات مرة في بعض الكتب وليس في قدرة أحد ممن عدا المصطفين من الخلق أن يعبر عن كل ما يجده في نفسه ويا ليتني كنت واحداً من هؤلاء النوابغ الممتازين

كنت من مساعيَّ في القرب من هذه الفتاة واقفاً عند الحد الذي ينتهي لك فبينما أنا في يوم من أيام الآحاد أجوب المتنزه الذي تجتمع فيه نساء المدينة في نحو الساعة الثانية بعد الظهر اذا بها أقبلت آخذة نحوي في مخرف فخطر ببالي أولا ان اتنكب هذا المخرف لسلوك احدى السبل المقاطعة له لانه كان يخيل لي ان سأصعق مما قام بنفسي من ضروب الانفعال والاضطراب غير أني تثبت ومشيت مشية الجندي الباسل الذاهب الى حومة الوغى فرأيتها في بزة بالغة من الرونق غايته على بساطتها . وارباه ! كم وددت لو كنت في تلك الساعة قفازها أو زهرة قلنسوتها أو مظلتها التي تقيها حر الشمس ؟ أقول ذلك واني لاعلم انه كان مني قبيحاً ولكن لا ينبغي أن أكتم عنك شيئاً من مواضع ضعفي

انّ في اللحظ خاصة الجذب فاني كنت آنس من لحظي اذا رنوت اليها ان كله اقرار وتصريح بالحب ولما مر كل منا حذاء صاحبه جرى على وجهي لألاء حسنها كما يجري لمعان البرق ولم أجسر على الالتفات خلفي الا بعد ان جاوزتها

بثلاثين خطوة فرأيتها قد بعدت عني مهرولة غير اني بصرت في المسافة التي بيني وبينها بشيء أبيض يخفق خفوق جناح الحمامة من صفق الريح اياه فاثر يثت في التقاطه فاذا هو منديلها قد سقط منها ... أو تعمدت اسقاطه فعدوت خلفها ودفعته اليها فاظهرت الدهش من ضياعه وتلطفت في اسدائي الشكر على رده واقتي ان سمعتها تحسن التكلم بالفرنسية فلاح في ذهني أن أعرفها اني صاحب الشعر الذي أرسل اليها ولكني كنت من شدة الاضطراب الذي استولى على نفسي بحيث لم أستطع تحريك شفتي بكلمة ما ولا بد أن تكون حسبتني ابله

يزعم العارفون بتركيب الحيوان ومنافع أعضائه ان الذاكرة لا تحفظ الروائح وعذرهم في ذلك أنهم لم يحبوا في حياتهم فان منديلها وهو قطعة من النسيج البانستي (١) الرقيق كان يتضوع عن عطر لطيف لن أنساه مادمت حيا . وفي اليوم التالي لهذا اللقاء انطلقت الى ماحول المدينة من الربى الزاهرة فجنيت باقة من ألطف ما وجدته من الزهور البرية وأدها على العفاف ولما حان وقت التمثيل خبأتها في قلنسوتي المدرسية وأخذت مجلسي في الملعب فغنت كعادتها بصوت يسمو بسامعيه الى السحاب ولكن كان يخيل الي ان هذه المرأة التي لاقيتها في الطريق أمس ذلك اليوم أكمل من قينة وان كان استعدادها للتغنية مثاراً للاعجاب و بعد ان انتهت من غنائها وانصرفت استعادها جميع السامعين فهطلت حولها باقات الزهر من غرف الملعب والكراسي المقابلة لباحته وآن لي أن ألقي اليها باقتي فاهتممت غاية الاهتمام بأن تبصرني عند القائها مع تظاهري بالاختفاء خلف جيراني وما أدراك ما فعلته حينئذ؟ لقد أهملت كل ما ألقاه غيري من الازهار النادرة مثل زهر الكاملية (٢) وزهر التين الهندي والورد ذي الأسنة وعمدت الى باقتي الحقيرة المؤلفة من أزهار برية فتناولتها وضمتها الى قلبها أفلا ترين في ذلك برهانا على حبها لي ؟

ستقولين لي أنت لا تعرفها وقد تكون مخالفة تمام المخالفة لما تخيلته منها وانه كان ينبغي لك قبل أن تعلل نفسك بالاماني والاوهام أن تكون على بينة من أخلاقها وكيفية معيشتها فأجيبك أن هذا أيضاً لم يفتني وأقر بأني لم أقف من

(١) البانستي نسبة الى باتست وهو أول صانع لهذا النسيج (٢) الكاملية زهرة يابانية جلبها الى أوربا مرسل ديني اسمه كاملي فنسبت اليه

تحري سيرتها الا على أخبار لا يزال فيها شيء من الغموض ولم يجتمع لديَّ في هذا الصدد الأقوال في غاية التعارض والتناقض فأنت تعلمين مقدار ما للشبان فيما بينهم من القسوة على النساء ولاسيما الممثلات فقد بلغ الحسد من افساد خلق الانسان الى حد أن جعل من لذاته تمزيق اعراضهن مع مالهن من الملكات التي هي مناط الاستحسان العام ولست بمخف عنك شيئاً مما يقولون فبعضهم ينسب لها من هنات الشباب ما يغير دمي ويثير غضبي وبعضهم يقول انها تعيش مع أمها في حيّ منعزل عن المدينة وقد أراني الطلبة هذه الام تصحبها ليلا عند خروجها من الملعب فلم أجد بينهما مشابهة ما وان أردت الوقوف على شيء من نعتها فتخيلي امرأة ضخمة من عامة النساء قذر شاربها واني لمتألم من تصور ان مثل تلك الزهرة قد نبتت من هذه المدرة ومهما يكن من وضاعة أصل تلك الجارية فمن الفضل أن تعامل بجميع ما يجب لفتاة مخلصة مثلها من صنوف الرعاية والتكريم

على انا اذا سلمنا حصول أسوأ ما يتأتى حصوله منها وفرضنا ان سيرتها لم تكن دائماً مرضية أفلا يكون الذنب في ذلك على مهنتها وعلى من يعاشرونها من الناس؟ اني أراها بالغة من الظرف والكياسة مبلغاً أستبعد معه أن لا تكون لها نفس زكية وربما لم يتفق لها في حياتها أن تمثل لها الحب الصحيح المطهر للنفس بشراً فاضلا كريماً. واربّاه أي فخر أناله لو أبيح لي أن أمد يدي الى تلك الروح الملكية فأنتاشها من درك الانحطاط الذي هبطت فيه لتعود الى نور الهدى والفضيلة

ها أناذا قد كشفت لك مكنون سري ونجوت بهذا الاعتراف من شديد زجر سريرتي والآن أقع بين يديك راجياً منك غفران خطيئتي. اه



تأبين الاستاذ الامام

في يوم الجمعة (١٧ جمادى الثانية ١٨ أغسطس) اجتمع خواصّ الناس من العلماء والادباء والوجهاء من المسلمين وغيرهم عند قبر الاستاذ الامام حكيم الشرق

وحجة الاسلام الشيخ محمد عبده التأبينه ورثائه وكان عدد المجتمعين عظيماً كما كان ينتظر أو أكثر مما كان ينتظر فقد غص بهم المكان المعروف بالحوش والبطحاء التي أمامه ورجع خلائق أموا المكان فلم يجدوا مقعداً ولا موقفاً

قام حسن باشا عاصم الذي كان رئيس الديوان الخديوي من قبل بعد تلاوة أحد القراء آيات من الكتاب العزيز فألقى على الحاضرين سيرة الامام ، بالاختصار اللائق بالمقام ، وتلاه الشيخ أحمد أبو خطوه القاضي في المحكمة الشرعية الكبرى وأحد أكابر المدرسين في الجامع الازهر وطفق يسرد ما كان للفقيد عليه الرضوان من خدمة العلم والدين والاصلاح الصوري والمعنوي في الازهر والمحاكم الشرعية وماله من الايادي البيضاء على العلم والعلماء ، وقد ضعف صوته أن يصل الى آذان الحاضرين جاياً فامتدت الاعناق وكاد يضطرب الجمع فاستناب عنه محمد أفندي سعودي أحد كتاب المحكمة بعد الاعتذار . ثم قام حسن باشا عبد الرازق أحد أعضاء مجلس الشورى فذكر من فضائل الفقيد وفواضله وآثاره ومآثره ماشاء الله أن يذكر وتوسع بعض التوسع في أثره رحمه الله تعالى في مجلس الشورى وكيف كان صاحب الرأي الاعلى حتى ارتقى به المجلس وزال ما كان بينه وبين الحكومة من سوء التفاهم . وتقفاه قاسم بك أمين القاضي في محكمة الاستئناف الاهلية فذكر مكانة الفقيد في الامة ، وما امتاز به من المزايا الجمة ، وكيف وقف نفسه على اصلاح أمته ، وكان قدوة صالحة في علمه وسيرته ، وكيف ارتقى بجده وعلمه وعقله وقوة ارادته ، الى مقام مكنه من الاخذ بزمام أمة بأسرها ، وسوقها الى المستقبل الذي هيأه لها ، وهو مقام الامامة بأوسع معناها

تلا هؤلاء الخطباء أشعر الشعراء في هذا العصر حفني بك ناصف القاضي بمحكمة مصر الاهلية وحافظ أفندي ابراهيم فأنشد كل منهما مرثية أبكت السامعين بعد ما كدنا نظن ان تلك الخطب المؤثرة قد استنزفت الشؤون من العيون .
فأما مرثية حافظ فقد نشرناها في جزء سابق وأما مرثية حفني فسننشرها مع سائر المراثي والتأبين في جزء الرثاء والتأبين من تاريخ الاستاذ الامام رحمه الله تعالى رحمة واسعة

ثم ختم الاحتفال كما بدئ بتلاوة آيات القرآن الحكيم وانفض الجمع وهم يستمطرون الرحمة لفقيد الشرق والاسلام ، ويسألون الله أن ينفع بسيرته الانام ،

وقد رأوا ان هؤلاء المؤمنين الذين يمثلون الطبقات العليا في الأمة على مالهم من الصفة الرسمية قد سجلوا مناقب الفقيد على رؤوس الاشهاد وأقرهم الالوف على ذلك

سبق للادباء والوجهاء في مصر ان اجتمعوا لتأبين ثلاثة رجال شفيق بك منصور يكن الذي كان قاضياً في محكمة الاستئناف ثم رئيساً للنيابة فيها ووكيلا للنائب العمومي (المتوفى سنة ١٣٠٨) وعلي باشا مبارك ناظر المعارف الذي خدمها في مصر بهمة واجتهاد واخلاص بقدر ما سمحت له قدرته وحال البلاد (المتوفى سنة ١٣١١) ومحمود سامي باشا البارودي وما العهد به ببعيد

كل أولئك نابغ في قومه انفرد بالسبق في بعض المزايا حتى لم يكن في عصره من يزاحمه في مزيته فيدعي مساواته فيها وكأنك بهذه الأمة التي زادتها الحرية الشخصية فوضى وتهجماً من الوضيع على محاكاة الرفيع فيما تسهل المحاكاة فيه مما كان عن الرفعة دون ما كانت به الرفعة قد صارت تجتمع لتأبين من ليس لهم فيها أثر يذكر ولا ذكر يرفع اجابة لدعوة أهليهم وأصدقائهم حتى لا يبقى لمثل هذا الاجتماع مزية يحفظها التاريخ أو يحفل بها المؤرخ

قد بلغ الاستاذ الامام رحمه الله تعالى من المكانة العالية والشهرة الواسعة ان صارت الأبصار تشخص والقلوب من ورائها تتلفت الى كل ما كان يكون منه أو يصدر عنه أو يعمل له أو يقال فيه وهذا ما أحسب أن يجعل تأبينه سبباً لاجلال التأبين وحمل المقلدين على الرغبة فيه وهذا هو الذي يجعل التأبين بعد اليوم محاكاة لاجلال الأمة لمن يؤبن لا حكاية عنه اذ يعز أن تجذب قلوب جميع الطبقات في الأمة لمجتمع يشاد فيه بذكر رجل بعد خادمها الامين ، وامامها في العلم والعمل والدين ، أو ينبغ فيها من يساهم الرجل في فضائله ، ويكون له في الامة ولو بعض فواضله ، فتأبين الاستاذ الامام هو الذي جعل للتأبين شرفاً يرغب فيه ويحمل على محاكاته وهو الذي يسلبه هذا الشرف اذا كان لغير مستحقه واذا فهم المقلدون هذه الحقيقة فانهم يكرمون من يفقدون من ذوي القربى أو الصداقة بترك الدعوة الى تأبينهم ويتركون هذا الأمر الى الامة نفسها يقترحه فضلاؤها وكتابها لمن يرونه أهلا له في المستقبل فيكون كما ينبغي أن يكون ، ولله في خلقه شؤون ،

كتاب تعزية من عالم انكليزي

كتب مستر أدوارد برون أحد علماء الانكليز الاعلام المدرس فى مدرسة كمبردج الجامعة الكتاب الآتي بالعربية الى حموده بك عبده يعزيه به عن أخيه الاستاذ الامام فنشرناه هنا تنويهاً بانصاف كاتبه وفضله وتنبيهاً للاذهان على ما كان لامام الشرق فى نفوس علماء الغرب ليعلم من لم يكن يعلم أن تعارف إمامنا بالافرنج قد كان حجة للإسلام وشرفاً للمسلمين . قال الكاتب :

سيدي الفاضل المكرم

لا أعلم بأي لسان أعزيكم وكل المصريين بل كل المسلمين بل كل العالمين، على هذه المصيبة التي عمت الناس كلهم أجمعين ، وخصت المصريين ، ومنذ ورود هذا الخبر الهائل رب يوم أردت ان آخذ القلم بأصابعي لكي أعرب عما في القلب من الحزن والغم الشديد ووضعته يأساً وعجزاً لان هذه المصيبة وراء الكلام

خبر ما نابنا مصمئلّ جل حتى دق فيه الاجلّ

ياسيدي في مدة عمري رأيت كثيراً من البلاد والعباد وما رأيت مثل الفقيد المرحوم قطّ لا في الشرق ولا في الغرب فوالله كان وحيداً في العلم، وحيداً في التقوى والورع، وحيدا في البصيرة والاطلاع على ظواهر الامور و بواطنها، وحيدا في البلاغة والفصاحة، عالماً عاملا محسناً ورعاً مجاهدا في سبيل الله محبا للعلم ملجأً للفقراء والمساكين

شامساً في القرحتى اذا ما زكت الشعرى فبرد وظل

كيف أصف بهذا اللسان العاجز هذا الرجل الوحيد الفقيد الذي كنت أفتخر بأن أحسب من أقل تلامذته انما أرجو من سيدي أن يقبل مني تعزية من قلب حزين غير قابل للتسلي على هذا الفقدان العظيم

أريد ان شاء الله أن أكتب شيئاً باللغة الانكليزية فى ترجمة حال الفقيد وقد جمعت كل ما وجدت فى الجرائد العربية فى هذا الباب وأرجو من حضرتك أن تعينوني فى ذلك بارسال الترجمة الموعودة في المؤيد اذا طبع على حدة لكي أستفيد بما فيه من المعلومات . فتقبل ياسيدي المكرم في الختام أخلص تعزيتي وأزكى السلام

المخلص أدورد برون

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و«منارا» كمنار الطريق)

﴿ مصر — ١٦ شعبان سنة ١٣٢٣ — ١٥ اكتوبر (ت ١) سنة ١٩٠٥ ﴾

باب العقائد

مذهب السلف ، وطريقة الحنابلة في التأليف

نموذج من مقدمات شرح عقيدة السفاريني الذي نطبعه في هذه الايام المسمى (لوائح الانوار البهية ، وسواطع الاسرار الاثرية ، لشرح الدرة المضية ، في عقيدة الفرقة المرضية ، قال

السابع

المراد بمذهب السلف ما كان عليه الصحابة الكرام رضوان الله عليهم وأعيان التابعين لهم باحسان واتباعهم وأئمة الدين ممن شهد له بالامامة وعرف عظم شأنه في الدين وتلقى الناس كلامهم خلف عن سلف دون من رمي ببدعة أوشهر بقلب غير مرضي مثل الخوارج والروافض والقدرية والمرجئة والجبرية والجهمية والمعتزلة والكرامية ونحو هؤلاء مما يأتي ذكرهم عند تعداد الفرق لكن لما كان فشو البدع وظهورها كان بعد المائتين لما عربت الكتب العجمية كما تقدم وزاد البلاء وأظهر المأمون القول بخلق القرآن وظهر مذهب الاعتزال ظهوراً لا مزيد عليه بسبب انحراف الخلفاء عن مذهب الحق وكان الذي قام في نحورهم ورد مقالتهم وإبطال مذهبهم وتزييفه وذم من ذهب اليه أو عول عليه أو انتمى الى ذويه أو ناضل عنه أو مال اليه سيدنا وقدوتنا الامام المبجل والحبر البحر المفضل أبا عبد الله الامام أحمد بن محمد بن حنبل نسب مذهب السلف اليه وعول أهل عصره من أهل الحق فمن بعدهم عليه والا فهو المذهب المأثور والحق الثابت المشهور لسائر أئمة الدين وأعيان الامة المقدمين قال حرب ابن اسماعيل الكرماني في كتابه المصنف في مسائل الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه واسحق بن ابراهيم بن راهويه مع ماذكر فيها من الآثار عن النبي المختار والصحابة الابرار والتابعين الاطهار ومن بعدهم . قال هذا مذهب أئمة العلم وأصحاب الاثر المعروفين بالسنة المقتدى بهم فيها وأدركت من أدركت من علماء العراق والحجاز والشام عليها فمن خالف شيئاً من هذه المذاهب أوطعن فيها أو عاب قائلها فهو مبتدع خارج عن الجماعة زائل عن سبيل السنة ومنهج الحق قال وهو مذهب الامام أحمد واسحق و بقي ابن مخلد وعبد الله بن الزبير الحميدي وسعيد بن منصور وغيرهم ممن

جالسنا وأخذنا عنهم العلم فذكر الكلام في الإيمان والقدر والوعيد والامام الخ كلامه كما سننبه عليه في محاله ٭ وممن ألف في عقائد السلف وذكر معتقدهم في كتب التفسير المنقولة عن السلف مثل تفسير عبد الرزاق وتفسير الامام أحمد واسحق وبقي بن مخلد وعبدالرحمن بن ابراهيم دُحَيم وعبد بن حميد وعبد الرحمن بن أبي حاتم ومحمد بن جرير الطبري وأبي بكر بن المنذر وأبي بكر عبد العزيز وأبي الشيخ الاصفهاني وأبي بكر بن مردويه وغيرهم وكذلك الكتب المصنفة في السنة والرد على الجهمية وأصول الدين المنقولة عن السلف مثل كتاب الرد على الجهمية لمحمد ابن عبد الله الجعفي شيخ البخاري وكتاب خلق الافعال للبخاري وكتاب السنة لابي داود ولابي بكر الاثرم ولعبد الله بن الامام أحمد ولحنبل بن اسحق ولابي بكر الخلال ولابي الشيخ الاصفهاني ولابي القاسم الطبراني ولابي عبد الله بن منده وأمثالهم وكتاب الشريعة لابي بكر الآجري والابانة لابي عبد الله ابن بطة وكتاب الاصول لابي عبدالله الطلمنكي وكتاب رد عثمان بن سعيد الدارمي وكتاب الرد على الجهمية له وغير ذلك فالأئمة الاربعة والسفيانان والحمادان وابنا أبي شيبة والليث ابن سعد وابن أبي ذيب وربيعة بن عبد الرحمن والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن خزيمة وابن ماجه وابن حبان وأبو ثور وابن جريج والاوزاعي وابن الماجشون وابن أبي ليلى وأبو عبيد بن سلام ومسعر ابن كدام الامام ومحمد بن يحيى الذهلي امام أهل خراسان بعد اسحق بلا مدافعة وأبو حاتم الرازي ومحمد بن نصر المروزي وغير هؤلاء كلهم عقيدة واحدة سلفية أثرية وان كان الاشتهار للامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه للعلة التي ذكرناها حتى ان الشيخ أبا حسن الاشعري قال في كتابه — الابانة في أصول الديانة — ما نصه بحروفه «فان قال قائل قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة فعرفونا قولكم الذي به تقولون وديانتكم التي بها تدينون قيل له قولنا الذي به نقول وديانتنا التي بها ندين التمسك بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وماروي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث فنحن بذلك معتصمون وبما كان عليه الامام أحمد بن حنبل نضر الله وجهه قائلون ولمن خالف قوله مجانبون لأنه

الامام الفاضل والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق عند ظهور الضلال وأوضح به المنهاج وقمع به المبتدعين فرحمة الله عليه من امام مقدم وكبير مفهم وعلى جميع أئمة المسلمين» انتهى فنسب المذهب اليه لاشتهاره بذلك مع ان سائر أئمة الدين سلكوا تلك المسالك و بالله التوفيق

الثامن

قال الجلال السيوطي في الاوائل أول من تفوه بكلمة خبيثة في الاعتقاد الجعد بن درهم مؤدب مروان الحمار آخر ملوك بني أمية فقال بأن الله تعالى لا يتكلم قال شيخ الاسلام في الرسالة الحموية الكبرى أصل فشو البدع بعد القرون الثلاثة وان كان قد نبع أصلها في أواخر عصر التابعين قال ثم أصل مقالة التعطيل للصفات انما هو مأخوذ من تلامذة اليهود والمشركين وضلال الصابئين فان أول من حفظ عنه انه قال هذه المقالة في الاسلام هو الجعد ابن درهم وأخذها عنه الجهم بن صفوان وأظهرها فنسبت اليه وقد قيل ان الجعد أخذ مقالته عن ابان بن سمعان وأخذها ابان عن طالوت بن أخت لبيد بن الاعصم اليهودي الساحر الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم وكان الجعد هذا فيما قيل من أهل حران وكان فيهم خلق كثير من الصابئة والفلاسفة بقايا أهل دين النمرود الكنعانيين الذين صنف بعض الساحرين في سحرهم والنمرود هو ملك الصابئة كما ان كسرى ملك الفرس والمجوس فهم اسم جنس لا اسم علم قال وكانت الصابئة اذ ذاك الا قليلا منهم على الشرك وعلماؤهم الفلاسفة وان كان الصابئ قد لا يكون مشركا بل مؤمنا بالله واليوم الآخر كما قال تعالى (ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) لكن كثيراً منهم أو أكثرهم كانوا كفاراً ومشركين وكانوا يعبدون الكواكب و يبنون لها الهياكل ومذهب النفاة الذين يقولون ليس له صفات الا سلبية أو اضافية أو مركبة منهما وهم الذين بعث سيدنا ابراهيم خليل الرحمن اليهم فيكون الجعد أخذ عقيدته عن الصابئة الفلاسفة وأخذها الجهم أيضاً — فيما ذكره الامام أحمد رضي الله عنه — عنه وعن غيره وكذلك أبو نصر

الفارابي دخل حران وأخذ عن فلاسفة الصابئة تمام فلسفته لما ناظر السمنية بعض فلاسفة الهند وهم الذين يجحدون من العلوم ماسوى الحسيات فرجعت أسانيد الجهم الى اليهود والصابئين والمشركين والفلاسفة الضالين اما من الصابئين واما من المشركين فلما عربت الكتب الرومية زاد البلاء مع ما ألقى الشيطان في قلوب أهل الضلال ابتداء من جنس ما ألقاه في قلوب أشباههم

ولما كان بعد المائة الثانية انتشرت هذه المقالة التي كان السلف يسمونها مقالة الجهمية بسبب بشر بن غياث المريسي وذويه. وكلام الائمة مثل مالك وسفيان بن عيينة وابن المبارك وأبي يوسف والشافعي وأحمد واسحق والفضيل بن عياض وبشر الحافي وغيرهم في هؤلاء في ذمهم وتضليلهم معروف وهذه التأويلات الموجودة اليوم بأيدي الناس مثل أكثر التأويلات التي ذكرها أبو بكر بن فورك في كتاب (التأويلات) وأبو عبد الله محمد بن عمر الرازي في كتابه الذي سماه (تأسيس التقديس) ويوجد كثير منها في كلام خلق غير هؤلاء مثل أبي علي الجبائي وعبد الجبار ابن أحمد الهمداني وأبي الحسين البصري وغيرهم هي بعينها التأويلات التي ذكرها بشر المريسي في كتابه كما يعلم ذلك من كتاب الرد الذي صنفه عثمان بن سعيد الدارمي أحد الائمة المشاهير في زمن البخاري وسمى كتابه (رد عثمان بن سعيد على الكاذب العنيد فيما افترى من التوحيد) فانه حكى هذه التأويلات بأعيانها عن بشر المريسي ثم ردها بكلام اذا طالعه العاقل الذكي يعلم حقيقة ما كان عليه السلف ويتبين لظهور الحجة لطريقهم وضعف حجة من خالفهم وقد أجمع أئمة الهدى على ذم المريسية بل أكثرهم كفرهم وضللهم ويعلم بمطالعة كتاب ابن سعيد الدارمي ان هذا القول الساري في هؤلاء المتأخرين الذين تسموا بالخلف هو مذهب المريسية فلا حول ولا قوة الا بالله فمذهب السلف حق بين باطلين وهدى بين ضلالين قال سيدنا الامام أحمد رضي الله عنه لا يوصف الله تعالى الا بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم لا يتجاوز القرآن والحديث. قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه مذهب السلف انهم يصفون الله تعالى بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل

فالمعطل يعبد عدماً والممثل يعبد صنماً والمسلم يعبد إله الارض والسماء والله أعلم

التاسع

مذهب السلف هو المذهب المنصور والحق الثابت المأثور وأهله هم الفرقة الناجية والطائفة المرحومة التي هي بكل خير فائزة ولكل مكرمة راجية من الشفاعة والورود على الحوض ورؤية الحق وغير ذلك من سلامة الصدر والايمان بالقدر والتسليم لما جاءت به النصوص فمن المحال أن يكون الخالفون أعلم من السالفين كما يقوله بعض من لا تحقيق لديه — ممن لا يقدر قدر السلف ولا عرف الله تعالى ولا رسوله ولا المؤمنين به حق المعرفة المأمور بها — من أن طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم وهؤلاء انما أتوا من حيث ظنوا أن طريقة السلف هي مجرد الايمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه ذلك بمنزلة الأميين وان طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات فهذا الظن الفاسد أوجب تلك المقالة التي مضمونها نبذ الاسلام وراء الظهور وقد كذبوا وأفكوا على طريقة السلف وضلوا في تصويب طريقة الخلف فجمعوا بين باطلين الجهل بطريقة السلف في الكذب عليهم والجهل والضلال بتصويب طريقة غيرهم قال الحافظ ابن رجب في كتابه (بيان فضل علم السلف * على علم الخلف) ما نصه «ومن محدثات الأمور ما أحدثه المعتزلة ومن حذا حذوهم من الكلام في ذات الله تعالى وصفاته بأدلة العقول وهي أشد خطرا من الكلام في القدر لان الكلام في القدر كلام في أفعاله وهذا كلام في ذاته وصفاته وينقسم هؤلاء الى قسمين أحدهما من نفى كثيرا مما ورد به الكتاب والسنة لاستلزامه عنده التشبيه كنفي الرؤية والاستواء وهذا طريق المعتزلة والجهمية وقد اتفق السلف على تبديعهم وتضليلهم وقد سلك سبيلهم في بعض الأمور كثير ممن ينتسب الى السنة والحديث من المتأخرين والثاني من رام اثبات ذلك بأدلة العقول التي لم يرد بها الاثر ورد على أولئك مقالتهم كالكرامية ومن وافقهم حتى إن منهم من أثبت الجسم اما لفظا واما معنى ومنهم من أثبت له تعالى صفات لم يأت بها الكتاب والسنة كالحركة وقد أنكر السلف على مقاتل رده على جهم بأدلة العقل وبالغوا

في الطعن عليه والصواب ما عليه السلف الصالح من امرار آيات الصفات وأحاديثها كما جاءت من غير تكييف ولا تمثيل ولا يصح عن أحد من السلف خلاف ذلك ألبتة خصوصاً الامام أحمد رضي الله عنه ولا خوض في معانيها ولا ضرب مثل لها وان كان بعض من كان قريباً من زمنه فيهم من فعل ذلك من ذلك اتباعاً لطريقة مقاتل ابن سليمان فلا يقتدى به في ذلك وانما الاقتداء بأئمة الاسلام كابن المبارك ومالك والثوري والاوزاعي والشافعي وأحمد واسحق وأبي عبيد ونحوهم رضي الله عنهم فكل هؤلاء لا يوجد في كلامهم شيء من جنس كلام المتكلمين فضلا عن كلام الفلاسفة ولم يدخل ذلك في كلامه من سلم من قدح وجرح وقد قال أبو زرعة الرازي: كل من كان عنده علم فلم يصن علمه واحتاج في نشره الى شيء من الكلام فلستم منه وقال الحافظ ابن رجب أيضاً وفي زماننا تتعين كتابة كلام أئمة السلف المقتدى بهم الى زمن الشافعي وأحمد واسحق وأبي عبيد وليكن الانسان على حذر مما حدث بعدهم فانه حدث بعدهم حوادث كثيرة وحدث من انتسب الى متابعة السنة والحديث من الظاهرية ونحوهم وهو أشد مخالفة لها لشذوذه عن الامة وانفراده عنهم بفهم يفهمه أو يأخذ مالم تأخذ به الامة من قبله وأما الدخول مع ذلك في كلام المتكلمين والفلاسفة فشر محض وقل من دخل في شيء من ذلك الا وتلطخ ببعض أوضارهم كما قال الامام أحمد رضي الله عنه: لا يخلو من نظر في الكلام الا تجهم: وكان هو وغيره يحذرون من أهل الكلام وان ذبوا عن السنة

وأما ما يوجد في كلام من أحب الكلام المحدث واتبع أهله من ذم من لا يتوسع في الخصومات والجدال ونسبته الى الجهل أو الحشو أو الى انه غير عارف بالله أو بدينه فمن خطوات الشيطان نعوذ بالله منه » انتهى ملخصاً

وفي الآداب للعلامة ابن مفلح رحمه الله تعالى عن الطبراني قال حدثنا عبد الله بن الامام أحمد قال حدثني أبي قال: قبور أهل السنة من أهل الكبائر روضة وقبور أهل البدعة من الزنادقة حفرة فساق أهل السنة أولياء الله وزهاد أهل البدعة أعداء الله: وفي صحيح مسلم عن زيد بن أرقم رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول «اللهم اني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن

دعوة لا يستجاب لها» وخرجه أهل السنن من وجوه متعددة عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي بعضها «ومن دعاء لا يسمع» وفي بعضها «أعوذ بك من هؤلاء الأربع» وأخرج الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول «اللهم انفعني بما علمتني وعلمني ما ينفعني» ورواه النسائي من حديث أنس رضي الله عنه وزاد «وارزقني علماً تنفعني به» ويأتي الكلام على هذا بأبسط من هذا في المقدمة والله أعلم

﴿المنار﴾ كنا عند ابتداء الاشتغال بعلم الكلام نرى في الكتب خلاف الحنابلة فنحسب أنهم قوم جمدوا على ظواهر النقول ما فهموها حق فهمها، ولا عرفوا حقائق العلوم وطابقوا بين النقل وبينها، وأن كتب الاشاعرة هي وحدها منبع الدين، وطريق اليقين، ثم اطلعنا على كتب القوم فاذا هي الكتب التي تجلي للمسلمين طريقة السلف المثلى، وتورد الناس موردهم الاحلى، واذا بقارئها يشعر ببشاشة الايمان، ويحس بسريان برد الايقان، واذا الفرق بينها وبين كتب الاشاعرة كالفرق بين من يمشي على الصراط السوي، ومن يسبح في بحر لجي، تتدافعه أمواج الشكوك الفلسفية، وتتجاذبه تيارات المباحث النظرية، وقد ظهر لي اذ تبينت ان مذهب السلف الصالح أسلم وأعلم وأحكم، ان هذا من دلائل صدق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، لأن المسلمين بعد أن نظروا في فلسفة الحكماء الالهيين، وخاضوا في جميع علوم الأولين، لم يأتوا بشيء في توثيق عقد الايمان، ولا بالوصول الى الحق بالبرهان، الا بدون ما جاء به القرآن، ولو كان هذا القرآن من وضع البشر لارتقوا عنه بعد خروجهم من الأمية، وتوغلهم في العلوم العقلية من رياضية وطبيعية وفلسفية؛ ومما تفضل به كتب الحنابلة سائر الكتب أنها يحتاج اليها في كل زمان، وكتب الاشاعرة قد استغنى الناس عن معظم نظرياتها الآن، لأن معظمها من الفلسفة اليونانية وقد نسخت، وفي مناظرة فرقة المعتزلة وقد انقرضت، نعم لا أقول ان كل ما كتب الحنابلة من المسائل والمباحث صواب، وانها معصومة من الخطأ فاليها المرجع والمآب، فان العصمة لكتاب الله وحده «ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً»

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولمن يمضي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

(اعطاء الزكاة والصدقة للشرفاء ومعاملتهم)

(س ٣٠) عوض بن جمعان سعيدان في (سنغافوره) ما قولكم سيدي في اعطاء الزكوات لمن صح انتسابهم الى الامام الحسين بن علي عليهما السلام صحة لا مرية فيها يعتقدها المعطى والمعطي اعتقاداً جازما مع علمهما بالنهي الوارد فيه وتعليل الشارع عليه الصلاة والسلام عدم حلها لآل بيته بكونها أوساخ الناس الخ . لما ذكر من غنائهم بما لهم من خمس الخمس والحاجة تقليدا لقليل من متأخري أئمة الشافعية في تحليلهم الاعطاء والأخذ (كذا كتبت العبارة والظاهر انه يريد بيان علة من قال بالجواز بالحاجة مع عدم استغنائهم الآن بما لهم من خمس الخمس) فهل ماجنح اليه أولئك القليل مما يسقط به الحرج عن الآخذ وتبرأ به ذمة المعطي أم هو اجتهاد مع وجود النص ونسخ لما صرح الشارع بعدم حله معللا له بأمر ذاتي وهو مع ذلك حظ قوم لا يتعداهم فإعطاؤه غيرهم ظلم لهم فلا يجوز ؟

(س ٣١) ومنه معطوفا على ما سبق : وفي الاموال حقوق على أهلها غير الزكاة فما هي ؟ ولما كان القصد بيان الحكم المفهوم من النصوص الشرعية بعد ذكرها وذكر ما فهمه سلف الأمة منها وذلك مما يتعذر على أهل هذه الديار رفعنا هذه السطور مستمدين من المنار تحقيق المسألة خدمة للشرع كما هو ديدنه وله الشكر منا سلفا والاجر من الله

(ج) روى أحمد والشيخان من حديث أبي هريرة انه قال أخذ الحسن بن علي تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كخ كخ ارم بها أما علمت انا لا نأكل الصدقة »

وروى أحمد وأبو داود والترمذي وصححه والنسائي وابنا خزيمة وحبان

وصححاه من حديث أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث رجلا من بني مخزوم على الصدقة فقال لأبي رافع اصحبني كيما تصيب منها فقال لا حتى آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسأله وانطلق فسأله فقال «إن الصدقة لا تحل لنا وان موالي القوم من أنفسهم»

وجاء في شرح الحديث الاول من نيل الاوطار ما نصه: قال ابن قدامة لا نعلم خلافا في أن بني هاشم لا تحل لهم الصدقة المفروضة وكذا قال أبو طالب من أهل البيت حكى ذلك عنه في البحر وكذا حكى الاجماع ابن رسلان وقد نقل الطبري الجواز عن أبي حنيفة وقيل عنه تجوز لهم اذا حرموا سهم ذوي القربى حكاه الطحاوي ونقله بعض المالكية عن الابهري منهم . قال في الفتح وهو وجه لبعض الشافعية وحكى فيه أيضا عن أبي يوسف أنها تحل من بعضهم لبعض لا من غيرهم وحكاه في البحر عن زيد بن علي والمرتضى وأبي العباس والإمامية وحكاه في الشفاء عن ابني الهادي والقاسم العياني قال الحافظ وعند المالكية في ذلك أربعة أقوال مشهورة — الجواز ، المنع، جواز التطوع دون الفرض، عكسه — والأحاديث الدالة على التحريم على العموم ترد على الجميع وقد قيل انها متواترة تواترا معنويا ويؤيد ذلك قوله تعالى «قل لا أسألكم عليه أجراً الا المودة في القربى» وقوله «قل ما أسألكم عليه من أجر» ولو أحلها لآله أوشك أن يطعنوا فيه ولقوله تعالى «خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها» وثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال «ان الصدقة أوساخ الناس» كما رواه مسلم وأما ما استدل به القائلون بحلها للهاشمي من الهاشمي من حديث العباس الذي أخرجه الحاكم في النوع السابع والثلاثين من علوم الحديث باسناد كله من بني هاشم أن العباس بن عبد المطلب قال قلت يا رسول الله انك حرمت علينا صدقات الناس هل تحل لنا صدقات بعضنا لبعض قال «نعم» فهذا الحديث قد اتهم بعض رواته وقد أطال صاحب الميزان الكلام على ذلك فليس بصالح لتخصيص تلك العمومات الصحيحة . وأما قول العلامة محمد بن ابراهيم الوزير بعد ان ساق الحديث ما لفظه : وأحسب له متابعا لشهرة القول به (قال) والقول به قول جماعة وافرة من أئمة العترة وأولادهم وأتباعهم بل ادعى بعضهم انه اجماعهم ولعل

توارث هذا عنهم يقوي الحديث انتهى فكلام ليس على قانون الاستدلال لأن مجرد الحسبان ان له متابعا وذهاب جماعة من أهل البيت اليه لا يدل على صحته وأما دعوى انهم أجمعوا عليه فباطل باطل ومطولات مؤلفاتهم ومختصراتها شاهدة لذلك ، وأما قول الأمير في المنحة أنها سكنت نفسه الى هذا الحديث بعد وجدان سنده وما عضده من دعوى الاجماع فقد عرفت بطلان دعوى الاجماع وكيف يصح اجماع لأهل البيت والقاسم والهادي والناصر والمؤيد بالله وجماعة من أكابرهم بل جمهورهم خارجون عنه، وأما مجرد وجدان السند للحديث بدون كشف عنه فليس مما يوجب سكون النفس . والحاصل أن تحريم الزكاة على بني هاشم معلوم من غير فرق بين أن يكون المزكي هاشميا أو غيره فلا ينفق من المعاذير عن هذا المحرم المعلوم الا ماصح عن الشارع لا ما الفقه الواقعون في هذه الورطة من الأعذار الواهية التي لا تخلص ولا ما لم يصح من الأحاديث المروية في التخصيص . ولكثرة أكلة الزكاة من آل هاشم في بلاد اليمن خصوصا أرباب الرياسة قام بعض العلماء منهم في الذب عنهم وتحليل ماحرم الله عليهم مقاما لا يرضاه الله ولا نقاد العلماء فألف في ذلك رسالة هي كالسراب الذي يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا، وصار يتسلى بها أرباب النباهة منهم وقد يتعلل بعضهم بما قاله البعض منهم أن أرض اليمن خراجية وهو لا يشعر أن هذه المقالة مع كونها من أبطل الباطلات ليست مما يجوز التقليد فيه على مقتضى أصولهم فالله المستعان ما أسرع الناس الى متابعة الهوى وان خالف ما هو معلوم من الشريعة المطهرة . واعلم ان ظاهر قوله «لا تحل لنا الصدقة» عدم حل صدقة الفرض والتطوع وقد نقل جماعة منهم الخطابي الاجماع على تحريمها عليه صلى الله عليه وآله وسلم وتعقب بأنه قد حكى غير واحد عن الشافعي في التطوع قولا وكذا في رواية عن أحمد وقال ابن قدامة ليس ما نقل عنه ذلك بواضح الدلالة وأما آل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال أكثر الحنفية وهو المصحح عن الشافعية والحنابلة وكثير من الزيدية أنها تجوز لهم صدقة التطوع دون الفرض قالوا لأن المحرم عليهم انما هو أوساخ الناس وذلك هو الزكاة لا صدقة التطوع . وقال في البحر انه خصص صدقة التطوع القياس على الهبة والهدية والوقف . وقال أبو يوسف ،

العباس أنها تحرم عليهم كصدقة الفرض لأن الدليل لم يفصل اه ما في نيل الأوطار

فأنت ترى ان الحديث في تحريم الصدقة على الآل صحيح وان الخلاف في حكمه ضعيف ويزيد الخلاف ضعفاً عمل الناس بالحديث من الصدر الأول حتى صار الحكم معلوماً من الدين بالضرورة . وان علته تنزه النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن شبهة أخذ الاجر على النبوة وكونها طريقاً له أولآله الى حطام الدنيا ثم حمل آله على التنزه عن أوساخ الناس ليتربوا على كرامة النفس وعزتها ويكونوا قدوة للناس في الترفع عن الدنايا والخسائس ، وأي خسة أبلغ من رضى الانسان بأن يكون عالة على الناس يده السفلى وأيديهم هي العليا؟ ولوجاز في أصل الشرع بذل الصدقات لآل البيت لقدمهم الناس فيها على غيرهم حتى ليوشك أن يعطى منهم غير المستحق ويحرم المستحق من غيرهم رجاء أن يكون ذلك أكثر قبولا عند الله تعالى وذلك مما يحملهم على ترك الكسب اتكالا على مايبذل الناس من صدقاتهم . على انهم لم يسلموا من هذا في كثير من البلاد مع تحريم الصدقة عليهم فان الناس يبذلون لفقرائهم من صدقة التطوع مايبذلون ، ويقدمون لوجهائهم من الهدايا مايقدمون ، حتى صارت معايشهم فائضة من أنامل الناس يوطنون أنفسهم عليها بطناً بعد بطن فانصرفت هممهم عن الكسب حتى ضعف استعدادهم له فنزل بهم الناس في سلم الحياة الاجتماعية وهم يحسبون أنهم صاعدون فهؤلاء الذين يحتالون لتجويز أعطائهم الزكاة يحسبون أنهم يحسنون صنعاً بالقيام بمصلحتهم وسد خلتهم وفاتهم أن الشارع أعلم بهذه المصلحة وأحكم ، حيث حرم عليهم ماحرم ، ومن الجهل أن يقال ان التحريم خاص بذلك الزمان ، وان لنا أن نقول بنسخه الآن ،

كذلك أضر المحبون بنا معشر الشرفاء بالغلو في التعظيم لمكان النسب لان هذا كان سبباً لاقتناع الجماهير منا بهذه المكانة دون مكانة العلم والاستقلال الذاتي فان صغيرنا يرى الكهول والشيوخ يهوون الى يده بالتقبيل فلا يشعر بحاجته الى كمال آخر يرتفع به ذكره ويعلو قدره فيكون سيدا في الناس بجده في العلم والفضل ، لا بعمل أبيه وجده من قبل ، والرأي عندي للاغنياء المحبين لآل البيت أن يساعدوهم على الاستقلال بأنفسهم حتى يكون الناس في حاجة الى علمهم ورفدهم ولا يكونوا هم عالة

على الناس لا أن يلصقوا بهم أوساخهم ويجعلوهم كالقمل الذي لا يعيش الا في الوساخة والدرن . وان يؤاخذوا الشريف الذي يخرج عما يليق بشرفه من كرامة النفس ، والاعتصام بأدب الشرع ، مالا يؤاخذون سواه ، وان يعظموا فضائله ، و يجلوا فواضله ، بأبلغ مما يكون لمن عداه ، كما توعد الله نساء النبي بمضاعفة عذابهن على الذنب ضعفين ، ووعدهن بايتائهن أجرهن على العمل الصالح مرتين ، وهو تعالى أحكم الحاكمين ، وأرحم الراحمين ،

وأما الحقوق التي على الانسان في ماله غير الزكاة فمنها الواجب . كالنفقة على من تلزمه نفقته وكازالةضرورة المضطر فان من رأى معصوماً مشرفاً على الهلاك من الجوع يجب عليه اطعامه كما يجب عليه انقاذ الغريق عند القدرة على ذلك والمراد بالمعصوم من لا يباح دمه شرعاً كالمحارب ولا يفهم من هذا أن غير المعصوم تحرم اغاثته مطلقاً فرب إنقاذ محارب يأتي بمصلحة أو يسوق الى هداية .
ومنها ماهو مندوب كبذل المال في وجوه الخير أياً كانت كالضيافة وأنفعها في هذا الزمان انشاء المدارس للتعليم النافع والتربية الصحيحة والجمعيات الخيرية التي تقوم بتربية اليتامى وكفالة العاجزين ونحو ذلك من الوجوه التي يعم نفعها حتى ترتقي بالسبق فيها أمة على أمة ، وتستعلي بآثارها دولة على دولة ، وناهيك بالجمعيات التي تبث الدعاة في الاقطار لهداية الخلق الى الحق في زمن لا يحفل ملوك المسلمين وامراؤهم فيه بالدعوة ولا يهمهم أمر الدين . وانك لتجد في باب التفسير من أجزاء المنار بياناً للآيات الكريمة التي تحض على بذل المال في سبيل الله غير فريضة الزكاة فلا حاجة الى كتابة شيء من الآيات هنا وهي كثيرة جدا . وكذلك الاحاديث في هذا المقام كثيرة فان كان يرى السائل حاجة الى سرد شيء منها فليكتب الينا

لعن معاوية والترضي عنه — وفيه حكم اللعن مطلقاً

(س ٣٢) ومنه : سيدي قال لي أحد العلماء ان من يلعن معاوية أقل خطراً ممن يترضى عنه ولقصور علمي لم أحر جواباً فهل هو مصيب فيما قال أم مخطيء أفيدونا على صفحات المنار لازلتم مؤيدين و بعين العناية ملحوظين

(ج) هو مخطيء بلا شبهة فالدعاء بالخير — ومنه الترضي — من البر الا من قام عنده دليل قطعي على ان فلاناً مات كافراً بالله وأن الله غضبان عليه وهذا لا يعرف

الا بوحي من الله تعالى لأن المعاصي والكفر في الحياة لا يدلان دلالة قطعية على أن صاحبيهما ماتا عليهما لأن الخاتمة مجهولة بلا خلاف بين العلماء ولا العقلاء وأما اللعن فهو من السفه الذي لا ينبغي للمؤمن وقد قال صلى الله عليه وسلم «ليس المؤمن بالسباب ولا بالطعان ولا اللعان» قال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الاحياء رواه الترمذي باسناد صحيح من حديث ابن مسعود وقال حسن غريب والحاكم وصححه :ورواه غيرهم من حديثه ومن حديث أبي هريرة مرفوعاً. وروى الترمذي من حديث ابن عمر وحسنه «المؤمن لا يكون لعاناً» وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي الدرداء ان النبي صلى الله عليه وسلم قال «ان اللعانين لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة» وورد في حظر اللعن وذمه غير ذلك من الاحاديث

وقد جعل حجة الاسلام الغزالي اللعن على ثلاث مراتب بحسب الصفات المقتضية للعن الاولى أن يلعن الكافرين أو المبتدعين أو الفاسقين جملة ،الثانية أن يخص طائفة منهم كآكلي الربا من الفاسقين مثلا، الثالثة لعن شخص معين من هذه الاصناف ونذكر عبارته فيها قال رحمه الله تعالى

«الثالثة اللعن للشخص المعين وهذا فيه خطر كقولك زيد لعنه الله وهو كافر أو فاسق أو مبتدع والتفصيل فيه أن كل شخص ثبتت لعنته شرعاً فتجوز لعنته كقولك فرعون لعنه الله وأبو جهل لعنه الله لأنه قد ثبت ان هؤلاء ماتوا على الكفر وعرف ذلك شرعاً اما شخص بعينه في زماننا كقولك زيد لعنه الله وهو يهودي مثلا فهذا فيه خطر فانه ربما يسلم فيموت مقرباً عند الله تعالى فكيف يحكم بكونه ملعوناً. فان قلت يلعن لكونه كافراً في الحال كما يقال للمسلم رحمه الله لكونه مسلماً في الحال وان كان يتصور فيه أن يرتد فاعلم ان معنى قولنا رحمه الله أي ثبته على الاسلام الذي هو سبب الرحمة وعلى الطاعة ولا يمكن أن يقال ثبت الله الكافر على ما هو سبب اللعنة فان هذا سؤال للكفر وهو في نفسه كفر بل الجائز أن يقال لعنه الله ان مات على الكفر ولا لعنه الله ان مات على الاسلام وذلك غيب لا يدرى والمطلق متردد بين الجهتين ففيه خطر وليس في ترك اللعن خطر. واذا عرفت هذا في الكافر فهو في زيد الفاسق أو زيد المبتدع أولى فلعن

الاعيان فيه خطر لأن الاعيان تتقلب في الأحوال الا من أعلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه يجوز أن يعلم من يموت على الكفر ولذلك عين قوماً باللعن فكان يقول في دعائه على قريش « اللهم عليك بأبي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة » وذكر جماعة قتلوا على الكفر ببدر حتى ان من لم تعلم عاقبته كان يلعنه فنهي عنه اذ روي انه كان يلعن الذين قتلوا أصحاب بئر معونة في قنوته شهرا فنزل قوله تعالى « ليس لك من الامر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون » يعني انهم ربما يسلمون فمن أين تعلم انهم ملعونون . وكذلك من بان لنا موته على الكفر جاز لعنه وجاز ذمه ان لم يكن فيه أذى على مسلم فان كان لم يجز كما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل أبا بكر رضي الله عنه عن قبر مر به وهو يريد الطائف فقال هذا قبر رجل كان عاتيا على الله ورسوله وهو سعيد بن العاص فغضب ابنه عمرو بن سعيد وقال يارسول الله هذا قبر رجل كان أطعم للطعام وأضرب للهام من أبي قحافة . فقال أبو بكر يكلمني هذا يارسول الله بمثل هذا الكلام فقال صلى الله عليه وسلم « اكفف عن أبي بكر » فانصرف ثم أقبل على أبي بكر فقال « ياأبا بكر اذا ذكرتم الكفار فعمموا فانكم اذا خصصتم غضب الابناء للآباء »(١) فكف الناس عن ذلك . وشرب نعيمان الخمر فحد مرات في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض الصحابة لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به فقال صلى الله عليه وسلم « لا تكن عونا للشيطان على أخيك » وفي راوية « لاتقل هذا فانه يحب الله ورسوله » (٢) فنهاه عن ذلك وهذا يدل على ان لعنة فاسق بعينه غير جائزة ففي لعنة الاشخاص خطر فليجتنب ولا خطر في السكوت عن لعن ابليس مثلا فضلا عن غيره . فان قيل هل يجوز لعن يزيد لأنه قاتل الحسين أو أمر به قلنا هذا لم يثبت أصلا فلا يجوز أن يقال انه قتل أو أمر به مالم يثبت فضلا عن اللعنة لأنه لايجوز نسبة مسلم الى كبيرة من غير تحقيق « نعم يجوز أن يقال قتل ابن ملجم علياً رضي الله عنه وقتل أبو لؤلؤة عمر رضي الله عنه فان ذلك ثبت متواتراً فلايجوز أن يرمى مسلم بفسق وكفر من غير

---

(١) الحديث رواه أبو داود في المراسيل من رواية علي بن ربيعة (٢) رواه بهذا السياق ابن عبدالبر في الاستيعاب وهو عند أحمد والبخاري وغيرهما لم يسم فيه نعيمان

تحقيق . قال صلى الله عليه وسلم «لا يرمي رجل رجلا بالكفر ولا يرميه بالفسق الا ارتدت عليه ان لم يكن صاحبه كذلك» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «ما شهد رجل على رجل بالكفر الا باء به أحدهما ان كان كافراً فهو كما قال وان لم يكن كافراً فقد كفر بتكفيره اياه» وهذا معناه أن يكفره وهو يعلم انه مسلم فان ظن انه كافر ببدعة أو غيرها كان مخطئاً لا كافراً . وقال معاذ قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنهاك أن تشتم مسلماً أو تعصي اماماً عادلا» (٢) والتعرض للأموات أشد قال مسروق دخلت على عائشة رضي الله عنها فقالت: ما فعل فلان لعنه الله: قلت توفي قالت رحمه الله: قلت وكيف هذا قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا تسبوا الاموات فانهم قد أفضوا الى ما قدموا» (٣) وقال عليه السلام «لا تسبوا الاموات فتؤذوا به الاحياء» (٤) وقال عليه السلام «أيها الناس احفظوني في أصحابي واخواني وأصهاري ولا تسبوهم أيها الناس اذا مات الميت فاذكروا منه خيراً» (٥)

«فان قيل فهل يجوز أن يقال قاتل الحسين لعنه الله أو الآمر بقتله لعنه الله؟ قلنا الصواب أن قاتل الحسين ان مات قبل التوبة لعنه الله: لأنه يحتمل أن يموت بعد التوبة فان وحشياً قاتل حمزة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قتله وهو كافر ثم تاب عن الكفر والقتل جميعاً ولا يجوز أن يلعن والقتل كبيرة ولا يجوز أن تنتهي

(١) الحديث رواه الشيخان والسياق للبخاري من حديث أبي ذر مع تقديم لفظ الفسق والحديث الذي بعده رواه الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف (٢) رواه أبو نعيم في الحلية من حديث طويل (٣) رواه أحمد والبخاري والنسائي بدون ذكر قصة عائشة مع مسروق وهي عند ابن المبارك في الزهد والرقائق (٤) رواه أحمد والترمذي والطبراني من حديث المغيرة بن شعبة (٥) رواه الديلمي في مسند الفردوس ولبعض جمله شواهد في الصحاح كحديث أبي سعيد وأبي هريرة عند أحمد والشيخين «لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه» وحديث ابن عمر عند أبي داود والترمذي «اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساويهم» وغير ذلك

الى رتبة الكفر فاذا لم يقيد بالتوبة وأطلق كان فيه خطر

«وانما أوردنا هذا لتهاون الناس باللعنة واطلاق اللسان بها والمؤمن ليس بلعان فلا ينبغي أن يطلق اللسان باللعنة الا على من مات على الكفر أو على الاجناس المعروفين بأوصافهم دون الاشخاص المعينين فالاشتغال بذكر الله أولى فان لم يكن ففي السكوت سلامة . وقال مكي ابن ابراهيم كنا عند ابن عون فذكروا بلال ابن أبي بردة فجعلوا يلعنونه ويقعون فيه وابن عون ساكت فقالوا يا ابن عون انما نذكره لما ارتكبه منك(١) فقال انما هما كلمتان تخرجان من صحيفتي يوم القيامة -لا إله الا الله ، ولعن الله فلانا- فلأن يخرج من صحيفتي «لا اله الا الله» أحب الي من أن يخرج منها (لعن الله فلانا) وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصني فقال (أوصيك أن لا تكون لعانا) (٢) وقال ابن عمر إن أبغض الناس الى الله كل طعان لعان . وقال بعضهم لعن المؤمن كعدل قتله قال حماد بن زيد لو قلت انه مرفوع لم أبال(٣) وعن أبي قتادة قال كان يقال من لعن مؤمنا فهو مثل أن يقتله : وقد نقل ذلك مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) و يقرب من اللعن الدعاء على الانسان بالشر حتى الدعاء على الظالم كقول الانسان مثلا: لا صحح الله جسمه ولا سلمه الله: وما يجري مجراه فان ذلك مذموم . وفي الخبر ان المظلوم ليدعو على الظالم حتى يكافئه ثم يبقى للظالم عنده فضلة يوم القيامة » اه ما كتبه الغزالي

(المنار) قد أوردت كل هذا ليعلم القارئ أن السنة الرجيحة والاحاديث الصحيحة وسيرة السلف الصالحين وفقه أئمة الدين كل ذلك ينهى المؤمن عن

---

(١) ابن عون هو أبو عون عبد الله بن عون أحد أعلام السنة أدرك أنس بن مالك وروى له الجماعة . و بلال بن أبي بردة هو ابن أبي موسى الاشعري كان أمير البصرة وقاضيها روى له الترمذي حديثا واحداً وكان قد آذى ابن عون ولذلك سبه القوم ولعنوه أمامه فلم يشايعهم بل أنكر عليهم (٢) رواه أحمد والبخاري في التاريخ وغيرهما (٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت (٤) المرفوع رواه الشيخان من حديث ثابت بن الضحاك بلفظ (لعن المؤمن كقتله)

اللعن الذي يتساهل فيه أهل الاهواء من السفهاء وما أحسن قول حجة الاسلام «ففي لعن الاشخاص خطر ولا خطر في السكوت عن لعن ابليس مثلا فضلا عن غيره» أي فان الله تعالى - وان لعنه - لم يكلفنا لعنه وأكبر العبر للمؤمن فيما تقدم تأديب الله تعالى نبيه اذ أنزل عليه حين طفق يلعن الذين قتلوا أصحاب بئر معونة «ليس لك من الامر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون» وأصحاب بئر معونة سبعون رجلا من القراء بعثهم النبي صلى الله عليه وسلم ليعلموا الناس القرآن فقتلهم عامر بن الطفيل وأصحابه . وروى أحمد والشيخان والترمذي والنسائي وابن جرير وغيرهم من حديث أنس أن الآية نزلت يوم أحد حين كسر المشركون رباعية النبي صلى الله عليه وسلم وشجوا وجهه وفي حديث ابن عمر عند أحمد والبخاري والترمذي والنسائي وابن جرير أنه صلى الله عليه وسلم قال يوم أحد «اللهم العن أبا سفيان اللهم العن الحارث بن هشام اللهم العن سهيل بن عمرو اللهم العن صفوان بن أمية» فنزلت الآية وهي على هذا أكبر عبرة وأعلى تهذيبا

هذا وان السواد الأعظم من المسلمين يعدون سب معاوية ولعنه من الكبائر ويرمون سابه بالرفض والابتداع وان السني من المسلمين ليعادي الشيعي على سب معاوية وأبي سفيان بَلْهَ الخلفاء الثلاثة ويعادي الخارجي على سب عثمان وعلي مالا يعادي غيرهما على ترك فريضة من الفرائض أو ارتكاب فاحشة من الفواحش فهذا الطعن في عظماء الصحابة وحملة الدين الاولين لو كان جائزاً في نفسه لكفى في تحريمه ما يترتب عليه من زيادة التفريق بين أهل القبلة وتمكين العداوة والبغضاء في قلوبهم حتى يكفر بعضهم بعضاً . لهذا لا أبالي ان أقول لو اطلع مطلع على الغيب فعلم أن معاوية مات على غير الاسلام لما جاز له أن يلعنه . فما قاله ذلك الرجل للسائل مردود لا قيمة له وهو دالٌ على أنه جاهل يفتي بغير علم بل بمحض الهوى

(استدراك) علم مما تقدم عن الغزالي أنه لا يجوز لعن كافر ولا فاسق حيّ وان هذا خطر لما يتضمن من الرضى بموته على كفره أو فسقه ، ولا لعن ميت لأن الخاتمة مجهولة لا تعرف الا بوحي من الله ، وأن لعن الفساق والكفار عامة أو لعن صنف معين منهم في الجملة جائز ولكنه غير محمود شرعاً والأولى أن يستبدل

الانسان بذلك اللعن ذكر الله أو الكلام في الخير. وأقول إن جواز لعن الصنف أو النوع بمعنى عدم تحريمه مقيد بما اذا لم يكن سباً لهم في وجوههم لأن السب محرّم في ذاته لأنه بذاء مذموم وسبب للشحناء والعدوان وقد نهى الله تعالى عن سب معبودات المشركين لئلا يسبوا معبود المؤمنين، فقال في سورة الانعام «ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم» ولا يخفى ان حرمة الكتابي أعظم من حرمة المشرك واتقاء تنفيره أهم وان ايذاءه اذا كان ذمياً أو معاهداً أو مستأمناً محرم بالاجماع، وانه لا يصح أن يجعل لعن الفاسقين ذريعة الى تنفيرهم عن فسقهم كأن يحضر مجلس السكارى ويلعن شاربي الخمر على مسمع منهم لان الارشاد يجب أن يكون بالمعروف واللين — هذا وان لعن صنف من الكفار أو الفساق في حضرة أفراد من الصنف هو بمثابة لعن الاشخاص فهو معصيتان لأنه سب على من جهة ولعن لأشخاص معينين من جهة أخرى.

فعليك أيها المؤمن أن تحفظ ما بين فكيك فانه لا يكب الناس في النار على وجوههم الا حصائد ألسنتهم كما ورد في الحديث الصحيح عند الترمذي وابن ماجه. ولا تغتر ببعض حملة العمائم، وسكنة الاثواب المباعب، اذا رأيتهم يلعنون الأحياء والأموات ويكفرون المسلمين، ويبرزون خروجهم عن هدي الدين في معرض الدفاع عن الدين، فأولئك ليس لهم حظ من هدى الاسلام، ولا من العلم غير الثرثرة والتشدق في الكلام، وقد روى أحمد من حديث أبي ثعلبة ان النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال «ان أبغضكم الي وأبعدكم مني مجلساً الثرثارون المتفيهقون المتشدقون في الكلام» ومثله عند الترمذي من حديث جابر وله نظائر

ومن علامات هؤلاء السفهاء ان لهم في كل مجلس لسان ومع كل مخاطب وجه فهم المنافقون، هنا يذمون وهنالك يمدحون، وهم على الناس شر من المبتدعة وأهل الاهواء الذين يلعنون أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لان هؤلاء يغتر بهم العوام ما يغترون بأولئك. وشرهم الحساد الذين ينفرون الناس عن الحكماء المصلحين، ويخوضون في أعراض العلماء العاملين، «وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين»

باب التربية والتعليم

« الحب الحقيقي ومعاملة الوالدين للشاب العاشق »

المكتوب الرابع — من هيلانه الى ولدها (*)

لقد راقني منك يابني العزيز صراحتك وموافقة سرك لعلانيتك وأني مجتنبة كل الاجتناب ممازحتك في غانيتك التي نطت بها أمانيك ومع اعترافي بأن ما قصصته علي في شأنها لا يخلو من أمور تدعوني الى التفكر وتبيح لي أن أنبهك في أمرها الى تفاصيل أخالها مريبة أتحامى ان أجرد تلك الاماني من زهوها وأعريها من روائها فليس عليك الا أن تنكر انك شاب غر لما تختبر شيئاً من أمور الدنيا وانك وآسفي لسرعان ما تتعلم أن لا تغتر بالظواهر وعسى الله أن لا يجعل في ذلك خساراً عليك

قد تعاهدت أنا وأبوك على عدم التداخل في محباتك بحال من الاحوال فأنت حينئذ آمن من ضروب عذلي وتأنيبي ولكنك بما صرت ولي نفسك مسئول عن جميع ما يقترفه قلبك في سبيل الحب من الآثام واعلم أن من هو في مثل سنك يكون شديد الارتياح الى الاغترار والانخداع فكم شاب يحسب من الحب ما ليس هو الا اضطراباً في مشاعره وسراباً يبدو لحواسه لان الحب الصحيح هو الاستيلاء على نفس المحبوب ولا يبلغه الا من كان حقيقاً به واهلاله

لم يعلق بنفسي أدنى أثر مما للناس في الممثلات من الاوهام وانهم لظالمون في حكمهم على كثير منهن وحاشا أن أحكم على تلك القينة التي فتنتك بمحاسنها وأنا لا أعرفها وأنما أنبهك الى انك ليس لك حتى الآن أدنى وجه صحيح في أن تستنتج من بعض أحوالها معك أنها تفضلك على غيرك من عبادها فمن غرور الشبان أن يعتقدوا انهم محبوبون لأنهم محبون على أني أسلم لك ان قلبها مائل لمواطئك فالذي تعرفه منها والذي تلمسه من وراء حبها ليس من الخصائص المقومة للمرأة في شيء لانك انما تعشق منها تفننها وحسنها ودعابتها وهي مزايا

(*) معرب من باب تربية الشاب من كتاب أميل القرن التاسع عشر

تستفيد العامة منها أكثرمما يستفيده الرجل الذي قد تصير صاحبة له فهل تدري مايبقى لتمثال حبك الذي تعبده من المحاسن اذا زال عنه زخرف الملعب ورونقه وغرور العشق وخدعه ؟

أنت بنفسك فيما يظهر لي مرتاب من ماضي سيرتها لأنك تتمنى لو أتيح لك انقاذها من الدرك الذي هي فيه وهي فكرة كريمة جعلها أدباء العصر بدعة من البدع ومعاذ الله صيانة لشرف المرأة نفسه أن اعتقد ان ذنوبها لاتكفر بل اني أسلم ماقلته من ان الحب قد يمحو بعض الادناس ولكنا لانعلم كثيراً من أمثال النساء اللاتي أبن الى الرشد بعد الغي ثم اني لا أظنك فكرت فيما يعترض مقصدك الدال عن البسالة من الصعوبات والعوائق فان انقاذ الخاطئات الذي يحسن الطيش لبعض الشبان الاغرار أن يدعوه لأنفسهم يلابسه في معظم الاحيان من الكبر والعجب أكثر مما يصاحبه من الاخلاص الحقيقي فكأنهم بهذا يعتقدون أن ملائكة العشق اللاتي أهبطن الى حضيض الرذيلة ليس لهن من الصلف والاباء مثل مالهم . ان من يحاول ذلك العمل يجب أن يكون بالغاً من قوة النفس ولطف الذوق مبلغاً عظيماً يسمو به عن الغض من المرأة الخاطئة واذلالها ثم هل أنت في سنك هذا تأنس من نفسك قوة واقداماً على كتمان الغيرة فانها تبكيت ومؤاخذة للمرأة التي لم تكن طول حياتها عفيفة وهل لك من السلطان على نفسك مايكفي لاخفاء مايكون في معظم الاحيان مثاراً الريبة منك وهو ندمك على اجلالك لمثل تلك المرأة مع انه لايسمح به عادة الالزكية الطاهرة فاذا كنت لم تستكمل هذه الصفات فخل الجهاد عنك لانه لايكون من ورائه الازيادة من تزعم انقاذها خسراً

من الامهات من يكتبن لأبنائهن في مثل هذا الموضوع على أسلوب مغاير لهذا تمام المغايرة فتدينهم ويجتهدن في تخويفهم من عواقب طيشهم وغير الامهات قد لايرين في كل هذا الا مقدمة لواقعة من الوقائع الشائع حصولها بين الشبان وهفوة عادية من هفوات الطلبة وربما قلن فوق ذلك وهن مبتسمات «تهوينا تهوينا فمن الواجب اقالة عثرات الشباب» وأما أنا فأعلم انك جاد فيما كتبت والا لما

أفضيت الي بسرك ولهذا أجبتك بالجد ولست أخاف عليك الاأن تكون خدعة لما في خيالك من التوقد الذي هومن لوازم سنك ومن العبث القول بالتسامح في أمر الحب فليس أحد يسلم عليه بالاستخفاف به لانه اذا لم يرفع النفس ويزكيها فانه يسفلها ويدميها . وحسبي ماقلته في هذا الموضوع فلاأزيدك عليه شيئاً

جاءتنا أخبار من البيرو فقد كتب الينا قوبيدون وجورجيا بأنهما يذكرانك و«لولا» ذكراً كثيراً

ومما ينبغي ان تعلمه أيضاً أن «لولا» تفكر في اختيار مهنة لها فقد قالت لي من أيام مضت «اني أريد أن أتعلم حرفة من أجل أن . . . » وما عتمت ان فرت الى حجرتها قبل أن تتم كلامها وقد احمر وجهها خجلا

واراني أدركت مرادها وهو ان المرأة التي لامال لها ولاحرفة ليست حرة فاذا تزوجت فانما تزوج في الغالب مقام زوجها ومكانته و«لولا» لعزة نفسها وإبائها تنفر من هذا الاحتياج ولاترضى الاستكانة له فهي تريد أن تقول يوماً ما لمن يروقها من الناس انه في استطاعتي أن أعيش بعملي واني اذا أخلصت في تحصيل الاغتباط والسعادة لك فذلك لأني أحبك

أستودعك الله يابني العزيز وأوسع صدري على الدوام لتلقي أسرارك ومشاركتك في آلامك وأبعث لك في هذا قبلة الحب الذي لايتغير الا وهو الحب الذي لك في قلب أمك . اه

آثار علمية أدبية

مبادي التعليم • في الدين القويم

كتب الشيخ مصطفى بكري الاسيوطي مدرس اللغة العربية بمدرسة مغاغة الخيرية رسالة وجيزة في أركان الاسلام الخمسة لأجل تعليم المبتدئين جعلها أسئلة وأجوبة وهي منتزعة من الكتب المتداولة مع التساهل والتوسع في بعض المسائل فالرسالة سهلة من أحسن ما كتب للمبتدئين وكنا نود من معلمي المدارس الخروج

عن تقليد عبارات بعض المتأخرين الى ماهو أسهل منها وأقرب الى الاذهان فانه ليحزنني أن يلقن الولدان أن الواجب اعتقاده في الله تعالى عشرون صفة واجبة وعشرون صفة مستحيلة وصفة واحدة جائزة فان هذا الاصطلاح الذي جرى عليه السنوسي في عقيدته دقيق لايمكن أن يفهمه المبتدئ وحفظ الالفاظ ليس من الاعتقاد في شيء . ما هي الصفة التي تشمل الوجودي والعدمي والواسطة بينهما على القول بالواسطة وما فيه من الفلسفة الغريبة ؟ كيف كان الوجود الذى هو الجنس العالي لجميع الموجودات على التحقيق صفة ؟ وكيف كانت القدرة صفة وكونه قادراً صفة أخرى ؟ وكيف جعل فصل الشيء أو تركه صفة من الصفات؟ هل وردت هذه الاصطلاحات في الكتاب والسنة فنلتزم فهم العقيدة منها؟ هل كلفنا الله تعالى اعتقاد كون الملائكة أجساماً نورانية قادرة على التشكل بالصور الجميلة مسكنهم السموات دون الأرض وأن نعرف أربعة منهم فقط ؟ هل يذكر في العقائد الوجيزة ماورد أو استنبط من أحاديث الآحاد عن عالم الغيب ؟؟

لعل مؤلف هذه الرسالة وأمثاله ممن يكتبون للتعليم يسلكون مسلكاً آخر يفهمه تلاميذهم كأن يقولوا في تنزيه الله تعالى إن خالق هذه الكائنات لايشبهها ولاتشبهه فليس كمثله شيء مما نعرفه بحواسنا وتتصوره عقولنا فهو قديم ليس قبله شيء وهي حادثة لأنه هو الخالق وهي المخلوقة وهو باق أبدي لايفنى ولا يتغير وهي تتغير وتفنى . ويقولوا في الصفات الثبوتية ان الله تعالى عالم لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض لأنه خالق كل شيء والصانع الضعيف من الآدميين يعرف دقائق صنعته أفلايعلم الخالق من خلق؛ ويقولوا في عالم الغيب ان الله تعالى خلق خلائق كثيرة منها ما أعطانا حواساً ومشاعر لإدراكه ومنها ماهو مغيب عنا . وعالم الغيب عظيم لايحيط به الاالله تعالى وقد جاءنا الوحي بذكر بعض مافيه كالملائكة وحقيقتهم مجهولة عندنا لكن الله تعالى وصفهم بأوصاف العقلاء وأسند اليهم العبادة وتلقين الوحي للأنبياء وغير ذلك فنؤمن بما جاء به الوحي من ذلك لانزيد عليه ولا ننقص منه ولا نقيس عليه ولا نشبهه بما نعلم من عالم الشهادة . ولاغرابة في هذا فانا الى الآن لم نعرف حقائق ما نشاهده ومازال

يظهر لنا في هذا العالم أشياء كانت مغيبة لا نرى لها نظيرا فيما كنا نعرف من قبلها كالكهرباء مثلا . مثل هذا يقال ويكتب للمبتدئين

جواهر البلاغة — في المعاني والبيان والبديع

كتاب جديد ألفه الشيخ أحمد الهاشمي وجعل له خاتمة في القوافي وفنون الشعر وهو يمتاز على الكتب القديمة التي استمد منها بشيء يرغب القارئ في القراءة وينبه نشاطه ويحفز ذهنه وهو أنه جعل الكتاب على الطريقة المصرية في الوضع والطبع أي جعل فيه بياضاً كثيراً وعناوين كثيرة وجعل لكل مبحث تمريناً أما البياض فهو ما يترك غفلا في صحائف الكتاب بين أبوابه وفصوله ومباحثه وكذا في أعجاز السطور اذا تمت المسألة في أثناء السطر ، وقد أكثر صاحب جواهر البلاغة من هذا البياض حتى انه ليذكر الاقسام للشيء المقسم على هـذا النحو

« فصاحة المركب سلامته بعد فصاحة مفرداته من ستة أشياء »

١ تنافر الكلمات مجتمعة

٢ ضعف التأليف

٣ التعقيد اللفظي

٤ التعقيد المعنوي

٥ كثرة التكرار

٦ تتابع الاضافات

ومثل هذا كثير وقد جعل للكلام في الفصاحة عنواناً بحروف كبيرة ولفصاحة المفرد عنواناً مثله ولفصاحة المركب عنواناً آخر وعلى ذلك فقس . وقد بلغت كراريس الكتاب (ملازمه) ٢١ ولو طبع على الطريقة القديمة لما زادت على ١٥ الا قليلا وان هذا الوضع الذي يزينه حسن الطبع هو سبب من الرغبة في القراءة كما قلنا والرغبة في القراءة هي السبب الاول في الرواج ومن ثم ترى هذه الكتب التي توضع وتطبع على الطريقة المصرية أكثر رواجا ولا يعتبر بهذا الذين لا يزالون يلتزمون الطريقة العتيقة في جعل الكتاب كله كتلة واحدة سوداء يرمي اليها الناظر بطرفه فلا يكاد يميز مبحثاً من آخر ويرون هذا الصنيع اقتصاداً في الورق ولا يدرون أنه

ولم يقتصدوا هذا الاقتصاد لكان خيراً لهم وللناس . على أن السابقين ماوضعوا الفصول في الكتب الا ليكون بين المبحث وما يليه بياض يهدي الطرف الى بداية هذا وغاية ماقبله ولكن المتأخرين جعلوا لفظ (فصل) كالمتعبد به فصاروا يضعونه في أثناء السطر يتصل به ماقبله ومابعده فيكون وصلا لا فصلا

وضع في آخر الكتاب تقاريظ منها تقريظ عزي الى الاستاذ الامام رحمه الله تعالى نبهنا اليه من رأى الكتاب من الأدباء فرابهم عزوه لأن عبارته دون ماعهد من عبارات إمام البلاغة وقد رابنا مارابهم ووددنا لو يطلعنا المؤلف على الاصل الذي عنده بخط الاستاذ الإمام . وهذه عبارة التقريظ « اطلعت على كتاب جواهر البلاغة في علوم المعاني والبيان والبديع والعروض والقوافي وفنون الشعر والسرقات والمحاضرات الشعرية فوجدته كتاباً عظيما ، وأسلوباً حكيما ، يشهد لحضرة مؤلفه بملاك الذوق السليم ، والعقل الحكيم هداه الله الى «الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين . آمين » اه

ولاشك ان كل ذي ذوق سليم يعرف كلام الاستاذ الامام يرتاب في كون هذا التقريظ له واذا ظهر انه له وانه لاغلط فيه ولا تحريف التمسناله عذراً وأزلنا ارتياب المرتابين .

الألزم ، من لزوم مالا يلزم

«لزوم مالا يلزم» أو اللزوميات هو مجموع ما يؤثر عن الفيلسوف العربي أبي العلاء المعري من الشعر في الفلسفة الإلهية والاجتماعية والكونية وانتقادسيئات الانسان في الكون وغير ذلك من ضروب التخيل والحقيقة . وهو ديوان طويل شهير يدخل في سفرين كبيرين وقد عمد أحمد أفندي نسيم الشاعر المصري وعبدالله أفندي المغيرة الاديب النجدي الى الكتاب فاختارا منه أرقه وأعذبه في مذاقهما وطبعاه في ديوان لطيف سمياه (الالزم) الخ وكتبا في أوله ترجمة وجيزة للناظم ذكرا في آخرها ما كنا أوردناه في ص ٢٧٣ من المجلد السابع دليلا على صحة عقيدته وقوة دينه . وقد نقلنا هناك الابيات التي كان أنشدها في خلوته كما كتبت في ترجمته وهكذا أوردها صاحبا الألزم والبيت الاول منها محرف وهو

كم غودرت غادة كعاب وعمرت أمها العجوز

فإن السياق يدل على أنه يريد كم ماتت فتاة ناعمة الشباب كاعبة الثديين وعمرت بعدها أمها العجوز ولفظ « غودرت » لا يدل على الموت لان معناه تركت وكنا بعد ان نشر الجزء الذي كتبنا فيه الأبيات اهتدينا الى أن غودرت محرفة عن «غوضرت» ولم يتح لنا التنبيه الى ذلك اذ كنا لا نذكره عند كتابة المنار حتى تذكرناه الآن . واذا صح هذا ولا اخاله الا صحيحاً فهو قد استعمل غوضرت بمعنى ماتت في غضارتها ونضرة شبابها ولكن الصيغة التي جاءت من هذه المادة بهذا المعنى هي « اغتضر » ففي كتب اللغة التي في أيدينا اغتضر فلان بالبناء للمفعول مات شاباً صحيحاً أي في غضارة شبابه وريعانه ومثله اختضر وهو مأخوذ من اختضر الكلأ اذا أخذه أو رعاه طرياً غضاً في ريعان خضرته ويقال اختضر الفاكهة اذا أكلها قبل إدراكها اذ تكون خضراء ولا يبعد أن يكون المعري قد روى غوضر بمعنى اغتضر أو يكون ممن يستجيز مثل هذا البناء ويراه قياساً

وتذكرت أيضاً –والشيء بالشيء يذكر– ما كنت كتبته في ترجمة محمود سامي البارودي (ص٨٣٦م٧) من نفي المعرفة بكون صيغة تفزّع عربية مسموعة لأنهالم تذكر في مادة ف ز ع من القاموس وشرحه ولسان العرب وغيرها من الكتب ثم رأيتها في القاموس نفسه في آخر مادة روع قال « وتروّع تفزع » وعزمت على ذكرها في المنار وكنت أنساها عند الكتاب مع ان جريدة الصاعقة انتقدتها علي منذ أشهر فذكرتني بها ولكن في غير وقت كتابة المنار ولكل شيء أجل

هذا وقد طال الكلام في الاستطراد وشعر المعري غني عن التقريظ وقد طبع المختار من اللزوميات طبعاً جميلا وهو يطلب من طابعيه

أبو مسلم الخراساني

قصة تاريخية غرامية هي الحلقة التاسعة من سلسلة القصص التي يؤلفها جرجي أفندي زيدان ويطبعها في مجلته «الهلال» واسم هذه القصة يدل على ان ما فيها من تاريخ المسلمين هو قيام أبي مسلم بالدعوة الى الخلافة العباسية حتى سقطت بسعيه الدولة الأموية . وقد صارت طريقة صاحب الهلال في تأليف القصص معروفة

للجماهير فقصصه غنية بهذه الشهرة عن التقريظ والتنوية ببيان فائدتها التاريخية وفكاهتها الأدبية فحسب المقرظ أن يعلم الناس بأن القصة طبعت على حدتها وانها تطلب من مكتبة الهلال بالفجالة

السلاح الخفي — اليد الاثيمة

قصتان افرنجيتان ترجمهما صالح أفندي جودت ونظمتا في سلك قصص « مسامرات الشعب » والمراد بالسلاح الخفي السم وباليد الاثيمة يد امرأة شريرة فاجرة كانت تنتقم بالسم من أعدائها وفي القصتين غرائب تلذ القاريء ولكنني أنصح لصاحب هذه المسامرات أن يختار القصص التي تمثل الفضيلة وتشرح محاسن آثارها على القصص التي تمثل الرذيلة وان ساءت عاقبة أنصارها الآن تذكر الرذيلة من غير شرح لكيفيتها وتطويل بذكرها ويكون الاسهاب في بيان سوء مغبتها وشقاء أربابها

ألف نادرة ونادرة

كتاب لمحمد أفندي مسعود أحد كتاب جريدة المؤيد «محرريها» جمعه من الكتب الافرنجية وطبعه في مطبعته المعروفة بمطبعة الجمهور وصفحاته ٣٥٥ وفي هذه النوادر ماهو فكاهة وحكمة وما هو فكاهة فقط أوحكمة فقط ومنها ماليس بشيء وجملة القول فيها أنها من المسليات التي يرغب فيها عند السآمة من العمل والكتاب لطلب من صاحبه في المؤيد بمصر

تاريخ الاستاذ الامام

يوزع هذا الجزء من المنار ونحن شارعون في طبع قسم التأبين والمراثي والتعازي من تاريخ الاستاذ الإمام وهو وحده يدخل في مجلد ضخم وفيه مما لم يطلع عليه القراء في هذه البلاد أقوال بعض الجرائد المعتبرة في الاقطار الغربية الشرقية ومراثي وتعازي بعض العلماء والأدباء التي لم تنشر في الجرائد المصرية ويتلوه طبع جزء منشآت الفقيد من المقالات العلمية والاجتماعية والرسائل الدينية والأدبية وغير

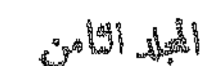
ذلك مما هو غير منشور ولا متداول ومنه مقالات «العروة الوثقى» برمتها . ونؤخر طبع جزء سيرته وترجمة حياته المطولة الى ما بعد تمام طبع هذين الجزئين لزيادة التروي والاتقان لأنها تكتب بحرية كاملة وبفصل فيها ما لقيه في سبيل الاصلاح من العناء وما قيل فيه وما كيد له

ومتى تم طبع هذا الجزء الذي شرعنا فيه نعلن عنه في الجرائد ونجعل لكل مشترك في المنار الحق في أخذ نسخة منه مجاناً اذا كان قد أدى قيمة الاشتراك تامة . واننا في هذا المقام نعيد استجداء أصدقاء الامام ومريديه بأن يتفضلوا علينا بل على التاريخ بما عساه يوجد عندهم من آثاره القلمية وما يعرفون من مناقبه الشخصية، لنضع كل شيء في موضعه من التاريخ فان الطبع فيه سيكون متصلا ان شاء الله تعالى

هذا وان للفقيد تغمده الله برحمته صورة شمسية قد أخذت عنه وهو يصلي في معبد عام في لندره عند زيارته الأولى لها وذلك انه أدركه وقت الصلاة في ذلك المكان الذي هو كحديقة الازبكية بمصر ورأى انه اذا عاد الى المكان الذي يقيم فيه فان الصلاة تخرج عن وقتها فصلى على الأرض حيث كان فأسرع حاملو الآلات الفوتغرافية الى أخذ صورة عالم شرقي في هيئة عبادة لم يسبق لهم رؤية مثلها ثم وصلت تلك الصورة الى هذه البلاد والى سوريا وتونس فمن كان عنده صورة منها فليتكرم علينا بها لنأخذ مثلها ونعيدها له وله الفضل والشكر

شكر بعد شكر

كنا كلفنا بعض أصحاب الجرائد اليومية المعتبرة في هذا القطر بأن يعبروا عن شكر منشيء هذه المجلة وأشقائه للذين عزونا عن فقد والدنا الجليل (تغمده الله برحمته) ثم جاءتنا تعاز أخرى في البرق والبريد من أنحاء القطر ومن السودان ثم من بلاد الهند ومن بلاد المغرب فوجب علينا نبذيء الشكر ونعيده لجميع الذين تفضلوا بتعزيتنا أولاً وآخراً ونسأل الله تعالى أن يقيهم الأرزاء ، ويديم عليهم النعماء ،



فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: إن للاسلام صوى و«منارا» كمنار الطريق)

﴿ مصر — غرة رمضان سنة ١٣٢٣ — ٢٩ أكتوبر (ت ١) سنة ١٩٠٥ ﴾

باب العقائد

(نموذج آخر من شرح عقيدة السفاريني)

تنبيهات

(الاول) لا خلاف بين العقلاء ان الله سبحانه وتعالى متصف بجميع صفات الكمال منزه عن جميع صفات النقص لكنهم مع اتفاقهم على ذلك اختلفوا في الكمال والنقص فتراهم يثبت أحدهم لله ما يظنه كمالا وينفي الآخر عين ما أثبته هذا لظنه نقصاً وسبب ذلك أنهم سلطوا الأفكار على ما لا سبيل اليه من طريق الفكر فان الله تعالى خلق العقول وأعطاها قوة الفكر وجعل لها حدا تقف عنده من حيث ما هي مفكرة لا من حيث ما هي قابلة للوهب الإلهي فاذا استعملت العقول أفكارها فيما هو في طورها وحدها ووفت النظر حقه أصابت باذن الله تعالى واذا سلطت الأفكار على ما هو خارج عن طورها ووراء حدها الذي حده الله لها ركبت متن عمياء وخبطت خبط عشواء فلم يثبت لها قدم ولم ترتكن على أمر تطمئن اليه فان معرفة الله التي وراء طورها مما لا تستقل العقول بادراكها من طريق الفكر وترتيب المقدمات وانما تدرك ذلك بنور النبوة وولاية المتابعة فهو اختصاص إلهي يختص به الانبياء وأهل وراثتهم مع حسن المتابعة وتصفية القلب من وضر البدع والفكر من نزغات الفلسفة والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم

ومما يوضح ذلك ان العقول لو كانت مستقلة بمعرفة الحق وأحكامه لكانت الحجة قائمة على الناس قبل بعث الرسل وانزال الكتب واللازم باطل بالنص قال تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وقال تعالى (ولو انا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل ان نذل ونخزى) فكذا الملزوم فلما بعث الله الرسل وأنزل الكتب وجبت لله على الخلق الحجة البالغة وانقطعت علة الاعتذار (فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه* لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) ولما عجزت العقول من طريق الفكر عن معرفة الحق التي هي وراء طورها ومنحها القبول وقد أنزل الكتاب وأنزل فيه ما حارت في ادراكه العقول من الآيات المتشابهات التي لا يعلم تأويلها الا الله أمرنا الشارع بالايمان بها ونهانا عن التفكر في ذات الله رحمة منه بنا ولطفا لعجزنا عن ادراكه فان تسليط الفكر على ما هو خارج عن حده تعب بلا فائدة ونصب من غير عائده وطمع في غير مطمع وكد من غير منجع وقد أمرنا بالايمان بالمتشابه وفي الحديث «تعلموا القرآن والتمسوا غرائبه يعني فرائضه أي حدوده وهي حلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال فأحلوا حلاله وحرموا حرامه واعملوا بمحكمه وآمنوا بمتشابهه واعتبروا بأمثاله» رواه الديلمي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وأخرجه الحاكم وصححه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ولفظه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «كان الكتاب الاول ينزل من باب واحد على حرف واحد ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف زجر وأمر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال فأحلوا حلاله وحرموا حرامه وافعلوا ما أمرتم به وانتهوا عما نهيتم عنه واعتبروا بأمثاله واعملوا بمحكمه وآمنوا بمتشابهه وقولوا آمنا به كل من عند ربنا» وروى نحوه البيهقي في شعب الايمان من حديث أبي هريرة وروى ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «أنزل القرآن على أربعة أحرف حلال وحرام لا يعذر أحد بجهالته وتفسير تفسره العرب وتفسير تفسره العلماء ومتشابه لا يعلمه الا الله ومن ادعى علمه سوى الله فهو كاذب» ثم رواه من وجه آخر عن ابن عباس موقوفا بنحوه وروى ابن أبي حاتم

من طريق العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال نؤمن بالمحكم وندين به ونؤمن بالمتشابه ولا ندين به وهو من عند الله كله وقالت عائشة رضي الله عنها كان رسوخهم في العلم ان آمنوا بمتشابهه ولا يعلمونه . ولما قدم ابن صبيغ المدينة المنورة وجعل يسأل عن متشابه القرآن أرسل اليه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد أعد له عراجين النخل فقال من أنت قال عبد الله بن صبيغ فأخذ عمر عرجوناً من تلك العراجين فضربه حتى أدمى رأسه وفي رواية فضربه بالجريد حتى ترك ظهره دَبِرَةً ثم تركه حتى برئ ثم أعاد عليه الضرب ثم تركه حتى برئ فدعا به ليعيده عليه فقال ان كنت تريد قتلي فاقتلني قتلاً جميلاً أو ردني الى أرضي فأذن له الى أرضه وكتب الى أبي موسى الأشعري أن لا يجالسه أحد من المسلمين . وفي فروع ابن مفلح من علمائنا ان عمر رضي الله عنه أمر بهجر ابن صبيغ لسؤاله عن الذاريات والمرسلات والنازعات انتهى وهذا من سيدنا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لسد باب الذريعة والآية الشريفة دلت على ذم متبع المتشابه ووصفهم بالزيغ وابتغاء الفتنة وعلى مدح الذين فوضوا العلم الى الله وسلموا اليه كما مدح الله تعالى المؤمنين بالغيب فعلى العاقل الناصح لدينه ونفسه أن يسلك مسلك السلف الصالح وأن يرقى على سلم التسليم فانه من أنجح المصالح وأن يؤمن بالمتشابهات من آيات الأسماء والصفات كما فعل الصحابة والتابعون ويمتثل من نبيه خاتم النبيين وامام المرسلين في قوله « وآمنوا بمتشابهه وقولوا آمنا به كل من عند ربنا » فلقد بالغ في النصيحة بأدلة صحيحة وكلمات فصيحة فجزاه الله عنا خير ما جزى نبيا عن قومه ورسولا عن أمته ورضي الله تعالى عن آله وصحبه والتابعين لهم باحسان وذوي الحق وحزبه

﴿ الثاني ﴾

اعلم أن مذهب الحنابلة هو مذهب السلف فيصفون الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل فالله تعالى ذات لا تشبه الذوات متصفة بصفات الكمال التي لا تشبه الصفات من المحدثات فاذا ورد القرآن العظيم وصحيح سنة النبي الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم بوصف للباري جل شأنه تلقيناه بالقبول والتسليم

ووجب اثباته له على الوجه الذي ورد ونكل معناه للعزيز الحكيم ولا نعدل به عن حقيقة وصفه ولا نلحد في كلامه ولا في أسمائه ولا في صفاته ولا نزيد على ما ورد ولا نلتفت لمن طعن في ذلك ورد فهذا اعتقاد سائر الحنابلة كجميع السلف فمن عدل عن هذا المنهج القويم زاغ عن الصراط المستقيم وانحرف فدع عنك فلاناً عن فلان وعليك بسنة سيد ولد عدنان فهي العروة التي لا انفصام لها والجنة الواقية التي لا انحلال لها والله تعالى الموفق

الثالث

قد ذم السلف الصالح الخوض في علم الكلام والتقصي والتدقيق فيما زعموا انه قضايا برهانية وحجج قطعية يقينية وقد شحنوا ذلك بالقضايا المنطقية والمدارك الفلسفية والتخيلات الكشفية والمباحث القرمطية وكان أئمة الدين مثل مالك وسفيان وابن المبارك وأبي يوسف والشافعي وأحمد واسحق والفضيل بن عياض وبشر الحافي يبالغون في ذم الكلام وفي ذم بشر المريسي وتضليله حتى ان هارون الرشيد خامس خلفاء بني العباس قال يوماً بلغني ان بشر المريسي يقول ان القرآن مخلوق ولله علي ان أظفرني به الله لأقتلنه قتلة ما قتلتها أحداً فأقام بشر متوارياً أيام الرشيد نحوا من عشرين سنة قال شيخ الاسلام بن تيمية وهذه التأويلات التي ذكرها بن فورك ويذكرها الرازي في (تأسيس التقديس) ويوجد منها في كلام غالب المتكلمة من الجبائي وعبد الجبار وأبي الحسين البصري وغيرهم هي بعينها التأويلات التي ذكرها بشر المريسي ورد عليه الامام الدارمي عثمان بن سعيد أحد مشاهير أئمة السنة من علماء السلف في زمن البخاري في المائة الثالثة في كتابه الذي سماه (رد عثمان بن سعيد على الكاذب العنيد فيما افترى على الله من التوحيد) فحكى هذه التأويلات بأعيانها عن بشر المريسي بكلام يقتضي ان المريسي أقعد بها وأعلم بالمعقول والمنقول من هؤلاء المتأخرين الذين اتصلت اليهم من جهته وقد أجمع أئمة الهدى على ذم أئمة المريسية وأكثرهم كفروهم وضللوهم وذموا الكلام وأهله بعبارات رادعة وكلمات جامعة . قال أبو الفتح نصر المقدسي في كتابه (الحجة على تارك المحجة) باسناده عن الربيع بن سليمان قال سمعت الامام الشافعي يقول ما

رأيت أحدا ارتدى بالكلام فأفلح ولما كلمه حفص الفرد من أهل الكلام قال لأن يبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه خلا الشرك بالله عز وجل خير له من أن يبتلى بالكلام وقال حكمي في أصحاب الكلام أن يصفعوا و ينادى بهم في العشائر والقبائل هذا جزاء من ترك السنة وأخذ في الكلام وقال سيدنا الامام أحمد عليكم بالسنة والحديث وما ينفعكم واياكم والخوض والمراء فانه لا يفلح من أحب الكلام وقال في علماء أهل البدع من المتكلمة لا أحب لاحد أن يجالسهم ولا يخالطهم ولا يأنس بهم فكل من أحب الكلام لم يكن آخر أمره الا الى البدعة فان الكلام لا يدعوهم الى خير فلا أحب الكلام ولا الخوض ولا الجدال عليكم بالسنن والفقه الذي تنتفعون به ودعوا الجدال وكلام أهل الزيغ والمراء ادركنا الناس وما يعرفون هذا ويجانبون أهل الكلام وقال رضي الله عنه من أحب الكلام لم يفلح عاقبة الكلام لا تؤول الى خير أعاذنا الله واياكم من الفتن وسلمنا واياكم من كل هلكة وقد نقل عن هذين الامامين من ذم الكلام وأهله كلام كثير مذكور في كتب علماء السلف وعن عبد الرحمن بن مهدي قال دخلت على الامام مالك بن أنس وعنده رجل يسأله عن القرآن والقدر فقال الامام مالك رضي الله عنه للرجل لعلك من أصحاب عمرو بن عبيد لعن الله عمرا فانه ابتدع هذه البدعة من الكلام ولو كان الكلام علما لتكلم به الصحابة والتابعون رضي الله عنهم كما تكلموا في الاحكام والشرائع ولكنه باطل يدل على باطل: فهل يكون أشد من هذا الانكار من هؤلاء الائمة الكبار وقال محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة سمعت أباحنيفة يقول لعن الله عمرو بن عبيد فانه مبتدع والنصوص عن أئمة الهدى في ذلك كثيرة جدا وروى الامام الحافظ شمس الدين الذهبي في كتابه (العرش) بسنده الى أبي الحسن القيرواني قال سمعت الاستاذ أبا المعالي الجويني يقول يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام فلو عرفت ان الكلام يبلغ بي الى ما بلغ ما اشتغلت به وقال الفقيه أبو عبد الله القسمي قال حكى لنا الامام أبو الفتح محمد بن علي الفقيه قال دخلنا على الامام أبي المعالي الجويني نعوده في مرض موته فاقعد فقال لنا اشهدوا على أني قد رجعت عن كل مقالة قلتها أخالف فيها السلف الصالح واني أموت على ما يموت

عليه عجائز نيسابور قال الحافظ الذهبي قلت هـذا معنى قول بعض الائمة عليكم بدين العجائز يعني انهن مؤمنات بالله على فطرة الاسلام لم يدرين ما علم الكلام قال الحافظ الذهبي وقد كان شيخنا أبو الفتح القشيري رحمه الله تعالى يقول

تجاوزت حد الاكثرين الى العلى   وسافرت واستبقيتهم في المفاوز
وخضت بحارا ليس يدرك قعرها   وسيرت نفسي في قسيم المفاوز
ولججت في الافكار ثم تراجع اختياري الى استحسان دين العجائز

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية في رسالته الحموية وقد أخبر الواقف على نهايات اقدام المتكلمة بما انتهى اليه من مرامهم

لعمري لقد طفت المعاهد كلها   وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أر الا واضعاً كف حائر   على ذقن أو قارع سن نادم

وقول بعض رؤسائهم

نهاية اقدام العقول عقال   وأكثر سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا   وغاية دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا   سوى ان جمعنا فيه قيل وقال

قال شيخ الاسلام ويقول الآخر منهم لقد خضت البحر الخضم وتركت أهل الاسلام وعلومهم وخضت في الذي نهوني عنه والآن ان لم يتداركني الله برحمته فالويل لفلان وها أنا ذا أموت على عقيدة أمي ويقول الآخر منهم أكثر الناس شكا عند الموت أصحاب الكلام قال شيخ الاسلام ثم اذا حقق عليهم الامر لم يوجد عندهم من حقيقة العلم بالله وخالص المعرفة به خبر ولم يقعوا من ذلك على عين ولا أثر وما ذكرناه عن الأنباه قطرة من بحر لجي وبالله التوفيق

فان قلت اذا كان علم الكلام بالمثابة التي ذكرت والمكانة التي عنها برهنت فكيف ساغ للائمة الخوض فيه والتنقيب عما يحتويه ثم انك أتيت ما عنه نهيت وحررت ما عنه نفرت وهل هذا الا في بادي الرأي مدافعة وجمع للشيئين اللذين بينهما تمام الممانعة قلت ان ما ذهب اليه ذهنك من التمانع لممتنع وما سنح في خلدك من التدافع لمندفع بل العلم الذي نهينا عنه غير الذي ألفنا فيه والكلام الذي حذرنا منه غير

الذي صنف فيه كل امام وحافظ وفقيه فعلم الكلام الذي نهى عنه أئمة الاسلام هو العلم المشحون بالفلسفة والتأويل والالحاد والأباطيل وصرف الآيات القرآنية عن معانيها الظاهرة والأخبار النبوية عن حقائقها الباهرة دون علم السلف ومذهب الأثر وما جاء في الذكر الحكيم وصحيح الخبر فهذا العمري ترياق القلوب الملسوعة بأراقم الشبهات وشفاء الصدور المصدوعة بتراجم المحدثات ودواء الداء العضال وبازهر السم القتال فهو فرض عين أو عين فرض على كل نبيه وهو العلم الذي تعقد عليه الخناصر لدحض حجة كل متحذلق وسفيه فزال هذا الاشكال والله ولي الافضال » اه المراد

(المنار) ماذكر من ذم السلف لعلم الكلام الذي يقصد به الجدل ثابت لا ريب فيه وقد يشكل على القراء ضرب عمر لصبيغ مع ما كان عليه المسلمون من الحرية في الصدر الأول حتى أنهم لم يقتلوا أحداً من مثيري الفتنة على عثمان بل نفوهم من بعض البلاد الى غيرها عندما رأى أمراء الامصار أثر فتنتهم فيها والسبب في تشديد عمر رضي الله عنه على صبيغ هو تعرضه للناس وتشكيكهم في دينهم فكان يجالس العامة والاعراب و يسألهم عن متشابه القرآن قال في القاموس عند ذكر اسمه « كان يعنت الناس بالغوامض والسؤالات فنفاه عمر الى البصرة » وخبر النفي هو المشهور وأما الضرب في النفس من كلامهم فيه شيء أقله المبالغة على ان الحاكم يجب عليه أن يدفع عن رعيته من يعتدي على عقائدهم وأفكارهم، كما يدفع عنهم من يعتدي على أجسامهم وأموالهم، وقد سبق لنا ذكر مسألة صبيغ في المنار ولا أذكر الآن الموضع الذي ذكرت فيه. وأما ذم الكلام على طريقة الجدل والتحيز للمذاهب فقد رجع اليه أكابر النظار من علماء الكلام بعد بلوغ الكمال كحجة الاسلام الغزالي والذي حققوه ان يلقن الجماهير من المسلمين عقيدتهم كما وردت في الكتاب والسنة من غير تأويل ولا جدل ولا خوض في النظريات وأن تذكر لهم الأدلة الكونية كما ذكرت في القرآن وان يذكر لهم وجه الاعتبار والخشية من ذكر صفات الله تعالى مع تنزيهه عن مشابهة الحوادث فاذا ذكرنا قوله «وهو السميع البصير» نتدبر ذلك معتقدين انه لا يخفى عليه شيء من أقوالنا وأفعالنا ولا نبحث في كيفية سمعه وبصره كما لا نبحث عن كيفية علمه وقدرته

باب المقالات

الحياة الزوجية

﴿٦﴾

ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون* (سورة الروم ٣٥—٢٠)

الركن الثالث من أركان هذه الحياة — الرحمة

تقدم ان الطور الاول من أطوار هذه الحياة خاص بالزوجين وهو سكون نفس كل منهما الى الآخر ذلك السكون الذي لا نظير له بين سائر المتحابين لغير اتحاد الزوجية وهو وجدان من وجدانات النفس لا يعرف كنهه الا الزوجان اللذان أحسنا الاختيار فتعارف الروحان وتمازج النفسان، فكانا حقيقة واحدة لها صورتان، وأن الطور الثاني يشاركهما فيه غيرهما وهو الود الذي تحدثه المصاهرة بين عشيرتي الزوجين الوديدين، ونبين في هذه المقالة ان الطور الثالث مشترك بين الزوجين وما يرزقان من الولد

الرحمة ضرب من ضروب وجدان النفس له مثار في النفس غير مثار السكون الى المحبوب والأنس به، وغير مثار مودة المشارك في المعيشة والمشابك في المصلحة، ذلك الذي يثير وجدان الرحمة، ويهز عاطفة الرأفة والشفقة، هو ما ترى في غيرك من ضعف أو سقم، أو حاجة يصحبها ألم، وهذا هو ملاك الحياة الزوجية عند حدوث الأمراض والأدواء، وعند ما تذوي غصن الشبيبة هاتيك الأهواء، ولو لم يودع الله تعالى الفطرة الا سكون الزوج لملامسة الزوج ومودة كل منهما للآخر للتعاون على المصالح والمنافع التي هي قوام معيشتهما لكانت الحياة الزوجية نعيماً في الشباب بؤساً في الشيخوخة، سعادة في السراء، شقاوة في الضراء، يتمتع كل من الزوجين بصحة الآخر ونشاطه، وبسطته واغتباطه، حتى اذا لسعت أحدهما حمة الضر، أو عضته ناب الفقر، أو نالت السن من فتائه وجدته، مالم تنل الناب من ثرائه وجدته، استحال سكون الآخر اليه اضطراباً منه، وانقلبت مودته اياه مقاطعة له، وبالذلك لو كان من نقص عظيم، ينافي خلق الانسان في أحسن تقويم،

لاتحسبن هؤلاء الذين يملون أزواجهم عند السقم أو الهرم فلا يرحمون لهن ضعفاً ، واللواتي يملن أزواجهن في الكبر أو الفقر فلا يحفظن لهم عهداً ، قد سلمت لهم فطرة هذا النوع الكريم ، الذي خلقه الله في أحسن تقويم ، كلا بل أفسدت الشهوات فطرتهم ، ونكست الأهواء خلقتهم ، فلهم من الانسان صورته وشكله ، لا روحه ولا عقله ، ولا كرمه ولا فضله ، بل صاروا أعدى للإنسان من الشيطان ، وأضرى بعشرته من سباع الحيوان ، وأي خير يرجوه الإنسان في نوعه ، أو الأمة في خاصتها ، ممن لاخير فيه لمن انفصل لأجله عن أمه وأبيه ، وأخته وأخيه وعشيرته التي تؤويه ، واتصل به على عهد الله وميثاقه في الفطرة البشرية ، والشريعة السماوية ، فكان معه روحاً حلت في جسمين ، وهيولى تجلت في صورتين ، ثم لم يلبث بعد فراغ حظه منه أن انفصل عنه ، لايرحم له ضعفه ، ولا يعطف عليه عطفه ، ؟ أليس المشارك له في النوع والصنف ، أولى بهذه القسوة وهذا العنف ، ؟ بلى ان هؤلاء الذين استعبدتهم الأثرة واسترقتهم «الأنانية» ، أعداء الأهل والأقربين ، بل أعداء البشر كلهم أجمعين ،

هذا الضرب من فساد الفطرة هو في الرجال أكثر منه في النساء والعدوى فيه تفعل فعلها في البيوت تسير سير البريد من بيت الى آخر ولا آسي يأسو هذا المرض الذي كاد يكون وباء . وأنى يوجد الأساة أو تنتفع الأمة بمن عساه يوجد منهم وطب القلوب مهجور وأهله كأهل طب الابدان منهم العالم العامل ومنهم الدجال المحتال وقد مضت سنة السكون بأن الأمة في طور ضعفها وضعتها تدين للدجالين المحتالين ، وتنفر من العارفين الناصحين ، لذا ترى مدعي طب الأرواح عندنا من أكبر الأعوان على تخريب البيوت فمنهم الذين جعلوا طب القلوب الظاهر وسيلة لإعانة كل زوج على قهر الآخر بالتقاضي كبعض القضاة والمحامين ، ومنهم الذين جعلوا طبها الباطن ذريعة الى استحلال المحرمات بالفعل اعتماداً على شفاعة الشافعين ، والانتساب بالقول الى المشايخ الميتين ،

فطر الله تعالى قلوب البشر على الرحمة ليتراحموا فلا يهلك فيهم العاجز والضعيف ، وكل احد عرضة لاستحقاق الرحمة في يوم من الأيام ، وجعل سبحانه حظ الوالدين والزوجين من الرحمة أرجح ليعنى بكل فرد من الناس أقرب الناس

منه عند شدة الحاجة الى العناية والكفالة فالزوج أرحم عند الضعف في المرض أو الكبر ، كالوالدين لولدهما عند ضعفه في الصغر ، بل تجد المرأة أرحم ببعلها في مرضه أو كبره من أمه لو وجدت وتجد الرجل أرحم بسكنه في مرضها أو كبرها من أبيها لو وجد اذا كانت الفطرة سليمة ، فان لم يكن كل من الزوجين أرحم بالآخر في كبره من والديه فانه يقوم مقامهما اذ لا يضعف كل من الزوجين ويحتاج الى الرحمة الا بعد موت الوالدين في الغالب فان مرض وهما في صحتهما فانهما يكونان بعيدين عنه لا يسهل عليهما ترك بيتهما ومن عساه يكون فيه من محتاج الى رحمتهما لأجل لزام ولدهما الكبير المتزوج . فظهر ان كلا من الزوجين في حاجة الى رحمة الآخر به عند ضعفه لا يقوم بها سواه من الأقربين أو المستأجرين مقامه فيها

ليست الأريحية في سكون الزوج الى زوجه عند داعية المسيس ولا أريحية مودته ومودة أهله في المعاشرة والمعاملة بأكبر من الأريحية التي يجدها لرحمته به وحنوه عليه في حال الضعف ، فإن الانسان يشعر بالارتياح من عناية غيره به عند الحاجة ما لا يشعر بها عند الاستغناء ، فالضعفاء والمرضى والمملقون يكبرون من أمر الوفاء والاعتناء ، ما لا يكاد يشعر به الاقوياء والأصحاء والأغنياء ، « ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى » وان من طغيانه أن يعتقد أن كل من يحفل به ويعنى بشأنه فانما يفعل ذلك لأجل نفسه لا لأجله هو لان الناس في حاجة اليه وهو ليس في حاجة اليهم ، وقد يبلغ به الطغيان الى ادخال زوجه وولده في هذا الحكم فاذا تحول مد طغيانه الى جزر بالمرض أو الحاجة رق قلبه ولطف شعوره وكان أعدل في الحكم وأقرب الى عرفان قدر النعمة والشكر عليها

يسمون مسألة الزواج مسألة « مستقبل الانسان » وان كنت تجد في الاغرار من لا يفكر عند ارادة التزوج بمستقبله مع من يختاره زوجا له فانك لا تكاد تجد من لا يعبأ بهذا المستقبل اذا ذكر به فأعمل فكره فيه الا ما يكون من بعض المترفين اذا فتن أحدهم بجمال امرأة يود أن يقضي منها وطرا ثم لا يبالي ما يكون بعد ذلك ومثل هذا اذا مل طلق ولا تكاد تجد امرأة ترضى بالتزوج بمثله ، على أن هذا النوع من الازدواج ، هو أشبه بالاستئجار أو البغاء منه بالزواج ، وانما

الزواج الشرعي الطبيعي ما كان عن ارادة الاشتراك في الحياة مدة الحياة والا كان متصفاً بالغش والمخادعة ولا أرى الشيعة يدينون بجواز هذا الضرب من المتعةلان الغش محرم بالاجماع لاخلاف في ذلك بين سني وشيعي . واذا كانت مسألة الزواج هي أعظم مسائل مستقبل الانسان الخاصة أفلا يكون من أعظم الشقاء أن يبدأ أمر الزوجين بالسكون والود في السراء ، وينتهي بالاضطراب والتخاذل في الضراء ، يشكر أحد الزوجين للآخر عند إمكان استبداله أو الاستغناء عنه ، ويكفره أحوج ما كان اليه ، أي عاقل يرضى بهذه الخاتمة السوءى اذا علم بها أوظن أن ستكون؟

لاشيء يخفف أثقال الفقر وأوزاره عن كاهل الرجل يحمله مثل المرأة التي ترحمه في فقره فتظهر له الرضى والقناعة ولا تكلفه ما تعلم ان يده لاتنبسط له فما بالك اذا كانت ذات فضل تواسيه به ، ولا شيء يعزي الانسان عن مصابه في نفسه وغيره مثل المرأة للرجل والرجل للمرأة اذا ظهرت عاطفة الرحمة في أكمل مظاهرها فشعر المصاب بأن له نفساً أخرى تمده في القوة على مدافعة هذه العوارض التي لا يسلم منها البشر، واعكس الحكم في القضيتين، يتجلى لك وجه الصواب في الصورتين،

اذا كان لركن الزوجية الاول وهو السكون المهود تأثير في الثاني وهو المودة فلا ريب أن الركن الثالث وهو الرحمة يكون أثرا للركنين قبله أوفرعاًلها فعلى قدر السكون والمودة بين الزوجين في النعماء ، تكون الرحمة بينهما في البلاء، لأن مصاب الوديد المحبوب يعيد للنفس ذكرى جميع حسناته، وطيب أيامه وأوقاته ، ويمثلها في أبهى حللها ، ويعرضها على النفس في أجمل معارضها ، (المعرض هو الثوب الذي تجلى فيه العروس) فيخيل الى المحب ان تلك الحسنات واللذات قد اجتمعت وان المصاب يحاول أن يشتت شملها ، ويقطع حبلها ، فهو يواثب الذاته المجتمعة في شخص محبوبه، ويحاول سلب منافعه باغتيال نفس وديده، فمن أراد أن يحسن مستقبله في هذه الحياة فليجتهد أولا في حسن اختيار الزوج ثم ليخلص له المودة ثانياً ليتمتع بوفائه أولا وآخرا وباطنا وظاهرا

ما أجهل الرجل يسيء معاشرة امرأته وما أحمق المرأة تسيء معاشرة بعلها، يسيء أحدهما الى نفسه من حيث يسيء الى الآخر فهو مغبون غالباً ومغلوباً ومارأيت

ذنباً عقوبته فيه كذنب اساءة الزوج الى الزوج بل أرى العذاب يضاعف في الدنيا على ذنب الزوجية فيكون زوجاً لا فرداً وكل ذنب له عقوبة في النفس أو فيما يتعلق بالنفس تكون أثراً طبيعياً له الاذنب أحد الزوجين في مغاضبة الآخر فانه هو نفسه عقوبة لنفس مقترفه يؤلمها ويمضها ثم انه يلد لها عقوبة أو عقوبات أخرى تكون أثراً له كسائر الذنوب . ولكن أثر ذنب الزوجية ليس كآثار غيره لأنه هو ليس كغيره فكبر الآثار وصغرها تابع لحال المؤثرات

أنهاك أيها المعزابة أن تسارع الى الزواج مهما تمادت بك العزوبة الا بعد حسن الاختيار ، وأنهاك أيتها الأيم وأولياءك أن تجيبوا خاطباً الا بعد التروي في الاختيار ، وأعظكما اذا أنتما تزوجتما فلم تجدا ذلك السكون النفسي كاملا ، وذلك الودّ الطبيعي مواصلا ، أن يتحبب كل منكما ويتودد الى الآخر مااستطاع ويجعل أكبر همه في هبته واستهابه قلبه لتحسن الحال ، ويرجى حسن العاقبة في المآل ، فان عجزا عن ذلك بعد الإخلاص في طلبه ، والجد في إدراكه ، فليتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله عليماً حكيما

اذا رزق الله الزوجين الولد تنمو به بينهما المودة والرحمة ويكون هو منبعاً لرحمتها فاشتركا كلاهما في هذه الرحمة الوالدية التي لها مصدر واحد ومورد واحد يؤكد الصلة بينهما فبيناهما معتصمان بحبل الزوجية الذي هو من أقوى الروابط الحيوية اذا هما معتصمان بحبل الوالدية الذي هو أقواها على الاطلاق وكيف لا يكون كذلك ورابطة الزوجية هي طاقة من طاقات حبل الوالدية اذ الوالدان هما الزوجان قد انتجا فكملت حيوتهما وجاءت بثمرتها .

كل واحد من الوالدين يشعر من حيث هو والد بما يشعر به الآخر ويملكه الوجدان الذي يملك الآخر وتتولد فيه الآمال التي تتولد في الآخر ويكون جده وسعيه لمثل مايجد ويسعى له الآخر ويرى سعادته عين سعادة الآخر ، أرأيت هذا الاتحاد في هذه الشؤون كلها اذا صافح اتحاد الزوجية وعانقه كيف يكون حال المتحدين في تراحمهما وتعاطفهما بل في تمازجهما وفناء كل منهما في الآخر ؟ لو كانت المسألة نظرية محضة لحكم الناظر فيها مع سلامة الفطرة بأن الحياة الوالدية

هي كمال الحياة الزوجية وان هذا الكمال هو الذي ليس بعده كمال فالوالدان هما أسعد الناس بنفسهما وولدهما لا يتصور أن يقوى الزمان على شت شملهما ، أو نكث فتلهما ، وإن اتحادهما هذا لأكبر عون لهما على أحداث الزمان ، وأفعال الطبيعة في الانسان .»

ما كان لسليم الفطرة الذي يعيش بمعزل عن فاسدي الأخلاق معتلي الطباع أن يتخيل وقوع نزاع يتمادى بين الزوجين الوالدين به المقاضاة التي تفضي الى المباغضة، والمناصبة والمناهضة ، على نحو ما يكون بين أصحاب القرات الموروثة، والاضغان المخبوءة ، كما يقع الآن على مرأى منا ومسمع وألمعنا اليه من قبل . لكن الفساد قد بلغ من هذه الأمة مبلغا لا يصدقه عاقل، ولا يتخيله فاضل، الا أن يرى بعينه، ويسمع بأذنه، وقد أحصى الأستاذ الامام عليه الرحمة قضايا سنة في احدى المحاكم الأهلية فبان له أن ٧٥ قضية منها كانت بين الأقربين فما بالك بقضايا المحاكم الشرعية ولعل ٩٩ منها في المئة بين الازواج والوالدين

سبق القول بأن الحياة الزوجية هي أصل الحياة الوطنية والحياة الملية فاذا كانت الأولى سعيدة كان ذلك أصلا في سعادة الأمة واذا كانت شقية كان ذلك علة اشقاء الأمة لان الأمة مؤلفة من هذه البيوت فمن لا خير فيه لأهله لا خير فيه لأمته ، كما علمت من حديث «خيركم خيركم لأهله» فما دامت حياتنا الزوجية مختلة معتلة فلا يرجى لنا أن نحيا حياة ملية طيبة . وان هذا الشقاء في الأمة والبيوت هو في المسلمين أثر من آثار ترك عقائدهم وآدابهم الدينية، وتقطيع روابطهم الملية، فخسارتهم لسعادة الدنيا دليل على أنهم -ان لم يعودوا و يتوبوا- سيخسرون سعادة الآخرة وذلك هو الخسران المبين

نقف عند هذا الحد في بيان أركان الزوجية الثلاثة التي نطقت بها الآية الكريمة في السورة التي ورد فيها أن الدين القيم هو فطرة الله التي فطر الناس عليها فقد شرحناها بما أملته علينا الفطرة ، وهدتنا اليه الفكرة، اذ هي التي أرشدتنا الى ذلك بختامها «ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون »

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لإجابة أسئلة المشتركين خاصة، إذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين لنا اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز إلى اسمه بالحروف إن شاء، وإننا نذكر الأسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس إلى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا. ولمن يمضي على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فإن لم نذكره كان لنا عذر صحيح لإغفاله

أسئلة من سنغافوره

(س ٣٣-٣٥) السيد سالم بن أحمد عبد الفتاح في سنغافوره: اني رأيت جريدتكم «المنار» الأغر في أبهى الكمال لارشاد أهل الضلال والبدع واني سائلكم أن تفتونا عن الأسئلة الآتية

(١) ماقولكم فيمن اعتادوا تلطيخ قبلة المسجد بالسواد وغيره من أصناف الألوان وتقطيع أطراف أثوابهم والصاقها بالبصاق على حيطان المساجد من داخلها

(٢) ماقولكم في تقبيل شواهد الأموات والتوسل بها والدعاء بهذه الدعوات: عباد الله جئناكم طلبنا كم أغيثونا أعينونا بهمتكم وجدواكم؛

(٣) في ليلة نصف شعبان من كل سنة يفككون الصناديق والحواصيل (كذا) ويزعمون ان في تلك الليلة تقسيم وتوسيع الأرزاق. وفي أول ليلة من السنة الجديدة يجمعون شيئًا من النقود وغيرها كالحلي وشيئًا من حشيش الأرض يسمونه «السعدى» وعوداً من نخل المدينة ويجعلون الجميع فوق غطاء قدر ويزعمون ان تلك السنة تدخل عليهم بهذه الاشياء التي فعلوها. افتونا في ذلك ودمتم مأجورين:

(ج) عن تلطيخ جدران المساجد وإلصاق الخرق عليها

تلطيخ قبلة المسجد وجدرانه بالسواد وغيره من الألوان ينظر فيه من وجهين القصد منه وأثره في شغل المصلين به عن الصلاة فان كان القصد منه تلويث المسجد وتقذيره كما تشعر به كلمة «تلطيخ» فهو معصية وقد ذكر بعض الفقهاء ان من يلطخ المسجد بنجس أو قذر يكون مرتداً يعنون انه لا يعقل أن يهين أحد بيتاً ينسب لى الله تعالى بتخصيصه لعبادته فيه وهو يؤمن بأن هذه العبادة حق شرعه الله

تعالى وكأنهم لم يلتفتوا الى احتمال أن يقع تقذير المسجد من غافل عن الكفر بالله وعن حقية العبادة التي تؤدى في هذا المكان ولكن القرائن قد تكون دالة دلالة قطعية على أن ملوث المسجد غير كافر بالله ولا منكر لشيء من شريعة أهل المسجد ولا قاصد الى اهانة المسجد ولا وجه للحكم بالردة حينئذ والتلويث محظور على كل حال ولا وجه لإباحته.

وان كان القصد منه تزيينه بالألوان فحكمه على كونه خلاف السنة يختلف باختلاف حال المصلين فان كانوا قد اعتادوا الصلاة في المساجد المزوقة بالألوان فصارت لا تشغل قلوبهم عن معنى الصلاة من التوجه الى الله تعالى وتدبر ذكره وكلامه فيها فالأمر في التزيين أهون اذ ليس فيه الا مخالفة السنة التي جرى عليها سلف الأمة في الأمور الظاهرة من غير اخلال بأمور الدين الباطنة كالتوجه الى الله تعالى والخشوع لذكره، وتدبر كلامه، وان كان المصلون في هذا المسجد غالباً لم يعتادوا ذلك فالأمر أشد لأن هذا العمل يكون مخالفاً لآداب الدين الظاهرة والباطنة كما علمت

هذا ما يقال في فقه المسألة وأما المروي في المساجد مما يتعلق بها فكثير ومنه ما رواه أحمد ومسلم من حديث أنس مرفوعاً « إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من القذر والبول والخلاء وإنما هي لقراءة القرآن وذكر الله والصلاة » ومنها حديثه عند أحمد والشيخين « النخاعة في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها » وفي رواية أخرى البصاق بدل النخاعة وقد كانت أرض المسجد تراباً لا فرش عليها وكفارتها في مساجدنا أن تمسح وينظف المحل وقد ورد في الحديث النهي عن البصاق في المسجد ومن تنحم فليبصق في ثوبه أي كنديله وورد في البصاق فيه وعيد شديد

وجاء ذكر زخرفة المساجد في بعض الأحاديث التي وردت في علامات الساعة وفي افتراق الأمة مقرونة الى بدع وضلالات يقتضي السياق انها مثلها كحديث عوف بن مالك عند الطبراني « كيف انت ياعوف اذا افترقت الأمة على ثلاث وسبعين فرقة واحدة منها في الجنة وسائرهن في النار؟ قال وكيف ذلك قال اذا كثرت الشرط وملكت الاماء وقعدت الجهلاء على المنابر واتخذوا القرآن

مزامير وزخرفت المساجد ورفعت المنابر واتخذ الفيء دولا والزكاة مغرما والامانة مغنما وتفقه في دين الله لغير الله وأطاع الرجل امرأته وعق أمه وأقصى أباه ولعن آخر هذه الامة أولها وساد القبيلة فاسقهم وكان زعيم القوم أرذلهم وأكرم الرجل اتقاء شره فيومئذ يكون ذلك». الحديث وهو ضعيف وله شواهد في زخرفة المساجد وغيرها كحديث أبي الدرداء عند ابن أبي الدنيا في المصاحف «اذا زخرفتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم فعليكم الدمار». وأقوى من ذلك حديث ابن عباس عند أبي داود «ما أمرت بتشييد المساجد» وفسره ابن عباس بزخرفتها كما زخرفت اليهود والنصارى وفي فقه المسألة حديث عثمان بن طلحة عند أحمد وأبي داود وفيه «فانه لا ينبغي أن يكون في قبلة البيت شيء يلهي المصلي»

ومنها في أشراط الساعة حديث ابن مسعود الطويل عند الطبراني ومنه «يا ابن مسعود ان من أعلام الساعة وأشراطها أن تزخرف المحاريب وأن تخرب القلوب يا ابن مسعود ان من أعلام الساعة وأشراطها أن تكثف المساجد وتعلو المنابر» الحديث. وله حديث آخر فيه هذا اللفظ وهو عند البيهقي في البعث وابن النجار قال البيهقي اسناده فيه ضعف الا أن أكثر ألفاظه قد روي بأسانيد متفرقة: أقول منها حديث أنس عند أحمد وأصحاب السنن ماعدا الترمذي ان النبي (ص) قال «لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد» وقد صححه ابن خزيمة وأورده البخاري تعليقا بلفظ يتباهون بها ثم لا يعمرونها الا قليلا:

واما إلصاق قطع من أطراف ثيابهم بجدر المسجد فالذي تبادر الى فهمي أنهم يقصدون به دفع ضرر أو جلب منفعة قياسا على ما نراه في هذه البلاد وغيرها من ربط بعض الجاهلين قطعا من أثوابهم ببعض الاشجار المعتقدة أو أضرحة الموتى المشهورين بالصلاح أو أبواب الحجرات التي دفنوا فيها وكل هذه الاعمال مما تبع فيه المسلمون الجغرافيون سنن من قبلهم من الوثنيين بعد انتقال هذه الاعمال الوثنية الى أهل الكتاب فلا حاجة الى اطالة القول فيها ولا شبهة على هذه البدع لاعداء السنة وأنصار البدعة الا جعلها من أذيال ما يسمونه زيارة القبور وأين زيارة القبور المأذون فيها للاعتبار بالموت من هذه الاعمال الوثنية

(ج) عن تقبيل أحجار القبور ودعاء الموتى والتوسل

يريد السائل بشواهد الموتى الاحجار الكبيرة التي توضع تجاه رؤوس الموتى من قبورهم وتقبيل هذه الأحجار من سنن الوثنية وأقبح البدع في الاسلام وأما دعاء الموتى فهو عبادة حقيقية لهم وان غير المبتدعون اسمها وأطلقوا عليها لفظ التوسل وقد كان هذا النوع من العبادة وهو دعاء غير الله أي نداؤه لطلب المنفعة منه أو دفع الضرر أو التقرب به الى الله واتخاذه شفيعاً هو جل ما يعرف من عبادة المشركين لغير الله ولذلك فسر الدعاء بالعبادة حيث ورد في هذا المقام من القرآن . قال تعالى في سورة الاعراف «ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين» وقال تعالى في سورة فاطر «ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير» وقال في سورة الجن «وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً» والآيات في هذا لا تحصى وقال تعالى في سورة يونس «ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله» الآية وقال تعالى في سورة الزمر «والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى» الآية . وقد فصلنا القول في هذه المسألة في المجلدات السابقة مراراً كثيرة وفندنا فيها مزاعم أهل التحريف والتأويل فليراجع ذلك في محاله مع الاستعانة بالفهرس . يطلب منه لفظ التوسل ولفظ الشفاعة ولفظ قبور الصالحين أو القبور مطلقاً

(ج) عن بدع ليلة نصف شعبان وأول السنة

قد كتبنا في بدع ليلة نصف شعبان غير مرة فمنها ما كتبناه في الجزئين السابع عشر والرابع والعشرين من المجلد السادس ومنها ما كتبناه في الجزء الذي صدر في ١٦ شعبان من المجلد الثالث وغير ذلك . ولم نذكر فيما أوردناه من بدع الناس في هذه الليلة مسألة تفكيك الصناديق والحواصيل للاستعانة على سعة الرزق وكأن هذا من الخرافات المعروفة ببلاد السائل دون البلاد التي عرفناها وهي خرافة يتبرأ منها الاسلام ومن ينتسب اليه بحق . ومثله ما ذكره من خرافاتهم في أول السنة ويشبه أن يكون هذا من خرافات بعض العجائز الجاهلات ويطلق المصريون

على أمثال هذه السخافات اسم « علم الركة » يعنون به تقاليد النساء وخرافاتهن ومزاعمهن وهن قلما يستفدن شيئاً من هذا الجهل الذي يسمينه علما الى الدين، ولولا ان علم الركة في سنغافوره وأمثالها من البلاد التي يغلب فيها الجهل يستند في بعض مسائله الى الدين لما احتاج السائل الى جواب عن هذه المسألة يحتج به على الجاهلين

دعوى الرقيقة بعد موت السيد انها أم ولد له

(س ٣٦) عوض بن جيمان سعيدان (بسنغافوره) (*) ماهو الحكم في جارية رجل تسكن معه في بيت وتتولى خدمته ثم مات عنها وزعمت أنه يطؤها فهل قولها كاف في اثبات نسب الابن ومايترتب عليه ؟ أم لا بد من عدم معارضة ورثة سيدها ان كان له ورثة أولا يكفي الا استلحاق الحائز للتركة للابن ؟ أم لا بد من ارقاق الجارية وولدها الا بإقرار السيد لاغير وإقامة الحد عليها ؟ أفيدونا بما تعتقدون أنه الحق والمسألة واقعة والخبط والخلط كثير لازلتم هداة للحق دعاة للصدق

(ج) سكنى الجارية في بيت سيدها لايجعلها فراشا الا اذا أقر أنه جعلها كذلك اقرارا صريحاً فان جاءت بولد في حياته وادعاه كان ولده بلا خلاف وكانت هي أم ولد لها حكمها المعروف وان لم يدعه فكذلك عند مالك والشافعي وأحمد لانه يكفي عندهم اعترافه بوطئها وهو الذي أعتقد، ولا حاجة لذكر دعواه الاستبراء أو نفيه الولد لأنه ليس مما نحن فيه وما نحن فيه دعواها انه اتخذها فراشاً ولا بد في إثبات ذلك من بينة، وحاصل الخلاف في المسألة أن الحنفية يقولون لايثبت كون ولد أمته ابناً له الا باستلحاقه كأن يعترف به إن ولد وهو حي أو يقول ان جاءت بولد فهو ابني أو مني ثم يموت فتلد بعد موته، وعند الائمة الآخرين يكفي في ذلك أن يعترف بوطئها فأما مجرد دعواها بعده فلا يثبت بها شيء، وان كان هناك ورثة واعترفوا بأن الولد لمورثهم من جاريته فلا نزاع ولا اشكال والا فالجارية على رقها مالم تأت ببينة على اقرار سيدها بافتراشها وأما اقامة الحد عليها فالشبهة تدرؤها فيا نعتقد

(*) ذكرنا في الجزء الماضي السؤال عن لعن معاوية أو الترضي عنه مسنداً لهذا السائل وانما جاءنا بامضاء (م.م) وهو أحد القراء ولم يأذن بالتصريح باسمه

﴿تفسير «فاذا هما اجتمعا لنفس مرة»﴾

(س٣٧) ومنه : ما الذي ترونه صوابا في قول الشاعر

* الرأي قبل شجاعة الشجعان * الى قوله

فاذا هما اجتمعا لنفس مرة   بلغت من العلياء كل مكان

أنشد البيت أحد الأدباء «مِرّة» على انه مصدر بمعنى القوة صفة لنفس فاعترضه شاعر بأن الشاعر لم يقل الا «مَرَّةً» أي اجتمعا معا فاحتج الاديب بما قاله بعض الشراح كالعكبري وبجواز الوصف بالمصدر كما في ألفية ابن مالك فأجاب الشاعر ان شرط جواز المصدر لم يتحقق . فتأول الاديب واحتج بأن مرة لم تذكر في القاموس ولا كتاب لسان العرب بمعنى «معا» كأن يقولوا جاء الزيدان مرة: أي معا كما يستعملونها للعدد سواء. فما هو الحق فيما ذكر أفيدونا :

(ج) الاصل الذي يبنى عليه الترجيح بين الأقوال في مثل هذه المسألة هو الرواية فالشاعر الذي ضبط «مرة» في البيت بفتح الميم يحتاج في اثبات قوله الى رواية معروفة عن أبي الطيب المتنبي انه قال «مرة» بالفتح والى رواية أخرى عن كندة بأن هذه الكلمة تستعمل في لسانهم ظرفا بمعنى «معا» فإن لم يستطع اثبات الرواية فما عليه الا أن يعتمد الرواية التي سنذكرها أو يتابع الاديب في قراءة مرة بالكسر كما ضبطها شراح ديوان المتنبي . قال الواحدي في شرحه : * فاذا هما اجتمعا لنفس مرة * أي أبية للذل والضيم ولا تستلينها الاعداء : وقال العكبري: النفس المرة هي القوية الشديدة من مر الحبل والمرة الشدة ومنه قوله تعالى « ذو مرة فاستوى» والنفس المرة التي هي لا تقبل الضيم : وظاهر كلامهم أن مرة صفة وهو غير معروف وانما فسروه بالمعنى والاصل ذات مرة فحذف المضاف . وما قاله الشاعر في الوصف بالمصدر كان يستغنى عنه بقولهم ان الوصف به على كثرته سماعي وان ما ذكر من شروطه انما ذكر لضبط المسموع لا لأجل القياس . ومن الروايات المتداولة في البيت ولم يذكرها الشارحان * فاذا هما اجتمعا لنفس حرة * بالحاء المهملة وصف من الحرية وهي أظهر معنى وأصح مبنى ولا يبعد أن تكون مرة محرفة عن حرة والله تعالى أعلم

﴿ أسئلة من الجزائر ﴾

جاءتنا الاسئلة الآتية من الجزائر وأحب مرسلها أن يرمز الى اسمه بكلمة « غويثم » قال بعد الثناء والسلام :

﴿ الفتن بين الصحابة رضي الله عنهم ﴾

(س ٣٨) انني أحببت أن أشرب من بحر علومكم فهم مسألة الفتن الواقعة بين الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين مع علمهم لاشك بأفضلية بعضهم على بعض وسبب قتل سيدنا عثمان رضي الله عنه وكيف نسلك طريق الاعتقاد في ذلك تفصيلاً وتحقيقاً وتعميقاً وتدقيقاً ومرادنا من استمداد هذا المرغوب من حضرتكم الفخيمة لكونها نتيجة حضرة المغفور له مولانا الاستاذ الامام الشيخ سيدنا محمد عبده رضي الله عنه فنحصل على بعض أفكاره في المسألة رحمه الله وأعزكم من بعده

(ج) لايمكن التفصيل والتحقيق المطلوب في هذه المسألة في جواب سؤال وانما يكون ذلك في مصنف خاص بها ولو ذكر ذاكر خلاصة وجيزة لمصنف وضعه أو هيأه لصعب التسليم بها على من لم يطلع اطلاعه ولم يقتنع بما أخذه لتلك الخلاصة وأحب لكم أن تقرءوا ما كتبه رفيقنا بك العظم في كتابه (أشهر مشاهير الاسلام) وتعملوا رأيكم في ذلك وتراجعوا فيه كتب التاريخ حيث تجدون حاجة المراجعة وما يشتبه عليكم بعد ذلك فراجعونا لنبين لكم رأينا فيه . على اننا نذكر هنا شيئاً وجيزاً ينير لكم طريق البحث

أما علم الصحابة عليهم الرضوان بفضل بعضهم على بعض فهو على كونه ضروريًا في الجملة وكونه على غير ما يظن الجمهور في التفصيل لايستلزم عدم وقوع الخلاف فان معاوية اذا كان يعلم ان علياً يفضله في العلم والتقوى فقد يعتقد انه هو يفضل علياً في السياسة والادارة وقول العلماء « يوجد في المفضول مالا يوجد في الفاضل» معقول لاسبيل الى انكاره وهو مما لايخفى على عاقل ويؤيده استدراك التلميذ على الاستاذ والمبتدي على المنتهي في مسائل يكون هو المصيب فيها ولاجل ذلك نبحث في كل ماقاله العلماء الراسخون وأئمة الفنون الواضعون رجاء أن نعلم مالم

يعلموا أو نصيب بعض الأغراض التي أخطأوا كما قال الامام مالك رضي الله عنه: كل أحد يؤخذ من كلامه ويرد عليه الا صاحب هذا القبر: يشير الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم و يريد بعموم كلامه الصحابة فمن دونهم من علماء التابعين وهو يعلم ان فيهم من لا يُعد ممن يفضله في فهم الشريعة والوقوف على أحكامها. اذا فهمت هذا فلا تعجب لاختلاف الصحابة يوم السقيفة ولا يوم اختيار أحد الستة الذين جعل عمر الأمر فيهم ولا لاختلاف علي ومعاوية فان الصحابة لم يكونوا كالاشاعرة والماتريدية لهذا العهد مقلدين لشيوخهم بأن أفضلهم فلان ففلان الخ ولا ممن يقول إن الأفضل يجب أن يكون هو الخليفة. على أن الاشاعرة وغيرهم يجوزون إمامة رجل مع وجود أفضل منه اذا كان المولى حائزا الشروط التي لابد منها للإمامة

ثم اعلم أن كبار الصحابة كانوا يعلمون من مجموع ما جاء في الكتاب العزيز عن الشورى ومن سنة النبي صلى الله عليه وسلم في سياسته وأحكامه ومن جعله الخلافة في قريش ان شكل الحكومة الاسلامية يجب أن يكون وسطاً بين ما يسمى اليوم حكومة جمهورية وحكومة ملكية ووسطا بين ما يسمى اليوم حكومة الأشراف وحكومة الافراد أعني أن الذي فهموه كان وسطاً حقيقياً بين ما ذكرت من غير ملاحظة هذه الاطراف وكونه وسطاً بينها. فلهذا لم يجعلوها في آل البيت خاصة بهم اذ لو فعلوا ذلك لكانت من نوع حكومات الأشراف التي استعبدت الناس وجعلت الملك الهاً معبوداً ولا تستبعد أنهم كانوا يفطنون لهذا الأمر لاسيما مع علمك بما أوتوه من نور البصيرة الذي أعشى شعاعه بصائر الفلاسفة والحكماء حتى هذا العهد وقد رأيت أن هذا الامر وقع بالفعل من الفاطميين عند ما جعلوا الخلافة تراثاً فيهم لمكان نسبهم

ومن هنا تعرف سبب تألب الناس على عثمان بعد أن قويت عصبية بني أمية باستكثاره من استعمالهم حتى خيف أن يتحول وضع الخلافة عن الشرع ويصير حكم أشراف يقوم بالعصبية. وعثمان لم يكن يقصد هذا ولكن الحوادث مهدت له بما كان من لينه وحيائه وشره قومه وطمعهم فيه حتى أحس المسلمون بالخطر قبله وهو

لا يرى قومه في جواز استعمالهم الا كسائر الناس . فارجع بعد هذا الى ماقلناه في تقريظ كتاب (أشهر مشاهير الاسلام) في الجزء الثالث عشر من منار هذه السنة . وحسبك الآن هذه التنبيهات ، وعليك بعد كثرة القراءة بمراجعتنا في المشكلات .

﴿ ثبوت رمضان بقول المنجم ﴾

(س٣٩) ومنه : ثم أستفتيكم في مسألة ثبوت شهر رمضان بقول المنجم ولماذا قال خليل «لا بمنجم»

(ج) راجع ص ٦٩٤ ومابعدها من المجلد السابع تجد القول في ذلك مفصلا تفصيلا

(صلاة النساء في المساجد)

(س٤٠) ومنه : هل يجوز للمرأة أن تصلي في المسجد أم لا لأن في بلادنا رجالا طغاة علماؤهم وجاهلهم حرموا المساجد على النساء وأحلوا لهم المقرات (كذا)

(ج) كان النساء على عهد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يصلين مع الرجال في المسجد يقفن وراءهم فصلاتهن في المسجد سنة متبعة ثابتة لم يختلف في صحتها أحد من المسلمين فتحريم ذلك على الاطلاق جهل فاضح . والاحاديث القولية في ذلك كثيرة أشهرها حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «اذا استأذنكم نساؤكم بالليل الى المسجد فأذنوا لهن» رواه أحمد والشيخان وأصحاب السنن ماعدا ابن ماجه ولكن ورد أن يخرجن غير متبرجات بزينة فقد روى أحمد وأبو داود من حديث أبي هريرة مرفوعاً «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله وليخرجن تفلات» أي غير متطيبات قالوا ويلحق بالطيب مافي معناه من المحركات لداعي الشهوة كالحلي والحلل وجميع ضروب الزينة . وروى مسلم في صحيحه وأبو داود والنسائي في سننهما من حديثه أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «أيما امرأة أصابت بخوراً فلا تشهدن معنا العشاء الآخرة» وأعم منه حديث زينب امرأة ابن مسعود في صحيح مسلم «اذا شهدت احداكن المسجد فلا تمس طيباً»

نعم ورد أيضاً أن صلاة النساء في بيوتهن أفضل من صلاتهن في المسجد

فقد روى أحمد وأبو داود من حديث ابن عمر «لا تمنعوا النساء أن يخرجن الى المساجد و بيوتهن خير لهن» وله شواهد. وروى أحمد وأبو يعلى والطبراني في الكبير من حديث أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «خير مساجد النساء قعر بيوتهن» وفي اسناد الحديث ابن لهيعة ممن طعن في روايتهم ويجوز حمله على غير صلاة الجماعة . وفي الباب رأي عائشة رضي الله عنها قالت : لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى من النساء ما رأينا لمنعهن من المسجد كما منعت بنو اسرائيل نساءها » رواه الشيخان وعلى هذا الرأي بني المتأخرون منع النساء من المساجد فهو اجتهاد لا يصح أن ينسخ النص القطعي الصريح ويحرم ما أحل الله ورسوله نعم إن علم أن خروجهن الى المسجد يكون سبباً للفتنة جاز أو وجب منع من يعلم أو يظن الافتتان بهن فقط معاملة بسبب الفتنة ولكن لا يصح أن يقال ان خروجهن الى المسجد وصلاتهن فيه محرمة عليهن ولا أن يجعل حكما عاماً مطلقاً

﴿ ذنوب الخطيب الذي يحث على الكسل والخرافات ﴾

(س ٤١) ومنه : كم هي ذنوب الخطيب الذي لا يأمر الناس الا بالعجز والكسل والموت والخرافات والتقليد وسيئ العادات ؟ لا زلت بحرا يستجلب دره ، ومزنا يستوكف دره ، والسلام

(ج) هذا الخطيب شر خطباء الفتنة وذنوبه لا تحصى الا اذا أمكن احصاء تأثيرها الضار في الأمة وأنى يحصى وهو من الامور المعنوية التي لا تعرف بالعد والحساب فمن سيئات هؤلاء الخطباء وآفاتهم في الأمة أن كانوا علة من علل فقرها وضعفها في دينها ودنياها وضياع ممالكها من أيديها، فهم أضر على المسلمين ، من الأعداء المحاربين ، ومن دعاة الضلال الكافرين ، ومثلهم كمثل الطبيب الجاهل يقتل العليل ، وليس هذا محل شرح سيئاتهم بالتفصيل، ولكن لا بد من التنبيه على سيئة منها حادثة لم تكن من قبل وهي ان أبناء المسلمين الذين تعلموا العلوم العصرية وعرفوا أحوال الامم وسياستها ، وتأثير آدابها في مدنيتها، وعزتها ولم يقفوا على حقيقة الآداب الاسلامية ، ولا غير ذلك من الأصول الدينية، يتوهمون ان هؤلاء الخطباء ينطقون بلسان القرآن ، و يبينون للناس لباب ما جاء

به الدين من الحكم والأحكام ، ويستدلون على ذلك باجازة العلماء مايقولون ومايوردونفي كلامهم من الأحاديث وان كانت موضوعة أو واهية ، ومايرصعونه به من الآيات وان كانت بما ينهون عنه آمرة وعما يأمرون به ناهية ، ولكن أنى للسامع المسكين ، أن يميز الغث من السمين ، اذا كان لم يطلع على تفسير الكلام القديم ، ولم يقرأ علم الحديث الشريف ، فلا جرم ينفر من الدين نفور الكاره له ، المعتقد أن معارف البشر أهدى منه ، واذا كان عارفاً بدينه فانه ينفر من صلاة الجمعة وأعرف من المصلين من يتحرى أن يدخل المسجد بعد فراغ الخطيب من خطبته وحدثني الاستاذ الامام رحمه الله تعالى أن رجلا من النابغين في العلوم العصرية كان كثير الخوض في الدين والانكار لبعض أصوله وفروعه فما زال به الاستاذ حتى أزال شبهاته وأقنعه بأن يصلي فبدأ بصلاة الجمعة في الجامع الأزهر فسمع خطبة من الخطب المسؤل عنها فنفر ، وقال إن هذا شيء لا يصلح به أمر البشر ، وما أنا بعائد الى سماع هذه الخطابة ، انخداعاً بما للشيخ محمد عبده من الخلابة ،

هذا وان مقام الخطابة هو مقام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومقام خلفائه ونوابهم وقد أهين هذا المقام في هذا العصر لا سيما في مصر فصار يعهد به كثيرا الى أجهل الناس وأقلهم احتراماً في النفوس لان الخطابة في نظر ديوان الاوقاف هنا وظيفة رسمية تؤدى بعبارة تحفظ من ورقة فتلقى على المنبر أو تقرأ في الصحيفة ككنس المسجد يقوم بها أي رجل وفي نظر طلابها حرفة ينال بها الرزق ، فهم الديوان في الخطيب أن يكون قليل الاجرة لتتوفر أموال الاوقاف فيوضع ما يزيد منها عن النفقات التي لاتفيد المسلمين في خزائنه أو خزائن البنك وقد اجتهد الاستاذ الامام رحمه الله تعالى في احياء هذا الركن الاسلامي بجعل الخطابة خاصة بالعلماء الاعلام فوقفت السياسة في طريق مشروعه مدة حياته ولعلها تتنحى فينفذ بعد موته



باب التربية والتعليم

﴿ المكتوب الخامس — في المدرسة الجامعة (*) ﴾

كتب في ١٠ يوليه سنة — ١٨٦

«من أميل» الى أبيه

كلفتني بأن أجعلك على علم بدروسي فموافاة لرغبتك أقول: الجامعة التي أختلف اليها بناء في غاية الجدة وتفتح قاعاتها للتدريس في فصل الصيف من الساعة السابعة صباحاً الى الساعة الاولى بعد الظهر ومن الساعة الثالثة بعده الى الساعة السادسة وتنقسم دروس الاساتذة فيها الى عامة وخاصة فالاولى تلقى بالضرورة مجاناً ويدفع الطلبة في مقابل تلقي الثانية «فريدريكين» ذهباً (٥٠ فرنكاً) كل ستة أشهر وتنقسم جامعة «بن» مثل كل الجامعات في ألمانيا الى أربع مدارس اختيارية احداها للقوانين والثانية للحكمة والثالثة للطب والرابعة للإلهيات ويتعلق بكل من هذه المدارس الاربع فروع مختلفة يدرّسها فيها رجال مخصصون بها

الجامعة تخلي بيننا وبين حرية التصرف في وقتنا اما باضاعته أو بالانتفاع به لاني لا أرى لاحد منها أدنى تفتيش ولا أقل هيمنة علينا في سيرتنا على أني أعتقد ما قلته لي كثيراً من أن النظام التأديبي الناجح هو ما يفرضه الانسان على نفسه ويلتزم اتباعه

لامراء في أن أساتذة جامعتنا متضلعون من العلوم غير أني كثيراً ما شق علي أن أتتبع سلسلة أفكارهم في الدروس لسببين أولهما أن هذه الافكار ليست في ذاتها واضحة وثانيهما أني لقلة تعودي على تصوير فكري بالألمانية حتى الآن أجد من الصعوبة في فهم تلك الافكار أكثر مما يجده غيري من المتعودين ويدهشني من أمر هؤلاء العلماء أنهم على سمو مكانتهم في العلم وبعد صيتهم مغبونون في أجر عملهم اذ استدللت على هذا بما يبدو عليهم من رقة الحال وبقناعتهم باليسير من العيش ورثاثة ملبسهم الذي يكاد يكون وسخاً وفقرهم هذا يؤلمني

(*) معرب من باب تربية الشاب من كتاب أميل القرن التاسع عشر

ويزيدهم في نفسي اجلالا على اجلالهم الذي تدعوني اليه معارفهم فأولئك رجال يحبون العلم لا لكسب المال ولا التمتع بالحطام وانما يحبونه لما يحصله للعقل من لذاته وضروب اغتباطه

ثم ان بعض المدرسين يرتجلون الدروس مطنبين فيها و بعضهم وهم الاكثرون يأتون بها مكتوبة فيلقونها على الطلبة وهؤلاء يصغون لما يلقى عليهم ويكتبون ما يلقونه منه وقد وضعت لنفسي نمطاً في اختزال الكتابة وهو وان كنت لا أشك في قصوره لأوليته يمكنني من اثبات الحدود الاساسية لما أسمعه من الجمل

ينقسم الطلبة باعتبار مذاهبهم الى كاثوليكين و بروتستانتين متشددين يعد بعضهم نفسه للاعمال الخطابية وحكماء يجتهدون في تأويل المذاهب تأويلا مطابقاً للعقل وماديين وهم قليل يصرحون بأن زمن الديانات قد انقضى وانه لا ينبغي اضاعة الوقت في السكوف على ما لا حقيقة له من هواجس القرون الوسطى وأحلامها

رأيتك دائماً تجتنب الخوض معي في المذاهب والاسرار الدينية واستنتجت من سكوتك عنها انك قصدت مني الاستقلال بنفسي في الاعتقاد ولقد حملتني عظيما فأني حتى هذا اليوم في غاية البعد عن معرفة ما يستقر عليه فكري في كثير من المسائل التي ترجفني محاولة سبر غورها على انه لا بد من الاقرار لك بأني لست مطرحاً هذه الطائفة من الافكار ولا مغفلا لها فكم مرة نظرت الى السماء في سكون الليل وحاولت على حداثة سني وجهلي أن أقرأ في نجومها حلا للغز هذا العالم واني منذ اليوم الذي شهدت فيه إلقاء جثة الملاح في البحر — وإخالك تذكره — لا ينفك عني التفكير في سر الموت حتى في أحلامي وقد سألت القبور أن تكشفه لي فلم تحر جواباً فعمدت من عهد دخولي الجامعة الى مطالعة ترجمة الفيدا (١) الألمانية والزنداويستا (٢) والتوراة فأثرت قراءتها في نفسي تأثيراً بليغاً وكان يتراءى لي منها عالم جديد ولكن من خلال ظلمات لا يسعني الا الاقرار بأنها لم تنقشع

(١) الفيدا كتاب الهنود المقدس وهو اسم عام تحته أربعة كتب خاصة وهو الريجفيدا والسامافيدا والياجورافيدا والاثارفافيدا (٢) الزنداويستا مجموع ما لأتباع زردشت من الكتب المقدسة

ولست أدري أأعكف على دراسة هذه الكتب أم أعدل عن اماطة الظلمات عما لا يتناهى فلا أشتغل الا بما هو ثابت محقق من نتائج العلم

أنا الآن أحوج مني فيما مضى الى ارشادك والاستضاءة بنور علمك ومن ذا الذي أسترشده وأستهديه سواك ؟

جميع الطلبة يتعلمون المجالدة والمناضلة وأنا مقتد بهم في ذلك فلي كل يوم ساعة أو ساعتان أقضيهما في ممارستها لان في هذه الممارسة تمريناً مفيداً في تقوية الاعضاء وتنميتها ويؤكد لي العارفون من الطلبة أن أمهر المجالدين من يندر التجرش به . ومع أني لا أرجو مطلقاً أن أبلغ في المجالدة والمناضلة مبلغ الفارس سان جورج (١) أود لو أثبت في قاعة الممارسة ثبوتاً كافياً أني على علم باستعمال السلاح حتى يحسب الطلبة حسابي فلا يستخفون بإغضابي فان المبارزة كثيرة الوقوع بينهم وهم يجرحون فيها أحياناً ولكن يندر والحمد لله أن يقتلوا ومن يجرح منهم لا يبالي بخدش وجهه بل يعتبر ندب الجروح على ما فيها من التشويه لخلقه من موجبات اجلال النساء له

ثم اني أختم مكتوبي راجياً أن تثق مني بدوام محبتي لك وتعلق قلبي بك .

البداوة — من باب الآثار الأدبية

قصيدة من نظم حسين أفندي عبد الفتاح الجمل ويعني بالبداوة تلك المعيشة العربية الخالية من ترف المدنية لا سكنى البادية فقط

ليت البداوة لي مهد ولي وطن   ففي الحضارة لي شغل عن الجذل
أعني بداوة عرب طاب مولدهم   وطاب محتدهم في الأعصر الأول
فالأريحية فيها والندى خلق   ملازم لهم في الخصب والمحل
ترى العفاف لديهم مسد أروقة   محفوفة بالتقى في كل محتفل

---

(١) سان جورج شخص يذكر في الاساطير انه أمهر المجالدين والمناضلين

أما الوفاء فقد حازوا الفخار به فلا ضريب لهم في كل مرتحل
لا يغدرون ولو كانت منيتهم رهن الوفاء ولا يمسون في وجل(١)
نال السموأل فيه غاية وقفت عنها الملوك وقوف العاجز الخجل
ضحى ابنه خوف غدر لو تحمله لكان العذر فيه واضح السبل(٢)
وعامر كان في حفظ الجوار له بيت من المجد مرفوع اللواء على
يحمي المجار به من كل غائلة م الانس والجن بل من سطوة الاجل(٣)
وفي التقى كان عبد الله ذا ورع لا يعرف الشر في شيء من العمل(٤)

(١) كان حنظلة الطائي وعد النعمان بن المنذر بالرجوع بعد عام لاستقبال الموت فطلب النعمان من يضمنه فضمنه شريك بن عدي . فعجب النعمان من رجوع حنظلة وليس له داع غير الوفاء وعفا عنه

(٢) كان امرؤ القيس الكندي قد استودع السموأل سلاحاً ودروعاً وسافر الى بلاد الروم فمات وهي عند السموأل فطلبها منه ملك كندة فلم يسلمها . فجرد الملك عليه جيشاً وحاصره في حصنه المشهور بقوله

لنا جبل يحتله من نجيره منيع يرد الطرف وهو كليل

فوقع ابن السموأل أسيراً عند الملك فهدده بقتله ان أبى تسليم الوديعة فأبى وقال له ما كنت لأخفر ذمامي وأبطل وفائي فافعل ما شئت فذبح ولده والسموأل ينظر . . وانصرف الملك خائباً ولم يأخذ الوديعة غير أصحابها الوارثين

(٣) كان الاعشى امتدح الاسود العنسي فأجازه بشيء كثير من الحلل والعنبر فخاف على ماممه فأتى عامر بن الطفيل فقال أجرني قال قد أجرتك قال من الانس والجن قال من الانس والجن قال ومن الموت قال نعم قال وكيف تجيرني من الموت قال اذا مت وانت جاري بعثت الى أهلك الدية فقال الآن علمت انك تجيرني .

(٤) هو عبد الله بن الزبير ترك عطاءه (ماهيته) في المسجد ثم أرسل خادمه

ولابن عباس في حفظ العلوم مدى ... مافيه من مطمع يوماً الى رجل (٥)
ماذا يقال وقد سارت مناقبهم ... كالشمس فينا بنور غير منتقل
وكيف للشعر ان يأتي على صفة الصديق أو عمر الفاروق ثم علي
محامد طبعت فيهم وغيرهم ... تكلفوها وليس الكحل كالكحل
كأنما نبتت هذي الفضائل في ... ارجائها فنمت في السهل والجبل
فهم كأنهم يُغذون من كرم ... أو انه فطرة فيهم من الازل

باب الاخبار والآراء

الثورة في روسيا

العلم نور لا ينتشر في بلاد الا وينجاب عنها من ظلمات الظلم بقدر ما يفيض عليها منه فاذا تمكن في النفوس وملكها وصار صفة من صفات عدد كثير من أهلها فبشر أهلها بالسعادة بعد زمن طويل أو قصير لأن العلم مع الجهل وآثاره من الظلم والاستبداد لا يتجاوران على وفاق وسلام بل يفتأن يتنازعان ويتصارعان حتى يصرع أقواهما أضعفهما وينزعه من الارض

مقارعة العلم ومنافعه للجهل ومصارعه هي مقارعة طائفة من جند الحق لطائفة من جيوش الباطل والحق هو القوي المنصور، والباطل معه هو الضعيف المخذول، اللهم اذا هما وجدا فتجاولا وتصاولا ولكن قد يحول دون ظهور جند الحق مانع

بعد حين ليحضره فقال الخادم وأنى لنا ذلك وقد دخل المسجد بعدنا كثير فقال عجباً ! وهل بقي أحد يأخذ ماليس له

(٥) فضل ابن عباس مشهور انما أذكر هنا انه أنشد مرة قصيدة من شاعر (هو عمر بن أبي ربيعة) وجرى في المجلس ما اقتضى أن ينشدها ابن عباس فانشدها وقد بلغت سبعين بيتاً فعجب الحاضرون فقال مم تعجبون وهل يسمع أحد شيئاً ولا يحفظه

فيظهر الباطل ويظن الظانون أنه قد غلب الحق على أمره وكيف يسمى غير الموجود مغلوبا

فاض شعاع من العلم بمصالح الامم وسنن العدل في الدول على البلاد الروسية فمازال يزيح من تلك الظلمات المتراكمة في النفوس حتى انزاحت فأشرقت العقول واستنارت القلوب فعرفت حق الراعي على الرعية وحقوق الرعية على الراعي وتمكن هذا العرفان في نفوس كثير من المتعلمين فكان وميضه يلوح لأبصار المستبدين من أفق المدارس الكلية فيندرم بالصواعق المحرقة فتهلع قلوبهم ثم لاتلبث أن تعود الى طمأنينتها اغترارا برسوخ السلطة المطلقة القائمة على صخرة تقاليد الدين وجهالة الأكثرين حتى اذا ما انكشف للعالم كله ضعف دولة الاستبداد والظلم، وانهزامها من وجه دولة العدل والعلم في الحرب الروسية اليابانية، اذ نكلت الثانية بالاولى في جميع الوقائع البحرية والبرية، ظهر أهل العلم من الروسيين، وقاموا بالدعوة الى الخروج على الحكام المستبدين، فنفخوا في البلاد روح الثورة فاشتعلت نارها، وكثر أنصارها، ولم يثنهم عن عزمهم ان وضعت الحرب أوزارها، وفرغت الحكومة للثورة تبلو أخبارها، وتضرب وجوهها وأدبارها،

بعد كفاح طويل عريض، وأخذ للثائرين أليم شديد، وثبات من طلاب الحرية، أمام أرباب العبودية، واصرار من طلاب العدل، على مقاومة الظلم والجهل، خضع القيصر العظيم، لأولئك الشراذم من شعبه الحقير، وأمر بتحويل شكل الحكومة الروسية، من اطلاق الاستبداد الى قيود الشورى القانونية، فقالوا انه خضع اضطرارا لا اختيارا، فلا تغتروا بما أمر اغترارا، بل أصروا أيها الثائرون والمتعصبون، يكن لكم كل ماتطلبون، فهم لايزالون يقترحون، فهل يعتبر حكام جيرانهم الأقربون،

تعزيتنا عن والدنا

لاتزال ترد علينا التعازي من محبينا في المشرق والمغرب كالهند وسنغافوره وجاوه وتونس والجزائر وفاس فنشكر لمن كتب ولمن سيكتب إلينا في ذلك عودا على بدء ونخص بالذكر أهل الوفاء في الديار التونسية من العلماء والأدباء

وأصحاب الصحف الفضلاء . وانما ننشر بعض ماتفضلوا به ليكون تعزية للبعيد من الأقربين . كتب أحد العلماء المدرسين بعد الثناء الذي هوأهله والدعاء

« العزاء بعد ثلاث وان كان تذكارا بالمصيبة ، فإن تركه ثلمة في وجه الود وشبهة في صحته مريبة ، اليوم وصلت الي " مجلة المنار فقرأت الخبر الأليم ، بوفاة والدكم البر الرحيم ، ذلك الخبر الذي ملأ فؤادي أسفا مشاركة لكم على ماتجده ابن بار على فقد والد شفيق

«وفوق مشاركتك أيها الاخ في الحزن كيف لاآسف على فقد صاحب تلك الشمائل الزكية لولا أن فيما بذرته من كمالك الفطري" مسلاة ومتعزى عنه فانك تخلد له ذكرا احرى مما كانت تخلد له صفاته الطيبة وأنتم بحمد الله كما قال الشاعر

نجوم سماء كلما انقض كوكب　　بدا كوكب تأوي اليه كواكبه

ثم عظيم أن يلم بك أيها السيد مصابان في زمن متقارب يمر بي نفسك الشاعرة ، وبأصل فطرتك الطاهرة ، فتعز بأن الله جعلك لهما لسان صدق في الآخرين ، وعليك صلوات الله ورحمته بالصابرين ، »

وكتب عالم آخر من المدرسين

« حياك الله سيدي الاخ وعظم أجرك كما عظم رزءك ومنحك من صلواته ورحمته وهدايته ماأنت أهله فلقد أبديت صبرا جميلا ، وثباتا عظيما ، أمام مصابين عظيمين تتدكدك لهما الجبال الرواسخ وفاة والدك الجسماني ، قبل أن يجف القلم من تأبين والدك الروحاني ، فرحمهما الله من أبوين صالحين تركا للاسلام فاضلا نحريرا مثل جنابكم الكريم فهما بذاك لم يموتا وانما غابا عن هذا الوجود الكدر وخلفا عملا كبيرا وسراجا منيرا نسأل الله تعالى أن يطيل بقاءه ، ويديم اشراقه وارتقاءه الخ

وكتبت جريدة (الترقي) الغراء التي تصدر في تونس ما يأتي تحت عنوان (الشام)

ننعى لقراء الترقي شيخا جليلا وسيدا كريما نبيلا من نسل السلالة المطهرة ألا وهو سيد سادات الديار الشامية وفرع الدوحة الحسينية المرحوم الشيخ علي رضا أفندي الحسيني الحسني والد رصيفنا العلامة الفيلسوف الكبير السيد محمد

رشيدرضا صاحب مجلة المنار المنير

قضى هـذا الفاضل عمره المديد في اسداء المبرات واعمال الخيرات فكان كفيل الأرامل ومربي اليتامى والمحسن للقريب والبعيد وقد قرأ العلم بطرابلس الشام وارتقى في مراتب الدولة العلية التي كان مخلصاً في خدمتها الحد الذي جعله ممتازا على بقية الأشراف بوراثة أعشار بلد القلمون التي كان أنعم بها السلاطين العظام على أسلافه الاكرمين وكان رحمه الله كما جاء في المنار «حسن المجاملة عظيم التساهل في معاشرة المخالفين في الدين مع الغيرة الشديدة على الإسلام والمناضلة عنه بما يحج المناظر ولا يؤذيه» كعلماء السلف برد الله مضاجعهم

اتهمه مصادروه (أعداء الدولة) في الاوقات الاخيرة بالجاسوسية وبأنه يسعى مع المرحوم فقيد الاسلام الشيخ محمد عبده لتقويض أركان الخلافة العثمانية (لا سمح الله) فدسوا بفراشه عقارب سعايتهم الممقوتة وأوغروا عليه صدور رجال الدولة فجعلته تحت مراقبة الجواسيس الحقيقيين بما تحرجت له النفوس الطاهرة والقلوب الرحيمة فكان يقابل تحرشهم بالصبر واللين ويدعو الله مع أبنائه بتوفيق دولة الاسلام وبتطهير ساحة سراية يلدز من أهل السوء والعدوان هذا وقد تسابقت الجرائد الشرقية لتمجيده وتأبينه بأجمل عبارة تليق بمنزلته حياً وميتاً ونحن نضم لتلك التعازي عبارات تعزيتنا ونسأل الله أن يفسح له في صعيد الجنة وأن يجمل عزاء بنيه خصوصاً رصيفنا العلامة المفضال محرر المنار الأغر اه

(المنار) نخص هذا الرصيف الفاضل بمزيد الشكر والثناء أن أحسن الظن بنا وبالغ في مجاملتنا . وتذكرهنا أن كثيرا من كتب التعزية قد شنعت على الحكومة العثمانية سوء معاملتها لوالدنا وشقيقنا بل جاء شيء من ذلك أيضاً في بعض البرقيات (التلغرافات) فلم ننشر شيئاً منها لئلا يتوهم أننا ننتقم بذلك لنفسنا ، ونستدرك على الرقي أن السيد الوالد رحمه الله تعالى لم يدخل في أعمال الحكومة الرسمية على تعارفه بكثير من وزراء الدولة وكبرائها . هذا وقلما عزانا أحد عن والدنا الا وأعاد تعزيتنا عن أستاذنا تغمدهما الله تعالى برحمته ، ومتعهما بدار كرامته،





فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق)

﴿ مصر — ١٦ رمضان سنة ١٣٢٣ — ١٣ نوفمبر (ت٢) سنة ١٩٠٥ ﴾

باب العقائد

الدين في نظر العقل الصحيح

المقالة الثالثة

﴿ الاسلام هو الإصلاح الاكبر ﴾

مقال آخر آتي به اليوم تتميماً لمقالي السابق (الدين في نظر العقل الصحيح) وايضاحاً لما أجملته هناك في مسألة الإصلاح الإسلامي في الارض. ولا أريد أن أذكر المسائل التي شارك الإسلام فيها غيره من الأديان الأخرى ولكني ذاكر ما امتاز به عنها ليتضح لأهل الانصاف، أنه هو الاصلاح الأكبر بلا اختلاف

١ — التوحيد والتنزيه

أتى القرآن بالتوحيد الخالص والتنزيه المطلق فقال «هو الله أحد » لا تدركه

الأبصار وهو يدرك الأبصار «ليس كمثله شيء» وتحاشى ما يوهم التشبيه والتجسيم الا ما اقتضته ضرورة التعبير اللغوي حتى انه أزال في مثل قوله «وهو أهون عليه» ما يتبادر منه من التمثيل بالمخلوقين بقوله بعده «وله المثل الأعلى» ففاق بذلك جميع الكتب الاخرى المملئة بالتشبيهات والتمثيلات حتى الساقطة الباردة منها. وأبان بمثل قوله «وان من شيء الا يسبح بحمده» وقوله «ان كل من في السموات والأرض الا آتي الرحمن عبداً» أن لا شجر ولا حجر ولا بشر تجوز عبادته من دون الله تعالى «إياك نعبد وإياك نستعين» فعرف الانسان حقيقة حاله وأن لا يليق به أن يخاف أحداً سوى الخالق تعالى فخلص بذلك من الاوهام المحيطة به من كل جانب. هدأ الله بعد ذلك روعه منه وأعلمه أنه به رؤوف رحيم بل أشفق عليه من الأم على ولدها وأنه أقرب اليه من حبل الوريد يجيب دعوة الداعي اذا دعاه. فأحبه المسلم لإحسانه اليه وقربه منه مع جلاله وخاف من عقابه اذا هو عصاه. فمن غمره الملك بنعمه كان له محباً ولكنه يخاف أن يقع منه ما يغضبه. ومع ذلك اذا عصاه الانسان ثم رجع اليه وجد بابه مفتوحاً وغفرانه واسعاً «قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً انه هو الغفور الرحيم». الله أكبر. أين هذا الاعتدال في العقيدة من افراط قوم يظنون أن الله لا يحب الانسان الا اذا قتل نفسه لتكفير ذنبه فأوقعهم ذلك في الاشراك الحقيقي وان أنكروه وفي التشبيه والتجسيم وما خالف المعقول والمنقول. وأين ذاك الاعتدال من تفريط آخرين يعتقدون أن الله بعيد عنهم ولا يبالي بهم ولا يريد بهم خيرا

يزعم بعض من يدعي العلم من قسيسي المسيحيين أنه لم يرد في كتاب المسلمين ما يدل على حب الله لهم وحبهم له بل كل ما فيه الخوف والانزعاج منه فلذا أورد هنا ما ورد في القرآن الشريف في ذلك المعنى «قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله * والذين آمنوا أشد حباً لله * فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه * ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين * وآتى المال على حبه * ويطعمون الطعام على حبه» وفيه من ذكر الرضى والرأفة والرحمة والغفران ما لا يوجد في كتب المسيحيين أنفسهم ويكفيك أن كل سورة مبتدأة بالرحمن والرحيم. فهل إله المسلمين قاس كما يهذون؟؟

ألا ان التعصب يعمي ويصم

والخلاصة أنه بهذه العقيدة الصحيحة اجتثت جذور الوثنية من الارض وكذا كل عقيدة اتفقت معها في الحقيقة وان اختلفت عنها في الشكل وتبع ذلك طهارة العقول من الوساوس والخرافات التي أحاطت بالأمم الاخرى، فأي اصلاح أكبر من هذا؟

٣ — المساواة

قرر الاسلام أن أفراد البشر عند الله سواء وأنه لا ينظر الى صورهم وأزيائهم بل الى قلوبهم. وأن رحمته تعالى لمن أطاعه ولو كان عبدا حبشيا وعذابه لمن عصاه ولو كان شريفا قرشيا فلا فرق بين الغني والفقير والصعلوك والامير والحر والعبد الا بالتقوى «يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم» فرفع بذلك كل امتياز موهوم بين الافراد ولم يجعل لأحد على الآخر سلطانا الا ما اقتضته حدود الشريعة لدفع الاذى وحفظ الأمن وفيما عدا ذلك لا مسيطر على الانسان الا الله وحده وليس بيننا وبينه تعالى حجاب أو واسطة «انما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر» فلا كاهن ولا رئيس في الدين ليقرب الناس من رب العالمين. زال بذلك كل ما كان وضعه رؤساء الاديان الاخرى من الحجر على العقول وعلى ما منحه الله لنا من الحرية كدعوى التوسط بين الله والناس في غفران الذنوب واباحة ارتكاب بعض المحرمات في مقابلة دريهمات يأخذونها ومنع الناس من قراءة كتبهم الدينية الى غير ذلك من المفاسد التي وقع فيها الامم الاخرى بسبب عبارات وردت في كتبهم فهموها بهذا المعنى بحق أو بغير حق واستمروا على العمل بها الى ما بعد مجيء الاسلام بعدة قرون ثم أخذ بعض الطوائف في الاصلاح بمثل ما أتى به ديننا القويم من قبل.

أمكن المسلم بسبب ذلك أن يقف بين يدي الله تعالى وحده ويقرأ كتابه بنفسه ويفهم منه ما شاء أن يفهم فلا توسط ولا مراقبة ولا حجر. والناس غيره في عبودية وذل وغباوة وجهل، ذم الاسلام بعد ذلك التقليد ونهى عن متابعة الأهل في شيء الا بدليل «واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا

أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون » وأمر المسلم أن ينظر في القول ليميز صدقه من باطله . بدون نظر الى قائله « فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه . أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب» فأي دين أتى بمثل هذا كله ؟؟

٣ — العقل والعلم بالحقائق رائد الايمان الصادق

امتاز القرآن الشريف عن غيره من الكتب الدينية بمخاطبة العقل في جميع العقائد والتحاكم اليه عند التخالف والتعاند، فلم يقرر عقيدة أو يرد أخرى الا بالدليل العقلي . أي كتاب غيره أقام الدليل على حدوث العالم بحركات الأجرام السماوية تذكر حجة ابراهيم على قومه في سورة الأنعام مثلا تأمل قوله في الرد على من عبد مريم والمسيح « كانا يأكلان الطعام » وقوله « ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » رداً على من اتخذ ولادته بدون أب دليلا على ألوهيته . وقوله في اثبات النبوة « أم يقولون تقوّله بل لا يؤمنون * فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين » وقوله « فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون » وقوله « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذاً لارتاب المبطلون » وقوله في عدم استحالة البعث « أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم » الى غير ذلك من الآيات التي هي أساس علم الكلام كما بينا ذلك في المقال السابق .

ولم يكتف باقامة الحجة على العقائد فقط بل لا تجد في الغالب أمرا أو نهيا الا أتبعه بالدليل ولم يرض بالاستسلام والرضوخ بدون معرفة السبب فقال مثلا « كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » أي ان الصيام الذي يقوي الارادة ويربي النفس على مراقبة الله تعالى ويعرفها مقدار النعم عند فقدها أعظم معد للتقوى . وقال في الحدود « ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب » وقال في الأخلاق « ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم » وغير ذلك كثير مما لم يأت في كتاب سواه فلا تجد صحيفة منه خالية من قوله « لعلكم تعقلون . تتفكرون . يا أولي الالباب .

الأولي النهي . لذي حجر الخ الخ» ثم ماورد فيه بشأن العلم والعلماء كثير « ومايعقلها الا العالمون» انما يخشى الله من عباده العلماء » ومايعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم »هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون» و بذلك كله صار المسلم لا يبالي بعقيدة خالفت العلم الصحيح أوناقضت حكم العقل فبينما تجد غيره يرضخ لعقيدة لا يفهمها ولا يمكنه أن يعبر عنها بما يجعله يفقهها بل يذعن ويسلم ثم يقيم الصلوات والأدعية لترسخ بالقوة في ذهنه — بينما تجد ذلك في غيره تجده هو يشق الحجب بفكره ويرقى الى الملكوت الأعلى بعقله عملا بقول كتابه «قل انظروا ماذا في السموات والارض»

لا يطالب القرآن أحدا بالايمان لمجرد سرد قصص عن المعجزات وخوارق العادات بل أمر بالتدبر والنظر فيه «أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها» وخالف بذلك سائر الكتب الاخرى وفتح للعقل بابا واسعا للبحث فيما أتى به حتى يجزم بأن صدوره من مثل محمد العربي الامي صلى الله عليه وسلم ضرب من المحال. ولم يرد أن يغلق دونه الباب بتعداد حكايات لم تخل أمة من نسبة امثالها الى مؤسسي دينهم بل قد ورد في كلام بعضهم كالمسيح مثلا ما يدل على انكاره لها ان صحت الرواية عنه. وذلك قوله «جيل شرير وفاسق يطلب آية ولا تعطى له آية الا آية يونان النبي» يريد بذلك أنه كما آمنت أهل نينوى بيونس لمجرد الوعظ فلتؤمن الناس بي أيضا لهذا السبب بعينه بدون معجزة وماورد بعدها من قوله «لانه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال هكذا يكون ابن الانسان في قلب الارض ثلاثة أيام وثلاث ليال» قال فيه المحققون من المسيحيين أنفسهم انه تفسير من جانب كاتب الانجيل وهو غلط لوجهين (الاول) ان المسيح لم يمكث في بطن الارض على قولهم الا يوما وليلتين كما هو صريح جميع الأناجيل و (الثاني) أنه بعد قيامته لم يظهر لاحد من هؤلاء الطالبين ولم يشاهده سوى بعض نساء و بعض المتقدين فيه . فكيف يكون ذلك آية مقنعة للمخالفين ؟ وخلاصة القول ان هذه العبارة تنفي جميع المعجزات ومع التساهل لا تبقي الا واحدة وقد بينا لك حالها : فهذا هو شأن جميع الاديان التي لا حجة لها الا أمثال هذه الأقاصيص والاعجوبات: فهل تقارن هذه بالدين

الذي لا عقيدة ولا أمر ولا نهي ولا حكم فيه إلا ويتبعه الدليل العقلي من نفس كتابه: فلله دره من دين أحيا العقل بعد أن أماتوه، ونهض به إلى حظيرة العلم بعد أن دفنوه، فأي إصلاح أكبر من هذا!؟

٤ — رفع وهم عن الناس في مسألة تأثير الشياطين

أتى الإسلام والناس جميعاً واهمون في مسألة تأثير الشياطين: رسخ في عقول الأمم كافة أن الأرواح الخبيثة مسلطة على الإنسان بالأذى فإذا رأوا مفلوجاً أو مشلولاً أو مجنوناً أو أبكم أو أصم أو مصاباً بأي مرض آخر نسبوا ذلك إليها فامتلأت قلوبهم رعباً منها وخافوا من الأماكن القديمة أو الخالية أو المظلمة أو من سقوط شيء على الأرض أو من دخول محال التغوط إلى غير ذلك من الأوهام التي لا يزال أثرها في نساء أهل مصر إلى اليوم: ويا ليت الأمر كان قاصراً على ما ذكر بل ظهرت نتيجة ذلك في أعمالهم وكانت سبباً في ضررهم ضرراً بليغاً فإذا أصيب أحدهم بمرض ما تداووا بالعزائم والطلاسم وإيقاد البخور أو زيارة بعض القبور أو تعليق أوراق أو الاستنجاد براق حتى يتمكن الداء وتستفحل العلة فلا يقوى الطبيب على استئصالها أو إيقاف سيرها ويموت الشخص ضحية للجهل والوهم: هذا كان شأن الأمم في هذه المسألة وهذه كانت أفكارهم وكانت تأتيهم الأديان ولا تزيل عنهم هذه الخزعبلات المميتة للنفوس والأجسام بل إن بعضها أيدها تأييداً ونص على صحتها صريحاً: فتجد أن كل صحيفة من كتبها تدل على أن الشياطين هي علة هذه الأمراض كالصرع وأنواع الشلل والبكم والصمم وأنواع الجنون والعتاهة وغير ذلك مما عرفت أسباب أكثره العلوم الطبية الحديثة وما لا تعرفه قاسته على غيره لوجود التشابه العظيم بينها ولشفاء بعضه باستعمال العلاجات المادية المحضة كالمواد الكيماوية ونحوها

أتى الإسلام والناس على هذه الحالة فلم يشأ أن يتركهم وشأنهم يخبطون خبط العشواء في الليلة الدهناء بل أصلح هذه كما أصلح غيرها مما يميت النفس والجسم معاً صغيراً كان أو كبيراً وذلك بالإفصاح أن ليس للشيطان على الإنسان

من سلطان الا بالاغراء والوسوسة فلا يمكنه أن يؤذيه في جسمه أوعقله أواحدى حواسه بشيء مطلقاً قال تعالى حكاية عن الشيطان «وما كان لي عليكم من سلطان الاأن دعوتكم فاستجبتم لي فلاتلوموني ولوموا أنفسكم» وقال تعالى في خطابه «ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين» وماورد فيه من قوله «لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس» هو على سبيل التمثيل والتشنيع الذي ورد مثله في كل لغة مهما كان اعتقاد قائله فهو على حد قوله في مقام آخر «طلعها كأنه رؤوس الشياطين» (١) وتلك عبارة واحدة لم يرد غيرها.

فليطالع القارئ العهد الجديد للنصارى مثلا ليعلم الفرق بين هذا وذاك بمثل هذه الحقائق التي قررها القرآن صار المسلم الحق لا يعبأ بالشيطان ولا يخشى منه أذى أوضررا إلا ما كان دعوة لشهوة أو نحوها مما يجب عليه أن يحترس منه فاذا أصابه مرض مَّا لم يستشف بقديس أو قسيس كما يفعل غيره بل يطلب الطب والدواء ويأتي البيوت من أبوابها فأعظم به من كتاب لم يهمل شيئاً فاسداً الا أصلحه . فبأي كتاب يمكن أن تقارنه ؟؟

الله أكبر ان دين محمد ... وكتابه أقوى وأقوم قيلا

لاتذكروا الكتب السوالف عنده ... طلع الصباح فاطفئ القنديلا

الاعتقاد الصحيح لا يكون الا باقتناع العقل بدليل لا بارهاب أو ترغيب. فمن لم يطمئن قلبه بالبرهان، لايحصل له الايمان، وان تظاهر بشيء منه فهو منافق كذاب، فلا معنى لادخال عقيدة في القلب، بواسطة التهديد بالقتل أو الضرب، وهذا مالاجدال فيه وعليه فاستعمال القوة للحمل على اعتقاد هوس وجنون وسعي فيما لا يمكن أن يكون، لهذا نهى الله المؤمنين عن الإكراه نهياً صريحاً في عدة مواضع من كتابه العزيز «لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي * وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر * ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين» ثم طيب قلوبهم بنحو قوله «لا يضركم من ضل اذا اهتديتم * — وقوله ولوشاء ربك لجعل الناس

(١) المنار: الصواب ان الشياطين هنا نوع من الحيات كما في التفاسير المعتمدة.

أمة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك » ففقه المسلمون أن ليس من وظيفتهم بالنسبة لغيرهم مانهاهم الله عنه . أمروا بالقتال ولكن لا للعقيدة بل لدفع الأذى وأمن الفتنة وحماية الدعوة «وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله » الفتنة هي ما يفتن به المرء في دينه من أنواع الاذى والاضطهاد والمعنى قاتلوهم حتى يأمن كل منكم على نفسه ويكون دينه كله خالصاً لله لا يشوبه خوف أحد أو كتمان شيء لعدم اغضابه أو اظهار آخر لا يدين به لاجل ارضائه بل يكون دينكم وخضوعكم كله لله بدون مبالاة بغيره . ولو كان القتال لاجل الدين لما كان هنالك معنى لقوله « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » وقوله « الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم أحداً فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين» وهذه الآيات مدنية نزلت وقد أعلن القتال وأنشبت الحرب أظفارها فكيف ينهى عن قتال من لم يقاتل أو يُعقد عهد مع المشركين ، اذا كانت الحرب لاجل الدين ولما أمر الله تعالى في سورة براءة بقتال المشركين الذين خانوا العهود ونقضوا المواثيق وبدأوا بالعدوان وكانوا مهددين للمسلمين في كل وقت وأوان ، وخيف أن يدخل أحد في الاسلام حذر القتل أمن كل من رغب النظر فيه ليهتدي اليه بدون اكراه فقال « وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون »

والخلاصة أن المسلمين اذا أمكنهم الدعوة الى دينهم دعوا اليه بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن ولكن اذا هددت الدعوة وخيفت الفتنة قاتلوا حتى يخضع المهدد لسلطانهم ويأمنوا شره و بعد ذلك يعطفون عليه بالرفق واللين والاحسان وحمايته في مقابلة جزء يسير يدفعه من ماله وله أن يقيم على أي دين شاء . هذا هو حكم الجهاد في الاسلام كما يستفاد من مجموع آي القرآن الواردة في هذا الشأن . أما ما خالف ذلك فليس من الاسلام في شيء ويكون الحامل عليه الملك والاستعمار لا الدين وهذا مبحث آخر فليس للمسلم أن يقاتل من كان آمناً منه لأجل أن يكرهه على دينه أو يسيء الى من خالفه في الاعتقاد «لا ينهاكم

الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين» أو يقطع علائقه مع أهله لأجل الدين « وان جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً » أو يعاقب بأكثر مما عوقب به . أو يقتل في حربه شيخاً أو طفلا أو امرأة . الى غير ذلك من شرائع العدل والرأفة والرحمة . فأي دين بلغ من القوة ما بلغ الاسلام وعمل بمثل هذه القوانين العادلة . قارن ذلك بما فعله بنو اسرائيل مع غيرهم وما فعله النصارى مع مخالفيهم ومع بعضهم

يقولون ان المسيح عليه السلام فاق محمدا عليه الصلاة والسلام بالدعة والرحمة ونقول هب أن ذلك صحيح فهل يقارن من عاش ثلاث سنين في الضعف والمسكنة بمن عاش ثلاثاً وعشرين وهابته الملوك والجبابرة ؟ فما يدرينا أنه لو عاش مثل ما عاش وبلغ مثل ما بلغ ماذا كان يفعل . عاش محمد عليه السلام ثلاث عشرة سنة أو أكثر ولم يبد منه عداوة لأحد وعاش المسيح عليه السلام ثلاث سنوات فبدت منه البغضاء للناس اذا صح ما نقل عنه نعم انه قال «أحبوا أعداءكم : باركوا لاعنيكم» ولكنه كان أول من خالف ذلك على روايتهم فقال «من لم يبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده واخوته حتى نفسه أيضاً فلا يقدر أن يكون لي تلميذاً » وقد برهن على هذا القول بالعمل حينما قيل له أمك واخوتك واقفون خارجاً طالبين أن يكلموك فقال « من هي أمي ومن هم اخوتي — ومد يده نحو تلاميذه وقال — ها أمي واخوتي : من يصنع مشيئة أبي هو أخي وأختي وأمي» وقال في مثل له «أما أعدائي أولئك الذين لم يريدوا أن أملك عليهم فأتوا بهم الى هنا واذبحوهم قدامي» فما هذا التناقض وما هذه الحال . والحق يقال ان حب العدو فوق الطبيعة البشرية فمن أراد أن يغيرها لا يلتفت اليه ولا يسمع له قول كما هو مشاهد في العالم الآن بأجمعه، ولكن الشريعة الاسلامية أتت لتقويم معوج الطبيعة لا لتغييرها وتبديلها فأمرت بما يقدر عليه الانسان بجهد قليل بأن حثت على الاحسان الى المسيء «ويدرءون بالحسنة السيئة» ومدحت ذلك ولكنها أقرت بأن الأخذ بالمثل لا ظلم فيه ولا عدوان ولكنها لم تندب اليه كما ندبت الى الأول «ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الأمور» فانظر

الفرق بين ماوافق الفطرة و بين ماحاول تبديلها. وهذا هو الشأن في كل المسائل التي خالف فيها الاسلام الأديان الاخرى المعروفة «فطرة الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون»

٦ — اصلاح حال المرأة

أتى الاسلام وحال المرأة في اختلال، بنات موؤدة ، وحقوق مهضومة ، وذل واحتقار ، حتى ظن بعض من كان ينقد بنوع من البحث أن المرأة لانصيب لها فيه، طلاق لأوهى الاسباب، أوامساك مع البغضاء والشحناء ،تعدد لاحدله أواقتصار على واحدة أوقع غيرها فريسة للفقر والاهواء فماذاعمل الاسلام في هذه الحالة المختلة، وكيف أزال العلة؟؟

حرم وأد البنات تحريماً بتاً. وأنذر الناس عذاباً أليما يوم القيامة ان لم يتركوه «واذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت» رفع شأن المرأة وحفظ حقوقها وجعل لها مثل ماعليها فقال « ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة» وهي درجة القوة والانفاق كما ذكر في آية أخرى. ساوى بينها و بين الرجل في جميع الأوامر والنواهي الدينية «ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيما» وقال أيضاً « اني لاأضيع عمل عامل منكم من ذكر وأنثى» فعلم الرجل انها قرينته له في الآخرة كما هي في الدنيا ولا امتياز بينهما في ذلك. امر بالاحسان اليهن في عدة مواضع ومعاشرتهن بالمعروف ونهى عن امساكهن ضراراً. وطيب قلب الرجل اذا حصل فيه شيء من الكره بقوله «وعاشروهن بالمعروف» فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيرا كثيرا» حتى لايتسرع الى الطلاق لأقل سبب وأوجب عليه التروي وتحكيم حاكمين من أهلها قبل أن يقدم على ذلك «وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها» الآية لأن الطلاق وان كان مباحاً لكنه أبغض الحلال الى الله كما ورد في الحديث أما اذا لم يمكن التوفيق بينهما

لسبب مّا من الاسباب فعدمه فيه حرج كبير مخل بالعائلة والنظام ويجر الى مالا تحمد عقباه ولذلك نجد من حرم عليهم في شريعتهم أخذوا يتخلصون من ذلك بكل وسيلة

قال المولعون بالاوهام ان اباحة الطلاق تقلل الحب بين المرأة وزوجها لأنها مهددة به في كل وقت . ولكنا نقول هل المرأة التي تعلم أن الجامعة بينهما قسرية اضطرارية تضمن حب زوجها لها أكثر من التي تعلم أنه لو لم يكن هناك حب لسهل افتراقهما؟ فما هذا القلب قلب الحقائق الى الضد!

كان تعدد الزوجات غير محدود عند العرب وعند غيرهم فوضع الاسلام له حداً كما هو معلوم ولم يندب اليه وقيده بشرط عدم الخوف من عدم العدل وفوائد الاباحة كثيرة منها (١) أن الانسان اذا أصاب امرأته مرض مزمن جعله ينفر منها فاما أن يبقيها أو يطلقها : أما طلاقها والحالة هذه فهو خلاف المروءة والانسانية اذ لا يمكنها أن تتزوج بغيره وربما لا يكون لها عائل سواه وان أبقاها ولم يتزوج عليها تعطل نسله هو أيضاً وتعرض للاصابة بأمراض كثيرة تنشأ من عدم القيام بهذه الوظيفة أو اضطرته الشهوة الى الزنا أما اذا كان هو المصاب بذلك المرض المزمن فطلاقها اذا يكون عين الحكمة والصواب فتسلم من العدوى ان كان مرضه معدياً فيمكنها التزوج بغيره والقيام بوظيفتها التناسلية أو الاشتغال بشيء تكتسب منه قوتها. وهذا أيضاً من فوائد الطلاق . فهل في الطلاق والتعدد اصلاح للمرأة أم اضرار بها ؟ ومثل المرض المزمن العقم في النساء فالتزوج عليهن خير حل لهذه المسالة وخصوصاً فيمن كان يطلب وارثاً له في مال أو ملك (٢) عدد النساء أكثر من عدد الرجال فلو لم يبح التعدد لوجد عدد كبير منهن لا حيلة لهن سوى الاتجار في أعراضهن كما هو مشاهد في أكثر بلاد أوروبا وذلك يجعلهن مبتذلات معرضات للامراض واذا افتقرن ومرضن أو كبرن في السن أو فقدن عضوا منهن فلا مخلص لهن من سوء الحال سوى الانتحار . فهل في التعدد اصلاح أم اضرار بهن ؟ هذا واذا علمنا أن شهوة الرجال أقوى من النساء بكثير وأنهم يميلون الى التعدد بخلاف الاناث كما هو مقرر في العلوم الباحثة في هذا الشأن أيقنا أن اباحة التعدد موافقة للنوع الانساني

من كل وجه. ولا ننكر أنها قد تجر الى بعض مضار. ولكن باستعمال العقل والحزم يغلب نفعها على ضررها.

ولا يزول ما بين الرجل العاقل وبين امرأته من المودة والرحمة التي جعلها الله بينهما بسبب التعدد كما يتوهم البعض لان قلب الرجل يسع أكثر من واحدة كما أن قلب الام يسع جميع أولادها وقلب الاستاذ جميع تلاميذه النبهاء. فالتعدد لا يمنع من حب الجميع ألبتة ولا ينافيه. ولكنه ينافي العشق والغرام الذي هو أحد أمراض الحب. وأقصد بالعشق عبادة ذات مخصوصة والتفاني فيها بما يؤدي الى الموت ان فقدت ومثل هذا لا يليق بعاقل وهو لا يدوم بل سريع الزوال فالحب المقصود وجوده هو المعبر عنه بقوله تعالى «وجعل بينكم مودة ورحمة» أي حب شفقة وحنان وحب اخلاق لا حب ذات وهذا لا ينافيه التعدد فقد توجد المودة والرحمة والشفقة والحنان وحب الاخلاق من شخص لكثيرين. ومتى علمت المرأة ذلك من الرجل وعلمت أنه هو عائلها وكافلها أحبه قلبها رغم أنفها وان كرهت شريكاتها فيه. وهذا الكره ناشئ من شهوة الاستئثار بالنفع وهي شهوة لا يجوز للرجل أن يطيعها فيها اذا اقتضت الضرورة خلافها. ولو عقلت المرأة أن غيرها يود من يقوم بشؤونه مثلها وأن قلة الرجال بالنسبة لهن يستلزم قيام رجل واحد بشؤون أكثر من واحدة لوجدت نفسها مخطئة في ايثار النفع الخاص على النفع العام. الامر الذي تحاشاه ديننا القويم والخلاصة أن الشريعة الاسلامية حلت مسألة المرأة أحسن حل وأصلحت حالها اصلاحاً لم تات به شريعة أخرى وقد أخذت الافكار في أوروبا تتقرب الى ما أتى به الاسلام بعد أن عادته عداء شديداً مدة مديدة

الحديث شجون — ايثار النفع العام على النفع الخاص هو مما يعبر عنه المسيحيون (بانكار الذات). فهل الدين الذي يدعو المرأة لان ترى غيرها شريكة لها في زوجها كالذي يدعوها لان تستأثر بشخص وحدها وترى غيرها من النساء يرحن ويغدون في الطرقات كل يوم الى ما بعد نصف الليل ليحصلن على ما به يقتتن ويكتسين؟؟ هل الدين الذي كان أهله في الصدر الاول يطلقون نساءهم ليزوجوهن اخوانهم من المسلمين ويطعموهن طعاماً هم أنفسهم محتاجون اليه يقال عنه انه لم

يلمهم انكار ذاتهم!! ألم يرد في كتابهم قوله تعالى «ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة»؟؟ هل الدين الذي كان صاحبه يدعو ربه لينجيه من القتل والصلب بقوله على زعمهم « ان أمكن فلتعبر عني هذه الكأس» وزعمهم أنه لما حصل بالفعل ضجر وخارت قواه وصرخ قائلا «إلهي إلهي لماذا تركتني» كالدين الذي كان صاحبه لا يبالي بالأذى والقتل في سبيل نصرة الله ودينه وقد احتمل من الاضطهادات مدة ثلاث وعشرين سنة مالم يحتمله سواه وهو يتلو قوله تعالى «ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً» الآية أيهما برهن للعالم على انكاره لذاته في سبيل هداية الناس وارشادهم الى الحق مهما أصابه وكان يقابل سهام العدو بصدره وحده ويقول «أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب» ؛ الله أكبر . أين هذا من ذاك . فما كان أغنانا عن هذا الجدال كله لولا اعتداؤهم علينا . هل أوجب المسيح الزكاة والصوم والحج على متبعيه مثل ما أوجب القرآن . أليس في هذه الثلاث أكبر معنى لانكار الذات ونفع الناس والاستيلاء على الشهوات ووطئها بالاقدام وتحمل المصاعب والمشاق للحصول على رضوان الله . أبعد ذلك يقولون ان المسلمين لا يعرفون معنى لانكار الذات الذي يطنطنون به ويدعونه بألسنتهم وهم أبعد الناس عنه وأكثرهم انغماساً في الملاذ والشهوات . ولكن ليقف القلم عند هذا الحد ولنرجع الى ما كنا فيه

باب المقالات

﴿ دعوة اليابان الى الاسلام ﴾

خواطر وآراء

كان أشيع منذ سنين أن أولي الامر في اليابان قد عرفوا بارتقائهم في العلم والسياسة أن دينهم الوثني باطل وأنهم يبحثون في غيره من الأديان ليختاروا لهم منها ما يظهر لهم أنه أهداها سبيلا، وأقومها قيلا وأقواها دليلا، وأقربها من صداقة المدنية، وأبعدها عن عداوة العلوم الكونية، وأنهم لاحت لهم بوارق دين الاسلام فأحبوا اكتناه كنهه، والوقوف على حقيقة شأنه، فراجعت حكومتهم في ذلك سلطان

العثمانيين، لأنه أكبر سلاطين المسلمين، شاع ذلك أيام أرسل السلطان عبدالحميد تلك السفينة الحربية (أرطغرل) الى بلاد اليابان لتزور حكومتها وأرسل معها وفداً دينياً ليبين لها حقيقة الإسلام كما قيل ولكن السفينة غرقت قبل أن تصل الى حيث تقصد ثم سكت الناس عن الكلام في اسلام تلك الأمة ونسوه ولم يكن قد ظهر لهم حقيقة أمرها في القوة والمدنية

ولما ظهر من أمرها في الحرب الاخيرة في هاتين السنتين ماظهر، وغلب نور فضلها — وهي دولة الشمس — على نور القمر، عاد المسلمون الى حديثهم الاول في اسلامها فتحدث به المصري والسوري، والهندي والروسي، والجزائري والتونسي والافغاني والصيني، من غير مواطأة بين مسلمي هذه الاقطار، ولا تقليد أحد منهم للآخر في الافكار، وإنما هو شعور بعثه في نفوس هذه الشعوب القصية، ما يعلمونه من الخطر على بقايا السلطة الاسلامية، بما جبل عليهم حكامهم من الجهل والاستبداد، مع وقوف دول أوربا لهم بالمرصاد، وبما اعتادوا عليه — أعني المسلمين — من الاتكال على الحكام في الاعمال، والاستعاذة بهم من خواطر التكافل والاستقلال، والنهوض بجلائل الاعمال،

اسلام هذه الامة العزيزة ذات الدولة القوية قد صار من الاماني التي يتخيلها كثير من المسلمين المتفكرين، الذين يألمون من سلطة المخالف لهم في الدين، فمنهم من يلهو بتخيلها في خلوته، ويتمثل بما قال ذلك الشاعر في معشوقته،

أماني من سعدى عذاب كأنما   سقتنا بها سعدى على ظمأ بردا
مُنًى إن تكن حقاً تكن أحسن المنى   والا فقد عشنا بها زمناً رغدا

ومنهم من يتحدث بها في الأندية والسمار، ويشرح ما يكون لها من الفوائد والآثار، ويقول ان أسلم الميكادو فانا أول المبايعين، وأضمن له ذلك في جميع شعوب المسلمين، ومنهم من ارتقى عن الأماني وهم أحلام المستيقظين، وعن لغو الحديث وهو فاكهة الكسالى والعاجزين، الى حث من يظن فيهم كمال العلم بحقيقة الاسلام، على تأليف رسالة أو كتاب لدعوة أولئك الأقوام، ومنهم من يقترح أن يجمع شيء من المال، يجهز به دعاة من فضلاء الرجال، ليأتوا البيوت من

الأبواب ، وينشروا الدعوة بالقول والكتاب ، ومنهم من ارتقى الى الاستعداد للدعوة بالفعل ، ويقال انه قد انتدب الى ذلك أفراد من الشيعة في الهند

رأينا بعض أولئك المتمنين ، وتحدثنا مع بعض المقترحين ، فرأينا أن السياسة هي ولدت في نفوسهم هذه الرغبة وقلما تجد فيهم من يود اسلام تلك الأمة لباعث ديني خالص من شوائب السياسة وإني ليحزنني أن لا أرى في قومي كثيراً ممن يهتم بنشر الاسلام لذاته رغبة في سعادة من يدخل فيه وفوزه برضوان الله تعالى ويعزيني عن حزني أن أرى الاهتمام بحفظ السلطة الاسلامية عظيماً في نفوس كثير من المسلمين فان للإسلام ركنين أحدهما للآخرة وثانيهما للدنيا وان ضعف أحدهما أهون من ضعفهما كليهما وان كان القوي لا يغني عن الضعيف الا أن يستند اليه المصلحون في اقامة الآخر وارجاعه الى أصله

قلت لبعض المتكلمين معي في هذه الأمنية ان اليابانيين مستعدون لقبول دين يتفق مع العلم والمدنية والقوة وإنا نحن وإياكم لعلى اعتقاد بأن الاسلام الذي عليه المسلمون ليس كذلك والا لما حرموا من العلم والمدنية والقوة ما اعتز به غيرهم، وأن الاسلام الذي جاء به القرآن الحكيم وبينته السنة السنية وكان عليه أهل الصدر الاول هو كذلك ، ثم ان ما تطلبونه بدعوة هذه الأمة الى الاسلام هو الاعتزاز السياسي بهم والتمتع العاجل بحمايتهم وانما يرجى هذا اذا وجهت الدعوة أولا الى ملكهم ورجال حكومته وهؤلاء قوم سياسيون يوشك ان لا يعتدوا بقول أمثالنا في بيان دين له ملوك وأمراء بدون استفتائهم فيه فاذا نحن كتبنا رسالة الدعوة وبينا فيها أصول العقائد والاحكام في الاسلام وأهمها عند هؤلاء شكل الحكومة وهو كونها وسطا بين الديمقراطية والدسقراطية المتطرفتين مشروطاً فيها مشاورة أولي الامر في الشؤون السياسية واستنباط الاحكام وهم أهل الحل والعقد وأصحاب المكانة والرأي — فما يشعركم أنهم يراجعون في ذلك السلطان الذي يرون المسلمين يلقبونه بخليفة النبي صلى الله عليه وسلم ويعترفون له بالرياسة الدينية واذا هم فعلوا فماذا تتوقعون من جواب السلطان، ومن مفتي الدولة الاكبر الملقب بشيخ الاسلام؟؟ قيل ننتظر أن يكون الجواب تكذيب الرسالة ولكننا نقول ان هؤلاء العقلاء

لا يستفتون حكومة شخصية مطلقة في شأن حكومة شورويةمقيدة ، بل يعتمدون على الدليل والبرهان ، والاستشهاد على ما يدعون اليه بما مضت به السنة ونطق به القرآن ، قلت المسألة فيها نظر ، تجب فيه اجالة الفكر ،

وهنا خاطر آخر : اذا قلنا لهؤلاء القوم ان هذا الدين هو الدين الوحيد الذي حفظ أصله وضبط تاريخه فكتابه المنزل نقل بالتواتر الصحيح فهو يقرأ في مشارق الارض ومغاربها كما كان يقرؤه النبي وأصحابه ، ويكتب في بلاد العرب والعجم كما كتبه حفظة الوحي وكتابه ، وأن ما فسره و بينه من السنة العملية قد تواتر كذلك تواتراً حقيقياً لم تنقطع سلسلته في يوم من الأيام ، وما يؤثر عن النبي وأصحابه من الاقوال ، قد ضبط ضبطاً لم يعهد مثله في جيل من الاجيال ، ومع هذا كله نفرض عليكم مارضيه جماهيرنا لانفسهم وهو أن تتبعوا في الدين رأي عالم من المجتهدين الذين أفتوا وعلموا بعد النبي وأصحابه بعشرات أو مئات من السنين ، ولا نبيح لكم أن تأخذوا الدين من كتابه المنزل ، وسنة نبيه المرسل ، وتردوا الشريعة من ينبوعها الاول ، فان رضيتم بذلك عددناكم من المسلمين ، والا كنتم في نظرنا من الضالين المضلين ، — اذا فصلنا لهم هذا القول أفتراهم يرضون بأن نكون لهم هداة مرشدين ، على رضانا بحرمان أنفسنا من الاستقلال بفهم الدين ، أتراهم يتركون انا ونحن دونهم في العلم ما نجحوا به من الاجتهاد والاستقلال ، والاعتماد في قبول أي شيء ، أو رفضه على قواعد الاستدلال ، أتراهم يرون من الخير لدولتهم وأمتهم ، ولمسابقة الاوربيين في ثروتهم وقوتهم ، أن يتعبدوا في أعمالهم السياسية والمالية والمدنية ، بأقوال التتارخانية والشرنبلالية والولوالجية ، أو أمثالها من كتب المالكية والشافعية ، ؟ كلا ان البداهة لتقضي بأن أمثال هؤلاء المستقلين في كل شيء لا يقبلون الا ديناً معقولا مساعداً على مسابقتهم للامم الراقية في كل شيء فيستحيل أن يقيدوا أنفسهم بفهم رجال غير معصومين وجدوا في زمان كانت سياسته وحربه ومدنيته ومعاملاته التجارية وغيرها مباينة لما عليه أهل هذا العصر مباينة تقضي باختلاف الاحكام ، أو أن يدينوا باعتقاد العصمة لأئمة آل البيت عليهم السلام ، ويأخذون ما يرويه عنهم الشيعة بالاستسلام ،

نحن نجزم بأن الاسلام دين الارتقاء الذي يناسب كل عصر فليس في كتابه

العزيز ولا في سنته الثابتة التي لاخلاف فيها بين المسلمين ما يبطىء بسير أمة مستقلة ومسابقتها لسائر الامم ولكن في الاحكام الخلافية التي هي محل الاجتهاد بين الفقهاء مالا يوافق مصالح الناس في كل عصر فالتزام أقوال بعض المجتهدين وأتباعه في أحكام المعاملات والسياسات والاخذ بكتب أي طائفة من الفقهاء هو عائق لأ مة تلتزمه عن مجاراة أمم لا تلتزم الا ما ترى فيه مصلحتها التي تختلف باختلاف ما يستحدث الناس آ نًا بعد آن من ضروب التفنن في الكسب واستعمار الأرض . فمن يدعو اليابانيين الى الاسلام يجب أن يكون عالمًا بالكتاب والسنة وما في هذا العصر من طرق مدنية الامم والدول وأن لا يلتزم الدعوة الى مذهب معين والا كان من الخائبين ، والويل لهذه الدعوة اذا جاءت من قبل شيوخ الرسوم المقلدين ، وأين نجد هؤلاء الدعاة الهداة المهديين ،

ومن المسائل التي يجب اجالة الفكر فيها عند البحث فى هذه الدعوة «مسألة الوطنية» التى يدعو اليها بعض الاحداث المتسمين بغواية أوربا أو اغوائها المسلمين ومن مقتضاها على ما يعرف القراء ان المسلم الياباني اذا جاء بلاداً اسلامية غير بلاده وأراد الاقامة فيها يجب أن يعد دخيلا وأن يسعى الوطنيون فى مقاومته وعرقلة أعماله لئلا يربح من بلادهم ما هم أحق به في شريعة الوطنية وان كانت أعماله خدمة لهم حتى في دينهم أو ترقية بلادهم وان كان لا يوجد في البلاد من يغني عنه فيها

اذا سرى سم هذا الضرب من الوطنية في كل قطر من الأ قطار الاسلامية ألا يكون مانعا من استفادة بعضهم بما يفضلهم به الآخرون من علم وعمل ؟ اذا كان اليابانيون أنفسهم على هذه الطريقة فهل يهمهم من أمر المصري والسوري والمغربي ما يحملهم على إفادة اخوانهم في هذه البلاد بما أوتوه من عزة وقوة وعلم وصناعة ؟ ماذا ينتظر أهل مذهب الوطنية الكاذبة من دخول اليابانيين في الاسلام ومن أصول مذهبهم أن الرابطة الجامعة بين الناس هي عصبية البقعة لا الدين ولا اللغة بل ولا السياسة فان أحداث الوطنية في مصر لا يعدون العثماني السوري شريكا لهم في وطنيتهم ، ولكن الشعور بميل المسلمين في مصر الى اسلام اليابانيين وباستفادتهم منه يدلنا على أن الرابطة الاسلامية لا تزال أقوى من الرابطة الوطنية التي يدعو اليها الاحداث الجاهلون

ولا ينسين المتمني لو يسلم اليابانيون والباحث في دعوتهم ليمتز باسلامهم في بلادهم وان بعدت عنهم أنهم اذا قصدوا الى الدخول في سياسة بلاد غير بلادهم فان حكومتها اذا كانت اسلامية تناهضهم باسم الدين وعلماء الرسوم المقلدون يؤيدون حكوماتهم في أمثال هـذه الامور بل هم عضد الحكام وأنصارهم في كل شيء فهم يفتون لهم بكفر اليابانيين لاسيما اذا كانوا لا يلتزمون في اسلامهم اتباع مذهب من المذاهب الاربعة في الاحكام واتباع الاشاعرة اوالماتريدية في تقرير العقائد هذا اذا كانت الحكومة التي تقاومهم تنتسب الى أهل السنة كالدولة العثمانية أو اتباع مذهب الشيعة اذا أرادوا الدخول في سياسة الدولة الايرانية و بذلك يكون دخولهم في الاسلام لاجل السياسة فتنة للمسلمين لا يستهان بها ولا يسهل الحكم بنتيجتها

وقد يقال لولم تستفد البلاد الاسلامية البعيدة عن اليابان من اسلامهم الا الاستفادة المعنوية لكفى وأدنى هذه الفائدة أن تخفف أوربا وطأتها عن المسلمين في مستعمراتها بل وفي الممالك الاسلامية المستقلة التي يعبث الدول باستقلالها كل يوم حتى صار مهدداً بالزوال والعياذ بالله تعالى ولا يبعد أن يلهم الله ملوك المسلمين رشدهم فيحالفون هذه الدولة العزيزة اذا قضت حكمتها بأن لا تنازعهم على لقب «الخلافة» الذي كان ركان كل بلاء وعلة كل شقاء أصاب هؤلاء المسلمين ماضيهم وحاضرهم. أقول وان أمام هذه المحالفات ووراءها من مقاومة أوربا ما لا ينكره بصير ولا فائدة لنا في الخوض فيه وانما نودع هذا المبحث الجديد (تمني اسلام اليابانيين) من المسائل والخواطر ما يذكر الناسي وينبه الغافل الى المسائل التي يفيد تذكرها والفكر فيها

لتجدن أجدر المسلمين بالاستفادة من اسلام اليابانيين ــ لوحصل ــ مسلمي الصين وان استفادة الدولة اليابانية منهم لأكبر من استفادتهم منها ذلك ان مسلمي الصين لا يقل عددهم عن عدد اليابانيين وهم أشد أهل الصين بأساً وأعز نفراً وأبرع في الجندية وأحسن آراء فيسهل على الدولة اليابانية على قربها منهم ، ومعرفة كثير من رجالها بلغتهم ، ان تستعين بهم على ما تريد بمملكة الصين فتسود في الشرق الاقصى سيادة يمتد شعاعها الى الشرق الادنى ، فيحييه حياة جديدة تكون مبدأ للدخول

العالم كله في المدنية الفضلى، واستقامته على الطريقة المثلى، بالجمع بين الدنيا والدين بين مطالب الجسد والروح بين سعادة العاجلة والآخرة وذلك هو الفوز المبين

تلك الخواطر التي عارضت الفكر وهو يجول في رياض هذه الامنية هي من أهم مسائل الاصلاح التي تذكرنا بمواضع ضعفنا وناهيك بمسألة فقد العلماء المستعدين للدعوة الصحيحة الى الاسلام التي يقدر أصحابها على التأسي بالانبياء عليهم السلام في مخاطبتهم الناس على قدر عقولهم وبما يناسب استعدادهم . انك لتدخل بيوت بعض علمائنا فتجد فيها ألواحاً معلقة على الجدر مكتوبا عليها بخط يلفت جماله النظر (العلماء ورثة الانبياء) وألواحاً أخرى مثلها في الجمال والبهاء كتب عليها (علماء أمتي كانبياء بني اسرائيل)(*) علقت لتوهم الزائر ان صاحب الدار من هؤلاء الورثة ولكن الخبير الذي لاتخدعه الازياء ولا تغره الرسوم يعلم أن واحداً من هؤلاء العلماء الرسميين لايقدر على اقناع أحد من أهل هذا العصر بدعوة الاسلام بل يخشى أن يكون حديث الواحد منهم في الدين مع أهل العلوم الاجتماعية والسياسية حجاباً كثيفاً دونه بل شبهات قوية تصد عنه . واذا كانوا يعجزون عن كشف شبهة تعرض لتلميذ يتلقى العلوم العصرية وهو مؤمن بالله ورسوله وكتابه ولكنه جرى في التعلم على أخذ العلم بالدليل فأنى يقدرون على تمثيل الدين لفلاسفة العصر وساسته معقول العقائد سامي الاداب منطبق الاحكام على منافع الامم في ثروتها ومدنيتها ومصالح الدول في ادارتها وسياستها ويقنعونهم بأن الاسلام لايعيد العقل الى وثاقه ولا يكبل الفكر بأوهاقه فيقيد العلم بعد اطلاقه ثم يدحضون بالآيات البينات مايوردونه عليه من الشبهات أين يوجد هؤلاء العلماء في المسلمين؟ واذا عطس الصبح فظهر واحد منهم أيعترف له الرسميون بالعلم والدين ؟ وهل الحكام والعوام الا تبع لهؤلاء الرسميين الضخام وهم مجموع المسلمين ودين الناس مما يقرره علماؤهم الرسميون لحكامهم وعامتهم . ناظر مناظر بعض العلماء الغربيين

(*) العبارتان ترويان في الاحاديث المرفوعة فأما الاول فحديث له أصل وقد رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان وصححه عن أبي الدرداء ولكن اسناده مضطرب . وأما الثاني فموضوع قال ابن حجر والزركشي لاأصل له

في كثير من مسائل الاسلام التي يشتبهون فيها فنهض بالحجة فقال له مرة إن ماتقوله صحيح ومعقول ولكنه فلسفة وعقل لادين وانما دين الناس ماهم عليه. وقال مرة أخرى أرأيت اذا سألت علماء الازهر ماعدا الشيخ محمداً عبده عن هذه المسائل أيجيبونني بمثل هذه الاجوبة ؟ قال لا أدري بماذا يجيبون وحسبك أن تعلم ان هذا هو الاسلام من اسنادي اياه الى القرآن والسنة

الدعوة الى الدين لا يقوم بها في هذا العصر كل من قرأ السنوسية والعقائد النسفية، ولو وقف مع ذلك على المواقف العضدية، وكل مايقرأ في الازهر من الكتب الفقهية، فللدعوة معارف أخرى منها فمنها فهم الكتاب العزيز، والاطلاع على السنة ومعرفة مافيها من حكم التشريع، ومنها معرفة السيرة النبوية وتاريخ الاسلام، والبصيرة في علم الاجتماع والتاريخ العام، والالمام بسائر العلوم العصرية، والاطلاع على ضروب الاساليب المدنية، ومنها غير ذلك مما يتعلق بالدعاة ومن تراد دعوتهم وقد فصلنا القول فيها من قبل فليراجعه في المجلد الرابع من شاء وقد كان الاستاذ الامام رحمه الله تعالى يحاول اعداد فريق من طلاب العلم في الازهر للدعوة ولكن السياسة مازالت تعارضه في عمله وتغري بذلك أهل الجمود من الشيوخ حتى جاءه الاجل، قبل أن يتحقق له الامل.

الاستعداد للدعوة يسير على أهل الازهر اذا سلكوا سبيل الاصلاح التي كان يريدها الاستاذ الامام ولكن أنّى لهم بمثل الزعيم الذي فقدوا. وان في فضلاء المسلمين من غير أهل هذا المكان من هم أقدر على هذا العمل اذا حاولوه وانما يحتاجون فيه مع الهمة والعزيمة الى المال، وأغنياء المسلمين لايزال أكثرهم حليف الجهل وأسير البخل . وقد يتوهم الكثيرون منهم أن دعاة النصرانية المنتشرين كالجراد في جميع البلاد تنفق عليهم دولهم من خزائنها والصواب ان جميع نفقات جمعياتهم ومدارسهم مما يتبرع به أولو الطول منهم وهي نفقات تبلغ الملايين من الجنيهات . فأين هذا السخاء الذي يؤيد به هؤلاء الناس دينهم من شح قومنا وقبض ايديهم عن كل مايؤيد الدين ، وينفع جمهور المسلمين ، واعجب منهم اننا نفتخر عليهم بأننا أشد غيرة على ديننا منهم على دينهم ، فما اجهلنا بحالنا وحالهم ،

آثار علمية وأدبية

﴿ نصائح صحية للبنات من مجلة أبقراط ﴾

صحة الغنية وصحة الفقيرة . منفعة العمل في الدار . مضرة قراءة الروايات . مضرة الخلوة . مضرة حكايات الخوادم والعجائز . مضرة تلوين الوجه . مضار الزار وأمراضه وحقيقته .

جاء في باب صحة العائلات من مجلة أبقراط الطبية ما يأتي بنصه

أيتها الفتاة الصغيرة ان عمرك الآن لا يتجاوز الثلاثة عشر ولكن ألا تدرين ان هذه الثلاثة عشر ستكون عشرين ثم ثلاثين ثم أربعين ثم ماشاء الله ؟ اني لا أظنك الا عارفة بذلك . وها أنت متمتعة بالصحة خالية البال مالكة لأنواع السعادة تمرحين في بحبوحة من ثروة والديك فهل تستطيعين الصبر على ضياع شيء من ذلك ؟ اني أعيذك بالله فان الصحة والهناء لا يعوضان غير اني أرى شيئاً أريد أن أحدثك به لعلك تكونين على بينة منه . أرى ان الفتاة الفقيرة تقضي عمرها في عافية لا مزيد عليها والفتاة الغنية كل يوم عندها طبيب يعالجها فلماذا ؟ اذا كنت لا تعرفين فأنا عارف ويمكنني أن أعرفك ان الفتاة الفقيرة خادمة أبيها وأمها واخوتها وربما كانت خادمة لغيرهم أيضاً والفتاة المتوسطة هي خادمة نفسها وزوجها ان كانت مزوجة أو خادمة نفسها فقط أما الفتاة الغنية بنت البك أو الباشا فليست بخادمة بل يخدمها الناس ولا عمل لها لانها ترى كل عمل اهانة لنفسها وتعباً لذاتها . تأملي أيتها الفتاة قليلا يظهر لك سر المسئلة . العمل لا بد منه للفتاة مهما كانت مترفهة وهو قرين الصحة . والبطالة نذير المرض عند الفتيات فعليك بالعمل ولو بسيطاً واحذرك من مطالعة الروايات فانها تضر بالصحة ولست مكلفاً أن أبين لك السبب ولديك في منزل والدك الف عمل وعمل ولا أحسن من الخياطة والتطريز

ومما يجب أن أحذرك منه أيتها الفتاة هو الجلوس وحدك لانه مضر من جهة أوجه متعب للفكر ومتعب للمعدة لان الفتاة التي تجلس وحدها تكون ساكنة

ساكنة لا تتحرك وهذا موجب للامساك وغيره

ولا أريد أن أقول لك لا تسمعي حكايات الخدامات والعجائز لانها تضر بالصحة اذ ربما تظنينني أمزح مع اني لا أقول الا حقاً والاسباب غير مجهولة غير ان الوقت لا يسمح لي بشرحها لك

ومتى صرت شابة في سن السابعة عشر مثلا فاياك وتلك الالوان التي تستعملها بعض الفتيات فانها فضلا عن خروجها عن حد الادب تضر أيضاً بالصحة لانها مركبة من مواد سامة تضيع نضرة الوجه وتجعل للجلد ثنيات كتلك التى تظهر على وجوه العجائز

ولا تشدي خصرك بهذه الكورسيه المعروف بالبوسطو لانها تؤذي الظهر وتسبب أمراض المعدة والأمعاء وتعطل حركة التنفس وحركة الهضم وكذلك لا تستعملي الاساور الزجاجية التي تدخلين يديك فيها بالعنف فانها فضلا عن ضررها أصبحت من زينة النساء الباغيات وليس فيها من البهجة شيء

ولا يخفاك أن لبعض الاخلاق تأثير كبير على الصحة فالكبرياء لا تصحب انساناً الا وكانت له علة لدوام انقباض صدره والاستبداد يجعله في كدر دائم لكثرة المعارضين والموائد مثل الاخلاق أيضاً فاياك التدخين لان الفتاة التي تشرب الدخان يصفر وجهها وتضعف ضعفاً شديداً ومتى صارت كذلك تحتاج للالوان التي تستعمل لاخفاء صفرة الوجه وهذه الالوان قلنا انها تضر أيضاً

وعندي مسألة أريد أن احفك بها أيتها الفتاة ولكنها تحتاج الى امعان النظر وعدم التعصب وتحكيم العقل وهذه المسألة هي (هل الزار حقيقي وهل هو مفيد للصحة وهل له اسم عند الاطباء وهل يمكنهم أن يعالجوه كباقي الامراض ولماذا يهيج بالطبل والبخور وما السر في تكلم العفريت على لسان المصابة اذا كان هناك عفريت الخ ؟) وانا الآن أبين لك هذه المسائل واحدة فواحدة

الاعتقاد يجر الى النفس انفعالا والانفعال له تأثير على الجسم ومتى عرفنا هذه المقدمة الصغيرة تمكنا أن نبحث في تلك التفصيلات الطويلة العريضة

أما كون الزار حقيقياً فهذا مما لا شك فيه وهو موجود في سائر أقطار المسكونة

غير ان حقيقته غير الحالة الظاهرة في القطر المصري لان الشائع هنا هو ان المصاب به مس من الجن أو الاولياء مع ان هذا الاعتقاد فاسد ومن العجب ان كثيراً من لناس اذا قال لهم أحد ان الجن أو الاولياء ليس لهم دخل في الزار يقولون انه لا يصدق الشرع حالة كون جميع الشرائع تحرم الاعتقاد بذلك وأكبر دليل على فساد هذا الزعم ان لهذا المرض أطباء يعالجونه وينجحون في معالجته نجاحاً بيناً ولو كان من الجن أو الأولياء لما أمكن الطبيب مداواته وليست مجلتنا شرعية حتى نتكلم فيها على الاولياء أو مجلة عمومية فلسفية فنتكلم على الجن

تسمع المرأة أو الفتاة ان في بيت احدى قريباتها أو خليلاتها ليلة زار فلا يهدأ بالها الا اذا كانت ذات نصيب من تلك الليلة خصوصاً اذا كانت مدعوة الى الحضور فتروح سليمة متعافية أو مريضة منهوكة ولكنها لا تشعر بشيء ومتى حضرت مجلس الزار وسمعت الطبل واستنشقت رائحة البخور جاءها العفريت أو الشيخ كما يقال وتعود الى منزلها في أشد التعب ثم تشعر بنشاط لا يمكث الا قليلا ثم يزداد الآلام فيما بعد فيقولون ان الشيخ قد غضب وهكذا وهي لا تعلم بحقيقة الحال ولا يزال هذا دأبها حتى تكون من الهالكين مع انها لو عرفت أن هذا من الامراض العصبية ويسميه الطبيب تشنجاً ويمكنه مداواته لتخلصت من تلك المصائب

لعلك أيتها الفتاة تقولين انك قد قلت ان المصابة تشعر بنشاط بعد الزار فكيف ذلك ان كان الامر غير حقيقي ؟ فأضرب لك مثلا: اذا جئت بعصا رفيعة وضربت بها ضربات خفيفات متواليات على خاصرة القدم (بطن الرجل) فانك تجدين لذلك لذة كما لو وضعت قطعة صغيرة من الثلج بين كتفيك وهذه ليست لذة ولكنها ألم في الحقيقة كاللذة التي توجد في الزار وأما النشاط الذي يحدث بعد ذلك فلا يحتاج لبحث لان كل مضرة تزول يحدث بعدها نشاط ثم يعقبه رد فعل أو (نكبة) وهذا معنى ذلك

أما النساء اللواتي يرى عليهن هذا العارض فعلى قسمين الاول النساء اللاتي يصرعن عند انتشاق الروائح القوية سواء كانت كريهة أو عطرية أو عند الغضب أو سماع الاصوات المزعجة كدق الطبل ورنة الموسيقى أو عند الفزع من أمر

فجائي او التأثر من أي شيء مهما كانت واسطته وهـذا الفريق من المصابات او المصابين عندهم مرض عصبي يمكن الطبيب ان يعالجه فعلى من شعر به ان يبادر الى التعالج قبل ان يستفحل الامر

والقسم الثاني هو النساء اللائي يرقصن على رنة الآلات المستعملة لهذه الغاية رقصاً منتظما و يتـكلمن كلاما يوهمن به أنهن مختلطات بالجن او الاولياء و يطلبن اشياء من ازواجهن و يمسسن بايديهن على رؤوس الاطفال لتحصل لهم بركة الولي أو رعاية العفريت وهذا القسم من النساء خليعات لادواء لهن غير الزجر والاهانة والتكذيب فانهن مدعيات وكلهن من ذوات الثروة او الازواج الاغنياء ومن يلاحظ ان المرأة الغنية التي تحضر مجالس الزار اذا افتقرت يفارقها الزار وهي تعرف حقيقة الامر» اه

﴿ تفسير الفاتحة ومشكلات القرآن ﴾

كنا جردنا تفسير الفاتحة من المنار وضممنا اليه ما كتبه الاستاذ الامام رحمه الله تعالى في المسائل التي ينتقدها أعداء الاسلام على النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن كمسألة الغرانيق ومسألة زيد وزينب ومسألة القدر وطبع ذلك كله في كتاب نفدت نسخه سريعاً وألح علينا الكثيرون بطبعة ثانية فطبعناه مع زيادة بيان وفوائد وضممنا اليه ما كتبه الاستاذ الامام في رواية سحر اليهود للنبي عليه الصلاة والسلام فجاء كتاباً جامعاً لأهم مايؤثر عن فقيدنا في الارشاد القويم . وقد كان الكتاب يباع أخيراً بخمسة قروش صحيحة فرأينا أن نعيد ثمنه الى قرشين ونصف قرش (٢٥ مليماً) على مازدنا فيه وهو يطلب من مكتبة المنار بمصر . ومن طلب أن يرسل اليه في البريد فليرسل ثلاثة قروش صحيحة

تاريخ الاصلاح في الازهر . أو أعمال مجلس ادارة الازهر

من أراد أن يعرف حقيقة الأزهر وما كان عليه قبل أن ينتدب الاستاذ الامام عليه الرحمة لإصلاحه وما كان من هذا الاصلاح فيه مدة اشتغال ذلك المصلح في إدارته فليقرأ كتاب (أعمال مجلس ادارة الأزهر) فانه تاريخ رسمي للاصلاح وللحال المكان والمكين وثمن النسخة منه أربعة قروش ويسمح لمن كان أزهريا بربعها وهو يطلب من مكتبة المنار وغيرها

باب الاخبار والآراء

﴿ احصاء رسمي ﴾

لخسائر الدولتين في الحرب الاخيرة

رأينا في جرائد مصر وسوريا والهند عدة احصاءات لخسائر الحرب بين روسيا واليابان فاخترنا منها الاحصاء الآتي الذي نشر في جريدة ثمرات الفنون وهو

اهتم الاحصائيون السياسيون اهتماماً شديداً لوضع الاحصاآت الدقيقة لخسائر الحرب الروسية واليابانية، وقد نقلت احدى الجرائد الروسية احصاء رسمياً قالت انه أدق وأضبط احصاء يوثق به واليك بيانه:

الخسائر الروسية البرية

اسم الموقعة	قتلى وجرحى	أسرى	مدافع
تيورتشان	٢٥٠٠	٣٥٠	٢٨
كينتشاو	٢٥٠٠	٤٠٠	٥٣
وافنغو	٥٠٠٠	٣٠٠	١٥
لياوان	٣٠٠٠٠		
شاهو	٧٠٠٠٠		١٦
هيواتياي	١٠٠٠٠		
موكدن	١١٠٠٠٠	٤٠٠٠٠	٤٠
بورأرثور	٣٠٠٠٠	٣٠٠٠٠	٤٥٦
	٢٥٠٠٠٠	٧١٤٠٥٠	٦٩٧

الخسائر اليابانية البرية

اسم الموقعة	جرحى وقتلى	اسرى	مدفع
تيورتشان	٩٠٠		
كينتشاو	٥٠٠٠		
وافنغو	١٥٠٠		
لياوان	٥٠٠٠٠		
شاهو	٣٠٠٠٠		١٣
هانواتياي	٩٠٠٠	٣٠٠	
موكدن	٦٠٠٠٠		٣
بورارثور	٧٠٠٠٠ الى مئة الف		
	٢٢٦٤٠٠	٣٠٠	١٥

خسائر الروس البحرية

اسم الطراد		ثمنه بملايين فرنك
بورودينو	«اغرق»	٣٥
اسكندر الثالث	«اغرق»	٣٥
سوفوروف	«اغرق»	٣٥

اسم الطراد		ثمنه بملايين فرنك
اريول	«اسر»	٣٥
رتفيزان	«أخرج من البحر»	٣٥
سيسوي	«اغرق»	٣٥
نافارين	«اغرق»	١٥
بترو باولسك	«اغرق»	٢٥
بولتافا	«اخرج»	٢٥
سباسطبول	«اغرق»	٣٥
اوسلابيا	«اغرق»	٣٠
بيرسفيت	«اخرج»	٣٠
بوبيدا	«اغرق»	٣٠
نقولا الاول	«اسر»	٣٠
مدرعات لحماية الشطوط		
اوشوكوف	«اغرق»	١٠
ابركسين	«اسر»	١٠
سينيافين	«اسر»	١٠
ديريك	«اغرق»	١٥
يايان	«اخرج»	٢٠
ناخيموف	«اغرق»	١٥
فلادمير مونوماخ	«اغرق»	١٥
بالادا	«اخرج»	١٣
فارياج	«اخرج»	١٥

اسم الطراد		ثمنه بملايين فرنك
نوفيك	«اغرق»	١٠
بور يارين	«اغرق»	١٠
جيتمشوج	«اغرق»	١٠
ازمرود	«اغرق»	١٠

ومجموع ذلك كله ٢٨ دارعة بين طرادات وحراقات وغواصات و ينبغي أن نضيف الى هذا العدد عدداً من سفن الشحن التي أغرقت أو أسرت ولا يقل عددها عن ٢٠ و بضعة من الغواصات ومثلها من الزوارق وقد بلغ ثمن مجموع الاسطول الذي خسرته روسيا سبعمائة مليون فرنك والانكى من كل ذلك ان معظم سفن أسطولها وقع في قبضة اليابان أما اليابانيون فقد خسروا في البحر طرادين وحراقتين فقط وقد بلغت خسارة الروس الحربية بوجه عام نحو ٥ أو ٦ مليارات فرنك أما خسائر اليابان فبلغت من ٣ الى ٤ مليارات فرنك

و بلغ مااقترضته روسيا أثناء الحرب ملياراً و ٥٧٤ مليون فرنك وبلغ مااقترضته اليابان مليارين من الفرنكات

هذا ماترجمته الثمرات وقد أصلحنا فيه غلطاً في الأرقام . ورأينا نحوه في جريدة حبل المتين الفارسية ومجموع خسائر اليابان البرية فيها ٢١٦٤٠٠

تبرج النساء وأنصار الحجاب

كتبنا في الجزء الثالث نبذة في الشكوى من تبرج النساء بمصر حثثنا فيها أنصار الحجاب على إعمال أقلامهم في الانتقاد على هذا التبرج القبيح الذي يتبرأ منه الدين والأدب ولا ترضاه المدنية الاوربية التي أسرفت في اطلاق العنان للنساء إسرافها المعروف اذ صارت حال نسائنا المسلمات في الاسواق والشوارع أبعد عن الصيانة والأدب من حال نساء الافرنج . كانت حملتنا شديدة على حملة الاقلام الذين أنكروا على الاقوال في المسألة وسكتوا عن الأفعال التي يشاهدونها حيثما توجهوا: وغرضنا بذلك حفز الهمم لانتقاد التبرج في الصحف المنتشرة وازعاجها الى تسفيه الرجال الذين يسمحون لنسائهم بهذا التهتك

ندبنا أولئك الكاتبين فلم ينتدب منهم أحد للكتابة في انتقاد الفعل ،ولكن وجد ممن كان ألف في المسألة من انتقد علينا القول ، وله وجه من حيث ان عبارتنا توهم أننا لا نعتقد باخلاص أحد ممن كتب وألف ولا غيرته وانا نرفع هذا الوهم بالتصريح كما رفعناه آنفاً بالتلميح اذ قلنا ان الغرض من القول الحفز والازعاج الى الانتقاد فنقول انا نعتقد اخلاص بعض الكاتبين حتى المختلفين فيما كتبوا ولكن المخلص في تفنيد قول يراه خطأ لا يسلم من تبعة التقصير في انتقاد الأفعال الخاطئة اذا كان غيورا مخلصاً . وانا لم يتمثل لنا عند كتابة تلك النبذة الا الذين ذكرنا أنهم سودوا وجوه الصحف في الانكار على طالب تخفيف الحجاب وعنينا بالصحف الجرائد اتباعاً للعرف ولم نقصد واحداً معينا منهم

وانا لا نزال نبدئ القول ونعيده في المسألة معتقدين أن حملة الجرائد على هذا التبرج وتشنيعها على الرجال الذين يمكنون نساءهم منه ويرضون لهم به يفيد فائدة عظيمة وأن سكوت الكتاب عنه ينافي الغيرة وأن أولى الكتاب بهذا الانتقاد المرة بعد المرة هم الذين فاضت بكلامهم أنهار الجرائد رداً على كتاب تحرير المرأة وكتاب المرأة الجديد وانهم اذا استمروا على سكوتهم كان قولنا الذي قصدنا به المبالغة في حثهم غير مبالغ فيه واذا كان لبعضهم مانع من الكتابة اليوم فلا يصح أن تغلبهم الموانع في سائر الأيام

﴿موعظة وعبرة في وفاة حرة﴾

في منتصف شهر شعبان الماضي توفيت الى رحمة الله تعالى فاطمة بنت الاستاذ الامام الكبرى زوج محمد بك يوسف بمرض مفاجيء قضى عليها بعد أسبوع من نزوله بها وكانت قد رأت نفسها في النوم مع والدها في روضة فعبرت الرؤيا في المرض بأنه مرض الموت فأوصت بأن لا تنعى وأن تشيع جنازتها على السنة فلا يمشي أمامها قراء ولا منشدون ولا حملة الرياحين ونحوهم وأن لا تكفن بحرير . وأوصت بأن يوقف عشرة فدادين من أطيانها على الأعمال الخيرية وخصت بعض ذوي القربى ومن كان يواسيهم والدها بشيء من الريع . وقد شيعت جنازتها كما أوصت ولعلها أول امرأة في مصر أوصت بمثل هذا في عصر يحكم النساء فيه على الرجال حتى العلماء بالمحافظة على هذه البدع الذميمة فهكذا تكون تربية المصلحين، وهكذا تكون بنات العلماء العاملين، هذه هي العبرة التي لأجلها ذكر المنار وفاة امرأة فضلت الرجال باتباع الدين حية وميتة وأذكر من فضلها رحمها الله أنها لم تخرج في جنازة والدها ولم تكن تتردد لزيارة قبره ولكنها قبيل أسبوع المرض زارت القبر وعادت تقول ان في جانب قبر والدي مكاناً آخر لا بد أن أدفن فيه وقد كان ذلك

كان الاستاذ الامام رحمه الله تعالى أول رجل معروف ترك بدع الجنائز والمآتم جهرا عند مامات والداه وبعض ولده حتى انه لم يكن يحتفل الاحتفال الذي يسمونه (الميتم) تحريفاً عن المأتم . ويتوهم الجاهلون من قول الجرائد ان مأتم فلان سيكون ثلاثة أيام عملا بالسنة أن الاحتفال المعتاد هنا مسنون وأن النبي والصحابة كانوا يجتمعون كل ليلة من الثلاث في دار الميت أو عند بيته حيث تنظم المقاعد ويهيأ لهم الخدم فيخوضون في شجون الحديث والقرآن يتلى . حاش لله ما جاءت السنة بمثل هذا وانما مضت السنة بأن المصاب لا يعزى بعد ثلاث لأن التعزية بعدها تذكير بالمصيبة

ثم ان كثيرا من الكبراء أصحاب العزائم قد تركوا بدع الجنائز وناهيك برياض باشا فانه عندما توفيت زوجه لم يشيع جنازتها بالاناشيد أمامها ولا بالفراشين المؤتزرين بالحرير الحاملين الرياحين في شبه المباخر من الفضة كما يفعل الاغنياء تقليدا لمباخر النصارى . وفعل مثل ذلك كثيرون من العلماء والوجهاء فلا عذر بعد هذا لمن يعتذر عن ترك هذه البدع بالمحافظة على التقاليد والعادات ،



فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا أولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق)

﴿ مصر — غرة شوال سنة ١٣٢٣ — ٢٨ نوفمبر (ت٢) سنة ١٩٠٥ ﴾

باب العقائد

الدين في نظر العقل الصحيح

تتمة المقالة الثالثة لصاحب التوقيع

٧ — الرقيق وإصلاح حاله وتحريره

قضي على البشر أن يستعبد بعضهم بعضاً من قديم الأزمان. فلم تخل أمة من الاسترقاق واختطاف الناس للتجارة فيها. عومل الرقيق بضروب من القسوة في سائر الشعوب بما يجعل وجه الانسانية يحمر خجلاً وقلب المؤمن ينفطر من الله وجلا. ولكن هكذا كان وهكذا حصل.

أتى الاسلام فرقّ لحالهم كما كان شأنه لجميع الضعفاء. منع الاسترقاق بتاتاً الا أن يكون في حرب شرعية مع قوم لم يؤمن أذاهم من غير المسلمين. وبهذه القاعدة سدّ أكثر ينابيعه وغلق أبواب الظلم والعدوان. أمر بالاحسان الى الارقاء ومعاملتهم بالرفق واللين. فقال «وبالوالدين احساناً وبذي القربى» الى أن قال «وما ملكت

أيمانكم» ونهى عن لطم المملوك وضربه وجعل كفارة ذلك العتق فقال عليه الصلاة والسلام «من لطم مملوكه أو ضربه فكفارته عتقه» وليس هذا فقط بل قال «اخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فان كلفتموهم ما يغلبهم فأعينوهم» وقال «لا يقل أحدكم عبدي أمتي وليقل فتاي وفتاتي وغلامي» وحث على تهذيبهم وتعليمهم في مثل قوله «من كانت له جارية فعلمها وأحسن اليها وتزوجها كان له أجران» هذا وقد أمر الله تعالى بتزويجهم فقال في القرآن الشريف «وأنكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله»

واذا افترش السيد أمته فولدت له كان الاولاد أحرارا ويرثون في أبيهم الى غير ذلك من القواعد العادلة التي لم تأت بها شريعة قط . ليس هذا كل ما فعله الاسلام بأولئك الضعفاء بل جعل تحرير الرقاب كفارة لكثير مما يقع من الانسان مخالفا للدين حتى في أبسط المسائل كالحنث في الايمان فقال «لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته» الى أن قال «تحرير رقبة» وليس هذا فقط بل أمر بجمع الاموال الزكاة من الاغنياء وصرف جزء منها في تحرير الرقاب «انما الصدقات للفقراء — الى قوله — وفي الرقاب» الآية وكرر حث ذوي اليسار على ذلك المرة بعد المرة «ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله — الى أن قال — وآتى المال على حبه ذوي القربى» — الى قوله — «وفي الرقاب» وقال أيضا «فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة فك رقبة» الى غير ذلك مما يطول شرحه . أليس ما أتى به القرآن منذ قرون هو ما نفتخر به المدنية الحديثة وتتيه اعجابا به ؟

يزعم دعاة المسيحية أن ما قام به الأوروبيون في الزمن الأخير هو من آثار دينهم فيهم . ولكن الحقيقة أن ذلك نتيجة الرقي العقلي والعلمي الذي وصلوا اليه عن قريب ولا دخل للدين فيه . والا فلماذا قضوا القرون العديدة في استعباد الناس على أشنع الأحوال!!

وهل ورد في المسيحية كلمة واحدة عن تحرير الرقيق؟ الذي ورد فيها هو أمر

الارقاء أن يطيعوا مواليهم مع الخوف والرعب كما يطيعون المسيح عليه السلام وأن يبالغوا في حسن القيام بخدمتهم تمجيداً لتعاليمه عليه السلام كما يقول بولس في رسائله وقد وافق على ذلك بطرس الحواري في رسالته الأولى حيث أوصى العبيد بأن يخضعوا لساداتهم ويخشوهم فأين هذا من ذاك وأين الثرى من الثريا، ولم لم يهتم المسيح بشأن العبيد ويرق لحالتهم كما رق الاسلام وينه عن الاسترقاق متبعيه أو يأمر باستعمال الرفق بهم واللين ولو بجملة واحدة؟ يقولون انه لم يأت ليسن شرائع أو ينسخ ما كان موجوداً منها . ونقول ردا عليهم لم حرم الطلاق والتزوج بالمطلقة والتعدد في الزوجات . أما كان يمكنه أن ينهى الناس عن استعمال القسوة على الاقل مع اولئك الضعفاء . واذا قدر على الاول فكيف لم يقدر على الثاني مع ان الاول اشق على النفوس من الثاني . (١)

هذا والحق يقال إن ما اتى به الاسلام لم يأت بمثله دين على وجه البسيطة ولو كان المسلمون في درجة الأورو بيين مدنية وعلماً لكانوا اولى الناس بذلك العمل العظيم وهو تحرير الارقاء الذي لم يعرفه غير دينهم . ولكن قضى الله أن يكون المسلمون حجة على دينهم كما كان يقول حكيمنا الاستاذ الامام قدس الله روحه

٨ — أصناف آخرون رعاهم الاسلام بعين رعايته

«الفقراء والمساكين»

قضت الحكمة الإلهية أن يكون الناس مختلفين في الدرجات ما بين غني وفقير اوصعلوك وأمير الى غير ذلك من أنواع الاختلافات التي قامت بسببها الأعمال في الارض ودارت حركة الاشغال وكثرت المنافسات في الحصول على العيش والارتقاء جاء الاسلام فقرر هذه القاعدة العمرانية « ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخريا» وخالف بذلك من أراد أن يجعل المعيشة اشتراكية لأن ذلك هدم للنظام ومدعاة للكسل وترك للأعمال وايقاع للبشر في مهواة الفقر والفاقة والتقهقر . ولذلك لم ينجح ولن ينجح من حاول تبديل خلق الله ولكن

(١) المنار: كان سكوت المسيح عن مثل هذا الأن الأمة لم تستعد له مع علمه بأن الدين الاخير سيبينه في وقته وقد عبر عن رسول هذا الدين بقوله روح الحق الذي يبين لكم كل شيء

من الاختلاف نشأ مرض التباغض في جسم الهيئة الاجتماعية فحقد الفقير على الغني وأراد به السوء . فأفهم الاسلام هؤلاء البائسين حكمة الله في ذلك وأمرهم بالتزام الصبر والرضاء بقضائه ووعدهم خيراً في الآخرة . ثم عطف على الأغنياء وألزمهم أن يعطوهم شيئاً من أموالهم مساعدة لهم في معاشهم وكرر ذلك المرة بعد المرة حتى انك قلما ترى سورة من القرآن خالية من ذلك «وآتوا الزكاة» فاستل بذلك ضغائن أهل الفاقة ومحص صدورهم من الغل . فأي دواء أنجع من هذا ؟ وأي دين أوجب ذلك كما أوجب القرآن وميز بين الصدقة والزكاة؟

﴿ الأيتام ﴾

لم يهمل الاسلام شأنهم بل حافظ على حقوقهم وحرم اغتيال شيء من مالهم «ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً انما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً» ونهى عن إغضابهم واذلالهم فقال « فأما اليتيم فلا تقهر » وحث على اطعامهم في نحو قوله «أو اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة»

﴿ ابن السبيل ﴾

عندي أن اللقيط أجدر بهذا اللقب من المسافر وغيره فان لم يكن هو المراد بهذه التسمية وحده فليكن مما يدخل في عمومها وان كان اللقطاء في بلاد الاسلام قليلين وعليه يكون القرآن قد أمر بصرف جزء من الزكاة في تربيتهم واعدادهم لأن يكونوا نافعين للمجتمع الانساني. فأي شيء يفتخر به الغربيون لم يوجد في ديننا ؟ وأي دين وجد فيه ما يمكن أن يفهم منه هذا المعنى بصراحة مثل ذلك ؟ (*)

(*) المنار : جاء في آية مصارف الزكاة ذكر ثمانية أصناف منها أربعة ذكرت بلام الملك « انما الصدقات للفقراء والمساكين » الخ والباقيات ذكرت هكذا «وفي سبيل الله وابن السبيل» والحكمة في ذلك أن الاصناف الأولى يملك أفرادهم نصيبهم من الزكاة وأما الأربعة الباقية فهي من المصالح العامة التي يصرف المال فيها ولا يملكه افراد الآخذين وقد فسروا في سبيل الله بالجهاد وزاد بعضهم الحج والاستاذ الامام يقول انه يشمل غير ذلك من المصالح العامة كبناء المدارس والمستشفيات وهو

٩ ـــ الخمر والميسر ولحم الخنزير

نهى القرآن نهياً صريحاً عن هذه الاشياء الثلاثة بما لا يقبل تأويلا . ولم يرد عن نبيه أنه حول الماء خمراً معجزة له ليشربه الناس . ولم يأت في عبادات الاسلام مايشرب فيه الخمر على أنه دم الاله (تعالى) وحكمة تحريم الخمر والميسر لاتخفى على أحد . وأما لحم الخنزير فقد سبق أننا كتبنا في المنار في احدى السنين الماضية مافيه من المضرات التي هي علة تحريمه ونجاسته

١٠ ـــ مصالح الدنيا

أباح القرآن بعد ذلك الطيبات أكلا وشرباً وزينــة ولباساً (اقرأ أوائل سورة الأعراف) وأمر بالسعي والعمل وتصريف الأعضاء فيما خلقت لأجله «فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه ـــ فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضــل الله» فلم يحث على زهد أو رهبانية أو إخصاء أو نحو ذلك مما هو عقبة في سبيل الرقي والتقدم (أنظر مثلا انجيل متى إصحاح ١٩ : عدد ١٠ ـــ ١٢) وجملة القول أن الاسلام لم يدع أصلا من أصول الاصلاح الا أتى به ولكن العمل بما قال به الفقهاء المقلدون لا يعادل عليه اللفظ والاسلوب في الكتاب ولا فضيلة الا قررها فهو وحده الدين الكامل بلا شك ولا مراء . ولا يراد بالدين والانبياء الا أن يكونوا كالطب والأطباء لامراض الاجتماع . ولا يعرف قدر الدين الا بقدر شفائه للادواء فهل هناك دواء شاف لمن تعاطاه غير الاسلام . لهذا أخذت

على كل حال ليس مما علكه أفراد معينون بل يشترى به السلاح ويقام به الحصون وتنشأ به الاساطيل الى غير ذلك مما يتوقف عليه الجهاد فلذلك عبر عنه بقوله «وفي سبيل الله» ولما عطف عليه ابن السبيل كان من مقتضى الاسلوب أن يكون هذا من المصالح فلو كان ابن السبيل خاصاً بالمسافر الذي ينقطع في سفره كما يقول الفقهاء لعطفه على الفقراء والمساكين والمؤلفة قلوبهم والغارمين . فعلم من هذا أن ابن السبيل في قوله تعالى «وفي سبيل الله وابن السبيل» يجب أن يكون من المصالح التي ينفق فيها المسلمون ولفظ ابن السبيل وحده يدل على من لم يعرف له أصل ينسب اليه فنسب الى الطريق الذي وجد فيه وهو أظهر في اللقيط منه في المنقطع في سفره الحلال كما قال الكاتب

الامم تقرب منه يوماً بعد يوم الى أن يتحقق نبأ الغيب «هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون»

«المقالة الرابعة وهي الخاتمة»

(في رد بعض شبهات)

اذا قامت في نفس الانسان شبهة ولم يمكنه — أو لم يرغب — ازالتها أعمته عن قوة البراهين ولو كانت تلمس باليد وصارت عقبة في سبيل فهمها . وكلما ناداه منادي العقل والانصاف أن أذعن . صاح به شيطان الشبهة أن لا تفتر ، والى غير اعتقادك لا تركن ، ولذلك تجده يقرأ من البراهين ، ماهو آيات للمستيقنين ، ولا يزداد الا جموداً ، وللحق جحوداً ، فلهذا رأيت أن أختم مقالاتي السابقة برد ما أعلم أنه العقبة الكبرى أمام اقتناع الكثيرين ممن يقرأونها وهم غالباً صنفان اما أن يكونوا ممن أثرت في عقولهم نظريات الماديين ، واما أن يكونوا من المسيحيين

شبهات الماديين في القرآن

أما الأولون فأعظم ما يشتبه عليهم ذكر قصة آدم في القرآن وخلق العالم في ستة أيام لان ماعندهم من نظريات «داروين» وغيرها يحول دون التسليم بما ورد في الكتاب . ولي كلمتان أقولها لهذا الصنف من الناس (الاولى) أني أقر وأعتقد أن مذهب «داروين» هو أسمى ماوصل اليه الفكر البشري لحل معميات هذه المسائل — الآثار الجيولوجية ، الاعضاء الأثرية ، التشابه العظيم بين الحيوانات وخصوصاً بين أجنتها وغير ذلك من المسائل العلمية في عالمي الحيوانات والنباتات التي لا يمكن تعليلها الآن بأحسن من هذا المذهب — ولكن لا ينتج من ذلك أنه هو الحق الذي لا يصل البشر الى تعليل آخر غيره . فكم من نظريات عمل بها العالم أجيالا وقروناً في تفسير كثير من المسائل وقد اعتقدنا الآن خلافها . أما كنا في الزمن الاول نعتقد أن العناصر أربعة فقط (الهواء والنار والماء والتراب) أما كنا نعتقد أن الارض هي مركز العالم وأن الشمس والسيارات تدور حولها ؟ أما كنا

نعتقد صحة خبطهم وخلطهم في أمزجة الانسان وأسباب الامراض ومعالجتها ؟ أما كنا نعتقد بكل هذه المسائل وغيرها ونظن أنها الحق الذي ما بعده الا الباطل . فما هو اعتقادنا اليوم ؟ أترك القارئ ليتفكر في هذه المسألة وليستحضر في ذهنه تلك الدهور الغابرة

(الكلمة الثانية) لم يرد في القرآن الشريف نص قطعي على أن آدم أول بشر خلق على وجه الارض ولا على أنه أبو جميع الناس ولا على أنه خلق مباشرة من التراب بل وجد فيه ما يشير الى خلاف هذه المسائل ومثل ذلك قوله تعالى «اني جاعل في الارض خليفة، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء» فان لم يكن قبله أحد فمن يخلف حتى سماه خليفة ؟ ولو لم تشاهد الملائكة افساد الناس في الارض وسفكهم دماء أنفسهم فمن أين علموا ذلك؟ ومثل قوله تعالى « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ، و بث منهما رجالا كثيرا ونساء» . اعلم أن القرآن كثيرا ما يخاطب العرب دون غيرهم من الأمم كما في قوله «انا جعلناه قرآنا عربياً لعلكم تعقلون» . فلا يتحتم أن يكون المراد بكل خطاب الناس فيه جميع من على وجه الارض وانما هؤلاء قد يكونون مطالبين بالتبع للعرب المخاطبين ابتداء على حد قول القائل — اياك أعني وأسمعي ياجاره — ومثل قول الخطيب لسامعيه يا أيها الناس لا تشربوا الخمر مثلا فهو وان كان يخاطب الحاضرين الا أنه لا يقصد نهيهم وحدهم عن الشرب بل هم وجميع من على شاكلتهم فكذا يجوز أن يكون الخطاب في هذه الآية التي نحن بصددها للعرب وان كان غيرهم مطالباً بالتقوى مثلهم . وقد ورد في القرآن لفظ الناس ولم يرد به الا طائفة قليلة وذلك نحو «واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء؟» فالمراد بالناس هنا طائفة المؤمنين . واذا تصفحنا القرآن وجدنا أن التكلم فيه أكثره مع العرب . اذا علمت هذا أقول «يا أيها الناس» أي العرب و «من نفس واحدة» أي نفس أمهم لأن الأم هي الأصل المعول عليه ولها الحظ الأوفر في تكوين الانسان كما يتضح للناظر في العلوم الطبيعية . واذا لاحظت أن هذه الآية هي أول سورة النساء أدركت ما فيها من حسن الابتداء وبراعة الاستهلال

«وخلق منها زوجها» أي من جنسها كما في قوله تعالى «خلق لكم من أنفسكم أزواجا» أو باعتبار أن المرأة هي أصل الرجل ولو كان المراد في مثل هذه الآية أن آدم وحواء هما أصل جميع الامم لما قال في آخرها «وبث منهما رجالا كثيرا ونساء» بل كان يقول «وبث منهما جميع الرجال والنساء» أو مايفيد هذا المعنى من التعبير كما هو مقتضى السياق . ولكن عبارة القرآن الشريف صريحة في أن المبثوث منهما بعض الرجال وبعض النساء لا كلهم . هذا ولا مانع من أن يكون آدم وحواء هما أبوا العرب وبعض الامم الشرقية . وأما غيرهم فلهم آباء آخرون . ولا يوجد في القرآن ماينافي ذلك وقد علمت أن هذه الآية على هذا التفسير فيها دليل لنا لا علينا ان قلنا بذلك المذهب — مذهب داروين — ولذا أوردناها في هذا المقام . واعلم أن القرآن قد يخاطب النبي فقط « يا أيها النبي اذا طلقتم النساء » وقد يخاطب العرب وقد يخاطب أولاد آدم «يابني آدم خذوا زينتكم» وقد يخاطب المؤمنين في زمن النبي ومع ذلك قد يريد بالخطاب من هم على شاكلة المخاطبين لا المخاطبين فقط ففي هذه الآية التي نحن بصددها وان كان الخطاب لبني آدم على اعتقادنا الآن المطالب بالتقوى جميع الناس . هذا وفي قوله تعالى «ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم» اشارة الى أن الله تعالى خلق الناس أولا ثم صورهم ثانيا أي أحسن خلقتهم ثم أسجد الملائكة لبعض أفرادهم الذي اختاره أن يعمر بعض الجهات ويكون خليفة لقوم بادوا فيها . ومثل ذلك قوله تعالى «ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمإ مسنون «والجان خلقناه من قبل من نار السموم» واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون»» فكأنه يشير الى أنه خلق الانسان من الطين «وليس فيها دليل على أن ذلك مباشرة» ثم أمر الملائكة بالسجود لأحد أفراد الانسان الذي خلقه مثلهم أولا من الطين الذي يترفع الملائكة عنه ويحتقرونه فكأنه يقول أنا آمركم أن تسجدوا لهذا الفرد المخلوق من الطين كغيره من الناس الذين تحتقرونهم ولذلك كرر قوله «من صلصال من حمإ مسنون» وقد يتمسك البعض بقوله تعالى «ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » قائلا

ان كان ادم كسائر أفراد البشر مخلوقاً من ذكر وأنثى على مذهب «داروين» فلم خص بالذكر دون اي فرد آخر. قلت لأن الخطاب مع النصارى الذين يعتقدون بخلقة آدم من التراب مباشرة فأتاهم بما هو أعجب على حسب اعتقادهم كأنه يقول ان كان آدم في اعتقادكم مخلوقاً بلا اب ولا ام فكيف تعجبون ممن خلق بلا أب فقط. فان قيل لم قال «عند الله» ولم يقل — عندكم — قلت ليشعر بأن هذا التمثيل ان لم يكن مقبولا عندهم فهو عند الله مقبول وكذا عند جميع المنصفين من الناس لأن ما قبله تعالى فهو حق مقبول عندهم كأنه قال ان مثل عيسى كمثل آدم خلقه كما خلقه وان لم تقبلوا هذا التمثيل فهو عند الله مقبول. ثم ان الضمير في قوله خلقه عائد على ما أرى الى المسيح عليه السلام لأنه هو موضوع الكلام أي انه خلقه من تراب كما خلق آدم. ومن المعلوم أن المسيح لم يخلق مباشرة من التراب فيكون آدم مثله وعليه تكون هذه الآية أيضاً لنا لا علينا ان قلنا بمذهب «داروين» ومعناها هكذا: اني آتيكم بمثل مقبول عند الله وان لم تقبلوه وهو أن المسيح مخلوق من تراب كأي فرد من أفراد البشر وأخص آدم بالذكر لأنكم اذا اعتقدتم فيه هذا الأمر العجيب — وهو خلقه بلا أب ولا أم — كان الواجب أن لا تندهشوا من مسألة المسيح التي هي أقل غرابة من ذلك.

اذا علمت ذلك تحققت أن القرآن قد أشار الى أن آدم ليس أبا لجميع البشر الموجودين الآن وليس هو أول من خلق. ولم يخلق مباشرة من تراب. وعليه يكون جميع ما ورد في القران بشأنه سهل التفسير بما ينطبق على مذهب «داروين» تماماً

وأما خلق العالم في ستة أيام فقد ورد في القرآن أن اليوم عند الله آلاف من السنين «وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون» وقال أيضاً «تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة» فيجوز أن يكون المراد بهذه الأيام الستة آلاف من السنين (*)

(*) المنار: اليوم في اللغة هو الزمن فالستة الأيام هي ستة أزمنة انتقلت بها السموات والارض من طور الى طور حتى تم خلقها على هذه الصفة المشاهدة كما أوضحنا ذلك في المجلد السادس (ص ٣٣١)

شبهات النصارى في القرآن

« وأما الصنف الثاني وهم المسيحيون» فلهم شبهات (الاولى) ان القرآن قد أخذ ما أتى به من الامم الاخرى ويستشهدون على ذلك بما يوجد فيه مشابهاً أومماثلا ماعند غيرنا من القصص أو العبادات أو العقائد أوغير ذلك . ولكني أذكرهم بثلاث مسائل (١) ان القرآن أتى ليصلح ما كان فاسداً عند الامم لالأن يزيله كله ويأتي بشيء جديد من الأول الى الآخر . كلابل اذا وجد حسناً أبقاه واذا وجد قبيحاً محاه (٢) ان القرآن نص على أن الله بعث لكل أمة رسولا في عدة مواضع منه منهم من نعرف ومنهم من لانعرف واذاً فلاغرابة اذا وجد عند هؤلاء الامم شيء من القصص الصحيحة والعقائد الحقيقية والعبادات . فان وافق عليها القرآن فماذلك الالانها وحي من عندالله لهؤلاء الناس . وان خالف شيئاً منها فما ذلك الالوقوع الغلط فيها على ممر الازمان . وان ردعليها فما ذلك الالانها مما افترته الناس على الله (٣) اذا صح ذلك التعليل فيما أتى به القرآن مماثلا ماعند الناس فماذا يقولون فيما يوجد فيه ممالم يأت به دين آخر ولم يعرفه أحد الا في الايام الاخيرة وقد فصلنا ذلك في المقالات السابقة

(الشبهة الثانية) ورود بعض غلطات في القرآن على زعمهم . ولا حجة لهم على ذلك إلا مقارنة القرآن بكتبهم . فان وجدوه موافقاً في شيء قالوا أخذه منها . وان خالف قالوا أخطأ . وان أتى بما لم يعرفوه قالوا اخترع . فما لحججهم المضحكة !! نحن لانريد أن نطيل الكلام معهم في هذا الباب ولكننا نطالبهم بأن يجيبونا عن هذه المسائل الثلاث بما يقتنعون به هم أنفسهم اقتناعاً حقيقياً بدون رياء أو مكابرة (١) أن يثبتوا بالبرهان القاطع صحة نسبة هذه الكتب الى من نسبت اليهم و (٢) أن كاتبيها موحى اليهم من الله وأنهم لم يخطئوا في شيء كتبوه و (٣) أنها وصلت الينا كما كتبها هؤلاء بدون تحريف لا بالزيادة ولا بالنقص ولا بالتبديل .

نحن نعلم وكل الناس يعلمون الا الجاهلين أن في هذه الكتب عبارات تدل على أن كاتبيها ليسوا من نسبت اليهم ولنضرب مثلا واحدا اصحاح ٣٤: ٥ و ٦ من

سفر التثنيه يدل على أن الكاتب لم يكن موسى . وان قيل ان أحدا أضافها فمن هو حتى نثق بأقواله وكيف يضيف الى كتاب الله مالم يكن منه . واذا أمكن مثل هذه الاضافة فلِمَ لم يمكن اضافة غيرها مما لم ينزله الله . ثم نسألهم كيف الف الناس كتباً كثيرة ونسبوها الى الوحي اليهم كذباً ؟ كيف ميزتم الكتب الصادقة من الكاذبة وما هي حججكم ؟ لم رفضت بعض الطوائف ما سلمته الاخرى ؟ بماذا اعتقدتم أن كاتبيها ملهمون من الله . هل الخوارق التي يتناقلها جميع الأمم عن مؤسسي دينهم بل وعن غيرهم كالصالحين الاولياء والقديسين — أم لماذا ؟ أو لم يقعوا في الغلط مع أننا نجد أنهم كانوا يفسرون الاشياء على غير حقيقتها كتفسير كثير من الامراض بتأثير الشياطين وكظنونهم في قوس قزح الذي برهن العلم أنه موجود منذ وجد السحاب والنور وأنه نتيجة انكسار النور في مثل الماء أو البلور

نحن نعلم وأهل العلم يعلمون أن هذه الكتب مملوءة بما يسمونه غلط الكاتب . وفيها من الفقرات الزائدة والناقصة ما يدهش ذوي الالباب وفيها من التناقض ما يحير العقول . ولنضرب مثلا لكل . أما مثل غلط الكاتب فما ورد في السفر الثاني للايام إصحاح (١٦ : ١) اذا قورن بالسفر الاول للملوك (١٥ : ٣٣) ومثل الزيادة ما ورد في رسالة يوحنا الاولى ٥ : ٧ التي فيها اشارة صريحة لعقيدة التثليث ومثل التناقض ما في الاصحاح ٩ عدد ٧ من كتاب الاعمال والاصحاح ٢٢ عدد ٩ من نفس الكتاب اذ يقول في الاول ان الذين معه سمعوا الصوت وفي الثاني أنهم لم يسمعوا الصوت . فاذا جاز أن يكون الكاتب أخطأ في النسخ وانتشر خطأه في جميع النسخ فكيف لا يجوز أن يكون حرف شيئاً وانتشر كذلك ؟ !! واذا جازت الزيادة في الفقرات والنقص فيها فكيف نأمن أنه لم يزد أو ينقص مايخل بالمعنى ؟ واذا وجد التناقض فكيف نرجح الصحيح على الباطل ؟ هذا هو حال الكتاب الذي يتخذونه ميزاناً لكتاب الله تعالى وشتان ما بين هذا وذاك

وإننا نؤيد قولنا بايراد أربعين شاهداً من هذه الكتب على وجه الاختصار

الذي لو راجعته لوجدته إما خطأ واما تناقضاً واما زيادة واما دليلا على أن المؤلف ليس من نسب اليه الكتاب الى غير ذلك من الدلائل على فساد هذه الكتب واذا لم تفهم بعض ما أشير اليه من عباراتها فطالع احد التفاسير لتفهم غرضي لأني لا أريد ذكرها بالتفصيل والتكلم عليها خوفاً من التطويل الممل فلذا أكتفي بالاشارة الى أماكنها وأترك الباحث وراء الحق يبحث كاشاء وهي هذه :—

﴿ أربعون شاهدا من «الكتاب المقدس» عندهم على تناقضه واختلاه ﴾

(١) رسالة يوحنا الاولى ٥:٧

(٢) تيموثاوس الاولى ٣:١٦

(٣) أ كو ١٥:٥ ومس ١٦:١٤

(٤) أعمال ٩:٧ و ٢٢:٩

(٥) أعمال ٢٢:١٠ و ٢٦:١٦

(٦) يوحنا ٣:١٣

(٧) يوحنا ٢:١٩ ومتى ٢٦:٦٠ و ٦١

(٨) يوحنا ٥:٣١ و ٨:١٤

(٩) مرقس ١٦:١ و ٢ ويوحنا ٢٠:١

(١٠) مرقس ٢:٢٦

(١١) مرقس ١٠:٤٦ ولوقا ١٨:٣٥

(١٢) مرقس ٦:٨ ولوقا ٩:٣

(١٣) متى ٢٧:٩

(١٤) متى ١٢:٤٠

(١٥) متى ٦:١٣

(١٦) متى ١٩:٢٨

(١٧) متى ٢:١٥ و١٧ و١٨

(١٨) متى ٥:١٧ و٣١ و٣٢ و٣٨ و٣٩

(١٩) متى ١٦:٢٧ و٢٨ وأيو ٢:١٨ وأتسا ٤:١٥ و١٧ و١٨ وا كو ١٠:١١ ومتى ٢٤:٣٤

(٢٠)متى ١:١٢

(٢١)متى ١:١١و١٧

(٢٢)متى٩:١٨ومرقس ٥:٢٣

(٢٣)دانيال ٩:٢٤

(٢٤)حزقيال ٤٥و٤٦ وسفر العدد ٢٨و٢٩

(٢٥)حزقيال ١٨:٢٠ وخروج ٢٠:٥

(٢٦)أرميا ٥٢:١—٣٤

(٢٧)نحميا ١٢:١-٢٦

(٢٨)٢أيام ١٥:١٩و١ملو ١٥:٣٣

(٢٩)٢أيام ٢٢:١و١ملو ١٥:٣٣

(٣٠)٢أيام ٢٣:٢ و٢ملو ٨:٢٦

(٣١)١أيام١٩:١٨ و٢صمو ١٠:١٨

(٣٢)١أيام ١٨:٤و ٢ صمو ٨:٤

(٣٣)يشوع ١٠:١٣ وتكوين ١٤:١٤ (انظر ٢صمو ١:١٧ وقضا ١٨:٢٩)

(٣٤)يشوع ١٥:٦٣ (انظر صموئيل الثاني ٥:٦—٨)

(٣٥)يشوع ٢٤:٢٩ — ٣١

(٣٦)تثنية ٢٣:٢ و٣

(٣٧)تثنية ٣٤:٥—١٠

(٣٨)خروج ١٢:٤٠

(٣٩)تكوين ٤٦:١٥

(٤٠)تكوين ٣٦:٣١—٣٩

ناهيك بما في هذه الكتب من الغلط والخطإ في المسائل العلمية والأخلاقية والاعتقادية وقد أشرنا الى بعضها فيما سبق. (محمد توفيق صدقي)

(المنار) ان ما ذكره في كون آدم ليس أول البشر على الاطلاق موافق لمذهب الصوفية الذي يؤيدونه بالكشف كما يعلم من كلام الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي. وللمقالة بقية

باب التربية والتعليم

تقرير مشيخة علماء الاسكندرية سنة ١٣٢٢ الدراسية

(تمهيد) جاء في كتاب «أعمال مجلس ادارة الازهر» مانصه : في ٢٩ المحرم سنة ١٣٢١ و ٢٧ ابريل سنة ٩٠٣ صدرت الارادة السنية بإلحاق التدريس والامتحان في ثغر الاسكندرية بالجامع الأزهر ومضمون الارادة «ان الجناب العالي وافق ارادته العلية أن تكون الاسكندرية ملحقة بالازهر في التدريس والعلوم والامتحان وان مجلس ادارته يضع لها القوانين والنظامات ويرتب درجات العلماء الموجودين فيها وقت صدور هذه الإرادة ويحصر الاماكن التي تدرس فيها العلوم هناك وان يكون ترتيب درجات علمائها بحضور ثلاثة من مشهوريهم الاقدمين»

ثم ذكر بعد هذا ان شيخ الازهر ومفتي الديار المصرية (يعني الاستاذ الامام رحمه الله) سافرا الى الاسكندرية للابتداء بتنفيذ هذا الامر الذي كان من رغائب الثاني وأثر سعيه فرتبا درجات العلماء وأحصيا عددهم واختارا الشيخ محمود باشا شيخاً لعلماء الاسكندرية وبعد ان عادا اشتغلا مع مجلس ادارة الازهر بوضع قانون لسير التدريس والامتحان في الاسكندرية فوضع . ثم ان الشيخ محمود باشا أبى أن يكون شيخاً لعلماء الاسكندرية تابعاً للازهر فوقف العمل واتفق أن جاء الشيخ محمد شاكر قاضي قضاة السودان في ذلك العهد الى مصر بالاجازة فأراده أحد أعضاء المجلس (يعني الاستاذ الامام) على أن يكون شيخاً لعلماء الاسكندرية فصادف منه ارتياحاً «فأشار عليه أن يعمل ليصل الى هذه الغاية فقام بالأمر خير قيام ومهد لذلك باسترضاء الجهتين جهة السودان لتوافق على نقله وجهة مصر لترضى بتعيينه شيخاً لعلماء الاسكندرية وكلل سعيه فيهما بالنجاح فقرر مجلس الادارة في ١٦ ابريل سنة ١٩٠٤ انتخابه لهذه الوظيفة الجليلة وأن يكتب الى نظارة الداخلية لتستصدر الأمر العالي بذلك فكان ماطلبه المجلس وصدر الامر العالي بتعيينه شيخاً لعلماء الاسكندرية في ١٠ صفر سنة ١٣٢٢ و ٢٦ ابريل ١٩٠٤ واتصل

ذلك المشكل العظيم» اه ماأردت نقله من كتاب أعمال الازهر

وأقول ان الاستاذ الامام رحمه الله تعالى كان يتوسم في الشيخ محمد شاكر الهمة والنشاط في العمل ويعرف فيه حب النظام فلذلك اختاره قاضياً للسودان أولا ثم شيخاً لعلماء الاسكندرية آخراً وهو الذي أقنع الحكومة السودانية بأن ترضى بنقله وأقنع مجلس ادارة الازهر بطلب تعيينه وتسهيل السبيل له وانظر ماجاء عن مبادي عمله في كتاب (أعمال مجلس الازهر) قال مؤلفه

« قام شيخ علماء الاسكندرية الجديد بعمله أحسن قيام لما فيه من الفطنة وشدة الذكاء ولعلمه بما يجب لهذا الزمان الحاضر وعضده مجلس الادارة الازهرية وشيخ الازهر أكبر التعضيد وسهل له الطريق في استعمال فكرته ولم يقيده بنظام سوى نظام الازهر نفسه ونسخ له صور القوانين والقرارات التي يجري عليها العمل المستمر وقرر له كل ماطلبه في سير الاعمال وضبط نظامها وتكليف العمال بما يطلبه منهم فأمضى بقية سنته في ترتيب وتنظيم وفي تعويد العلماء على العمل وضبط المواعيد والمواظبة على إلقاء الدروس واستصدر أخيراً من مجلس الادارة قراراً بحصر المساجد التي يكون فيها التدريس في ثمانية مساجد» الخ

ثم ذكر أنه في آخر السنة الدراسية قدم تقريرا الى مشيخة الجامع الأزهر فصل فيه أعماله في تلك المدة ومايريده في السنة الجديدة . ونقول قد تمت هذه السنة ووضع لها تقريراً رفعه «للاعتاب الخديوية» لا لمشيخة الأزهر وهو موضوع مانكتب هنا بعد هذا التمهيد فنبدي رأينا في مسائله التي فيها مجال للرأي ثم في عبارته

﴿ مبحث التعليم الديني — رأيه ورأينا ﴾

في مقدمة التقرير كلام في فائدة عرض الأعمال على أصحاب الافكار والآراء قال بعده «وهذه خلاصة الاعمال في مشيخة العلماء بمدينة الاسكندرية وأن المشيخة ليسرها أن ترى ذلك اليوم الذي يتناول فيه كبار الكتاب أقلامهم لإفاضة البحث في ترقية التعليم الديني واعلاء شأن معاهد العلوم الدينية استنهاضاً للهمم وترغيباً في تربية الشبيبة المصرية من كل الطبقات التي تتكون منها الامة تربية اسلامية مؤسسة على اتباع شريعة المصطفى صلى الله عليه وسلم وعلى العمل

بما جاء به من عند ربه بحيث تكون دعائم التعليم لكل بناء المسلمين هي تلك الدعائم التي بني عليها الاسلام وهي الاقرار لله بالوحدانية ولمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة واقامة الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وأداء فريضة الحج الى بيت الله الحرام حتى لا نرى في الشبيبة المصرية (وهم رجال الغد) من يجترئ على ترك فريضة أو سنة أو يستطيع الصبر على مسلم يتركها وهو على فعلها قدير والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم»

(المنار) قد أحسن الاستاذ في عرض تقريره على محك النقد بما كتبه في هذه المقدمة وبما كتب به الينا والى غيرنا من أصحاب الصحف . وانا نبدأ بابداء رأينا في هذه الجملة فنقول انه يعني بالشبيبة — وهي مصدر — الشبان بل من دونهم من المميزين المرشحين وما ذكره بشأن تربيتهم تربية اسلامية غير كاف على ما في العبارة من الاطناب الذي أفضى الى التكرار ايضاحاً للواضح في قوله «على اتباع شريعة المصطفى (ص) وعلى العمل بما جاء به» وقوله بعد هذا «بحيث تكون دعائم التعليم» الخ لا يصلح تصويراً و بياناً للاتباع والعمل فان التعليم غير التربية العملية ثم ان الذي يجب أن يتعلمه كل مسلم من الإسلام ليس هو الاقرار لله بالوحدانية الخ ماذكره لأن كل مسلم يقر هذا الاقرار و يسهل عليه أن يتعلم كيفية اقامة الصلاة في مجلس واحد وكذلك أحكام الصوم ولا يجب على مسلم تعلم أحكام الزكاة والحج الا اذا كانا مفروضين عليه لغناه . ثم ان تعليم هذا الاقرار وهذه الاعمال لا يترتب عليه ماذكره غاية له بقوله «حتى لا نرى في الشبيبة المصرية من يجترئ على ترك سنة أو فريضة» الخ فان الأستاذ الكاتب يعلم كما نعلم ان عدد المسلمين الذين تعلموا هذه الأمور وعملوا بها لا يتناوله الاحصاء ولا يكاد يوجد فيهم من لا يجترئ ولا يصبر على ما ذكر .

ان الاحاديث التي اكتفت في اجراء أحكام الاسلام على المرء بالشهادتين والعمل بالاركان الاربعة الاخرى انما هي في شأن الكافرين الذين يدخلون في الاسلام فهذه هي الامور الظاهرة التي يعدون بها مسلمين وقد كان ممن قام بالأركان الخمسة في الظاهر المنافقون الذين نزل فيهم من الآيات ما نزل وقال فيهم النبي

صلى الله عليه وسلم ماقال، والمبتدئون من جهلة الأعراب الذين سلموا بظاهر الدين ولم يفهموا عقائده بالبرهان المفيد اليقين الا بعد حين وفيهم نزل (قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم) الآية

الغاية التي ذكرها انما ترجى للكملة من الذين تربوا على الاصول الثلاثة في حديث جبريل المتفق عليه من رواية عمر وأبي هريرة وهي الاسلام المفسر بالاركان الخمسة التي ذكرها صاحب التقرير وهي عبارة عن القسم العملي من عبادات الدين والايمان وهو عبارة عن القسم الاعتقادي منه والاحسان وهو الادب الكامل الذي هو أثر الاعتقاد الصحيح والعبادة القويمة والتهذيب المعتدل. ونعني بتربيتهم على هذه الاصول الثلاثة تعويدهم العمل بالعملي منها من أول النشأة بحسن القدوة لا بمجرد الطلب باللسان وتلقينهم العلمي منها بالدلائل التي يخضع لها العقل ويطمئن بها القلب

وجملة القول ان عبارة التقرير في هذا المقام مضطربة وغير مبينة لما يجب من التربية الاسلامية والتعليم الاسلامي ولا للضروري منه وهو (١) العقائد الدينية على طريقة القرآن مع كشف الشبهات التي فشت في هذا العصر بين المسلمين من غير خلط بفلسفة اليونان وشبهات المبتدعة الذين انقرضوا ودرست مذاهبهم. و (٢) الآداب الدينية مع بيان فوائدها للمتأدب بها في نفسه وفيمن يعيش معهم بحيث يقتنع بتعلمها أن فيها سعادة الدنيا قبل الآخرة ويتضح له ذلك بالتأدب بها فعلا. و (٣) الأحكام العملية مع بيان أسرارها وفوائدها في نفس العامل وفي صلته بالناس الذين يعيش معهم على ما بينا آنفاً. هذا ما يذكر في دعائم التعليم الديني بالاجمال ويحث الكتاب على الترغيب في إقامة هذه الدعائم بتعليمها لأولاد المسلمين وتنشئتهم على العمل بها في البيوت وفي المدارس حتى يصير العلم بها مؤيداً بالوجدان. وانا لنعلم ان كاتب التقرير يقر هذا في نفسه وان لم تتناوله عبارته ولهأن يقول ان سيرته التي سيشرحها تتفق معه في الجملة وان كان اللاحق لا يدفع الايراد السابق. ونحن لا نرتاب في حسن قصده، وما قلناه بيان جاء في وقته؛

﴿التعليم الاسلامي في الاغنياء والاعلياء﴾

ثم قال الاستاذ صاحب التقرير بعد ما تقدم: « ومما يجب أن يتنبه له عقلاء

الاسلام وعظماء الامة أن التعليم الديني قدكاد يكون منحصرا فى طبقات الفقراء وبعض الطبقات الوسطى من الامــة الإسلامية دون الطبقات العليا منها وذلك خطر غير قليل على الجامعة الاسلامية بمرور الدهور والاعوام اذا قدر أن ينتهي الأمر بانحصار التعليم الديني في تلك الطبقات فتكون الرئاسة الدينية منحصرة فيهم لا يتولاها سواهم من الطبقات الاخرى و بالتالي تكون كل الوظائف الدينية فى أيدي أولئك الاقوام ومن خصائصهم و بعبارة أصرح تكون الفضائل والمزايا الدينية مجردة عن القوة المالية، والقوة المالية بعيدة عن المزايا الدينية، و بين أيدينا من نتائج هذا التفريق في القوى الفعالة وهذا التدلي في التربية الدينية مايصلح عبرة لكرام القوم وخاصة المسلمين وعقلاء الامة

« فلينظر العقلاء وسادات الاسلام الى موقفهم هذا فلعلهم اذا فكروا فيــه كثيرا يترجح عندهم ان يتربى أبناؤهم تربية دينية اسلاميــة محضة تحت كفالة خيرة العلماء العاملين المرشدين حتى اذا تخرجوا على هذا المبدإ القويم كانوا أقدر على خدمة دينهم وأمتهم الخدمة التى ترجى من أمثالهم مع الترفع عن الدناءة وعن السقوط في مهاوي الخسران واذا شاء عظماء الأمة أن يتربى أبناؤهم هذه التربية فانهم يساعدون على ترقية التعليم الديني ويجعلون له المكانة العليا في أفئدة الناس أجمع وما ذلك على الله بعزيز نسأله الهداية والتوفيق لأقوم طريق » اه

(المنار) هذه تتمة مقدمة التقرير وجملة ما يقال فيها انها من الخواطر الجيدة التي تسنح للاذكياء وغرض الكاتب منها فيما يظهر دعوة أغنياء المسلمين فى هذه البلاد الى نظم أولادهم في سلك طلبة العلم الديني في الاسكندرية والعناية بالإسعاد على هذا التعليم . وما من مسلم متفكر الا وهو يتمنى أن يقبل الاغنياء مع الفقراء على تلقي العلوم الدينية والتأدب بأدب الاسلام وانها لأمنية لا تنال بالتعبير عنها في تقرير ولا بالدعوة اليها والترغيب فيها بالكلام المبهم . بل بترقية المدارس الدينية ترقية تجذب الغني اليها باعتقاد أن فيها سعادته في الدنيا قبل الآخرة بجمعها بين علومها مع الاقتصاد في الوقت على ما سنبينه بالايجاز الذي تقتضيه الحال

لا يقدم الناس على شيء الا اذا علموا علم إذعان بأنه خيرلهم وأكفل لمصالحهم

ودعوة الأغنياء الى التعليم الديني لم تبن على بيان يودع نفوسهم من العلم بذلك ما يحملهم على اجابة الدعوة فان عبارة التقرير لم تذكر من المرغبات في الدعوة الا توقي الخطر على الجامعة الاسلامية الذي جعله مشروطاً بانحصار التعليم في غير الاغنياء وفرع من هذا الاصل انحصار الرياسة الدينية في غيرهم وجعل الوظائف الدينية تالية الرياسة في هذا ثم فسر ذلك بعبارة أصرح في مقصده وهي جعل الفضائل والمزايا الدينية مجردة عن القوة المالية والقوة المالية بعيدة عن المزايا الدينية . فكأن هذا التجرد هو الخطر فاتقاؤه هو المرغب الوحيد للاغنياء في اجابة الدعوة وهو يتوقف على الاقناع بصحته وصحة كونه محل الخطر على الجامعة الاسلامية وصحة كون معاهد العلم الديني في الاسكندرية تجمع للمتعلمين بين القدرة على النهوض بالاعمال المالية مع الفضائل والمزايا الدينية ليجمعوا بين القوتين وكون ذلك يمنع الخطر . على ان هذا كله غير واضح في كلامه ولنا أن نجعل كل كلمة من تلك الكلمات التي يفسر بعضها بعضاً في كلامه مرغباً مستقلا ونوسع الدائرة بالاستنباط ثم نرى أيكفي ذلك لاجابة الدعوة

أيحسب الذين اعتادوا الارتياح الى أمثال هذا الاقتراح في الجرائد أن من الجواذب اليه والمرغبات فيه ماذكره الاستاذ من الخطر على الجامعة الاسلامية ، والترغيب في الرئاسة الدينية ، والوظائف الدينية ، وتجريد المزايا الدينية من القوة المالية ، وكفالة خيرة العلماء العاملين المرشدين ، لطلاب هذه التربية مع التعليم؟ أين توجد التربية الاسلامية والتعليم الديني الجامعان لكلمة المسلمين الموثقان لروابطهم ؟ أين أولئك العلماء الذين أشار اليهم وما هي آثارهم في وقاية الامة من الخطر ، ما هي الرياسة الدينية التي لا ينالها الا من تعلم العلوم الدينية وتربى في حجرها ، ثم ما هي الوظائف الدينية التي يرفع الاغنياء أبصارهم اليها ، أليست هذه الكلمات من قبيل ما يطفو فوق أنهار الجرائد كل يوم كفقاقيع الماء ، ثم يتلاشى في الهواء ، بلى انها من هذا القبيل ولا تنس اناحمدنا السانحة في نفسها وجزمنا بأن كل مسلم عاقل يتمناها ، وكيف السبيل الى نيل الاماني!

فيا دارها بالخيف ان مزارها قريب ولكن دون ذلك أهوال

ليس في الاسلام رياسة دينية حقيقية كالرياسة في الاديان الاخر فان

كل مسلم مكلف فهم دينه من كتابه وسنة نبيه ان استطاع فان لم يستطع ذلك بنفسه استعان بأي مسلم يرى انه يعرف حكم الله الذي يطلبه لا تنحصر افادة الدين في رؤساء معينين . وقد مضى الاصطلاح بأن يدعى سلطان المسلمين رئيساً دينياً وان قال الصحابة في أبي بكر عليه الرضوان: رضيه رسول الله صلى الله عليه لديننا — أي في امامة الصلاة — أفلا نرضاه لدنيانا: فجعلوها دنيوية وهل يطمع غني أو فقير بهذه الرياسة الشرعية أو الدينية، مهما بلغ في التربية والعلوم الاسلامية ؟ وأما الوظائف الدينية الحقيقية المحضة كامامة الصلاة والاذان فلا يرغب فيها الاغنياء بل لا يرضونها لانفسهم على أنها لا تزال مبذولة للجاهلين . وهناك وظائف شرعية كالقضاء والافتاء وليست مما يرغب فيه الاغنياء هنا لما هو معروف للكاتب والقارئين

لا خطر على الجامعة الاسلامية في انحصار الوظائف الدينية في أهل الفضائل والمزايا الدينية من الفقراء والأوساط ومن يتحلون بهذه الفضائل والمزايا لا يعجزهم أن يطلبوا الغنى فينالوه وأن يقنعوا الأغنياء ببذل شيء من فضول أموالهم في سبيل الله لاقامة المصالح العامة . ثم إن تحلي الأغنياء بالفضائل والمزايا الدينية ليس مما يتوقف على هذا التعليم الذي يدعوهم اليه الاستاذ في تقريره . فجملة القول أن عبارة التقرير في هذه المسألة مبهمة مضطربة كعبارته التي قبلها

اذا قلنا ان المسلمين أو الجامعة الاسلامية على خطر فانما نعيد قولا تكرر منا في المنار كثيراً . ونعيده الآن لنقول ان التعليم الديني في مصر ليس له أثر ما في حفظ ما يسمونه الجامعة الاسلامية بل ربما كان له الاثر في اضاعتها لأنه لا يدفع الشبهات الطارئة في هذا العصر على الدين ولا يبين انطباق أحكامه على مصالح البشر ومنافعهم الشخصية والاجتماعية ولا يخرج رجالا يصلحون حجة على أهل التعليم الدنيوي باستقامتهم وفضائلهم وقدرتهم على النهوض بالأعمال العظيمة عامة كانت أو خاصة حتى اذا أردنا أن نقول : ان أثر التعليم الديني في أهله هو أفضل من أثر التعليم الدنيوي بأهله أو مساو له في شؤون الدنيا ويفضله في الآخرة قلنا ذلك بقوة تخترق الآذان ، وتصيب من النفوس مواقع الوجدان ، بل كثيراً ما يأتي هذا التعليم بضد ذلك حتى صارت جميع الطبقات التي يصفونها بالعليا

تفكه بانتقاد أهله والخوض فيهم

زار القاهرة في هذه الايام أستاذ من أساتذة المدارس الاسلامية في روسيا وكان جل همه البحث عن طرق التعليم الديني وغير الديني فساءه ما رأى في الازهر من الفوضى وفساد طريقة التعليم وزرت معه بعض العظماء فكانوا اذا ذكر الازهر وأهله يقولون انه لاخير في هذا المكان يرجوه الاسلام وان أهله «كالخشب المسندة» وألقاب أشنع لاأحب ذكرها . والتعليم في الاسكندرية قد أوشك يفضل التعليم في الازهر بالنظام والمراقبة والامتحان والمكافأة التي طالب المصلح بها أهل الازهر وحتمها عليهم بالقانون منذ عشر سنين أو أكثر فنفروا منها نفارا، وأصر كبراؤهم على رفضها اصرارا، ووجدوا لهم من السياسة أنصارا:

انه ليسرنا أن ينفذ في الاسكندرية شيء من الاصلاح الصوري مع توجيه الهمة الى شيء من الاصلاح المعنوي وأن يصدق ظن شيخنا الاستاذ الامام في الشيخ محمد شاكر ونراه موفقا الى السداد في تنظيم معاهد العلم في تلك المدينة ولكننا نقول ان هذا كله لا يكفي في الاصلاح المطلوب الذي يرجى لوقاية الاسلام ولا مسلمي مصر من الخطر ولا لجذب أولاد الأغنياء الى هذا التعليم اذ الأغنياء أحرص الناس على الزمن أن يضيع منه خمس عشرة سنة أو عشر سنين في معالجة كتب محدودة في الفنون العربية والفقه الذي صار أكثره غير معمول به والكلام الذي معظمه نظريات في مذاهب انقرضت وهم يرون أنه يقل في معالجي هذه الكتب من ينجح في فهمها وأن الذين يفهمونها قلما يوجد فيهم من يفيد الأمة فائدة لها شأن في ترقيتها أو الدفاع عن دينها وحقيقتها بل قلما يوجد فيهم من تصح عبارته العربية وكيف يفهم الدين من لا يتقن لغته اتقانا

ان توحيد التعليم والتربية في الأمة باشتراك جميع الطبقات فيهما مما يتوقف عليه تحقق وحدة الأمة وقوتها وهو أمر يتوقف على وجود زعماء من المسلمين يعرفون أسبابه فيأتونه من أبوابه وما أبوابه الا المدارس التي تجمع بين علوم الدين وعلوم الدنيا مع النظام الذي انتهى اليه رقي البشر الاجتماعي والصناعي . وأعني بعلوم الدين علوم القرآن والسنة وما فيهما من الحكم والاسرار الموافقة

لرقي الامم في كل زمان ومكان ثم ما استفاده سلف الامة منها في تفصيل ليس هذا المقال بالذي يتسع له فأكتفي بهذه الكلمة كما أكتفي من بيان فوائد النظام بأن مدة تحصيل العلوم الدينية والدنيوية لاينبغي أن تزيد فيه عن مدة التحصيل فى الازهر لتلك الكتب التي لاغناء فيها وهي خمس عشرة سنة أما العلوم الازهرية فيكفي لتحصيلها في غير كتبهم هذه وعلى غير طريقتهم في التعليم خمس سنين

اذا حسنت حال التعليم في الاسكندرية فان حسنها يكون تمهيداً لما يريد المصلحون من ارتقاء علوم الاسلام فيها وان الشيخ محمد شاكر من الفطنة ما نرجو أن يرتقي به في السلم الذي وضع للازهر من قبل مع الاستعانة بالاذكياء العارفين بنظام التعليم كمريدي الاستاذ الامام الذين عرف لهم حقهم وشكر لهم صنيعهم بمساعدته في تقريره الاخير. وما وضع للازهر انما كان موقتاً روعي فيه ضعف الاستعداد. وكان في عزم المصلح الاول رحمه الله تعالى أن يعد به القوم الى نظام أكمل منه تزاد به العلوم ويجعل فيه فرق تختص باتقان بعضها بعد الالمام بجميعها. وسنبين بعض ذلك عند الكلام على التدريس والعلوم



مسألة مكدونية

﴿ أوربا وتركيا — أو الدين والسياسة ﴾

اشتد ضغط دول أوربا على دولتنا في هذه الايام يعرضن عليها أن يكون لهن مراقبون لمالية الولايات المكدونية ويحملنها على اجابتهن الى ما طلبن بالتهديد والوعيد. وما هذه المراقبة التي يطلبن الاجمل ادارة تلك البلاد — وهي سياج عاصمة الدولة — أوربية محضة. وقد كنا حين نجم ناجم الثورة في مكدونية من نحو ثلاث سنين لانخشي الامن روسيا لأنها كانت تستعد الحرب فاذا هي تستعد لليابان التي جعلت استعدادها في البر والبحر هباء منثورا

كتبنا في الجزء الأول لسنة المنار السادسة (سنة ١٣٢١) الصادر في ٣٠ مارس سنة ١٩٠٣ م نبذة في ثورة مكدونيه قلنا فيها ما نصه : ولقد كان الانكليز عون الدولة العثمانية على روسيا فحال لون السياسة الجامعة بينهما وتغير شكلها ، وتبدل السلطان عاهل الألمان بالانكليز وهو ملك يَطْعَمُ ولا يُطْعِمُ شديد الجشع قوي الطمع اذا رأى روسيا وقد جد جدها يكتفي منها بلقمة كبيرة يلتهمها ويتركها بعد ذلك وشأنها ، ولا يطوف في خاطر عاقل انه يسمح بجندي ألماني واحد لصديقه السلطان ، اذا نزل مع الروس في ميدان الطعان، اه واذ ظهر لنا أن اليابان كفتنا الخوف من روسيا بما نكلت بها وبما أعقبت حربها اياها من الثورة التي كادت تدمر البلاد الروسية وتذهب بسلطانها المطلق وتقبض ظله عن الأرض فلنذكر ما كتبناه في تلك النبذة عما نخشاه من أوربا على تلك البلاد اذا أمنا روسيا وعن اضطراب المسلمين لذلك ثم نقفي عليه بما حدث في هذه الأيام. قلنا هناك:

« كانت قلوب المسلمين في العيدين (أي عيدي سنة ١٣٢٠) محوّمة فوق بلاد مراكش تؤلمها فتنة الخارج كما تسوءها سيرة المالك ، وقد دخلت عليها السنة الجديدة فاستقبلها همّ أكبر من هم مراكش — هم الدولة المسلمة الكبرى (وقاها الله تعالى) ولا خوف عليها الا من روسيا فاذا كانت لا تريد سوءا فدع البلقان يضطرم بنيران الثورة اضطراماً ولا تخش مغبته فالدولة قادرة على تأديبه . وأسوأ عاقبة تنتظر حينئذ استقلال مكدونية أووضعها تحت حماية الدول الكبرى على المذهب الجديد في سير أوربا بالمسألة الشرقية — مذهب التفكيك وتحليل العناصر — وهذا المذهب خير لدول أوربا وأسهل طريقاً من حرب الدولة لأجل الفتح والتغلب لان هذا يعوزه الاتفاق على ما يتعسر الاتفاق عليه و يقتضي بذل أموال غزيرة وسفك دماء عزيزة . وهو خير للشرقيين أو المسلمين وأسهل عليهم أيضاً لأن كل عنصر ينحل من عناصر بلادهم وكل قطعة تنتقص من أرضهم تفيدهم عبرة كبرى وتعلمهم كيف يحفظ الباقي. فاذا لم يتعلموا بتكرار النذر ، وأنواع العبر ، وكانوا يفتنون في كل عام مرة أومرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون ، فهم أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون »

«مسألة مكدونية مسألة عشواء والحكم فيها غامض المتقدم ولأن النصارى فيها وفي جميع مابقي تحت حكم العثمانيين من بلادأوربا ومايدانيها كبلاد الارمن قد توجهت نفوسهم الى الاستقلال واعتقدوا ان أوربا نصيرة لهم وأن الذريعة الوحيدة لاثارة نعرتها عليهم وتصديها لفصلهم من جسم الدولة الثورات التي تضطر الأتراك الى سفك قطرات من دمائهم تأديباً لهم » اه المراد منه

ثم كتبنا مقالة في الجزء الحادي عشر الصادر في غرة جمادى الثانية من تلك السنة (١٣٢١) رجحنا فيه ان استعداد روسيا الحربي انما كان لاجل توقع الحرب مع اليابان وان الخوف على دولتنا يومئذ انما هو من الجانب الذي كانت ترجوه من قبل وهو انكلترا وأوضحنا بعض الايضاح ماعليه أوربا من التحامل علينا ولا بأس بذكر شيء من ذلك هنا . قلنا بعد الكلام في عدوان البلغار وأخذها بمحضاة الثورة في مكدونية تعويلا على مساعدة بعض الدول

« أيعقل ان تتحرش بلغاريا الضعيفة بالأسد التركي الا اذا كانت واثقة بأن وراءها أسداً أو أسوداً؟ اذا لم يكن الأسد الرومي الذي أعطى هذه البلاد استقلالها هو الذي يحميها من قرنه التركي فعلى أي الاسود تعتمد؟ الأقرب عندي أن يكون الخوف اليوم في موضع الرجاء بالأمس فاننا لما كنا نسيء الظن بروسيا أحسنا الظن بالانكليز حتى توقعنا أن يكون الغرض من زيارة ملكهم لفرنسا الاتفاق معها على عدم الرضى من روسيا بمحاربة تركيا لكيلا تساعدها فرنسا على ذلك ولما ترجح عندنا الآن أن روسيا لا تريد حرباً ولا تضمر غدراً (أي لنا) انعكس الرأي الأول وظننا السوء بانكلترا وتوقعنا انها قد اتفقت مع فرنسا على النفخ في نار الثورة . . . الى أن قلنا

« ان سلوك أوربا الجديد في حل المسألة التي يسمونها الشرقية ويعنون بها الاسلامية سلوك عجيب وأعجب صوره وأغرب أشكاله ما كان من نتيجة محاربة الدولة العلية لليونان فقد جعلت أوربا الدولة البادئة بالعدوان المغلوبة في ميدان الطعان هي الفائزة بالنتيجة اذ جعلت ولي عهدها حاكماً على ولاية عظيمة من ولايات الدولة المنتصرة (وهي جزيرة كريت) على أن تكون هي الحافظة والحامية لتلك

الولاية ومايدرينا لعلهم يريدون الآن سلخ ولايات مكدونية من الدولة بمثل تلك الطريقة، وهكذا يقطعون في كل مرة عضواً من جسم الدولة يغذون به من يرونه أولى به حتى لا يبقى الا الرأس والقلب فيسهل على الرؤس الاتفاق على الايقاع به

« اننا نرى دول أوروبا عابثة في كل حين باستقلال الدولة، ففي كل حادثة لهم أوامر تطاع، ومناهي تجتنب، والدولة راضية وكل ماتجنيه في بعض الاحيان لايخرج عن مراوغة في تنفيذ بعض الأوامر أو إرجائها وكلاهما للدولة ضرب من ضروب هذا الظفر الوهمي هتف المغرورون مع الغارّين . نحن أصحاب السياسة المثلى ، والكلمة العليا . فاذا انتهى أجل الارجاء ، وحل اليأس محل الرجاء، سكتوا واجمين ، أوخدعوا أنفسهم معتذرين،

« يقول الاوربيون ان الذي أذل تركيا وذللها لهم هوظلمها لمن ليس على دينها من رعيتها لاسيما النصارى . ولنا أن نقول ان وجدنا سامعاً : اذا كانت هذه الدولة تظلم المخالفين لها في الدين فلماذا يهرب اليهود من مشرق أوربا (روسيا) ومغربها (اسبانيا) الى بلادها ؟ أمن المعقول أن يهرب الناس من ظل العدل الى هاجرة الظلم واذا زعمتم أنها تظلم النصارى خاصة فكيف يعقل أن تظلم المخالف الذي يجد أنصاراً أقوياء ينتقمون له وتدع من لاولي له ولا نصير ، واذا كانت أوربا تعبث باستقلال الدولة وتفتات عليها في سياستها الداخلية حباً في العدل بالمظلومين فما بال هذه الرحمة لاتحرك لهم عاطفة على اليهود الذين يستحرّ فيهم القتل بأيدي النصارى لانهم يهود ؟؟ ليس موقفنا مع أوربا موقف جدال وحجاج ولكنه موقف قوة وضعف فالقوة تفعل والضعف ينفعل اه المراد منه

هذا شيء ما كتبناه في المسألة والعهد قريب بظهورها وقد كرت السنين فما زادت هذه الآراء الابياناً ورجحاناً . وضمت أوربا ضباطاً من جندها يحفظون الأمن في الولايات المكدونية مع رجال الضبط العثمانيين ليكونوا مطلعين على كل مايقع في البلاد ثم أرادت القبض على أزمة المالية والادارة فاقترحت على الدولة تعيين مندوبين ماليين من الدول العظام يضعون الميزانية للبلاد وينظرون في أمر العمال والمستخدمين من تولية وعزل ويتصرفون في الجباية والصرف ويكونون تابعين في أعمالهم

لسفراء دولهم . فخلاصة هذا الاقتراح أن تكون مالية تلك الولايات وادارتها في أيدي دول أوربا كما أن أمر الأمن فى أيديهم وللدولة اسم السلطة والسيادة لا ينازعها فيه منازع الآن لما عليه أمراء الشرق وملوكه من التفاني فى عشق الالقاب:

رفض السلطان قبول هذا الاقتراح الجائر الذي يقلص ظل سلطته عن تلك الولايات التي هي حظيرة لعاصمة ملكه فألحت الدول عليه وهددته باحتلال بعض الجزائر العثمانية التي تقرب من باب الاستانة (الدردنيل) فأصر على الإباء وله الحق في ذلك ولكنهم قوم يطمعون في ضعفه

ماودع المسلمون رمضان واستقبلوا عيد الفطر الا وقلوبهم تكاد تتفطر أسى وحزنا ،وحقداً وضغنا، الأسف والحزن على ماوصلت اليه الدولة الاسلامية الكبرى من الضعف باهمال اصلاح بلادها، والحقد والضغن على أوربا المتعصبة التي تريد محو سلطة المسلمين من أوربا ثم من الأرض كلها . وقد رأيت من مسلمي هذا القطر المبارك فوق ما كنت أعتقد فيهم من الغيرة والتألم على الدولة العلية أعزها الله بالعدل والعلم والاصلاح ، ومن البغض لأعدائها خذلهم الله بالتفرق والتعادي والانقسام،

والرأي عندي وعند كل من تكلمت معهم في هذا الأمر، من ذوي الرأي والفكر ،أن اصرار الدولة العلية على رفض مايطلب الدول منها هو الصواب وأن شر عاقبة تتوقع له لهي خير منه أو أضعف شراً وأقل ضرراً، ان استيلاء الدول على تلك الولايات بالقوة بعد مقاومة الدولة لهن لهو خير من تسليمهن ادارة ماليتها بالتهديد والانذار والوعيد فان كلا الأمرين خسران مبين للبلاد وفي الخنوع والاستسلام للوعيد خسران معنوي أعظم وهو خسران الشرف والاستقلال يقابله في المقاومة مع حفظ هذا الشرف فوز معنوي عظيم وهو ايقاظ المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها واشعارهم بالخطر الذي يتهدد سلطتهم من حيث هم مسلمون ولاشيء أنفع لهم في هذا العصر من هذه اليقظة والشعور وقد كان الاستاذ الامام رحمه الله تعالى يقول ان الحرب العثمانية الروسية الأخيرة قد كانت هي المبدأ لهذه الحركة الفكرية العامة في المسلمين وان كان البلاء لينزل من قبل هذه

الحرب في القطر الاسلامي فلا بمنزلة القطر الذي يجاوره دع البعيد عنه الذي انقطعت دونه أخباره وقد صرنا نرى المسلمين في كل قطر يتألمون لما يصيب اخوانهم في سائر الاقطار لا سيما اذا كان المصاب من اعتداء الاجانب عليهم

ان ساسة أوربا يقدرون هذه الحركة التي أشار اليها حكيمنا قدرها، ويحيطون بما لم نحط به من خبرها، لذلك أجمعوا كيدهم على ذبح العفريت بسيفه الخشبي (*) اذ يتعذر قتله بسواه أعني أن يزيلوا السلطة الاسلامية من الارض بنفوذ رؤسائها من السلاطين والأمراء - يدخلون في أمر الواحد منهم ويدعونه الى ما يريدون، فينالون به نيلهم والمسلمون وادعون ساكنون، يحسبون أن أولي أمرهم منهم وأنهم لأمرهم يخضعون، فمثل أوربا في سياستها هذه وفي انتقاصها الممالك الاسلامية من أطرافها كمثل الطبيب يخدر العضو ويقطعه حتى لا يشعر صاحبه بشدة الالم ولكن الطبيب يعمل هذا لمصلحة الجسم وهم يعملونه لمصلحة أنفسهم باعدامه بل التهامه

يقول قوم ان الدافع لاوربا على هذا هو التعصب على الاسلام ولذلك لا نرى الدول النصرانية تتفق على العبث باستقلال دولة نصرانية فيجب ان يقابل المسلمون ذلك بالتعصب على النصارى كافة . ويقول آخرون ان أوربا بريئة من التعصب الديني الذي لا يعرف في غير الشرق وانما هي المصالح السياسية لا مذهب لها ولا دين ولذلك ينتصر الامبراطور غليوم النصراني للخليفة المسلم العثماني وتطارد حكومة فرنسا الرهبان وتتبرأ من الكنيسة . والصواب في المسألة ان أوربا لا تتعصب على المسلمين من حيث هم مسلمون يقرون لله بالوحدانية ولمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة ويصلون الى الكعبة ويعبدون الله تعالى على غير الطريقة التي يعبده بها سواهم وانما تتعصب عليهم لان لهم سلطة ودولا فالذين سموا تعصبا

(*) في الحكايات الخرافية التي يلهي بها الامهات أطفالهم ان العفريت سيفا خشبيا اذا ذبح به مات واذا ذبح بسيف آخر من الحديد والفولاذ فانه لا يصيبه ضرر، ولا يحدث منه في رقبته ولا جسمه أدنى أثر، ولكنه ينتبه لمحاول قتله فيفتك به وكذلك المسلمون لا يسهل اهلاكهم الا بواسطة رؤسائهم الذين هم سيوفهم ولذلك تحاول أوربا أن تكون هذه السيوف الخشبية في يدها فالهم أصلح الراعي والرعية

سياسيا قدصدقوا ، والذين سموه دينيا لم يكذبوا ، فاذا كان لايهمها أمر الدين الاسلامي من حيث هو اعتقاد وعبادة ، فأكبر همها ان لايكون له سلطان ولا سيادة ، ألايجدر بالمسلمين اذاً ان يحرقوا عليها الأرّم ، ويعتقدوا ان شرف سلطتهم لايسلم حتى يراق على جوانبه الدم ، بلى وانما موضع الخطأ ان يحاولوا الانتقام من الذميين والمسالمين ، والله تعالى يقول « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لايحب المعتدين » فايذاؤنا النصارى في بلادنا ، عصيان لديننا وخراب لدنيانا ،

اذا كان المسلمون قد شعروا شعورا صحيحا بالخطر الذي ينذر سلطتهم ، والبلاء الذي يتهدد ملتهم ، فعليهم ان يعرفوا كيف يقاومون العدوان بمثله لان الله تعالى يقول «ومن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدي عليكم واتقوا الله» أي ولا تبغوا وانما تعتدي علينا أوربا بقوة أمتها وعلمها وصناعتها ، ونظامها وثروتها ، ودهائها وحكمتها ، ولذلك تستفيد مما بقي لنا مالا نستفيد. فما دمنا على هذا الجهل والخلل ، والتفرق والفشل ، فاننا لايمكن ان نقف أمام أوربا . فاذا لم يظفروا بمكدونية تمام الظفر فى المرة ، فانهم يظفرون بها وبغيرها اذا أعادوا الكرة ، ولنا فيما مضى عبرة وأي عبرة ، بماذا نقاومهم ؟ رؤساؤنا مستبدون ، وحكامنا ظالمون ، وعلماؤنا جامدون ، وأغنياؤنا ممسكون ، وخواصنا مترفون ، وعوامنا جاهلون ، فاذا رضينا لأنفسنا بهذا فاننا نكون من الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون ، ولا ينطبق علينا قول ربنا « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون » فعلينا أن نبذل المال ، ونجمع شمل الرجال ، لترقي الامة فتلزم الحكام باصلاح الحال ، فان العصر عصر الامم لاعصر الافراد وعصر النظام والاجتماع لاعصر الاستبداد ،

وفاة الشيخ عبد القادر الرافعي

الشيخ عبدالقادر الرافعي الكبير أشهر فقهاء الحنفية في الازهر بل فى البلاد العربية كلها أتقن المذاهب تعلما وتعليما وتأليفا وعملا بالمحاكم الشرعية فقد كان رئيس المجلس العلمي في المحكمة الشرعية بمصر . وقد وقع اختيار الحكومة على

ترشيحه لمنصب الافتاء فسمي مفتيا للديار المصرية في أوائل رمضان الماضي * فلم يلبث ان توفي فجأة ليلا وهو في مركبته يقصد زيارة أحد نظار الحكومة والناس يقصدون داره لتهنئته فاستحال السرور بالمنصب عند أهله حزنا وتحولت تهنئتهم به تعزية لهم عنه وشيع جنازته مع العلماء والوجهاء نظار الحكومة وبعض كبار حاشية الأمير وصلي عليه في الجامع الازهر ودفن في قرافة المجاورين وكان ذلك اليوم موعد نشر خبر تعيينه مفتيا في الجريدة الرسمية فلم ينشر

آل الرافعي في غنى عن التعريف فعلماؤهم وأدباؤهم وخدمة الحكومة منهم كثيرون في وطنهم (سوريا) ومهاجر الكثيرين منهم (مصر) وكان الشيخ عبد القادر رحمه الله تعالى كبيرهم في العلم والوجاهة ومن ذوي الدرجة الاولى في الازهر ومما كان يمتاز به على أكثر الشيوخ البحث في الامور العامة وكثرة السؤال عن أحوال الدولة . وكان بعيدا من الفتن والخوض في الناس وقورا مهيب المجلس ذا أخلاق شريفة حافظا لكرامة العلم محترما عند أهل الدنيا كاحترامه عند أهل الدين . تغمده الله تعالى برحمته ورضوانه وأحسن عزاء ولده وأهله وأسرته الكريمة عنه

﴿ إحياء سنة أزهرية ﴾

كان من عادة أهل الازهر اذا مات عالم منهم أن يجتمعوا في الازهر يوم جمعة بعد موته لقراءة ختمة يهدى ثوابها الى روحه ولانشاد المراثي التي يرثيه بها الشعراء منهم فأبطل الاصلاح هذه العادة مع عادات أخرى مثلها ولكن شيخ الأزهر الشيخ عبد الرحمن الشربيني أمر بالعود الى هذه العادة التي سماها المؤيد «سنة حسنة» فاجتمع الازهريون لرثاء الشيخ عبد القادر الرافعي في الجامع الازهر رحمه الله تعالى وحضر الاجتماع خلق كثير فقرءوا وأنشدوا مرثيه لبعض الشيوخ ثم وزعوا على الحاضرين شيئا من الحمص والزبيب كان يتناثر منهم في المسجد وهو من تمام سنتهم التي أحييت بعد أن ماتت وانه ليغلب على ظني أن الرافعي رحمه الله تعالى لو كان حيا واستشير في احياء هذه السنة لاشار بعدم احيائها ولما سماها سنة حسنة بل بدعة سيئة واذا كانت أمثال هذه السنن صارت تحيا بعد موتها فبشر المسلمين بحياة العلم والدين،



(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق)

﴿ مصر — ١٦ شوال سنة ١٣٢٣ — ١٣ ديسمبر (ك ١) سنة ١٩٠٥ ﴾

باب العقائد

الدين في نظر العقل الصحيح

الشبهة الثالثة — مريم أخت هارون

قال تعالى حكاية عن قوم مريم عليها السلام في خطابهم لها « يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيًّا » . قال المسيحيون (ولا تجد كتاباً لهم في الطعن في الاسلام خالياً من ذلك) إن القرآن هنا نص على أن مريم هي أخت لشخص يسمى هارون فتكون هي مريم أخت هارون وموسى النبيين عليهما السلام وعليه يكون القرآن قد دل على أن عيسى عليه السلام ابن أخت موسى فيكونان معاصرين . فانظر الى هذه البراهين المفحمة ، والأقيسة المنطقية المدهشة !! هل يلزم من كون مريم أم المسيح لها أخ يسمى هارون أن تكون هي مريم أخت موسى ؟ أما رأيتم أنه قد يوجد في بيت أبٌ وابن وأخت له وتكون أسماؤهم كأسماء أشخاص من بيت آخر ؟ قد رأينا ذلك كثيراً ولكننا ما رأينا أحداً يقول ان هذا البيت هو البيت الآخر بعينه . فما بالكم خرجتم عن العقل في مسائل الدين !! هل ورد في القرآن أن هارون هذا هو هارون النبي أخو موسى أم ورد فيه أن مريم العذراء هي أخت موسى الذي جاء بالتوراة؟ ألم يقل القرآن الشريف بعد ذكره التوراة وأنبياء بني اسرائيل التابعين لها في سورة المائدة « وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم » فاذا كان هنا ينص على أن عيسى عليه السلام أتى بعد جميع أنبياء بني اسرائيل التابعين لموسى فكيف تستنتجون منه أن عيسى معاصر لموسى ! وقلما يذكر المسيح في القرآن الا بعد ذكر موسى أو أنبياء بني اسرائيل فليتق الله المنصفون .

هذا واذا علمنا أنهم لا يعرفون اسم أبي مريم عليها السلام بالجزم حتى سماه بعض الأناجيل القديمة التي رفضوها يهوياقيم علمنا كيف أنهم يجهلون نسبها فلا غرابة اذا جهلوا أخاً لها يسمى هارون . بل اختلاف أناجيلهم في نسب المسيح اختلافاً أتعبهم منذ وجودها في التوفيق بينها يجعلنا لا نعبأ بما يعرفونه عنه وعن أهله

عليه السلام. ولا حاجة لنا بتأويل بعض مفسرينا الذين قالوا ان هرون كان رجلا صالحا فجعلت أخته في الصلاح والتقوى أي أنها مثله في ذلك أوكما يقال أخو العرب واخو الحرب

الشبهة الرابعة — السامري

قال تعالى في حكاية عجل بني اسرائيل (وأضلهم السامري) فقال المسيحيون ان السامري هذا الذي ذكره القرآن هو من السامريين وهؤلاء لم يوجدوا الا بعد موسى بعدة سنين. ولكننا نطالبهم بالدليل على هذا الزعم الفاسد وكيفية استنباطهم له. وهل اذا جهلنا أصل هذا اللفظ يحملنا الجهل على أخذه من لفظ السامريين فنقول انه واحد من تلك الفرقة وبعد ذلك نبني عليه مانبني من الاوهام، فكم في الكتب المقدسة من ألفاظ لا يدرك اشتقاقها ولا تعرف أصولها. ولم لا يكون ماورد في القرآن منسوبا لبلد غير ماعرفنا من البلدان؟ وهل يمكنكم الجزم بأنه لم يسم بلفظ سامرة غير سامرة فلسطين مع علمنا بخلاف ذلك. وفي البلاد القديمة أيضا مايسمى (سامراه) أو (سمرا) (١) ويجوز أن يكون (السامري) نسبة لبيت رجل من بني اسرائيل يسمى (شامر) مثلا (٢) وهذا الاسم ومايشابهه له وجود في أسفار العهد القديم أنظر (١ أخبار الايام ٧:٣٤ و٨:١٢) واذا تذكرنا أن الاسماء المعربة تتغير بالتعريب تغيرا يبعد بها عن أصلها أحيانا (٣) كما في عيسى بالنسبة ليشوع (بالشين) ويحي بالنسبة ليوحنا ويونس بالنسبة ليونان وغير ذلك فاننا لا نستغرب نسبة (السامري) الى شامر بل لانرى من الغرابة أن نجهل الاصل المعرب منه هذا اللفظ بالمرة فانظر الفرق بين لفظ عيسى ويشوع مثلا. وما قيل في هذه الآية والتي قبلها يمكننا أن نرد بمثله اشتباههم في لفظ هامان الوارد في

---

(١) المنار: صرح بعض المفسرين بأن السامري منسوب الى بلد اسمها سامرة

(٢) أكثر الالفاظ التي هي في العبرية بالشين المعجمة تذكر بالعربية اذا نقلت اليها بالسين المهملة فسامرة فلسطين عبريتها شوميري واسم موسى عندهم بالمعجمة

(٣) ليس هذا خاصا بالعربية فالافرنج أشد تغييرا وتحريفا للالفاظ المنقولة الى لغاتهم

القرآن في قصة فرعون .

ويجوز أيضاً أن يكون السامري لقباً لشخص من بني اسرائيل ومعناه الحافظ وأصله من لفظ شمر العبري الذي معناه حفظ . فاذا كانت كل هذه الاحتمالات جائزة قريبة فكيف يجزمون بخطأ القرآن في ذلك ؟

الشبهة الخامسة — غروب الشمس في العين

قال تعالى في قصة ذي القرنين « وجدها تغرب في عين حمئة » أي الشمس فقالوا ان القرآن يدل على أن الشمس تغرب في نفس الأرض وتجاهلوا أن في مثل هذا المقام يقول القائل في كل لغة (رأيت الشمس تغرب في البحر) مثلا مع أن القائل قد يكون أعلم الجغرافيين والفلكيين وانما يعبر هذا التعبير بحسب ما يبدو لنظر الواقف على ساحـــل البحر . والقرآن الشريف انما نسب الأمر الى ذي القرنين فقال وجدها اشماراً بأن ذلك هو ماتخيله بصره فما أحسن هذا اللفظ في مثل هذا المقام . ولو كان الـكلام في مقام التكوين والخلق ونص القرآن على أن الشمس تغرب في جزء من الأرض لـكان لهم الحق في هذا الانتقاد . على انه تعبير معروف عند كل الناس حتى المتقدين

ويناسب هذا الموضوع أن نشير الى ماقاله العلماء في مسألة جريان الشمس بما يؤيد ماورد في الكتاب العزيز « والشمس تجري لمستقر لهاذلك تقدير العزيز العليم » فقد اتفقت كلمتهم على أن الشمس وجميع ماحولها من السيارات تجري في الفضاء الى حيث لا يعلم أحد وهذا يوافق كل الموافقة ماقاله القرآن الشريف من غير زيادة ولا نقصان

الشبهة السادسة — آزر أبو ابراهيم

قال تعالى في ابراهيم عليه السلام « واذ قال ابراهيم لأبيه آزر » فاعترض على ذلك دعاة المسيحية قائلين ان ماورد في التوراة هو أن أبا ابراهيم يسمى تارح فمن أين أتى القرآن بآزر : قلنا اننا قد تكلمنا على مايسمونه بالتوراة بما لا يمكنهم الرد عليه . ثم ان القرآن لم ينكر هذه التسمية وورود اسم آخر فيه قد يكون بسبب

أن الرجل مسمى باسمين أو أحدهما لقب له كما يقولون هم أنفسهم لرفع التناقض المالىء كتبهم في أسماء كثير من الاشخاص . ولكننا لانكتفي بذلك بل نبين لهم أصل هذه التسمية الواردة في القرآن ليعلموا أنه لو كان اخذ ما أتى به من كتبهم كما يهذون لما خالفها في مثل هذه الاشياء البسيطة خوفاً من أن يقع في تخطئةمنهم لاحاجة اليه بها ، وكان في أمن منها لو وافق على ماورد فيها .

آزر لفظ قديم معناه النار وأطلقه قدماء الفرس والكلدانيين والاشوريين على كوكب المريخ لظنهم أنه من نار ثم عبدوه في صورة عمود وصاروا يلقبون الاشراف منهم بهذا اللفظ (آزر) تبركا به وقد وجد كثيراً في كتابات البابليين أيضاً . وعليه قال العلماء ان آزر هو اللقب الوثني لأبي ابراهيم ويوافق ذلك ماورد في تفسير البيضاوي وغيره من أن آزر اسم للاله الذي كان يعبده فهل فيما أتى به القرآن بعد ذلك أدنى شبهة . بل أليس فيه حجة على صدق النبي الامي وخصوصاً اذا لاحظنا أن التوراة لم يرد فيها هذا اللقب ولا في التلمود الذي سماه (زاراج) فمن أين أتى القرآن بذلك لولا وحي الله ؟

الشبهة السابعة — جبل الجودي

قال تعالى في سفينة هود عليه السلام « واستوت على الجودي » فقال بعضهم المذكور في التوراة أن اسمه (أراراط) ولم يرد لفظ « جودي » فيها فمن أين أتى به القرآن ؟ ونجيب عن ذلك بأننا لانعبأ بكتبهم لما ذكرناه سابقاً ثم نبين أصل ماذكره كتاب الله . هذا الجبل يسكن بجواره الكرد (الاكراد) ولذلك سموه بلغتهم كاردو أوجاردو وحرفها اليونانيون جوردي ومنه عرب لفظ القرآن جودي «*»

«*» المنار: ان نسخ التوراة ليست متفقة على ان السفينة استوت على أراراط فان السريانية والكلدانية منها صرحت بأنها استقرت على جبل الاكراد وهذا موافق لقول بروزس معاصر الاسكندر الاكبر . أورد هذا في دائرة المعارف العربية وقال : ووافقه أيضاً القرآن الشريف ولاتزال الروايات تشير الى أن الجودي كان مركز الحادثة المذكورة (الطوفان) وهي تسند هذا الرأي الذي ذكره بروزس الى وجود آثار الفلك على قمة ذلك الجبل :

الشبهة الثامنة — الناسخ والمنسوخ

ذهب جمهور المسلمين الى أن القرآن قد وقع فيه نسخ كثير. واستدلوا على ذلك بأحاديث آحادية و ببعض آيات وردت فيه وتغالوا في المسألة حتى أنهم جعلوا جزءاً عظيماً من القرآن منسوخاً . ولم يقفوا عند هذا الحد بل زادوا الطين بلة بأن ادعوا نسخ بعضه بالسنة حتى جرأوا الخصوم على الطعن في الكتاب العزيز ولكن قيض الله لهم في كل زمن من رد عليهم في أكثر هذه الدعاوي أو في جميعها من علماء الاسلام المحققين . فقد ظهر بينهم من أفهمهم معنى أكثر هذه الآيات وأبان لهم أن لا ناسخ ولا منسوخ فيها بالدليل الذي لا يقبل الرد مثل الامام الشوكاني وغيره وقام الامام الشافعي رضي الله عنه وأبطل دعوى نسخ الكتاب بالحديث . وذهب أبو مسلم الاصفهاني المفسر الشهير الى أنه ليس في القرآن آية منسوخة وخرج كل ما قالوا أنه منسوخ على وجه صحيح بضرب من التخصيص أو التأويل ونقل عنه الفخر الرازي آراءه في ذلك في تفسيره المشهور. ومن العلماء المتأخرين الاستاذ الامام رحمه الله تعالى فقد كان يدحض كل دعوى بالنسخ في أي آية فسرها بالحجة الواضحة والبراهين الظاهرة وقال في أحاديث الآحاد انها ظنية يحتمل أن تكون مكذوبة من بعض رجال السند المتظاهرين بالصلاح لخداع الناس حتى أن بعضهم تاب ورجع عما كان وضعه ولولا اعترافه به لم يعرف فما يدرينا أن بعضهم مات ولم يتب ولم تعرف حقيقة حاله وبقي ما وضعه رائجاً مقبولا لم يطعن في سنده أهل النقد . وتبعه في كل آرائه هذه الاستاذ الرشيد حفظه الله . ولولا خوف التطويل لنقلت عنهم آراءهم في جميع هذه الايات . فليراجعها في كتبهم وليتدبر القرآن بنفسه من أراد أن يهتدي الى الحق

والخلاصة أن مذهب النسخ في القرآن ليس من العقائد الاسلامية في شيء . بمعنى أن المسلم يمكنه أن يفهم كتاب الله ويكون مؤمناً به حقاً بدون أن يحتاج الى القول بشيء مما زعموه البتة . ومن أراد أن يحاججني في ذلك فعليه بالقرآن وحده .

الشبهة التاسعة — هاروت وماروت — السحر — هل سحر النبي؟

وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ، وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ — وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ، وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ، فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ، وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ، وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ

ذهب كثير من المحققين سلفاً وخلفاً الى أن هاروت وماروت كانا رجلين متظاهرين بالصلاح والتقوى في بابل وكانا يعلمان الناس السحر وبلغ حسن اعتقاد الناس بهما أن ظنوا أنهما ملكان من السماء وما يعلمانه للناس هو بوحي من الله وبلغ مكر هذين الرجلين ومحافظتهما على اعتقاد الناس الحسن فيهما وفي علمهما أنهما صارا يقولان لكل من أراد أن يتعلم منهما « انما نحن فتنة فلا تكفر » أي انما نحن أولو فتنة نبلوك ونختبرك أتشكر أم تكفر وننصح لك بأن لا تكفر. يقولان ذلك ليوهما الناس أن علومهما إلهية. وصناعتهما روحانية. وأنهما لا يقصدان الا الخير كما يفعل ذلك دجاجلة هذا الزمان قائلين لمن يعلمونهم الكتابة للمحبة والبغض على زعمهم: نوصيك بأن لا تكتب لجلب امرأة متزوجة الى رجل غير زوجها الى غير ذلك من الأوهام والافتراء: ولليهود في ذلك خرافات كثيرة حتى أنهم يعتقدون أن السحر نزل عليهما من الله وأنهما ملكان جاءا لتعليمه للناس وقد جاراهم في ذلك جهلة المفسرين. فجاء القرآن مكذباً لهم في دعواهم نزوله من السماء وفي ذم السحر ومن يتعلمه أو يعلمه فقال « يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين »

الى آخر الآية فما هنا نافية على أصح الاقوال ولفظ «الملكين» هنا وارد على حسب العرف الجاري بين الناس في ذلك الوقت كما يرد ذكر آلهة الخير والشر في كتابات المؤلفين عن تاريخ اليونان والمصريين وغيرهم وكما يرد في كلام المسلم في الرد على المسيحيين ذكر تجسد الإله وصلبه وان كان لا يعتقد بذلك

والمراد بالشياطين المذكورين قبل ذلك في قوله «واتبعوا ما تتلو الشياطين» خبثاء الانس وأشرارهم كما في قوله « واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم » وقوله « شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض» والذي يعين هذا المعنى في الآية التي نحن بصدد تفسيرها قوله « تتلو » لأن تلاوة شياطين الجن لا يسمعها أحد ومعنى تتلو هنا تقص وقوله بعدها «يعلمون الناس السحر » يعين هذا أيضاً اذ لا يتعلم أحد السحر الا من شياطين الانس .

وقوله تعالى «ما يفرقون به بين المرء وزوجه» هو من قبيل التمثيل واظهار الامر في أقبح صوره أي بلغ من أمر ما يتعلمونه من ضروب الحيل وطرق الافساد أن يتمكنوا به من التفريق بين أعظم مجتمع كالمرء وزوجه والخلاصة ان معنى الآية من أولها الى آخرها هكذا:—

ان اليهود كذبوا القرآن ونبذوه وراء ظهورهم واعتاضوا عنه بالاقاصيص والخرافات التي يسمعونها من خبثائهم عن سليمان وملكه وزعموا أنه كفر وهو لم يكفر ولكن شياطينهم هم الذين كفروا وصاروا يعلمون الناس السحر ويدعون أنه أنزل على هاروت وماروت اللذين سموهما ملكين ولم ينزل عليهما شيء وانما كانا رجلين يدعيان الصلاح لدرجة أنهما كانا يوهمان الناس أنهما لا يقصدان الا الخير ويحذرانهم من الكفر . وبلغ من أمر ما يتعلمونه منهما من طرق الحيل والدهاء أنهم يفرقون به بين المجتمعين ويحلون به عقد المتحدين

فأنت ترى من هذا أن المقام كله للذم فلا يصح أن يرد فيه مدح هاروت وماروت كما توهم كثير من المفسرين . والذي يدلك على صحة ما قلناه فيهما أن القرآن أنكر نزول أي ملك الى الأرض ليعلم الناس شيئاً من عند الله غير الوحي الى الأنبياء ونص نصاً صريحاً أن الله لم يرسل الا الانس لتعليم بني نوعهم فقال

«وما أرسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون» وقال منكراً على من طلب إنزال الملك « وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون» وقال في سورة الفرقان «وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق، لولا أنزل عليه ملك فيكون معه نذيرا » — الى قوله — فضلوا فلا يستطيعون سبيلا»

واعلم أن السحر لا يغير حقائق الاشياء وانما هو تخييل وشعوذة وحيل كما قال تعالى في حكاية سحرة فرعون «يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى» وقال أيضاً «سحروا أعين الناس واسترهبوهم» أي أنهم دلسوا عليهم وخيلوا لأبصارهم وأوهموهم صحة ما يفعلون. فأين هذا من قول كتاب اليهود الذي يقول « وصارت العصي ثعابين» كأن المسألة كانت حقيقية.

هذا واذا لم يكن للسحر تأثير حقيقي فلا يمكن أن يسحر النبي صلى الله عليه وسلم حتى أنه صار يخيل اليه أنه يفعل الشيء وهو لا يفعله كما افتراه المفترون اذلو جاز ذلك لجاز أن يتوهم أنه أوحي اليه شيء وهو لم يوح اليه ولصدق عليه قول الكافرين « ان تتبعون الا رجلا مسحورا» وقد أنكر القرآن عليهم ذلك بنفسه وانما قالوه طعناً فيه ورداً لحجته الباهرة كما قالوا عنه أنه ساحر وكاهن ومجنون وشاعر الى غير ذلك مما اختلقوه. وأما قوله تعالى «ومن شر النفاثات في العقد» الذي اتخذه المفترون دليلا على افكهم فمعناه هكذا:—

النفاثة من صيغ المبالغة كالعلامة والفهامة يستعمل كذلك للذكر والأنثى والنفاثات جمعه والمراد بها هنا النامون المقطعون لروابط الألفة المحرقون لما بما يلقون من ضرام نمائمهم وما ينفثون فيها من سموم وشاياتهم. والعقد كالعقود معنى مثل عقدة النكاح وعقدة البيع وغيرها. كأنه قال نعوذ من شر من يسعى لحل المجتمعات الخيرية والتفريق بين المحبين المتحدين

والدليل على كذب المفترين غير ماذكرنا أن هذه السورة مكية وما يزعمونه يدعون أنه حصل بالمدينة فكيف يصح أن يقال نزلت فيه. وهذا التفسير الذي ذكرناه مأخوذ من أفكار الاستاذ الامام رحمه الله تعالى وقد ذكر ما يقار به المحقق

أبو مسلم الاصفهاني ونقله عنه الامام الرازي واستحسنه وذكر مثله المفسر الشهير أبوالسعود أيضاً .

فهذه هي أكبر مطاعنهم في القرآن الشريف وأكثرها ورودا في كتبهم وقد اتضح لك مما قررناه واتفق عليه العلماء المدققون أنها كالسراب يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً . بل ان بعضها ليس فيه على القرآن شبهة بل هو له حجة كما يتبين لك من البحث عن أصل لفظي آزر والجودي مثلا . وقس على أمثالها مما لم نذكره هنا لشدة سخافته

هذا وليعلم القوم أن ما ذكر في القرآن من المسائل الغريبة كتكلم النملة وسماع سليمان لها ان حمل على ظاهره وتسخير الجن له وغير ذلك ليس مما يصادم البداهة العقلية أو يناقض البراهين القطعية . وانما هو غريب وليس كل غريب مستحيلا والا لكانت جميع المعجزات مستحيلة وكذا جميع الاختراعات والاكتشافات الحديثة . فمن ادعى أن في القرآن شيئاً مستحيلا فعليه بالدليل المنطقي الصحيح والاضرَّ بنا بكلامه عرض الحائط واعتبرناه هاذياً

﴿مسألة صلب المسيح﴾

بقي عليَّ أن أنبه الناس على ما يفتريه هؤلاء الدعاة طعناً في القرآن في مسألة أخرى وهي دعوى صلب المسيح قائلين انه وحده هو الذي أنكر صلب المسيح ولم يسبقه سابق الى ذلك فان هذه الحقيقة قال بها كثيرون من فرق النصارى الاولين مثل الباسيليديين والسيرينثيين والكاربوكراتيين والتاتيانوسيين وغيرهم وقد ذكرت أكثر هذه الطوائف من قبل في رسالة لي سميتها (الخلاصة البرهانية على صحة الديانة الاسلامية) فمن شاء فليراجعها . وورد مثل ما قاله القرآن في كتب أخرى كالكتاب المسمى رحلة الرسل وهو يشبه كتاب الأعمال الذي عند النصارى الآن وفيه أخبار بطرس ويوحنا واندراوس وغيرهم ومما ورد فيه أن المسيح لم يصلب وانما صلب واحد آخر بدله كما رواه العلامة سيل الانكليزي مترجم القرآن عن اخريدعى (فوتيس) وكذا ماورد في انجيل برناباس وهو أحد الأناجيل التي رفضها المسيحيون يؤيد ماأتى به القرآن تماماً حتى في ذكر اسم النبي محمد صلى الله عليه وسلم صراحة . وهذا

الانجيل مما كتب قبل الاسلام بقرون . وان ادعى بعضهم أن أحد المسلمين حرفه أجبنا كيف حرف المسلمون جميع نسخه حتى الموجودة عند النصارى ولم لم يحرف المسلمون غيره من كتبهم على ان المسلمين ماعرفوه الا عنهم

وان تعجب فعجب قولهم في مسألة قيام المسيح من القبر على زعمهم: اذا كانت هذه القيامة موهومة فأين جسده اذاً . وفاتهم أن موسى عليه السلام الذي مات موتاً طبيعياً بين قومه لم يعرفوا قبره الى الآن ونصت التوراة على ذلك في آخر اسفارها «تثنية ٣٤: ٦» فهل يستبعدون قولنا ان المسيح لم يعرف أحد قبره مع ملاحظة أن التلاميذ فروا من حوله وتفرقوا وتولى الأمر غيرهم ممن لهم غاية وغرض في إخفاء جثته — لو قتل — لاطفاء نار المشاحنات والفتن ومحو الشغب بين الناس وهل يستبعد هذا ولا يستبعد أن كاتب سفر التثنية لم يعرف قبر موسى مع وجود الفرق العظيم بين هذه الحالة وتلك ؟

لا يبعد أن يكون ما يقصه النصارى علينا هو من قبيل تلفيق روايات التمثيل وغيرها مما كتبه الناس قديماً وحديثاً . ومثل هذه التلفيقات كان شائعاً في الأعصر الاولى المسيحية حتى أن كل طائفة من طوائفهم ألفت أناجيل ورسائل كثيرة ونسبتها الى المسيح وتلاميذه لتأييد آرائهم وهم باقرارهم برآء منها . فيجوز أن تكون هذه القصة مما كتب في أواخر القرن الاول أوفي القرن الثاني . وقد خالفها يومئذ طوائف كثيرة كما خالفوا في مسائل أخرى كالتجسد والتثليث . وها قد أخذ الحق يحصحص الآن بينهم بعد أن صارعه الباطل أجيالا عديدة وأخذ الناس يدخلون في عقيدة التوحيد والتنزيه أفواجاً أفواجا . وانتشرت أفكار الموحدين في أوروبا وأمريكا وأوشك سراج الحق يكون وهاجا .

﴿ اعادة برهان النبوة بالاختصار ﴾

عند هذا الحد أقف بالقارئ . وقبل أن أتركه أكرر عليه مرة أخرى بغاية الايجاز برهان النبوة لعلي أنه الآن يمكنه أن يدركه ادراكاً حقيقياً أكثر من ذي قبل فأضعه تحت نظر عقله مختصرا كي يجول بسهولة في انحائه ويحيط بأطرافه وأرجو من المخالفين أن يمعنوا النظر في جميع مقالاتي هذه امعان من يريد أن يكتب للناس

ردا عليها لا أن يعموا بصيرتهم بأنفسهم لأجل ما ورثوه عن آبائهم . فان الحق أحق أن يتبع (وما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل) . وهاك البرهان، موجزا بقدر الامكان:

رجل يتيم، فقير، أمي، لم يشتغل بما كان يشتغل به قومه من الشعر أو الخطابة ونحوهما، لم يعهد عليه الكذب في صغره، نشأ في وسط الجهل والوثنية، فأتى والعالم محتاج الى الاصلاح بعقائد صحيحة أشار الى براهينها وعبادات وشرائع وأخلاق وحكم وقصص مفيدة ومسائل علمية لم تكن معروفة واخبار ببعض مغيبات تحققت وأخرج العرب من أحط دركات الهمجية الى أعلى سلم من المدنية في مدة قليلة. ثم انتشر اصلاحه في العالم بسرعة لم تعهد . ولم يوجد فيما أتى به شيء يقطع العقل ببطلانه الى الآن بعد مضي ألف ومئين من السنين . بل أخذ الناس المرتقون يستصوبون أعماله وأقواله ويفهمون اسرارها . أتى بجميع ذلك في عبارات خارقة للعادة في بلاغتها، ومخالفة للمعهود في أسلوبها، وطلب من البشر أن يعارضوه في شيء مما أتى به ويستعينوا بمن شاءوا فلم يقدم على ذلك أحد ونجح، بل أذعن جمهورهم ومن شذ افتضح، ثم هو لم ينغمس في الملاذ والشهوات والترف كما بينا ذلك فيما مضى بل كان أبعد الناس عنها

فكيف لا يعثر الانسان على غلطة مقطوع بها في قرآنه مع علمنا بحاله

وكيف لم ينجح أحد في معارضته الى الآن كما أنبأ بذلك . فلم يأت بشر بشيء مثل جزء من كلامه لفظاً ومعنى ؟

فبماذا تجيبون أيها المبطلون، وكيف تعللون ذلك أيها الواهمون ؟؟ ولنجمع هنا آيات القرآن، الدالة على ذلك البرهان، اتماماً للفائدة، وبياناً لكونه حجة الله على الناس كافة

« ألم يجدك يتيماً فآوى * ووجدك ضالا فهدى * (١) ووجدك عائلا فأغنى »

---

(١) المنار الضلال في اللغة أي تخطيء الطريق وقد كان النبي قبل النبوة لا يعرف طريق الايمان والشرع فهداه الله اليه كما قال تعالى « ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا » .

وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذاً لارتاب المبطلون* وما علمناه الشعر وما ينبغي له * فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون * هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين* قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسول أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير * أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً * فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين* فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين *

وليلاحظ القارىء أني أوردت هذه الآيات على هذا الترتيب . لتكون كل دعوى من البرهان السابق مؤيدة بشيء من القرآن . فأعظم به من كتاب جمع فأوعى، وأكرم به من نعمة من الله كبرى، قشعت غياهب الظلام ، وأنارت قلوب الأنام بضياء الاسلام ، فبلغ الله عنا محمدا أزكى السلام في البداية والختام ،

﴿ ختم المقال بذكر شيء من كتاب الله تعالى ﴾

ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب* الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار * ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته. وما للظالمين من أنصار * ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار * ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة. انك لا تخلف الميعاد* فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى . بعضكم من بعض . فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب *

(محمد توفيق صدقي)

الطبيب بسجن طره

﴿ المنار ﴾ السبب في كتابة هذه المقالات هو أن كاتبا كان يحب البحث

عن كل ما يعرض له من الشبهات على الدين وهو تلميذ في مدرسة الطب وهذه الشبهات مصدران التعليم الجديد ودعاة النصرانية الذين يعرضون لتلاميذ المدارس بأبلغ مما يتصدون لغيرهم وكان له رفيق في المدرسة اسمه عبده أفندي ابراهيم عرفناهما منذ سنين اذ كانا يرجمان اليانافي بعض مباحثها ويعرضان علينا أهم ما يشتبه عليهما كمسألة الروح والبعث وغير ذلك . وكنت أظن أنه لا يوجد في مصر من طلاب العلوم الدينية لاجل الاقتناع والاذعان ، والقدرة على الإقناع والبيان ، كهذين التلميذين ، وأحدهما مسلم والآخر قبطي ، كانا يأخذان المسألة من مسائل الاعتقاد فيدققان فيها النظر ويتناصفان في المناظرة الى أن يتفقا على ان الحق فيها كذا فما خرجا من المدرسة الا وقد خرج المسلم من شكوكه فى دينه ودخل القبطي في الاسلام البرهاني الصحيح (فهو المسلم عن بصيرة تامة وفهم لبراهين الدين وحكمه ثبتنا الله واياه) وهذه المقالات هي صورة اعتقادهما الذي هداهما اليه ربهما بعد اطالة النظر والاستدلال عدة سنين وأكثر ما فيها من المسائل في الألوهية والنبوة وفهم القرآن مقتبس من رسالة التوحيد للاستاذ الامام ومن التفسير المقتبس عنه في المنار ومن مقالات أخرى في المنار لاتقليداً بل اقتناعاً بالنظر والاستدلال . وللكاتب مسائل كثيرة هداه اليها البحث والتنقيب ومراجعة كتب المسلمين والافرنج لاسيما في رد شبهاتهم كما رأيت وهو يدعو من خالفه في شيء مما كتبه الى المناظرة بشرط أن يكون الحكم بينهما الدليل القطعي وما هو الا العقل والقرآن والسنة المتواترة لأن المقام مقام تأييد الاعتقاد وهو لايكون بأخبار الآحاد ، ولا بتقليد الآباء والأجداد ،

وكأني ببعض الشيوخ المقلدين وقد أنكروا عليه بعض المسائل التي انفرد بها أو وافق بعض العلماء المخالفين للجمهور كمسألة ابن السبيل ومسألة النسخ فاللين اللين منهم يعذره والجامد المتعصب يغلظ عليه وان كان قد خرج بهذه الطريقة من الشك الى اليقين وخرج صاحبه من النصرانية ودخل في الاسلام ، وأن مقاليدهم التقصر عن ذلك ولو راجعهم فى شبهاتهم لما رجع الا بالجحود والالحاد «ومن يضلل الله فما له من هاد »

باب المقالات

روابط الجنسية ✡ والحياة الملية

وفلسفة الاجتماع البشري

وعدنا في خاتمة المجلد السابع بأن نعود في هذا المجلد الى نشر المقالات الاجتماعية والفلسفية وذكرنا هناك بعض الموضوعات التي سبقت الى الذهن عند كتابة تلك الخاتمة ومنها الحياة الزوجية والحياة الملية وكذا الوطنية . وقد حالت الحوادث دون الاكثار من المقالات وسبح القلم سبحاً طويلا في بحث الحياة الزوجية فكان ست مقالات ورأينا أن نقفي عليه بالكلام في الحياة الملية وكذا الوطنية بعد تمهيد في فلسفة الاجتماع البشري بالايجاز فنقول

خلق الانسان ليعيش مجتمعاً يتعاون أفراده على الأعمال التي هي قوام حياتهم الشخصية والنوعية واظهار استمدادهم الانساني في استعمار الأرض وإظهار أسرار الكون فأعني بالاجتماع ماهو أوسع من اجتماع الزوجين الذي يشاركهم فيه سائر أنواع الحيوان ومن اجتماع النحل والنمل وتعاون أفرادهما على ما به حفظ حياة نوعيهما فالحياة الزوجية ليست خاصة بالانسان ولا الحياة الأهلية (العائلية) فمن كان لا يشعر بفائدة لنفسه الا أنه يعمل ليأكل ويطعم من يعول من أهل وولد فحياته ان كانت أوسع من حياة الطير فهي لا تصل الى مرتبة بعض الذباب والحشرات (النحل والنمل) فان لهذين النوعين من التعاون على الأعمال المشتركة ما تقصر عنه همة كثير من الناس فما أحقر من يرى وجوده أضيق من وجود الذباب والحشرات

لاتفاوت بين أفراد نوع من أنواع المخلوقات نعلمه كالتفاوت بين أفراد البشر يتسع وجود زيد منهم فيملأ الآفاق ، ويضيق وجود عمرو حتى يضيق به قفص جسمه، يشعر ذاك بروحه الكبيرة أنه خلق لينهض بأمة كبيرة أو ليفيد جميع الامم، ويحار هذا في خدمة جسده، ويرى نفسه عاجزة عن تغذيته وتوفير لذته، فاذا زوج فصار له بيت كان همه أكبر، لأنه أعجز عن سياسته وأصغر ، وبين هذين

الطرفين سواد عظيم لكل منهم سهم من سعة الوجود على قدر قوة الانسانية فيه وضعفها فاذا كثر أصحاب السهام العظيمة في أمة من الأمم اتسع وجودها يبسط سلطانها على الأمم التي قلت سهامها وخف بها ميزانها فينقبض وجود هذه بمقدار اتساع وجود تلك فاما أن تعتبر فيخرج أفرادها من مضيق الحياة الشخصية الجسدية الى بحبوحة الحياة الاجتماعية حتى يتقلص ظل غيرهم عنهم واما أن يكونوا غذاء للغالب لا بقاء لهم الا باستبقائه اياهم لحاجته وقد ينكمش وجودهم ويتقلص حتى يضمحل ويمحى كأن لم يكن شيئاً مذكورا

أين المصريون الأقدمون ، أين الكلدانيون والأشوريون والبابليون ، أين الرومان والفرس الأولون، أين هنود أمريكا العريقون ؟ منهم من اندغم وجوده في وجود آخر أوسع منه وأقوى، ومنهم من انقرض وجوده فلا تحس منهم من أحد ولا تسمع لهم ركزا ، سنة الله في التكوين والتمكين ، « ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين، » الذين يتقون أسباب الفساد والزوال، ويصلحون في الأرض بالأحكام والأعمال، «ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، واذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له ومالهم من دونه من وال »

قلنا ان وجود الشخص الواحد يتسع ويضيق بمقدار معنى الانسانية في روحه قوة وضعفاً، وان وجود الأمة ينبسط وينقبض بحسب كثرة أصحاب السهام العظيمة من سعة الوجود فيها، فهذا هو معنى الحياة العزيزة في الأفراد وفي الامم فكمال الشخص انما هو في كونه يعمل للامة التي يعتز بعزتها، ويهون بهوانها وضعتها، وكمال الامة انما هو في حفظ ما به كانت أمة وبسطه بجعل وجود غيرها تابعاً لوجودها

ما به تكون الامة أمة معنى يوجد في كل فرد من أفرادها يربط بعضهم ببعض حتى يكون الجمع الكثير به واحداً وقد يعبر عنه بالجنسية وهو النسب والبيئة أو الوطن واللغة والدين والحكومة وأنت ترى أن بعض هذه المعاني أوسع من بعض فأول اجتماع كان بين البشر يتعاون به أفراد كثيرون على مصلحة الجميع هو اجتماع القبائل البدوية التي تنسب الى أب واحد ثم كانت دائرة الاجتماع تتسع في البشر فتكبر الهمم وتعلو النفوس لشعورها بسعة وجودها وما هي مطالبة به من العمل لحفظ

كون كبير واسع. وكلما اتسعت دائرة الاجتماع تتسع منها فائدة البشر فبعد أن كان امتياز القبائل والشعوب لاجل التناكر والتغابن، صار باتساع ذلك المعنى لأجل التعارف والتعاون، كما قال تعالى «وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا»

اذا كانت الجنسية في الأمة هي النسب كانت بسطتها في الوجود بطيئة. كذلك الوطن اذا كان بلاداً محدودة كمصر أو الشام أو العراق. وليس نشر اللغة وجعلها جنسية بالامر السهل ومثلها الدين اذا كان خاصاً كاليهودية. وأما الحكومة فهي أوسع من جميع ما ذكر وبها تكونت الأمم الكبرى كامبراطورية الاسكندر والامبراطورية الرومانية في الزمن الماضي وكالسلطنة العثمانية والحكومات الاستعمارية في هذا الزمان. ولكن الجنسية في الحكومة لا تعد جنسية حقيقية الا اذا كانت الشريعة أو القوانين التي يحكم بها الرعايا المختلفون في النسب والوطن واللغة والدين مبنية على قواعد العدل والمساواة بينهم وكان القائمون بها من لفيفهم لا من طائفة معينة منهم. على ان هذا الشرط الأخير انما تشترطه الطوائف والشعوب الراقية في معارج الاجتماع دون سواها وان من الشعوب ما يغلب فيها الشعور بأنها خلقت لتكون محكومة من الغرباء وأن جنسها لا يصلح للاحكام.

يكون اتساع محيط الجنسية نافعاً للبشر ما قصد بها تكثير سواد أهلها ومشاركة كل من يدخل فيهم لهم في جملة مزاياهم. ومتى قصد الشعب الاستئثار بالمنافع دون من يمتد وجوده اليهم وينبسط نفوذه فيهم كان آفة على سائر الشعوب لا يعدل فيهم ولا يمكنهم من الارتقاء في معارج الكمال الانساني فسنة الله في كمال الشعوب والامم ونقصها كسنته في الأفراد نقص كل منها بالأثرة والغلو في حب الذات حتى لا يتحرك حركة الا لمنفعة ذاته وكمال كل منها بالقصد الى نفع غيره وايصال الخير اليه وجعل المنفعة الذاتية تابعة للمنفعة العامة

فالنتيجة لما تقدم من القواعد أن أكمل الجنسيات وأنفعها للبشر ما كانت أعم وأشمل للطوائف والجمعيات المختلفة في النسب والوطن واللغة والدين والحكومة بأن يقصد بها الخير للجميع والمساواة بينهم في الحقوق وتمكينهم من الرقي الى ما أعدتهم له الفطرة البشرية من الكمال الاجتماعي. وانما الجنسية ينحصر عليها توابع

الحكماء وهي موجودة في الملة الاسلامية وان كان المسلمون من أبعد الناس عنها فهذه الملة هي التي عرفها كتابها العزيز بقوله : «فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم، ولكن أكثر الناس لا يعلمون»:

الملة الاسلامية تساوي بين المختلفين في الأنساب والأوطان والأديان وتسمح لمن يدخل في حكمها وهو على دينه ان ينشئ في بلادها محاكم لأهل ملته وأبناء جلدته فلا تلزمه بأحكامها الزاماً فان هو اختار حكمها بنفسه ساوت بينه وبين أقرب الناس من بنيها وأعلى أفرادها مكانة فيها. فهي تدعو جميع البشر الى التعارف والتآلف في ظل حمايتها وانه لظل ظليل يباح للمستظل به كل شيء الا محاولة ازالته أو ازالة فائدته للناس وهي دفع الشر والأذى عنهم وتقريب الخير منهم مع حفظ حريتهم في أديانهم وأعمالهم التي لا تضر سواهم. هذا ما تبذله لكل من قبل حمايتها، واستظل برايتها، ثم انها تختص من قبل هدايتها في الدين بأخوة روحية، أخص من هذه الأخوة الانسانية، لانه يشارك أهلها فيما يؤهلهم لسعادة الحياة الأخرى، فهو أقرب اليهم بالروح ممن لا يشاركهم الا في سعادة الحياة الدنيا،

هذه الجنسية هي نهاية ما يمكن وضعه لسعادة البشر كلهم في هذه الحياة ولكن الناس لما يستعدوا لها تمام الاستعداد لذلك لم يرعوها حق رعايتها ونعتقد أنهم سيعودون اليها في يوم من الأيام. نقول يعودون اليها عوداً، دون يقصدون اليها قصداً، لانها قد وجدت في الجملة مدة قليلة على عهد الخلفاء الراشدين فرقص لها العالم الانساني وأقبلت عليها شعوب به أيما اقبال ثم طفق نورها يخبو بما أفسد فيها الامويون ومن بعدهم ولكنه كان على ضعفه أفضل عند جميع الامم من كل ماعداه لذلك كان يخرجهم باختيارهم من جنسياتهم اخراجاً، فيدينون لها شعوباً ويدخلون فيها أفواجاً،

كانت حكومة الخلفاء الراشدين حكومة عسكرية لأن الدعوة لم تكن أمنت، والسلطة لم تكن استقرت، وكانت على ذلك حكومة عادلة رحيمة فضلها كل من ذاق حلاوتها على ما عهد من قومه. وكانت حكومة الامويين في الشرق والغرب وحكومة العباسيين في الشرق اسلامية في أكثر الفروع دون الاصول وأعني بالاصول قواعد

الحكومة الأساسية كانتخاب الحاكم العام وإلزام الأمة له بالشورى واتباع الشريعة وكانت على ذلك أفضل من جميع الحكومات التي عرفها الناس قبل الراشدين . ولو وجدت الحكومة الاسلامية على حقيقتها في دولة آمنة مطمئنة لاختارها كل من عرفها من الراقين، حتى تكون ملاذ البشر أجمعين،

سيقول الجاهلون بحقيقة الاسلام ان هذا من غلو المسلم المذعن و يأتون على ذلك ببعض الاعمال والتقاليد التي انتقدت على المسلمين واتي لعلى علم بشبهاتهم لكثرة ما بلوت من أمثالهم وما كشف تلك الشبهات عليّ بعسير ولكن القول قلما يقنع الجاهل لاسيما اذا كان متعصباً لرأيه ، غير محيط بتفصيل ماعند خصمه،

لست أعجب ممن نشأ في دين يعادي الاسلام اذا هو أنكر مزايا الاسلام الظاهرة ، وأصوله الواضحة ، بله المزايا التي فقدت من المسلمين ، فلا أثر لها الا في ثنايا آيات الكتاب المبين ، انما عجبي ممن نشأ في المسلمين وهو منهم ثم هو يجهل مكان الجنسية الاسلامية الواسعة العامة لجميع الشعوب والطوائف، الشاملة لجميع الخيرات والعوارف، فيدعو الى جنسية الوطن كبعض أحداث المصريين أو جنسية اللغة والنسب كبعض جهلة الترك . فمثل هؤلاء كمثل من يهدم مصراً و يبني قصرا، بل هم أضيق وجودا وأضعف فكرا،

يعذر في مثل هذه الدعوة القبطي في مصر والأرمني في بلاد الترك والاسرائيلي في فلسطين لأن السلطة في أيدي غيرهم فلهم الحق في أن يطلبوا مساواتهم بسائر أبناء بلادهم . على أن وجود هذه الطوائف القليلة العدد أوسع من وجود دعاة الوطنية والجنسية فانهم يطمعون في الاستقلال ببلاد أكثرها لغيرهم فهم يطلبون سعة وامتدادا، ودعاة الوطنية والجنسية منا يبغون ضيقاً وتقلصاً

لولا جنسية النسب لما تمزقت السلطة الاسلامية في ريعان شبابها فكانت عباسية في الشرق أموية في الغرب فاطمية في الوسط والشريعة واحدة والملة واحدة ولما كان بين ذلك من ملوك الطوائف ما كان . لولا جنسية اللغة والوطن لما تفرق المسلمون بعد ذلك الى دول وممالك كالتركية والفارسية والافغانية وما كان قبلها في الهند من السلطنة التيمورية وغيرها في المشرق وكالعربية في شمال افريقية

الغربي وغير ذلك ما كان في قلب هذه القارة الاسلامية التي استولت عليها أوربا الا قليلا. ولو عقل المسلمون معنى الحياة الملية لكانوا في هذه الممالك كلها أحسن نظاما ووحدة من الامبراطورية الانكليزيه

ان الحياة الوطنية الصحيحة هي جزء من الحياة الملية الاسلامية فاذا حيي المسلمون في قطر ما حياة اسلامية فبشر جميع دعاة الوطنية الصحيحة من أهل الملل التي تعيش معهم بجميع ما يطلبون من عدل وحرية ومساواة وتعاون على درء المضار وجلب المنافع وكل ما به تعمر البلاد وتزيد خيراتها ، وبشر المسلمين منهم بأنهم سيكونون مركز الجاذبية العامة لجميع الشعوب المسلمة في الارض ثم مشرق المدنية الفضلى لجميع العالمين

يا لله العجب ! ثلاث مئة مليون أي ثلاث مئة ألف ألف من المسلمين قد اكتظ بهم قلب الارض من مراكش الى الصين ولا تجد لهم قوة ولا سلطة عزيزة لا يعبث باستقلالها عابث ، ولا يلمس شرفها لامس ، أرأيت لو كان لهم حياة ملية تشعرهم بحقيقة الأخوة الاسلامية ، أما كان يعتز بعضهم ببعض ويمد بعضهم بعضاً ولو امدادا معنويا ؟ أكان يسهل على الناقم من شعب من شعوبهم أن ينتقم منه بغياً وعدواناً وهو يعلم أن قلب الارض يخفق للمدوان عليه خفقاناً لا يستهان به ؟

ما هو المرض الذي أضعف في المسلمين هذه الحياة الملية العليا ؟ هو عصبية الجنس واللغة والوطن وهي العصبيات التي حاول الاسلام القضاء عليها فلما غير الملوك شكل حكومته الى ضدها تمكنوا من محاربته بجنسياتهم فما أفسد علينا ديننا ودنيانا الا الملوك المستبدون وأعوانهم من علماء السوء وتلك سنة قد خلت في كل أمة قال فيها الشاعر

وهل أفسد الدين الا الملوك ... وأحبار سوء ورهبانها

هل من سبيل الى اضعاف هذه النزعة الجنسية الخبيثة وإماطة هذه النزعة الوطنية الحمقاء من طريق الحياة الملية الاسلامية واشعار المسلمين في جميع الأقطار بحقيقة الرابطة التي تضم بعضهم الى بعض اشعاراً يملك الوجدان وتصدر عنه

الأعمال التي توثق هذه الرابطة وتؤكد ما فيها من حقيقة الأخوة مع بقاء كل قوم منهم في بلادهم وتعاونهم مع سائر أهلها على عمارتها بالعدل والاحسان والتواد والاخلاص؟ السبيل واضحة وهي حبل الله المتين وسراجه المنير ولكن السياسة والجهل عقبتان كؤدان من دونها يصدان السالك عن المضي فيها ولا يذلل العقبات الا هم الرجال فأين الرجال؟

السياسة المانعة من حياة المسلمين الملية نوعان سياسة أجنبية وسياسة مسلمية وان أهل البصيرة من المسلمين لعلى خلاف في أيهما أشد وطأة فالذين يحكمهم الأجانب يعتقدون أن حكامهم أعداء دينهم فهم وحدهم العقبة في طريق رقيهم في هذه الحياة . والذين يحكمهم المسلمون يعلمون أن حكامهم بجهلهم وبما تيسر لهم من عشق الاستبداد والسلطة المطلقة التي لا تكون الا لله هم العقبة الكبرى في طريق الحياة الملية بالاعتصام بحبل الله المتين، والاهتداء بكتابه المبين، والجمع بذلك بين مصالح الدنيا والدين ،

ومن عرف الحكومتين ، وعجم عودي السياستين ، فهو أعلم بالحق ، وأجدر ببيان الفرق ،

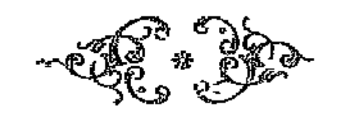
الأجانب الحاكمون في بلاد المسلمين منهم القاسي الحائف كهولندا وفرنسا ومنهم اللين المتساهل كانكلترا ولم يبلغ أشدها جورا ومنعاً للمسلمين من التعليم والتربية أن يحجب عنهم من كتب العلم والتربية ماتحرمه عليهم بعض الحكومات الاسلامية أو المسلمية ولكن محبي الاصلاح من المسلمين يرجون أن يغلبوا حكوماتهم ويلزموها بالعدل والمساواة وترقية العلوم والعقول وحرية الاجتماع للخير ويرون الاجانب عقبة في طريقهم فان إكراه الحكام على ترك الاستبداد لاتتمكن منه الامة المستعدة له الا بثورة داخلية والمسلمون يعتقدون ان الأجانب يتربصون بهم الدوائر فاذا هم ثاروا على حكومة من حكوماتهم المستبدة اغتنم الاجانب هذه الفرصة فأوقعوا بالدولة وقضوا عليها فالاجانب عقبة في طريق المسلمين أينما ساروا وتوجهوا لافرق بين بلادهم المستقلة و بلادهم المستعمرة . وهذا هو السبب في مقت عامة المسلمين لكل من يتكلم في عيوب الدولة العثمانية ولو كان صادقاً قاصداً للاصلاح فأنهم

في الغالب يعتقدون ان اظهار عيوبها عون للاجانب عليها وقد يكونون مخطئين في اعتقادهم هذا وأنى لنا بالرجال العارفين الذين يكشفون للعامة عن وجه الصواب فيعرفونه معرفة اذعان ؟

المرشدون الرسميون فينا جاهلون بشؤننا وسياستنا وعون للحكام كيفما كانوا لأن لهم سهماً من سلطهم وأصحاب الجرائد منا لاهم لأكثرهم الا الازدلاف الى الحكام ، والحظوة عند العوام ، على أنهم لاحرية لهم في بلادنا المستقلة تمام الاستقلال ، ولو كانت هناك حرية لوجد من يفيد لاسيما في البلاد العثمانية فان البلاد لم تخل من العقلاء المخلصين .

هذا شأن السياسة في صد محبي الاصلاح الحقيقي عن السعي اليه في طريقه وأما الجهل فلا حاجة الى بيان وجهه القبيح فان ضرره ما لاينكره أحد في جملته ولا يتسع هذا المقال لتفصيله ،

لانيأس من روح الله ولا نقنط من رحمته فان حوادث الزمان تعمل لنا مالا نعمل لأنفسنا، ورب عدوان علينا لأجل إماتتنا ،يكون سبباً من أسباب حياتنا ، بينا في الجزء الماضي ان الحرب الروسية العثمانية قد أحدثت في المسلمين هزة حيوية كما قال حكيمنا رحمه الله وقد رأينا أثر هذه الهزة في هذا الشهر عند ما علم المسلمون بتهديد أوربا للدولة العلية واحتلال أسطولها المختلطة لجزيرة (مدللي) لحمل الدولة على تمكينهم من ادارة الولايات المكدونية حتى ان بعض فضلاء المسلمين في الهند (هو القاضي أمير علي الشهير) كتب الى التيمس أشهر الجرائد الانكليزية يبين سوء تأثير عمل أوربا في نفوس المسلمين كافة وينذر بسوء العاقبة . على أن الشدائد والبلايا انما تكون محيية اذا عرفت الأمة كيف تستفيد منها فلندع لها أثرها وفعلها الطبيعي ولنبحث فيما يجب علينا أن نعمله لحياتنا الملية ، وكيف نجتنب مكافحة السياسة ومنازعة الجهل وهو ما نبينه في مقال آخر



باب الأخبار والآراء

الدعوة الى الاسلام

الدعوة حياة الأديان والمذاهب والجمعيات وغيرها من الأمور العامة التي يراد تكثير سواد أهلها فبالدعوة ينتشر الباطل ويظهر، وبترك الدعوة ينطوي الحق ويخفى، وأشد أهل الاديان عناية بالدعوة الى دينهم النصارى فما من مذهب من مذاهبهم المشهورة الا وله دعاة في جميع الأقطار تنفق عليها الجمعيات الدينية مما تجمعه من أغنيائها ودول أوربا تحميهم أينما كانوا، ويتبعهم سلطانها أينما تمكنوا، ولم أر كالمسلمين اهمالا للدعوة. ولولا أن الاسلام هو دين الفطرة الموافق للمصالح المطابق للعقول لارتد عنه في هذا الزمان أكثر المنتسبين اليه من العوام الجاهلين الذين لا يسمعون كلمة هداية، ولا يجدون في كثير من الاقطار عزة حماية، ولو أن المسلمين يعنون بالدعوة اليه لدخل الناس فيه كل يوم أفواجاً كما كان في أول نشأته أيام نشر دعوته، ومن أعجب أمر هذا الدين المتين انه ينمو بنفسه، ويجذب الناس اليه بطبعه، « هذا وما كيف لو »

وانه ليسرنا أن نرى نفوس المسلمين الذين أيقظتهم حوادث الزمان قد توجهت الى احياء الدعوة الاسلامية وكثر الحديث فيه بينهم، حيث يجدون حرية في دينهم، كبلاد مصر وبلاد الهند. أما هذه البلاد فقد كان الاستاذ الامام رحمه الله تعالى عازماً على إعداد فرقة من طلاب الأزهر للدعوة يتعلمون ما ينبغي لها في هذا العصر من العلوم والفنون التي يتمكنون بها من اقناع أصناف المدعوين، وكشف شبهات المنكرين، ولكن ما أحدثه أعداء الاصلاح من الشغب والمقاومة حالت دون ما كان يريد ولعل مريده الشيخ شاكر يوفق الى ذلك في الاسكندرية اذا استقام على ما عهد به اليه، وان كان يعوزه ما كان المرحوم أقدر عليه، وأما مسلمو الهند فقد انتقل الامر فيهم من طور الفكر أو التمني الى طور العمل

والدعوة . وهاك ما جاء في العدد الاخير من جريدة الرياض الهندية التي تصدر بالعربية والأوردية المؤرخ في ٢٥ رمضان الماضي قال

دعوة الاسلام في السند

مضت بضعة أشهر على إعلان الجرائد الآريوية (فرقة حديثة من هنود الوثنيين) أنه دخل في دين الوثنية عائلة اسلامية تحتوي ٥٦ نسمة تسكن بلدة لركانه (بليدة في السند) وأظهروا عليه فرحاً شديداً وحسبوا أن هذا هو الخسران المبين للاسلام والمسلمين والفوز العظيم لهم وشاع هذا الخبر أسرع من البرق في جميع أقطار الهند وأثر تأثيراً سيئاً في المسلمين وحزنوا حزناً شديداً فمنهم من يكذب هذا الخبر ومنهم من يتعجب منه غاية العجب ويقول من ذا الذي يعبد الله الواحد الأحد الصمد القدير الذي خلق الأرض والسماء ثم يتبع من اتخذ إلهه هواه وكيف يعبد أصناماً حجرية لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له ان هذا لشيء عجاب —

ومنهم من يشدد النكير على علمائنا الكرام بأنهم لا يسعون في تسكين قلوب ضعفاء العقول من المسلمين ولا ينفعون بنصائحهم جميع الأنام بل يقصرون مواعظهم ونصائحهم على الذين يتبعونهم ويحسنون الظن بهم ولا يقدمون على اظهار الشك في أقوالهم ويحبون ان لا يسمعوا غير «سمعنا وأطعنا» قولا آخر — بل ينبزون الذي يعترض عليهم بالالقاب وبئس الخطاب —

فمن الذين أنكروا هذا الخبر وكذبوه أصحاب الجرائد وأعضاء اللجنات الاسلامية — فأصحاب الجرائد التمسوا في جرائدهم من المسلمين الذين يسكنون في لركانه وحواليها أن يكاتبوهم أحوالهم

وأعضاء اللجنات عزموا الى ارسال الواعظين الى لركانة ليصدقوا هذا الخبر ويعظوا المسلمين المترددين الذين يشكون في الاسلام — فوصل المولوي محمد ابراهيم ومولوي نبي بخش مندوبين من بعض اللجنات الى لركانه وكتبا وكتب بعض المسلمين منها أنه كانت في لركانه عائلة صغيرة من الهنود وكانوا هم وآباؤهم وأجدادهم هندبين يعبدون الأوثان ويحرقون أمواتهم ويعتقدون بالعقائد التي يعتقدها سائر الهنود الوثنيين الا أن جدهم بدلداس صار موظفاً في ديوان السادات أمراء لركانه

واختار مراسم المسلمين كما يختار أكثر الهنود مراسم العزاء بسيدنا الامام الحسين بن علي رضي الله عنه ويبنون في المحرم تماثيل مقابرهم ويلبسون الثياب الخضراء ويجمعون الاشتراكات لهذه التماثيل ويقولون انهم فقراء الامام وينذرون لها نذوراً كما يفعل المسلمون الجاهلون في شهر المحرم ومن الهنود من لقب بالألقاب الاسلامية كمرزا تفته وغير ذلك فهكذا هذه العائلة قد اختارت رسوم جهال المسلمين استرضاء لمواليهم المسلمين واشتهروا بالشيوخ واستمروا عليه حيناً من الدهر الا أنهم لم يؤمنوا ولم يدخلوا في حوزة الاسلام قط وكانوا يعبدون الأوثان ويحرقون أمواتهم ويرسلون نبذاً من الشعور على رؤوسهم ويستعملون الزنانير ويسمون أبناءهم وبناتهم بأسماء المشركين ويتبعون أهل الشرك في عقائدهم وتفردوا لهذا أو بسبب آخر من أقوامهم فسمت الآرية في انضمامهم الى فئتهم ففازوا بذلك وأظهروا في جرائدهم انهم كانوا من المسلمين

أما العالمان العاملان المذكوران فصمما عزمهما على دعوة الاسلام وتبليغه الى الذين لا يعرفون محاسن الاسلام واحياء سنة من سنن الرسول صلى الله عليه وسلم التي تركها العلماء منذ قرون عديدة فانه صلى الله عليه وسلم كان يذهب تارة الى عكاظ وتارة الى الطائف وتارة يضع مأدبة لقريش ويبلغهم آيات الله ويحثهم على طاعة الله ويهديهم الى سواء السبيل ويعظهم في المجامع العامة التي تشتمل على طوائف الناس من المؤمنين والمشركين —

وعلماء هذا الزمان مارعوا هذه السنة حق رعايتها بل حصروا مواعظهم ونصائحهم في المساجد حيث لا يحضر الا من يصلي ولا يصل وعظهم الى المسلمين الذين غرقوا في بحار المناهي والمناكر ولا يصل نداء وعظهم الى من لا يؤمن بالله واليوم الآخر — الا أن هذين العالمين قد أحيا هذه السنة وعملا عليها عملا حسناً فصمما مواعظهما وجددا عزمهما الى هداية الذين لا يدينون دين الحق وشرعا في الذهاب الى القرى والبلاد وأنتجت مساعيهما نتائج حسنة فاعتنق الدين الاسلامي في أسبوع واحد أربع مائة من الرجال والنساء والصبيان ومازال عدد التاركين الوثنية الداخلين في الاسلام يزداد يوماً فيوما في هذه الاقطاع الى أن بلغ عدد من

أسلم ٨٥٧ نسمة والعالمان المتورعان مجتهدان في دعوة الاسلام وكل يوم ننتظر أن تصل الينا بشارة جديدة يفرح بها المسلمون فرحاً –

يا معشر المسلمين أفلا تنظرون بعين الناقد البصير الى أعمال علمائكم كيف نجحت مساعيهم في برهة من الزمان فما هذا الا نتيجة احيائهم سنة من سنن الرسول صلى الله عليه وسلم فان اختار علماؤنا الكرام هذه الخطة التي عمل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم مدة عمره الشريف رأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً –

فعليكم أيها المؤمنون أن تحسبوها تجربة حسنة وتبنوا عليها بناء جيداً فان ارتقاء القوم لما كان يتوقف على تعليم العلوم والصنائع والتجارة وكثرة المدد والعدد عقدتم لتعليم العلوم والصنائع جمعيات عديدة فالاجدر أن تقيموا للدعوة الاسلام جمعية أيضاً يشترك فيه المسلمون كلهم واجتهدوا في نشر الاسلام حق الاجتهاد وانظروا الى معاصريكم من المسيحيين كيف يجتهدون في اشاعة المسيحية وكيف يصرفون عليها قناطير الذهب والفضة كل سنة كما يظهر من رسالة مكاتبنا المكرم التي أدرجناها

وانظروا الى اخوانكم الآرية كيف يجتهد كل واحد منهم في اشاعة مذهبهم لتكثير حزبهم مع أن معتقداتهم مخالفة العقل السليم ولا تقاوم الادلة الفلسفية كتعدد الآلهة ومسئلة التناسخ وعبادة آلات التناسل وغير ذلك من العقائد الباطلة وشائنة ولكنهم يجتهدون فى تكثير أفراد هذه المذاهب ويفوزون فوزا تاماً حتى انه لم يبق قرية أو بلدة من الهند الا و يوجد فيه عدد من هذه الفرقة الحديثة التي بدت منذ خمس وعشرين سنة

أما دينكم فمطابق لفطرة الله التي فطر الناس عليها وأصوله موافقة للعقل والحكمة والفلسفة فوجهوا وجهتكم الى هذا الأمر الجليل والتفتوا اليه أجل التفات واعقدوا له جمعية جديدة أو حثوا احدى الجمعيات الموجودة عليه لتعمل فيه بالنظام المتين والتدبير المستقيم المستقل وتديم الجهد عليه فالفوز والنجاح بين أيديكم لا ريب فيهما ان العالمين المذكورين قد قرعا هذا الباب وفتحاه لكم وقدما نتائج مساعيهما الحسنة اليكم ليكون لكم درساً مفيداً – فعليكم أن تنصروهما وتدبروا تدابير

حسنة لاستمرار الاعمال التي شرعا فيها —

يامعشر المسلمين انتبهوا من هذه الغفلة وجددوا عزائمكم وقووا قلوبكم وصمموا نياتكم وقوموا لاحياء قومكم واشاعة دينكم وتكثير حزبكم لتكونوا من المسلمين الصادقين الذين يفاخر بكم نبيكم الامم لكثرة عددكم وقوة عددكم وجهادكم بأموالكم وأنفسكم وأقلامكم وأقدامكم واسعوا بالاخلاص في اعلاء كلمة الله ونشر شعائر الله وافشاء أحكام الله واتفقوا واجتمعوا ولا تفرقوا فان يد الله مع الجماعة » اه بنصه مع تصحيح بعض الكلمات

﴿ الدعوة الى الاسلام في اليابان ﴾

كانت الجرائد رددت صدى مانشر في مجلة (شوكيا) اليابانية عن تصدي حسان المسلم الصيني لدعوة قومها الى الاسلام بتأليف كتاب نشره في تلك البلاد ثم نقل بعضها عن الجزء الصادر من تلك المجلة في أول سبتمبر الماضي شيئاً عن بحث لجنة الأديان اليابانية في ذلك الكتاب وملخصه أن رئيسها كلف المستر كوريما دراسة قسم العبادات من الكتاب والمستر جورافوش دراسة قسم المعاملات والمستر ايواداوا دراسة قسم العقوبات مع اشتراك الجميع في المسائل العويصة من كل قسم . وكتب الى المستر حسان يدعوه الى اليابان لمذاكرته في مسائل كتابه فلبى وتلقته اللجنة بالحفاوة والاكرام وكان يحضر اجتماعهم . ولما دارت المناقشة في كلمة «لا إله الا الله» قاعدة التوحيد أورد المستر كوريما كل ما في خياله من الادلة النظرية لاثبات تعدد الآلهة ولكن رفيقيه مالا الى رأي المستر حسان . ومن رأي اللجنة أن تنشر كل ما تراه صحيحاً من المسائل الاسلامية بعد الاتفاق عليه في الجرائد في صحف خاصة توزع على العامة : وانا نخشى أن يعجز أخونا حسان عن اقناع القوم ببعض المسائل لتمسكه فيها بمذهب معين فان الذي نعرفه عن مسلمي الصين أنهم قلما يعرفون من الاسلام غير مذهب الحنفيه . ونود أن يستحضر لنا بعض أهل الغيرة هذه المجلة وما عساه يطبع في المناظرة ويترجمه ليتسنى لنا مشاركتهم في بحثهم نحن ومن يهمه ذلك من العلماء ونكتب اليهم مانراه مقنعاً لهم ان شاء الله تعالى

﴿مسألة مكدونية وتاثيرها في المسلمين﴾

اتفقت النمسا وروسيا وانكلترا وفرنسا وايطاليا على ارسال أسطول موءلف من سفنهن لتهديد الدولة العلية وإلزام السلطان باجابة مايطلبن من المراقبة المالية الاوربية في تلك الولايات وقد احتل الاسطول المتحد جزيرة مدللي وأصر السلطان على رفض طلبهن كما قلنا في الجزء الماضي

وكان من بعض أجوبته لسفرائهن انه لا يقدر على احتمال سخط المسلمين في هذه الحادثة أو ما هذا معناه ففسرت شركة روتر في برقياتها هذه الكلمة بأن السلطان يهدد أوربا أو النصارى بالحرب الدينية وقيام المسلمين عامة على النصارى وان السفراء فهموا هذا منه وأن سفير الانكليز قال انه هو المسوءل عن كل ماينجم من الاعتداء على رعية دولته . والسلطان لم يقصد شيئاً مما زعموا وانما أراد أن يبين لهم عذره في رفض طلب الدول وهو أن المسلمين يسخطون عليه ويقولون انه هو الذي أضاع بلاد الدولة

قال روتر كلمته وطيرها بالبرق الى مصر وغيرها فأحدثت في النفوس اضطراباً عظيماً فكثر حديث الناس في المسألة حتى النساء وانتشر الخبر في العامة انتشاراً عظيماً وتوقع الأجانب حدوث فتنة عظيمة اذا تمادى الخلاف بين الدول المتحدة وتركيا المنفردة وأنشأت الجرائد تبين ضرر العدوان وفوائد الصفاء والاتفاق . ولكن لم يطل ولله الحمد أمد الاضطراب والاشفاق على الدولة من عدوان أوربا فلم نلبث أن أنبأتنا البرقيات بأن الباب العالي اتفق مع الدول على قبول المراقبة بعد تعديل وتحوير فيها فسكنت النفوس مرة واحدة واطمأنت القلوب وسكتت الجرائد عن الخوض في المسألة ووعظ الناس بوجوب السكينة لولا ماحدث في الاسكندرية

حدث في الاسكندرية ان بعض رعاع اليونانيين أطلق الرصاص على آخر فأصاب رجلا مسلما فانتصر للمسلم بعض العامة ولليوناني من حضر من قومه فانتشرت الفتنة وظن بعض الغوغاء من أحداث المسلمين ان ما يتحدث به الناس من الحرب الدينية قد وقع فتألبوا وكثر جمعهم وصاروا يصيحون في الشوارع الحرب الدينية: ويضربون من يلقون من اليونانيين وغيرهم فجرح خلق كثير وعجز رجال

الشحنة عن قل الجموع وحفظ الأمن فأمر محافظ الاسكندرية بأن يجاء بمطافىء الحريق فيرش منها الماء في المحشر ففرق الماء تلك الجموع من حيث لم يضر أحداً منهم ونعم الرأي رأي المحافظ

وقد اتفقت الجرائد العربيــة والافرنجية على أن الذنب في الحادثة لشرار اليونان لا للمصريين وروى بعضها أن قنصــل اليونان قى طائفة منهم بالاتفاق مع الحــكومة . وقد قبض على جماعــة من المشاغبين لأجل محاكمتهم ويقال ان الحكومة ستعاملهم بالقسوة وتعاقبهم أشد العقاب عبرة لهم ولأمثالهم

وروت الجرائد أيضاً أن محافظ الاسكندرية أمر الخطباء والوعاظ بأن ينصحوا للناس بموادة النصارى وغيرهم من المخالفين لهم في الدين ليعلم الجاهلون أن الدين يأمر بالعدل والإحسان لا بالظلم والعدوان . وقد روت البرقيات والجرائد الأوربية أن السلطان أمر خطباء الاستانة ووعاظها بمثل هذا . وينكر بعض الناس مثل هذا محتجاً بأن أهل الاستانة لم يعرفوا من الخلاف بين الدولة العلية والدول ما يعرف الاروبيون والمصريون وان مثل هذا الوعظ قد يضر ولا ينفع لأنه ينبه النفوس الى ما كانت غافلة عنه ولا تعنينا هذه الآراء وما كان للمنار ان يذكر الحوادث الا لبيان العبرة فيها

العبرة في هذه الحادثة من وجوه (أحدها) أن لعامة المسلمين غيرة على دينهم وعلى سلطتهم وحظاً مّا من الشعور بالحياة الملية العامة ولكن ليس لهم زعماء يخدمون هذا الاستعداد ، ويستخدمونه بما ينفع الأمة والبلاد (ثانيها) ان هؤلاء العوام لجهلهم بدينهم عرضة لمخالفته بقصد الاهتداء بهدايته حتى يسهل دفعهم الى الفتن ، وايقاعهم في مزالق المحن ، ولا علاج لهذا الجهل الا التعليم الديني النافع والتربيــة الاسلامية القويمة ،واذا كانت الحكومة تظن أن القسوة في عقاب المذنبين ـــفي حادثة الاسكندرية تكون تربية لسائر العوام ورادعا لهم عن الوقوع في مثل ما وقع فيه المعاقبون فظنها هذا اثم فان العوام لا يندفعون بالفكر والقياس، بل بالوجدان والإحساس ،فاذا حدث في وقت آخر ما يحرك احساسهم للشر ،فانهم لا يتذكرون ما سبق للمذنبين من العقوبة والضر ،فعلى الحكومة المصرية أن تعنى بتعميم التعليم الديني ما استطاعت (ثالثها) ان شرار الاجانب باعتـــدائهم على الوطنيين

واعـتزازهم بحماية حكوماتهم لهم من العـدل يحفظون القلوب عليهم ويملأونها حقدا وضغناً فاذا جاءت أحداث الزمان بالفرصة للتشفي والانتقام، ومقابلة العدوان بالعدوان، كان من ظلم الحكومة أن تنكل برعيتها اذا قدرت، ومن البلية عليها وعلى البلاد ان عجزت، (رابعها) ان بعض الاجانب ينبزون هذه الحركة بلقب التعصب الديني الذي هو عندهم من الالقاب الممقوتة ولو أنصفوا لعرفوا أن كل حركة ضدهم فهم سببها سواء كانت دينية أودنيوية (خامسها) ان جميع الاجانب يقتنون السلاح ويتعلمون استعماله ويقل في الوطنيين من يقتنيه أو يحسن استعماله والحكومة المصرية تشدد على رعيتها في اتخاذه وذلك مما يحفظ قلوبهم على الاجانب اذ يعتقدون أنهم يستعدون للايقاع بهم ومن مصلحتها أن تقرب القلوب بعضها من بعض بالمساواة وهذا يتوقف على رضاء دول أوربا فلعلهن يفكرن في ذلك

وعلى ذكر السلاح نقول ان الحكومة العثمانية في سوريا قد أتقنت التشديد على العلم ومنع الكتب والجرائد خوفاً من حركة الفكر ولكنها لم تتقن منع السلاح فلا يكاد يوجـد أحد في بيروت ولا لبنان لايتخذ بنادق مرتيني وغيرها من المدى والمسدسات ويكثر السلاح أيضاً في سائر البلاد وسيم فنسأل الله أن يقيها الفتن، ماظهر منها وما بطن

أنباء الازهر — الشيخ أحمد الرفاعي

هذا الشيخ هو أول من تجرأ على الجهر بمعارضة الاصلاح في الازهر باسم الانتصار للدين ودعا الشيوخ الى ذلك فأجاب دعوته كثيرون لاالاكثرون. وقد كان من عاقبة أمره ما عرفه الناس هنا وخاضت فيه الجرائد وهذا مانشرته جريدة اللواء (في ع ٨٧٧ الصادر في ١٨ رمضان الماضي)

«من المسائل التي يجب علينا نحن معشر الوطنيين النظر فيها وتلافيها قبل أن ينبهنا اليها الغير تلك الحالة المكدرة التي وقعت من الشيخ أحمد الرافعي شيخ المغاربة. ومعلوم ان هذا الشيخ نال الحظوة السامية لدى الجناب العالي الخديوي مدة سنوات وكم من مرة طاف على العلماء بالعرائض لطلب عزل شيخ الجامع والمفتي وكان الكثيرون يتبعونه وكان يقرأ التفسير في القبة اثناء شهر رمضان. وقد

بلغ من تقرب به ان سمو الأمير رشحه لمشيخة الازهر عقب احالة فضيلة الاستاذ العلامة الشيخ سليم البشري على المعاش

«أما الذي علمناه وعلمه الكثيرون فهو ان الشيخ المذكور لما تعين شيخاً المقاري أقيم ناظراً على وقف مشروط النظر فيه لمن يكون في وظيفته فكان من تصرفه المخالف للشرع الشريف انه أجر لحضرة سمعان بك صيدناوي التاجر الشهير في الموسكي قطعة أرض لمدة ستين عاماً بأجرة زهيدة جداً . ولما بلغ هذا الخبر أولياء الأمور فصلوه عن وظيفته من مشيخة المقاري فأصبح غير ناظر على الوقف ثم أبى الجناب العالي قبوله في السراي العامرة كما أنه لم يدعه للافطار في عابدين مع بقية العلماء وسيجري الشأن بابطال عمل الرجل شرعاً وهذا وان كان يريح البال بعد العلم بهذه الحادثة الا ان الجاري الآن من الغرابة بمكان ذلك ان الشيخ لا يزال مدرساً في الازهر

«وغني عن البيان ان وظيفة التدريس خصوصاً في مدرسة كلية مثل الازهر الشريف هي وظيفة سامية لا تسند الا الى الرجل الشريف الطاهر السمعة ولا يليق ان يتقول الناس في الخارج على واحد يشغلها . وعندنا أن عالماً حسن السمعة خير الف مرة من عالم أوسع منه علماً يكون سيء السمعة غير محمود الذكر لأن مثل هذا يكون مثالا رديئاً لتلاميذه و به يعتقد الطلبة ان العلم يسمح لصاحبه بخراب الذمة

« فهل ترضى مشيخة الأزهر أن يهان التدريس الى حد أن يتربع في حلقاته من أتى أمراً مخالفاً للشريعة السمحاء (الصواب السمحة)

فان كان الشيخ قد أتى ما أتى وهو عالم بمخالفته الشرع فهذا يكفي لحرمانه من التدريس وان كان أتاه وهو غير عالم بمخالفته فهناك الطامة الكبرى لاسناد التدريس لمن لا يعرف نواهي الشرع وان كان أتاه عن ضعف وكبر فهو غير لائق للتدريس . فهل لمشيخة الازهر ان توجه أنظارها الى ذلك صيانة لشرف العلم والمتعلمين . » اه

(المنار) كان للراء أن يلتمس للشيخ عذراً فيما فعل ولو بالطرق التي يسمونها حيلا شرعية وتقول أنه بعد هذا قد أقيل الشيخ الرفاعي من مجلس ادارة الازهر الذي عين عضوا فيه عقب ترك الاستاذ الامام له والذين كانوا يعارضون الاصلاح كلهم مثل هذا الشيخ أو دونه

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق)

﴿مصر الاربعاء غرة القعدة سنة ١٣٢٣ — ٢٧ ديسمبر (ك١) سنة ١٩٠٥﴾

باب المقالات

الحياة الملية بالتربية الاجتماعية

(هذا ماوعدنا به في مقالة روابط الجنسية والحياة الملية في الجزء السابق)

ذهب كثيرون من نابتة الترك والمصريين مذاهب الخيال الذي انعكس الى أفكارهم مما شهدوا من ظواهر مدنيــة أوربا فحسبوا أن فلاح كل شعب وكل قطر معـلول لعلة واحـــدة هي تقليد أوربا بنشر العلوم الرياضية والطبيعية ونظام الحكومة والأخــذ بعادات أهلها ويستدلون على رأيهم هذا بما كان من ارتقاء اليابان في نحو ربع قرن بهذا التقليد ويحسبون هذا برهاناً قاطعاً لا سبيل الى المكابرة فيه الا ممن كان أعمى البصيرة جاهلاً بحال هذا العصر مغروراً بحال قومه في حاضرهم أوماضيهم وكأني بمن تعود منهــم قراءة الكلام المعقول في المنار وقد أنكر فاتحة هذا القول وساء ظنه بمن سمى هذه القضية البديهية اليقين عنده تخيلا وحسباناً .

لاتعجلوا بالانكار عليّ فلست بمنكر فائدة تلك العـلوم ولا أقول ان أمة تعز وتقوى في هذا العصر مع الجهل بها وبطرق الاستفادة منها وارجعوا الى أنفسكم فانتم أعلم بها منكم بأوربا واليابان . انكم قد سبقتم اليابانيين الى هذا التقليد فالمصريون منكم قد مرّ على أخذهم بهذا التقليد قرن كامل والترك قد ناهزوا ثلاثة أرباع القرن ولم يدرك أحد من الفريقين غبار اليابانيين الذين لايزيد سنهم في المدنية على ربع القرن الا قليلا . فدولة اليابان قد دوخت في بضع سنين أكبر دولة شرقية وأكبر دولة غربية وطفقت ترث الأرض وتستعمر البلاد ، وبلادكم تنقص من أطرافها ، ويفتات عليكم فيما بقيت لكم رسومه منها ، فأيّ أثر لتقليد أوربا تحمدون ، وأيّ فائدة له في أنفسكم تعرفون ،

هل يستطيع المصري أن يقول ان حكومتنا لم تتشكل بشكل الحكومات الأوربية فلم يتم لنا التقليد الذي هو علة النجاح ؟ أنّى وكل ما عرفته هــذه البلاد من نظام أوربا ومدنيتها فهو من حكومتها لامن الأهالي ولاتزال الحكومة

أرقى من الرعية تسوقها في كل طريق وتقودها بكل زمام . منح الشعب المصري حرية القول والعمل والاجتماع منذ ربع قرن ولم توجد له جريدة ذات مذهب ملي نافع ورأي اجتماعي ثابت ولا مدرسة كلية بل ولا جزئية يمتد بتعليمها وتربيتها تنظر البلاد الى المتخرجين فيها نظر الرجاء بما ترى من امتيازهم على المتخرجين في مدارس الحكومة فمدارس الحكومة وهي في أيدي الأجانب ترجح على جميع المدارس الأهلية رجحاناً مبيناً ، ولم تؤسس فيها شركات كبيرة للزراعة أو للتجارة أو للصناعة نجحت في عملها ، فكانت موضعاً للثقة بها ، ولم يوجد فيها للمسلمين وهم السواد الأعظم غير جمعية خيرية واحدة لاتزال فقيرة بالنسبة الى الجمعيات الخيرية في أوربا واليابان على ماقاسى مؤسسوها من العناء والبلاء في سبيلها ولا يزال مجلس ادارتها يمحو من دفاترها في كل سنة أسماء كثير من الاغنياء الذين يشتركون فيها وتمر عليهم السنون ولا يؤدون اليها مافرضوه على أنفسهم لاعانة فقرائهم وأكثرهم من المتعلمين علوم أوربا في بلادهم أو في أوربا نفسها .

وأما الترك فقد ملأ طلاب المدنية منهم الآفاق أنينا وشكوى من حكومتهم وطعناً في سلطانهم واني على اعترافي لهم بأنهم في مجموعهم أرقى من المصريين علماً وأخلاقاً وأقوى عزيمة واستقلالا أقول ما قاله كبير من كبرائهم : إننا بطعننا في السلطان وصراخنا بالشكوى من حكومة «المابين» نعترف للعالم علناً بأننا لسنا أمة اذلو كنا أمة لما قدر رجل واحد على أن يفعل فينا مايشاء ويحكم مايريد ولما عجزنا عن وضع بناء حكومتنا على أساس الشورى الشرعية التي فرضها ديننا ورأينا نجاح الأمم بها، فهؤلاء الخائضون مناقب السلطان انما يصفعون على ذقونهم : يريد هذا التركي الكبير ان الشعب لم يرتق الى المستوى الذي يقدر فيه على تغيير شكل الحكومة فهو اذاً لم يستفد من تقليد أوربا ماعتزت به أمته وارتقت به دولته بل كان كل خذلان أصيبت به الدولة أثرا من آثار خيانة هؤلاء المقلدين أوربا المعبر عنهم بالمتفرنجين فهم الذين اقترفوا جريمة الخيانة في حربها الأخيرة مع روسيا وهم الذين أفسدوا البلاد بظلمهم وبيعهم الدماء أو الحقوق بالرشوة لأجل ارضاء شهواتهم التي استفادوا التفنن بها من مدنية أوربا

لا ريب أن معظم ما أخذناه عن أوربا كان سبباً في زيادة نفوذها فينا واستيلائها على كثير من بلادنا وامتصاصها لثروتنا وقد ضعفنا وما قوينا وبعدنا عن الاستقلال ولم نقرب منه فلماذا كان هذا منتهى حظنا منها وكان حظ اليابان ما نعلم من القوة والمنعة والعزة والثروة ؟ وكيف السبيل الى استخراج لبن هذه المدنية من بين فرثها ودمها أم كيف السبيل الى نجاح أمتنا فهذه الصين قد أنشأت تقتدي باليابان في اصلاح شأنها وتنظيم حكومتها وهذه روسيا قد وضعت الثورة حكومتها في البوتقة لتذيبها وتنقيها من أوضارها فاذا صلحت حال هاتين الحكومتين فان فساد الأرض ينحصر فينا وحدنا، واذا جعلنا الكلام في الشعوب والملل، لا في الحكومات والدول، فاننا لا نجهل أننا قد دفعنا من صدرها الى عجزها، وصرنا الى ساقتها بعد أن كنا في مقدمتها، فماذا يجب علينا من العمل، قبل أن ينقطع منا الأمل ؟؟

أقول في الجواب يجب أن نكون أمة واحدة تربطنا رابطة واحدة تصل بعضنا ببعض حتى يشعر كل صنف وقبيل منا بل كل فرد بأنه عضو من جسم كبير له حياة واحدة عامة منبثة في جميع الأعضاء مادامت الأعضاء متصلة فاذا ما انفصل عضو منها فارقته الحياة اذ لا حياة له في نفسه. واننا لا نشعر الآن بهذه الحياة وانما يشعر كل واحد منا بنفسه وحدها فهو يعمل لها وحدها فالمهندس والطبيب والفقيه والقانوني والمدرس وسائر أهل المعارف هم كالحداد والنجار والزارع والصانع والأجير والخفير وغيرهم من أهل الحرف والصنائع كل واحد منهم يتعلم ليتوسل الى رزقه وما يتمتع به نفسه وأهله لا يلاحظ مصلحة عامة ولا رابطة جامعة فوجوده لا ينبسط الى أكثر مما ينبسط له وجود بعض الذباب والحشرات على ما شرحناه في مقالة روابط الجنسية فالعلوم الرياضية والطبيعية والشرعية وغيرها لا حظ فيها عندنا لما يسمونه الهيأة الاجتماعية وهي الأمة في مجموعها لا لأجزائها فلو صار كل فرد منا عالماً بفن من الفنون التي ارتقت بها أوربا ونحن على هذه الحال، لما كان ذلك كافياً لجعلنا أمة عزيزة كاملة الاستقلال، قصارى هذا العلم أن ينقل هؤلاء الأفراد من مرتبة الخزف والودع الى مرتبة الخرز زجاجاً كان أو جوهراً مع بقاء كل خرزة منفردة عن الأخرى اذ لا سلك

هناك تنتظم فيه ولا ناظم يؤلف بينها في السلك فيجعلها عقداً . وأعني بالسلك هنا رابطة الجنسية و بناظم العقد المربي الاجتماعي لا المربي الصناعي . حدثني محمد توفيق البكري قال سمعت السيد جمال الدين في الآستانة يقول: ان المسلمين لا يتمتعون بشيء من هذه العلوم التي يتعلمونها لأن السلك عندهم منقطع ولا فائدة بدونه: أوما هذا معناه قال لي البكري وقد فاتني أن أسأله عن مراده بهذا السلك فما رأيك فيه

مثل المعلم الفني والمربي الصناعي كمثل من ينظف قطع المعدن أو الجوهر ليُنتفع بها في الجملة ولا يبالي أ كانت حبة في عقد أو فصاً لخاتم أو كمثل من ينحت الحجارة النحت الأول لتباع لمريدها فهو لا يبني ولا يعنيه أمر الباني أ كان يريد مسجد صلاة أم هيكل أوثان . وأما المربي الملي والمعلم الاجتماعي فهو الذي يقيم بناء الأمة أو ينظم عقدها فيجب أن يكون هو الرئيس على معلمي الفنون والعلوم المدير لمدارسهم لأنهم هم الذين يمهدون له العمل ويهيئون له الحجارة التي يقيم بها البناء فإذا خلت مدارس الأمة من هؤلاء المربين والمعلمين فبشرها بأنها تهيء أفرادها للدخول في بناء غير بنائها وهكذا نرى الذين تعلموا العلوم والفنون منا هم الذين مكنوا الأجانب منا بنصحهم لهم في خدمتهم، وان لم يصلوا في التشرف بهم الى أن يجعلوا من بنيتهم، وهكذا تتبدل أحوال الامم وتتغير أشكالها كما صارت كنائس القسطنطينية مساجد ومساجد قرطبة كنائس

ألا ان حياتنا الملية التي هي سلك اجتماعنا وينبوع سعادتنا لا تنفخ روحها فينا الا بالتربية الدينية الدنيوية فيجب أن يكون جل اهتمام طلاب الاصلاح منا في الدعوة الى هذه التربية والسعي لها وازالة العقبتين اللتين ذكرناهما في مقالة الجزء الماضي من طريقها أعني عاقبة السياسة وعقبة الجهل وكيف يكون ذلك .

كتبت ما تقدم فلم يقف القلم دقيقة ولا لحظة انتظاراً لما يمليه الفكر حتى اذا نتهى الى هذه النقطة وقف ساعة من الزمان ، وكان هذا شأنه في المقالة الاولى ري فلم يقف الا عند نقطة بيان العمل الواجب علينا فكانت وقفته خاتمة المقالة . فالقلم لوقوف الفكر ، ووقف الفكر لأن تصور العاملين حال بينه وبين تصوير مل ، انتقل من إملاء الواجبات التي يعلمها الى البحث عن العاملين الذين

بجابهم ، كأن صائحا أهاب به . قف لا تخاطب من لا يسمع ، ولا تطالب من لا يعمل ، . فوقف هنيهة ثم أنشأ يجوب البلاد و يتصفح الوجوه فرأى أن أكثر الذين يعقلون ما يقال ، ويقدرون على الأعمال أحلاس بيوت ، وأحلاف خمول ، ومن قد ظهر بما نصح للأمة ، قد استفاد بنصحه الظنة ، فلا يثق به الجمهور ، ولا يكاون اليه تدبير الأمور ، ثم عاد الى قبر الاستاذ الامام ، فبكاه بالدموع السجام ، وتذكر أن الامة ما فقدت رأيه ونصيحته ، وانما فقدت زعامته وامامته ، فانها لم تكد تشعر بأنه رب السلك ، وربان الفلك ، فتستعد لقبول ما يأتيه من النظام ، إلا وقد اختطفه منها الحمام ،

فان لم يأتنا ندب بسلك فلا عمل هناك ولا نظام
وان لم يأتنا نوح بفلك على الاسلام والشرق السلام

هذا ما كان من الفكر في سكوته عن الاملاء قد أملاه ، ثم عاد الى ما كان وعد القلم به فوقاه ،

يجب على العامل في مصر والهند ما لا يجب على العامل في الأستانة والشام ، ويطلب من المصلح في تونس والجزائر ما لا يطلب من المصلح في فارس أو قزان ، ولا أذكر مراكش اذ ليس فيها — على ما أظن — رجال ، ولا الصين لأن المسلمين فيها لا يهمهم غير جمع المال ، وجملة القول ان الشعوب الاسلامية متمزقة في بلاد متفرقة ، وليس لشعب منها من الحرية فى العلم والعمل للدنيا والدين مثل ما لمسلمي مصر والهند وهم في مقدمة المسلمين ذكاء وفطنة ولولا ما يعوزهم من العزيمة والثبات والاستقلال الشخصي الذي تفضلهم به الشعوب العثمانية لكانوا هم الرجاء لسائر المسلمين ، ولا أعتد دعوة أحداث الوطنية في مصر مانعا لانتفاع المسلمين بالمصريين فان دعوتهم لا تزال ضعيفة لا يخشى أن تفصل هذا العضو من جسم الملة .

انما يكون العاملون لخير الاسلام في مصر والهند بأمن من غائلة السياسة اذا هم اتقوا الاصطدام بالسياسة والافتتان بها فيجب أن يكون عملهم للاسلام نفسه لا لهوى أمير أو مليك ، ولا اتكالا على دولة أو حكومة ، ولا لأجل مقاومة السلطة ، أو معاندة

القوة ، ولولا افتتان المصريين بالسياسة وتعلق نفوسهم بمناهضة انكلترا اتكالا على فرنسا لنجحوا في ظل حرية الاحتلال الانكليزي نهضة كانوا بها أئمة المسلمين ولكنهم لم يكادوا يشفوا من داء الغرور بفرنسا حتى قام من خطباء الفتنة من يغرهم بألمانيا ويغريهم بمناصبة القوة المحتلة الحقيقية اتكالا على قوة ألمانيا الوهمية.

يخدع بعض المصريين أنفسهم ويخادعون قومهم اذ يقولون ان الحياة الوطنية انما تكون بكثرة الكلام في ذم كل عمل للمحتلين واظهار الميل عنهم الى غيرهم ، ويتوهم الأكثرون منهم ويوهمون قومهم بأن من يعمل لخير ملته وأمته في مصر فهو على خطر ايقاع الانكليز به لان الحرية التي عندهم لاتعدو اباحة القول وعمل المنكر ، وان كلا لمخطىء فيما يقول ويزعم فان القول لايزلزل القوم ولذلك أباحوه فاذا آنسوا ان وراءه عملا فلا يعجزهم إحباطه وهم هم الذين يلعبون بالأمم والدول كما يشاءون . وأما من يعمل في سلطتهم لخير نفسه بالاهتداء بدينه والارتقاء في دنياه فانهم لا يصدونه عن السبيل، ولا يقيمون في وجهه العراقيل، وقد ارتقى وثنيو الهند في ظل حريتهم ارتقاء مبينا والمسلمون نائمون فلم يقعدوا القائم، ولا أيقظوا النائم، ولما انتبه المسلمون من نومهم ، ودعاهم الداعي الى العمل لقومهم ، قال لهم الانكليز إن تعملوا لأنفسكم فانا مسعدون، وإن تهملوا شؤونكم فما نحن لكم إلا مهملون.

الانكليز قوم يحبون الكسب بهدوء وسلام فهم لايحركون أضغان الناس عليهم ولا يقصرون في تسكين ماتحرك من نفسه أوحركه خصم آخر ينـاظرهم ، لا يعاندون الطبيعة ولا يساعدونها على أنفسهم ، فمن استعدت طبيعته لعلم أوعمل مع مسالمتهم اقتنعوا بأن يستفيدوا منه بحسب حاله فهم يرضون من العالم مالا يرضونه من الجاهل ، ويعاملون الشعب المستقل المتحد بغير ما يعاملون به الشعب المستذل المستعبد، فما أجبن من يقول انهم لا يمكنوننا من العمل ، وما أجهل من يقول لماذا لا يعملون لنا مالا نعمل لانفسنا انهم اذاً أعداؤنا . نعم انهم أعداؤك العقلاء وأنت بجهلك أعدى أعداء نفسك

اذا ما أهان امرؤ نفسه فلا أكرم الله من يكرمه

هذه ما تقنعهم به عقبة السياسة في مصر والهند أعيده مختصرا وهو أن يكون

عملنا لاحياء ملتنا وترقية أمتنا بالعلوم النافعة والأعمال المالية المشتركة والجمعيات العلمية الخيرية مع مسالمة القوة بالصدق لا بالرياء والمخادعة وما مسالمة القوة الاترك العبث بمقاومتها لاجل قوة خارجية سواها . أما مطالبتها بترك كذا مما يضر البلاد أو فعل كذا مما يفيدها فلا ينافي المسالمة ولا يقتضي المقاومة واذا صار في البلاد أمة تطالب بذلك على بصيرة وحق فان طلبها لا يكاد يرد اذا كان معقولا فان العاقل لا يظلم مع العاقل لا سيما اذا كان أمة (الكلمة للسيد جمال الدين رحمه الله) ولن تكون هذه الأمة أمة الا بالحياة الملية التي ندعو اليها

تلك الحقيقة وقد يتوهم ضعفاء العقول أن فيها مصانعة للمحتلين وما أنا بمحتاج الى مصانعتهم لدنيا أريدها منهم وهم أغنى بقوتهم وبراعتهم في استعمار البلاد وتدبير أمور الأمم عني . ولو كنت أصانع لكنت أحوج الى مصانعة العوام بمجاراتهم على أهوائهم لتزداد مجلتي رواجا فيهم أو بعض الكبراء الذين يبذلون الأموال لمن يواتيهم على ما يريدون وما كان هذا مني ولا ذاك ولن يكون ان شاء الله تعالى . ان أريد الا اقناع طائفتين من الناس بما لو اقتنعوا به رجي أن تستفيد الامة من علمهم . الطائفة الاولى جماعة من أهل المعرفة بما ينفع الامة يصدهم عن العمل لها اعتقاد أن الانكليز واقفون بالمرصاد لكل عامل لملته لانهم أعداؤها ولا قدرة لنا عليهم فعلينا السكون والسكوت وهؤلاء هم الواهمون . والطائفة الثانية مؤلفة من أفراد كثيرين لا يعرفون النافع للامة والمحيي للملة وانما يظنون أن الواجب على كل وطني أو مسلم أن يعتقد أن كل ما يعمله المحتلون البلاد ضار فان كان نافعا في الظاهر فهو ضار في الباطن وأن يقاوم القوم بالقول فيذمهم ويقبح أعمالهم ويظهر الميل الى دولة أوربية أخرى نكاية فيهم ، وهؤلاء هم المخدوعون . فأولئك لجبنهم لا يعملون بعلمهم النافع وهؤلاء لحمقهم يقولون ما لا يفعلون والغارون لهم يخادعونهم بما لا يعتقدون

أريد العمل لما يحيي الملة وينهض بالأمة ولا حرية لنا في غير مصر والهند فأحب أن يقدرها العارفون بالخير والشر قدرها ويستفيدوا منها لينشط أهل الهند ولكيلا يطول على المصريين أمد الوهم وسوء الظن بالانكليز كما طال على مسلمي الهند فحرموا

الاستفادة من حريتهم حقبة من الزمن ولم يشعروا بخطأهم الا بعد أن رأوا الوثنيين قد علوهم بالعلم والعمل والثروة والحكم . فحسب المصريين ربع تلك المدة وليعلموا أن اقتحام العقبة سهل كما ذكرنا ومن بين لنا خطأنا فاناله شاكرون، ولرأيه ناشرون، نعم ان حكومة فارس (ايران) لا تعادي العلم، ولا تمنع الاجتماع ، ولكن الشعب نائم، يحلم بظهور المهدي القائم ، وهي عاجزة عن النهوض بنفسها ، وما أحوجها الى يقظة شعبها ، قبل أن يفرغ لها الجاران، فتقتالها الغيلان،

بينا معنى الحياة الملية وأن رابطة الملة في الاسلام هي أقوى الروابط وأعمها نفعاً للبشر وأن العاقل اذا فقه سرها لا يرغب عنها ولا يفضل عليها غيرها ولو لم يكن من أهلها وأنها الآن منحلة وأنها على انحلالها موضع للأمل وأنه يجب على المسلمين توثيقها وتوكيدها وأن أحرى الناس بالعمل والسعي لها مسلمو الهند ومصر — ويليهم مسلمو التتر في روسيا واستعدادهم قوي وستظهره الحرية المنتظرة بعد الثورة — وان ما يمنعهم من العمل ليس الا وهما يقويه الجبن أو جهالة يمدها الخداع والغرور . هذا وسنشير الى اقتحام عقبة الجهل فيما يأتي

أما العمل الواجب فلا يشرح بالتفصيل الا للعاملين ويجب أن يكون دائراً على أقطاب هذه المسائل الكلية (١) كون تعليم الدين مؤيداً للعقائد دافعاً للشبهات الرائجة في هذا العصر (٢) كون تعليم التاريخ وعلم الاجتماع والاخلاق والآداب موثقاً للرابطة الملية بين شعوب المسلمين وعناصرهم المختلفة (٣) تعليم العبادات مع بيان حكمها وفوائدها في تزكية النفس وتعليم أحكام المعاملات مع بيان انطباقها على مصالح البشر ومنافعهم في هذا الزمان ومن ذلك بيان أن كل محرم ضار وكل حلال نافع (٤) تعلم العلوم الرياضية والطبيعية بقصد ترقية النفوس بمعرفة سنن الله وحكمه في الخلق وترقية مجموع الأمة بالأعمال التي تزيد في ثروتها وعزتها (٥) احياء اللغة العربية بإلزام المتعلمين التحاور بها استبدالا لها باللغة العامية وبتعليمهم البلاغة في القول والكتابة ليكونوا كتاباً بارعين ، وخطباء مؤثرين ، (٦) تعليم الصنائع التي يمكن العمل بها في البلاد وفنون التجارة بقصد انماء ثروة الامة بغنى أفرادها (٧) الجمع بين التعليم على النهج الذي شرحناه وبين التربية العملية في المدارس

الاسلامية المفقودة من الأرض (٨) جعل مدار التعليم والتربية على استقلال الفكر واستقلال الارادة والاستقلال فى العمل الذي يعبرون عنه بالاعتماد على النفس، وعلى حب الأمة وشرف الملة. والكافل لهذه الاركان الثمانية هم المعلمون المربون الذين يبنا وظيفتهم. وههنا تعترضنا عقبة الجهل جهل رجال الدين — والعامة من ورائهم — بهذه الطريقة للتعليم الديني و بفائدة العلوم الدنيوية وجهل علماء الدنيا بهذه الطريقة لتعليم علومهم. على أن أمر هؤلاء أهون، وارشادهم الى المطلوب منهم أيسر، واذا بعدنا عن علماء الرسوم الدينية ومعاهدهم كالأزهر وما ألحق به في هذه الديار فاننا نأمن معارضتهم ومناصبتهم لنافي تعليمنا على أن صوتهم في مصر قد خفت ونفوذهم قد ضعف، ولا نعدم من يعلم الدين على الوجه النافع الذي أشرنا اليه حتى ممن كان تعلم فى هـذه المعاهد وصادف علوماً وهداية أخرى بشرط أن يوجد المدبر العام رب السلك وناظم العقد

لا يكون هذا الا في المدارس الكلية فلا حياة بدونها ولو بقي الاستاذ الامام حياً لأسست في مصر مدرسة كلية وشرع فيها قبل مضي هذا العام فقد كان أعد لها عدتها وعزم على جمع المال لها فى هذا الشتاء، جزاه الله عن نيته وعمله أفضل الجزاء، وقد كان مضطلعاً بهذا الامر ولعله يوجد في مصر من يستخدم الاستعداد الذي تم لها كما كان يريد رحمه الله. أما إنشاء الجميات والشركات فان البلاد المصرية والهندية شرعت فيه ويرجى لها النجاح بالتدريج ان شاء الله تعالى

هذا ما نذكر به أهل العقل والغيرة من مسلمي مصر والهند وقزان وغيرهم من مسلمي الفرس على نومتهم، ومسلمي العثمانيين والتونسيين على ضيق عطنهم، وحيف زمنهم، وضعف مُنَنِهم، على أن استعدادهم الفطري للعمل ربما كان أقوى، واستقلالهم في الارادة والفكر أقوى، ولكن اقتحام العقبتين أشق عليهم وأعسر، فهم أحق بالاجتهاد وأجدر، ويتوقف ذلك على أعمال تعرف مما تنفثه الاخطار في الصدور، لا مما تبثه الافكار في السطور، «وكل ميسر لما خلق له»، «ألا الى الله تصير الأمور»

باب التربية والتعليم

﴿ تقرير مشيخة علماء الاسكندرية ﴾

الاحصاء العام

كتبنا في الجزء التاسع عشر رأينا في مقدمة هذا التقرير ونكتب الآن شيئا عن فصوله ومسائله المقصودة منه بنفسها وأولها فصل الاحصاء العام وفيه ان الاقبال على طلب العلم في الاسكندرية كان في هذا العام عظيما حتى بلغ عدد الطلاب في هذا العام ٧٢١ طالبا وكانوا في نهاية السنة الماضية (وهي الاولى للمشيخة) ٣٤١ فالزيادة ٣٨٠ ولكن لم يثبت من هؤلاء وهؤلاء الا ٤٤٠ وهو العدد الموجود والمسجل الآن . وقد قال الاستاذ واضع التقرير «ان جميع مديريات القطر المصري قد اشتركت في طلب العلم الشريف بهذه المدينة » وجعل ذلك دليلا على الشعور العام والميل الخاص الى الترقي في طلب العلوم الدينية وأحال في بيان هذا على الجداول التي وضعها لاحصاء الطلاب فراجعناها فلم نر فيها ذكرا لمديرية القليوبية ولا لمديرية الجيزة ولا لمديرية بني سويف . ورأينا أكثر من جاء الاسكندرية من مديرية البحيرة وسببه ظاهر وهو قربها منها و بعدها عن مصر ثم من الغربية ولعله لهذه العلة وأما الشرقية والفيوم فلكل منهما طالب واحد في الاسكندرية ولمديرية جرجا اثنان ولكل من قنا وأسيوط والمنيا ثلاثة والمنوفية أربعة وللدقهلية خمسة ولأسوان ستة ولا يعرف السبب فى وجود هؤلاء في الاسكندرية .

وما ذكر في التقرير من كون هذا أثر الشعور العام والميل الخاص الى الرقي في العلوم الدينية فهو غير ظاهر لأن هذا العدد قليل وأسباب الاختيار مجهولة ولأن التعليم في الاسكندرية هو دون التعليم في مصر وطنطا من وجهين أحدهما أن المدرسين في المصريين أرقى في العلوم الدينية ووسائلها من المدرسين في الاسكندرية وثانيهما ان الدروس نفسها أرقى والعلوم أكثر. في الاسكندرية يقرءون الجلالين

في التفسير وفي الازهر يقرءون البيضاوي والكشاف وتفسير الجلالين أصغر كتب التفسير وأقلها فائدة والبيضاوي والكشاف أعلاها ولا يخفى أن روح الدين كله في القرآن فمن لم يرتق فيه فلا رقيّ له . وليس في الاسكندرية شيء من علم الاصول ولا المعاني ولا البيان وفهم الفقه والتفسير والحديث لا يتم لمن لا حظ له من هذه العلوم . والعذر في عدم قراءة هذه العلوم أنه ليس في الاسكندرية من الطلاب الاخمس فرق ابتدائية أو خمس سنين على اصطلاحهم وليس من غرضنا هنا الانتقاد على اختيار ما اختارت المشيخة لهذه السنين من الدروس وانما الغرض بيان أن العلوم في مصر وطنطا أرقى منها في الاسكندرية فطالب الرقيّ في هذه العلوم لا يختار الادنى وهو الاسكندرية على الاعلى كالازهر .

فالتنبيه على هذه الدقائق مما لا بد منه للباحث في الامور العامة وسنن الاجتماع لأن أكثر الناس قد اعتادوا ترك التدقيق في أمثال هذه الاقوال ، وأمثال هذه الطرق من الاستدلال التي جرى عليها بعض أصحاب الجرائد في هذه البلاد ، واعتاد السكوت عن التمحيص أهل الفهم والتدقيق من الكتاب ، حتى صارت دهماء الامة تعتقد في الامور العامة غير الصواب ، فالمعقول في مسألة إقبال الناس على التعلم في الاسكندرية هو ماذكرنا من أن أهل البحيرة والغربية يرجحونها لقربها وما جاء من غير هاتين المديريتين لا يعتد به ولا ينهض دليلا على ما يرمي اليه التقرير من شعور الامة بأن العلوم الدينية في الاسكندرية أرقى فطالب الرقي يفضلها ويختارها .

ويوضح ما يريد صاحب التقرير من تفضيل مشيخته على مشيخة الازهر في التعليم ماذكره في الفصل الآتي قال

﴿ طرق التعليم ﴾

« كان الازهريون ولا يزالون يعتمدون في تعليمهم لطلاب العلم الشريف العناية بتنمية القوة العاقلة واعدادها للبحث واستنتاج النتائج من المقدمات ولذلك كانت عنايتهم بالجدل وطرق الاقناع أكثر من عنايتهم بالتماس النتائج الحقة (كذا) من مقدماتها الصحيحة . وقد كنا نرجو الخير لطلاب العلوم من هذه الطريقة لولا أن بعض المتأخرين استعملوها بافراط حتى مع صغار الطلبة والمبتدئين

في العلوم فيقضي الطالب الاعوام المديدة من بداية طلبه بين تشكيكات ومناقشات واعتراضات وأجوبة قلما يحسن معها العلم بمسائل الفنون التي يتلقاها

«ولقد أدركنا الطرف الأخير من ذلك الزمن الذي كانت عناية أكابر العلماء فيه الازهريين وغيرهم متجهة في بداية الطلب الى تكليف الطلاب بحفظ متون العلوم (كذا) وهي مسائلها التي تسرد سردا ثم التدرج معهم في ادراك تلك المسائل تدرجاً يناسب مداركهم وقواهم العقلية حتى يبلغوا الحد الذي يقتدرون فيه على الاشتغال بإقامة الادلة والبراهين على الذين كانوا يعلمون (كذا) . ولكن الولع بالشغب والمحدثات قد كاد يطفئ هذا المصباح الذي استضاء به العالم الاسلامي دهرا طويلا . وهذا التدرج في التعليم كان طريقة للمتقدمين يحسن بالمتأخرين أن يسلكوها اتباعاً لسلفهم الصالح »

ثم نقل من مقدمة ابن خلدون نبذة في التعليم ملخصها ان التعليم انما يكون مفيدا اذا كان على التدريج مراعى فيه استعداد الطالب بأن يقرأ له الفن ثلاثا يلقي عليه في الاولى أصول المسائل وتشرح بالاجمال ويخرج بالثانية الى التفصيل وذكر الخلاف ووجوهه ويستقصى في الثالثة كل عويص ويوضح كل مقفل ثم ذكر ابن خلدون أنه شاهد كثيرا من المعلمين يجهلون طرق التعليم فيلقون على المتعلم في أول تعليمه المسائل المقفلة ويطالبونه بحلها ويخلطون عليه غايات العلوم في مبادئها ويكلفونه وعيها وهو لم يستعد لها فيكل ذهنه ويكسل ويهجر العلم ظناً منه انه صعب في نفسه وانما هو سوء التعليم . ثم ذكر صاحب التقرير مفسدا آخر من مفسدات التعليم في مثل الازهر فقال

« واذا أضفنا الى هذا الذي قاله المحقق ابن خلدون مفسدا آخر لطرق التعليم وهو اطلاق السراح للطلاب وتركهم يحضرون ما يشاءون ويتركون ما يشاءون ويتدرجون في تلقي العلوم كما يشتهون بدون مراقبة على المواظبة في الطلب ولا ملاحظة لاستعداد الطالب فيما يريد تلقيه ، كانت المصيبة أعظم والفساد أعم وأشمل ، فلم يكن من العجب أن يقضي الطالب العشرات من السنين في دور العلم ومعاهد التعليم ثم لا يكون حظه من تلك السنين الطوال الا إضاعة العمر في

الاختلاف الى الدروس بلا فائدة يستفيدها ولا علم يحصله ولا يقتصر ضرره على نفسه ولكنه يتعدى الى العلماء المتصدرين للتدريس فيكون حجة الذين يسبون التدريس في الأزهر الشريف وملحقاته وبرهاناً تنقطع دونه ألسنة الذين يدافعون عن التعليم في دور العلم الاسلامية »

ثم ذكر أن مشيخة الاسكندرية تداركت هذا الفساد في طرق التعليم بشيئين (١) تكليف بعض العلماء مراقبة الطلبة في شؤونهم الدراسية وتعويدهم على الأخلاق المرضية (كذا) (٢) تقرير الامتحان السنوي على كل طالب حتى لا ينتقل من علوم سنته الى أرقى منها الا اذا أظهر الامتحان استعداده لعلوم تلك السنة. قال «أما العيب الذي أشار اليه ابن خلدون فقد تلافته المشيخة بشيئين أيضاً. الأول تنبيه حضرات العلماء والمدرسين الى ملاحظة قوى الطلبة والاقتصار على تفهيمهم مسائل الكتب المكلفين بتدريسها (كذا) بدون تعرض لكلام الحواشي والشروح الطوال خصوصاً مع المبتدئين في الطلب » والثاني عناية المشيخة بانتخاب الكتب التي تناسب كل سنة من سني الدراسة

ان الذي يمكن أن يلخص به كلامه في عيوب التعليم في الأزهر وما على شاكلته من المدارس الدينية على ما فيه من الاضطراب والابهام هو أن العيوب ثلاثة (١) أن بعض المتأخرين قد استعملوا طريقة الأزهر القديمة في التعليم التي كان يرجى خيرها بافراط حتى مع الصغار والمبتدئين فصار الطالب يقضي السنين بين التشكيكات والمناقشات فقلما يحسن العلم بمسائل الفنون التي يتلقاها (٢) الولع بالشغب والمحدثات الذي كاد يطفىء مصباح الاسلام وهو ما كان عليه أهل الأزهر من الابتداء بحفظ المتون والتدرج في ادراك مسائلها. وقال ان هذا ما كان عليه سلف الأمة الصالح واستدل على ذلك بعبارة ابن خلدون (٣) اطلاق السراح للطلاب يتدرجون كما يشتهون ويحضرون من الكتب ما يختارون بدون مراقبة. وذكر من ضرر هذا العيب أن الطالب يقضى العشرات من السنين في معاهد العلم بلا فائدة وأن ذلك برهان للذين يسبون التدريس في الازهر وملحقاته لا يرد وحجة لا تدحض. ثم ذكر ان مشيخة الاسكندرية قد تداركت هذه العيوب أي فبرئت

من استحقاق السب وبقيت هذه العيوب فى الأزهر وسائر ملحقاته في التعليم ·
وانما نبحث في هذه المسائل شاكرين لله تعالى أن وفق عالماً من علمائنا الرسميين
للكتابة في طرق التعليم وعرض آرائه على الباحثين والمنتقدين ولاغرو أن نثني
بالشكر للشيخ شاكر

أبدأ ببيان ما أشرت اليه من الاضطراب والابهام بل والايهام في العبارة
فأقول ان عبارة التقرير في هذا الموضوع عبارة من قضت عليه الحال بأن يداري
ويواري فيوهم بعض القارئين بما يبهم على الآخرين، ويرضي المختلفين في الرأي:
بالذم في معرض المدح والمدح في معرض الذم ويأتي بقياس مؤلف من مقدمات؛
تؤخذ بالتسليم وان كانت نظريات، وتكون النتيجة ان التعليم فى الأزهر له كذا
وكذا من العيوب والمفاسد، وان التعليم في الاسكندرية له كذا وكذا من المحاسن
والفوائد، ولكن العبارة لم تواته على ما يكيد، (أي يحاول) فلم تأت الا ببعض ما يريد،
هذا ما تومئ اليه العبارة من غرض الكاتب وما كان مستولياً عليه من الفكر ومتأثراً
به من الشعور عند الكتابة ذكرناها على الطريقة الغربية في النقد وهي عندنا أفضل
ما يعتذر به عن الكاتب عند من يرى الاضطراب في القول فيحمله على
مركب آخر ·

ماذا يفهم القارئ من قوله ان طريقة الازهريين التي درجوا عليها كانت
تقضي بالعناية بالجدل وطرق الاقناع أكثر من العناية بطلب النتائج الحقيقية
من مقدماتها الصحيحة وقوله انه كان يرجو الخير لطلاب العلوم من هذه الطريقة
لولا ان أفرط فيها بعض المتأخرين فسلك فيها مع الصغار العاجزين عن الاستفادة
بها · هذه الطريقة شر طريقة جرى عليها الناس لا يصل سالكها الا الى افساد العلم
والدين كما بين ذلك حجة الاسلام الغزالي في كتاب العلم من الاحياء

ماذا يفهم القارئ من قوله بعد ذلك انه أدرك الطرف الاخير من ذلك الزمن
الذي كانت عناية أكابر العلماء فيه متجهة الى تكليف الطلاب حفظ المتون
والتدرج معهم في فهمها؛ أهذه هي الطريقة الاولى أم غيرها؛ ظاهر السياق أن هذا
يضاح لما قبله وهو ما كان عليه المتقدمون لا بعض المتأخرين الذين قال انهم

أفرطوا في استعمال تلك الطريقة ولا ينافي ذلك قطعاً ما ذكره من أنهم ينتهون الى الاقتدار على الاشتغال باقامة الادلة والبراهين على الذين كانوا يعلمونهم لأنه انما جعل غايتهم الاستعداد لاقامة الادلة والبراهين على معلميهم لا الاقتدار على اقامة البراهين بالفعل على المطالب الصحيحة فلا يقال ان قوله هذا مناقض لقوله السابق لان العناية بالجدل لاجل الاقناع والالزام لاتفضي الى القدرة على تأليف البرهان لافادة العلم. وتشبيهه هذه الطريقة بالمصباح وقوله ان العالم الاسلامي استضاء بها دهراً طويلا كرجائه الانتفاع بها في النبذة الاولى

وأما قوله «ولكن الولع بالشغب والمحدثات قد كاد يطفيء هذا المصباح» فهو على ابهامه وايهامه لا يمكن أن يحمل الا على افراط أولئك المتأخرين في استعمال طريقة الازهر وهم بعضهم لأنه لم يذكر لغيرهم اساءة أخرى في اتباع الطريقة التي حمدها وقال ان الأزهريين كانوا ولا يزالون عليها . ولكن كلمة الشغب غريبة جداً في هذا المقام لأن معناها تهييج الشر فما هو الشر الذي هيج على العلماء من الأزهريين وغيرهم حتى كاد يطفئ ذلك المصباح — مصباح العناية بالجدل وتكليف الطلاب حفظ المتون والتدرج معهم في فهمها ؟؟ ألا ان هذه الكلمة في هذا المقام من أوابد الغرائب التي لا تأنس فيه ولعلها اقتبست من بعض الكلام البليغ لافادة معنى آخر فسقطت في هذا المكان، فلم تقبلها فيه الأذهان، على أن بعض ما عورض به الاصلاح قد كاد يكون شغباً أو كان والسياق هنا يأبى ارادته

وجملة القول إن الاستاذ صاحب التقرير بين طريقة الأزهر بما لا تحمد به ولكنه حمدها وغاية ما انتقده أن بعض المتأخرين بالغ فيها مع بعض الصغار من الطلاب وضرر هذا قليل تسهل ازالته مادام أكابر العلماء على خلافه وأن الولع بالشغب والمحدثات كاد يطفئ المصباح ولكنه لم يطفئه فبقي وهاجاً . وياليته بين لنا أزال هذا الشغب فصرنا آمنين على المصباح أم الولع به ما زال يلح بأهله فالمصباح على خطر ؟ ولقد أيد مدح هذه الطريقة الأزهرية بقوله انها كانت طريقة المتقدمين من السلف الصالح واستدل بكلام ابن خلدون. ماقاله ابن خلدون ليس حكاية عن السلف وانما هو رأي له يرد به على من شاهد من المعلمين الكثيرين الذين

مخطئون طرق التعليم وليس هو كل رأيه فرأيه مخالف لما عليه الأزهر كما يعلم مما يأتي
يحار قارىء التقرير فلا يدري أهـذا المدح لطريقة الأزهر بيان لاعتقاد الكاتب أم يراد به شيء آخر؟ العبارة محتملة يقوي ارادة المدح فيها عزوها الى السلف والاستدلال عليها بكلام ابن خلدون ولكن قوله بعد ذلك كله ان هناك مفسداً آخر لطرق التعليم به «كانت المصيبة أعظم والفساد أعم وأشمل» يدل على أنه لم يقصد غير الذم. فاذا فعل ذلك المصباح في هذه الظلمات المتراكمة؟
الفصل معقود لبيان طرق التعليم فكان ينبغي أن تذكر الطرق المعروفة فيه ويذكر أهلها ويفاضل بينها لبيان ما اختارته مشيخة الاسكندرية منها ولكنك تخرج من الفصل ولم تع غير طريقة واحدة للازهر عرضت لها عيوب ومفاسد فأزالت مشيخة الاسكندرية عيوبها ومفاسدها فصارت خير الطرق عندها، نعي هذا بعد أن يضطرب ذهنك في الفهم، وتحار في التزييل بين المدح والذم، فهذا ما يقال في هذا الفصل من التقرير

وأما الموضوع في نفسه فالحق الذي نعلمه فيه علم اليقين ما نقول: ان طريق الازهر في التعليم طريق طويلة مشتبهة الصوى، كثيرة التمعج والهوى، وأن أهل الازهر كانوا ولا يزالون سائرين عليها على غوائلها، الا نفرا من المتأخرين قد اتقوا بعض مفاسدها، عملا ببعض ما هداهم اليه الاصلاح الذي دعا اليه الاستاذ الامام رحمه الله تعالى وهو الذي اختار الشيخ محمد شاكر بعض تلامذته منهم يدرسون في الاسكندرية. وقد بشرنا الشيخ محمد شاكر انه أنفذ شيئاً من ذلك الاصلاح شيئاً آخر فمجموع ما شرع فيه أربعة أمور ١ مراقبة المعلمين للطلبة و٢ تقرير الامتحان السنوي و٣ حمل المعلمين على التدرج في التعليم و٤ اختيار الكتب وهذه الامور مما دعا اليه الاستاذ الامام في الازهر واشتغل بها مجلس ادارته شغلا طويلا كما يعلم من تاريخه (كتاب أعمال مجلس ادارة الأزهر) وقد عارض في هذه الأمور بعض أكابر المشايخ المتقدمين لا (المتأخرين) الذين ذمهم التقرير المتقدمين الذين أدركهم أو بعضهم كاتبه قبل ظهور ما عبر عنه «بالشغب والمحدثات» ومن حسن الحظ أنه لا يوجد في مشيخة الاسكندرية أمثال هؤلاء الاكابر المتقدمين اذ لو وجد أمثالهم

في شهرتهم ونفوذهم لما تيسر له أن يقرر ما قرره من ازالة المفاسد فان تيسر له تقريره بالقول فلا يتيسر إنفاذه بالفعل على ان الانفاذ عسر على كل حال لقلة من عندنا من أهل الكفاءة اذ لم تتعود هذه الطائفة على النظام ولم تعرف ما وصلت اليه الامم في الارتقاء في فن التعليم . ومالا يدرك كله لا يترك قله والعمل يمد بعضه بعضاً فنسأل الله كمال التوفيق للعامل والثبات عليه والإخلاص فيه ، وأما الصواب في نظام التعليم فلا محل هنا الكلام فيه لما سبق لنا من التفصيل من قبل ولكننا نأتي من تاريخ الامة فيه ومنه تعرف طريقة السلف والخلف فنقول

طريقة المسلمين في التعليم وتاريخه عندهم

أن التعليم فن صناعي يرتقي بارتقاء حضارة الأمة ويتدلى بتدليها ولم ينزل الوحي بكيفية تنظيم المدارس وتلقين العلوم والفنون للناشئين فنقول إن قوانين التعليم أحكام تعبدية تتلقى بالرواية ويتبع فيها طريق السلف الصالح من أهل الصدر الأول لأنهم أعلم الناس بغرض الشارع وأشدهم محافظة عليه . واذا كان التعليم فناً صناعياً فالذي ينبغي للأمة هو أن نفكر دائماً في ترقيته ولا يكتفي المتأخر فيه بتقليد المتقدم بحجة أنه متبع لسلفه معظم لهم اذ ليس من تعظيم الصحابة عليهم الرضوان أن نحارب بمثل ما كانوا يحاربون به من السيوف والرماح ونترك المدافع وغيرها مما استحدث من آلات الكفاح ، فما جاء في تقرير مشيخة الاسكندرية من استحسان طريقة كذا اتباعاً للسلف الصالح — لو صح — غير سديد انما السداد أن نختبر طرق التعليم المستحدثة ونتخير أمثلها فان التعليم في هذا العصر أقوى عوامل الكفاح بين الأمم حتى نقلوا عن البرنس بسمرك الشهير أنه قال اننا قد غلبنا فرنسا بالمدرسة ، على أن ما ذكر في التقرير هو مخالف لطريقة السلف الصالح في التعليم كما هو معروف للمطلع على التاريخ وتعرفه مجملا مما يأتي

كانت طريقة افادة العلم في الصدر الأول الرواية السانية ثم الاملاء والمذاكرة . ولما كثر التصنيف واتسعت حضارة المسلمين صاروا يدرسون بعض الكتب المصنفة وأكثرها في روايات الحديث والآثار وأشعار العرب ووقائعها وفي العلوم العربية والشرعية المؤيدة بهذه الروايات . ولما دخلت في الامة العلوم اليونانية اتخذوا لهم

معلمين من أهل الملل الاخرى فحدثت لهم طرق جديدة ، ثم انحصر التعليم في قراءة الكتب غالباً فكانت طرق الناس في التعليم تابعة لطرقهم في التأليف، وأول اشتغالهم بالتأليف في الفنون كان بجمع الروايات التي يتلقونها والأمالي التي يميلونها ويعلونها ثم توسعوا في ذلك ويسهل أن تعرف طريقة التدريس في كل قرن بالاطلاع على طائفة من الكتب التي صنفت فيه . روايات ووقائع فأصول وقواعد مؤيدة بها فاختصار لتذكرة المنتهي فاقتصار على المختصرات وما كتب عليها فخلط للعلوم وخلل في التعليم . وجملة القول في سيرة المسلمين في التعليم انها كانت سائرة على سنة الفطرة بطبعها لا بقوانين وضعت لها ثم انحرفت حتى ضاع العلم وضل الفهم وصرنا الى ما نرى

لم يدون المسلمون قوانين للتعليم في عنفوان دولة العلم فيهم بل كان موكولا الى المدرسين يسلكون فيه مسالك الكتب المصنفة فكثرت الطرق بكثرة المصنفات واختلاف مذاهب المصنفين والمدرسين حتى قام في القرون الوسطى من ينتقد ما عليه أهل عصره ومن قبلهم كالامام الغزالي وتلميذه أبي بكر بن العربي ثم جاء الفيلسوف الاجتماعي عبد الرحمن بن خلدون فبحث في التعليم بحثاً لم يسبقه اليه سابق ووضعه على قواعد الفلسفة فأصاب كثيراً من الاغراض . ومن الأصول التي قررها ان التعليم من الصنائع التي تتبع حال الحضارة والعمران في الترقي والتدلي كسائر الصنائع وأن كثرة التأليف في العلوم عائقة عن التحصيل وأن كثرة الاختصارات المؤلفة في العلوم مخلة بالتحصيل . وأن خلط العلوم بعضها ببعض يحول دون الظفر بشيء منها ، وان غاية تعليم الفن هي تحصيل الملكة فيه ، والمراد بالملكة ملكة العمل فملكة البلاغة هي أن يكون ذوق الكلام البليغ صفة مالكة للنفس بها يسهل الاتيان بالكلام البليغ قولا وكتابة دع فهمه والتمييز بين أقسامه وعلى ذلك فقس . وقد استفاد ابن خلدون هذه القواعد والاصول من النظر في كتب المتقدمين ومعرفة تاريخهم ومن اختبار حالة التعليم والتأليف في عصره، ولكن المسلمين لم يستفيدوا من أصوله هذه ولا من أصوله في فلسفة التاريخ وعلم الاجتماع لأن هذا أعاجاءهم في طور التدلي في العلوم والعمران كما قلنا في مقدمة أسرار البلاغة وما نقله

عنه الشيخ محمد شاكر في تقريره هو من المواضع التي قصر فيها وأجمل وعذره الفرار من التكرار وانما يعرف رأيه من مجموع ما كتبه وتقدم التنبيه على بعضه ، ومنه تحصيل ذوق البلاغة بممارسة الكلام البليغ ومنه الاستدلال على حسن طريقة التعليم بقصر مدة التحصيل وذمه الاعتماد على الحفظ وتفضيله طريقة تونس بالاكتفاء بخمس سنين في تحصيل الملكة على طريقة المغرب في جعل مدة التحصيل ١٦ سنة وكانوا يعتمدون على حفظ المتون وقد استدرك عليه علماء التعليم والتربية (البيداجوجيا) في هذا العصر فيما رآه من ابتداء المتعلم بأصول المسائل من كل باب واعادتها بالتكرار ثلاث مرات بالتفصيل الذي ذكره، ومن الغريب ان صاحب التقرير لم يأخذ عنه الا المجمل المستدرك عليه وترك سائر آرائه وهي مخالفة لما عليه المشيخة بالاسكندرية

هذا صفوة ما نختصر به تاريخ التعليم عندنا وأما العلوم أنفسها فكانت العناية بها تختلف باختلاف حال الدولة التي هي أس الحضارة وشر ماحدث في القرون المتوسطة العناية بالجدل والخلاف في الفقه وقد انبرى حجة الاسلام الغزالي لبيان مفاسد هذه البدعة بعد أن خاض فيها مع الخائضين ، وكان في مقدمة المبرزين ،

﴿ رأي الامام الغزالي في التعليم الاسلامي ﴾

كتب ابن خلدون ما كتب في التعليم من حيث هو فن صناعي يرتقي بارتقاء العمران . وأما الامام الغزالي فقد كتب فيه من حيث هو طريق للارشاد وهداية الدين فما ذهب اليه هو هدي السلف الصالح — والجدير بأن تهتدي به مشيخة العلوم الدينية المحضة — الذين غرضهم حفظ الدين والاهتداء به . قال في فصل (بيان القدر المحمود من العلوم المحمودة) بعد أن قسم العلوم الى محمود قليله وكثيره ومذموم قليله وكثيره وهو مالا يفيد في دنيا ولا دين وقسم يحمد منه مقدار مخصوص ويذم التوسع فيه والاستقصاء ما نصه

«وأما القسم المحمود الى أقصى غايات الاستقصاء فهو العلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله وسنته في خلقه وحكمته في ترتيب الآخرة على الدنيا» ثم مدحه وبين ما يحتاج اليه طالبه من المجاهدة وتهذيب النفس وقال «وأما العلوم التي لا يحمد منها الا مقدار مخصوص فهي العلوم التي أوردناها في فروض الكفايات فان في كل علم

منها اقتصاراً وهو الأقل واقتصاراً وهو الوسط واستقصاء وراء ذلك الاقتصاد لامرد له الى آخر العمر . فكن أحد رجلين اما رجل مشغول بنفسك واما متفرغ لغيرك بعد الفراغ من نفسك وإياك أن تشتغل بما يصلح غيرك قبل اصلاح نفسك . فان كنت المشغول بنفسك فلا تشتغل الا بالعلم الذي هو فرض عليك بحسب ما يقتضيه حالك وما يتعلق منه بالأعمال الظاهرة من تعلم الصلاة والطهارة والصوم وإنما الأهم الذي أهمله الكل علم صفات القلب وما يحمد منها وما يذم» وأطال في بيان مكانة علم التهذيب من الدين وأن الأعمال الظاهرة لا تفيد عند الله بدونه ثم قال «وان تفرغت من نفسك وتطهيرها وقدرت على ترك ظاهر الاثم وباطنه وصار ذلك ديدنا لك وعادة فيك وما أبعد ذلك منك فاشتغل بفروض الكفايات وراع التدرج فيها فابتدئ بكتاب الله ثم بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ثم بعلم التفسير وسائر علوم القرآن من علم الناسخ والمنسوخ والمفصول والموصول والمحكم والمتشابه وكذلك في السنة . ثم اشتغل بالفروع وهو علم المذهب من علم الفقه دون الخلاف ثم بأصول الفقه وهكذا الى بقية العلوم على ما يتسع له العمر ويساعد فيه الوقت ولا تستغرق عمرك في فن واحد منها طالباً للاستقصاء فان العلم كثير والعمر قصير . وهذه العلوم آلات ومقدمات وليست مطلوبة لعينها بل لغيرها (يعني العمل المطلوب لعينه هو العلم بالله وبسننه في خلقه وحكمته كما تقدم) وكل ما يطلب لغيره فلا ينسى فيه المطلوب ويستكثر منه فاقتصر من شائع علم اللغة على ما تفهم منه كلام العرب وتنطق به ومن غريبه على غريب القرآن وغريب الحديث ودع التعمق فيه واقتصر من النحو على ما يتعلق بالكتاب والسنة فما من علم الا وله اقتصار واقتصاد واستقصاء» ثم ذكر نموذجاً لهذه المراتب الثلاث ومثل لها بالكتب المختصرة والمتوسطة والمطولة ومن رأيه أن المطولات تصنف للمراجعة لا للتدريس ثم نهى عن الجدل والخلافيات في المذاهب وذكر انها من البدع التي لم يعهد مثلها في السلف وشبهها بالسم ثم قال

«وهذا الكلام ربما يسمع من قائله فيقال: الناس أعداء ما جهلوا: فلا تظن ذلك فعلى الخبير سقطت فاقبل هذه النصيحة ممن ضيع العمر فيه زماناً وزاد على

الأولين تصنيفاً وتحقيقاً وجدلا وبياناً ثم ألهمه الله رشده وأطلعه على عيبه فهجره واشتغل بنفسه فلا يغرنك قول من يقول ولا يعرف علله الا بعلم الخلاف فان علل المذهب مذكورة في المذهب والزيادة عليها مجادلات لم يعرفها الأولون ولا الصحابة وكانوا أعلم بعلل الفتاوى من غيرهم بل هي مع أنها غير مفيدة في علم المذهب ضارة مفسدة لذوق الفقه فان الذي يشهد له حدس المفتي اذا صح ذوقه في الفقه لا يمكن تمشيته على شروط الجدل في أكثر الامر فمن ألف طبعه رسوم الجدل أذعن ذهنه لمقتضيات الجدل وجبن عن الاذعان لذوق الفقه وانما يشتغل به من يشتغل لطلب الصيت والجاه ويتعلل بأنه يطلب علل المذهب وقد ينقضي عليه العمر ولا تنصرف همته الى علم المذهب فكن من شياطين الجن في أمان واحترز من شياطين الانس فانهم أراحوا شياطين الجن من التعب في الاغواء والاضلال»

ثم طفق يذم الجدل في العلم مطلقاً ومنه قوله : وفي الحديث في معنى قوله تعالى « فاما الذين في قلوبهم زيغ » الآية هم أهل الجدل الذين عناهم الله بقوله تعالى فاحذرهم . وقال بعض السلف يكون في آخر الزمان قوم يغلق عليهم باب العلم ويفتح لهم باب الجدل: ثم عقد بعد ذلك باباً لبيان سبب علم الخلاف وآفات الجدل والمناظرة والحديث الذي ذكره في تفسير الآية رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي من حديث عائشة وأورده بالمعنى . فلينظر القارئ أين طريق السلف في العلوم الدينية من طريق الازهر على رأي الشيخ محمد شاكر، وكيف العناية عندهم بالجدل مكان العناية بالمهم عن السلف من العلم بالله وصفاته وأفعاله (وهي تعرف من علم الكون) وبسننه في خلقه (وهي المعبر عنها في هذا العصر بعلم الاجتماع وعلم نواميس الطبيعة) وعلم حكمة ترتيب الآخرة على الدنيا: لا شيء من ذلك في الازهر ولا في الاسكندرية فعسى أن يوفقهم الله تعالى للاسترشاد وما كتبه حجة الاسلام في ذلك

تعب الاستاذ الامام رحمه الله تعالى في اقناع كبار شيوخ الازهر في اصلاح التعليم فكانوا لا ينفذون كل ما اقتنعوا به وهو بعض ما دعا اليه مما يريده ومنه أن يكون الغرض من كل فن وعلم القدرة على استعماله والوصول الى غايته دون الجدل والمماحكة في

عبارات كتبه وهذا عين مايقوله الغزالي وما كان يعني به السلف . وسنعود في الجزء الآتي الى الكلام في التعليم ان شاء الله تعالى

آثار علمية أدبية

المقتبس

أنشأ صديقنا محمد أفندي كرد علي الدمشقي في القاهرة مجلة أدبية علمية اجتماعية شهرية سماها (المقتبس) وقد أصدر الجزء الأول منها في شوال وهو لشهر المحرم من العام القابل أصدره قبل وقته تعجيلا للفائدة . اعتاد المصريون على كثرة رؤية الصحف الجديدة وعلى سرعة فقدها فقلت ثقتهم بالجديد وان كان مفيدا لعدم ثقتهم به وبدوامه ولسبب آخر هو عدم ثقتهم بثبات صاحب الصحيفة على الخطة التي يختطها لنفسه في ابتداء عمله . فمن النصيحة لقراء المنار أن نعرف اليهم المقتبس (الكاتب) أولا والمقتبس (المجلة) ثانيا ليشترك من يشترك عن بينة

محمد أفندي كرد علي من شبان دمشق الذين حسنت تربيتهم وعني بتعليمهم وقد اشتغل زمنا بتحرير جريدة (الشام) وله مقالات كثيرة في مجلة المقتطف ويعرف التركية والفرنسية معرفة جيدة ويحسن الترجمة عنهما وعبارته من أحسن عبارات كتاب هذا العصر وأسلمها من الخطأ والسلطة والمماظلة . وهو حسن الاختيار فيما يقتبس من الكتب العربية والاوربية وحسن القصد فيه . وما حمله على انشاء هذه المجلة الا ولوعه بنشر العلم والأدب الذي يراه نافعا فالكتابة انشاء وترجمة هي منتهى لذته لا يكره فيها الا الخوض في السياسة وكل ما يختلف الناس فيه المذاهب والمشارب ، فأنشأ مجلة المقتبس ليمتع عقله بلذته ، ويفيد قراء العربية بحسب استطاعته ، ودعوة أصدقائه من الكتاب الى مساعدته ، وهو غني عن الكسب بقلمه وقد وطن نفسه على الخسارة المالية سنتين أو ثلاثا ولكن محبي العلم والأدب في مصر وغيرها لا يرضون له الخسارة في خدمتهم ان شاء الله تعالى

مباحث المجلة تدخل في عشرة أبواب (١) صدور المشارقة والمغاربة — وهو

لتراجم الرجال الذين ينتفع بسيرتهم ٢ المقالات ٣ العربيـة والتعليم ٤ الصحف المنسية—ينشر فيه ماطوي ذكره من منثور العربيـةومنظومها في الجد والهزل٥ تدبير الصحة ٦ تدبير المنزل ٧ المطبوعات والمخطوطات ويدخل فيـه تقريظ الـكتب المنشورة بالطبع والتعريف بالـكتب المخزونة في المكاتب ٨ مقالات المجلات يذكرفيه أهم مافي المجلات العربية والافرنجيـة من المقالات والآراء ٩ سيرالعلم —يدخل فيه مايقتبس من المجلات الغربية ١٠ نفاضة الجراب — وهو في الشجون والأفاكيه

جاء في الجزء الأول ترجمة وجيزة لابن حزم ومقالة في الأمية والكتاتيب وأخرى في سيئات القرن الماضي ملخصة من مجلة فرنسية ، ومقالة في تعليم اللغات وهي مترجمة أيضاً وبعض مقاطيع من شعر حافظ وعبد الرحمن شهبندر والرافعي متفرقة ونبذة في التمثيل في الاسلام ونبذة في التناسل الغريب يريد كثرة النسل * ونبذة في العمل والعملة وشيء من نصائح ابن حزم وشيء من نكات الوهراني وشيء في وصف الجرائد لعبد الله باشا فكري * ونبذة في أوقات الطعام ونبذة في استعمال السكر وأخرى في حياة الفقير ورابعة في دواء الأرق * وكلام عن كتاب مداواة النفوس لابن حزم وعن منشآت الوهراني وعن كتاب فرنسي اسمه نصائح للعملة وعن قصة (في وادي الهموم) * كل شيء مما تقدم في الباب اللائق به عند الكاتب وفي باب سير العلم نحو ٢٠ نبذة وجيزة . وغير ذلك

وقد انتقدنا عليه أمورا لا يسلم من مثلها المبتدىء بالعمل منها أنه كتب عن ابن حزم في ثلاثة أبواب وتكلم عن الوهراني في غير ما موضع . ترجم ابن حزم في الباب الأول ثم ذكر شيئاً من نصائحه في باب الصحف المنسية ثم ذكر الكتاب الذي اقتبس منه النصائح في باب المطبوعات وكان يحسن أن يذكر في باب واحد من هذا الجزء وكذلك يقال في تكرار ذكر الوهراني والكلام في العملة . ومنها ان ما ذكره من النصائح لم يعد من الصحف المنسية وقد طبع الكتاب قبل وجود المجلة . فان أراد بالصحف المنسية ما أهمل الناس العمل به فالباب واسع يدخل فيه كثير من المجلدات العظيمة في التفسير والحديث والرقائق وغير ذلك

فالانتقاد على الباب نفسه أولى . ومنها أنه لم يكن يحسن ذكر منشآت الوهراني والتشويق اليها والتصريح بتعمد كتمان مكانها لأن هذا يغري أهل الولوع بأمثال هذه المسائل الى البحث عنها ومن بحث عن الموجود ظفر به غالباً . ومنها ان بعض المباحث لم توضع في الأبواب التي هي أليق بها فقد أدخل في باب التربية والتعليم الكلام في العملة والصناع وأخرج منه بحث تعليم اللغات . وذكر شيئاً من مقاطيع الشعر في باب المقالات دون باب الصحف المنسية. ومنها أن المنقول في بعض المواضع لم يتميز بنسبته الى الكتب والعلماء تميزاً ظاهراً يعرف أوله وآخره بلا اشتباه كما يرى المدقق في ترجمة ابن حزم وما نقل منها عن الذخيرة لابن بسام. ومنها الاختصار المخل في بعض المباحث كمبحث «الأمية والكتاتيب» فالظاهر أنه يريد الكلام على الامية في الاسلام وكيف انتقلت العرب بعده منها الى التعلم حتى إنشاء الكتاتيب قديماً وحديثاً ولكنه جعل نحو ربع ما كتبه في معنى لفظ الأمي وفي تفسير ما ورد في أهل الكتاب من قوله تعالى «ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أماني » (وقد ذكر في المقتبس لفظ يقرأون بدل يعلمون سهواً فليصحح) وكان المناسب أن يذكر تفسير قوله تعالى « هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة » فقد فسر الكتاب هنا بالكتابة وهما مصدران لكتب . ثم ذكر شأن الكتابة في الجاهلية وذكر أمماً أخرى بالايجاز ولم يذكر عن الاسلام بعد ذلك الا سطراً ونصف سطر وقال بعد ذلك «هذه زبدة ما يقال في معنى الأمية في الاسلام » الخ والسبب في هذا الاختصار المخل رغبة الكاتب في ايداع الجزء مباحث كثيرة . وأمثال هذه الامور التي انتقدناها مما يسهل تلافيها لا سيما بعد التنبيه اليها . ومنها ما تبع فيه اصطلاح مجلات اوربا وان لم يكن عندنا مألوفاً

وجملة القول أن «المقتبس» مجلة نافعة حسنة العبارة وصاحبها كما قيل له في كل جو متنفس ، ومن كل نار مقتبس ، وهي مرجوة الثبات والدوام ، مرجو لها التقدم الى الأمام ، وصفحات الجزء منها ٥٦ وقيمة الاشتراك فيها خمسون قرشاً صحيحاً في مصر وثلاثة عشر فرنكا في سائر الاقطار

﴿ كشف الخبايا - والمسلمون والقبط ﴾

ظهرت جريدة أسبوعية جديدة بهذا الاسم لعبد الحميد أفندي فريد الذي كان قبطياً فأسلم تاركاً خدمة الكنيسة القبطية التي كان واعظاً فيها وخدمة مدرسة القبط في ملوي وكان ناظراً لها — تاركاً هذا وهو مورد معاشه لأنه اعتقد بعد طول البحث بحقية الدين الاسلامي فلقي من القبط مناهضة شديدة ومناصبة قوية كما هي عادتهم حتى انهم هددوه واتهموه بما يحكم فيه القضاء حكمه المبين لو ثبت فلم تثبت التهمة، ولكنه هو ثبت في الفتنة ، وأنشأ هذه الجريدة يبين فيها الآيات والدلائل التي أخرجته من دين وهدته الى آخر ويذكر فيها بعض مالقي من القوم الذين فارقهم، وماهم عليه مما نفره منهم، فينتقد جميع ما يراه منتقدا من هذه الطائفة، وقد صدر العدد الأول من الجريدة في ١٤ شوال الماضي وفيه شيء كثير من ذلك

لو أن القوم عذروا الرجل فيما ظهر له أنه الحق ولم يفتنوه ليكتم اعتقاده وينافق باظهار خلافه لما تصدى للاشتغال «بكشف الخبايا» وقد يقرأ قارؤهم هذه الكلمات التي كتبتها فيفهم منها أنني أنتصر له وأحمد عمله لانه صار مسلماً فأنا أتعصب له تعصباً جنسياً كما يعهد منهم وممن اتخذ الدين جنسية من المسلمين وغير المسلمين . ولكن من يقرأ المنار يعلم أنني أدعو دائماً لأن يكون الدين كله لله لا للعصبية الجنسية . وقد قال نبينا صلى الله عليه وآله وسلم «ليس منا من دعا الى عصبية وليس منا من قاتل على عصبية وليس منا من مات على عصبية» رواه أبو داود عن جبير بن مطعم أدعو الى هذا لاعتقادي ان الناس اذا تركوا العصبية الجنسية فانهم يعذرون كل معتقد في اعتقاده ولا يفتنونه فيه وانما يدعو الداعي الى اعتقاده بالبرهان الذي يستند اليه فيه كما أمر الله تعالى بقوله « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ،ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين» ومن كان على بينة من اعتقاده فهو يعتمد في نشره على بيانه للناس كما قال تعالى « لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي» وسنة الله في الخلق تقضي باختيار الأمثل ، وترجيح الأفضل، متى وجدت الحرية ، وزال الاضطهاد والفتنة ،

رأيت في جريدة « كشف الخبايا » كلمة لعلي لو لم أرها لم أكتب ما كتبت

رأيت فيها الرجل يقول القوم فيما حكاه ان أحدهم قال له وهو أقرب الناس اليه وأعز الاصدقاء له « ياليتك كفرت بالله وصرت وثنياً أو طبيعياً فكان ذلك أولى وأحسن من دين محمد . . . . . » وياليته حذف ماحذفت من قوله فلم يكتبه كله . ولا شك عندي بأن قائل هذه الكلمة لاحظ له من الدين الا العصبية الجنسية السوءى وبغض المسلمين لأن كل متدين بل كل انسان يرى أن أقرب الناس اليه فيما هو عليه من كان مشاركاً له فيه على نسبة ما به الاشتراك فأقرب الناس من الكتابي من كان يؤمن بالله وبالرسل والكتب ثم من كان يؤمن بالله دون الرسل ثم من كان له دين مّا ولو وثنياً وأبعدهم عنه من لا يشاركه في شيء من ذلك فكيف يكون قائل تلك الكلمة مسيحياً يدين بما أمر المسيح من محبة الاعداء ثم يقول ما قال في دين ونبي جاء في كتابه « ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى »

ليس الذنب في هذه العصبية الجنسية الجاهلية خاصاً بالقبط بل هي عامة بعموم الجهل في البلاد فغوغاء المسلمين وكثير ممن يعدون من نبهائهم يأتون بالأعمال المنكرة في الجفاوة بمن يسلم من النصارى فيحفظون قلوبهم ويحركون أضغانهم وذلك ضار بمصالحهم الدنيوية التي تتوقف على البر والمجاملة وحسن المعاملة لا على ترك الايذاء فقط وليست من الدين في شيء بل هي مخالفة له لأنه ينهى عن الايذاء ويأمر بالعدل والاحسان « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين » ومن الدلائل على ان عمل هؤلاء الذين يفرحون ويطربون بمن يسلم من النصارى من عصبية الجاهلية لا من الغيرة الاسلامية أن أكثرهم يجهلون عقائد الدين وآدابه وأحكامه ولا يكادون يعملون بما يعلمون منها

المسلمون والنصارى في هذه العصبية الجاهلية سواء والعارفون بمضارها من الفريقين قلما ينهون عنها وقد علمت مما قص علي من الوقائع في ذلك أن الفرق بين المسلمين والقبط فيها من وجه واحد وهو أن علماء المسلمين وكبراءهم من الحكام وغيرهم قلما يوجد فيهم من يميل الى ماتفعله العامة أو يساعدهم عليه وأن القبط

يعملون ما يعملون بتواطىء بين كبرائهم من رجال الدين ورجال الحكومة وغيرهم والسبب الطبيعي في ذلك أن ما يفعله المسلمون لايحتاج الى رأي ولا تدبير ولا مساعد ولا نصير لأنه عبارة عما يسميه فاعلوه من العامة (هيصة) يجتمع فريق من الغوغاء يحتفلون بالمسلم الجديد بالصياح في الشوارع بالدعاء للاسلام والتعريض بالكفار. وقلما يتنصر مسلم وان وقع ذلك لا يبالون به ولا يجتهدون في ارجاع المتنصر عما ذهب اليه . وأما القبط فان جل فعلهم في منع من يريد الاسلام من الدخول فيه بالترغيب والترهيب ثم الايذاء ولا يخلو ذلك من خطر على فاعله فالترهيب مع اتقاء الخطر لا يكون الا من كبراء الامة رأياً ونفوذاً . ان تواطأ كبراء القبط على ما يتعلق بشرفهم آية بينة على حياتهم القومية وقوة رابطتهم الجنسية وهم يفضلون المسلمين بهذا ولكن توجيه هذه القوة الى مقاومة من يدخل في الاسلام والكيد له والحيلولة بينه و بين زوجه وولده مما لا تقل فائدته ولا تؤمن غائلته فلو تساهلوا فيه وتركوا من يسلم وشأنه لكان خيراً لهم وان كان يعسر عليهم مادام المسلمون مصرين على تلك المظاهرات الصبيانية . فأنا أدعو الفريقين الى ترك الدين لله وجعل الرابطة الملية حادياً يحدو بالأمة الى الاعتزاز بالعلم والعمل ولا عزة بمن يتوجه الى غير دينه مقتنعاً معتقداً ثم يترك ذلك خوفاً و يعيش منافقاً .

ثم انني أنصح لعبد الحميد أفندي فريد المسلم الجديد بأن يجعل عنايته في طلب فضائل الاسلام والاجتهاد في التحقق بها حتى لا يكتب ولا يأتي مالا يبيحه له فقد رأيت فيما كتبه تحت عنوان عن أبواب الكنيسة السرية وأمورها الخفية إسناد حب الباطل واتباع الفساد الى بلعام بعد جعله نبياً والمسلمون لا يعرفون بنبوة بلعام حتى على ماذكر في التفسير من كونه هو المراد بقوله تعالى « واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا » كما يعلم من مراجعة كتب التفسير . وأنصح له أن لا يكتب ما يكون سبباً للعداوة والبغضاء فان كان للقبط سيئات خفية فالشرع الاسلامي لا يأذن بفضيحة الناس واظهار سيئاتهم لما في ذلك من اعلان القبيح وغير ذلك من المضار وان كان فيها مايضر المسلمين جهلهم به فالتحذير منه مما لا يتعسر مع الأدب والاحتراس وماذكره في الأبواب السرية ليس من النصيحة

المسلمين في شيء . الجريدة تطلب من صاحبها في ملوي وقيمة الاشتراك فيها ٢٠ قرشاً في مصر و يقبل من طلاب العلم كافة ومن خدمة الجوامع نصف القيمة

كتاب الخير والشر — أو قصة كاترينا

لاسكندر دعاس الشهير بتأليف القصص الخيالية قصة سماها « كاترينا بلوم» نقلاها الى العربية كل من محمد أفندي وجيه رئيس كتاب المجلس البلدي في المنصورة وحسين أفندي الجمل وكيل البريد في المطرية مطرية الدقهلية — نقلاها بالتعاون والاشتراك وطبعاها على نفقتها فكانت صفحاتها ٢٤٠ وهي بشكل كتاب الاسلام والنصرانية وجعلا ثمنها ستة قروش صحيحة لمن يطلبها بالبريد

سميا القصة كتاب الخير والشر لأن كاترينا التي هي موضوع القصة خيرة فاضلة ربيت تربية فطرية بعيدة عن منازع الشر وكان لخالها الذي رباها ولد عني به كاعني بها فكانا متشا كلين فتحابا ورغبا كارغب مربيهما أن يكونا زوجين وكان هناك رجل شرير يكيدلها ويحاول افساد ذات بينهما وايقاعهما في الهلاك فكان عاقبة أمره خسراً وانتصر الخير على الشر . على ان اسم « كتاب الخير والشر» أكبر من هذه القصة اذ ليس موضوعها بيان أنواع الخير وطرقها والهداية اليها و بيان أنواع الشر وطرقها وكيفية اجتنابها . وأكبر ما في القصة من العبرة بيان مضرة جهل المرأة وتعصبها وتحكيم هواها في أمر تزويج ولدها فقد كان جهل أم برنار وتعصبها للكاثوليكية واتباع هواها في منعه من التزوج ببنت عمه البروتستانتيه أضر من كيد ذلك الشرير له وخطيبته ولولاها لما كان لذلك الكيد أثر يذكر . فهذا دليل على أن المحب الجاهل كثيرا ما يكون أضر من العدو عاقلا أو غير عاقل . ومن قرأ وصف تلك المرأة رأى أنه ينطبق على أكثر نساء هذا العصر في هذه البلاد وأمثالها

وأما عبارة الترجمة فهي تفضل أكثر ماترى من عبارات مترجمي القصص وتتحامى كثيرا من الاغلاط المشهورة فيها وفي الجرائد . وقد طلب المعربان في مقدمتهما للقصة غض الطرف عن السهو والزلل وعدا ذلك من نظر التنشيط دون التثبيط وليس الأمر كذلك فان التنبيه على ذلك هو الذي ينشط الكاتب

ويزعج الى الاحتراس من مثله وهو لا يمنع من رواج العمل لاسيا في القصص لأن أكثر قرائها أو جمهورهم يبتغون بها التسلية

خاتمة الجزء من باب الفقه

﴿ شيخ الأزهر، وزينة الكسوة والمحمل، حكم الفرجة عليهما ﴾

الشيخ عبد الرحمن الشربيني شيخ الجامع الأزهر مشهور بالتقشف والزهد والعزلة والاعراض عن أهل الدنيا ولما ذهب الى الاسكندرية لوداع الأمير قبل سفره الى أوربا في الصيف الماضي ذكرت جريدة المؤيد من خصائصه أنه لم يزر الاسكندرية قبل هذه المرة ولم يحضر الاحتفال بمحمل الحج أي ولا الاحتفال بنقل كسوة الكعبة وقد لهج الناس يومئذ بما كتب المؤيد فمنهم من قال ان هذا ذم لا مدح ومنهم من توقف في الحكم — ذلك أن من الناس من يظن أن الاحتفال بالكسوة والمحمل من شعائر دين الاسلام ويظن أن حضور العلماء فيه هو من آيات ذلك والا لأبوا وأنكروا. والحق أن امتناع الشيخ الشربيني لم يكن الا لاعتقاده بأن حضور ذلك الاحتفال حرام وانا نورد هنا بعض نصوص فقهاء مذهبه في ذلك

قال البجيرمي على الخطيب : والكسوة المعروفة حرام لاشتمالها على الفضة : (قال) والحرمة هنا عدها البلقيني من الكبائر وقال الأذرعي انها من الصغائر وهو المعتمد وقال ويحرم زركشة أستار الكعبة من الفضة ومثلها في حرمة الزركشة بما ذكر ستور قبور الأنبياء والمرسلين على المعتمد خلاف للبلقيني . واذا قلنا بحرمة ذلك فتحرم الفرجة عليه أيضاً كالفرجة على الزينة المحرمة لكونها بنحو الحرير بخلاف المرور عليها لحاجة وامتناع ابن الرفعة من المرور أيام الزينة كان ورعاً كما قاله الرملي . ولو أكره الناس على الزينة المحرمة لم يحرم عليهم وهل يجوز التفرج عليها حينئذ ، الذي يتجه المنع لأن ستر الجدران بالحرير حرام في نفسه وعدم حرمة وضعه لعذر الاكراه لا يخرجه عن الحرمة في نفسه وما هو حرام في نفسه يحرم التفرج عليه لانه رضاء به كما قاله ابن قاسم على المنهج اه كلام البجيرمي ومثل ذلك في حواشي الشبراملسي على الرملي

وقال البجيرمي على الخطيب أيضاً تنبيه يعلم من هنا — أي من الكلام على الحرير — وما يأتي في زكاة النقد أن المحمل المشهور غير جائز ولا تحل الفرجة عليه ولا يصح الوقف عليه ومثله كسوة مقام ابراهيم صلى الله عليه وسلم وكذا الذهب الذي على الكسوة والبرقع الخ اه ق ل على المحلى اه

وقال الباجوري في حواشيه على ابن قاسم الغزي ويحرم التفرج على المحمل المعروف وكسوة مقام ابراهيم ونحوه ونقل عن البلقيني جواز ذلك لما فيه من التعظيم لشعائر الاسلام واغاظة الكفار وهكذا كسوة تابوت الولي وعما كره اه

وقال الجمل في حواشيه على المنهج ويحرم ستر الجدران ونحوها بالحرير كستر ضرائح الأولياء الا الكعبة وقبور الانبياء نعم لا يحرم ستر الجدران به في أيام الزينة بقدر ما يدفع الضرر ويحرم المرور والفرجة عليها لغير حاجة خلافاً للعلامة ابن حجر. وعلم من هذا ومما يأتي في باب زكاة النقد أن المحمل المشهور غير جائز ولا تحل الفرجة عليه ولا يصح الوقف عليه ومثله كسوة مقام ابراهيم عليه الصلاة والسلام وكذا الذهب الذي على الكسوة والبرقع اه البرماوي اه الجمل

وقال الشيخ عوض على الخطيب وكذا يحرم تمويه كسوة الكعبة والمحمل الشريف والتفرج عليهما حرام وكذا الزينة التي تفعل بمصر اه

هذا هو المعتمد وما نقلوه عن البلقيني ولم يحفلوا به هو رأي له مبني على شبهة واهية وهي إغاظة الكفار ولو جاز أن نتكلف اغاظة الذميين والمعاهدين لما جاز أن نرتكب المعصية لذلك وتعظيم شعائر الحج انما تكون في اقامتها على وجهها في مواضعها . وقد ذكرت الجرائد في هذه الايام ان شيخ الجامع حضر الاحتفال بنقل الكسوة فياليتنا نعرف هل ظهر له بعد ان صار شيخاً للازهر خطأ فقهاء المذهب وصحة رأي البلقيني فاتبعه ليعظم الشعائر ويغيظ الكفار أم ظهر له دليل آخر على الحل؟

(تصحيح غلط) وقع السطر الذي ينبغي أن يكون في آخر ص ٧٣٦ من الجزء ١٩ بعد السطر الثالث عشر من تلك الصفحة فليعلم

وجاء في السطر ١٥ من صفحة ٧٤٧ كلمة (سفينة هود) والصواب (سفينة نوح) فلتصحح



المنار ١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق)

﴿مصر الخميس ١٦ القعدة سنة ١٣٢٢ — ١١ يناير (ك ٢) سنة ١٩٠٥﴾

تجارة الرقيق وأحكامه في الاسلام

من آثار المرحوم السيد عبد الرحمن افندي الكواكبي الشهير كتبها بعد سياحته الاخيرة قبل موته

من كان مطلعاً على احوال سواحل شرقي افريقيا وسواحل جزيرة العرب ويطلع على ما كتبه المستر . . . بخصوص مسألة الرقيق وما نسبه فيها من القصور للمؤتمر الدولي في زنجبار يستغرب جدا من تسرع وتهجم الكاتب المذكور على مؤاخذة مصلحة الرقيق بدون تثبت في الامر ولو أن جنابه اعتنى بتحقيق مسألة الرقيق لظهرت له الحقائق الآتية

(أولا) ان هذه التجارة بهمة المؤتمر المشار اليه وحراسة أوربا الدائمة لم يبق منها الا اسمها تقريبا

(ثانياً) هذه البقية مقصورة على شمال شرقي افريقيا حيث نخاسي الجنس السواكني والجنس الدنقلي يجلبون من السودان بعض الرقيق الى الثغور المهملة الافريقية المقابلة من جزيرة العرب لثغور الوجه وينبع وجدة ورابغ ومليت وقونفذه وجزان

(ثالثاً) تهريب الرقيق يكاد ينحصر بسفائن جده المشهور أصحابها بالمهارة البحرية وبالاقدام على المخاطرات . فهذه السفائن تنقل الرقيق من شرقي

افريقيا الى غربي جزيرة العرب يعني ان الثغور المذكورة التي تفصل بين السواحل الغربية فيها وما بينهما من الثغور المهملة تلك الثغور الباقية وحيدة في تجارة الرقيق بل ومنذ سنين الى الآن يتشكى أهل الحجاز من وجود قرصان في تلك المياه تحت رياسة ابن غيش والحكومة العثمانية لا تصغي لتلك الشكايات البتة

(رابعا) هذه السفائن ليست حرة في نقل الرقيق انما هي تخاف من بواخر حراسة الرقيق ولذلك تترصد أواخر الشهر القمري لتغتنم السرى ليلا تحت ستار الظلام فتقلع من الساحل الافريقي اذا صادفت الريح موافقة عند غروب الشمس وتصبح في شاطئ جزيرة العرب

(خامسا) اذا تعمق جنابه في التحقيق كما يفعله المغرمون بالحرية غراما أصوليا يعرف ان البقية اليسيرة للرقيق هي تصدر من الحجاز مع قوافل الحجاج فتدخل بالاكثر الى نجد وأقل منها الى اليمن وأقل من الجميع الى بلاد سوريا وهذه الاخيرة ماعاد يدخلها رقيق الذكور مطلقا

ثم لابد أنه كتب ملاحظته في التدابير التي يراها تفيد في حسم هذا الامر الذي يشتكي منه ونحن لاجل ان لانترك عين هذا الاعتراض يتوجه علينا نقول ان أفضل التدابير في هذا الخصوص هي هذه

(أولا) أخذ سفائن جده وينبع وسفائن سواكن وما في جوارها أيضا التي أصحابها من أهالي جدة تحت مراقبة قوية من قبل قناصل الدول المجتمعين في جده

(ثانيا) ابرام السفارات في الاستانة على الباب العالي ان تلزم حكومة الحجاز بمنع بيع الرقيق علنا حتى في سوقه المخصوص في مكة المسمى (الدكة) كما هو جار الآن

(ثالثا) ان يصير تهديد الباب العالي تهديدا مشتركا دوليا بان اذا بقيت تجارة الرقيق مباحة في الحجاز فالدول تسحب تنازلها عن اقامة وكلاء سياسيين لها في ولاية الحجاز في غير جدة وذلك لاجل مراقبة تحرير الرقيق مع حماية

الحجاج المسلمين من رعايا الدول أو الذين في حمايتها) (١)

لي صديق من علماء العرب المسلمين ومن مشاهير الاحرار والكتاب السياسيين (٢) فذاكرته في شأن خصوص الرقيق والديانة الاسلامية وما هو نظر علماء الاسلام في هذه الخدمة للانسانية القائمة بها الدول الغربية فقال

* * *

ان الدين الاسلامي جوز الرق كسائر الاديان ولكن هذا الدين المرقي في الحكمة التشريعية بالنسبة الى كل الشرائع القديمة لم يمنع الاحكام القاسية المألوفة منع مصادمة انما شدد في ثبوتها وجعل المبتلين بها كثيرة منقذة من العقوبات الشديدة باسم الدين(٣) ومن جملة ذلك انه ضيق دائرة الرق جدا بحيث يظهر بكل وضوح ان قصد الشريعة الاسلامية ابطال الرق أساسا بالتدريج كما يعلم من الاحكام الآتية

(١) الشريعة حصرت الرق في المتولدين من أبوين رقيقين وفي اسرى الحرب القانونية مع غير المسلمين وغير العرب وغير الاقارب فان هذه الاصناف لا تسترق

(٢) جعلت الاسترقاق غير الشرعي من أعظم المحرمات فيأتي في المحرمات تالي النفس (وفي نسخة : ومبلغه منها ان يأتي بعد قتل النفس)

(٣) جعلت العتق هو الكفارة الوحيدة لجملة خطايا دينية اذا وجد الرقيق مهما بلغت قيمته

(٤) جعلت العتق هو الكفارة العظمى لجميع أنواع الخطايا التعبدية

(٥) جعلت العتق من أهم النذور

(٦) جعلت العتق محللا الحنث باليمين التي لا يتعلق بها حق من حقوق الناس

---

(١) هذه الجملة التي بين قوسين قد رجحت من الاصل وكأنه كان يريد ان يكتب في موضعها رأيا آخر وقد أصاب بحذفها على ان الدول لا تتجرأ على هذا الآن (٢) لا يخفى على القارىء انه يعني بهذا الصديق الاستاذ الامام (٣) هذه العبارة مبهمة مقتضبة والمراد منها أن الاسلام شدد في شروط جواز هذه الامور كالرق وتعدد الزوجات تنفيرا عنها وجعل الخروج منها منافذ كثيرة كما يأتي

(٧) جعلت العتق أتم وفاء لحق شكر الله على النعمة أو على السلامة من خطر
(٨) جعلت العتق أهم ما يوصي به المسلم بعد موته ليكافئه الله بعتقه من عذاب الآخرة

والحاصل ان الاسلام كاد ان يلزم أهله بأن كل فرد منهم يعتق ما يمكنه إعتاقه من الرقيق ولهذا لا يستمر الرقيق عند المسلم مدة طويلة قط بل مدة موقتة

وكذلك الشريعة المدنية الاسلامية هي أعظم شريعة جاءت محامية عن الحرية وذلك انها (١) جعلت الرق يسقط بمجرد ان يدعي الانسان انه حر إذ اعتبرت لزوم تصديقه لانه يدعي حقا طبيعيا وألزمت مدعي ملكه باثبات أصل رقيته (٢) جعلت اقرار الانسان على نفسه بالرق ولو ألف مرة لا يسلب حريته ولا يمنعه من ادعاء الحرية بعد (٣) جعلت الرق يسقط بورود لفظ العتق على لسان المالك ولو هازلا أو سكرانا أو بلغة لا يفهمها أو مكرها على النطق بها (٤) جعلت رق الانثى شبه ساقط بمجرد ان تلد ولدا من مالكها فلا تنقل الى ملك آخر وبموته تصير حرة مطلقة (٥) جعلت القول قولها في ان حملها هو من مالكها واذا أنكر فقولها يؤثر في عتقها وان لم يؤثر في ثبوت نسب الولد منه (٦) جعلت مالك جزء من رقيق ولو واحدا من ألف اذا أعتق جزءا عتق الكل رغما عن باقي شركائه وحق لهم تضمين المعتق خسارتهم فقط (٧) جعلت حكم القاضي بالعتق ينفذ مطلقا ولو كان ظالما في حكمه (٨) جعلت خليفة المسلمين اذا رأى في اجتهاده (ولا بد ان يكون الخليفة مجتهدا شرعا) ان كافة الارقاء المملوكين للمسلمين رقيتهم غير صحيحة فحكم بحريتهم جميعهم نفذ حكمه وصار العبيد أحراراً دفعة واحدة ولو خالف في حكمه آراء بعض المذاهب الاسلامية القديمة الى غير ذلك من الاحكام الشرعية التي تقاوم عادة الاسترقاق القديمة في البشر مقاومة شديدة فشريعة الاسلام هي أول شريعة دينية سياسية دافعت عن الحرية ونادت بابطال الرق بتلك الوسائل وليست معاداة الشريعة الاسلامية للرق من الغريب لانها ظهرت في العرب الذين هم أحرص الامم على الحرية ونزلت في أرضهم التي نزلت فيها أيضا صحف الملكة على موسى أبي الانبياء عليهم

السلام وتحررت بلغتهم التي كتب بها أول قانون للحرية والاخاء والمساواة ولكن كما جرفت سيول برابرة الشمال رياض الرومان واليونان فأوقعتهم في القرون الوسطى المظلمة .. كذلك جرفت سيول المغول واخوتهم رياض العرب فأوقعتهم في مثل تلك القرون التي يسعون للخروج منها

ومن ثم فالعلة الحقيقية لاستمرار الرق هي الامراء المستبدون الذين لا ينقادون للدين الاسلامي الا لاجل تطبيقه على اهوائهم فهم يتخذون الدين في الظاهر حجة للتمتع بالرقيق لاسيما بعد ان قامت الامم الغربية ودولها بتحريره فهؤلاء الامراء يظهرون الآن امام اوربا أنهم يودون منع الرقيق ولكن يخافون رعاياهم المسلمين لان الرقيق جائز شرعا ولضرورة المحافظة على الآداب والعادات الاسلامية لا يمكنهم ابطاله دفعة بل تدريجيا مع ان مسامير الرق في الحقيقة هي كبرياء الامراء والمقلدين لهم وليست هي الاسلام نفسه كما يفترونه عليه ولا بد ان يستغرب الاوروباويون اذا قلنا ان علماء الدين الاسلامي ليس فيهم من يجوز الرقيق مطلقا منذ عدة قرون اي منذ لم تبق حرب قانونيــة اسلامية يراد بها حماية الدعوة الاسلامية ونشرها او يراد بها المدافعة عن الجمعية الاسلامية وكذلك لم يبق في الامة اسراء متسلسلين وانما العلماء الاحرار يسكتون ويتجاهلون خوفا من الامراء او محاباة لهم لانهم يرون ان اعظم بيت في الامراء المسلمين لم يزل منــذ اربعة قرون تقريبا متبعاً قانونا عائليا من مقتضاه عدم زواج ذكورهم بنساء غير رقيقات فأمهاتهــم وزوجاتهم جميعهن رقيقات من الكــرج او الجركس. مع ان الرق لا ينطبق شرعا على الكرج منــذ قرن ونصف اذ انقطع دخول جيوش الاسلام الى بلاد الكرج وكذلك لا ينطبق على الجركس لانهم مسلمون ولما هو معروف ايضاً من ان الجركس يبيعون اولادهم بيعا او يسترقون من المدينين لهم اولادهم في مقابلة ديونهم

العلماء والمسلمون اذا لم يسكتوا عن بيان هذا الخلل في الكرج والجركس يلزمهم ان يحكموا ويصرحوا ايضاً بان جميع أولئك الامراء ليسوا باولاد شرعيين .. وهؤلاء الامراء يمكنهم بلا صعوبة ان يبطلوا هذا القانون العائلي كما أبطلوا اخير

منذ أربعين سنة قانون قتل جميع اولاد الاميرات السلطانيات اللاتي كن يزوجن لأزواجهن بشرط ان لا يعقبن اولادا ابدا وذلك للحرص على عظمة بيتهم الملوكي من ان يكثر الانتساب اليه

اما مايقال عن حاجة المسلمين للرقيقات لاجل الخدمة فليس هناك حاجة ضرورية انما هي كبرياء وعظمة وتقليد لأرباب البيوتات من الامراء فقط كما ان الخصيان لاضرورة لوجودهم والشريعة الاسلامية لاتجوز خصاء الحيوان فضلا عن الانسان وإذا وجد رجل مخصي بفعل الغير فاكثر المذاهب الاسلامية ومن ومن جملتها المذهب الحنفي السلطاني تعتبره كسائر الرجال بلا فرق ولا تجوز استخدامه في القصور بين النساء ولا يخالف هذه المذاهب في ذلك غير المذهب الشافعي فقط

الشريعة الاسلامية وعلماؤها الاحرار يشكرون أوربا على منعها الرقيق وهم مسرورون من نجاح سعيها لتحقيقه ويتمنون لو ان اوربا تهتدي الى وسيلة تكون قاطعة مانعة بها يسد باب الرقيق بالكلية

يقول صديقي المذكور انه يلوح لفكره من التدابير المؤثرة في هذا الشأن ما يأتي

(أولا) ان تستعمل اوربا نفوذها الأدبي في استقباح وجود الجنس الاسود ذكورا واناثا في قصور الامراء بحجة قبح خلقهم واخلاقهم وكذلك استقباح وجود اناث بيض في تلك القصور اسيرات ذليلات بدون جناية ولا اختيار

(ثانيًا) ان تحمل اوروبا الامراء الشرقيين على اتباع عادات امراء الغرب باعلان زواجهم الشرعي وتكرهم بالتدريج ان يطلبوا من دول اوروبا ان لا تعتبر رسميا من ورثائهم الشرعيين في الامارة كل مولود لهم من زوجة غير شرعية وهذا التحديد لاجل ان يعلن زواجها قبل الولادة بسبعة أشهر على الأقل ومنع اعلان الزواج بعد ظهور الحمل

(ثالثا) ان تكلف الدول سفراءها في القسطنطينية وطنجة وطهران وكابول وقناصلها في تونس ومصر وجدة (عوضًا عن مكة) بان يستفتوا بواسطة حكومات العواصم الاسلامية من المفتيين الرسميين التابعين لمذاهب مختلفة عن الحكم الشرعي

في مسألة نصها كما يأتي

(ماقول علماء الشرع الإسلامي المحترمين في الانسان هل يصح اعتباره رقيقا بشرائه من اوليائه او بالسرقة او بصورة الاسر ولكن في حرب قامت بها فئة صغيرة مسلمة خارجة عن الجامعة الاسلامية ومخالفة في ذلك الاسر عهدا كثر سلاطين المسلمين عهدا عاما دوليا بإبطال الاسر الحربي مقابل عدم وقوع الاسر على كافة المسلمين (١)

ان هذا الاستفتاء ينتج ان القسطنطينية تحاول في الجواب وتمنع علماء مكة عن الجواب اما باقي العواصم فكلها تجيب بعدم جواز الرق وهذا الجواب من الباقين يكفي لامتناع الامراء من فخفخة استخدام الرقيق خوفا أدبيا من رعاياهم ويكفي لامتناع الناس امتناعاً دينيا من تملك الرقيق فيصبح أنصار الرق من المسلمين اعداءه وبذلك يتم بعد سنين قلائل إبطال الاسترقاق من العالم فيرتفع عن عاتق الانسانية هذا العار العظيم والاولى ان يكون الاستفتاء مرفقا بالنص العربي السالف البيان لاجل أن لا يقع فيه تحريف من ترجمة الى ترجمة فيجد العلماء المتشرعون الرسميون مهربا بالتأويل والمواربة في الجواب فيرضون السائلين ويرضون الامراء بخلاف ما اذا كان النص عربيا بلغة الشريعة الاسلامية ذاتها اه

المنار

يعلم القراء ان علماء الأفرنج يعدون مسألة الرقيق من أكبر المطاعن في الاسلام ويفتخرون بأن مدنيتهم أرقى من الاسلام لأن الاسلام يأمر باستعباد البشر وهم يحررون الارقاء حبا في الانسانية وقد أرجع دعاة النصرانية ملكا من ملوك المسلمين عن الاسلام بحجة ان النصرانية والاسلام شيء واحد الا انها تفضله بهذه المسألة رحمة بالبشر فرجع وتبعه قومه . على أن كتاب دينهم الذي ينصرونه و ينشرونه فيه من الشدة على الارقاء مالا يوجد له نظير في الاسلام

(١) ينبغي أن يزاد في السؤال وليست هذه الحرب لأجل حماية الدعوة الاسلامية اذ لا توجد حكومة شرعية تدعو الى الاسلام

والاسلام لم يأمر بالرق ولا جعله فرضاً ولا سنة وانما هو شيء كان عليه الناس من جميع الأمم فوضع له من الاحكام مايمحوه مع الحكمة . وهذه المقالة كان الكواكبي رحمه الله تعالى كتبها ولم ينقحها فنشرناها على علاتها بتصحيح ما دفاعاً عن الاسلام وضنا بآثار هذا الرجل العاقل ان تضيع حتى اننا نشرنا ذلك الرأي الذي رجحه (أي أفسد سطوره أو شطبه كما يقولون) وأما ماذكره عن استرقاق الكرج والشركس فمأراه الا له لا لصديقه الذي نقل عنه تلك المسائل الشرعية في الرق فقد عهدناه يبحث في هذه الشؤون ونحن لا وقوف لنا على شيء من أحوال السراري الشركسيات والكرجيات فنحكم في المسألة فمن كان عارفاً بذلك من فضلاء القراء فليكتب الينا به وله الفضل وعما يراه نافعاً في المسألة

هذا وان للمرحوم الكواكبي كتاباً سماه (ماذا أصابنا وكيف السلامة) أودعه مالم يرجع عنه من آرائه في طبائع الاستبداد مع فوائد كثيرة سياسية واجتماعية ولعلنا نجعله ملحقاً للمنار في العام القابل

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين لنا اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، وانا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولمن يمضي على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

(أسئلة من دمياط تتعلق بقصة المولد النبوي)

من الشيخ محمد عبد الفتاح المدرس ببعض مدارس دمياط قال بعد الثناء والتحية :

جاء الى مدينة دمياط ليلة النصف من شعبان رجل (من الاشراف) المنتسبين للعلم وقصد أشهر مسجد ومدرسة دينية بها (جامع البحر) حيث اجتمع خلق كثير لرؤية ما أعده أرباب الطرق به من الاحتفال بهذه الليلة وبعد صلاة العشاء أخذ القوم مجالسهم فقام هذا الرجل وجلس على كرسي مرتفع أعد لتدريس شيخ العلماء (وقد قرأ عليه هنا درسين فقيد الاسلام والشرق المرحوم

الشيخ محمد عبده حينما كان بعصيف رأس البر في السنة الماضية) وابتـدأ يسرد فوائد جمة لسماع قصة المولد النبوي ثم سرد مالا اذكر منه على كثرته غيرما يأتي

(١) ان أول ماخلق الله نور نبينا صلى الله عليه وسلم ومنه استمد جميع مخلوقاته

(٢) ان الله تعالى حينما زوج آدم بحواء قام في الملائكة خطيباً معنناً بذلك ثم فرض عليه صداقا صلاته على النبي (ص) مائة مرة وقد صدع بالامر غير انه لم يستطع اكمال العدد بل انقطع نفسه عند اتمام السبعين فأقاله الله من الباقي وجعل ذلك سببا في جعل الصداق قسمين مقدم ومؤخر

(٣) ان جميع الوحوش البرية والبحرية بشر بعضها بعضا ليلة الحمل بالنبي (ص) ونطقت بذلك بلسان عربي مبين

(٤) ان مريم حضرت ليـلة ولادة النبي مع سارة وآسـية لأنهن زوجاته في الجنة

(٥) ان العلماء اختلفوا في أمر آسية فقيل أنها لم تكن ماتت الى هذا الحين لأنها رفعت الى الجنة حين استغاثت بالله من فرعون وعمله وقيل ان الله أحياها لهذا الغرض والاول أصح

(٦) ان من يعتقد ان أحـد الانبياء ولد من الفرج يكون كافرا لانهم جميعاً ولدوا من ثقب في الجنب الايسر

(٧) ان النبي وجميع الانبياء أحياء في قبورهم حياة كحياتنا هذه لقول النبي (ص) (أنا في قبري حي طري) وقوله (نحن معاشر الانبياء أحياء في قبورنا) ومن الادلة المحسوسة (تأمل) على ذلك ان علياً (رضي الله عنه) حمـل زوجته فاطمة بعد موتها على يديه وأتى بها الى القبر الشريـف وقال يارسول الله هذه فاطمة الزهراء بضعتك الطاهرة قد جادت بروحها الى الله في هذا اليوم وقد جئت بها اليك لتزورك فانفتح القبر (سبحانك بهتان عظيـم) ومد النبي يديه فتلقاها من علي وأضجعها بجانبه وقيل انه ردها اليـه فدفنها بالبقيع ولذلك ترى الناس يزورنها بالمكانين عملا بالروايتين

وان سيدي أحمد الرفاعي حين زار القبر الشريف أنشد هذين البيتين

في حالة البعد روحي كنت أرسلها   تقبل الارض عني وهي نائبتي
وهذه دولة الاشباح قد حضرت   فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

فمدّ النبي يده الشريفة اليه امام الحاضرين فقبلها

(٨) ان عدد الانبياء ونجوم السماء كعدد شعر لحية النبي صلى الله عليه وسلم ١٢٤٠٠٠

هذا يامولاي قليل من كثير مما قصه هذا الرجل في تلك الليلة أمام المئات من المسلمين عامتهم وخاصتهم وفضيلة شيخ العلماء ساكت لايبدي أقل اعتراض على هذا الكلام مع ماعرف عنه من الغيرة على الدين ومحاربته لمثل هذه العقائد التي حشرها القصاصون في الدين فشوهوا بها وجهه الجميل .

لو كان هذا الرجل من العامة لسكتنا ولكنه معدود ضمن العلماء في قرية المنزلة وقد خطب أمام أمير البلاد هناك وصلى خلفه فريضة الجمعة سمعت ذلك من بعض أهل المنزلة

وقد رفع حضرة الفاضل مكاتب المقطم أمر الرجل الى فضيلة شيخ الازهر وطلب منه اعلان رأيه فى جميع ذلك وما نظنه الا مبرئا للدين من هذه الاضاليل وسيكتب جواب فضيلته بجريدة المقطم . وكتب حضرة الفاضل مكاتب البصير بجميع ذلك الى جريدته أما مكاتبي الجرائد الاسلامية فلم يكتبوا شيأ من ذلك . لهذا نرجوكم توضيح رأيكم في ذلك خدمة للدين وأهله والسلام

جواب المنار

لو أن مدرساً عالما مفسرا محدثا على صراط السلف الصالح قعد مقعد ذلك الرجل المختلق على الله و رسوله ودينه ونهى الناس عن بعض البدع الفاشية ، والظلمات الغاشية ، وفسر لهم النصوص التي تنهى عن جعل الصالحين لله اندادا ، وجعل قبورهم أعيادا ، والاحاديث التي تلعن الذين اتخذوا القبور مساجد ، وشرفوها وأوقدوا عليها السرج ، وهداهم الى رفض البدع ، والوقوف عند حدود السنن ، لزلزلت به الارض زلزالها ، ووجهت اليه العامة أنكالها ، ولوجد ممن يعرفون بالخاصة من ينصر الجهلة عليه ، ومن أصحاب الجرائد التي تدعى اسلامية من

يفوق السهام اليه ، ولكادت له السياسة ، وناصبته منصات الرياسة ، أما أمثال هذا المدرس فكثيرون لاسيا من المسجد الحسيني في العاصمة حيث يكثر تردد العلماء ، والمحافظين على الرسوم الدينية من الكبراء ، لاسيا في شهر (رمضان) ومن هؤلاء المدرسين من يبيع البطائق للنجاة من النار ، ويعلم الناس مكفرات الاوزار ، ومنهم من يبيع النشرة والحجاب ، لقضاء الحاجات وشفاء الاوصاب ، ومنهم من يدلي الناس بغرور ، ويحولهم عن النور الى الديجور ، ولا منع ولا استنكار ، ولا تعجب ولا استكبار ، وقد صاح من سنين صائح بهذه البدع ففرقها بتفريق الناس عنها ، ودعا الى السنة الصحيحة فجذب اليها وأدنى منها ، فاضطرب لصيحته سدنة القبور ، وأكلة مايقدم اليها من الهدايا والنذور ، ووسوسوا في شأنه لبعض المتحمسين من العوام ، وقالوا انه ينكر نفع عمود الرخام ، (هو عمود من أعمدة المسجد الحسيني ينسب الى السيد البدوي ويستشفي الناس بالتمسح به) وينكر صحة حديث « لو اعتقد أحدكم بحجر لنفعه » ، ويقول بجهالة من اختلقه بزعمه ووضعه ، فألب الناس على داعي السنه ، وكاد يبتلي بما ابتلي به الأئمة من المحنه ، فلا تعجبوا لما سمعتم فمثله كثير ، والامر لله العلي الكبير

أما المسائل التي لخصتم بها قول ذلك المدرس فبعضها باطل باجماع المسلمين لم يقل به أحد منهم يعتد بقوله ومنها ماجاءت فيه روايات كاذبة أو واهية أو لايحتج بها في أمر اعتقاد يشترط الإذعان له في صحة الايمان أو يعد انكاره كفرا ولا في الاحكام التي يكتفى فيها بالظن وانما تساهل الجماهير بمثله في باب الفضائل والمناقب . وما اختيار الناس أمثال هذه الروايات في قصة المولد الا لجلهم بما أعطى الله خاتم الرسل والنبيين ، من المزايا التي فضل بها الاولين والآخرين ، جهلوا الفضائل الواضحة اليقينية ، فاستبدلوا بها تلك الاقاويل الواهية والوضعية ، وقلما تجد في هؤلاء الغالين في الاطراء عالما بالحديث يعرف ماصح منه وما لم يصح أوعالما بأصول العقائد يقيم البرهان عليها ويقدر على الدفاع عنها ، أوعاملا متبعا لهدي النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم معتصما بالاخلاص والتقوى . ان هم الا أصحاب أوهام وشقاشق يتقربون بها من

العوام، وانما نشير الى أجوبة تلك الاسئلة بالتفصيل الذي يتسع له الباب

١ ــ مسألة خلق كل شيء من نور النبي (ص) واول من خلق الله

(ج٤٢) قولهم إن أول ماخلق الله نور نبينا صلى الله عليه وسلم لاتكاد تجده في غير هذه القصص التي يسمونها الموالد الا قليلا و يروونه عن عبد الرزاق وليس في الايدي نسخة من جامعه او مصنفه ولا هو مما يتلقاه أهل هذا العصر بالرواية فيعتد بنسبته اليه فالعمدة في قبول ماخرجه رواية الحفاظ بعده عنه وأجمعهم للأحاديث الحافظ السيوطي ولم يذكر هذه الرواية في الخصائص الكبرى التي جمع فيها كل ماورد في خصائصه عليه الصلاة والسلام من صحيح وغير صحيح ولا في الجامع الكبير أو جمع الجوامع وهو الذي قال أنه لم يترك حديثا مرويا الا أودعه فيه وانما أورد الروايات في كونه صلى الله عليه وسلم كان نبيا بين خلق آدم ونفخ الروح فيه ولا شيء منها في الصحيحين ولا في السنن الاربع وأقواها حديث ميسرة الفجر عند أحمد والبخاري في تاريخه (لا في صحيحه) والطبراني والحاكم والبيهقي وأبي نعيم قال متى كنت نبيا؟ قال (ص) « وآدم بين الروح والجسد » . وحديث العرباض بن سارية عند أحمد والحاكم والبيهقي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إني عند الله في أم الكتاب لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته »

قال في المواهب وأما ما اشتهر على الألسنة بلفظ : كنت نبياً وآدم بين الماء والطين: فقال شيخنا العلامة الحافظ أبو الخير السخاوي في كتابه المقاصد الحسنة لم نقف عليه بهذا اللفظ انتهى : قال الزرقاني في شرحها أي انتهى : ما نقله من كلام شيخه و بقيته « فضلا عن زيادة: وكنت نبياً ولا آدم ولا ماء ولا طين » قال شيخنا — يعني الحافظ ابن حجر — في بعض الاجوبة عن الزيادة أنها ضعيفة والذي قبلها قوي ولعله أراد بالمعنى والا فقد صرح في السيوطي في الدرر بأنه لا أصل لها والثاني من زيادة العوام وسبقه لذلك الحافظ ابن تيمية فأفتى ببطلان اللفظين وأنهما كذب وأقره في النور والسخاوي نفسه في فتاويه أجاب باعتماد كلام ابن تيمية في وضع اللفظين قائلا وناهيك به اطلاعاً وحفظاً أقر له بذلك المخالف

والموافق . قال وكيف لا يعتمد كلامه في مثل هذا وقد قال فيه الحافظ الذهبي مارأيت أشد استحضارا للمتون وعزوها منه وكانت السنة بين عينيه ولسانه بعبارة وشيقة وعين مفتوحة انتهى

وقد فسر بعض العلماء المتقدمين أمثال هذه الأحاديث بأنها اخبار عما في علم الله تعالى ولم يرضه التقي السبكي . قال السيوطي في الخصائص :

« فان قلت أريد ان أفهم هذا القدر الزائد فان النبوة وصف لا بد أن يكون الموصوف به موجودا وانما يكون بعد بلوغ أربعين سنة فكيف يوصف به قبل وجوده وقبل إرساله وان صح ذلك فغيره كذلك ؟ (قلت) قد جاء أن الله تعالى خلق الأرواح قبل الأجساد فقد تكون الاشارة بقوله « كنت نبياً » الى روحه الشريفة أو الى حقيقته والحقائق تقصر عقولنا عن معرفتها وانما يعلمها خالقها ومن أمده بنور إلٓهي ثم ان تلك الحقائق يؤتي الله كل حقيقة منها ما يشاء في الوقت الذي يشاء فحقيقة النبي صلى الله عليه وسلم قد تكون من قبل خلق آدم آتاه الله ذلك الوصف بأن يكون خلقها متهيئة لذلك وأفاضه عليها من ذلك الوقت فصار نبياً » اه المراد منه ثم أورد بعد هذا التأويل بأنه كان نبياً في العلم الالٓهي وهو ظاهر في حديث العرباض الذي يؤيده حديث عبدالله بن عمرو في صحيح مسلم « أن الله عز وجل كتب مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة ومن جملة ما كتبه في الذكر وهو أم الكتاب أن محمداً خاتم النبيين » والشاهد قوله أن حقيقة نبينا قد تكون مخلوقة قبل خلق آدم ولو كان هناك حديث يثبت أن نور النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خلق قبل كل شيء لاحتج به ولم يدع أن حقيقة الانسان هي شيء غير روحه وجسده وبني جوابه الثاني على احتمال أن تكون حقيقة النبي (ص) خلقت قبل حقيقة آدم . وهذا الحافظ أبو نعيم وهو قبل السيوطي لم يذكر ذلك الحديث في كتابه (دلائل النبوة) الذي جمع فيه كل ما رواه في هذا الشأن

واذا رجعت الى استقصاء مارووه في خلق العالم تراهم أهملوا ذلك الحديث ورووا ما يخالفه كحديث عبادة بن الصامت عند أبي داود والترمذي « ان أول

ماخلق الله القلم » الحديث وهو عند ابن أبي شيبة وأبي نعيم في الحلية والبيهقي عن ابن عباس «ان أول شيء خلقه الله القلم فأمره فكتب كل شيء يكون » وعند البيهقي في الصفات عن ابن عمر ، وحديث أبي هريرة عند أحمد والحاكم « كل شيء خلق من الماء » لعل المراد كل شيء حي كما قال تعالى « وجعلنا من الماء كل شيء حي » . ولهذه الاحاديث أحاديث تعارضها وليس فيها شيء قطعي الثبوت والدلالة والقرآن صريح في أن السموات والارض كانتا رتقا ففصلهما وخلقهن من مادة تشبه الدخان

ثم ان لحديث عبد الرزاق تتمة فيها ان ذلك النور تجزأ مرات الى أجزاء خلق منها القلم واللوح والعرش والكرسي والملائكة والسموات والارضين والجنة والنار ونور أبصار المؤمنين ونور قلوبهم فمعناه الظاهر أن الله خلق من نوره شيئا وخلق من هذا الشيء سائر الاشياء حتى نار جهنم والأرض وما فيها من الجماد والنبات والحيوان فامعنى كون ذلك الشيء الأول نور محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو فرد من الأحياء الذين خلقهم الله في هذه الأرض التي هي من أصغر الكواكب التي لايعلم عددها الا خالقها ؟ وما نسبة هذا الفرد الكريم الى ذلك الخلق العظيم الذي منه العرش والكرسي واللوح والقلم والملائكة والسموات والارض والجنة والنار ؟؟ ظاهر الحديث أن المخلوقات كلها هي نور محمد (ص) كله وهو من المخلوقات بالضرورة فما هي نسبته الى سائرها أي ماهي نسبة محمد بن عبد الله بن عبد المطلب النبي القرشي الذي بعثه الله تعالى نبيا منذ نحو ثلاثة عشر قرنا ونصف قرن الى جميع المخلوقات؟ هل هو جزء منها أو كل لها وهي أجزاء له فيقال ان حقيقة محمد هي مجموعة الكائنات ومجموعة الكائنات هي محمد بن عبدالله الذي ولد من نحو أربعة عشر قرنا (ص) ؟ ثم ما معنى كون هذا من نور الله واذا سلمنا بظاهر هذا الحديث فبماذا نحاج من نسميهم كفارا اذا قالوا ان واجب الوجود قد انقسم فكان هذه الانواع من الكائنات؟ «سبحان ربك رب العزة عما يصفون » «ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون »

هذا الحديث حديث جابر المروي عن عبد الرزاق لا أصل له وليس فيه تعظيم

لخاتم النبيين ، ورحمة الله تعالى للعالمين ، بل هو مثار شبهات وشكوك في الدين يعسر تأويلها بما يقبله عقلاء الباحثين،

« وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل» وما الرسل الا بشر مثلكم، يوحى اليهم مافيه هداية لكم وما البشر الاجند قليل من جنود الله التي لا يعلمها الا هو قال فيهم « وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » ورفع بعضهم فوق بعض درجات وجعل أفضلهم أنفعهم لعباده ففضيلة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم على الناس أنه اختاره من خلقه لهداية جميع الناس في طور ارتقائهم واستعدادهم لاتصال بعضهم ببعض فهو صلى الله عليه وسلم أنفع الناس للناس ولو كان هو الاصل لجميع المخلوقات وفرضنا أن هذا معقول أوأنه تعالى يكلفنا ماليس في وسعنا أن نعقله لصرح بذلك في كتابه المبين، الذي مافرط فيه في شيء من مهمات الدين ، أو لروي برواية صححها جماهير المحدثين ، وكل ذلك لم يكن فانفراد عبد الرزاق بهذا لايكفي في القول بهذه المسألة التي لا يتصورها عقل ، ولا يشهد لها نقل ، فان عبد الرزاق وان احتج كثيرون بحديثه وروى عنه الأئمة وبجلوه قدجرحه مسلم وغيره واليك بعض ماقالوا فيه

قال الامام أحمد أتينا عبد الرزاق قبل المئتين وهو صحيح البصر ومن سمع منه بعد ماذهب بصره فهو ضعيف السماع . وقال النسائي فيه نظر لمن كتب عنه بآخره روي عنه أحاديث مناكير . وقال ابن عدي حدث بأحاديث في الفضائل لم يوافقه عليها أحد ومثالب لغيرهم مناكير ونسبوه الى التشيع . وقال الدارقطني ثقة لكنه يخطئ على معمر في أحاديث . وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل سألت أبي عن عبد الرزاق يفرط في التشيع قال أما أنا فلم اسمع منه شيئا ولكن كان رجلا يعجبه أحاديث الناس وقال محمد بن عثمان الثقفي البصري لما قدم العباس بن عبد العظيم من صنعاء من عند عبد الرزاق أتيناه فقال لنا ألست قد تجشمت الخروج الى عبد الرزاق ورحلت اليه وأقمت عنده ؟ والله الذي لا إله الا هو ان عبد الرزاق كذاب والواقدي أصدق منه . أورد الحافظ الذهبي هذا ثم قال : قلت هذا ماوافق العباس عليه مسلم بل سائر الحفاظ ،وأئمة

العلم يحتجون به الا في تلك المناكير المعدودة في سعة ماروى

وقال الذهبي في أحمد بن عبد الله ابن أخت عبد الرزاق : قال ابن حبان كان يدخل على عبد الرزاق الحديث فكل ماوقع في حديث عبد الرزاق من المناكير فبليته منه وقد تقدم ذكره كذبه أحمد والناس

(٢ — مسألة مهر حواء من آدم)

(ج ٤٣) ماذكره في ذلك كذب صريح لاحاجة لإطالة الكلام في رده اذ لاشبهة فيه على الدين فترد ولا شبهة عليه هو فتكشف ولم ينقله محدث فينظر في سنده وإنما وردت رواية ضعيفة في أمره بالصلاة على النبي (ص) ٣ مرات أو عشرين مرة

﴿ ٣ — بشارة الوحوش بحمله (ص) ﴾

(ج ٤٤) ان الأثر الذي يذكرونه في نطق الدواب والوحوش ليلة حمله صلى الله عليه وسلم قد أخذه واضعو قصص المولد من رواية أبي نعيم وهو منكر جدا أورده السيوطي في الخصائص الكبرى وأنكره مع أثرين آخرين وهذه الآثار الثلاثة قد جمعت أكثر المنكرات في قصص المولد وانما نوردها بنصها ليعلم القراء أنه لم يصح منها شئ فلا يغتروا بأصحاب العمائم العجراء اذا قرءوها وأجازوها قال :

(١) أخرج أبو نعيم عن عمرو بن قتيبة قال سمعت أبي وكان من أوعية العلم قال لما حضرت ولادة آمنة قال الله للملائكة افتحوا أبواب السماء كلها وأبواب الجنان كلها وأمر الله الملائكة بالحضور فنزلت تبشر بعضها بعضا وتطاولت جبال الدنيا وارتفعت البحار وتباشر أهلها فلم يبق ملك الا حضر . وأخذ الشيطان فغل سبعين غلا وألقي منكوساً في لجة البحر الخضراء وغلت الشياطين والمردة وألبست الشمس يومئذ نورا عظيما وأقيم على رأسها سبعون ألف حوراء في الهواء ينتظرن ولادة محمد صلى الله عليه وسلم . وكان أذن الله تلك السنة لنساء الدنيا أن يحملن ذكورا كرامة لمحمد صلى الله عليه وسلم وأن لاتبقى شجرة الاحملت ولا خوف الا عاد أمنا فلما ولد النبي صلى الله عليه وسلم امتلأت الدنيا كلها نورا وتباشرت الملائكة وضرب في كل سماء عمود من زبرجد وعمود من ياقوت قد

استنار به فهي معروفة في السماء ، قد رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء ، قيل هذا ماضرب لك استبشارا بولادتك: وقد أنبت الله ليلة ولدعلى شاطئ نهر الكوثر سبعين الف شجرة من المسك الأذفر جعلت ثمارها بخور أهل الجنة وكل أهل السماء يدعون بالسلامة ونكست الاصنام كلها وأما اللات والعزى فانهما خرجتا من خزانتهما وهما تقولان ويح قريش جاءهم الأمين جاءهم الصديق لا تعلم قريش ماذا أصابها . وأما البيت فأياما سمعوا من جوفه صوتا وهو يقول الآن يرد علي نوري ، الآن يجيئني زواري ، الآن أطهر من أدناس الجاهلية ، أيتها العزى هلكت . ولم تسكن زلزلة البيت ثلاثة أيام ولياليهن . وهذه أول علامة رأت قريش من مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم

(٢) وأخرج ابو نعيم عن ابن عباس قال كان من دلالات حمل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن كل دابة كانت لقريش نطقت في تلك الليلة وقالت حمل برسول الله صلى الله عليه وسلم ورب الكعبة وهو أمان الدنيا وسراج أهلها ولم تبق كاهنة في قريش ولا في قبيلة من قبائل العرب الا حجبت عن صاحبتها وانتزع علم الكهنة منها ولم يبق سرير ملك من ملوك الدنيا الا أصبح منكوساً والملك مخرسا لا ينطق يومه ذلك . ومرت وحش المشرق الى وحش المغرب بالبشارات وكذلك أهل البحار يبشر بعضهم بعضا ، وله في كل شهر من شهوره نداء في الارض ونداء في السماء: أن أبشروا فقد آن لأبي القاسم أن يخرج الى الارض ميمونا مباركا * قال وبقي في بطن أمه تسعة أشهر كملا لا تشكو وجعا ولا ريحا ولا مغصا ولا مايعرض للنساء من ذوات الحمل . وهلك أبوه عبد الله وهو في بطن أمه فقالت الملائكة الهنا وسيدنا بقي نبيك هذا يتيما فقال الله أنا له ولي وحافظ ونصير . وتبركوا بمولده فمولده ميمون مبارك وفتح الله لمولده أبواب السماء وجنانه فكانت آمنة تحدث عن نفسها وتقول أتاني آت حين مر بي من حمله ستة أشهر فوكزني برجله في المنام وقال لي يا آمنة انك قد حملت بخير العالمين طرا فاذا ولدتيه فسميه محمدا . فكانت تحدث عن نفاسها وتقول لقد أخذني ما يأخذ النساء ولم يعلم بي أحد من القوم فسمعت وجبة شديدة وأمرا

عظيما ثم اني ذلك فرأيت كأن جناح طائر أبيض قد مسح على فؤادي فذهب عني كل رعب وكل وجع كنت أجد ثم التفت فاذا أنا بشربة بيضاء لبنا وكنت عطشى فتناولتها فشربتها فأضاء مني نور عال ثم رأيت نسوة كالنخل طوالا كأنهن من بنات عبد مناف يحدقن بي فبينا أنا أعجب واذا بديباج أبيض قد مد بين السماء والارض واذا بقائل يقول خذوه عن أعين الناس قالت ورأيت رجالا قد وقفوا في الهواء بأيديهم اباريق من فضة ورأيت قطعة من الطير قد اقبلت حتى غطت حجرتي مناقيرها من الزمرد واجنحتها من اليواقيت فكشف الله عن بصري وابصرت تلك الساعة مشارق الارض ومغاربها ورأيت ثلاثة اعلام منصوبات علما في المشرق وعلما في المغرب وعلما على ظهر الكعبة فأخذني المخاض فوضعت محمدا صلى الله عليه وسلم. فلما خرج من بطني نظرت فيه فاذا انا به ساجدا قد رفع اصبعيه كالمتضرع المبتهل ثم رأيت سحابة بيضاء قد اقبلت من السماء حتي غشيته فغيب عن وجهي. وسمعت مناديا ينادي طوفوا بمحمد شرق الأرض وغربها وأدخلوه البحار ليعرفوه باسمه ونعته وصورته ويعلموا أنه سمي فيها الماحي لا يبقى شيء من الشرك الا محي في زمنه. ثم تجلت عنه في أسرع وقت فاذا أنا به مدرج في ثوب صوف أبيض وتحته حريرة خضراء وقد قبض على ثلاثة مفاتيح من اللؤلؤ الرطب واذا قائل يقول قبض محمد على مفاتيح النصرة ومفاتيح الريح ومفاتيح النبوة. ثم أقبلت سحابة أخرى يسمع منها صهيل الخيل وخفقان الاجنحة حتى غشيته فغيب عن عيني فسمعت مناديا ينادي طوفوا بمحمد الشرق والغرب ومواليد النبيين واعرضوه على كل روحاني من الجن والانس والطير والسباع وأعطوه صفاء آدم ورقة نوح وخلة ابراهيم ولسان اسماعيل و بشرى يعقوب وجمال يوسف وصوت داود وصبر أيوب وزهد يحيي وكرم عيسى واغمروه في أخلاق الانبياء. ثم تجلت عنه فاذا أنا به قد قبض على حريرة خضراء مطوية واذا قائل يقول بخ بخ قبض محمد على الدنيا كلها لم يبق خلق من أهلها الا دخل في قبضته واذا أنا بثلاثة نفر في يد أحدهم ابريق من فضة وفي يد الثاني طست من زمردة خضراء وفي يد الثالث حريرة بيضاء فنشرها فأخرج منها خاتما تحار أبصار الناظرين دونه

فغسله من ذلك الابريق سبع مرات ثم ختم بين كتفيه بالخاتم ولفه في الحريرة ثم حمله فأدخله بين أجنحته ساعة ثم رده الي

(٣) وأخرج أبو نعيم بسند ضعيف عن العباس قال لما ولد أخي عبدالله وهو أصغرنا (١) كان في وجهه نور يزهر كنور الشمس فقال أبوه ان لهذا الغلام لشأناً فرأيت في مناي أنه خرج من منخره طائر أبيض فأتيت كاهنة بني مخزوم فقالت لي لئن صدقت رؤياك ليخرجن من صلبه ولد يصير أهل المشرق والمغرب له تبعاً فلما ولدت آمنة قلت لها ما الذي رأيت في ولادتك قالت لما جاءني الطلق واشتد بي الامر سمعت جلبة وكلاماً يشبه كلام الآدميين ورأيت علماً من سندس على قضيب من ياقوت قد ضرب ما بين السماء والأرض ورأيت نورا ساطعاً من رأسه قد بلغ السماء ورأيت قصور الشام كلها شعلة نار ورأيت قربي سربا من القطا قد سجدت له ونشرت أجنحتها ورأيت تابعة سعيرة الاسدية قد مرت وهي تقول مالقي الاصنام والكهان من ولدك هذا هلكت سعيرة والويل للأصنام ورأيت شاباً أتم الناس طولا وأشدهم بياضاً فأخذ المولود مني فتفل في فيه ومعه طاس من ذهب فشق قلبه شقاً ثم أخرج قلبه فشقه شقا فأخرج منه نكتة سوداء فرمى بها ثم أخرج صرة من حرير أبيض ففتحها فاذا فيها خاتم فضرب على كتفه كالبيضة وألبسه قميصاً فهذا مارأيت » اه

أقول هذه الآثار الثلاثة هي ينبوع خرافات قصة المولد والثاني منها يذكرونه برمته في أكثرها وقد قال السيوطي بعد ايرادها هنا مانصه:

هذا الأثر والأثران قبله فيها نكارة شديدة ولم أورد في كتابي هذا أشد نكارة منها ولم

---

(١) قال الحافظ ابن عبد البر في الاستيعاب : كان العباس أسن من رسول الله (ص) بسنتين وقيل بثلاث : أقول وهذا القول مجمع عليه من المحدثين والمؤرخين وهذا الحديث مبني على أن العباس أسن من والد النبي صلى الله عليه وسلم فهو مخالف لاجماع المحدثين وكفى بذلك كذباً

تكن نفسي لتطيب بإيرادها لكني تبعت الحافظ أبا نعيم في ذلك

هذا كلام السيوطي على تساهله في الجمع وأقول إن أبا نعيم لم يذكر هذه الآثار الواهية في كتابه دلائل النبوة على ما فيه من الروايات الضعيفة والمنكرة كما ترى في النسخة المطبوعة منه فكان ينبغي ان يتبعه في ذلك لأن الخصائص كالدلائل مؤلفة في شأن النبي صلى الله عليه وسلم على ان ذكره لها مع براءته منها كان خيرا من السكوت عنها. وعبارته تدل على أنه أورد في الخصائص كثيرا من الروايات المنكرة وهو كذلك. وقد ذكر بعد الآثار الثلاث رواية مخزوم ابن هاني عن ابيه عند البيهقي وأبي نعيم وفيها انه ارتجس ليلة المولد إيوان كسرى وسقطت منه اربع عشرة شرافة وخمدت نار فارس وغاضت بحيرة ساوة وفيها رؤيا الموبذان وحكاية سطيح الكاهن وقال في آخرها: قال ابن عساكر حديث غريب لانعرفه الا من حديث مخزوم عن ابيه تفرد به ابو أيوب البجلي: اي وما تفرد به لايحتج به

. وتذكر هذه الآثار في بعض القصص والكتب بعبارات مختلفة بزيادة ونقص ولا يلتفت الى شيء منها فان العبرة بما يروي المحدثون، لابما يهذي به القصاصون، هذا واذا اردنا ان نبحث في هذه الآثار من جهة موضوعها وحفظ المشركين في الجاهلية وسائر الامم لها الى ان ظهر الاسلام فاننا نجد فيها مالا تقبل معه فان أمثال هذه الغرائب من شأنها أن تستفيض وينقلها الجماهير ولم يرو ان أحدا من المشركين آمن لأجلها ولم يروها أهل الصحاح كالبخاري ومسلم بل تركوها لعدم الثقة برواتها. وأما أبو نعيم فانه لم يروها واثقا بها ولكنه كان يروي المناكير بل والموضوعات ويسكت عليها اعتمادا على ان الناس يعرفون درجتها من سندها ولكنهم انتقدوا عليه ذلك هو وابن منده وكان يطعن احدهما بالآخر للمعاصرة. قال الحافظ الذهبي في الميزان فيهما: لاأقبل قول كل منهما فى الآخر وهما عندي مقبولان لا أعلم لهما ذنبا أكبر من روايتهما الموضوعات ساكتين عليها: اه

ويوجد شيء من هذه الروايات في كتب اخرى لغير المحدثين لايوثق بها

ولا أسانيدها ككتاب مسامرة الاخيار المنسوب للشيخ محي الدين بن عربي على ان فيها ذكر المجهولين والضعفاء ورواة المناكير كسعيد بن عثمان الكريزي قال الذهبي كان يحدث في اصبهان بالمناكير وحفص بن الصباح الرقي قال الحاكم حدث بغير حديث لم يتابع عليه ويحي البابلتي ضعفوه وضعفوا شيخه ابا بكر بن مريم الحمصي وغيرهم . وحسبنا ما في كتاب الله تعالى والاحاديث والآثار الصحيحة في آياته وفضائله عليه افضل الصلاة والسلام فلا حاجة لنا بامثال هذه الروايات

هذا وقد طال بنا القول وسنجيب عن بقية المسائل في الجزء الآتي ولم ننس الاسئلة الواردة من تونس وسنغافورة ولكل شيء اجل

باب التربية والتعليم

نكتفي في هذا الباب من هذا الجزء باقتباس المقالة الآتية من مجلة « المقتبس » تنويها بحسن اختيارها المفيد وايذانا بما الغربيين من الرقي في فن التعليم ، قالت

تعليم اللغات

ان تعليم اللغات على الطريقة التي جرى عليها الغربيون واقتبسها المشارقة قد تكون نظرية أكثر مما هي عملية فيطول أمرها ويصعب تناولها . ولطالما رأينا من يترجم أشعار شكسبير الانكليزي أو بوالو الافرنسي واذا رمته الاقدار في شوارع لندن أو باريز لا يطاوعه لسانه أن يلفظ كلمات يهتدي بها الوجه طريقه . ذلك لأن الطريقة في تعلمه تلك اللغة الاجنبية هي عين الطريقة التي يستخدمها الاوربيون في تعليم الصم البكم بل عين النهج الذي ينهجه المغاربة في تعليم احدى اللغات الميتة من لاتينية ويونانية أو احدى اللغات الحية من انكليزية وافرنسية وايطالية وغيرها .

اذ يكون تدريس النحو والصرف والترجمة من الكتب هو العدة في اتقان اللغات ويسهل على المعلم أن يدرس تلميذه على هذا النحو وربما أخذ في تعليمه لغة وهو لا يحسن أن يؤلف بين جملتين صحيحتين في تلك اللغة التي عهد اليه تدريسها ولم يجود التلفظ بها فكان شغله الشاغل تعليم تلامذته أصول التصريف

والاعراب والترجمة على حين قدثبت ان الدارس قد يستظهر قواعدلغةوقوانينها ولا يبرع في اللغة نفسها . واسقم المـذاهب في تعلم لغة أن يتكلم المرء بلغته في خلال تعلمه لغة غيرها .

من أجل هذا قضت الحال أن تكون دراسة قواعد الاعراب والتصريف بعد معرفة اللغةمعرفة عمليةلانظرية ولا تفيد الترجمة والنقل الا اذاتوفرت الطالب بادئ بدء معرفة الاساليب في اللغة الغريبة . فعلى من رام أن يتكلم لغـة ويكتب فيها أن يفكر في تلك اللغة ويكون شعوره شعور أهلها فيها لا ان يصيغ تراجم وينقل جملا . فتستدعي الأفـكار والانفعالات للحال مايحتاج اليه الطالب من الالفاظ التي يعبر بها عنها فتصير اللغة التي يتعلمها لغةثانية له ولا تكون الترجمة من لغته أو اليها اذا دعت الحال حرفاً بحرف بل على طريقة تنقل بها الصورةالى التعبير عنها . وقلما يسمع المتعلم في معظم المدارس اليوم صدى اللغـة التي يتعلمها ويقتضي له أن يربي عليها أذنه وذاكرته ما أمكن . وما أشبه المدرس وهو يشرح للدارس دروسه بلغته الاصلية الابام تود أن تعلم طفلها وهوألـكن تمام قواعدالفعل الماضي وتصريف الافعال الشاذة بدلاً من أن تعنى بتعليمه أن يحسن تلفظ الكلمات الاولى التي يحاول لفظها .

وما فتيء تعـلم اللغات يختلف باختلاف الاجتهاد فى كل قوم ومعظمه دائر في الغرب منذ ثلاثين سنة على طريقتين وهما اما أن يقيم المتعلم زمناً في بلد اللغة التي يريد تعلمها أو ان يكون أهل الطفل في سعة من العيش فيتخذون له مؤدباً أو مؤدبة يعلمه اللغة بالعمل بين ظهراني أهله وأسرته . وقد ابتدع الاستاذ برليتز الاميركاني طريقةسهلة لتعليم اللغات جرى عليها بعضهم في أميركا وأوربا فاسفرت عن نجاح أكيد . وطريقته عبارة عن نظر عقلي وعلم عملي وبلفظ آخر نظر في المحسوسات لاالمجردات اذ اللغةعبارة عن أصوات محكية لاعن اشارات مكتوبة . والتعليم سماعي أولاً ثم نظري . ولا يعمد في طريقته الى الترجمـة ولا الى النقل ولا يستخدم فيها الطالب معجماً ولا يستصحب كتاب قواعد بل يتعلم الانسان القوانين بعد لاكمال المعرفة العملية على نحو ما يتعلم الطفل لغة أبيه وأمه . وليس

في تعلم القواعد نفع حقيقي الا متى عرف المرء اللغة فالقواعد تشرح اللغة شرحاً علمياً فتبحث عن علل يتأتى الاستغناء عنها بادىء بدء وقلما تنفع في تلقين اللغة شأن مصور لا يحتاج الى اتقان العلوم الطبيعية والكيماوية ليصنع صوراً شمسية بديعة.

ما اللغة في الحقيقة الا صورة محكية من الحياة فاقتضى في تعلمها أن يسبر الانسان من نفس الحياة لا ان يعمد الى اشكال من التعبير لا تمس ولا تتحرك وقلما تتلاءم الالفاظ وصور الافكار بين لغة وأخرى كل التلاؤم فالبداءة بالترجمة الحرفية من لغة الى لغة يراد تعلمها اضاعة للوقت واتعاب للذهن على غير طائل. ومن العسر المتعذر ان يرسم المرء صورتين رسماً خفيفاً على حين لا يضع احداهما على الاخرى وكذلك الحال في اللغات فقد امتنع أن يحكم وضع لغتين بعضهما على بعض

واللغة بموجب هذه الاصول الجديدة عبارة عن محادثة دائمة باللغة الغريبة فكل ما يقع نظر التلميذ عليه مباشرة يكون له منه مادة درس وموضوع تعلم. وذلك بتربية الاذن والحواس الصوتية. فيلقن الاستاذ تلميذه حسن اللفظ وسرعة التركيب فيدرس الافعال الاولى بالاعمال والحركات يقوم ويذهب الى اللوح الاسود فيكتب ويفتح الباب ويرفع الكتاب ويضعه ثم تعرض على سمعه مشاهد الحياة اليومية فيسهل عليه تأليف جمل صغيرة يتزايد كل يوم عددها بسرعة. فيكون التلميذ بهذه الطريقة في تأليف الجملة ما يلزمه من أوليات القواعد والروابط. والامم بأسرها تتعلم لغاتها بالعمل أولاً ثم بالنظر. فيتعلم المتعلم ما تمس حاجته اليه الى أن يكتب بدون غلط ويتعلم التلميذ أولاً معاني الكلمات الغريبة ثم يلقن التمرينات العديدة بعد معرفة اللغة معرفة فطرية فمعرفة عقلية. ومن اللازم اللازب الاعتياد على الصور قبل القواعد. ثم يبدأ المعلم بالسؤال فيجيبه المتعلم ولا يزالان ينتقلان من البسيط الى المركب ومن شرح المفردات الى تفسير العبارات ويكون كل ذلك باللغة التي يراد اتقانها.

واللفظ في هذه الطريقة المقام الاعلى. ولم يكن يعنى بتقويمه من قبل. والاساتذة الذين يحسنون التلفظ بلغة تمام ممن تعلموها على الأسلوب الطبيعي في طفوليتهم أو أتقنوها بمقامهم في البلاد التي تتكلم فيها تلك اللغة. وجودة

التلفظ هو روح اللغة على التحقيق . ولا تعد العبارة شيئاً مهما بلغت من الضبط متى قبح اللفظ وتجلت اللهجة الأعجمية فيه عياناً . ومن الهجنة أن التلفظ لا يكاد يصلح اذا فسد لأول أمره ، وصعب على الانسان مالم يعوده

فالطريقة المشار اليها مغايرة لطريقة الترجمة المألوفة في الاغلب اذ كل معرفة يرشد اليها المتعلم على هذه الصورة لا تحسب ناقصة الجهاز مشوشة الاسلوب . وقلما يجد الالفاظ في لغة ما يقابلها في لغة ثانية ولكل لغة اصطلاحاتها الخاصة بها ليس للترجمة مهما أتقنت أن تنقلها على أصلها اذ التصورات التي تمثلها لغة لا تتحد مع تصورات تمثلها ألفاظ لغة أخرى اتحاداً ذاتياً معنى ومبنى . كتب أحد الغرباء الى فنيلون العالم الفرنسوي المشهور «أن لي منك يامولاي امعاء والد» يريد أن يقول «قلب والد» وقال الفونس الثاني عشر ملك اسبانيا وقد جاء قصره في يوم احتفال: «أتود أن تتعب معي نحو النافذة» يعني بذلك أن تقترب نحو النافذة .

ولو تعلم ذاك الكاتب وهذا الملك ان يتكلما الافرنسية على طريقة الاستاذ برليتز اذاً لنجيا من هذا الغلط الشائن وكان شأنهما في سهولة التعبير وجودة التصوير شأن اولئك التجار والسوقة ممن ينزلون بلاداً لا يحسنون لغتها فما هو الا قليل حتى يمرنوا على تكلمها زمنا فيحسنونها ولا احسان من تعلموها على دكات المدارس وهم يقلبون المعاجم ويتأبطون كتب نحوها وصرفها وبيانها ناقلين ناسخين مستظهرين ناسين . وطريقة برليتز هذه ان يستعمل اولاً اللغة المتعلمة خاصة وان يتابع التصور في اللغة الغريبة مباشرة بدون وساطة اللغة الاصلية وان تعلم أسماء الاعيان بقوة الحس وتعلم اسماء المعاني بتتابع التصور ويدرس النحو بالامثلة والشواهد

هذا مذهب الاستاذ برليتز في اتقان ملكة اللغات وقد انتقل من نيويورك الى باريز عام ١٨٨٩ فاسست في هذه العاصمة أول مدرسة على تلك الطريقة وانتقل هذا المذهب في تلك السنة الى انكلترا والمانيا فاسست في كل من لندن وبرلين مدارس لهذا الغرض . وما برحت مدارسها تتكاثر في الاصقاع الاوربية حتى كانت في بدء هذه السنة ٢٤٣ مدرسة في أوربا وحدها وكلها أسفرت عن ارتقاء واقتصاد في الوقت والمال وطريقة القائمين بهذا الامر أن يكون لكل

تلميذ استاذه الخاص به فيأخذ هذا يعلم تلميذه ما يقع نظره عليه في قاعة الدرس من منضدة وكرسي وكتاب وباب ونافذة يلفظها بلغتها ولا يزال يكررها المتعلم حتى يتقن اللفظ فاذا نفدت المسميات لدى الاستاذ في الغرفة يعمد الى صور سهلة واضحة رسمت على صفحات مجموعة رسوم فما هو الا ان يتعلم التلميذ أسماء الاشياء الواقعة تحت حسه مع الالوان التي يمتاز بها كل منها ثم ينتقل الى صفات الجسم وافعال الحركات والاعداد . فاذا أنجز درس الاشياء يشرع المعلم في اختيار جمل يكون التلميذ قد عرف اكثر مفرداتها . فلا يمضي ثلاثون درساً الا وقد عرف التلميذ الافعال الشائعة في الاستعمال والمفردات التي تدخل غالباً في الاحاديث العامة ويتمكن في ستين درساً من بيان فكره أصح بيان في كل ماله علاقة بمجرى الحياة الاجتماعية العادي . ويحسن في اختيار المعلمين ان يكونوا ممن لا يعلمون لغة المتعلم .

ومما يضحك ما وقع لولد أحد كبار المنشئين الفرنسويين وكان يدرس الالمانية على طريقة برليتز قيل انه لما بلغ به المعلم الى تمييز الفعل المتعدي من اللازم لم يفهم التلميذ المراد من المتعدي واللازم وأخذ معلمه يشرحهما له بالاشارة تارة والتشبيه طورا فلم يفلح وكان تلميذه معه كاعجم طمطم لا يفهم ولا يفهم . وأبى الاستاذ على تلميذه أن يفسر له شيئاً بلغته مع إلحاحه عليه في ذلك وراح الطفل الى دار أبيه وقد بلغ منه الغيظ وأنشأ يقلب كتاب نحوه يفتش عن الاشكال فاهتدى بنفسه الى حله وشكا أمره الى والده فقال له : أي بني لقد أحسن الاستاذ أن أبى عليك شرح ما يريد تعليمك بلغتك ولو قاله لك لغرب عن ذهنك وأصبح لديك بعد زمن نسياً منسياً . أما الآن فاني على ثقة من انك لا تنسى التفرقة بين الفعل اللازم والمتعدي ولو بعد مئة سنة

قال الكاتب الذي عربنا عنه هذا المبحث وقد كاد أرباب الافكار والحصافة يجمعون على ان اللغات الحية لا تعلم كاللغات الميتة بل انه لا بد في الاولى من المران على التكلم بها من أول وهلة وانه ما من لغة مهما تراءى من صعوبتها على المتعلمين بادىء بدء سواء كانت اللغة الروسية أو الهندية أو العربية أو الصينية الا ويتيسر اتقانها على طريقة برليتز في مدة تختلف باختلاف ذكاء المتعلم وصعوبة اللغة والله أعلم

باب الأخبار والآراء

مسلمو الصين ، والاسلام في اليابان

في الصين عشرات من الملايين المسلمين هم أكثر أهل تلك المملكة الكبرى مالاً وأعز نفراً — هم أكثر مالاً لأنهم أبرع في التجارة وأكثر اشتغالاً بالصرف والدين بالربا الفاحش ويستحلون الربا على تشددهم بما يعرفون من دينهم لأن كتب الفقه الحنفي (كتب مذهبهم) تبيحه في دار الحرب . وهم أعز نفراً لشجاعتهم واتقانهم للفنون العسكرية فهم أقوى جيش الدولة وأمنع حماة الأمة . وقد أنشأوا يهاجرون الى اليابان بأموالهم وسلعهم لأجل الصرف والدين والتجارة بعد ما كانوا محجمين عنها لأنهم علموا أن اليابان تغيرت حالها بعد الحرب فصارت تحترم الغرباء وكانت تحتقرهم . وانا نتوقع أن يستفيد المسلمون من معاشرة اليابانيين الميل الى الأعمال الاجتماعية والعلوم العصرية فاننا نعرف عنهم أنهم لا يتعلمون الا قدر الحاجة من القراءة والكتابة والأحكام الفقهية ثم ينصرفون الى الأعمال المالية ان لم يدخلوا في أعمال الدولة العسكرية والادارية

ومن الغريب أن تظهر الدعوة الى الاسلام في اليابان من بعض مسلمي الصين دون مسلمي الهند أو الاستانة أو مصر . ولو كان مسلمو الصين على علم واسع بالاسلام لكانوا أحق بهذه الدعوة لأنهم أول من تستفيد منها وفائدة اليابان من الاتحاد معهم أعظم فانها بهم تستعمر مملكة ابن السماء (الصين) كلها وناهيك بمملكة تضم بين جوانحها أكثر من ربع البشر وما أرى أن مسلمي الصين يلاحظون هذه الفائدة اذ بلغني أنهم لا يحفلون بالسياسة بل لا يفكرون فيها وما أظن أن دعوة الشيخ حسان لهم الى الاسلام الا باعث ديني وذلك — ان صح — خير من أن يكون بباعث سياسي فان من يدعو الى الدين لأجل السياسة لا يكون جديراً بالنجاح كمن يخلص في دعوته لله رب العالمين

المعروف عن الأمة اليابية ان العلم قد هدى فضلاءها وزعماءها الى بطلان

الوثنية التي درجوا عليها وأنهم يطلبون باستعدادهم الجديد دينا معقولا يتفق مع المدنية والعلم والعمران فهم يطلبون الاسلام ولا يجدون من يمثله لهم ونخشى أن يعجز الشيخ حسان الصيني عن اقناعهم فيظنون أن مبلغ علمه بالاسلام هو الاسلام فينصرفوا عنه الى غيره . فهل نجد في مسلمي هذه الديار رجلين أو ثلاثة قد استعدوا للدعوة الى الاسلام بفهم الكتاب والسنة وحكم التشريع ومواضع الشبهات على الدين ومسالك كشفها والقدرة على تمثيل الاسلام جامعا بين مصالح الدنيا والآخرة موافقاً لحال الناس في عصر العلم والحضارة والصناعة عصر الكهرباء والبخار = يتركون وطنهم المحبوب ويسافرون الى اليابان لمساعدة أخيهم الشيخ حسان الصيني على الدعوة ؟ وهل نجد في أغنيائنا من يتبرع بشيء من فضل ماله لمساعدة هؤلاء الدعاة ان وجدوا أو لأجل ايجاد دعاة للاسلام يعلمون تعليماً خاصاً يساعدهم على ذلك ؟

يوجد في المسلمين من يثق بدينه ولا يرتاب فيه أكثر مما يوجد في اليهود والنصارى ولكن الشاك في دينه من اليهود والنصارى يبذل في نشره ونصره ما لا يبذل المسلم الموقن لأن المسلمين قد ضعفت فيهم الحياة الاجتماعية وغلبت عليهم الأثرة بعد ذلك الايثار الذي مدح الله سلفهم عليه بقوله « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » وانا لا نطمع بأن نرى من مساعدة جميع أغنيائنا على نشر دعوة الاسلام مثل ما تبذله جمعية غسالات ليون للمبشرين بالنصرانية وهي جمعية ألفتها غسالة في تلك البلدة الفرنسية من بنات حرفتها ورأس مالها الآن يبلغ ألوف الألوف .

ثم ان كثرة تعرض دعاة النصرانية في مصر للطعن في الاسلام قد وجه قلوب كثير من أهل الغيرة الى مسألة الدعوة فهم قد نفعوا المسلمين ولم يضروهم وان لم تفهم هذا جرائدنا التي طفقت تدعو الحكومة الى منعهم من الدعوة ونشر الكتب ولو كانت هذه الجرائد تحسن خدمة الاسلام لردت عليهم بما يدفع الشبه ويقوي استعداد المسلمين لمثل عملهم وأنى لها بذلك ؟ وانا لنرجو من المسلمين نهضة جديدة للدعوة دينهم الحق بالاستعداد والامداد ، والله الهادي الى سبيل الرشاد ،



فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

المنار ١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و« منارا» كمنار الطريق)

﴿ مصر الجمعة غرة ذي الحجة سنة ١٣٢٣ — ٢٦ يناير (ك٢) سنة ١٩٠٦ ﴾

تتمة سيرة الاستاذ الامام

تابع لما في الجزء الرابع عشر

(مذهبه وطريقته في الاصلاح)

كان تغمده الله برحمته قد شرع في كتابة تاريخ لنفسه كتب في فاتحته مذهبه في الاصلاح مجملا وشرع بعدها في الفصل الاول وهو في أهله الذين نبت فيهم وتربى التربية الأولى معهم ولم يتمه (وقد جعلنا جميع ما كتبه من ذلك في الجزء الاول من تاريخه الذي يطبع الآن) فكلمته في تلك الفاتحة هي خير ما نورده في بيان مذهبه بالاجمال

قال بعد البدء بالبسملة والحمدلة والصلاة والتسليم على خاتم المرسلين « وبعد فما أنا ممن تكتب سيرته، ولا ممن تترك للاجيال طريقته، فاني لم آت لأمتي عملا يذكر، ولم يكن لي فيها الى اليوم أثر يؤثر، حتى أكون لأحد منها قدوة، أو يكون لأحد فيّ أسوة، وهذا الذي أجد من استصغار أمري وخفاء أثري، وظهور

اختفى بعد الثورة العرابية وجعلت الحكومة لمن يدلها عليه عشرة آلاف جنيه وأنما ذلك عبد الله أفندي نديم الذي حكم باعدامه . هذا والثورة العرابية أشهر حوادث مصر والاستاذ الامام من أشهر رجال العصر

عجزي عن بلوغ مايرمي اليه فكري ويطمح اليه نظري ، كان يمنعني من أكتب شيئاً يتعلق بحياتي ، تعرض فيه بداياتي وشيء من أعمالي بعدها وصفاتي ، حتى أكون به باقيا عند من يطالعه بعد مماتي ، وكنت أقول:وقت أصرفه في حكمة أستفيدها ، خير من زمن أنفقه في قصة أستعيدها ، وما الذي عساه يبقى مني ، وأنا في قومي لم أترك مايؤثر عني ، »

ذكر بعدهذا ان بعض معارفه من الغربيين وغيرهم طالبوه بأن يكتب تاريخاً لنفسه وألحوا في ذلك ثم قال

« لما تكرر الطلب في هذه الصور المختلفة رأيت أن الاضراب عن الاجابة اغراق في الخمول ، وتقصير في احترام رأي لم يشبه رياء ، ولم يحمل عليه الا قوة الظن بالفائدة في المطلوب ثم نظرت نظرة في نفسي وما كانت بدايتي ،وما نزعت اليه أثناء الطريق في سيري ، وما انتهيت اليه فيما تأخر من أيام عمري، وقست جميع ذلك الى ماعليه الناس حولي ، فوجدت اختلافا قد يسهو عنه الغافل، ولكن ربما ينتفع بملاحظته العاقل ،

« وجدت اني نشأت كما نشأ كل واحد من الجمهور الأعظم من الطبقة الوسطى من سكان مصر ودخلت فيما فيه يدخلون ، ثم لم ألبث بعد قطعة من الزمن أن سئمت الاستمرار على ما يألفون ، واندفعت الى طلب شيء مما لا يعرفون فعثرت على مالم يكونوا يعثرون عليه ، وناديت بأحسن ماوجدت ودعوت اليه ، وارتفع صوتي بالدعوة الى أمرين عظيمين (الأول) تحرير الفكر من قيد التقليد وفهم الدين على طريقة سلف الأمة قبل ظهور الخلاف ، والرجوع في كسب معارفه الى ينابيعها الأولى ، واعتباره من موازين العقل البشري التي وضعها الله لترد من شططه ، وتقلل من خلطه وخبطه ، لتتم حكمة الله في حفظ نظام العالم الانساني ، وأنه على هذا الوجه يعد صديقاً للعلم ، باعثا على البحث في أسرار الكون ، داعياً الى احترام الحقائق الثابتة ، مطالبا بالتعويل عليها في آداب النفس واصلاح العمل ، وكل هذا أعده أمرا واحدا . وقد خالفت في الدعوة اليه رأي الفئتين العظيمتين اللتين يتركب منهما جسم الأمة — طلاب علوم الدين ومن

على شاكلتهم ، وطلاب فنون هذا العصر ومن هو في ناحيتهم،

« أما الامر الثاني فهو اصلاح أساليب اللغة العربية فى التحرير سواء كان في المخاطبات الرسمية بين دواوين الحكومة ومصالحها أو فيما تنشره الجرائد على الكافة منشأ أو مترجما من لغات أخرى أوفي المراسلات بين الناس . وكانت أساليب الكتابة في مصر تنحصر في نوعين كلاهما يمجه الذوق وتنكره لغة العرب الخ

(ثم قال) «وهناك أمر آخر كنت من دعاته والناس جميعاً في عمى عنه وبعد عن تعقله ولكنه هو الركن الذي تقوم عليه حياتهم الاجتماعية وما أصابهم الوهن والضعف والذل الا بخلو مجتمعهم منه وذلك هو التمييز بين ما للحكومة من حق الطاعة على الشعب وما للشعب من حق العدالة على الحكومة. نعم كنت فيمن دعا الامة المصرية الى معرفة حقها على حاكمها وهي هذه الامة التي لم يخطر لها هذا الخاطر على بال من مدة تزيد على عشرين قرنا — دعوناها الى الاعتقاد بأن الحاكم وان وجبت طاعته هو من البشر الذين يخطئون وتغلبهم شهواتهم ، وأنه لا يرده عن خطئه ولا يقف طغيان شهوته ، الا نصح الامة له بالقول و بالفعل

« جهرنا بهذا القول والاستبداد في عنفوانه * والظلم قابض على صولجانه * ويد الظالم من حديد * والناس كلهم عبيد له أي عبيد *

« نعم انني في كل ذلك لم أكن الامام المتبع ، ولا الرئيس المطاع ، غير أني كنت روح الدعوة ، وهي لاتزال بي في كثير مما ذكرت قائمة ولا أبرح أدعو الى عقيدتي في الدين ، وأطالب باتمام الاصلاح فى اللغة—وقد قارب — أما أمر الحكومة والمحكوم فتركته للقدر يقدره ، وليد الله بعد ذلك تدبره ، لانني قد عرفت أنه ثمرة تجنيها الامم من غراس تغرسه وتقوم على تنميته السنين الطوال ، فهذا الغراس هو الذي ينبغي ان يعنى به الآن ، والله المستعان ، » اه المراد وذكر بعده اصابته ونجاحه فى بعض الأمور واخفاقه في بعضها

علم من عبارته ان الاصلاح الذي دعا اليه ديني وأدبي وسياسي وأنه ترك الاخير بعد طول الاختبار ويؤيد ذلك ما يؤثر عنه من القول في ذم السياسة كقوله: مادخلت السياسة في عمل إلا أفسدته: وقوله في مقالات الاسلام والنصرانية

« فان شئت أن تقول ان السياسة تضطهد الفكر أو الدين أو العلم فانا معك من الشاهدين . أعوذ بالله من السياسة ومن لفظ السياسة ومن معنى السياسة ومن كل حرف يلفظ من كلمة السياسة ومن كل خيال يخطر ببالي من السياسة ومن كل أرض تذكر فيها السياسة ومن كل شخص يتكلم أو يتعلم أو يُجنّ أو يعقل في السياسة ومن ساس ويسوس وسائس ومسوس »

ترك السياسة التي هي مقاومة الاستبداد والحكم المطلق ومحاولة تغيير شكل حكومة بقوة رعية . وأما السعي في اصلاح حكومة بلاده باقناع حكامها وأولي الأمر فيها بما فيه خيرها ومصلحتها وإرشاد رجال الشورى من الأمة الى طرق السداد في قوانين الحكومة ومسالك الإقناع لما يظهر بالمشاورة أنه الصواب فهو لم يتركه بل كان يصرف فيه أكثر أيام حياته ، وهو ليس من السياسة التي حكم بإفسادها للأعمال ، وإبطالها للأماني والآمال ،

ترك السياسة خيرها وشرها ، ولكنها — قاتلها الله — لم تتركها من ضرها ، فقد كان يناجي ربه على فراش الموت برمل الاسكندرية والسياسة تنقب في سواحل بيروت باحثة عنه معتقدة بما أوحى اليها شياطين الجواسيس أنه جاء بيروت متنكراً ليزيل سلطة ابن عثمان ويديل منها سلطة جديدة لأحد أبناء عليّ ، وتعدت بشرها الى بعض من قيل لها انهم من محبيه في تلك البلاد فاتهمتهم بالجرائم بل وبالجنايات السياسية وعاقبت بعضهم ولا تزال تعاقب بعضاً وكان أشدهم عقوبة أقواهم براءة ، وان أقواهم تهمة لأظهر براءة من الامام نفسه إذ اتهم بأنه متنكر في بيروت أيام كان يعالج الموت في رمل الاسكندرية . أفلا يكون رضي الله عنه جديراً بالاستعاذة من شيطان السياسة الذي هو شر من شيطان الوسوسة وأشد ضرراً ؟ بلى . ولولا معارضة السياسة لعملَ الرجل للإسلام في هذه البلاد ما يتمناه الاسلام في جميع البلاد ، على ان السياسة ما قويت عليه نفسه بل كان الله ناصره لنصره دينه فكلما كادت له تلك الماكرة كيدا رد الله كيدها في نحرها فتنثني وقد زادت شهرة الرجل بما كانت تحاول من إخفاء ذكره وعرف الناس بعض ما كانوا يجهلون من فضله ، فما أضرته ولكنها أضرت الأمة بتأخير الإصلاح ولا أقول

عنه فإن البذور التي ألقاها قد نبتت فكانت زرعاً أخرج شطأه ولا يلبث أن يستوي على سوقه ويجود بثمره فيغيظ المفسدين في الأرض، ويطلق ألسنة التاريخ بلعن محاولي قلعه الى يوم العرض

هذا ما يتسع له المنار من ذكر مذهبه في الإصلاح مجملا وموعدنا بالتفصيل التاريخ الذي نشتغل بطبعه الآن

﴿ آماله وامانيه ﴾

كان أمله في الإصلاح محصورا في الأزهر فكان عازما على توسيع دائرة العلوم والعرفان فيه وعلى إيجاد طوائف من الإخصائيين الذين يتقنون علما واحدا يكونون فيه مرجعا . وكان يود ان يبدأ بايجاد طائفة للقضاء الشرعي وطائفة تستعد للدعوة الى الاسلام ، وأخرى للخطابة ووعظ العوام ، وأهل الأزهر لا يزالون بمعزل عن العالم فهم لا يشعرون بشيء مما وراء جدران الأزهر ويا ليتهم كانوا يعرفون حقيقة جميع ما يرون في ذلك المحيط فالاستعداد فيهم لقبول الاصلاح ضعيف ولمقاومته قوي الا ان يكون من جانب السلطة لذلك لجأ الرجل الى الامير وطلب إسعاده على إصلاح الأزهر وكان نجاح الاصلاح بقدر ذلك الاسعاد

﴿ مدرسة كلية ﴾

ولما ضعف أمله في الأزهر منذ ثلاث سنين فكر في إنشاء مدرسة كلية في القاهرة تغني عنه في تخريج رجال يخدمون الملة والأمة فاستمال أحمد باشا المنشاوي ونفخ فيه من روحه حتى عزم الرجل على تأسيس المدرسة بماله وإيقاف أرض واسعة عليها تكفي لنفقاتها ولكن المنية اخترمته عند الشروع في الاستعداد بارشاد الاستاذ الامام . وقد قضت الحوادث بعد موت المنشاوي ان يستقيل من مجلس ادارة الأزهر ويتركه الى أن يفعل الزمان فيه فعله ، ويعده لما خبيء في الغيب له ، وعند ذلك قويت العزيمة على انشاء المدرسة الكلية وبعد التروي وطول التشاور مع أهل الغيرة والاخلاص وضع المشروع للاشتغال بانشاء الكلية في هذا الشتاء كما قلنا في جزء سابق وان ما خسرنا بموت هذا الرجل العامل لم يدع في نفوسنا مكانا للحسرة على الحرمان من هذا العمل

﴿ جريدة يومية ﴾

وكان في عزمه السعي فى انشاء شركة تنشيء جريدة يومية في القاهرة تختار لها طائفة من الكتاب الإخصائيين ينفرد بعضهم فى بيان ما عليه المصريون في المدن والقرى والمزارع من العادات والتقاليد والاعتقادات وبعضهم في المسائل الاقتصادية والزراعية وبعضهم في الموضوعات العلمية والأدبية. ويوضع لهم قانون لا يتعدونه ومن أحكامه الاقتصار في المسائل السياسية والاخبار الصادقة على ما فيه العبرة والفائدة لأهل البلاد، وعدم المدح والذم الشعري، وقبول الانتقاد على ما ينشر فيها من كل كاتب أديب، ومنها أن يرجع في بيان جميع المصالح ذات البال الى ما يقرره مجلس ادارة الجريدة بالمشاورة فلا يكون ما ينشر فيها عبارة عن رأي رجل واحد ومثالا يتذبذب مع ميله وهواه، ومنها أن لا تكون الجريدة خصما لجريدة أخرى. كنت ممن يلح عليه بهذا السعي منذ سنتين واخترت لهذا العمل من الكتاب المجيدين المتدلين من رضي بهم وكاشفنا كثيرين من الكبراء والفضلاء في ذلك واخترنا منهم أعضاء لمجلس الادارة ووضعت تقديراً تمهيدياً لانشاء المطبعة ونفقات العمل. ولو بقي الامام حيا لرجونا أن يبرز هذا العمل في هذا الشتاء وأن خسارتنا بفقده لاعظم من كل خسارة

(السياحة في الشرق)

كان من نيته الحسنة احسن الله مثوبته — أن يسيح في بلاد الهند وبلاد الفرس وبلاد روسيا الاسلامية ليختبر حال المسلمين بالفعل في الشرق كما اختبرها في الغرب والوسط فيعرف ما يصلح لجميع شعوب المسلمين من التربية والعمل وما يصلح الآن لبعض دون بعض ولا حاجة الى شرح ما وراء هذا الاختبار لو كان

﴿ تفسير القرآن * وتاريخ الاسلام ﴾

كان صاحب هذه المجلة قد اقترح على الاستاذ الامام ان يكتب تفسيرا للقرآن في رمضان سنة ١٣١٥ اي قبل الشروع فى انشاء المنار وذلك بعد ان اقترحت عليه قراءة درس في التفسير تردد فيه ثم لم يفعل الا بعد سنتين وشهور. زرته

في يوم الجمعة لثلاث عشرة خلت من الشهر فقرألي عبارة من كتاب فرنسي يطعن في الاسلام وطفق يرد عليها واحتاج في الرد الى الكلام في تفسير « رب العالمين » فتمنيت حينئذ لو كان للقرآن تفسير على نحو ما كان يفسر فاقترحت ذلك عليه واني اذكر هنا شيئاً مما كتبته يومئذ في مذكرتي عن ذلك الاقتراح وهو:

« قلت لو كتبت تفسيرا على هذا النحو تقتصر فيه على حاجة العصر وتترك كل ماهو موجود في كتب التفسير وتبين ما أهملوه .. فأجاب ان الكتب لا تفيد القلوب العمي فان دكان السيد عمرا الخشاب مملوءة بالكتب من جميع الفنون وهي لا تعلم شيئاً منها .. لا تفيد الكتب الا اذا صادفت قلوباً عاقلة بوجه الحاجة اليها تسعى في نشرها . اذا وصل كتاب الى أيدي هؤلاء العلماء وفيه غير ما يعلمون لا يعقلون المراد منه واذا عقلوا شيئاً منه يردونه ولا يقبلونه واذا قبلوه صرفوه الى ما يوافق علمهم ومشربهم كما جروا عليه في نصوص الكتاب والسنة التي نريد بيان معناها الصحيح وما تفيده . ان الكلام المسموع يؤثر في النفس أكثر مما يؤثر الكلام المقروء لأن نظر المتكلم وحركاته واشارته ولهجته في الكلام كل ذلك يساعد على فهم مراده من كلامه ويمكن للسامع أن يسأله عما يخفي عليه منه فاذا كان مكتوباً فمن يسأل ؟ ان السامع يفهم من كلامه المتكلم ٨٠ في المئة والقارئ لكلامه يفهم ٢٠ في المئة على ما أراد الكاتب . مع هذا كنت أقرأ التفسير وكان يحضره بعض طلبة الأزهر وبعض طلبة المدارس الأميرية وكنت أذكر كثيرا من الفوائد التي تحتاج اليها حالة العصر فما اهتم لها أحد فيما أعلم ، وكان من حقها أن تكتب وما علمت أحدا كتب منها شيئاً خلا تلميذين قبطيين من مدرسة الحقوق وكانا يراجعانني في بعض ما يكتبان . وأما المسلمون فلا .. قرأت تفسير سورة العصر في ستة أو سبعة أيام وكان كل درس لا يقل عن ساعتين أو ساعة ونصفاً بينت فيها وجه كون نوع الانسان في خسر الا من استثنى الله تعالى وما المراد بالتواصي بالحق والتواصي بالصبر الى غير ذلك مما لو جمع لكان رسالة حسنة في تفسير السورة وما علمت أحدا كتب منه شيئاً الا أن يكون عبد العزيز (المتبادر أنه يريد عبد العزيز افندي محمد القاضي في المحاكم الأهلية لهذا العهد وكان يومئذ

تلميذا في مدرسة الحقوق)

« قلت له انه يوجد كثير من المتنبهين لحال العصر والاسلام في البلاد المتفرقة وكثير منهم انما نبههم (العروة الوثقى) فأجاب بجواب طويل حاصله أن حال المخاطب تؤثر في نفسه وأنه يعسر أو يتعذر عليه إلقاء الحكمة الى كل أحد

« قلت ان الزمان لا يخلو ممن يقدر كلام الاصلاح قدره وان كانوا قليلين فالكتابة تكون بمثابة مرشد لهم في سيرهم وان الكلام الحق وإن قل الآخذ به والعارف بشأنه لكنه بحسب ناموس الانتخاب الطبيعي لابد أن يحفظ و ينمو بمصادفة المباءة المناسبة له كما حفظت العروة الوثقى فان أوراقها الأصليـة الضعيفة قد بليت ولكن ما فيها من المقالات البديعة المثال والفوائد العظيمة حفظت في الطروس والنفوس : ثم أطلنا القول في العروة الوثقى»

نقلت بعض ما كتبت يومئذ بنصه لما فيه من بيان رأيه رحمه الله وتأثره باستعداد المسلمين في ذلك الوقت . وكنت أذكر له وجوب الكتابة في التفسير كما سنحت لي الفرصة وكان خلاصة رأيه أنه ينبغي أن يكتب تفسير لبعض القرآن لا لجميعه بأن تفسر الآيات التي قصر المفسرون في بيان حكمها وأسرارها لاسيما ما يتعلق منها بروح الدين من الهداية والتهذيب وأمور الأمم الاجتماعية .

ثم شرع في قراءة التفسير بالأزهر وكان ذلك في غرة المحرم سنة ١٣١٧ وقبل شروعه كتبت مقالة في المؤيد عنوانها (القرآن) بينت فيها وجه حاجة المسلمين الى فهمه والاهتداء به وأن كتب التفسير غير كافية لذلك وان الاستاذ سيقرأ التفسير على ذلك الوجه فانتشر الخبر وعلم الناس فأقبلوا على تلك الدروس إقبالا لم يعهد له نظير من المسلمين في هذا العصر تبين به ان الاستعداد للاصلاح ينمو وكان ذلك الدرس أعظم ما خدم به الأزهر والاسلام كما كانت قراءته لأسرار البلاغة ودلائل الاعجاز أنفع ما خدم به اللغة العربية هناك

عين مفتيا للديار المصرية في الشهر الذي شرع فيه بقراءة التفسير فظننت كما ظن هو أن هذا المنصب ليس فيه عمل يستغرق الوقت وطمعت في وجدانه فرصة يكتب فيها تفسيرا على طريقته في الدرس فلما رأيت الأعمال قد كثرت وفتح

لها مع منصب الافتاء أبواب جديدة شرعت في كتابة التفسير على تلك الطريقة كما اقترح علي بعض اهل العلم والفضل. وكنت في البداية لا أكاد أزيد على خلاصة ما يقرره في الدرس الا قليلا اذ لم يكن في نيتي تجريد ما يكتب منه في المنار وجعله كتاباً مستقلا. ثم رأيت من الواجب بسط القول وطبع التفسير على حدته عند سنوح الفرصة ففعلت باجازته رحمه الله تعالى واستحسانه. فكان المختصر نصف الجزء الأول من سورة البقرة عرضته عليه بعد ذلك فقرأه وزاد فيه ما رأى حاجة الى زيادته ومنها ايضاح الكلام في الملائكة وأجاز باقي ما كتبناه كما هو فكأنه هو الذي كتبه .

رأى رحمه الله تعالى ان هذا التفسير الذي ننشره على طريقته التي تلقيناها عنه ونودعه اختياره وفهمه وفقهه في القرآن هو الضالة المنشودة وانه لا حاجة معه الى أن يكتب هو بيده تفسيرا ولكنه كان عازما على تأليف كتاب يكون مقدمة لهذا التفسير يبين فيها حاجة البشر الى ما في القرآن من الاصلاح العظيم، والهدي القويم، على طريقة رسمها، وأعدّ لها عدتها، واني لأرجو من عناية الله وفضله أن يوفقني لوضعها على الوجه الذي فصله لي تفصيلا، وأن يحقق أمله في هذا العاجز باقداره على اتمام التفسير فانه قد صرح بهذا الأمل وبآمال أخرى من جنسه « وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب »

ذلك أمله في التفسير ومقدمته وأما تاريخ الاسلام فقد كان عزم على تأليف كتاب فيه بعد أن أتم تدريس كتاب (دلائل الاعجاز) وكان قد كثرت الاقتراحات عليه في اختيار ما يقرأ بعده في وقته ومنها اقتراح السيد علي البيلاوي شيخ الأزهر لذلك العهد (رحمه الله تعالى) أن يقرأ تاريخ الاسلام اذ لا يقدر على ذلك غيره ورأيته نور الله مضجعه يعتذر بأنه لا يوجد عند المسلمين تاريخ ديني فيدرس فعززت رأي شيخ الأزهر وجاء أن يكتب هو ما يقرأ فما كان الا أن شرح الله صدره وعزم على أن يكتب فنطبع ما يكتب كراساً بعد آخر وهو يدرسه في الازهر - التدريس يتبع الطبع والطبع يتبع التأليف. ولكن حال دون ذلك ما كان من الاحداث في مقاومة الاصلاح التي انتهت باستقالته من ادارة الازهر في إثر استقالة شيخ الازهر وحرم الاسلام بتلك الفتن « أو الشغب » كما قيل من هذه الخدمة الكبرى التي

يعز علينا أن نجد عنها عوضاً ولكن ماخسرناه بوفاة الرجل أعظم والأمر لله العلي الكبير

تلك أقرب آمال الرجل في خدمة دينه وأمته واما آمال الامة فيه فقد كانت عظيمة تتناول المصالح العامة والخاصة فكم من غيور على ملته و بلاده كان في نفسه أن يقوم بأعمال نافعة بارشاد من فقدنا واسعاده ، وكم من متعلم ذكي كان يود أن يضع كتباً نافعة بهديه وامداده ، وكم من عامل كان يرجو الرقي في عمله بجاهه وشفاعته ، وكم من عائل كان ينتظر الاستغناء بكرمه ومساعدته ، وقد ماتت بموته أكثر هاتيك الآمال ، وانقطع الرجاء من أكثر تلك الاعمال

وقد أشار الى تلك الآمال في ابيات قالها قبل موته اذ كان أشيع خبر موته قبل الوفاة بأيام فبلغه ذلك فجالت نفسه في آماله وامانيه للامة وآمال الناس فيه فجاش في نفسه الشعر فأنشد

ولست أبالي أن يقال محمد ... أبلّ ام اكتظت عليه المآتم(١)
ولكنه دين أردت صلاحه ... أحاذر أن تقضي عليه العمائم(٢)
وللناس آمال يرجون نيلها ... اذا مت ماتت واضمحلت عزائم
فيارب ان قدرت رُجعى قريبة ... الى عالم الأرواح وانفض خاتم(٣)
فبارك على الاسلام وارزقه مرشدا ... رشيدا يضيء النهج والليل قاتم
يماثلني نطقاً وعلماً وحكمة ... ويشبه مني السيف والسيف صارم

---

(١) أبلّ المريض شفي من مرضه واكتظت المآتم امتلأت وازدحمت بالناس والمآتم جمع مأتم وهو مجتمع الناس في الحزن وهو في أصل اللغة عام في الحزن والفرح ثم غلب على جماعتهن في المصائب ثم نسيت هذه الغلبة (٢) قضاء العمائم على الدين قد يكون بعداوتهم العلوم والفنون التي هي قوام الدول والامم باسم الدين فيكون المشتغلون بها بعداء عن الدين معتقدين انه آفة العمران واصحاب العمائم عاجزين عن الجمع لهم بين مصالح الدنيا والدين حتى يترك بالمرة الا من افراد لا تقوم بهم قائمة (٣) انفضاض الخاتم عبارة عن مفارقة الروح للبدن وهي من اشارات الصوفية

قال هذه الابيات مرة واحدة في حال مؤثرة من غير روية ولا تفكر وكتبها عنه أخوه حموده بك ومصطفى بك الباجوري ولم أكن حاضرا فلما جئت قال لي: قد جاش في نفسي الشعر في غيبتك كأني لا أقول الشعر الا في الحبس أو المرض:— يشير الى تلك القصيدة التي نظمها في السجن أيام الحوادث العرابية — وأنشدني الأبيات فكتبتها على هـذا الوجه وقد وصلت الى الجرائد فنشرتها وذكرت البيت الثاني هكذا

ولكن ديناً قد أردت صلاحه   أحاذر أن تقضي عليه العمائم

ثم قال انه خطرت له أبيات أخرى بعد ذلك وأنشدنيها فكتبتها ورأيته قد ترك فيها ألف التأسيس كأنه نسيه أو أذهله عنه المرض وهذه الأبيات في وصف المرشد الذي طلبه في دعائه ذكر منها بيت واحد في بعض الجرائد الاسبوعية محرفاً فأذكره صحيحاً وهو

ويخرج وحي الله للناس عارياً   عن الرأي والتأويل يهدي ويلهم

هذا مجمل ما يتسع له المنار من سيرة هذا الامام الجليل وأخلاقه ومآثره وأما خلقه فقد كان ربعة بادنا ممتلئا سكا قوي العضل أسمر اللون براق العينين جهوري الصوت مهيب الطلعة عظيم الهامة قال مختار باشا الغازي لو وزن دماغ هذا الرجل لرجح بكل مخ عرف من عظماء الرجال فيما أظن واني لآسف على عدم وزنه اذ لو تحقق ظني لكان من الفخر العظيم لنا ان كان أكبر دماغ عرف في البشر منا: وقد كان في شبابه من أفراد الناس في قوة العضل حتى انه دفع حصانا جامحاً فأرجعه الى الوراء حتى وقع على عقبه. ولكنه كان مع ذلك كثير الأسقام ومبدأ ذلك تسمم صديدي أصابه فغاب عن الوجود أكثر من شهر لا يحس ولا يعي بل كان جسمه يتصبب عرقاً وبعد أن شفي منه كان يعاوده في كل سنة كما كان يعاود النبي صلى الله عليه وسلم سم أكلة خيبر كل عام، واعترته أمراض أخرى أضعفت من قوته ولم تضعف من همته وعزمه وحزمه حتى لقي ربه تغمده الله برحمته ورضوانه. وأسكنه فسيح جنانه. ونفعنا والمسلمين بل وسائر العالمين بسيرته وعلمه آمين

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين لنا اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء، وانا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ تتمة أجوبة الأسئلة الدمياطية ﴾

﴿ ٤ و ٥ — حضور مريم وسارة وآسية مولده (ص) ﴾

(ج ٤٥) أورد في المواهب الأثر الذي فيه بيان ان أولئك النسوة الطوال اللواتي جئن آمنة عند ولادتها هن آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران و بعض الحور العين وقال : « وهو مما تكلم فيه » أي طعنوا في سنده وكم من حديث ضعيف يورده صاحب المواهب ولا ينبه الى طعن المحدثين فيه فلولا أن هذه الرواية من أوهى الروايات لما قال أنهم تكلموا فيها وحسبك أن السيوطي لم يذكرها في الخصائص ولا أبو نعيم في الدلائل ، فلا حاجة الى ذكر سند من رواها وتفصيل القول في جرح رجاله

(ج ٤٦) وأما ما قاله ذلك الرجل في اختلاف العلماء في أمر آسية فهو من الخرافات التي لاقيمة لها عند أهل النقل ، وهي مما ينبذه العقل ، نعم ذكر في بعض كتب التفسير التي تعنى بنقل القصص أن الله تعالى رفع امرأة فرعون الى الجنة وعزوا هذا القول الى الحسن البصري وهو كما قال الألوسي لا يصح بل هو كذب من القصاصين على الحسن

(٦ ولادة الانبياء)

(ج ٤٧) ماذكره في ولادة الانبياء جهل قبيح لاشبهة عليه من كتاب ولا سنة ولا قول صحابي ولا تابعي ولا فقيه مجتهد ولا عالم ولا محدث ولا مؤرخ يعتد به وقد روى المحدثون كل ماقيل في ولادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من صحيح وضعيف ومنكر وموضوع ولم تخطر هذه الفرية على بال أحد منهم فهي

خرافة من مفتريات الجاهلين الذين يتوهمون ان الانبياء منزهون عن الامور البشرية وان الولادة كما يولد الناس نقيصة لاتليق بهم . وليت شعرى كيف تكون الولادة المعتادة نقيصة لمن أودع في هذا الرحم نطفة ثم كان علقة ثم كان مضغة ثم نما في بطن أمه بدم الحيض ؟ أم يقول هؤلاء الجاهلون انهم لم يحمل بهم كما حمل بغيرهم فلم يكونوا من نطف آبائهم ولا من بيوض ودماء أمهاتهم ؟ ان كانوا يقولون ان هذه السنة الالهية في الحمل والولادة نقيصة فقد انكروا ماذكر الله من خلق الانسان في أحسن تقويم . ولم يحسن في نظرهم قوله تعالى بعد ذكر اطوار الحمل « فتبارك الله أحسن الخالقين » ومن العجائب أن يمكن ذلك الجاهل من الكلام على الناس في المسجد فيكفر المسلمين سلفهم وخلفهم إذ لم تخطر هذه الخرافة على بال أحد منهم ويجعل الاسلام والايمان من خصائص من افترى هذه الخرافة ومن صدق بها من الجاهلين

(٦ حياة الانبياء في قبورهم)

(ج ٤٧) لهذه المسألة أصل في الروايات المنقولة ولكن ما أورده لايصح منه شيء لاسيا الخبر الأول وأنا أذكر هنا أشهر ماورد في هذا الباب من الاحاديث (الحديث الاول) عن أوس بن أوس (رض) قال قال رسول الله صلى الله عليه « ومن أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فأكثروا عليّ من الصلاة فيه فان صلاتكم معروضة عليّ » قالوا يارسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت يعني بليت قال « ان الله عز وجل حرّم على الارض ان تأكل أجساد الانبياء » رواه أحمد في مسنده والبيهقي في شعب الايمان وحياة الانبياء وغيرهما من كتبه وأبو داود والنسائي والطبراني في معجمه وابن حبان وابن خزيمة والحاكم في صحاحهم فصححه بعضهم وتبعهم النووي في الأذكار وحسنه آخرون منهم المنذري . لكن قال الحافظ السخاوي بعد ما أورد تصحيحهم وتحسينهم « قلت ولهذا الحديث علة خفية وهي ان حسينا الجعفي راويه أخطأ في اسم جد شيخه عبد الرحمن بن يزيد حيث سماه جابرا وانما هو تميم كما جزم به أبو حاتم وغيره وعلى هذا فابن تميم منكر الحديث ولهذا قال أبو حاتم

ان الحديث منكر وقال ابن العربي انه لم يثبت:لكن رد هذه العلة الدارقطني وقال ان سماع حسين من ابن جابر ثابت والى هذا جنح الخطيب والعلم عند الله تعالى. ثم نبه على ان ابن ماجه سمى الصحابي في كتاب الصلاة من سننه شداد ابن أوس وذلك وهم نبه عليه المزي وغيره ووقع عنده في الجنائز على الصواب

(الحديث الثاني) عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اكثروا من الصلاة عليّ يوم الجمعة فانه يوم مشهود تشهده الملائكة وان أحدا لن يصلي عليّ الا عرضت عليّ صلاته حين يفرغ منها » قلت و بعد الموت قال« و بعد الموت ان الله حرم على الارض ان تأكل أجساد الانبياء فنبي الله حي يرزق » رواه ابن ماجه لكن بسند منقطع والطبراني في الكبير بلفظ قريب من لفظ ابن ماجه وليس فيه «ونبي الله حي يرزق» وكذلك النميري بلفظ آخر. قال الحافظ العراقي ان اسناده لايصح.

(الحديث الثالث) عن أنس (رض) رفعه «الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون» أخرجه البيهقي في حياة الانبياء من طريق يحيى بن أبي بكر عن المستلم بن سعيد عن الحجاج بن الأسود وهو ابن أبي زياد البصري عن ثابت البناني عنه ، ومن طريق الحسن بن قتيبة عن المستلم . وأخرجه أبو يعلى والبزار من الوجه الأول والبزار وابن عدي من الثاني والحسن ضعيف . قال السخاوي وأخرجه البيهقي أيضا من رواية محمد بن عبد الرحمن ابن أبي ليلى عن ثابت بلفظ آخر قال « ان الأنبياء لايتركون في قبورهم بعد أربعين ليلة ولكنهم يصلون بين يدي الله حتى ينفخ في في الصور. » قال ومحمد سيء الحفظ اه أقول حديث أنس هذا رواه ابن حبان وقال باطل وذكره ابن الجوزي في الموضوعات وقواه في اللآلئ بشواهده

وهذه الاحاديث الثلاثة هي عمدة القائلين بحياة الاجساد ولم يصرح بها الثالث. وهناك روايات أخرى في ان الصلاة والسلام عليه يبلغها ملك أو ترد روحه فيعرض عليها ذلك ونذكر اشهرها

(الحديث الرابع) عن عمار بن ياسر (رض) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان لله ملكا أعطاه الله أسماع الخلائق فهو قائم على قبري اذا مت فليس أحد يصلي عليّ

صلاة الا قال يا محمد صلى عليك فلان بن فلان» الحديث رواه أبو الشيخ ابن حبان وأبو القاسم التيمي في الترغيب والحارث في مسنده وابن أبي عاصم والطبراني في الكبير والبزار في مسنده وغيرهم وفي سند الجميع نعيم بن ضَمضَم وفيه خلاف عن عمران قال المنذري لا يعرف قال السخاوي بل هو معروف لينه البخاري (أي قال في حديثه لين أي ضعف ما) وقال لا يتابع عليه وذكره ابن حبان في ثقات التابعين وقال صاحب الميزان أيضاً لا يعرف. هذا كلامهم في عمران وحسبك قول البخاري بلينه وعدم متابعته وأما نعيم بن ضمضم فقد قال الذهبي في الميزان ضعفه بعضهم وقال الحافظ ابن حجر انه لا يعرف لأحد فيه قولا غير قول الذهبي هذا

(الحديث الخامس) عن أبي امامة الباهلي (رض) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من صلى علي مرة صلى الله عليه بها عشراً بها ملك موكل حتى يلقيها: رواه الطبراني في الكبير من رواية مكحول عنه وقد قيل انه لم يسمع منه وروى له عن مكحول موسى بن عمير وهو الجعدي الضرير كذبه أبو حاتم

(الحديث السادس) عن أبي هريرة (رض) رفعه : من صلى علي صلاة جاءني بها ملك فأقول أبلغه عني عشرا وقل له لو كانت من هذه العشر واحدة لدخلت معي الجنة كالسبابة والوسطى وحلت لك شفاعتي ثم يصعد الملك ينتهي الى الرب الخ ولا حاجة الى ذكره كله وهو مكذوب أخرجه أبو موسى المديني قال السخاوي وهو موضوع بلا ريب. ومثله حديث معاذ الذي فيه : ووكل بقبري ملكا يقال له منطروس رأسه تحت العرش الخ قال السخاوي أخرجه ابن بشكوال وهو غريب منكر بل لوائح الوضع لائحة عليه : وانما ذكرت أمثال هذا الحديث لئلا يغتر بها من يراها في الكتب التي لا يعرف مؤلفوها الحديث

(الحديث السابع) عن ابن مسعود (رض) رفعه «ان لله ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام » رواه أحمد والنسائي والدارمي وأبو نعيم والبيهقي والخلعي وابن حبان وقال الحاكم صحيح الاسناد ولعل هذا أقوى ما في الباب وان كان الحاكم يتساهل في التصحيح حتى انه صحح بعض الاحاديث المنكرة والموضوعة واستدركها على الصحيحين. وقد حسنه غيره وعضدوه بما له من كثرة الشواهد.

(الحديث الثامن) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ولا تجعلوا قبري عيدا وصلوا علي فان صلاتكم تبلغني حيثما كنتم » أخرجه أحمد وأبو داود وصححه النووي وهو معضد وليس صحيحا في نفسه ولكن له شواهد مراسيل من وجوه مختلفة . وفي الجملة ان ما ورد في ابلاغ الملائكة إياه عليه الصلاة والسلام هو أقوى ما في الباب وأما ما ورد في رد روحه وسماعها فهاك أقوى ما ورد فيه

(الحديث التاسع) عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما من أحد يسلم عليّ الا رد الله تعالى اليّ روحي حتى أرد عليه السلام » رواه أحمد وأبو داود والطبراني والبيهقي وحسنه وصححه النووي في الاذكار بل قال الحافظ ابن حجر رواته ثقات واستدرك عليه تلميذه الحافظ السخاوي قال : لكن قد انفرد به يزيد بن عبد الله بن قسيط برواية له عن أبي هريرة وهو يمنع الجزم بصحته لان فيه مقالا وتوقف فيه مالك فقال في حديث خارج الموطأ: ليس بذاك وذكر التقي ابن تيمية ما معناه ان رواية أبي داود فيها يزيد بن عبد الله وكأنه لم يدرك أبا هريرة وهو ضعيف وفي سماعه منه نظر انتهى على أن طريق الطبراني وغيره سالمة من ذلك لكن فيها من لم يعرف : اه ما كتبه السخاوي

وقال ابن القيم : ان هذا الحديث هو الذي اعتمد عليه أحمد وأبو داود وغيرهما من الأئمة في مسألة الزيارة وهو أجود ما استدل به في هذا الباب ومع هذا فانه لا يسلم من مقال في اسناده ونزاع في دلالته

أما المقال في اسناده فمن جهة تفرد أبي صخر به عن ابن قسيط عن أبي هريرة ولم يتابع ابن قسيط في روايته عن أبي هريرة أحد ولا يتابع أبا صخر أحد في روايته عن ابن قسيط . وأبو صخر هو حميد بن زياد وهو ابن أبي المخارق المدني الخراط صاحب العباء سكن مصر ويقال حميد ابن صخر — وبعد ان ذكر الاشتباه في كون هذا الاسم لاثنين وحقق انه واحد — ذكر أن يحيى بن معين واسحاق بن منصور ضعفاه وذكر عن أحمد روايتين احداهما انه قال ليس به بأس والثانية قال انه ضعيف ثم أطال في ذكر الخلاف في عدالته وحقق ان ما تفرد به يستشهد به ولا

يصح . ثم ذكر الخلاف في عدالة ابن قسيط شيخ أبي صخر ومنه قول مالك فيه ليس هناك عندنا : أي لا يعتد بروايته على انه روى عنه وقول ابن أبي حاتم : ليس بقوي : وقول ابن حبان : إنه رديء الحفظ : فان قيل روى له الشيخان قلنا نعم لكن من غير حديث أبي هريرة فروايته عن أبي هريرة هي محل النزاع

(الحديث العاشر) عن أبي هريرة (رض) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى عليّ عند قبري سمعته ومن صلى علي بعيداً علمته » أخرجه أبو الشيخ في الثواب له من طريق أبي معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عنه ومن طريقه الديلمي . كذا قال السخاوي قال وقال ابن القيم انه غريب وذكر عن شيخه ان سنده جيد . ثم ذكر اللفظ الآخر للحديث وهو « من صلى عليّ عند قبري سمعته ومن صلى علي نائياً وكل الله به ملكا يبلغني » الخ وقال أخرجه العشاري وفي سنده محمد بن موسى وهو الكديمي متروك الحديث وهو عند ابن أبي شيبة والتيمي في ترغيبه والبيهقي في حياة الأنبياء باختصار : من صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى علي نائياً أبلغته : ثم قال : وأورده ابن الجوزي من طريق الخطيب واتهم به محمد بن مروان السدي ونقل عن العقيلي انه قال لا أصل لهذا الحديث من حديث الأعمش وليس بمحفوظ اه

أقول هذا ماقاله السخاوي وقال ابن القيم ان هذا الحديث لا يعرف الا من حديث محمد بن مروان السدي الصغير عن الأعمش كما ظنه البيهقي وما ظنه في هذا هو متفق عليه عند أهل المعرفة وهو عندهم موضوع على الأعمش . ثم ذكر أقوال المحدثين في جرحه . وذكره الشوكاني في الموضوعات وقال في اسناده كذاب

أقول هذه الاحاديث أشهر وأقوى ماروي في هذا الباب وقد رأيت ما للأئمة الحديث فيها من الكلام والطعن في رجالها ومن عرف أسانيد أمثال هذه الأخبار وتاريخ رجالها تجلى له فضل البخاري ومسلم واحتياطهما في صحيحيهما . وهي في مجموعها تدل على أن الأنبياء أحياء في البرزخ ولكن هذه الحياة غيبية لا نعرف حقيقتها وليست هي كالحياة في هذه الدنيا كما حققه ابن القيم في كتاب الروح وغيره من المحققين . واذا لم تنهض هذه الاحاديث حجة على مايجب الايمان به من عالم

الغيب فعندنا البرهان القطعي وهو كتاب الله تعالى الناطق بحياة الشهداء عند ربهم والانبياء أفضل منهم وأجدر بهذه الحياة و بما هو أعلى منها ولكن الواجب علينا أن نفوض العلم بكيفية ذلك الى الله تعالى ولا نقيسه على أمر الدنيا كما فعل بعضهم اذ قالوا ان الأنبياء يأكلون في قبورهم ويشربون وينكحون وكل هذا من الجراءة على عالم الغيب والقول فيه بالرأي . والمتبادر من قوله تعالى « أحياء عند ربهم » أن هذه العندية أعلى من الثواء في القبور وقد ورد فيها أحاديث بأن أرواحهم تسرح في الجنة أو تكون معلقة بالعرش ولا محل لايرادها هنا وانما نقول ان الواجب علينا هو أن نعتقد أن الموت ليس عدماً محضاً وأن في البرزخ حياة قبل حياة الآخرة وكلاهما من عالم الغيب الذي نفوضه الى الله تعالى . وقد ورد في حديث ابن عباس مرفوعاً ان الرجل اذا سلم على ميت يعرفه رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام وقد صححه ابن عبد البر . أفنقول ان حياة كل ميت ورد روحه اليه اذا صح هو كحياة الانبياء والشهداء ؟ كلا انها حياة غيبية لاينكرها الا منكر البعث والآخرة ولا يقول فيها بالرأي والقياس الا المتجرىء على الكذب المستهزىء بالدين والله ولي المتقين

وأما ماذكره ذلك الجاهل من أثر علي وفاطمة عليها السلام فهو من اختلاق غوغاء العامة . وأما حكاية الرفاعي فقد ذكرها شارح القاموس لعلي أبي شباك الرفاعي لا للشيخ أحمد الرفاعي وهي من الحكايات المملوءة بها كتب القصص لاتدخل في باب الاحتجاج الشرعي وسيجيء ذكرها وذكر أمثالها في مبحث الخوارق والكرامات الذي كان آخر عهدنا ببيان أنواعه ووجوه تأويلها المجلد السادس وسنعود اليها ان شاء الله تعالى

استدراك

بعد كتابة ماتقدم وطبع بعضه راجعت اسم عبد الرحمن بن ميسرة راوي الحديث الأول وحجاج بن الاسود راوي الحديث الثالث في الميزان للحافظ الذهبي فاذا به يقول: عبد الرحمن بن ميسرة عن أبيه ضعيف قاله يحيى وقد وهاه ابن حبان (أي قال انه واه أي شديد الضعف) ووهم حيث يقول عبد الرحمن بن بديل بن

ورقاء وقواه غيرهما :

وقال : حجاج بن الاسود عن ثابت نكرة ماروى عنه فيا أعلم سوى مسلم بن سعيد فاتى بخبر منكر عنه عن أنس في أن الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون رواه البيهقي

﴿ ٨ – عدد الانبياء ﴾

(ج ٤٩) وردت أحاديث في عدد الانبياء لا يصح منها شي ، منها حديث ابي ذر عند الحاكم والبيهقي انهم ١٢٤ ألفا وان المرسلين ٣١٣ ومنها حديث أبي الدرداء يخالفه في عدد المرسلين ففيه أنهم ٣١٥ وهو عند احمد والطبراني وابن حبان والحاكم والبيهقي في الاسماء ومنها حديث أنس عند الحاكم وابن سعد أنهم ثمانية آلاف نصفهم من بني اسرائيل ومنها حديث جابر عند ابن سعد وابي سعيد عند الحاكم « أني خاتم ألف نبي أو أكثر » . وروي عن كعب أنهم ألف ألف واربع مئة ألف واربعة وعشرون ألفا (اي نحو مليون ونصف) والذي عليه المحققون وذكروه في كتب العقائد انه يجب الايمان بأن لله تعالى أنبياء كثيرين هو يعلم عددهم وأن منهم من ذكره تعالى في كتابه العزيز فنؤمن بهم تفصيلا ومنهم من لم يذكرهم كما قال « منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك » وقالوا ان من عدّ فأخطأ فلا يخلو من أن يكون زاد في الأنبياء من ليس منهم أو نقص منهم من هو منهم من غير خبر عن المعصوم متواتر بل ولا صحيح . وأما ما قاله ذلك الرجل في شعر لحية النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فهو من سوء الأدب

هكذا عمّ الجهل فصار الناس يكذبون على الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ويروج كذبهم في العامة لاسيا اذا كان في سياق تعظيم الانبياء ، وما بالنا لا نعظم الانبياء عليهم الصلاة والسلام ببيان ما آتاهم الله تعالى من الفضائل ولا نتخذهم قدوة ونمتثل قول الله تعالى « فبهداهم اقتده » وقوله « لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر » ؟ ان هذا يشق على المفتونين بالدنيا ولكن الكذب يسهل عليهم ، ويجذب قلوب جهلة العامة اليهم ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

« قصة المولد لديبع »

(س ٥٠) من أحد أهالي (جوهر) في جنوب ميلاي

أنكر أحد طلبة العلم وهو رجل غريب قراءة قصة المولد النبوية للديبعي ولعله غير المحدث بدعوى أن فيها كذباً وخرافات والقصة المذكورة مما يداوم على قراءتها للعوام عدد وافر من الذين تعتقد فيهم الولاية يقولون للعوام ان روحانية المصطفى صلى الله عليه وسلم تحضره من أوله الى آخره وتحضر في غيره عند القيام فقط فترى معظم أهل هذه البلاد قصة المولد المذكورة فهي قد مرت على سمع الجم الغفير من العلماء ولم ينكرها غير الرجل المذكور فهل هو مصيب أم لا؟ أفيدوا والله يبقيكم للأمة

(ج) الصواب ماقال ذلك الطالب الغريب ولعله من الغرباء الذين ذكروا في حديث مسلم « بدا الدين غريبا وسيعود غريباً كما بدا فطوبى للغرباء » وقد قرأت طائفة من هذه القصة فاذا بصاحبها يقول في فاتحتها « فسبحانه تعالى من ملك اوجد نور نبيه محمد صلى الله عليه وسلم من نوره قبل أن يخلق آدم من الطين اللازب ، وعرض فخره على الاشياء ، وقال هذا سيد الأنبياء وأجل الاصفياء ، وأكرم الحبائب ، قيل هو آدم قال آدم أنيله به أعلى المراتب ، » ثم ذكر ابراهيم وموسى وعيسى بمثل هذه الاسجاع الركيكة فهذا كذب صريح على الله تعالى لم يروه المحدثون . ثم رأيته يذكر (في ص ٦ و ٧) حديثين أحدهما عن ابن عباس رفعه ان قريشاً كانت نورا بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق آدم بألفي عام يسبح الله ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه الخ وهذا كذب ظاهر أيضاً وقريش كانت قبل الاسلام مشركة وعند ظهور الاسلام كان منها أشد الناس كفراً وإيذاء للنبي صلى الله عليه وسلم وصدا عن سبيل الله فما معنى ذلك الأصل النوراني الذي يناقضه هذا الفرع الظلماني . والثاني أثر عن كعب الاحبار لا يصح وقد سماه مؤلف القصة حديثاً لجهله

أما قول قراء هذه القصة من المحتالين على الرزق بدعوى الولاية ان روحانية المصطفى تحضر مجالسهم التي يكذبون فيها عليه فمثله كثير من أولئك الدجالين

ولا علاج لهذا الجهل الا كثرة العلماء بالسنة والدعاة اليها بين المسلمين وذلك بساط قد طوي وان كثيرا من المسلمين ليعادوننا ولا ذنب لنا عندهم الا الانتصار للسنة السنية والدعوة الى الله ورسوله بالحق لا بالأهواء

وأما قولكم : ولعله غير المحدث : فلا حاجة اليه لأن هذه القصة منسوبة الى رجل مجهول يسمى ديبعاً بدال مهملة فموحدة فمثناة تحتية فعين مهملة ولا يوجد محدث بهذا الاسم ولعلكم ظننتم أنهم يعنون به عبد الرحمن بن علي بن محمد بن عمر بن علي الشيباني (أبي علي هذا) بالديبع كحيدر بتقديم المثناة التحتية على الموحدة ولو كان هو لصرحوا بنسبته اليه

﴿ فائدة عظيمة في بحث العمل بالحديث الضعيف ﴾

اذا رأى من لم يشتغل بعلوم الحديث ماذكرناه في تخريج الاحاديث التي ذكرناها في هذا الجزء وما قبله ونحوها يظهر له فضل المحدثين بعض الظهور ويعلم منه غير المسلم أنه لم تعن أمة بضبط دينها كما عنيت الأمة الاسلامية . هذا وان ماذكرناه لم نقصد به الاستقصاء ولم نراجع فيه جميع الكتب التي خرجت هذه الاحاديث اذ لا توجد كلها عندنا ولم نر حاجة الى البحث عنها مع حصول المقصود فيما ذكرناه

هذا وان كثيرا من المحدثين قد تساهلوا في تخريج الأحاديث التي وردت في الفضائل والترغيب والترهيب لاعتقادهم جواز العمل بالضعيف منها مالم يكن شديد الضعف قال النووي بل قال بعضهم يستحب العمل به لأنه من الاحتياط وجعلوا الاحتياط من هذا القبيل

قال السخاوي وقد سمعت شيخنا (يعني الحافظ ابن حجر) يقول وكتبه لي بخطه ان شرائط العمل بالضعيف ثلاثة (الاول) متفق عليه ان يكون الضعف غير شديد فيخرج من انفرد من الكذابين والمتهمين بالكذب ومن فحش غلطه (الثاني) ان يكون مندرجا تحت أصل عام فيخرج مايخترع بحيث لا يكون له أصل أصلا (الثالث) ان لا يعتقد عند العمل به ثبوته لئلا ينسب الى النبي صلى الله عليه

وسلم مالم يقله (قال) والاخيران عن ابن عبد السلام وعن صاحبه ابن دقيق العيد والأول نقل العلائي الاتفاق عليه . ونقل عن الامام أحمد أنه يعمل بالضعيف اذا لم يوجد غيره ولم يكن ثَمَّ مايعارضه . ونقل ابن منده عن ابى داود أن الامام أحمد يخرج الاسناد الضعيف اذا لم يجد في الباب غيره وأنه عنده أقوى من رأي الرجال

فالمذاهب في الحديث الضعيف ثلاثة مانقل عن أحمد بشرطه المذكور آنفا ومذهب الجمهور الذين يشترطون فيه الشروط الثلاثة المتقدمة . والثالث أنه لايجوز العمل به مطلقا وهو ماصرح به ابو بكر ابن العربي المالكي .

قالوا وأما الموضوع فلا يجوز العمل به مطلقا ولا روايته الا مع بيان وضعه واستدلوا على ذلك بحديث سمرة (رض) عند مسلم في الصحيح «من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين » ويروى « يرى » بضم الياء أي يظن وفي « الكاذبين » روايتان التثنية والجمع . وأنت ترى ان بعض الأحاديث التي لاتصل الى درجة الوضع في اصطلاحهم قد يظن الظان انها كذب بل قد يعتقد ذلك بقرائن قوية ككون اسلوب الحديث وعبارته كعبارات المولدين وكون معناه مخالفا لما هو ثابت في الكتاب أو السنة الصحيحة أو نظام الخليقة المعبر عنه بسنن الله تعالى أو لغير ذلك من الاسباب . ومن فهم القرآن المجيد وعرف السنة الصحيحة لايطمئن قلبه لشيء من تلك الروايات الغريبة في المناقب وان وجد لها متابعات من الضعاف

وههنا مزلة قدم زل فيها كثيرون فصححوا أو حسنوا أحاديث من المناكير والضعاف الشديدة الضعف بحجة أن لها شواهد من جنسها وما كل شاهد يصلح مقويا وان فاقد الشيء لايعطيه

ثم ان باب المناقب الذي ألحقوه بفضائل الأعمال في جواز رواية الحديث الضعيف فيه قد يدخل فيه الاخبار عن عالم الغيب وهو من المسائل التي يطلب فيها اليقين فيروون فيه حديثا منكرا أو ضعيفا واهيا ويسكتون عليه لأنه من باب المناقب فيشيع ويشتهر فيتخذ عقيدة تحكم العامة بكفر منكره وهو ... مثبته الى حقيقة الايمان

وقد يكون هذا النوع من الروايات شبهة على الدين وسبباً في الطعن فيه أو صادًّا لكثير من الناس عن قبوله. انك اذا أردت أن تدعو أهل أوربا أو اليابان الى الاسلام وتشترط عليهم التصديق بأن أجساد الأنبياء لا تبلى وأنهم لم يولدوا كما يولد البشر ونحو ذلك فان مثل هذا الشرط كاف لرفضهم الدعوة وقد علمت أنه لم يرد فى هذا حديث صحيح فضلا عن متواتر فضلا عن آية قرآنية . وهو مخالف لسنة الله في الخلق الثابتة بالمشاهدة وبقوله تعالى «ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا» فاذا اطمأن قلبك لحديث ضعيف أو حسن فى مثل ذلك وصدقت به أيها المسلم فلا ينبغي لك أن تجعله عقيدة دينية وتجعل عدم النص من الصحابة وأئمة السلف على نفيه اجماعاً اذ يجوز أن يكون لم يخطر لهم على بال

واعلم انه ليس من تعظيم الانبياء عليهم الصلاة والسلام تنزيههم عن الصفات البشرية فان هذه نزغة كفر سبق اليها المشركون الذين احتجوا عليهم بمثل ما أخبر الله عنهم بقوله « ماهذا الا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون» وقوله عنهم « مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق » وقوله عن فرعون وقومه «أنؤمن لبشرين مثلنا » وقد ثبت في العقائد ان الأنبياء تجوز عليهم جميع الأعراض البشرية التي لاتنافي تبليغ رسالة ربهم والقرآن ناطق بذلك وهو الحق الذي «لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد»

﴿ ازالة وهم ﴾

يرى كثير من أهل العلم والمعرفة أن من الصواب إقرار العوام على ما يعتقدونه من الخرافات والأوهام في الدين وكتمان ماقاله الائمة من حفاظ الحديث من بيان ضعف بعض الروايات في ذلك أو وضعه ورأيت منهم من يحتج على ذلك بأن لا حجة للعوام تثبت دينهم الا هذه الخرافات فاذا بطل اعتقادهم بها مرقوا من الدين . وهي حجة داحضة فكتمان العلم من الكبائر والباطل لا يؤيد الحق واقرار الخرافات ينفر العقلاء والمتعلمين من الدين والعوام تبع لهم ولو بعد حين . ولولا إقرار العلماء للخرافات لما ظن اكثر العقلاء أنها منه فصاروا يمرقون منه فبيان الحق ينفع العوام والخواص ويحفظ الدين وكتمانه يضيعه «والله يقول الحق وهو يهدي السبيل»

باب التربية والتعليم

بقية الكلام على تقرير مشيخة العلماء في الاسكندرية

﴿ المراقبة العامة على الطلاب ﴾

ذكر في هذا الفصل انه عهد الى تسعة نفر من العلماء في مراقبة الطلاب في مسجد ابي العباس المرسي يتناوبونها ثلاث فيفصلون في المنازعة أو الاساءة العادية التي يكفي في التأديب عليها الزجر والنصيحة والموعظة الحسنة ويرفعون الامر فيما يستحق فاعله العقوبة الى المشيخة ويأمرون بالصلاة مع الجماعة ويكونون مرجعا للطلاب في تصحيح المتون التي يحفظونها وحل المشكلات التي تعرض لهم . وقد كان من عقوبة بعض فاسدي الاخلاق من الطلاب طردهم من معاهد العلم . وعهد الى فريق من العلماء في زيارة الطلاب في مساكنهم يراقبون شؤونهم في معيشتهم و يسألون الجيران عن أحوالهم . ووعد بأن سيعنى بهذه المراقبة في القابل بأكثر مما عني بها في هذا العام . وهذا مما يمتاز به التعليم في الاسكندرية على التعليم في الأزهر فنثني على الشيخ محمد شاكر الثناء الحسن ونرجو له زيادة التوفيق

﴿ الامتحان ونتائجه ﴾

ذكر في هذا الفصل ان مشيخة الاسكندرية رأت أن تمتحن جميع طلاب العلم الخاضعين لنظامها في كل عام . وان تستعين في عملها هذا ببعض المتخرجين في مدرسة دار العلوم . وكذلك فعلت وتم الامتحان قولا وكتابة فكان أن تقدم للامتحان من طلاب السنة الأولى ٣٠٣ من مجموعهم وهو ٣١٢ نجح منهم ١٩١ نقلوا الى دروس السنة الثانية . وتقدم من طلاب الثانية ٥ من ٥٤ فنجح ٤٨ نقلوا الى دروس الثالثة . وتقدم من الثالثة ٣٨ من ٤٢ نجح منهم ٣٥ وتقدم من طلاب الرابعة ٢١ من ٢٤ نجح منهم ١٨ قال

« وقد ألحقنا بناجحي هذه السنة من نجح من طلاب السنة الخامسة ورغب في الاستمرار على طلب العلم الشريف والانقطاع له وهم ثمانية أشخاص مختلفو

المذاهب لايمكن أن تنشيء المشيخة لأجلهم سنة مخصوصة

ثم قال : كان الامتحان الشفهي وسطا في الشدة واللين والتحريري غاية في النظام والترتيب وهذه أول مرة جلس فيها طلاب العلوم الدينية مجلس الامتحان المهيب امام الاساتذة وبين يدي المحبرة والقرطاس يستعملون قواهم العقلية للاجابة عما سئلوا عنه ولكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه عن النظر الى مايفعله غيره اهم وهو من دواعي السرور والثناء على مشيخة الاسكندرية

﴿ مكافأة الناجحين ﴾

ذكر في هذا الفصل ان الأمير وضع مئة جنيه مصري تحت تصرف المشيخة من مخصصاتها في الميزانية لمكافأة جميع الناجحين في هذا الامتحان » وهذه الجنيهات من مال الاوقاف . ثم ذكر ان الذين استحقوا الجائزة ٣٠٠ طالب ونقول ان الناس هنا لم ينسوا انه كان قد خصص المكافأة في الأزهر ٤٠٠ جنيه من مال الأوقاف فما زال الشيوخ الجامدون يتوسلون الى الامير حتى ألغاها وهذا مما تفضل به مشيخة الاسكندرية مشيخة الأزهر

النظام الدراسي

ذكر في أول هذا الفصل ان نظام التدريس في هذه السنة (التي وضع التقرير لها) كان تجربة واختبارا وإن المهم الآن هو النظام للسنين المقبلة . ثم وضع لكل سنة جدولا ذكر فيه الكتب التي تقرأ فيها وأوقاتها والبحث في ذلك وفي الكتب التي اختارها يطول ومن قرأ كلامه فيها علم أنه في حيرة من فقد الكتب التي تصلح لتعليم المبتدئين وله العذر في ذلك فان الكتب الأزهرية لا يوجد فيها ما يصلح للمبتدئ والاستغناء عنها بمثل كتب نظارة المعارف في الفنون العربية وبعض المصنفات الجديدة في غيرها كسرٌ لقيود التقليد وهو مما يتعذر أو يتعسر لاسيما على المبتدىء في العمل ولكن الإصلاح يتوقف على تدريس بعض الكتب الجديدة كما توقف الامتحان والنظام على مساعدة بعض من عرف الطرق الحديثة في التعليم .

إذا كان ثمّ ما يمنع تدريس كتب المعارف في النحو والصرف والبلاغة فما أظن ان شيئاً يمنع من تدريس كتاب (نور اليقين في سيرة سيد المرسلين) الذي ألفه الشيخ محمد الخضري الازهري الداري" اذ لا يوجد في الايدي مختصر السيرة النبوية يصلح للتدريس سواه وله كتاب آخر في تاريخ الخلفاء الراشدين لم أره وأظن انه يصلح للتدريس أيضاً . فهذا جواب ما طلبه في الكلام على دروس السنة الاولى من الارشاد الى مختصر وجيز في السيرة النبوية وتاريخ الراشدين . واذا أراد التوسع في تاريخ الاسلام في غير هذه السنة فلا أراه يستغني عن كتاب أشهر مشاهير الاسلام .

ثم ان الاكتفاء بمختصر البخاري يقرأ في عدة سنين تقصير في الحديث فهذا المختصر يقرأ في سنة واحدة ثم لابد من قراءة غيره ومن العناية بعلم المصطلح ونقد الرجال . ونكتفي بالتنبيه الى هذين الامرين في هذا المقام ونحن نعلم عذر المشيخة في كل تقصير ، ونسأل الله تعالى أن يسهل لها كل عسير ،

وفي التقرير فصول أخرى في المدرسين وفي المساجد المعدة للتدريس فيها وفي مساكن طلاب العلم ، وفي كل فصل منها دلائل واضحة على همة شيخ العلماء وعنايته باتقان عمله

(عبارة التقرير)

نكتفي بما تقدم من القول الوجيز في موضوع التقرير ونختم التقريظ والانتقاد ببعض الشواهد على مالاح لنا من التساهل في عبارته لأننا نفي تساهل العلماء بايراد المفردات والاساليب العامية ووضع الكلم في غير مواضعه جناية على اللغة لأن الناس يقلدونهم فيما يكتبون . واني أورد هنا ما يقبل التأويل بتكلف ، وما لا يقبله ولو مع التعسف . وأرى ان صاحب التقرير لو شاء ان ينقحه حتى يسلم من الخطأ الا ما لا يسلم منه المولدون لفعل وعسى أن يفعل في تقرير آخر وهو أهل لذلك

(١) قال في الصفحة الثانية : ولاشية في الخطأ اذا صحبه حسن النية : والشية هي اللون في الشيء يخالف لونه الأصلي ومنه قوله تعالى في وصف البقرة «لاشية فيها » أي لالون آخر في جلدها . وقد استعمل الشية هنا بمعنى العار والعيب بدليل

قوله بعد ذلك : بل العيب كل العيب أن يخطئ المرء ثم يصر على خطأه وقد نبه الى موضعه من عمله عنادا واستكبارا :

(٢) وقال فيها : وترغيبا في تربية الشبيبة المصرية : الخ الشبيبة مصدر وقد جعلها هنا وفي مواضع أخرى جمع شاب . وقد سرى اليه هذا من الجرائد

(٣) قال (في ص ٣) : وبالتالي تكون كل الوظائف الدينية : كذا ولفظ التالي لامعنى له هنا والمقام مقام الاضراب

(٤) وجمع النظام في أول الصفحة الرابعة بالنظامات وكرر هذا الجمع في مواضع أخرى وهو جمع مؤنث المصدر غير صحيح اذا أريد به النوع .

(٥ و ٦) وقال فيها وأيدينا مبسوطة بالدعاء لسموه على هذه النعم المتتابعة التي أحسن بها على الامة الاسلامية : علل الدعاء بعلى وعدى به الاحسان وهو غير معروف وهذه الصفحة لاتزيد على أربعة أسطر

(٧) قال في (ص ٥) أقبل الطلاب اقبالا كليا : وهذا الوصف من استعمال الدواوين والجرائد ولا يظهر له وجه عربي وجيه

(٨) وقال فيها : ولكن هذا الفلن لم يثبت زمنا طويلا حتى تبدد : يريد لم يلبث أن زال ولا تفيد هذا المعنى كلمة تبدد اذ معناها تفرق فكان بددا أي حصصا وقالوا تبدد الحلي على صدر الجارية أي أخذه كله

(٩) وقال فيها أسلفنا ان عدد الطلاب الخ أي بينا ذلك فيما سلف ومضى ولم تردفي اللغة بهذا المعنى . وقد يقال انه كقوله تعالى « بما أسلفتم في الايام الخالية » والصواب ان الاسلاف في الآية وان فسروه بما قدمتم من الاعمال الصالحة هو بمعنى السلم ودين السلف فقد سمى الله تعالى الانفاق في سبيله قرضا حسنا في عدة آيات وسماه عند ماذكر الجزاء عليه إسلافا وهذا هو معنى تفسيرهم له بتقديم الاعمال اي جعلها قدامهم وأمامهم ولا يسمى الكلام الماضي إسلافا ولا كل شيء فعل في الماضي اسلافا . هذا ما أجزم به فمن لم يقبله فأنا أترك له هذا الانتقاد جدلا الا أن يأتي بشاهد عربي فاني أتبعه فيه اتباعا

(١٠) وقال فيها ومن مطالعة الجدول المرفق بهذا يتضح كذا . أقول إن

لفظ المرفق بكذا يستعمل في عرف الدواوين بمعنى المرسل مع الشيء يقولون ورقة الحساب مرفقة بورقة الخطاب (مثلا) وهذا خطأ فان أرفق في اللغة لم يرد بهذا المعنى ولكنه ورد بمعنى رفق به ونفعه . على ان استعمال التقرير ليس بمعنى ماتقدم بيانه من استعمال الدواوين وانما يعني بقوله « الجدول المرفق بهذا » الجدول المسطور في هذا الفصل من التقرير كما قال بعد ذلك « جداول الاحصاء المرفقة بهذا الفصل » وما كان أغناه عن لفظ المرفق . ولعله يجعل بعد هذه الجداول عددا يشير اليه بالارقام أو باسماء العدد فيقول ويعلم من الجدول الاول كذا ومن الجدول الثاني كذا :

(١١) وقال فيها : ولكنه على العموم يبشر بكذا :وكتاب الجرائد تستعمل هذه العبارة بمعنى قولهم في«الجملة» والعموم مصدر عمّ ومعناه الشمول ويستعمل في اصطلاح الاصوليين بمعنى استغراق اللفظ لافراد غير محصورين وعند أهل المنطق بنحو هذا ويقابل بالخصوص ولامحل لشرح ذلك هنا وعبارة التقرير ليست من هذا في شيء

(١٢) قال (في ص ٦) وقد يستلفت انظار الباحث الخ وصيغة الاستلفات لم ترد في اللغة وقد سبق لنا ولكثير من الكتاب المدققين استعمالها تبعا للجرائد وكان أول من نبهنا اليها المرحوم الشيخ محمد محمود الشنقيطي فذكرنا ذلك في المنار يومئذ . وقد ورد لفته وألفته

(١٣) واستعمل فيها وفي غيرها لفظ (الاحناف) جمعاً لحنفي وهو غير صحيح

(١٤و١٥) وقال فيها وقد يلاحظ المطلع على احصائية العام المقبل : يعني بالاحصائية الجدول الذي أحصى فيه عدد التلاميذ ولا يظهر لي وجه وجيه لتسميته إحصائية . ولاحظ لا يتعدى بعلى وهو يكثر من قول لاحظ عليه فهو خطأ . والعرب تستعمل لفظ «عام قابل» للعام الذي بعد عام المتكلم وورد في الحديث فلا أدري لماذا يستبدل به صاحب التقرير لفظ المقبل ولم اعده عليه . ومعنى أقبل في اللغة جاء من قبل أي من جهة الامام فلفظ مقبل ليس نصا في العام الذي بعد عامك كلفظ « قابل» وليس في الصفحة السابعة والثمن بعدها الا الجداول

(١٦) كتب فوق الجدول الذي في (ص٩) ما نصه « إحصائية طلاب العلم الشريف بثغر الاسكندرية والجهات التابعين لها » فوصف الجهات بوصف المذكر العاقل ولعل هذا سبق قلم أو تحريف من المطبعة

(١٧) وفي هذا الجدول كلمة (أصوان) والصواب أسوان بالسين المهملة ولكن هذا من الخطأ الرسمي الذي عليه الحكومة وبلغنا ان نظارة المعارف صححته لها

(١٨) وفي (ص ١٠) وصف النتائج بالحقة وهي تأنيث للحق وهو لا يؤنث وقد اكثرت الجرائد استعمال الحقة فترى فيها الوطنية الحقة الشريعة الحقة الديانة الحقة، وهو خطأ

(١٩) وقال فيها استعملوها بإفراط: يعني الطريقة والطريقة لا تستعمل استعمالا وكان يحسن ان يقول أفرطوا فيها

(٢٠) وقال فيها: تكليف الطلاب بحفظ : الخ ولم يرد كلف متعديا بالباء بل ورد كلفه الأمر ولكن الفقهاء قد عدوا كلف بالباء فلم نزل كلامهم العذر بتعديته بها ولا نكاد نسلم منه على علمنا به

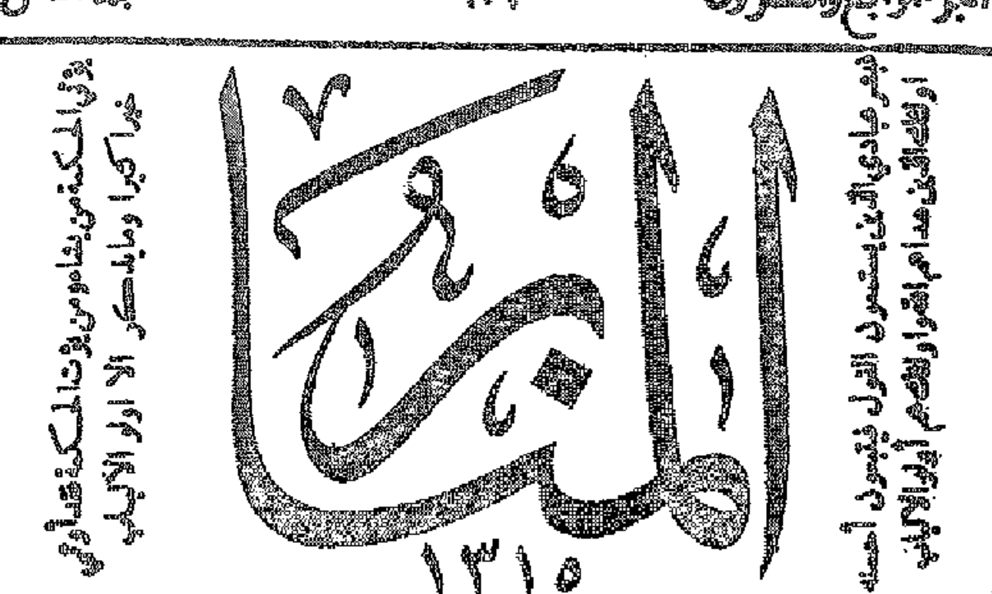
(٢١) وقال فيها « حتى يبلغوا الحد الذي يقتدرون فيه على الاشتغال باقامة الأدلة والبراهين على الذين كانوا يعلمون » وحسب القارئ لهذه الجملة قراءتها فلا حاجة الى بيان ضعفها .

عبارة هذا التقرير الذي يبلغ زهاء ٩٠ صفحة وهذه الاغلاط مستخرجة من اربع صفحات منه قد عدت عشرا لأن منها الاولى وليس فيها الا عنوان التقرير والثانية نصف صفحة. والرابعة اربعة أسطر، والسابعة والثامنة والتاسعة ليس فيها غير الجداول . وفي هذه الصفحات غير ما ذكرنا ولكنه يحتمل التأويل فتركناه . هذا واننا نعتقد أن الشيخ شاكرا هو من أكتب العلماء ونكتفي بهذا النموذج من انتقاد الرسميين ولكنه بكثر قراءة الجرائد فأثرت في نفسه أساليب أكثرها حظوة عنده وهو لكثرة شغله لم يدقق في تحرير عبارة تقريره فجاءت كعبارة بعض الجرائد وانا لم نقدم على انتقاد التقرير الا لعلمنا بسعة صدره وعرفانه لقيمة الانتقاد وقد أشار الى ذلك في المقدمة فله الشكر على هذا الارشاد وعلى خدمته للعلم والتعليم « والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم »

(أبونا آدم ومذهب دارون ٠ من باب الانتقاد على المنار)

كتب الينا بعض القراء وكلمنا بعضهم في إنكار ما كتبه الدكتور محمد توفيق أفندي صدقي في مقالات (الدين في نظر العقل) عن خلق آدم ومذهب دارون . وأنكر بعضهم سكوتناله على ما كتب فنجيبهم (أولا) بأنه ليس من شأن أصحاب الصحف أن يقرنوا رأيهم بكل ماينشرونه لغيرهم و(ثانياً) ان الكاتب قد ذكر ماذكره في المسألة على تقدير ثبوت مذهب دارون ثبوتاً قطعياً وهو غير ثابت عنده الآن فهو يقول ان مذهب دارون في المسألة ظني لايقيني وهو ان ثبت بالبرهان اليقيني فانه لاينقض القرآن بل يمكن أن يؤخذ من القرآن مايوافقه

واعلم ان ماورد في القرآن من خلق آدم من تراب ومن طين قد ورد نظيره في خلق الناس كلهم قال تعالى في سورة الانعام (٦ : ٢) « هو الذي خلقكم من طين» وقال في سورة الصافات (٣٧ : ١١) «فاستفتهم أهم أشد خلقا أم من خلقنا انا خلقناهم من طين لازب » فهل هذه الآيات نصوص قاطعة على ان المخاطبين بها خلقوا من الطين مباشرة ؟ واذا جاز تأويلها جاز تأويل ماورد في آدم وذلك بمثل قوله تعالى في سورة المؤمنين (٢٣ : ١٣) « ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين » ومعلوم ان مادة النسل من الطعام وأصله مواد الارض النباتية . وماورد في خلق الناس من نفس واحدة ليس نصا قطعيافي أن المراد بالناس جميع البشر اذ لو كان ذلك نصا لما قالوا ماقالوا في تفسير قوله تعالى في سورة الاعراف (٧ : ١٨٩)« هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها » وهو ان الخطاب لقريش والمراد بالنفس الواحدة ابوهم قصي وذلك ان الله تعالى أخبر عن هذه النفس الواحدة وعن زوجها أنهما جعلا له شركاء وآدم لم يكن مشركا . وقد سبق لنا بيان آخر لمعنى الآية والمراد هنا ان اختلاف المفسرين في معنى الآية دليل على أنها ليست نصا قطعياً في ان النفس الواحدة آدم . وليت شعري ماذا يضر المسلمين بيان المخرج من اعتراض الكفار على القرآن فمن لم يعجبه هذا الجواب فليأت بأحسن منه وليعتقد غير هذا وذلك فانما غرضنا بيان أن كلام الله تعالى حق لاسبيل الى نقضه بحال



(قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صوى و«منارا» كمنار الطريق)

﴿ مصر السبت ١٦ ذي الحجة سنة ١٣٢٣ — ١٠ فبراير (شباط) سنة ١٩٠٦ ﴾

باب الانتقاد على المنار

﴿ اشتراط الولي في النكاح ﴾

قد تكرر القول منا بأننا ننشر في المنار كل ماينتقده أهل العلم علينا ونبدي رأينا فيه ونترك الترجيح للقراء والحق أبلج لايخفى على ذي البصيرة . وانا نحب أن ننشر ذلك في آخر جزء من السنة الا أن يكون الانتقاد يتعلق بشبهة على الاعتقاد أونحو ذلك مما يضر تأخير نشره . وقد ورد علينا في ذي الحجة من السنة الماضية انتقاد من أحد فقهاء الحنفية في الهند على ما كتبناه في مسألة اشتراط الولي في النكاح وكان الجزء الرابع والعشرين قد كتبت أصوله فأخرت الانتقاد ونسيته زمناً ولما راجعت الآن مالدي مما انتقد به عليَّ رأيته مع آخر فجعلته في أول الباب فأنا أنشره ثم أجيب عنه بما يتسع له الباب . قال المعترض بعد البسملة والحمد والاستعانة ما نصه :

«أما بعد فما أغرب المنار ما أتى به في مجلته (كذا) (الجزء الثاني عشر من المجلد السابع) بان الولي لا بد منه للنساء (كذا) في عقد النكاح سواء كن بالغات أم لا وانه لا يجوز نكاح المرأة بغير الولي وزعم ان قول الامام ابي حنيفة رحمه الله بعدم اشتراط الولي في نكاح المرأة المكلفة مخالف الكتاب والسنة وقول الصحابة واستدل على دعواه بحجج ليست بنص على ما ادعى ، واستدلالات غير مثبته لما نطق وقضى ، فأردنا في هذه المقالة كشف الستر عن وجه هذه المسئلة ورفع الحجاب عن ساحة تلك القضية فأقول و بالله التوفيق ان قول الامام في هذا الباب هو الموافق للكتاب المبين وسنة رسول رب العالمين وآثار الصحابة والتابعين

أما كتاب الله تعالى فقد قال جل وعلا « فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره » فانه سبحانه نسب النكاح الى النساء وان كان لا يجوز بدون الرجال ما نسبه اليهن (كذا) بل الى الاولياء . وأما قوله تعالى « وأنكحوا الايامى منكم » فهو وان كان فيه خطاب مع الرجال الذين يتولون العقد لكن لا يفهم منه اشتراط الولي وانه لا بد منه كذلك قوله تعالى « واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن

فلا تعضلوهن ان ينكحن أزواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف» لا يفهم منه أيضا اشتراط الولي بل ليس فيه ذكر الولي حتى يستدل به على الاشتراط أو عدمه فان الخطاب في « فلا تعضلوهن » للازواج لا للاولياء كما فهمه صاحب المنار كيف و ينتشر منه الكلام و يتفكك به النظام فان الخطاب في اذا طلقتم مع الازواج قطعا واذا كان الخطاب في «فلا تعضلوهن » مع الاولياء لا مع الازواج ينتشر الكلام و يتعذر فهم المرام وكلام الله تعالى عما يصفون كما حققه الرازى في تفسيره حيث قال اختلف المفسرون في أن قوله فلا تعضلوهن خطاب لمن؟ فقال الاكثرون انه خطاب للاولياء وقال بعضهم انه خطاب للازواج وهذا هو المختار الذى يدل عليه أن قوله تعالى « اذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن» جملة واحدة واحدة مركبة من شرط وجزاء فالشرط قوله اذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن والجزاء قوله فلا تعضلوهن ولا شك ان الشرط وهو قوله اذا طلقتم النساء خطاب مع الازواج فوجب ان يكون الجزاء وهو قوله فلا تعضلوهن خطابا معهم أيضا اذ لو لم يكن كذلك لصار تقدير الآية اذا طلقتم النساء ايها الازواج فلا تعضلوهن أيها الاولياء وحينئذ لا يكون بين الشرط والجزاء مناسبة أصلا وذلك يوجب تفكك نظم الكلام وتنزيه كلام الله عن مثله واجب .

وأما حديث معقل بن يسار قال كانت لى أخت فأتاني ابن عم فانكحتها اياه فكانت عنده ما كانت ثم طلقها تطليقة ولم يراجعها حتى انقضت العدة فهويها وهويته ثم خطبها مع الخطاب فقلت له يالكع اكرمتك بها وزوجتكها فطلقتها ثم جئت تخطبها والله لا ترجع اليك ابدا وكان رجلا لا بأس به وكانت المرأة تريد ان ترجع اليه فعلم الله حاجته اليها وحاجتها الى بعلها فانزل الله هذه الآية قال ففيّ نزلت فكفرت عن يميني وانكحتها اياه . فهو أيضا لا يدل على ان الخطاب مع الاولياء اما تعلم ماتقرر في الاصول من ان العبرة بعموم المعنى لا لخصوص المورد فهذه الآية وان كانت موردها (كذا) الخاص الازواج ولكن لما كانت العبرة لعموم الفحوى دخل فيه عضل معقل بن يسار الذى هو ولى هذه المرأة ففهم أن الآية في نزلت (كذا)

أما قول القائل « ولو كان لها ان تزوج نفسها لفعلت مع ماذكر من رغبتها»

فمدفوع اذ يجوز ان تكون امتناعها (كذا) عن التزوج بعدم تمكنها مخالفة أخيها (كذا) الذى حلف بان لا يزوجها به مع رغبتها اليه (كذا) لأن الغالب في النساء ان يكن تحت تدبير الاولياء وآرائهم ولا يقدرن على المخالفة فى باب النكاح وان كان الاذن الشرعي لهن في ذلك (كذا) كما حققه الرازي في تفسيره حيث قال لم لايجوز ان يكون المراد بقوله فلا تعضلوهن ان يخليها ورأيها في ذلك وذلك لأن الغالب في النساء الايامى أن يتركن الى رأي الاولياء في باب النكاح وان كان الاستئذان الشرعي لهن وان يكن تحت تدبيرهم ورأيهم وحينئذ يكونون متمكنين من منعهن كتمكنهم من تزويجهن فيكون النهي محمولاً على هذا الوجه وهو منقول عن ابن عباس فى تفسير الآية

وكذلك قوله « وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف مافرضتم الا ان يعفون أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح » الآية لا يفيد لدعواكم (كذا) سلمنا ان المراد بالذي بيده عقدة النكاح هو الولي لكن يحمل على الصغيرة كما ان «ان يعفون » على الكبيرة (كذا) غاية مافي الباب أنه يلزم منه ان نكاح الصغيرة لا ينعقد بدون الولي وانه لا بد منه وهذا عين ماذهبنا اليه

وأما سنة رسول الله فمنها مارواه الشيخان عن سهل بن سعد الساعدى قال جاءت امرأة الى رسول الله (ص) فقالت يارسول الله جئت أهب لك نفسي فنظر اليها رسول الله (ص) فصعد النظر فيها وصوبه ثم طأطأ رسول الله (ص) رأسه فلما رأت المرأة انه لم يقض فيها شيئاً جلست فقام رجل من أصحابه فقال يارسول الله إن لم يكن لك بها حاجة فزوجنيها فقال وهل عندك من شيء قال لا والله يارسول الله فقال اذهب الى اهلك فانظر هل تجد شيئا فذهب ثم رجع فقال لا والله ماوجدت شيئاً فقال رسول الله (ص) انظر ولو خاتما من حديد فذهب ثم رجع فقال والله يارسول الله ولا خاتما من حديد ولكن هذا إزاري فقال سهل ماله رداء فلها نصفه فقال يارسول الله (ص) ماتصنع بإزارك ان لبسته لم يكن عليها منه شيء وان لبسته لم يكن عليك منه شيء فجلس الرجل حتى اذا طال مجلسه قام فرآه رسول الله صلعم موليا فامر به فدعي فلما جاء قال ماذا معك

من القرآن قال معي سورة كذا وسورة كذا عددها فقال تقرؤهن عن ظهر قلبك؟ قال نعم قال «اذهب فقد ملكتكها بما معك من القرآن» فقد أنكحها رسول الله (ص) بغير إذن وليها بل ومع عدم التفتيش والتنقيح بحال وليها (كذا) ودعوى الخصوصية لاتسمع بغير دليل (رواية الاكثرين زوجتكها بدل ملكتها)

ومنها ماروأه الطحاوي في معاني الآثار عن أم سلمة قالت دخل على رسول الله (ص) بعد وفاة أبي سلمة فخطبني الى نفسي فقلت يارسول الله انه ليس أحد من أوليائي شاهدا فقال أنه ليس منهم شاهد ولا غائب يكره ذلك قالت قم ياعمر فزوج النبي (ص) فتزوج. ومنها ماروأه سعيد بن منصور في سننه حدثنا أبو الاحوص عن عبد العزيز بن ربيع عن أبي سلمة جاءت امرأة الى رسول الله (ص) فقالت ان أبي أنكحني رجلا وانا كارهة فقال لابيها لانكاح لك اذهبي فانكحي من شئت. فهذه الاحاديث كما ترى دالة على عدم اشتراط الولي وان النساء البالغات لهن ان يباشرن العقد بأنفسهن من غير احتياج الى الرجال

وأما ماروأه البخاري ومسلم وأصحاب السنن وغيرهم لاتنكح الايم حتى تستأمر ولا البكر حتى تستأذن فلا يفهم منه ان حق التزوج (كذا) للرجال دون النساء كيف ومفاد الحديث ان نكاح الايم وكذا البكر لاتنعقدان (كذا) بدون إجازتهما صريحا او كناية وأما ان حقية مباشرة العقد للرجال أو النساء فهو بمعزل عن هذا كيف لا وقد روى هذا الحديث ابن عباس بلفظ الثيب أحق بنفسها من وليها والبكر تستأذن في نفسها وإذنها صماتها والتأويل بان المراد أن لايزوجها الا بأمر صريح تحريف باطل لايقبله العقل السليم والفهم المستقيم

ومنها حديث أبي موسى لانكاح الا بولي: فقد أعله ابن حبان بالارسال كما ذكره الحافظ ابن حجر في بلوغ المرام وتصحيح الحاكم كتحسين الترمذي [illegible] (كذا) وكذلك حديث ايما امرأة نكحت بدون أذن وليها فنكاحها باطل [illegible] فنكاحها باطل فان دخل بها فلها المهر بما استحل من فرجها فان اشتجروا فالسلطان ولي من لا ولي له ايضا ضعيف فان الزهري الراوي انكر عنه [illegible] أخشى ان يكون سليمان وهم كما نقله الحافظ ابن حجر في [illegible] ان

عائشة التي روت هذا الحديث زوجت حفصة بنت اخيها عبد الرحمن وهو غائب بالشام كما اخرجه مالك في الموطأ : فنسبة النسيان الى الزهري كما فعله صاحب المنار كما ترى

والحاصل ان حديث لا نكاح الا بولي : وان كان ينجبر ضعفه بكثرة الطرق لكن لا يساوي درجة الكتاب والصحاح من الاحاديث التي ذكرت فضلا عن ان يكون فاضلا فافهم وأنصف. وكذلك حديث ابي هريرة : لا تزوج المرأة المرأة ولا تزوج المرأة نفسها فان الزانية هي التي تزوج نفسها : رفعه غير محفوظ كيف وا كثر اصحاب هشام بن حسان أحد رواة هذا الحديث كنضر بن شميل وسفيان بن عيينة وغيرهما يرويانه موقوفا وكذا الامام الاوزاعي الذى هو المتابع للهشام (كذا) ايضا يرويه موقوفا قال الشوكاني في نيل الاوطار الصحيح وقفه على ابي هريرة

وقد نقل في عدم (كذا) اشتراط الولي في النكاح عن عثمان وعلي وغيرهما من الصحابة وموسى بن عبد الله والزهري والشعبي وغيرهم من التابعين كما نقله ابن أبي شيبة في مصنفه فتبين بهذا بطلان قول الحافظ ابن المنذر انه لا يعرف عن أحد من الصحابة خلاف ذلك. فتنور بهذا جليا ان كتاب الله وسنة رسول الله وأقوال الصحابة والتابعين كلها تدل على ان نكاح الحرة البالغة العاقلة نفسها (كذا) بغير ولي جائز

هذا حكم الله في دينه وحكمته ظاهرة فان النكاح تصرف في خالص حقها وهي من أهله لكونها عاقلة بالغة ولهذا جاز لها التصرف في الاموال واختيار الازواج فلا معنى لاشتراط الولي لصحته غاية ما في الباب ان يكون للولي الاعتراض اذا قصرت في أمر بأن تزوجت بغير كفوء أو بأقل من مهر المثل والله أعلم وعلمه أتم

(عبد الروف البهاري)

هذا ما كتبه بحروفه المعترض لم نصحح منه الا عبارة الرازي وبعض أغلاط الاملاء وهي قليلة وأشرنا الى بعض ما في عبارته من الغلط والضعف بكلمة (كذا) وقد أرسل الينا مقالته بعض قراء المنار الأخيار وكتب الينا في آخرها ما يأتي :

حضرة الفاضل العلامة والماجد الفهامة أدام الله مجدكم

السلام عليكم ورحمة الله وبعد فان مقالتكم في المنار في اشتراط الولي في النكاح لما نظر بعض أحبتي اليها وأمعن فيها كتب لي بما يتضمنه هذا الكتاب فأحببنا ارسالها الى جنابكم رجاء إشاعتها في مجلتكم . وإن شئتم أجبتم عما فيه ولكم الفضل ولا زلتم بخير السيد رحمة الله مهتمم مدرسة جامع العلوم

مظفر بور — الهند

﴿جواب المنار﴾

نشهد الله تعالى انه لو ظهر لنا أن ماقاله هذا المعترض حق لاعترفنا به وهل يمنع المشتغل بالعلم من رؤية الحق حقا والاعتراف به الا التعصب لمذهب معين يحاول أن يثبت له الحق في جميع مسائل الخلاف وينفيه عن مخالفيه وما نحن بالمتعصبين ، إن نقول الا كما قال إمام دار الهجرة « كل أحد يؤخذ من كلامه ويرد عليه الا صاحب هذا القبر » يعني قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم . واذا كان جماهير علماء الأمة قد اثبتوا في الأصول أن الحق واحد في كل مسألة وأنه لا عصمة في بيان أحكام الشريعة الا للانبياء فليس يعقل أن يكون واحد من الأئمة قد أصاب في كل ماخالف به غيره وأخطأ سائرهم فيه بل يصيب هذا تارة وذاك تارة أخرى والمتأخر اقرب الى الصواب غالبا لأنه يطلع على ماقاله المتقدم ويزيد عليه . وقد قال الامام الشافعي للإمام محمد صاحب الامام ابي حنيفة (رحمهم الله تعالى أجمعين) : ناشدتك الله أصاحبنا (يعني الامام مالكا) أعلم بكتاب الله أم صاحبكم (يعني ابا حنيفة) فقال اللهم صاحبكم وسأله مثل هذا في السنة فاعترف بان مالكا أعلم بها فقال له الشافعي فعلام تقيس أنت وصاحبك . اه بالمعنى . ونحن نعلم ان الشافعي قد أخذ الحديث عن مالك وحفظ الموطأ وزاد عليه في الرواية وكان عربيا يحتج بعربيته ومع ذلك قال طلبت لغة العرب عشرين سنة . ثم ان الامام أحمد أخذ عن الشافعي وزاد عليه في الرواية وكان عربيا فصيحا فالذي يغلب على الظن ويوافق سنة التدريج التي كان بها خاتم النبيين أفضلهم أن أقرب المذاهب الى الصواب في المسائل الخلافية أحمد فالشافعي فمالك فأبو حنيفة رضوان

الله عليهم أجمعين . وليس هذا بقادح في فضل المتقدم بالسبق اذ يوجد في الفاضل مالا يوجد في الأفضل كما مثلنا بالانبياء عليهم الصلاة والسلام فلا يجب أن يكون المتأخر هو المصيب دائما وان تساوى مع سابقه في درجة الاجتهاد وزاد في الاطلاع لما يعرض للمرء أحيانا من الذهول والنسيان وكلال الذهن وغير ذلك من العوارض ولذلك وجب عرض مسائل الخلاف على الكتاب والسنة كما قال تعالى (٤:٥٩) « فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا » والرد الى الله تعالى هو الرد الى كتابه والرد الى الرسول بعد وفاته هو الرد الى سنته لاخلاف في ذلك . والواجب ان يرد ما يتنازع فيه اليهما على انهما الاصل الذي يحمل عليه غيره لالأجل تطبيقهما على قول معين ولو بالتكلف وجعلهما فرعين فان هذا هو التفسير بالرأي الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم « من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار » رواه أصحاب السنن ٣ من حديث ابن عباس موفوعا . اذ تمهد هذا فاليك البحث فيما كتبه المعترض في تطبيق الآيات والاحاديث على مذهبه على ضعفه في اللغة العربية كما علمت من عبارته

(١) استدل بقوله تعالى (٢:٢٢٩) « فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره » على أن المرأة تتولى العقد بنفسها دون وليها لانه أسند النكاح اليها . ونسي أو تناسى أن النكاح هنا لا يصح ان يفسر بالعقد اذ لو فسر به لكانت الآية دليلا على أن المطلقة ثلاثا اذا عقد عليها رجل آخر وطلقها ولم يدخل بها فانها تحل لزوجها الاول وهذا مخالف لمذهب إمامه الذي يريد الانتصار له ولمذاهب الائمة الثلاثة وغيرهم من السلف والخلف فهو تفسير مردود لا يقول به أحد من المسلمين وقد بينا معنى الآية في موضعها من التفسير فراجعها في الجزء الثالث (ص ٤٨١) من هذا المجلد

(٢) زعم ان قوله تعالى (٢٤:٣٢) « وأنكحوا الايامى منكم » الآية يفهم منه اشتراط الولي . ونقول يفهم منه ان الرجال مخاطبون من الله تعالى بتزويج النساء ولم يخاطب سبحانه النساء بتزويج أنفسهن فكيف تزعم ان القرآن يدل على انه شرع للمرأة ان تزوج نفسها . وقد علم من السنة التي جرى عليها السلف والخلف

من الأمة ان الرجال المخاطبين بتزويج النساء هم الاقربون المعبر عنهم بالاولياء لا الاجانب

(٣) وزعم أيضاً ان قوله تعالى (٢٣٢:٢) «فلا تعضلوهن ان ينكحن أزواجهن» لا يفهم منه اشتراط الولي لانه لم يذكر الولي ولأن النظام يتفكك بهذا التفسير. وانا لزعم غريب اعتاد مثله اهل الجدل. كأن هذا القائل ومن نقل عنه أعلم بمدلول الكلام ونظامه من الصحابي الذي قال ان الآية نزلت فيه اذ عضل أخته فلم يرض ان يعيدها الى زوجها الذي طلقها حتى نزلت الآية فيه فزوجها منه، وأعلم بهذا المدلول من الأئمة الثلاثة وسائر علماء السلف والخلف الذين أخذوا بحديث البخاري في سبب نزولها. فراجع تفسيرها في (ص٥٢٧) ومابعدها من هذا المجلد. وما نقله من اختيار الرازي مردود لمخالفته الحديث الصحيح وقول الجمهور باعترافه على أن الرازي أجاب عنه وأشار الى ترجيح مذهب إمامه الشافعي

(٤) زعم ان حديث معقل بن يسار لا يدل على أن الخطاب في النهي عن العضل للأولياء لما تقرر في الأصول من ان العبرة بعموم الفحوى. ونقول ان المراد بعموم الفحوى أن ماورد بسبب خاص لا يقصر على سببه بل يؤخذ بعموم اللفظ فكل رجل منهي عن عضل موليته كمعقل بن يسار. وجعل الخطاب في هذا النهي للأزواج المطلقين لاوجه له في العربية لأن المعنى عليه: لا تعضلوا أيها الأزواج مطلقاتكم ان ينكحن أزواجهن: وما أزواجهن الا مطلقوهن ولا معنى لعضلهن عن أنفسهم. وما قاله من زعم أن النهي للأزواج من أن المراد بأزواجهن من يصيرون أزواجهن على سبيل المجاز المرسل تنافيه الإضافة اليهن على ماحققه الامام عبد القاهر الجرجاني في مثله. واذا لم تكن الآية مع الحديث نصا في أن الرجال هم الذين يزوّجون ويعضلون فليكن ظاهرا في ذلك واين النص أو الظاهر أو الاشارة من الكتاب على مذهب المعترض من أن المرأة تزوج نفسها؟

(٥) مادفع به قولنا «لو كان لها ان تزوج نفسها لفعلت» الخ مدفوع من نفسه وقوله عن الرازي ؟. لم لا يجوز ان يكون المراد بقوله «فلا تعضلوهن» أن تخليها ورأيها: لا يصح سندا لأن الحديث ناطق بأنه كفر عن يمينه واستحضر

زوجها وعقد له عليها ولو كان المراد ماذكره لسكت عن المعارضة أو لأذن لها ان تعقد عليه. ولو كان هو وغيره من الاولياء منعوا النساء مما هو حق لهن لما أقرهم الشرع على ذلك بل لأمرهم بتركهن يزوجن أنفسهن أمرا صريحا

(٦) سلم ان الذي بيده عقدة النكاح في قوله تعالى « الا ان يعفون » الخ هو الولي ولكنه خصه بولي الصغيرة. على أن الخلاف فيه اقوى من الخلاف في المنهيين عن العضل. وهو على قول من ذهب الى أنه الولي حجة من الحجج على ماذهبنا اليه من ان الرجل هو الذي يزوج المرأة وان الشريعة لم تسمح لها بأن تزوج نفسها، وعلى القول الآخر لايدل على ماذهب اليه الحنفية من أن أمرها بيدها اذا كانت راشدة — فهذا مجموع ماذكره من آيات القرآن دليلا على مذهبه وقد رأيت أنه لاحجة له في شيء منه بل هو حجة عليه

(٧) حديث سهل بن سعد حجة على مذهب المعترض في جعل الصداق منفعة فانه صريح في جعل تعليم مامعه من القرآن صداقا وهو لايجيزه وفي عدم استقلال المرأة بتزويج نفسها ورجوعها الى ولاية الامام اذا لم يكن لها ولي كما قال بعض العلماء في تلك المرأة فانه لم يكن يعرف لها ولي من المؤمنين. على أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم هو صاحب الولاية العليا على جميع من آمن به لقوله تعالى في سورة الاحزاب (٣٣ : ٦) « النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض » فولاية الأقربين بعضهم على بعض هي دون ولايته عليه الصلاة والسلام ومن فروع هذه الولاية مانزل فيه قوله تعالى في هذه السورة « ٣٦ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم » وقد نزلت في إباء زينب وأخيها الذي هو وليها تزوجها بزيد. فتزويج النبي عليه الصلاة والسلام تلك المرأة المجهولة لذلك الرجل لاحجة فيه على أنه يجوز المرأة التي لها ولي أن تزوج نفسها أو توكل من تشاء من الرجال في تزويجها كما هو مذهب المعترض الذي يزعم أن حديث سهل حجة له اذ لايقاس أحد به صلى الله عليه وسلم.

وقد ذكر الحافظ السيوطي هذا الحديث في باب اختصاصه (ص) بأنه يزوج

من شاء من النساء بمن شاء من الرجال . واستدل على هذه الولاية الخاصة له (ص) بالآية التي ذكرناها آنفا وقلنا أنها نزلت في زيد وزينب وبحديث أبي هريرة عند البخاري وغيره «مامن مؤمن الا وأنا أولى به في الدنيا والآخرة » وذكر في الباب ما أخرجه ابن سعد عن محمد بن كعب القرظي أن عبد الله ذا البجادين خطب امرأة فلم تتزوجه فسألها أبو بكر وعمر فأبت فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال « ياعبدالله ألم يبلغني أنك تذكر فلانة » قال بلى قال «فإني قد زوجتكها» فأدخلت عليه وهذا الحديث معضد بالآية وبما ورد في الصحيح . فلينظر المنصف الى تحريف هؤلاء المتعصبين يتركون العمل بالحديث فيما هو صريح فيه ويحتجون به على مخالفيهم فيما لا يدل عليه وهكذا شأن من يجعل مذهبه أصلا والكتاب والسنة فرعين يحملان عليه ولو بالتأويل أو يتركان

(٨) حديث أم سلمة فيه حجة على مذهب المعترض فان قولها « ليس أحد من أوليائي شاهدا» دليل على انه كان من المعروف في الاسلام أن المرأة لا يزوجها الا بعض أوليائها وليس فيه أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أبطل هذه السنة حتى يكون حجة على جماهير الأمة القائلين بأن الولي هو الذي يتولى التزويج بل فيه أن عمر ولدها هو الذي زوجها وهو وليها ان صح الاحتجاج بالحديث

وقد استدل الطحاوي (محدّث الحنفية) رحمه الله تعالى بهذا الحديث على ان المرأة لا تتولى بنفسها عقد النكاح وان كانت ثيبا بل توليه الرجال خلافا لما زعم المعترض .

هذا وقد أعلّ المحدثون حديث أم سلمة هذا بان عمر ابنها كان صغير السن يومئذ فانه ولد في الحبشة في السنة الثانية من الهجرة وتزوج (ص) بأمه في السنة الرابعة ، و بأنه عليه الصلاة والسلام لا يفتقر في نكاحه الى وليّ

(٩) حديث أبي سلمة عند سعيد بن منصور غير معروف وسنن سعيد غير متلقاة بالرواية ونسخها مفقودة فما عساه يوجد منها لا يحتج به بمقتضى القاعدة التي قررها ابن الصلاح في تلقي الكتب والاحتجاج بها وأبو الاحوص شيخ سعيد هو سلام بن سليم وقد روى عن عبد العزيز بن رفيع بالفاء (لا بالباء الموحدة

كما ضبطه المعترض) وقد ذكر في تهذيب الكمال جميع من روى عنهم عبدالعزيز ولم يذكر فيهم أبا سلمة . وهذه كنية غير واحد من الصحابة والتابعين . ثم ان ما ينفرد به سعيد في سننه يجب ان يكون محل النظر فقد ذكر صاحب التهذيب وتبعه الذهبي في الميزان عن يعقوب بن سفيان أن سعيدا كان اذا رأى في كتابه خطأ لا يرجع عنه .

والذي روي في هذا المعنى واحتج به الحنفية حديث ابن عباس عند أحمد وأبي داود وابن ماجه والدارقطني أن جارية بكرا أتت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ان أباها زوجها وهي كارهة فخيرها النبي صلى الله عليه وسلم : ورواه الدارقطني عن عكرمة مرسلا وذكر انه أصح . والحنفية يحتجون بالمرسل. وقد حققنا من قبل أن ليس للولي أن يجبر موليته على النكاح والحديث مرسله وموصوله لا يدل على أكثر من ذلك فلا شبهة فيه على القول باستقلال المرأة بتزويج نفسها. فمن قال من الأئمة بنفي الاجبار مصيب فالحق انه هو الذي يزوج برضاها واذنها . ومن قال ان لها ان تستقل بتزويج نفسها فلا دليل له من كتاب ولا سنة بل الكتاب والسنة حجتان عليه

(١٠) زعم ان حديث أبي هريرة عند الجماعة «لا تنكح الأيم حتى تستأمر» الخ لا يفهم منه ان حق التزوج (يريد التزويج) للرجال . ولو قال لا يدل على اشتراطه لكان له وجه أما نفيه الفهم فلا وجه له لأن الكلام مبني على ان سنة الاسلام جارية بتزويج الرجال للنساء فالشارع ينهاهم أن يفعلوا هذا — وهو حق لهم أقرهم عليه بشرطه — الا بعد أمر من الثيب واستئذان البكر . فهو اذا لم يدل على إنشاء مشروعية كون الولي هو الذي يزوج فهو يدل حتما على ان ذلك كان مشروعاً وعليه العمل . ولا تنافي ذلك الرواية الثانية عن ابن عباس فان كونها أحق بنفسها يقتضي أن يكون للولي حق ولها حق هو آكد وهو يتفق مع وجوب استئمارها . والحكمة في هذا التعبير أن الثيب كثيرا ما كانت تخطب الى نفسها وأما البكر فلم تجر العادة بخطبتها الى نفسها بل الى أوليائها ، والثيب لا تستحي أن تصرح برضاها عن خطبها والبكر تستحي وغرض الشارع أن يبين للاولياء ما ينبغي لهم

مراعاته في تزويج موليانهم فحرم عليهم الاكراه والاجبار وأمرهم أن يستأذنوا البكر فيمن يرضونه لها من الخاطبين وأن يكتفوا منها بالسكوت الذي يشعر بالرضى ولا يكلفوها الاذن الصريح وأن يتركوا الثيب وشأنها في الاختيار اذا خطبت الى نفسها واليهم فلا يزوجوها بمن يخطبها اليهم الا بأمر صريح منها لأنها لا تستحي من التصريح بمن ترضى وتختار . هذا هو مفهوم مجموع الروايات ولو فهم الصحابة منه أن الثيب تعقد على نفسها لفعل ذلك كثيرات منهن ولكن لم يرد ذلك من أحد في رواية سالمة من العلل « وفي مختصر مشكل الآثار أن الذي للمرأة قبل الحق في عقد نكاحها أن تأذن فيه لوليها وتوليه ذلك فيكون العقد منه عليها عقداً منها على نفسها لان عقود الوكلاء في هذا مضافة الى آمريهم وبهذا الجمع بين الروايات نقول

(١١) اقتضب المعترض الكلام في اعلال حديث « لا نكاح الا بولي » مع علمه بما ورد في تصحيحه قال في نيل الاوطار بعد ان أورد حديثي أبي موسى وعائشة في المنتقى معزوين الى الامام أحمد وأصحاب السنن ماعدا النسائي ما نصه: «حديث أبي موسى أخرجه أيضاً ابن حبان والحاكم وصححاه وذكر له الحاكم طرقاً وقال وقد صحت الرواية فيه عن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عائشة وأم سلمة وزينب بنت جحش ثم سرد تمام ثلاثين صحابيا . وقد جمع طرقه الدمياطي من المتأخرين . وقد اختلف في وصله وارساله فرواه شعبة والثوري عن أبي اسحق مرسلا ورواه اسرائيل عنه فأسنده . وأبو اسحق مشهور بالتدليس . وأسند الحاكم من طريق علي بن المديني ومن طريق البخاري والذهلي وغيرهم أنهم صححوا حديث اسرائيل وحديث عائشة أخرجه أيضا أبو عوانة وابن حبان والحاكم وحسنه الترمذي وقد أعلّ بالارسال وتكلم فيه بعضهم من جهة ان ابن جريج قال : ثم لقيت الزهري فسألته عنه فأنكره : وقد عدّ ابوالقاسم بن منده عدة من رواه عن ابن جريج فبلغوا عشرين رجلا وذكر ان معمرا وعبيد الله بن زحر تابعا ابن جريج على روايته اياه عن سليمان بن موسى وان قرة وموسى بن عقبة ومحمد بن اسحق وأيوب بن موسى وهشام بن سعد وجماعة تابعوا سليمان بن موسى عن

الزهري . قال ورواه أبو مالك الجنبي ونوح بن دراج ومندل وجعفر بن برقان وجماعة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة . وقد أعلّ ابن حبان وابن عدي وابن عبد البر والحاكم وغيره الحكاية عن ابن جريج بانكار الزهري . وعلى تقدير الصحة لا يلزم من نسيان الزهري له ان يكون سليمان بن موسى وهم فيه» اه كلام نيل الاوطار ومنه تعلم ان ماذكره المعترض من إعلال الحديثين لا يشفي العلة ولا يبرد الغلة وان الحجة بهما قائمة .

(١٢) وأما قوله ان عائشة راوية الحديث زوجت حفصة بنت أخيها الخ أي فهو ضعيف بعمل الراوي بخلاف روايته على طريقة الحنفية فجوابه من وجهين احدها انا لا نسلم ان عمل الراوي بخلاف روايته يبطل العمل بها لأن الرواية حجة بشرطها وعمل الراوي ليس بحجة لأنه غير معصوم لاسيما اذا كان عمله مخالفا لما ورد عن الشارع المعصوم . وثانيهما ان فقهاء مذهب المعترض اوردوا أثر عائشة في كتبهم وذكروا ماقيل في معناه من انها أذنت في التزويج ومهدت أسبابه فلما لم يبق الا العقد أشارت الى من يلي أمرها عند غيبة أبيها ان يعقد . يدل على ذلك ماروي عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه قال كانت عائشة رضي الله عنها تخطب اليها المرأة من أهلها فتشهد فاذا بقيت عقدة النكاح قالت لبعض أهلها: زوج فان المرأة لا تلي عقد النكاح : أسنده البيهقي عنه

(١٣) ثم ان المعترض جاء بعد ايراد ماتقدم بحاصل مردود وهو ان حديث « لا نكاح الا بولي » وان كان ينجبر ضعفه بكثرة الطرق لا يساوي درجة الكتاب والصحاح التي ذكرت . وقد علمت مما تقدم أن الحديث صحيح بل يكاد بكثرة طرقه والعمل به يكون متواترا ، وأن الآيات الكريمة والاحاديث الصحيحة ماذكره المعترض منها وما لم يذكره مؤيدة له لا معارضة

(١٤) ومن غريب أمر المعترض في تحريفه انه قال بعد هذا ان حديث أبي هريرة « لا تزوج المرأة المرأة ولا المرأة نفسها فان الزانية هي التي تزوج نفسها » غير محفوظ مرفوعا ونقل تصحيح وقفه عن نيل الاوطار وهذه عبارة نيل الاوطار فيه: « وحديث أبي هريرة أخرجه أيضا البيهقي قال ابن كثير الصحيح وقفه على أبي

هريرة وقال الحافظ رجاله ثقات . وفي لفظ للدارقطني كنا نقول التي تزوج نفسها هي الزانية : قال الحافظ فتبين ان هذه الزيادة من قول أبي هريرة وكذلك رواها البيهقي موقوفة في طريق ورواها مرفوعة في أخرى » اه فعلم من هـذا أن الجملة الأخيرة من الحديث رويت مرفوعة الى النبي صلى الله عليه وسلم وموقوفة على أبي هريرة . وعبارة أبي هريرة كنا نقول ان الزانية هي التي تزوج نفسها صريحة في ان هذا القول كان فاشيا في الصحابة ومثله لا يفشو بمجرد الرأي فله حكم المرفوع ولو لم يرفع فكيف وقد رفع كما علمت

(١٥) قال ان عدم اشتراط الولي في النكاح منقول عن عثمان وعلي وغيرهما من الصحابة وموسى بن عبد الله والزهري والشعبي وغيرهم من التابعين الخ ونقول ان هذا نقل لم يثبت ولذلك قال الحافظ ابن المنذر انه لا يعرف عن أحـد من الصحابة خلاف ذلك أي خلاف اشتراط الولي . وقد روى الدارقطني عن الشعبي قال ما كان أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه أشد في النكاح بغير ولي من علي كان يضرب فيه : فظهر بهذا كله بطلان قول المعترض « فتنور بهـذا جله أن كتاب الله » الخ بل كتاب الله تعالى وسنة رسوله وأقوال الصحابة والتابعين وعملهم في جملته على ان المرأة لا تزوج نفسـها بل يزوجها من حضر من أوليائها الاقرب فالاقرب برضاها . فان لم يوجد لها ولي رجع أمرها الى امام المسلمين ذي الولاية العامة فهو يزوجها ولهذا خالف أبا حنيفة فيما انفرد به صاحبه محمد بل صاحباه وقالا بوجوب الولي ذكر الطحاوي في شرح معاني الآثار قول الامام أبي حنيفة ان للمرأة الحق في تزويج نفسها بدون ولي قياسا على تصرفهـا في مالها وانه ليس للولي ان يعترض الا اذا تزوجت بغير كفؤ أو بدون مهر المثل قال: وقد كان أبو يوسف يقول ان بضع المرأة اليها وانه ليس للولي ان يعترض عليها في نقصان ماتزوجت عليه عن مهر مثلها ثم رجع الى قول محمد انه لا نكاح الا بولي : اه فاذا كان صاحبا أبي حنيفة (رحمهم الله تعالى) قد خالفاه في هذه المسألة بعد ماعلمـا بما ورد فيها عن الشارع وأصحابه مما لا محل له معه لقياس البضع على المال ، فـما بال هذا المقلد المعترض جاء في آخر الزمان يحرف الكلم عن مواضـعه ليصحح

قول أبي حنيفة على أن في المذهب الحنفي مسائل لاتحصى قد رجح الشيوخ فيها قول صاحبيه على قوله .

وأما ماذكره في حكمة مذهبه فهو وجه القياس الذي بطل بالنص والحكمة البينة لما ثبت بالنصوص هي مابيناه في المنار (ص ٤٦١) من المجلد السابع ونقول في خاتمة البحث ان من يريد الاهتداء بالكتاب والسنة يجب عليه عند النظر فيهما أن ينبذ هواه وتعصبه ويقصد ان يجعلهما الأصل الأصيل الذي يعمل به وينبذ كل ماخالفه لاأن ينظر فيهما التماسا لتأييد قول رجل معين كلامه هوأصل الدين عنده فان وافقته النصوص الالهية قبلها والا حرفها وصرفها عن وجهها على أن المتعصب لرأي ما يعميه تعصبه عن رؤية الحق والمقلد قد قطع على نفسه طريق النظر في الدليل، «والله يقول الحق وهو يهدي السبيل»

﴿ طعام أهل الكتاب ومجاملتهم ﴾

كتب الينا بعض القراء الفضلاء من مسلمي « بوسنه » ما يأتي

الى حضرة العالم الكامل الافخم !

أيها النحرير الشهم الفاضل

مامرادكم بالعبارة الآتية في الجزء السابع من المجلد الثامن من المنار الغراء في صحيفة ٢٥٥ الا وهي « وأراد تعالى ان نجاملهم ولا نعاملهم معاملة المشركين استثنى طعامهم فأباحه لنا بشرط ولا قيد »

وهذا لايصح نظرا الى الظاهر لأنه لابد ان يكون مقيدا بأمور ولا أقل من التقييد بالوجوه التي تبيح أكل مال الغير لنا

وقد وقعت بعد العبارة السابقة في السطر الخامس في تلك الصحيفة أيضاً هذه العبارة « : ولاجل كون حل طعام أهل الكتاب ورد مورد الاستثناء من المحرمات المذكورة بالتفصيل في سورة المائدة » فان الظاهر من تينك العبارتين ان النص الوارد في تحليل طعام أهل الكتاب مطلق لايتقيد بقيد ما أصلا وانه مستثنى من جميع المحرمات الواردة في آية « حرمت عليكم الميتة » الى آخره فيلزم من هذا ان يكون طعام أهل الكتاب حلالا لنا ولو كان مطبوخا من الميتة أولحم

الخنزير أو الدم المسفوح أو الخمر أو غير ذلك

وأما تعليلكم بالمجاملة فلا نسلم انا محرضون عليها من الشارع الا اذا كانت في حدود الشرع . والقول الواقع فى الآية بمقابلة هذا يدل صريحا على ان المراد بحل طعامهم المجاملة معهم في المعاشرة كالاجابة الى دعوتهم ودعوتنا اياهم الى موائدنا وكالمساهلة فى البيع والشراء معهم والا فلا معنى لحل طعامنا بالنسبة اليهم لان الحل من عائد لنا .

وأول الآية وآخرها ينفي صراحة الحل المطلق ويدل على الحل المقيد بالحدود الشرعية فينتج من هذا ان مجاملتنا اياهم وان وسعت فى الشريعة بالنسبة للوثنيين لكنها أيضاً محدودة بالاحكام الشرعية . والا فالمجاملة الكاملة لاتقع الا باتباعهم في الجميع « ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم » . ولسنا مأمورين بل نحن منهيون عن تجاوز حدود الله في مجاملة أخ ديني ولو كان أشرف من فى الارض فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق

ألتمس من فضلكم التفصيل الشافي على هذه الاستفسارات لتزيلوا تحيري في هذا الشأن ولكم من الله الاجر الجزيل ومني المنة العظيمة وان لم يمكن لجنابكم تعريف المراد بالكتابة القصيرة فارجو من مروءتكم ان تكرموني بارسال الاجزاء الباحثة في هذه المسئلة . وان كان عليكم بأس بفصل بعض الاجزاء من المجلد الواحد فأرسلوا المجلد المطلوب بتمامه وأنا أرسل لكم على الفور قيمته ع . ق . م

(المنار) المراد بطعام أهل الكتاب الذى أحله الله لنا هو ما كان حلالا فى دينهم والميتة والدم ولحم الخنزير من المحرمات في التوراة ولم ينسخ المسيح تحريمها وانما أكله النصارى بقول بولس الذي يدخل الفم لا ينجس الفم وانما ينجسه ما يخرج منه وهذا مبالغة منه فى ذم الكلام القبيح . ونحن لا نقول بأن الخنزير يدخل في عموم طعامهم فاذا خالفوا دينهم وأكلوه فأكلهم اياه لا يبيحه لنا . ولا ينافي هذا قولنا ان الله تعالى أباح لنا طعامهم بلا شرط ولا قيد لان هذا بيان للآية ولا شرط فيها ولا قيد . وقد صرح بعض علماء السلف من الصحابة وغيرهم أن المراد بطعام أهل الكتاب في الآية ذبائحهم لأنها مظنة التحريم وغيرها حل بمقتضى الاصل في الاشياء وهو الاباحة الا ماحرم بالنص علينا وعليهم وهو الميتة

المحرمة لعارض ولحم الخنزير المحرم لذاته . وهذا لاينافي الاطلاق في العبارة ولا في بيانها كما قلنا اذلم يعهد في أساليب لغــة من اللغات عند بيان مسألة علمية أو حكم شرعي ان يذكر معها أو معه جميع ماتقرر في بيان مسألة أوحكم آخر يمكن أن يكون له علاقة بالمبين بتقييد أو تخصيص . مثال ذلك اذا قلنا : ان العسل نافع : فان هذا الاطلاق صحيح ولاحاجة لتقييده بقولنا : بشرط أن لايكون آكله أو شاربه محرورا وأن لايسرف في الاكثار منه: واذا قلنا أن الشرب في آنية الزجاج حــلال فلا حاجة في صحة القول الى تقييده بقولنا اذا كان الاناء طاهرا وغير مغصوب: اذا تدبرتم هذا علمتم أنه اذا قال قائل: تستحب مجاملة أهل الكتاب أو برهم: فلا يجب عليه أن يقيد ذلك بقوله : بشرط أن لايشاركهم في عباداتهم وتقاليدهم الدينية ولا يرتكب معهم محرما كشرب الخمر : فان هذا لايدخل في اطلاق القول فيحتاج الى اخراجه بالقيود ولا أقول أنه يدخـل فيها وتعتبر في اخراجه القرائن المعلومة بالضرورة كما يتوهم الضعيف في اللغة

هذا واننا قد فصلنا القول في مسألة الذبائح وطعام أهل الكتاب في المجلد السادس واننا نرسله اليكم فطالعوه وان لاحت لكم شبهة فاكتبوا الينا بها

﴿ مسألة خلق أبينا آدم ﴾

أجبنا في الجزء الماضي عما انتقد به على رأي الدكتور محمد أفندي صدقي في مســألة خلق آدم ومذهب دارون التي جاءت في مقالات (الدين في نظر العقل الصحيح) ثم راجعنا ما كتب الينا في ذلك فاذا بالشيخ قاسم محمد أبي غدير يذكر آية من الكتاب لم نذكرها في جوابنا وهي قوله تعالى « ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب » الآية وهي أقرب الى تأويله من غيرها لأنها تشبه خلق عيسى بخلق آدم وعيسى لم يخلق من التراب مباشرة والضمير في قوله خلقه يحتمل عوده اليه . ثم سأل عن الأحاديث التي تفيد خلق آدم من التراب مباشرة والجواب ان تلك الاحاديث رواية آحاد لاتفيد اليقين ، فان فرضنا أنه ثبت مايناقض شيئاً منها فاننا لانعده ناقضاً للدين ، ولا ننس اننا نؤمن بأن آدم خلق من التراب كما ورد بلا تأويل ، وانما التأويل لالزام المعترض على الدين

آثار علمية وأدبية

(انتقاد شواهد الطبعة الاولى من تفسير ابن جرير)

﴿تابع ص ٣٠ من الجزء الاول﴾

(١١٠) متبذلاً تبدو محاسنه يضع الهِناءَ مواضع النقب

ورد في الرابع ص ١٥١ وهو لدريد بن الصمة وكتب هكذا

* متبدلا تبدوا محاسنه يضع الهنا مواضع النقب

(١١١) أذاع به في الناس حتى كأنه بعلياء نار أوقدت بثقوب

في الخامس ص ١٠٦ وكتب الشطر الثاني هكذا * بعليا٧ نار أوقدت بثقوب *

(١١٢) قريب ثراه ماينال عدوه له نبطاً عند الهوان قطوب

في الخامس ص (١١٧) وكتب الشطر الثاني هكذا * له نبطاً بي الهوان قطوب *

(١١٣) وكنت إذا خصمك لم أعرد وقد سلكوك في أمر عصيب

ورد في الثاني عشر ص ٤٧ وفي الرابع عشر ص ٧ وكتب في كليهما بدل أعرد أعود بواو وبدل أمر يوم . وورد في الثامن عشر ص ١٢ وكتب صحيحا الا في استبدال يوم بأمر

(١١٤) تريك سنة وجه غير مقرفة ملساء ليس بها خال ولا ندب

في الثالث عشر ص ١١٦ وقد كتب بدل خال حال بحاء مهملة وصوابه بخاء معجمة

(١١٥) وقفت على ربع لمية ناقتي فما زلت أبكي نحوه وأخاطبه

وأسقيه حتى كاد مما أبثه تكلمني أحجاره وملاعبه

في الرابع عشر ص ١٤ وكتب الشطر الاول من البيت الثاني هكذا

* وأسقيه حتى كاد مما أتيته *

(١١٦) صداع وتوصيم العظام وفترة وغم مع الاشراق في الجوف لاتب

في الثالث والعشرين ص ٢٥ وكتب الشطر الثاني هكذا

* وعي مع الاشواق في الجوف لاتب *

وقبل البيت: فان يك هذا من نبيذ شربته فاني من شرب النبيذ لتائب

(١١٧) قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم شدوا العِنَاج وشدوا فوقها الكَرَبا

في السادس ص ٢٨ وكتب بدل العناج القناح والعناج الدلاء ماتعنج به من حبل يجعل تحتها مشدودا الى العراقي يكون عونا للوذم والكرب حبل يشد على العراقي ثم يثنى ثم يثلث

(١١٨) لَدْنٌ بهز الكف يعسل متنه فيه كما عسل الطريق الثعلب

في الثامن ص ٩٢ وكتب بدل بهز بهن وبدل فيه فيها

(١١٩) أمرتك الخير فافعل ما أمرت به فقد تركتك ذا مال وذا نشب

في التاسع ص ٤٨ وكتب بدل نشب نسب بسين مهملة وصوابه بمعجمة

(١٢٠) ما ان رأيت ولا سمعت بمثله كاليوم طالي أينق جرب

في السادس والعشرين ص ١١٣ وكتب هكذا

ما ان رأيت ولا سمعت به كاليوم طال أينق حرب

(١٢١) وفي كل حي قد خبطت بنعمة فحق لشأس من نداك ذنوب

في السابع والعشرين ص ٨ وكتب الشطر الاول هكذا

* وفي كل يوم قد حبطت بنعمة *

(١٢٢) كانوا كسالئة حمقاء اذ حقنت سلاءها في أديم غير مربوب

في الاول ص ٤٧ وكتب بدل كسالئة كسائلة وبدل مربوب مزبوب مع ان فيها الشاهد

(١٢٣) فلست لانسي ولكن لملأك تنزل من جو السماء يصوب

في موضعين في الاول ص ١١٣ وكتب هكذا

فلست بانسي ولكن ملائكا تنزل من جو السماء يصوب

وفي الاول ص١٥٢ وكتب الشطر الاول هكذا: فلست بجني ولكن ملأكا، وكتب في الثاني تحدر بدل تنزل ولعله رواية

(١٢٤) حتى اذا سلكوهم في قتائدة شلاً كما تطرد الجمالة الشردا

في أربعة مواضع (١) في الاول ص ١٥٠ وكتب فيه قيافدة بدل قائدة ويطرد بدل تطرد (٢) في الرابع عشر ص ٧ وكتب هكذا

حتى اذاأسلكوهم في قتائده شلا ٧ كما تطرد الجمالة الشردا

(٣) في الثامن عشر ص ٢١ وكتب هكذا

حتى اذا أسلكوم في قتايدة سلا كما تطرد الجمالة الشردا

(٤) في الرابع والعشرين ص ٢٢ وكتب كالثالث الا انه بدل أسلكوم سلكوم

(١٢٥) اسود شرى لاقت اسود خفية تساقوا على حرد دماء الاساود

في التاسع والعشرين ص ١٨ وكتب كرى بدل شري . وفساقوا بدل ساقوا . وبدل خفية حنية

(١٢٦) لاأرى الموت يسبق الموت شيء نغص الموت ذا الغنى والفقيرا

في الرابع عشر ص ٢٧ وكتب هكذا

لا أرى الموت ان الموت شيء يمض الموت الغني والفقيرا

(١٢٧) كأن عذيرهم بجنوب سلى نعام قاق في بلد قفار

في الرابع ص ٥٦ وكتب الشطر الاول هكذا * كان غديرهم بجنوب سلى *

والعذير بالعين المهملة والذال المعجمة الصوت وهو يصف قوما منهزمين

(١٢٨) وشر المنايا ميت وسط أهله كهلك الفتى قد أسلم الحي حاضره

في الاول ص ١٠٧ وكتب الشطر الثاني هكذا * كهلك القناة استسلم الحي حاضره

(١٢٩) سألتاني الطلاق ان رأتاني قل مالي قد جئماني بنكر

وي كأن من يكن له نشب يحبب ومن يفتقر يعش عيش ضر

في العشرين ص ٧١ وفيه رأياني بدل رأتاني وكتب في الثاني يحب بدل يُحْبَب وكلاهما في الشطر الاول والصواب ما كتبنا

(١٣٠) قد شربت الادهيدهينا قليصات وأبيكرينا *

ورد في الثلاثين ص ٥٦ وكتب هكذا

قد رويت الاالدهيد هينا قليصاب وأبيكرينا ٧

الدهداه ماشية الابل صغره وجمعه جمع سلامة وقليصات جمع سلامة لمصغر

قلوص وأبكرنا صغر أبكرا جمع بكر ثم جمعه جمع سلامة

(١٣١) لعمر أبيها لاتقول ظعينتي الا فرّ عني مالك بن أبي كعب

ورد في الصفحة ٦٦ من الجزء السابع عشر وكتب هكذا

لعمر أبيها لاتقول ظعينتي الا رّعني مالك بن أبي كعب ٧

(١٣٢) الا لحا الله بني السعلات عمرو بن يربوع شرار النات

ليسوا أعِفّاءَ ولا أكيات

هكذا أنشدها صاحب اللسان في مادة ن وت وقال انه يريد الناس وأكياس

وورد هذا الرجز في الجزء الثامن ص ١٤٦ هكذا

الا لحا الله بني السعلاب عمرو بن يربوع لئام الباب ليسوا بأعقاب ولا أكئاب

(١٣٣) وصاليات للصِّلي صُلِيّ

ورد في الرابع ص ١٧٠ وكتب بدل وصاليات والصاليات وهو غلط كما كتب الصلا بالالف للصلى والبيت من أرجوزة عجاجية ويريد بالصاليات الاثافيّ وبالصلى الوقود

(١٣٤) يحوذها وهو لها حُوذيّ

من الارجوزة السابقة وورد في الخامس ص ١٩٧ وكتب هكذا

يحوذهن وله حوذي

ثم ذكر الطبري ان فيه رواية أخرى وقد كتبت بالشكل السابق تماما من غير فرق

(١٣٥) وحاصن من حاصنات مُلْس من الاذى ومن قراف الوقس

ورد في الخامس ص ٥ وكتب فيه بدل مُلس ملمس وبدل قراف فراق وهما من ارجوزة للعجاج يمدح الوليد بن عبد الملك والقراف المداناة والوقس الجرب

(١٣٦) أخاف زيادا أن يكون عطاؤه أداهم سودا ومحدرجة سمرا

في الرابع ص ٨٣ وكتب بدل أداهم دراهم وهو غلط والأداهم القيود

(١٣٧) الله يعلم انا في تلفتنا يوم الفراق الى أحبابنا صور

في الثالث ص ٣٣ وقد كتب بدل تلفتنا تلقينا وهو تحريف يخل بقوام البيت

وبدل أحبابنا جيرانا ولعلها رواية وما ذكرناه رواية اللسان في مادة صور

(١٣٨) صرت نظرة لو صادفت جَوزَ دارع غدا والعواصي من دم الجوف تنعر

في الثالث ص ٣٤ وكتب بدل جوز جون وبدل الجوف الجون وكلاهما تحريف

(١٣٩) ولم يستريثوك حتى رميت من فوق الرجال خصا لاعُشارا

في الرابع ص ١٤٧ وكتب بدل ولم يستريثوك: فلم يسترثبوك: وهو تحريف

(١٤٠) فما ألوم البيض الا تسخرا لما رأين الشَّمَط القَفَندرا

في الاول ص ١٦ وكتب بدل رأين رأينا وهو تحريف ولحن

(١٤٠) ألكني اليها عمرك الله يافتى بآية ماجاءت الينا تهاديا

ورد في موضعين الاول في الاول ص ٣٥ وكتب بدل الكني انكنى. الثاني في الاول ص ١٥٢ وكتب صحيحا

(٢٤٢) ياابن أمي ولو شهدتك اذ تد عو تميا وأنت غير مجاب

في التاسع ص ٤٣ وكتب بدل تدعو تميا تدعوها وهو تحريف يخل بالوزن والمعنى

(١٤٣) أنت المصفى المهذب المحض في النسبة ان نص قومك النسب

ورد في الاول ص ٣٦٤ من أبيات الكميت الاسدي وقد كتب هكذا

المصطفى المحض المهذب في النسبة ان نص قومك النسب

والشطر الاول مختل وصحته ماذكرنا

(١٤٤) قالت قتيلة ماله قد جللت شيبا شواته

في التاسع والعشرين ص ٤٢ وكتب هكذا

قالت نبيثة ماله قد حالت شيبا شواته

(١٤٥) إني ومن أين آبك الطرب من حيث لاصبوة ولا ريب

في الثاني ص ٢٢٤ وكتب بدل آبك يأتيك والبيت مطلع كلمة الكميت التي منها البيت المذكور في الشاهد ٣

(١٤٦) ترى أرماحهم متقلديها اذا صدئ الحديد على الكماة

ورد في موضعين الاول في الاول ص ٥٨ وكتب بدل ارماحهم ارياقهم

والثاني في التاسع عشر ص ٣٥ وكتب بدل الكماة الكتاب و بدل صدى صدأ

١٤٧ اذا القنبضات السود طوفن بالضحى رقدن عليهن الحجال المسجف

ورد في التاسع عشر ص ٣٥ وكتب بدل القنبضات القسيات و بدل رقدن وفدن وأعقب بعدد ٧ والقُنبُضَة المرأة الدميمة أو القصيرة والبيت للفرزدق من كلمته التي أولها

عزفت بأعشاش وما كدت تعزف وأنكرت من حدراء ما كنت تعرف

و يصف بيت الشاهد وما قبله وما يليه نساء المترفات اللاتي ينتزل بهن

١٤٨ يقذفن كل مُعجَل نشّاج لم يُكس جلدا في دم أمشاج

في التاسع والعشرين ص ١٠٩ وكتب هكذا

يطرحن كل معجل نشاج لم يك خلدا في دم امشاج

والبيت من أرجوزة لرؤبة ويصف النوق انهن اجهدن حتى قذفن بما في بطونهن والمعجل الذي لم تكمل مدة حمله والنشاج الذي ينشج والنشيج الشهيق

١٤٩ كأن بقايا الأثر فوق متونه مدب الدبى فوق النقا وهو سارح

ورد في موضعين الاول في الرابع عشر ص ٥١ وكتب هكذا

كأن بقايا الأثن فوق متونه مدب الذبي فوق النقا وهو سارح

الثاني في التاسع والعشرين ص ٩٨ وكتب صحيحا الا أنه وضع البنا موضع النقاء وكتب الدبى بالالف (لها بقية) محمد الخضري

التقريظ

﴿ تاريخ القرآن والمصاحف ﴾

عني المسلمون بالقرآن المجيد عناية لم تعن بمثلها أمة بكتابها فحفظوه في الصدور والسطور من زمن تنزيله الى هذا اليوم وألفوا الكتب الكثيرة في ضبط كتابته وتلاوته فبينوا الرسم مهمله ومعجمه وغفله ومنقوطه وكيفية الأداء والتجويد والوقف والابتداء وعدد الآيات والكلمات والحروف كما بينوا المعنى والاعراب ونكت البلاغة وطرق الاستنباط . ولما كان المصحف المعظم قد وصل الى المتأخرين في أحسن

خط وأجمل شكل حتى بين فيه مواضع الوقف المطلق والجائز والصالح والممتنع اكتفوا بذلك عن الرواية والمدارسة في رسم الحروف وتاريخ المصاحف ولم يعنوا في ألفاظه الا بتجويدها علما وعملا في الاكثر فأتقنوا مخارج الحروف وصفاتها من الاظهار والإخفاء والجهر والهمس والقلقلة والمد والقصر وغير ذلك . ثم قضت حاجة هذه الأيام بمراجعة ما كتب في تاريخ المصاحف فانتدب صاحبنا موسى أفندي جار الله رومتوفدوني الروسي الى تأليف كتاب في تاريخ المصاحف يصدره أجزاء صغيرة كلما أتم جزءا طبع ونشر . وقد طبع الجزء الأول في بطرسبرج في أوائل ربيع الأول من هذه السنة وأرسل الينا نسخة منه وطلب منا انتقادها واتفق ان رأى النسخة في يدنا الاستاذ الامام رحمه الله تعالى قبل ان نقرأها فأحب ان يطلع عليها فأخذها وكان المرض قد اشتد عليه وشغلنا بمرضه ثم بموته عن البحث عنها في أوراقه وكتبه ثم أرسل الينا نسخة أخرى سنقرظها في جزء آخر ان شاء الله تعالى

﴿ كتاب الخدمة المدرسية . في تسهيل قواعد العربية ﴾

كتاب في مبادئ النحو والصرف لجرجس أفندي الخوري المقدسي مدرس العربية في المدرسة الاميركية بطرابلس الشام قال في مقدمته انه أطال الفكر في كيفية التأليف المفيد للتعليم وكتب في مذكرته كل ما كان يخطر له في أثناء التدريس للتلاميذ والتلميذات من الاحداث موافقا لأذواقهم وجعل ذلك دعامة كتابه هذا ثم قال :

« فجمعت فيه من الصرف والنحو ما يسهل فهمه على التلميذ ويتمكن به من ضبط ألفاظه وكتابته ونسقته حسب أفكاري تنسيقا يرتاح اليه المتعلم مفضلا القليل المفهوم على الكثير المعقد اتباعا لرأي فلاسفة هذا العصر بشأن التعليم . واقتحت الفصول ببيانات وذيلتها بتمارين موافقة لمقتضى الحال وأدخلت الى اللغة نوعا جديدا من الاعراب سميته (الاعراب التصويري) اقتبسته من الانكليزية » الخ

ثم طلب من الاساتذة والكتبة انتقاد الكتاب ليعمل بما يرشدونه اليه في الطبعة الثانية . وقد أخرنا تقريظ الكتاب لعلنا نجد وقتا لمطالعته وانتقاده فأعوزنا الوقت فلم نجد بدا من ذكره والتنويه بما توخاه مؤلفه فيه توجيها للانظار اليه

﴿ مجلة الشتاء ﴾ مجلة أدبية علمية تاريخية فكاهية شعرية أنشأها في مصر سليم بك العنحوري الشاعر الدمشقي المصري الشهير وهي تصدر في فصل الشتاء وتحتجب في الصيف وقيمة الاشتراك فيها أربعون قرشاً مصرياً في السنة التي هي الشتاء تدفع مقدماً. وقد صدر الجزء الاول منها في شهر يناير والثاني فيما يليه. وانك لتقرأ بعض ما جاء في الجزء الأول فاذا هو يمزج الفكاهة والدعابة بالجد فتتجلى لك روح هذا الشيخ الكبير، بخفة الحزوّر الطرب، حتى لا أكاد أفرق بين ما قرأته له اليوم وما كنت قرأته له وأنا تلميذ مبتدي. كان الأدب قد طبع روح هذا الرجل بطابع لم تقو عليه السنون ولم تؤثر فيه عواصف السياسة التي تغير الاوضاع، وتبدل الطباع، واني اكتفي الآن بهذا التشويق الى مجلة الشتاء بالاشارة الى ما فيها من حرارة الشباب ولعلي أجد وقتاً آخر أنتقد فيه ما لعلي أجده فيها من برد الشتاء ولا أقول برد الشيخوخة لئلا أجمع بين الضدين وان كان الجمع بينهما من محسنات البديع عند الشعراء فيشفع لي عند الرصيف القديم الجديد، الذي اشتغل بالصحافة وأنا وليد، على أن السوري لا ينتقد برد الشتاء، فالي الا أن أعهد بذلك الى أحد المصريين الادباء



﴿ مسألة تزوج الهندي بالشريفة في سنغافوره ﴾

اختلف علينا القول في هذه المسألة التي استفتينا فيها من قبل. وقد كتب الينا السيد حسن بن علوي بن شهاب أحد شرفاء الحضارمة المقيمين في سنغافوره حقيقة الواقعة فنحن ننشرها هنا (اذ فاتنا نشرها في باب الانتقاد على المنار) لئلا نكون مصرين على الخطأ بعد ظهور الصواب، قال بعد رسوم الخطاب:

تكرر في المنار المنير ذكر مسئلة تزوج هندي بشريفة بسنغافوره ولكن لم تكن المسألة كما قالوا بل كستها الاغراض أثواب اللبس والتدليس فأحببت أن أفيدكم بالواقع وما رآه كمن سمع واني أعتقد ان المنار طالب للحق ولا تهمه الشخصيات ولذلك لم أكتب له فيما سبق حرفاً ولسيدي الرأي في نشر ما كتبته وإغفاله

الهندي رجل نفي من الهند مؤبدا الى سنغافوره وليس له نسب يعرف ولكن يقال ان أباه معلم صبيان والشهود الذي قيل عنهم انهم شهدوا له بالشرف لا صحة لما قيل في كثرتهم بل قال اثنان نسمع انه سيد ولا يعرفون له ثلاثة آباء في الاسلام هذه هي حال الزوج المشهود له بالشرف - وأما المرأة فبنت لم تتجاوز خمس عشرة سنة من السادة العلويين الحضارمة المشهور نسبهم المدون في الأسفار بالتواتر عند أهله وفي آبائها العدد الجم من العلماء والمصنفين وأهل الفضل والزهد والتقوى لا يمتري في ذلك أحد من الحضارمة

عجز الهندي عن استمالة الشريفة فقصد رجلا من بني العطاس جعله العرب عريفا لتسجيل العقود في المحكمة الانكليزية فتوسل به الهندي فتردد الى أم الشريفة حتى أقنعها وكان للشريفة أخوان أحدهما غائب والثاني حاضر الا انه جاهل فراوده العطاس في تزويجها بالهندي فأبى وامتنع وقد تم أمر العطاس مع الأم فلما لم يجد الاخ بُداً من تزويجها طلب من العطاس أن يتحقق من العلماء الموجودين من العرب عن نسب ذلك الرجل فأكد له وأقسم بأنه قد تحقق الامر ولم تبق لديه شبهة ولا ريبة فدلاهما بغرور ولقن العطاس أخا المرأة العقد في الساعة الحادية عشرة ليلا فعير الجميع أخاها ووبخوه حتى انه بعد ذلك هرب مما أصابه من التعيير ثم ان أخا المرأة الغائب شكا من ذلك وتذمر فيما ذكر يتضح فساد النكاح على مذهب الشافعي كما لا يخفى على من له إلمام بالفقه والله على ما نقول شهيد وحسبنا الله وما شرحته ثبت بالتحقيق الذي أجرته الجمعية العربية وبشهادة الشهود واقرار أهل القصة فلا مرية في شيء منه البتة

أما ما قيل من اهانة بعض من حضر العلم الشريف وكتبه فأمر مبالغ فيه والواقع ان اثنين من طلبة العلم وجها كلاما قارصا ألى رجل له شرف وسن وجاه لدى الجميع أراد المناضلة عن العطاس لأنه بكى اليه واستنصره ولبس عليه وكان ذلك الرجل ساذجا ويرى ذينك الطالبين مثل أولاده فقصد ردعهما عن تعنيفه لا استخفافا بالعلم وأهله . وأما ما جاء في قتا السيد عمر بن سالم العطاس في بيان خطأ ابن عمه من أن إسقاط الكفاءة من الشريفة غير ممكن لأن شرفها ذاتي

فذلك مذهب لكثيرين من علماء حضرموت واليمن والحجاز وعدد منهم مجتهدون فلا غرو اذا خالفوا الشافعي أو هو وبقية الثلاثة ولا يلزم من المخالفة التحقير أو عدم الاتباع ويطول الشرح والقصد ايضاح الحق وتحقيقه جعلنا الله واياكم من الطالبين له المنقادين آمين حسن علوي بن شهاب

﴿المنار﴾ قد كتب الينا غير هذا السيد أيضاً ممن نثق به ان الواقعة كما قال . أما الحق في الكفاءة بالنسب فهو ما بيناه من قبل من أنها مسألة اجتهادية مدارها على التعيير فحيث كانت المرأة تعير هي وأولياؤها بالرجل فهو غير كفؤلها وما قاله العطاس في الشرف الذاتي لا يصلح دليلاً شرعياً . نعم ان مخالفته للشافعي أو لغيره لا يعد تحقيرا ومن قال ان الخلاف يستلزم التحقير فقد زعم ان السلف وغيرهم من الائمة والعلماء في كل زمان يحقر بعضهم بعضاً اذ لم يتفق اثنان منهم في كل مسألة والله أعلم

السيد علي البيلاوي — وفاته

السيد علي البيلاوي من شرفاء مصر وكبار علماء المالكية في الأزهر ولما جئنا مصر كان نقيب الاشراف وشيخ المسجد الحسيني وكان يلازم هذا المسجد وقد عرفناه فيه وكلمناه في إبطال البدع التي يأتيها العوام عند القبر الحسيني وعمود الرخام الذي أمام مقصورته وهو كما سبق لنا القول يتمسح به للتبرك والاستشفاء لأنه يسمى عمود السيد ، فقال ان هذه البدع قد استحكمت في نفوس العامة وصارت أرسخ العقائد فيها فلا يمكن نزعها الا بالتدريج البطيء واذا فاجأناهم بقولنا ان هذا ليس من الدين خشينا عليهم أن يشكوا في أصل الدين ويمرقوا منه . وقد ناقشناه يومئذ في رأيه بل ظننا انه لا يود إبطال شيء من تلك البدع وأنما قال ما قال جدلا ثم تبين لنا ان ظننا هذا كان على اطلاقه خطأ ولم نعرف حقيقة فضل الرجل بل لم يعرفه جمهور أهالي البلاد الا بعد ان صار شيخا للأزهر

عين شيخا للأزهر بعد عزل الشيخ سليم البشري في ٢ ذي الحجة سنة ١٣٢٠ وكانت ادارته قد وقفت حركتها فكان خير عون للاصلاح اذ اتفق مع الاستاذ الإمام في كل رأي ولم يخالفه الا فيما كان يسميه التدريج في التنفيذ وان كان بطيئاً وكان الاستاذ

الامام يفضل التعجيل بالتنفيذ اغتناماً للفرصة وخوفاً أن تفوت قبل أتمام العمل وكذلك كان. وقد قلنا في كلام عن الأزهر في أجزاء هذه السنة انه قد ظهر للحكام وغيرهم من حسن ادارة هذا الرجل فوق ما كانوا يظنون. ومن أراد أن يعرف ما كان على عهده من حسن الادارة والنظام فليرجع الى كتاب (أعمال مجلس ادارة الأزهر)

وجملة القول إن الرجل كان في عقله وفضله وإدارته وأخلاقه وادابه من خيرة علماء المسلمين في هذه الديار بل لا نفضل عليه ممن عرفناهم بعد الاستاذ الامام أحداً منهم. توفاه الله تعالى في مصر وقد ترك من الولد الصالح من يحيي ذكره في العلم ومكارم الاخلاق اللائقة بالشرفاء فنعزي عنه ولديه النجيبين السيد محمد المدرس في الازهر وأمين دار الكتب المصرية (الكتبخانه) والسيد محمود اشيخ المسجد الحسيني وسائر الاهل والاقربين والعلماء والشرفاء ونسأل الله تعالى له الرحمة والرضوان

(خاتمة السنة الثامنة)

باسم الله وحمده نختم الجزء الأخير من هذه السنة كما بدأنا أول جزء منها باسمه وحمده فهو الذي يذكر ويحمد في السراء والضراء، وعلى الزعزع والرخاء ، فان السراء من نعمه الظاهرة، والضراء من نعمه الباطنة، يربي بهما عباده فيبتلي ما في قلوبهم، ويمحص ما في صدورهم، والله عليم بذات الصدور

منينا في هذه السنة بشيء من المصائب والنوائب نرجو ان نكون وفقنا معه للصبر ، وادخر لنا عند الله فيه الأجر ، زيادة عما آتانا به من الثقة بوعده، والتوكل عليه والرضى بقضائه وقدره، والعبرة بشؤونه في خلقه ،والاعتماد بعد ذلك كله على ما وهب من القوى، والتحقق بمقام «ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى» فله الحمد على ما استأثر به وعلى ما أبقى، ولله الحمد على ما أخذ وعلى ما أعطى ، ولله الشكر والثناء الحسن في الآخرة والاولى،

قلنا في فاتحة السنة الماضية وخاتمتها ان المنار قد دخل في سن التمييز نعم وقد ميزنا في هذه السن بين كثير المتشابهات كالخل الصادق ، والمحب المماذق ، والمتودد يبتغي العرض، والوديد لا لعلة ولا لغرض ، والموافق في الاعتقاد والشعور ، والمنافق اللابس ثوب الزور ، فنسأل الله كمال البصيرة، وتمام صفاء السريرة ،

أما قراء المنار فهم ينمون بنموه، يزيدون بزيادة سنيه ولم ينقص من عددهم انتقاص أهل الاهواء ، ولا خوض أهل الدهان والرياء ، ولا نشكو الا من تقصير بعضهم في اداء قيمة الاشتراك ومعظم التقصير في هذا منا فاننا قلما نتقاضى مشتركا أونذكره بكتاب يرسل أووكيل يسأل، بل تركناهم الى أريحيتهم، ووكلنا بهم غيرتهم ومروءتهم، ومنهم من ينسى فيحتاج الى التذكير ، ومن يكسل عن ارسال المبلغ في البريد فيغريه التسويف بالتأخير ، ومنهم السابقون الى الاداء، والمقتصدون في الوفاء ، وانما تنهض الأعمال بأمثال أولئك وهؤلاء، ويندر أن يكون في قراء المنار من يهضم حقه عمدا ، و يقصد الى أكل قيمة الاشتراك قصدا ،

نعم ان أهل مصر قد اعتادوا أن يدفعوا قيمة الاشتراك في الصحف للوكلاء الذين يتقاضونهم ولعل أهل تونس مثلهم اذلا يرسل القيمة الينا بغير طلب أكثر من عشرهم وجميع المشتركين في الشرق والغرب يرسلون الينا قيمة الاشتراك من غير طلب لا يمطل منهم الا بعض أهل الهند وأفراد من أهل الجزائر وأهل المغرب الاقصى وقد كنا عهدنا بوكالة المنار في تونس الى رجل اسمه علي زنين فحصل ماشاء أن يحصل وأكله مع ثمن كتب كنا أرسلناها اليه. ثم وكلنا رجلا من الادباء فتضاعف المشتركون في القطر التونسي بدعوته ولكنه كان يشكو من صعوبة التحصيل وقد كانت وكالته في السنة الخامسة ولم يرسل الينا بيانا بأسماء بعض من دفع القيمة الى محصله (أحمد أبي خطيوه) الا في أول هذه السنة كتب الينا أسماء من دفعوا الاشتراك في السنة الخامسة ومن مطلوا وعشرين مشتركا دفعوا في السادسة ووعد بارسال بيان أسماء بقية المشتركين الذين دفعوا فيها وفيما بعدها والذين مطلوا وقد انسلخت السنة ولم يرسل الينا شيأ

وقد كتبنا اليه منذ شهر ونصف كتابا أرسلناه في البريد مضمونا فلم يحر جوابا ولم يرجع الينا قولا ولعل له عذرا ونحن نلوم مثله في أدبه وفضله لا يقصر في حقوق الأدب عمدا وانا نعتبر وكالته موقوفة حتى يأتينا منه مانعرف به سبب ترك المكاتبة والمحاسبة ونرجو من المشتركين في القطر التونسي أن يرسلوا الينا قيمة الاشتراك بعد وصول هذا الجزء اليهم حوالة على البريد في القاهرة وسواء عاد

الوكيل في تونس الى التحصيل للمنار أو وكالنا غيره لايجوز لمشترك أن يدفع الى أحد قيمة الاشتراك بمقتضى وصل من الوصولات القديمة فاننا سنطبع وصولات خاصة بتونس والبلاد التي حكمها كحكمها في الاشتراك يذكر فيها المطلوب بالارقام والحروف هكذا

١٨ فقط ثمانية عشر فرنكا لاغير

وتختم بختم ادارة المجلة وتذيل بتوقيعنا المعروف

﴿ شرط الاشتراك في السنة التاسعة ﴾

يرسل المنار في القابل الى من كان يرسل اليهم عملا بالاستصحاب فكل من قبل الجزء الاول من السنة التاسعة نعتبره مع علمه بشرطنا مشتركا الى آخر السنة فان لم يرض فليرد الينا الجزء الاول لأن فقد جزء من أجزاء السنة كفقد جميع أجزائها فهذا عقد بيننا وبين جميع المشتركين آية قبوله منهم ورضاهم به قبول الجزء الأول من السنة التاسعة فمن قبله وجبت لنا عليه قيمة الاشتراك كاملة وان رد بقية الأجزاء فان لم يرسل القيمة فهو غير موف بما عاقد عليه

ثم ان ادارة المجلة لاتمسك جزءا ما عن أحد من المشتركين فمن طلب منها جزءا لم يصل اليه بعد موعد صدوره بمدة لاتزيد على شهر يرسل اليه حتما واذا طلبه بعد شهر من موعد وصوله اليه وجب عليه ارسال ثمنه وهو خمسة قروش مصرية اذا كان الطالب من القطر المصري وفرنك و ٧٥ سنتيما اذا كان الطالب من قطر آخر وعند ذلك يرسل اليه ان وجد والا رد اليه ما أرسله

وسيصدر المنار في السنة التاسعة في كل شهر عربي مرة عملا باقتراح كثير من القراء ولاينقص من أوراقه شيء فيكون الجزء ٨٠ صفحة وبذلك يتيسر لنا أن نكثر في كل جزء من مواده في التفسير والمقالات والفتاوى والمسائل العلمية والأدبية والأخبار والآراء فهو زيادة اتقانه واكثار في مسائله ومباحثه وقد رأى القراء اننا جددنا حروفه ونسأل الله تعالى أن يوفقنا في المستقبل لخير ما وفقنا له في الماضي فهو الموفق والمعين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

﴿ خاتمة مع تحية المنار لقرائه المصطفين الأخيار ﴾

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، هنأكم الله بالعام المودع وجدده عليكم نعمة في العام القابل . وبعد فان العارف بهذه الخدمة التي تستغرق أوقات منشئ المجلة لاسيما في تمحيص الدلائل وتخريج الأحاديث لا ينسى ان أقل ما يجب من مساعدتها أداء قيمة الاشتراك القليلة في أوقاتها وأكثره الدعوة الى المنار والسعي في تكثير عدد قارئيه . فنشكر الأفاضل الذين يدعون اليه والذين سبقوا فدفعوا قيمة الاشتراك عن السنة التاسعة قبل دخولها والفضلاء الذين يدفعون ما عليهم في أثناء السنة فلا يتأخر في ذمتهم شيء . ونذكر منهم من أنستهم كثرة أعمالهم إرسال قيمة الاشتراك أن يتفضلوا بإرسالها على رأس السنة ولهم الشكر والثناء الحسن وقد زادت النفقات علينا بسعة انتشار المجلة حتى أنها تبلغ في الشهر الواحد بضعة آلاف فاذا كان الأكثرون لا يدفعون القيمة الا بعد انتهاء السنة فمن أين نأتي بهذه النفقات لنا وللعمال طول السنة وليس لنا عمل آخر

ستزيد النفقات في العام الجديد بزيادة عدد المستخدمين الذي دفعنا اليه شكوى كثير من المشتركين في هذه السنة من عدم المبادرة الى إجابة مطالبهم حتى في إرسال وصولات الاشتراك ولعل هذه الشكوى تزول في العام الجديد اذ جعلنا للادارة وكيلا وللمكتبة وكيلا

ونرجو من مشتركي المنار الكرام في القطر التونسي أن يرسلوا الينا قيمة الاشتراك حوالة على البريد أو أحد التجار في القاهرة ويعرفونا بما دفعوه عن السنين السابقة للوكيل نؤكد الرجاء بذلك وان يصححوا لنا عناوينهم لنطبعها

سيصدر الجزء الاول من السنة التاسعة (وصفحاته ٨٠) في منتصف شهر المحرم والثاني في أوائل صفر وذلك لما علينا من كثرة الاعمال في خاتمة هذه السنة وبعد هذا يصدر كل جزء في غرة الشهر ان شاء الله تعالى